(الجزء ٨)   في ١٦ ربيع الثاني سنة ١٣٢١   (المجلد السادس)





مجلة علمية أدبية تهذيبية ملية اخبارية

« تصدر في غرة كل شهر عربي وفي السادس عشر منه »

لمنشئها

« السيد محمد رشيد رضا »

عنوانها (مصر — ادارة مجلة المنار) والتلغراف « المنار بمصر »

قيمة الاشتراك فيها خمسون غرشاً اميريا في السنة و٣٥ قرشا عن نصف سنة
وفي الخارج ١٨ فرنكا وفي الهند عشر روبيات وفي روسيا ٧ روابل

لا تقبل وصولات الاشتراك الا اذا كانت بامضاء منشئ المجلة وختم الادارة

(مطبعة « المنار » بشارع درب الجماميز بمصر)

الجزء الثامن		المجلد السادس



﴿ قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و«منارا» كمنار الطريق ﴾

﴿ مصر — الاحد ١٦ ربيع الثاني سنة ١٣٢١ — ١٢ يوليو (تموز) سنة ١٩٠٣ ﴾

القسم الديني

باب تفسير القرآن الحكيم

﴿ مقتبس من دروس الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية في الازهر ﴾

ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس . أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون * وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم فقليلا ما يؤمنون *

عهد في سيرة البشر ان الامة توعظ وتنذر فاذا طال عليها الامد بعد النذير تقسو القلوب . ويذهب أثر الموعظة من الصدور . وتفسق الامة عن أمر ربها . وتنسى ما لم تعمل به مما أنذرت به . أو تحرفه عن موضعه بضروب التأويل . وزخرف القال والقيل . ولقد يكون للمتأخر

روح القدس لان التعليم الذي يكون به مقدس أو لانه يقدس النفوس كما يطلق عليه (الروح الامين) لان النبي الموحى اليه يكون على بينة من ربه فيه يأمن معها التلبيس فيما يلقى اليه قال تعالى في القرآن « نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين »

قال الاستاذ الامام : ذهب جمهور المفسرين الى ان المراد بروح القدس الملك المسمى بجبريل الذي ينزل على الانبياء ومنه يستمدون الشرائع عن الله تعالى وهو على حد قولهم « حاتم الجود » وذكر بعضهم وجها آخر وهو أن المراد بها روح عيسى نفسه ووصفها بالقداسة والطهارة بمعنى إعاذته من الشيطان ان يكون له حظ فيه او لانه أنزل عليه الانجيل بالتعاليم التي تقدس النفوس بل قال بعضهم ان روح القدس هو الانجيل والمراد من الكل واحد وهو ان الله تعالى ارسل اليهم عيسى بعد ظهور رسل كثيرين فيهم بعد موسى وأعطاه مالم يعط كل رسول من أولئك الرسل من الوحي أو من قوة الروح وزكاء النفس ومكارم الاخلاق ونسخ بعض الاحكام وقد كان حظه مع ذلك منهم كحظ سابقيه الذين لم يؤتوا من المواهب مثلما أوتي

ماذا كان حظ أولئك الرسل من بني إسرائيل ؟ كان حظهم منهم ماأفاده الاستفهام التوبيخي فى قوله «أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم » فاتبعتم الهوى وأطعتم الشهوات وعصيتم الرسل واحتقرتم عليهم أن انذروكم ودعوكم الى أحكام كتابكم « ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون » . كان المعهود فى التخاطب وكلام الناس ان تذكر هذه المساوي ثم يوبخون عليها ولكن طواها فى الخطاب وأدمجها فى الاستفهام لتفاجئ النفوس بقوة التشنيع والتقبيح ، وتبرز لها فى ثوب الانكار والتوبيخ ،

منها بعض العذر لجهله بما فعل المتقدم وأخذه مايؤثر عنه بالتسليم لكمال الثقة وحسن الظن. بين الله تعالى هذه السنة الاجتماعية فى سورة الحديد بقوله «ألم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون» ولهذا كان تعالى يرسل الرسل بعضهم فى أثر بعض حتى لا يطول أمد الانذار على الناس فيفسقوا ويضلوا. ولا يعرف التاريخ شعبا جاءت فيه الرسل تترى كشعب اسرائيل لذلك كانوا بمعزل عن صحة العذر بطول الامد على الانذار. وفى ناحية عما يرجى قبوله من التعلل والاعتذار. لهذا قال تعالى بعد كل ماتقدم «ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل» فلم يمر زمن بين موسى وعيسى آخر أنبيائهم الا وكان فيه نبي مرسل أو أنبياء متعددون يأمرون وينهون. كانه يقول: اعلموا يابني إسرائيل أنه ان كان لطول الامد على النبوة وبعد العهد بالرسل يد فى تغيير الاوضاع ونسيان الشرائع وكان في ذلك وجه لاعتذار بعض المتأخرين فان ذلك لا يتناولكم فان الرسل قد جاءتكم تترى ثم كان من أمركم معهم ما كان

ذكر رسل بني إسرائيل بالاجمال لبيان ماذكر ثم خص بالذكر المسيح عليه السلام فقال «وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس» فأما البينات فهي مايتبين به الحق من الحجج القيمة والآيات الباهرة. قال الاستاذ الامام والمراد بها مادعا اليه من أحكام التوراة. وأما الروح القدس فهو روح الوحي الذي يؤيد الله تعالى به أنبياءه فى عقولهم ومعارفهم وهو هو المراد بقوله تعالى «وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان» ويطلق عليه

بيننا وبينك حجاب » وقد ردّ الله تعالى عليهم بما يشعر بكذبهم وعنادهم فقال « بل لعنهم الله بكفرهم » أي ان قلوبهم ليست غلفاً لا تفهم الحق وانما أبعدهم الله تعالى من رحمته بسبب كفرهم بالانبياء السابقين وبالكتاب الذي تركوا العمل به وحرفوه اتباعاً لاهوائهم فهم قد أنسوا بالكفر وانطبعوا عليه فكان ذلك سبباً في حرمانهم من قبول الرحمة الكبرى باجابة دعوة خاتم النبيين - هذا هو معنى اللعن وقد ذكرت معه علته ليعلم انه جرى على سنة الله تعالى في الاسباب والمسببات وان الله لم يظلمهم بهذا وإنما ظلموا أنفسهم بالكفر الذي يستتبع الكفر والعصيان الذي يجر الى التمادي في العصيان، كما هي السنة في أخلاق الانسان،

ولما كان ذكر اللعن معللا بالكفر الذي هو نتيجة تأثير أعمالهم السابقة في نفوسهم وكان مما يخطر بالبال ان أولئك القوم لم يكونوا كافرين بل مؤمنين بالله وكتابه ورسله اليهم استدرك فقال « فقليلا ما يؤمنون » وانما القلة في الايمان باعتبار ما يؤمن به من أصول الدين وأحكام الشريعة وبالنسبة الى اليقين في الايمان ، وتحكيمه في الفكر والوجدان، ولقد كان القوم يؤمنون بالشريعة في الجملة وكما تعطيه ظواهر الالفاظ ولكنهم لم يلابسوها مفصلة تفصيلا ، ولم يفقهوا حكمها وأسرارها . فلم يكن لها سلطان على قلوبهم . ولم تكن هي المحركة لاراداتهم في أعمالهم ، وانما كان يحركها الهوى والشهوة . ويصرفها عامل اللذة . فالايمان إنما كان عندهم قولا باللسان . وربما يلوح في الخيال . تكذبه الاعمال . وتطمسه السجايا الراسخة والخلال . وهذا هو الايمان الذي لا قيمة له عند الله تعالى . ومن العجب ان نرى آيات القرآن تبطله بالحجج القيمة ، والاساليب المؤثرة ،

وفي ذلك الإيماء الى ان هذه المعاملة السوءى مما لايخفى خبرها ، ولا تغيب عن الافكار صورها ، فلا ينبغي الالماع اليها، الا في سياق تقريع مجترحيها، وهذا من إيجاز القرآن ، الذي لا يعرج اليه فكر الانسان ، وانظر كيف أورد خبر القتل بصيغة المضارع التي تدل على الحال لاستحضار تلك الصورة الفظيعة وتمثيلها للسامع حتى يمثلها في الخيال ، وان مرت عليها القرون والاحوال ، لأنها أفاعيل لاتخلق جدتها ، ودماء لا تطير رغوتها ، وان مثل هذا التعبير ايمثل تلك الصورة المشوهة لأن الالفاظ اذا قرعت الذهن بمفهومها يتناول الخيال صورة ذلك المفهوم ويصورها بالصورة اللائقة بها ، فيكون لها من التأثير مايناسبها ، قتلوا من الانبياء المرسلين زكريا ويحيى عليهما السلام ويروى أنهم قتلوا في يوم واحد مئة وخمسين نبيا فان صح هذا فالمراد باولئك الانبياء من كانت نبوتهم محصورة في الدعوة الى إقامة التوراة . ودليلها محصوراً في الانباء ببعض المغيبات . وكان هذا الفريق منتشرا في اسباط بني إسرائيل وكثيراً بكثرتهم

وفي هذه الآية حجتان للنبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم - حجة على بني إسرائيل وحجة على الذين يعجبون لعدم إيمانهم به وإجابتهم دعوته، وبيان ان المجاحدة والمعاندة من شأنهم ومما عرف من شنشنتهم ، وناسب بعد هذا أن يذكر ما كانوا يعتذرون به عن الايمان به، والاهتداء بكتابه، بعد تقرير الدعوة ، وإقامة الحجة ، فقال « وقالوا قلوبنا غلف » الغلف بضم وسكون وبضمتين جمع أغلف وهو مايحيط به غلاف يمنع ان يصيبه شيء والمراد اننا لانعقل قولك ولا ينفذ الى قلوبنا مفهوم دعوتك فهو بمعنى قوله تعالى « وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن

انه تسبيح حقيقي قولي لا لسان حال ودلالة أثر على مؤثر . والقضية ممكنة فى ذاتها ولا يبعد ان يكون لكل صنف من المخلوقات حياة تليق به بل هذا هو اللائق بالإبداع الالهي وانتظام العام ولكن البعيد ان يكون الجماد والنبات عالمين بسائر الشئون وناطقين بجميع اللغات . فيكلمان هذا بلسانه . ويفصحان لذاك عن بعض شانه . وأبعد من هذا البعيد ان لا يكون ذلك الكلام المزعوم سنة عامة بأن يكون خروجا عن السنن الالهية لتحقق لابن أدهم شهوته . وللشبلي عزيمته . ومثل هذه الخارقة مما نقل عن عباد النصارى (كاسبيريدون العجائبي) وحكاياتهم فيها شبيهة بحكاياتنا وكل حزب بما لديهم فرحون

﴿ النوع السابع إبراء العلل ﴾

أشار السبكي فى الكلام على هذا النوع الى حكاية الرجل الذي لقيه السري السقطي ببعض الجبال يبرئ الزمنى والعميان والمرضى . والى ماروي عن الشيخ عبد القادر الجيلي من انه قال لصبي مقعد مفلوج أعمى مجذوم : قم باذن الله : فقام معافى لاعاهة به . أقول وقد ذكر الشيخ علي القاري هذه الحكاية مفصلة فى كتابه (نزهة الخاطر الفاتر في مناقب السيد عبد القادر) وأوردتها في كتاب (الحكمة الشرعية) وقفيت من بعدها بحكاية أخرى لصاحب هذا الكتاب . وامثال هذه الحكايات كثير عن الصالحين جدا ولا شك عندي في ان الكثير منها صحيح لاشبهة فيه . وينقل مثله أيضاً عن رجال الدين المعتقدين من النصارى والوثنيين وقد وقع على يدي شيء من ذلك فى بعض الأمراض العادية . وليس فى ذلك شذوذ عن السنن الطبيعية .

ان الوهم يفعل فى شفاء الأمراض العصبية مالا يفعل العلاج . ولا يوجد مثار للوهم أقوى من اعتقاد المعتقدين بالسلطة الروحانية والقوى الغيبية يؤتاها بعض رجال الدين . ويكفي في توثيق عرى هذا الاعتقاد في المستعدين له ماينقل اليهم بلسان زيد وعمرو . وهند ودعد . من الحكايات الغريبة . والوقائع العجيبة . واذا رأى أحدهم بعينه واقعة منها أو بعض واقعة أو شبهة على واقعة كأن يرى فلانا الذي كان مريضا قد شفي بعد رقية رقي بها . أو تميمة علقت عليه . فهناك الجزم بأن كون الشيخ فلان يشفي المرض بالسر . ويبرئ العلل بالبركة . من القضايا اليقينية الاولية . لايتسرب اليه الشك . ولا يحوّم حوله الريب . وان من ينكره فهو مريض الاعتقاد . أو من أهل الجحود والإلحاد .

وأهل القرآن عن ذلك غافلون . فقليلا مايتدبرون ويتذكرون ،

ومن مباحث اللفظ فى الآية ان كثيرا من المفسرين يزعمون ان (ما) زائدة وما هي بزائدة وفاقا لابن جرير الطبري وجل القرآن أن يكون فيه كلم زائدة وإنما تأتي (ما) هذه لافادة العموم تارة ولتفخيم الشي تارة ويقول ابن جرير انما يؤتى بها في مثل هذا المقام كمبتدأ كلام جديد يفيد العموم كأنه قال : فايمانا قليلا ذلك الذي يؤمنون به : وأما التي لتفخيم الشيء فكقوله تعالى « فبما رحمة من الله لنت لهم »

﴿الكرامات والخوارق﴾

﴿المقالة الرابعة عشرة فى أنواع الخوارق وضروب التأويل والتعليل﴾

﴿النوع السادس كلام الجمادات والحيوانات﴾

قال السبكي : ولا شك فيه وفى كثرته ومنه ماحكي أن ابراهيم ابن أدهم جلس في طريق المقدس تحت شجرة رمان فقالت له « ياأبا اسحق أكرمني بأن تأكل مني شيئاً » قالت ذلك ثلاثاً وكانت شجرة قصيرة ورمانها حامضا فأكل منها رمانة فطالت وحلا رمانها وحملت فى العام مرتين وسميت رمانة العابدين . وقال الشبلي : عقدت ان لا آكل الا من حلال فكنت أدور في البراري فرأيت شجرة تين فمددت يدي لآكل منها فنادتني الشجرة « أحفظ عليك عقدك ولا تأكل مني فانني ليهودي » فكففت يدي : هذه حكايات السبكي التي بنى عليها نفى الشك في هذا النوع وان لم تتفق مع أصله وشروطه ولم ترو بطرق صحيحة وأسانيد معروفة . واذا صح ان ابن أدهم والشبلي قد قالا مانقل عنهما في ذلك فالأقرب أنهما كانا يعنيان القول بلسان الحال فحمله بعض الناقلين على لسان المقال حبا في الإغراب او غلوا فى تعظيم الصالحين على ان من الصوفية من يقول بأن صفة الحياة سارية فى جميع المخلوقات حتى الاحجار والمعادن ويمرّون قوله تعالى « وان من شيء الا يسبح بحمده » على ظاهره فيقولون

﴿ مضار بدعة الزار ﴾

«أصدرت محافظة ثغرنا في الاسبوع الماضي أمرها الى أقسام المدينة بمراقبة النسوة المشتغلات بالزار لان جمعياتهن كثرت برواج خزعبلاتهن فألحقن بربات البيوت أضراراً أدبية ومادية لايحسن التغاضي عنها وعهدت المحافظة أمر تجسس هذه المحرمات الى مشايخ الحارات ظناً منها أنها تستفيد من دقة مراقبتهم وتضرب بواسطة نفوذهم على أيدي أولئك النساء الشريرات

«أما نحن فنقول ان أوامر نظارة الداخلية الصادرة من عشر سنين ونيف والمصدق عليها من مجلس علماء الازهر الشريف وافتائه بتحريم استعمال بدعة الزار الشنيعة لم تكن فى حاجة الى أوامر جديدة وهمة حديثة ليقال معها ان حكومتنا اليوم التفتت الى ضرر لاملا فيه ونظارت الى محرم لاحقته بعدها بل يجب أن تصرح بأنها أغضت زمنا عن واجب مقدس ثم تنبهت الى نظام موضوع من أجله فهبت الآن لتلافي الشر ووقاية هاته العيلات وثروتها وآدابها من نتائجه الكثيرة التي منها الاملاق والجنون والطلاق والمروق عن جادة الاستقامة والعفاف وغير ذلك من الاضرار الظاهرة التي لاتحتاج الى استطلاع وفلسفة

«أما الاملاق والجنون فيكفي أن نشير اليهما بحادثة امرأة أشفقت على ابنتها المصابة بمرض عصبي (هستيريا) فالجأت الى الزار فصارت تبذل لهن مطالبهن الكثيرة من ذهب وطعام وغنم ودجاج حتى احتاجت الى المال فباعت كنها الوحيد الذي يستظلون به ويلجأون اليه وكانت النتيجة جنون الفتاة وموت أمها غما وقهراً لان ألعاب الزار وأوهامه من شأنها أن تثير العواطف وتنبه الاعصاب الى ما كمن من الداء فيظهر بشدة حينئذ ويصبح على التوالي ملكة لايرضيها غير هذه الاعمال الخيالية النفسانية فبدلا من تسكين لاعجه يزداد شراً على شر ويكون من نتائجه الجنون وكفى بالفقر مذهباً للرشاد ومضيعا للعقول

« وكم من زوج طلق عرسه لتبذيرها ونبذها طاعته فى سبيل هذا الزار الذي استحكم فصار عادة بين النساء وموضع افتخار بعضهن وقليل من العقل والروية يكفي لينبذ الرجل زوجته ازوات معاندته والعمل على اساءته وهي لاتدري انه البر الرؤف

عرف هـذا الأطباء والعقلاء فاستعانوا بالايهام على معالجة الأمراض العصبية فنجحوا نجاحا عظيما وهم يتفننون فى تصوير الوهم بالصور المناسـبة لحال المرضى فى اعتقاداتهم بل يخلقون لهم اعتقادات ببعض الاشخاص أو ببعض الادوية ويبالغون فى تعظيم شأنها حتى يشغلوا خيال المريض بها ثم يسلطونها على مرضه . وانك لترى حكيما من الحكماء يدعو الى منزله دجالا من الدجاجـلة الذين يدعون التصرف فى الجان والسلطة على العفاريت الذين يسمون الاناسي — يدعوه ليعالج بايهاماته الدجلية امرأة عنده مصابة بمرض عصبي مما يسميه الأطباء (الهستيريا) بعدأن يعجز عنها الأطباء. ويخيب فيها كل دواء، فتشفى برؤية زيه وبزته. وشم بخوره وسماع رقيته ، ويعترف له ذلك الحكيم بأنه يفعل بكلماته وعزائمه ، مالا يفعل الطبيب بأدويته ومراهمه . أتقول ان هـذا الحكيم يعتقد بحقية هـذه الخرافات ، ويدين بأن ذلك الدجال من أهل الخوارق والكرامات ،أم تقول أنه سلط الوهم على الوهم ، كما يدفع فى الجدل الرأي الفاسد بالدليل الفاسد ، وانه يرى المريض فى عصبه كالمريض فى عقله ، ذلك يتأثر بأوهام الدجل، وهذا يقتنع بمغالطات الجدل.؟

الامراض العصبية التي تفعل فيها الاوهام ضروب مختلفة منها بعض فنون الجنون ومنها مقدماته. ومن المصابين بها من يعتقد بالشيطان يخالط روح الانسان ويعتقد بأن لبعض الناس سلطانا على الشياطين بطريقة صناعية كالبدعة الذميمة التي يسمونها (الزار) : وهي منبع المآثم والاوزار ، أو بطريقة روحانية كبركات الشيوخ ورقاهم وعزائمهم . وتجد الذين ينتحلون هذا الامر بسلوك كل من الطريقتين يعيشون فى مثل هذه البلاد بأكل أموال الناس بالباطل فكثيرا مايوهمون من يرونه مسـتعدا لهذه الامراض من النساء والرجال بأنه مصاب بها وما هو بمصاب فيؤثر قولهم في نفسـه فيمرض ويحكمهم فى نفسـه يعالجونها كيف شاؤا . بل يحكمهم فى حاله وشرفه أحيانا وكثيراً مايزيدون الداء إعضالا بحمقهم وسوء سلوكهم

جاءتني جريدة المؤيد وأنا أكتب في هذا النوع فرأيت في رسالة الاسكندرية منها كلاما فى انتشار وباء الزار في تلك المدينة وفعله فى النفوس والأعراض مالم يفعل الطاعون فى الاجسام ، وفي الاموال والعروض مالم يفعل القمار والمدام ، وقد رأيت ان أنقل ماكتب الكاتب بنصه فاقرأه تحت عنوان بدعة الزار

من التحوت والغوغاء الذين يشترون بالآداب والأعراض ثمنا قليلا ولو جعلت الحكومة لمن يدلها على ذلك جعلا ولو قليلا لما خفي عليها شيء ولتيسر لها أن تستئصل هذه البدعة الضارة استئصالا

ومن العجائب ان الرجال يسمعون بآذانهم ويقرءون بألسنتهم ويشاهدون بأعينهم مفاسد الزار وفتكه بالأموال والاعراض وإفساده للاخلاق والعقائد وهم مع ذلك يسمحون لنسائهم بعمله وبحضوره فأي شرف وأي نخوة بقي عند هؤلاء الرجال السفهاء الاحلام الميتي الإرادة ؟ والله لو صلح الرجال لما فسد النساء ووالله ما أفسد النساء الا الرجال فلعن الله من لاغيرة له ، ولعن الله من لانخوة له ، ولعن الله من لاشرف له ،

* * *

لكل قوم نصيب من الوهم يليق بحالهم واعتقادهم وقد ألمعنا الى بعض شأن الذين يعتقدون بالارواح الخيرة والشريرة وأما الماديون والروحيون الذين يعتقدون ان الارواح أمور غيبية لاسلطان لها الا في أبدانها التي تحيا بها وأن لجميع الامراض أدوية يعرفها من يعرفها ويجهلها من يجهلها (كما ورد فى الحديث) فان للوهم منافذ أخرى الى نفوس المصابين بالامراض العصبية منهم كالاعتقاد ببراعة الاطباء واكتشافاتهم واختراعاتهم ، وبأخبار الذين شفوا بمعالجاتهم ، وان كثيراً من أطباء أوربا وأمريكا يعالجون امثال هؤلاء المرضى بالادوية الوهمية . حكي ان امرأة منهم أعضل داؤها ، وعز شفاؤها ، فجاء بعض الاطباء الذين كانوا يعالجونها وقال: ان كل تلك الادوية التي كانت تداوى بها من المسكنات وانه لم يبق الا علاج سام خطر هو الشافي قطعا ولكن لايمكنني ان أعطيها منه الا بشروط منها أن لاتزيد عن المقدار الذي أعينه نقطة من السائل ولا مقدار ذرة من الجامد ومنها ان تأخذه فى المواقيت المعينة لاتتقدم دقيقة ولاتتأخر دقيقة ومنها أن نكتب كتابة ونسجلها فى المحكمة بأنه لاتبعة عليّ ولامطالبة اذا هي ماتت مسمومة لأنني لا آمن من مخالفتها فى المواقيت او المقادير: وقد تردد أهل المريضة في قبول الشروط ولكنها هي قبلت بها لان المرض كان منعها المنام والراحة فما زالت تلح عليهم حتي قبلوا وكان شفاؤها في ذلك الدواء ، ولم يكن الا الدقيق والسكر والماء ،

بها في منعها عن الانغماس فى حمأة هذه الاوضار بل تظن به الشح والوسواس والكفر والكراهة الى غير ذلك من الظنون السخيفة التي تزرعها نساء الزار في رءوس لبسيطات من هؤلاء الامهات والفتيات فيتضين على راحتهن ومستقبلهن تضاء مبرما بالتفرقة والخراب وكفى بهذه النتائج المحزنة داعياً الى التفات الحكومة ومطاردتها للمشتغلات بهذه الدنايا والرزايا

«أما المروق عن جادة الاستقامة والعفاف فهذا كثير فان لقهرمانات الزار فنونا وحيلا ينفر منها ابليس ويستعيذ بسلبها منهن بالله لانها فوق قدرته لو أبناها فى هذه المجالة وقليلها يكفي للاشارة الى سوء الحال وشر المآل

«حكي ان امرأة تعشقها سفيه دنيء فاحتال للوصول اليها كثيراً حتى لجأ الى نساء الزار فلدبن دورهن مع المرأة حتى أثرن عليها بأنها ملموسة بروح شريرة مما يعبرن عنه (بأن عليها شيخ) وعند ماملكنها بهذه الخزعبلة قلن لها ان شيخك يحب شابا صفته كذا وكذا الخ الخ . ولا سبيل لسكون هذا القادر الا باجتماعهما وما زلن بها حتى رضيت بالشاب فكان من اجتماعهما ما كان من سكون لواعج النفس بطرد حركة الشيخين ... وكثيراً مايجمع النسوة الشريرات مدبرات الزار الرجال بالنساء ويمهدن سبل الدنايا والموبقات على أشكال وضروب لايليق بيانها وبذلك تتقوض أسس المحبة الزوجية فتكون العواقب أشد وخامة على الذرية التي لم تجن ما جناه الابوان من جهلهما وتساهلهما

«والغاية من رسالتي هذه اني أريد افهام الحكومة ان تكليفها مشايخ الحارات بمراقبة المشتغلات بالزار ومنازل طلابهن ومريديهن لاخير فيه ولا فائدة لانها تفتح لهؤلاء المشايخ المراقبين باب رزق وسيع فانهم يسمون الآن باحثين منقبين على من يحيي ليالي الزار وأيامه ليستفيدوا أتاوة الصمت والتغاضي وهو ربح حسن يفضل الارباح العائدة عليهم من المخافر والضمانات وغيرها ... وبذلك يزيد الزار انتشاراً وضرراً» اه بنصه

(المنار) ان مارآه الكاتب في مشايخ الحارات صحيح فانهم قوم لا اخلاق لهم . واذا كان وجهاء الناس والذين يظن فيهم العقل والأدب والدين يخدعون للنساء المنتحلات لبدعة الزار الضارة ويعتقدون نفعها فماذا عسى ينتظر من مشايخ الحارات وأ كثرهم

هذا وجه من وجوه تعليل مانقل فى هـذا النوع وهو معقول مقبول وعليه أكثر العقلاء . وبقى وجه آخر يقول به بعض الناس فى بعض الوقائع — ونعني بالناس أهل العلم والبحث — وهو تأثير النفس فى النفس ويعبر عنه الصوفية بتأثير الهمة ويثبتونه لغير المسلمين حتى للوثنيين وهو ثابت عند حكماء اليونان والعرب وغيرهم وحكى ابن خلدون وقائع منه .

معهود عند جميع الناس رؤية أشخاص يرفعون قنطارا (مصريا) عن الارض وقلّ من رأى بعينه أشخاصا يرفعون عدة قناطير فاذا قيل لهؤلاء ان قيصر روسيا السابق كان يأخذ كرتين من الحديد كل منهما عدة قناطير ويقذفهما فى الجو واحدة بعد أخرى ثم يتلقى كل واحدة بيد قاذفا إياها فى الجوّ ويعيد ذلك المرة بعد المرة زمنا طويلا — ينكر أكثر المعروفين بالعقل والروية هذه الرواية لان فى الناس المولع بانكار الغرائب التي لايعهد مثلها كما ان منهم المولع بنقل الغرائب التي لايعهد لها نظير .

ويعهد جميع الناس ان يروا حزينا فتؤثر فيهم حالته حتى يمتعضوا وربما بكى فأبكى ويعهد قليل من الناس من تأثير بعض الوعاظ ماتوجل له القلوب وتذرف منه العيون ويحمل كثيرا من الناس على الرجوع عن حال الى حال ، وعلى الخروج من العقار والمال ، وليس هذا تأثير الكلام خاصة وإنما العمدة فيه على تأثير النفس . وقد كان بعض الوعاظ الصالحين يعظ فيتوب قوم ويبكي ناس ويموت آخرون فقيل له ان فلانا أفصح منك في التذكير لسانا ، وأوضح بيانا . فما بال كلامه لايؤثر ، ولا يستتيب ولا يستعبر ، فقال : ليست النائحة الثكلى كالنائحـة المستأجرة : يريد ان التأثير بالحال ، لا بزخرف المقال ، — واذا قلت لهؤلاء الناس ان في الناس أفرادا لهم قوة نفسية ، وهمة روحانية : اذا وجهوها الى نفس أخرى فانها تؤثر فيها التأثير الذي يريدونه متى صح التوجه ينغضون رؤسهم وينكر اكثر أهل البحث والروية هذه الرواية . واذا دام أهل العلم في الغرب على بحثهم في الامور الروحية فان هذه المسألة ثبتت عندهم بالتجربة التامة . وكما يكون هـذا التأثير فى شفاء المرضى يكون فى إحداث الامراض ولبعض الناس في كل أمة استعداد قوي له اذا استعملوه زاد قوة وتأثيراً

عرف الناس تأثير قوة الاعتقاد الوهمي فضربوا لها المثل «لو اعتقد أحدكم بحجر لنفعه» ويظن بعض العامة ان هذا حديث لأنه مؤد للمعنى العام بعبارة وجيزة وبذلك امتازت الاحاديث النبوية.

ثم ان الجهل بأمور الدين والدنيا معاً فسره لأهل هذا العصر بغير معناه وان شئت قلت بنقيضه فهم يزعمون ان فيما يعتقد — وإن حجراً — نفعاً حقيقياً ثابتاً له لاينفك عنه ، فهم يتمسحون ببعض الاحجار، ويتعلقون ببعض الاشجار، ويتبركون بمياه بعض الآبار ، ويعتقدون ان فيها خواص تشفي الامراض ، وتقضي الحوائج والأغراض،ثم إنهم يلصقون ذلك بالدين ورجالاته،ويعدونه من دلائل صدقه وآياته، ويغفل أهل كل ملة عن مشاركة أهل الملل الأخرى لهم فيما يدعون . واستدلالهم بمثل مايستدلون ،

كتبنا غير مرة فى مفاسد الاعتقاد بهذه الجمادات والاشجار كعمود الرخام فى المسجد الحسيني وباب المتولي وشجرة الحنفي ونعل الكلشني وغير ذلك.ولم ينس قراء المنار بل أهل مصر كلهم ما كان منذ سنتين ونيف فى المسجد الحسيني من الجلبة والضوضاء فى آخر الدرس الذي كنا نلقيه هناك اذ نهينا الناس عن التمسح بالعمود الذي يسمونه عمود السيد استشفاء به وطلباً للبركات منه فاحتج علينا بعضهم بالمثل الذي جعله الجهل حديثاً نبوياً ولما بينا لهم معنى المثل وكونه غير حديث وأنه لو كان حديثاً وكان معناه زعموا لكان حجة على نفع عبادة الاصنام قبل ذلك الجماهير وكان في الصفوف البعيدة من حاضري الدرس من لم يفهم القول فطفقوا يتساءلون: ماذا قال فى الحديث ماذا قال في الحديث : فاجاب بعض الذين وعوا القول بالصواب ودس بعض المرجفين أقوالا كانت مثار اللغط والضوضاء كقولهم انه أنكر حديث رسول الله (بمعنى كذبه) وقولهم انه قال ان سيدنا الحسين صنم لاينفع ولا يضر وأمثال ذلك

أليست هذه الفتن والبدع والعقائد الفاسدة المفسدة للعقول والارواح ناشئة كلها عن الاعتقاد بهذا النوع من الخوارق الوهمية التي دخلت في الدين من تلك الاقاويل التي أثبتها مثل التاج السبكي من غير بينة ولا بيان ، ولا حجة ولا برهان ، الا زعم فلان ودعوى فلان ، ؟ بلى

لا يهمه الا بيع مصالحهم بما ينفع شخصه ويجعله عونا له على الاسرائيليين ويحكمه فيهم لانه أعلم بدخائلهم، وأدرى بمقاتلهم . أليس من المعهود فى كل زمان أن يستعين الذين يحكمون أقواما غير قومهم بأفراد من أولئك الاقوام يبيعون مصالح قومهم للحكام الاجانب بالمال والجاه لاشخاصهم فلماذا يستنكر ان يصطنع فرعون لنفسه طاغية من الاسرائيليين يكون واسطة بينه وبينهم فيما يريد من ضروب الاستبداد والاستعباد ؟ ثم اذا فرضنا انه لم يكن عاملا لفرعون ولا صنيعة له وإنما كان أغنى بني اسرائيل وأقواهم سلطانا وأنفذهم شوكة كما تدل عليه سورة القصص أفليس هذا مسوغا لان يذكر مع فرعون وهامان وقد استن بسنتهما، وجرى على طريقهما ؟ بلى ولكن الذي يتلمس التناقض في القرآن ، لا يظفر الا بمثل هذا الخذلان ،

(الشاهد الخامس) زعم ان قوله تعالى فى موسى « فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم » يناقض قوله تعالى «اذ أوحينا الى أمك مايوحى أن اقذفيه في التابوت فاقذفيه فى اليم» فان هذا القذف لم يكن الاهربا من أن يقتله قوم فرعون فدل ذلك على أنهم كانوا يقتلون الاطفال قبل بعثته .

ونقول فى الجواب أولا ان هذه الآية لم تعلل بهذا التعليل وإنما ذكرت غايتها المقصودة منها بالنص وهي قوله تعالى « يأخذه عدوٌ لي وعدوٌ له » أي ان الغاية من قذفه فى اليم أن يأخذه فرعون ويربيه فيكون من أمره بعد ذلك مايكون . وثانيا ان الامر بقتل الابناء أولا لاينافي إعادته ثانيا لاجل التأكيد والتشديد عند وجود المقتضي . ومثال هذا حاضر بين أيدينا _ نظار الحكومة المصرية كانوا نهوا جميع المستخدمين في الحكومة أن يجمعوا مالا لاعانة سكة الحديد الحجازية أو يساعدوا الجامعين وكان ذلك من عدة سنين ثم أعادوا هذا النهي الآن بمناسبة توجه الناس الى الاعانة بعد أمر السلطان بمطالبة المسلمين كافة باعانة اختيارية أقلها خمسة قروش على الشخص وأكثرها غير محدود. وقد ذكرت الجرائد هذا وذاك فهل يقال ان النهي الثاني مناقض للنهي الاول ؟ كذلك كان فرعون قد أمر القوابل بأن يقتلن أبناء بني إسرائيل ليقل نسلهم فلما ظهر موسى ودعاه لى اتباعه والى إرسال بني إسرائيل معه أكد الامر الاول وأعاده اوأمر بما هو أشد منه وهو ان يقتل الابناء جهراً . هذا الامر موافق لذلك لامناقض له فان التناقض أن تكون احدى القضيتين موجبة والاخرى سالبة كقول يوحنا فى الفصل الخامس من انجيله حكاية عن المسيح عليه السلام « ٣١ ان كنت أشهد لنفسي فليست شهادتي حقا » مع قوله فى الفصل الثامن

شبهات النصارى وحجج المسلمين

(تتمة الكلام في الشبهة الثانية على القرآن)

(الشاهد الرابع) زعم المعترض ان ما في سورة المؤمن من ان موسى أرسل الى فرعون وهامان وقارون يدل على ان قارون من قوم فرعون فهو مناقض لقوله تعالى في سورة القصص « ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم »

ونقول في الجواب ان كون قارون من قوم موسى مجمع عليه عند المسلمين سلفهم وخلفهم كما قال ابن عطية وقالوا انه من ذوي القربى لموسى عليه السلام ولكنهم اختلفوا في جهة القرابة فنقل عن ابن عباس وغيره انه كان ابن خالته وقيل غير ذلك مما لا يعنينا ولم يفهم أحد من العرب ولا ممن بعدهم من أهل اللغة ما فهمه هذا النصراني في آخر الزمان

قال تعالى في سورة القصص ان رجلا اسمه قارون كان من قوم موسى وكان طاغيا بطرا بماله فبغى على قومه بني اسرائيل فأنذروه عاقبة البغي ونصحوا له بأن يبتغي بماله الدار الآخرة الى ما يتمتع به من الدنيا فلم يقبل وكل هذا يدل على أنه كان كافراً طاغياً جاحداً من قوم سبق لهم إيمان وكتاب . وقال في سورة المؤمن انه ارسل موسى الى فرعون وهامان وقارون فذهب بعض المفسرين الى ان قارون هذا كان مصريا وكان قائداً لجند فرعون وذهب بعض الى أنه قارون الاسرائيلي ولكنه ذكره مع فرعون ووزيره هامان لانه كان رئيساً باغياً مثلهما وهؤلاء الرؤساء الطغاة البغاة هم الذين يحولون بين الرسل والامم وإنما أرسل الله تعالى موسى لهداية بني اسرائيل كما علم من النص ومن الواقع . ولما كان بنو اسرائيل مستعبدين مقهورين لفرعون وكبار أعوانه كهامان وقارون ابتدأ موسى بدعوة هؤلاء بأمر الله تعالى حتى أراهم آياته وكانت العاقبة إخراج بني إسرائيل من مصر وإيتاءهم الشريعة

لا دليل بل لا شبهة على التناقض في قول من القولين — أي مانع يمنع أن يكون هنالك قارونان في زمن واحد او زمنين مختلفين فان قارون قوم موسى ذكر ولم يذكر في قصته أن موسى نصح له أو دعاه الى شيء بل جاء فيها ان قومه هم الذين نصحوا له « اذ قال له قومه لا تفرح » الى آخر الآيات فيجوز بل يقرب انه كان بعد موسى . ثم أي مانع يمنع ان يتخذ فرعون لنفسه رجلا اسرائيليا باغيا فسق عن تقاليد قومه وصار

اتبعني » وقال « ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل » وقال « ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون » فعلم من هذه الآيات وأمثالها ان المراد بالاسلام دين الانبياء من ابراهيم الى محمد عليهم السلام . ولقد كان الانبياء من قبل إبراهيم على دينه ولكن ابراهيم أقدم الانبياء الذين لم يمت ذكرهم ولم ينقطع التوحيد من ذريته . وهذا المعنى مطابق لمعنى الآية الاولى مطابقة تامة

وأما الآية الرابعة الآمرة بجهاد الكفار والمنافقين فليس فيها كلمة تومئ الى ان الجهاد لاجل الإكراه على الدين كيف والمنافقون كانوا متلبسين بالدين فى الظاهر وكان النبي يعاملهم معاملة المسلمين حتى ان المفسرين قالوا ان الجهاد لا يصح هنا الا اذا كان بمعنى المحاجة بالبرهان فان الجهاد في اللغة ليس بمعنى القتال وانما هو بذل الجهد في مقاومة شيء ولذلك أمرنا بجهاد أنفسنا اي بذل الجهد في مقاومة شهواتها . ويصح ان يكون الامر بجهاد الكافرين والمنافقين معا بمعنى مقاتلتهم اذا كانت الآية نزلت فى مثل غزوة الاحزاب التي اتحد فيها طوائف المشركين مع اليهود والمنافقين من الفريقين على استئصال المسلمين وفيها هدد الله المنافقين بقوله «لئن لم ينته المنافقون والذين فى قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لايجاورونك فيها الا قليلا»

نعم ان القتال شرع في الاسلام لمقاومة المعتدين وتأمين المؤمنين الذين كانوا يفتنون عن دينهم في أنفسهم وأهليهم ويدل على كونه مأذونا فيه للضرورة الآيات الواردة فيه . أول هذه الآيات نزولا آية السيف وهي قوله تعالى «أذن للذين يقاتلون (بفتح التاء) بأنهم ظلموا (بضم الظاء) وإن الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله . ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز . الذين ان مكناهم في الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور » ولا تنس قوله تعالى « وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لايحب المعتدين »

وأما الآية الخامسة وهي قوله تعالى «وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ويكون الدين لله » فهي مطابقة لهذه الآيات وللمعنى الذي قلناه فى حكمة الإذن بالقتال أي قاتلوا هؤلاء المعتدين عليكم لانكم مؤمنون والذين يفتنونكم عن دينكم ليردوكم الى دينهم ان

« ١٤ أجاب يسوع وقال لهم وان كنت أشهد لنفسي فشهادتي حق » ارأيت أيها القارئ المنصف لو كان يوجد فى القرآن أمثال هذا التناقض ماذا كان يقول ويكتب هؤلاء الجاحدون الذين يسمون الحكاية عن الامر بمعنى الامر تناقضا ويسمون اختلاف القضيتين فى الايجاب والسلب توافقا يدل على الالوهية ؟؟

(الشاهد السادس) زعم المعترض ان قوله تعالى « ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » وقوله عز وجل « لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغي » مناقضان لقوله تعالى « ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين » وقوله عز شأنه « يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين » وقوله تبارك اسمه « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين »

ونقول فى الجواب ان للمعترض بعض العذر أن لم يفهم هذه الآيات حتى توهم أنها متناقضة وان كانوا يقولون ان الذي كتبها أو صححها هو أعلم النصارى بالعربية (الشيخ ابراهيم اليازجي) فان هؤلاء ينظرون فى كتاب الله ليعترضوا لا ليفهموا ولو ابتغوا الفهم لفهموا على ان منهم من يفهم ويكابر نفسه ويماري الناس فيقول غير ما يعتقد

معنى الآيات ظاهر وان كان للمفسرين فى فهم بعضها وجوه ان فأما الآية الاولى فمعناها ان كل أمة من الامم المؤمنة بالوحي والانبياء لا تكون آمنة ناجية بمجرد انتمائها الى دين النبي الذي بعث فيها ولكن الناجين منها هم الذين يصح ايمانهم بالله وباليوم الآخر ويكون على وجه الحق ويعملون الصالحات . وهذا حكم لا يعارض كون الدين اختياريا لا إكراه فيه ولا الزام ولا يعارض الاذن بمحاربة المعتدين من الكافرين والمنافقين ولا البغاة من المؤمنين فان الله تعالى أمر بقتال الطائفة الباغية حتى تفيء الى أمر الله

وأما الآية الثانية فمعناها ان الدين يقوم بالدعوة والدعوة تؤيد بالحجة وبيان الرشد فى الايمان من الغي فى الكفر

وأما الآية الثالثة فمعناها أن الاسلام هو دين الانبياء الذي كان عليه ابراهيم وموسى وعيسى وغيرهم ولا يقبل الله تعالى ديناً غيره فى الآخرة ولم يكن يعني من الاسلام الذي دعي اليه الناس فى القرآن ما سيكون عليه الطوائف الذين يسمون أنفسهم مسلمين كيفما كانت عقائدهم وتقاليدهم حتى المجسمة والباطنية والنصيرية وانما معناه الدين الذي روحه إسلام الوجه (القلب) الى الله تعالى والاخلاص له في العبادة والطاعة كما قال « فقل أسلمت وجهي لله ومن

الشيء الطبيعي نافع لازم . أما كونه لازماً فقد يدلنا عليه كونه طبيعيا لانه من المجرب عند قراء سنن الوجود ان الشيء متى كان وجوده لازماً من اللوازم العامة كان طبيعيا وأما كونه نافعاً فلأنه الأساس الأعظم في حفظ الشخص وبقاء النوع . وستأتون على تفصيل هذا الاجمال مرات كثيرة . ومن المجرب المحقق ان محبة المرء ذاته تنمو فيه على التدريج منذ طفوليته الى ان تكمل رجوليته . ونفعها ينمو على هذا الوجه وأعظم آثارها شيئان طبيعيان متضادان تنشأ عنهما آثار متضادة أيضاً . هما شهوة تجذب ، وغضب يدفع .

(٣) ذات غيرنا كذاتنا . فلا بد من حد في الحقوق لنا ولغيرنا . فحب الذات له حدود — قلّ ان نجد قضية مستغنية فى ذاتها عن قيود وشروط فقولنا « محبة الذات نافعة » قضية لاتسلم من الجرح الا اذا ساعدناها بشرط وقيدناها بقيد . وهذا الشرط مشروح بكلمة « ذات غيرنا كذاتنا » وتوضيحه اننا اذا لم نضع لذاتنا حدا لايضع غيرنا لذاته حدا . فما نطلبه لذاتنا يطلبه غيرنا لذاته . ويظهر من هذا ان محبة الذات لاتكون نافعة الا اذا كانت تابعة لنظام وواقفة عند حد . وينتج ذلك ماترى:

(٤) اذا تجاوزنا الحدود فى حب الذات صار ضارّا . كيف لاوجميع مانسميها شروراً انما منشأها مجاوزة الحدود فى محبة الذات لأنه لامعنى للشر الا الاعتداء على الحقوق . وهل هذا الاعتداء شيء غير مجاوزة الحدود ؟ ولا فرق بين ان تكون أنت المعتدي على غيرك لأجل ذاتك . وان تكون يعتدي عليك غيرك لأجل ذاته فالأول شر لانك لاتسلم فيه من جزاء ما وقد يكون الجزاء طبيعياً كجزاء الشره . والثاني شرّ لانك فقدت حقك لأجل شره غيرك فيه .

الصنعة بديعة كاملة اتقنها حكيم عليم قد جعل لكل شيء سنة ، ناموساً ، طبيعة خاصة ، نظاما (قل ماشئت ان تقول وسم ماأردت ان تسمي ، لاتناقش باحثاً فى لفظ يؤدي الى معنى يؤديه لفظك أو قريباً منه) مزج ماتبتغيه النفس بما تنفر منه ، وعلمها السبل في الوصول الى المبتغى ، وجعل للسبل حدوداً عن يمين وشمال . فمن تعدّى الحدود ، فاته المقصود ، وربما وقع في المكروه ، ومن لم يتعدها فاز ونجا ، وتم له الرضى . « تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون » .

(٥) اذا لم نحب غيرنا لانقدر أن نقف عند الحدود . — اذا كان لكل داء دواء فلا علاج لداء الشرور الاّ محبة الناس محبة تابعة لنظام . وهذا العلاج لايتخلف نفعه

استطاعوا حتى تزول هـذه الفتنة والاعتداء لاجل الدين ويكون الدين خالصا لله لايكره عليـه أحد ولا يفتن عنه أحد أي لينتفي الاكراه بالالزام به والارجاع عنه وتكون الدعوة اليه أمينة لتظهر الحجة. هذا هو معنى الآيات لايقبل تأويلا وهي ملتئمة يؤيد بعضها بعضاً

(الشاهد الثامن) زعم المعترض ان قوله تعالى حكاية عن المسيح «والسلام عليّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا » مناقض لقوله « وما قتلوه وما صلبوه » ـ الى قوله « بل رفعه الله اليه » والجواب ان الله تعالى ذكر فى آية أخرى ان الرفع يكون بعد الموت وهي قوله « ياعيسى إني متوفيك ورافعك اليّ » فنفي القتل والصلب لايستلزم نفي الموت بل جرى عرف اللغة على ان لايعبر بالوفاة والموت عن القتل والصلب بل عمن يموت حتف أنفه . وبهذا وما قبله تبين ان شواهد المعترض على تعارض القرآن وتناقضه ظاهرة البطلان ويبعد ان يكون مثل ذلك المؤلف (الانكليزي) والمصحح (الشامي) والناقل (القبطي البروتستنتي) معتقدين بها وانما هم سيئوا القصد يحبون ان يشككوا عامة المسلمين في دينهم ليجذبوهم بحبال الاوهام الدنيوية الى ذلك الدين الذي يضم الشاكين والملحدين ، ويؤلف منهم عصبية لمقاومة المسلمين .

القسم العمومي

نظام الحب والبغض ـ تابع ويتبع

(١) الأنسان يحب ذاته ـ قضية يؤيدها الحس وبها تعلل كل اعماله وكل محباته ومن محبته لذاته تحمله الأتعاب العظيمة والآلام الشديدة فى العاجل لأمله ان تبقى ذاته وتنال خيراً فى الآجل . وهذا أعظم الأمثلة لمحبة الانسان ذاته .

(٢) حب الذات في أصله طبيعي ونافع ـ هذه المحبة تخلق مع الانسان من قبل ان يعرف نفسه وغيره ، ومن قبل ان يعرف النافع والضار ، والدليل على ذلك انه منـذ يبدأ ان يعرف النافع والضارّ من طريق الحس يبدأ ان يحب مرضعته قبـل سواها . وهل يقتـدر أحدان يعلل محبـة الطفل لمرضعته بشيء غير طبيعي ؟ وهل ذلك الشيء الطبيعي أمر غير محبة الأنسـان ذاته بحسب الجبلة؟ ولا ريب في ان هذا

ويأمرون بمنابذة اللذات المشروعة وإيثار الآلام ؟ فالجواب :

(٨) قد يكون هذا المرض نافعاً اذا سلمت به النفوس من الشرور — كما اذا كان امرؤ لايملك ان يتزوج ويريد ان يستعمل قوة باهه في غير ماخلق لأجله كوطء بهيمة أو دبر أو استمناء بيد أو تسلط على عرض فيه حق الغير — يؤمر في هذه الحالات ان يجوّع نفسه لتضعف قوة باهه فإن فسرت تجويع نفسه ببغض ذاته وسميت هذا البغض المتعمد لحكمة مرضاً قلنا ان هذا المرض لمثل هذه النفس نافع * وربما صحت الأجساد بالعلل * وان سميت هذا التجويع حمية أو علاجا فلا اشكال . وكما اذا كان يكنز النقود الكثيرة لايتاجر بها ولا ينفق منها على نفسه يؤمر ان ينفقها على غيره ولو افتقر لان حاله قبل الانفاق على غيره هي عين حال الفقراء فالفقر بعد الانفاق قد تسلم به نفسه من شر عظيم مؤلف من الجهل وبغض الغير وهو كنز تلك الحجارة التي لامعنى لها الا المبادلة وتسهيل معاملات الناس . وكما اذا كان كثير الاعتداء على النفوس يقتلها ويؤذيها يؤمر بالتوبة وتسليم النفس للقصاص . وهل من معنى لتسليم النفس للقصاص غير بغض الذات ؟ وليس يرتاب أحد بأن من كان كثير الاعتداء على النفوس اذا مرض ببغض الذات الى درجة يسلم بها نفسه للقصاص كان مرضه نافعاً له ولغيره . وأمثلة هذه كثيرة قيسوا على ماذكرت مايظهر لكم .

(تنبيه مهم) اذا قلنا : ان الله أحب الينا من أنفسنا : يجب علينا ان نفهم معنى هذا الكلام حتى نكون على بينة وصدق مما نقول والا كان كلاما يراد به تزكية النفس بمجرد إيراد حروفه . وسيأتي نحو من تفسير هذا الكلام أو تفسيره ولكن أحببت ههنا ان أبادر الى كلمة واحدة من تفسيره قد تغني الاذكياء . وماهذه المبادرة لا لان هذه الكلمة من علائق الصدد : ان معنى محبة الله اتباع الحدود ورعاية حقوق الغير وبذل وسع النفس في هذا الشأن وكل فروعه . وليس من بغض الذات تجريعها الصبر في هذه السبيل الحميدة البالغة بها أسنى المقامات وأسمى السعادات . بل هو من محبتها فاذا أحببت معاملك أكثر من محبتك لنفسك لا تكون أبغضت ذاتك بل أحببتها حباً جعلك تحب كل مايرقيها ويصلح شأنها حباً شديداً .

(٩) متى كان الحب والبغض ناشئين عن فكر سليم كانت السعادة . — هذه المسألة

أي انه متى استعمل ينفع . فنحن نستطيع ان نقول ان هذا العلاج يستأصل الداء لمن استعمله ولكن لا نستطيع ان نقول إنه يعم استعماله وتستأصل الشرور كلها . وليس هذا مستحيلا عقلا ولكن التجربة تجعلنا لا نطمع فيه على اننا اذا لم نرج ان تستأصل الشرور نرجو ان تخف ونجتهد في ان نعلم الناس محبة الناس . كذلك كان الناس من قبل فهدى العلم بعضاً ببعض ، كما أضل الجهل بعضاً ببعض ، ولا يزال العلم يجاهد الجهل الى ان ينصره الملك القدوس السلام ، على أيدي رجاله الاعلام.

«٦» اذا لم نحب ذاتنا لا نقدر ان نحب غيرنا — من لطف العناية الأزلية ان كان استعمال هـذا العلاج سهلا اذ ثبت في الفطرة ان من لوازم محبة الذات محبة الغير . فلا جناح علينا أن كان حب غيرنا لأجل ذاتنا لأن هذا هو العلاج في محبة الغير وهذا الثاني هو العـلاج في تخفيف داء الشرور . ولكن الجناح علينا اذا لم نتبع نظاما في محبة الذات ومحبة الغير . وهنالك الشر .

«٧» بغض الذات مرض . — يظهر مما تقدم ان لمحبة الذات نفعين أحدهما يرجع الى الذات والآخر يرجع الى الغير . وينتج ان لبغض الذات ضررين أحدهما للذات والآخر للغير . واذا ثبت هـذا فلا شـك في ان بغض الذات مرض مشوه للفطرة السليمة . وشائن لصاحبه يؤديه الى نوع رديء من أنواع الرذائل وإثم كبير من الآثام التي يناقش عليها المجتمع .

مبغض ذاته بالطبع يبغض غيره ، وتكثر حيرته ، يعترض على الصانع الحكيم في صنعته ، وعلى الانسان العليم في علمه . عاطل معطل ، طائش معليش ، غر مغرر ، مخبول مخبل ، ناقم على الأحياء ، متأفف من الحياة ، جان على الاجتماع ، قليل الرغبة ، قليل الرهبة ، قليل الحياء ، قليل المروءة ، قليل الغيرة . عديم الهمة . عديم النشاط ، عديم الفلاح ، عديم السعادة . . وان شئت ان تعرف مبغضي ذواتهم فأولئك هم مخالفو الفطرة التي فطرت عليها النفوس ، وأذعنت لحكمتها العقول . أقول هذا ولا أزيدكم شرحا لتقدحوا زند ذكائكم ، وتعلموا من أشرنا اليهم بصفاتهم متى رأيتموها في انسان وزيدوا عليهم طوائف المستعبدين

هـذا وقد نسأل ويقال لنا: لماذا نرى بعض الحكماء قد يوصون ببغض الذات،

ومضار هذه الديدان متفاوتة فمنها ماضرره عظيم ومنها ماضرره حقير ومن هذه الانواع مايسمى بالديدان الشريطية . أذكر منها الدودة الوحيدة بتفصيل يسير لأن لها صلة بموضوعنا وأشير الى غيرها فيما بعد . تسمى هذه الدودة (تينيا سوليم) وهي كلمة يونانية ومعناها الشريط الوحيد سماها الواضع بهذا الاسم لظنه انه لايوجد منها فى الامعاء الا واحدة فقط وهذا خطأ فقد يوجد منها أحيانا اثنان أو ثلاثة وطولها يختلف من ٧ أقدام الى عشرة وهى مقسمة الى عدة أقسام تبلغ ٨٥٠ وفي الاقسام الخلفية توجد أعضاء التناسل فتجد ان كل قسم منها فيه أعضاء الذكر والانثى فاذا تمت هذه الاعضاء وظيفتها وتكونت البويضات فى داخل الرحم انمحت الاعضاء الا الرحم فتبقى البويضات محفوظة فيه فاذا سقطت هذه الاقسام المشتملة على البويضات من دبر الانسان وقت التخلي كما يحصل كثيراً ان كان مصابا بها ووصلت هذه البويضات الى معدة الخنزير أثناء تقممه القاذورات وأكلها ذاب قشرها بواسطة العصير المعدي وخرجت الاجنة فتثقب الغشاء المخاطي للمعدة وتصل الى أوعية الدم الذي يحملها الى العضلات وغيرها وهناك تنتقل الى طور جديد تصل به الى تمام نموها وهذا الطور هو أن تكون هذه الاجنة حويصلات صغيرة واحدها قدر حجم الحمصة فى داخل اللحم وبعد ذلك يبرز فى داخل هذه الحويصلات هنات مخروطية الشكل كل هنة منها رأس لدودة جديدة فاذا أكل انسان هذا اللحم خرجت هذه الرءوس من حويصلاتها وعلقت بالغشاء المخاطي للامعاء وكونت كل واحدة دودة طويلة تامة النمو وتسبب من وجودها فى الامعاء أعراض كثيرة فيحصل للمصاب بها مغص أو اسهال أو قيء وربما صار نفسه كريه الرائحة ويصاب بالإقهاء (فقد شهوة الطعام) أو النهم الشديد وقد يصاب بآلام فى رأسه أو دوار أو إغماء ويشعر بضعف عام في جسمه وتضطرب أفكاره وأحيانا تنتابه نوبات صرعية وتشنجات عصبية قوية. وليس هذا كل الضرر الذي ينشأ عن هذه الدودة بل هناك خطر آخر عظيم وذلك أن بعض الاقسام قد يتلف وهو فى الامعاء فيخرج البويضات مع البراز فاذا أصابت ملابسه أو يده أو غير ذلك ووصلت الى معدته أثناء أكله أذاب العصير المعدي قشورها وخرجت الاجنة وتطورت بذلك الطور الذي ذكرناه فى الخنزير فتتكون الحويصلات المذكورة سابقاً فى أعضائه. وكثيراً ماتصيب عينه فتتلفها

كنتيجة لما تقدم وكفاتحة لما يأتي لان كل علوم الناس وأعمالهم وأقوالهم مقصود بها تحصيل السعادة التي هي فائدة هذه الحياة عند القائلين بوجود السعادة . وعلم النفس في انفرادها واجتماعها هو العلم الوحيد الذي يهدي الحائر في هذه المهامه . وعندنا ان السعادة موجودة ممكن تحصيلها ومن السعادة اعتقاد وجودها وهذا المبحث المهم يحتاج فضل بيان أما ههنا فاكتفي بتقرير هذه القاعدة لتحفظ في الذهن وتتوجه النفس الى شرحها وهي : « متى كان الحب والبغض ناشئين عن فكر سليم كانت السعادة » لان سعادة النفس فى أحوال ثلاث ـ تصورها وطلبها وفوزها ـ فمتى كان التصور صافيا سليما قوياً التذت النفس وانبعثت للطلب ومتى كان الطلب مشروعا نظامياً التذت النفس وأشرفت على الفوز فان فازت فذاك هو وان لم تفز فسعادتها انها لم تقصر فى الطلب على ان الطلب فى نفسه لذيذ وفى الاكثر يفيد فائدة ما مما تبتغيه النفس اذا جدّت وثبتت .

وقل من جدّ فى أمر يحاوله ولازم الصبر الاّ فاز بالظفر

هذا ـ والفكر السليم هو الذي يميز بين الخير والشر والنفع والضر . . (ع . ز)

﴿ تحريم الخنزير ونجاسة الكلب ﴾

حضرة الاستاذ الفاضل صاحب مجلة المنار الاغر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته (وبعد) فاني أتيت بهذه المقالة راجيا نشرها فى مجلتكم الغراء حتى تتبين للناس الحكمة في اعتبار الشريعة الاسلامية أن الكلب نجس وفى تحريمها لحم الخنزير معتمدا فيما أقول على المباحث العلمية الطبية الحديثة التي أثبتتها التجارب الحسية حتى لايبقى عند أحد ريب فى صحة ماأتت به هذه الشريعة الغراء والعمل بموجبه فانها أحكم من أن تضع حكما عبثا وأجل من أن تسن قانونا لافائدة للناس فيه ومهما خفي سببه في بادئ الامر فلابد أن تجلى فائدته عاجلا أوآجلا فأقول :

لتحريم لحم الخنزير أسباب كثيرة أجلها ثلاثة قبل ان أتكلم على هذا السبب الاول يجب أن أقدم مقدمة في علم الديدان حتى لا يعسر على أحد فهم ماأقول .

(الأول ومقدمته) قديوجد فى أمعاء الانسان عدة أنواع من الديدان قل ان يخلو منها أحد

في الامعاء فربما لا ينشأ عنه شيء مضر به وإذا حصل بعض الاعراض التي ذكرت كالقيء والاسهال والصداع فازالة الدودة بكثير من الادوية سهل جدا ولكن ازالتها وهي في طور الحويصلات من المخ وغيره عسير بل مستحيل. وياليت هذا هو ضرر الخنزير الوحيد بل هناك مضار أخرى فاسمع الغرائب الآتية

(الثاني) كثيراً ما يأكل الخنزير الفيران الميته التي كثيرا ماتكون عضلاتها محلا لأجنة دودة تسمى (تريكينا اسبايرالس) أي الشعرة الحلزونية لانها دقيقة جدا وملتوية على شكل حلزوني فاذا وصل هذا اللحم الى معدة الخنزير هضم وخرجت الاجنة من غلفها فتكبر وبعد ذلك تتزاوج ذكورها وإناثها فتلد ديدانا صغيرة كثيرة وهذه تثقب أغشية الامعاء المخاطية وتصل الى عضلات الخنزير فاذا أكلها انسان ولم يكن قد عرضها بالطبخ لحرارة كافية لإماتتها نمت في أمعائه الى ان تلد أجنة كثيرة تنفذ الى عضلات الانسان وخصوصا عضلات التنفس وكذلك القلب وحينئذ يصاب بمرض شديد فترتفع حرارته ويعتريه اسهال وقيء وتلتهب جميع عضلاته فلا يقدر على تحريكها ويصير لمسها مؤلما فلا يمكنه ان يمضغ أكله فيمتنع عنه ويصعب عليه أن يتنفس لالتهاب عضلاته ولا يقوى على تحريك عينيه وبعد ذلك يحصل له ارتشاح في جميع جسمه فيرم وتسرع حركات نبضه وحركات تنفسه بطيئة جدا حتى يموت. وهذه الاعراض لا يمكن علاجها مطلقا إذ لا يمكن إزالة هذه الديدان من عضلاته بعد تحصنها فيها. وهذا المرض كثيرا مايحصل في البلاد الاوروبية بسبب أكل هذا اللحم المشئوم ولا يتسبب عن أكل لحم سواه كان ضأن وغيره لانها لا تأكل الفيران الميتة الا اذا ألقي في غذائها أو وقع فيه بالاتفاق وأكلته بالتبع له فحينئذ تصاب بما يصاب به الخنزير ولكن هذا نادر جدا والنادر لا حكم له بخلاف الخنزير فان حبه للفيران الميتة يوقعه في ذلك مراراً عديدة ولعل هذا السبب أيضا هو أحد الحكم في تحريم لحوم الحيوانات التي تأكل اللحم لأنها عرضة للاصابة بهذا المرض كثيراً

(الثالث) لحم الخنزير هو أعسر اللحوم هضما باتفاق وذلك لان أليافه العضلية مخاطة بخلايا شحمية عديدة أكثر من الحيوانات الأخرى المباح أكلها وهذه الأنسجة الدهنية تحول دون العصير المعدي فلا تسهل عليه هضم المواد الزلالية للعضلات فتتعب المعدة ويعسر الهضم ويحس الانسان بثقل في بطنه ويضطرب القلب فان ذرع الآكل القيء والا تهيجت الأمعاء وانطلق البطن بالإسهال فمن لم يتعود أكله تعب منه

أو بعض أجزاء مخه فتفسدها وتبطل عملها فيحصل له شلل فى بعض أعضائه أو غير ذلك مما يتسبب عن اصابات جوهر المخ وقد تصيب أعضاء أخرى فتعمل فيها ماعملته في العين والخويصير الانسان منبعا لعدوى غيره فاذا صافح آخر وانتقلت اليه البويضة تعمل فيه ما عملته فى الاول . وكثيرا ما تخلى أهل الارياف وغيرهم في المزارع أو في مياه الشرب فتنقل بسبب ذلك الحويصلات الى أناس كثيرين ولولا الخنزير لما أصاب الانسان شيء من ذلك فانها لاتوجد في حيوان يؤكل سوى الخنزير وقد توجد فى الكلب أيضا والقرد

واعلم أنه لا توجد دودة تتم طور الحويصلات في الانسان سوى هذه وأخرى نذكرها فيما بعد وحويصلات هذه الدودة تقاوم الحرارة في درجة ٩٠ سنتجراد نحو نصف ساعة على الاقل اذ كانت توجد فى داخل لحم الخنزير وهو موصل رديء للحرارة فاذا غلي الماء الذي حوله أثناء الطبخ حتى صارت درجته ١٠٠ فلا تصير درجة مافي داخل اللحم ٦٠ أو ٧٠ الا بعد زمن ثم ترتفع شيئاً فشيئاً حتى تصير ١٠٠ ولهذا تجد أن كثيراً من الاوروبيين مصابون بها وذلك لصعوبة قتلها بالحرارة وكلما ازداد الانضاج للثقة بقتلها عسر هضم اللحم لتجمد المواد الزلالية

هذا ولما كان اختيار أخف الضررين هو الواجب عند الاحتياج الى ارتكاب أحدهما ولا يخلو لحم من مضار وجب ان نختار ماهو أخف أذى . قلت ذلك لان الحيوانات الاخرى المأكولة كالضأن أو غيره لاتخلو من ديدان أخرى شريطية كالسابقة من ذلك دودة (تينيا ساجنيتا) التي توجد حويصلاتها في البهائم التي تؤكل ولكن هناك فرقا بين هذه وتلك لأن الحويصلات في هذه اذا وصلت الى معدة الانسان وتكونت منها الدودة التامة وفيها البويضات فلا يمكن اذا ازدرد الانسان البويضات ثانيا ان تكوّن طور الحويصلات فيه مطلقا . لأنه لا يفعل ذلك الا دودة الخنزير وبذلك يكون الانسان مطمئنا على عينه وعلى مخه وغير ذلك من الاعضاء الرئيسة ولا يكون منبعا لعدوى غيره وذلك لأن هذه البويضات يلزم لها حيوان آخر غير الانسان حتى تتم طور الحويصلات فيه وبعد ذلك تنتقل منه الى الانسان فتكوّن فى امعائه الدودة التامة البالغة النمو وفى الحقيقة ان أعظم الاخطار هو تكوّن الحويصلات في أعضاء الانسان الرئيسة وأما

صحة الجسم ونظافته فأنعم به من دين جمع فأوعى وأحكم به من صراط سويّ مستقيم

بقي علينا أن نتكلم في نجاسة الكلب : لانقول ان السبب فى ذلك هو انه عرضة للاصابة بداء الكلب فان هذا الداء لايصاب به الكلب وحده بل قد تصاب به الهرّة والبقرة والحصان وغيرها ومتى أصيب الكلب به عرفه الناس وقتلوه فانه متى أصيب به شلّ سريعاً عن الحركة وسهل قتله ومجرد لمسه فى هــذه الحالة لايعدي بل لابد من العض ودخول لعابه فى جلد الانسان فلماذا يعتــبر الكلب نجسا في جميع أحواله ولاتعتبر البقرة والحصان كذلك ؟ السبب فى ذلك ما يأتي : في أمعاء أكثر الكلاب دودة شريطية صغيرة جـدا طولها ٤ مليمترات تسمى (تينيا ايكينوكوكس) فاذا راث الكلب خرجت البويضات بكثرة في الروث فيلصق كثير منها بالشعر الذي بالقرب من دبره فاذا أراد الكلب أن ينظف نفســه بلسانه كما هي عادته تلوث لسانه وفمه بها وانتشرت فى بقية شعره بواسطة لسانه أو غيره وهذا مايحصل فى كل نوبة وبتكراره يصير جميع سطح جسمه ملوثا بهذه البويضات كما شوهد ذلك بالنظارات المكبرة

فاذا ولغ الكلب فى إناء أو شرب ماء أو قبله انسان كما يفعل الافرنج أو لمس جسده بيده أو بلباسه علقت بعض هذه البويضات بتلك الأشياء وسهل وصولها الى فمه أثناء أكله أو شربه فتصل الى معدته وتخرج منها الاجنة فتثقب جدر المعدة وتصل الى أوعية الدم فتصل الى أعضاء الجسم الرئيسة وغيرها وهناك تتم طور الحويصلات ولكن هــذه الحويصلات كبيرة فتسمى هنا أكياسا وهي تصيب الكبد كثيرا وأحيانا تصيب الاعضاء الاخرى كالمخ والقلب والرئة ووجود هذه الأكياس يحدث اعراضاً عديدة فما يصيب منها الكبد قد يولد استسقاء زقيا بضغطها على الوريد الباب أو يرقانا وقد يتقيح السائل الذي في قلب الكيس ويولد خراجا فى الكبد وربمــا انفتح هذا الخراج في تجويف البريتون فينشأ عنه إلتهاب بريتوني حاد فيموت الشخص بسببه واذا انفتح فى تجويف البلوري تسبب عنه التهاب مع انسكاب الى غير ذلك من المضار واذا حصل هذا الكيس في المخ نشأ عنه صداع شديد وقيء متوال وفقد شعور واحساس وتشنجات وشلل بعض الاعضاء على حسب موضعه من المخ واذا أصاب القلب ربما كان سببا في تمزقه فيموت الشخص في الحال

كل ماقلناه ليس تخيلات شعرية ولا تصورات وهمية بل هي أشياء شاهدها أطباء اوربا في بلادهم وعلموا سببها بالحس والمشاهــدة ونصحوا للناس بالابتعاد عن

كثيراً ومن تعوده وكان قويّ المعدة كان الاولى له صرف قوتها فى الاغذية الجيدة النافعة وان لم يكن قوي المعدة ناله منّ شر هذا اللحم مايستحق

والخلاصة ان من ابتعد عن أكله أمن من الاصابة بالدودة الوحيدة أو حويصلاتها ولم يكون سببا فى عدوى غيره وسلم من الاصابة بمرض دودة الشعرة الحلزونية الذي ربما فاق الحمى التيفودية فانه من أصابه لايرجى شفاؤه ولابد من موته وخفظ مدته من التعب وعسر الهضم وأسباب القيء والاسهال وضعف تغذية الجسم الى غير ذلك من المضار التي سبق شرحها . أما اللحوم الاخرى فانها أسهل هضما ولا يتسبب عنه عادة مرض الشعرة الحلزونية ولا حويصلات فى أعضائه الرئيسة يتلفها وان نشأ عنه دودة شريطية فعلاجها سهل ولاتحدث أعراضا مهمة. فعلى قاعدة ارتكاب أخف الضررين يجب ان نقول: لاتأكلوا لحم الخنزير فانه رجس وكلوا غيره مما أبيح شرعا:

الدين الاسلامي لم يأت لاصلاح الروح فقط بل لاصلاح الروح والجسم معا فأتى بما ينفعنا فى دنيانا وآخرتنا وانفسنا وأبداننا ولم يترك ضارا لاحدهما الا ونبه عليه تصريحا أو إجمالا على حسب شيوعه وعدمه بين الناس فلو ترك التكلم في المأكولات ونحوها لما كان مرشداً للانام في جميع أحوالهم الضرورية فلو لم يحرم لحم الخنزير مثلا لمضى زمن طويل حتى يهتدي الناس الى ضرره ولو اهتدى اليه بعض الامم لما اهتدت اليه الامم الاخرى كالسودان والحبشة مثلا ولو علم ضرره بعض الامم لما علمه فيها الا الخاصة فقط ويمضي الزمن الطويل حتى تعلمه العامة ولو علمته العامة لما قويت على ترك مااعتادته وعهدت اللذة فيه بخلاف الامر الديني فان كل الامم المؤمنة به تخضع له فى أقرب وقت تخضع له العامة كما تحترمه الخاصة ويعمل في نفوس الجميع مالا يعمله قول الخطباء ولا نصح النصحاء ولذلك تجد أن شرب الخمر في أوروبا شائع بين سائر الطبقات وكل يعلم ضرره ومع ذلك لايمتنعون عنه لابقول خطيب ولا بقول عالم فكم خطبت الخطباء ونصحت العلماء ولكن أين من يسمع. فلو لم يكن للدين التأثير الاقوى فى أهل الشرق لفاقوا أهل الغرب فى الشرب وسبقوهم فى تربية الخنزير وأكله ولولا أنهم أخذوا يقلدونهم الآن لما وجدت بينهم شارب خمر ولا آكل خنزير الا نادرا ولما سمعت بمرض مما ينشأ عنهما فيهم. فأي انسان يمكنه الآن ان يعترض على الدين ويقول «ماله يتكلم فى المأكول والمشروب» وفاته انه لم يأت الا للاصلاح العام فى كل مايمكن اصلاحه فلم يتكلم في العقائد فقط بل فى المعاملات أيضا وكما أمر باصلاح القلب وطهارته أمر بحفظ

بك القصفري محرر جريدة ترجمان في بلدة (باغجه سراي) الروسية . فنثني على المؤلف ونهنئ رصيفنا الكامل إسماعيل بك بلسان المنار (كما هنئناه بلسان البرق) على خدمته للمسلمين بجريدته ومطبوعاته وبما وفق له من إنشاء المدارس حتى كان ركن النهضة الاسلامية، في بلاد القريم بل في البلاد الروسية، ونسأل الله تعالى ان يكثر في المسلمين من أمثاله

﴿ القصائد الهاشميات ﴾

الكميت بن يزيد الاسدي الكوفي أحد الشعراء والادباء الاولين ولد سنة ٦٠ ومات سنة ست وعشرين ومئة وأحسن شعره القصائد الهاشميات التي سارت بها الركبان وقد عني في هذه الايام الشيخ محمد شاكر الخياط النابلسي أحد مجاوري الازهر المجدين بطبعها بعد ماصححها على أمام أهل الادب في هذا العصر الشيخ محمد محمود الشنقيطي ٠ ومن سوء الحظ ان عاثت المطبعة في ذلك التصحيح فأفسدت فيه ماشاءت ولكنه عاد فأصلح بعض غلط الطبع بالقلم فجزاه الله خير الجزاء٠ أما الذي طبعه على نفقته فهو الشيخ محمد توفيق الخياط النابلسي أحد المجاورين المجتهدين فنشكر للطابع وللمصحح عنايتهما بهذا الاثر النافع وبإليهما مايعيد ان طبعه مصححاً ونحث طلاب آداب العربية على حفظ هذه القصائد أو كثرة قراءتها

﴿ هناك وهنا ﴾

كان أحمد حافظ افندي عوض كتب في جريدة المؤيد بضع مقالات عنوانها (هناك وهنا) شرح فيها «تاريخ استيلاء انكلترا على الهند وسياستها فيها وعلاقة مسلمي الهند ونهضتهم الاخيرة بالطوائف الاخرى » ومن ذلك الكلام في المجاعات وفي التجارة وفي النفقات الحربية والتعليم ٠ وقد طبعت هذه المقالات على حدتها بمطبعة الشعب فبلغت ٧٦ صفحة من القطع الصغير وهي جديرة بالمطالعة

﴿ القول السديد ٠ في حرب الدولة العلية مع اليونان ﴾

كتاب جديد ألفه على بك شاكر نجل المرحوم محمد شاكر باشا الفريق الطوبجي صفحاته زهاء مئتين وهو مزين برسوم القواد والمواقع الحربية ولم نوفق لمطالعة شيء منه ولكننا نظن ان الروح التي تجول فيه هي تعظيم شأن الدولة العلية وتوجيه القلوب الى حبها لأننا نرى المؤلف مغرما بدولته لاهجاً دائماً بمحاسنها ومدح مولانا السلطان

الكلب ولكن أين من يسمع ولا أمر دينيا يعتقد عندهم فيهاهم؟ .هذا ولما كان تمييز الكلب المصاب بهذه الدودة من غيره عسير جدا لانه يحتاج الى زمن وبحث دقيق بالمنظار المكبر الذي لا يعرف استعماله إلا قليل من الناس كان اعتبار الشارع إياه نجسا هو عين الحكمة والصواب فتبتعد الناس عنه وتأمن من شره فالحمد لله الذي جعل ديننا هاديا لنا في جميع أمورنا وأيده ويؤيده كل يوم بالبراهين الحسية حتى يتضح للناس ان الدين عند الله الاسلام ويظهر تأويل قوله تعالى (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق أولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد) م . ت . ص

أحد طلبة الطب بمصر

آثار علمية ادبية

باب التقريظ

ميزان الافكار

كتاب في مهمات القوانين المنطقية وضعه أحمد افندي الهادي المقصودي أحد علماء قزان (روسيا) بأسلوب جديد في اللغة العربية، وترتيب وتبويب لم يعهدا في كتبها المنطقية، وادخل فيه فوائد ومسائل ليست من هذا الفن ولكنها تتصل بنسبه، وتدلي بسببه، وترغب فيه الباحثين، وتزيد نشاط المشتغلين، فقد أصبح المنطق في العلوم العربية، شبيها بالاعضاء الأثرية، تقرأ مسائله، وتهمل في العمل تعاريفه ودلائله، لان العلوم العقلية التي وضع لها، قد انطوى بساطها وتقاص ظلها، بدأ المؤلف كتابه بتمهيد عنوانه (علم الروح وعلم المنطق) وبين بعده فائدة المنطق وكونه فطريا في الانسان ووجه الحاجة الى تعميمه وذكر أشهر علمائه القدماء من اليونان والعرب والمتأخرين من الافرنج، ثم تكلم في مقدمة الكتاب عن الوجود والعدم والواجب والممتنع والممكن والجوهر والعرض ومقولات الاعراض والعناصر والمواليد والحواس الظاهرة والباطنة والعلم وتحصيله بالتفكر والاستدلال ثم انتقل الى الدلالات ومباحث الالفاظ ثم الى سائر المباحث وجاء فيها بضروب من التقسيم والبحث غير معهودة الا في كتب الافرنج فالكتاب جامع بين المنطق القديم والمنطق الحديث

وقد طبع المؤلف كتابه وجعله ذكرى لمرور عشرين سنة على خدمة اسماعيل

(مسامرات الشعب) صدرت القصة السابعة عشرة واسمها (اليتيم) ومؤلفها حافظ افندي عوض وقد كان طبعها الطبعة الاولى من نحو خمس سنين وقرأناها فحمدنا التأثير ، وانتقدنا التقصير في التحرير ، وصدرت القصة الثامنة عشرة واسمها (شهداء الآباء) ومؤلفها مصطفى افندي ابراهيم وهي تمثل سوء عاقبة ماعليه أولاد الاغنياء في مصر من فساد الاخلاق واتباع الشهوات . وفاتنا ان نذكر من قبل قصة (الفتاة اليابانية) وهي قصة موضوعها مفيد قرأناه بارتياح ووددنا لو يطالعها تلامذة المدارس المصرية على ان يميزوا بين التعليم الحي وتعليم المحاكاة التقليدية ومؤلفها حسن افندي رياض وهي القصة السادسة عشرة من المسامرات

باب الأخبار والآراء

﴿ الجمعية الخيرية الاسلامية ـ الاحتفال بمدرستها في القاهرة ﴾

احتلفت الجمعية الخيرية الاسلامية في يوم الاربعاء الاسبق بمدرستها في القاهرة احتفالا رأسه مفتي الديار المصرية وحضره كبار العلماء والوجهاء وفي مقدمتهم شيخ الازهر ومدير الاوقاف . وقد كان الاحتفال على نحو الاحتفالات السابقة حسنا ونظاما وموضع إعجاب بما امتاز به تلامذة الجمعية على سائر المتعلمين من أمثالهم وهو أنهم لايحفظون شيئا بدون فهم ولذلك كان رئيس الجمعية والاحتفال يناقش التلامذة في كل مايسألون عنه فيحسنون الجواب . ولما أراد الرئيس توزيع الجائزة التي باسم المرحوم علي باشا مبارك ذكر من خدمته للمعارف ثلاثة أمور عظيمة أحدها تعميم المدارس في المديريات وثانيها ابطال الضرب من المدارس وكان الضرب فيها مفروضاً رسميا فالتأديب فيها كان « بالكرباج » كتأديب المذنبين والمجرمين في شريعة محمد علي باشا وقوانينه . وقد قال الاستاذ الرئيس في هذا المقام كلمة جليلة وهي :

ان علي باشا مبارك أبطل بمنع ضرب التلامذة التربية بالإهانة والقسوة وجعل التعليم مقرونا بكرامة النفس وهي قوام التربية فان المعاقبة على الذنب بالاهانة والقسوة لاتؤدب النفس لأنها تخفي الاخلاق الذميمة ولكنها لاتمحوها بل تزيدها وتقويها فتكون

عبد الحميد أيد الله دولته ووفقه لخدمة الاسـلام . وثمن الكتاب ٣٠ قرشا صحيحاً الا للجنود فثمنه لهم ٢٠ قرشاً وهو يطلب من مطبعة الموسوعات بمصر

هذا ما كنا كتبناه لجزء مضى ولم يتيسر نشره الا في هذا الجزء ثم رأينا فى بعض الجرائد ان المؤلف جعل الثمن ٢٠ قرشا لجميـع الناس ووعد بجمله إعانة لسكة الحديد الحجازية فصار يطلب لذاته والإعانة معا وكفى بذلك ترغيباً

(الف ليلة وليلة) أتمت مطبعة الهلال الجزء الثالث من هذا الكتاب مزينـا كسابقيه بالصور والرسوم ، منزها عن الفحش والمجون ، وصفحاته ٢١٦ وثمنه ١٠ قروش وأجرة البريد قرشان وهو يطلب من مكتبة الهلال بمصر

(كتاب الخدمة المدرسية . فى تسهيل قواعد العربية) ألف هذا الكتاب جرجس افندي الخوري المقدسي (ب . ع) مدرس اللغة العربية في المدرسة الاميركية بطرابلس الشـام وطبع هناك وقد سلك فيه مسلك السهولة واكثر فيـه من الامثلة فعسى ان يلتفت اليه نظار المدارس ويختاروه للتعليم في مدارسهم اذا رأوه امثل من الكتب التي فيها وأسهل

(ارتياح الفكرة . من جهة الكلره) كتيب وضعه احمد افندي رفعت فى الفيوم أيام وباء الهيضة من العام الماضي وطبعه بعد ذلك . وعبارة الكتاب أقرب الى العامية واننا لم نقرأه ولكننا نذكر المسائل التي يبحث فيها بعبارته لعل أحداً يريد ان يعرف رأيه فيها وليعذرنا القراء فى حكمنا على عبارته قال : قد جئت بالبحث والايضاح عن السبعة أوجه التي يهم كل إنسان الوقوف على حقيقتها وهي

« أولا ــ هل يوجد كلرا حقيقة كما يقولون البعض بالاثبات والبعض بالنفي . ثانيا ــ هل ينفع فيها العلاج واستشارة الأطباء لتدارك الشفاء املا . ثالثا ــ هل الاحتياطات الصحية فى ذلك مما يجب مراعاته والأخذ به ام طرحه ظهريا . رابعاً ــ هل مسألة الاصابة بالعدوى صحيح أم غير صحيح . خامساً ــ هل سير رجال الصحة فى عمل الاحتياطات موافق للشرع الشريف أو مخالف له . سادسا ــ هل مايشاع من وجود من يقصدون تعمد وضع أشياء مسمة للناس فى الاطعمة والمياه حق أم باطل لاأصل له . سابعا ــ هل أصدق بقولي ان الكلرا الثانية الآتي بيانها هي أشد وطأً وأعبأ ثقلا على الناس أم لا » اه بحروفه وصفحات الكتيب ٧٢ ويطلب من أكثر المكتبات الشهيرة

عليّ رأيتك ايها الشهم الكريم وقفت مئة فدان على مدرسة محمد علي الصناعية . فعملك هذا جدد فيّ الآمال وحببني في الامة المصرية باجمعها لوجود مثلك وجعلني اعتقد بأن اغنياء الامة سيقتدون بك في هذا العمل الجليل الذي قمت به لتعلمهم مايجب على الاغنياء نحو وطنهم وكتبت لسعادتك من آيات الشكر ماتستحقه من الله والامة . ثم جاءني كتاب من سعادتك ينبئني بانك أيها البار بوطنك وقفت ثلاثمئة فدان على جمعية العروة الوثقى فالحق يقال ان حبك لبلادك وكرم نفسك وسخاء يدك ادهشني اعجاباً بهمتك العالية وحسن عاطفتك للخير نحو أمتك لانني لم أر مصرياً جاد بما جدت به وستشكرك الاجيال المستقبلة على فضلك هذا كما شكرتك الامة باسرها . وأهلا بزيارتك التي وعدت بها في خطابك . نسأل الله ان يمد في أجلك لاحياء بلادك ولتكون قدوة حسنة لغيرك والسلام عليك أيها المفضال (رياض)

في ٣ ربيع آخر سنة ١٣٢١

فحق علينا ان نعترف الآن بأن أحمد باشا المنشاوي هو أول غني يفتخر المصريون بكرمه الحميد وإحسانه النافع بل هو مفخر لجميع المسلمين الذين صار أغنياؤهم في هذه القرون يبخلون بالدرهم في طريق المعارف وما دون المعارف من الخير ويبذلون القناطير المقنطرة في الاسراف والمخيلة والتمتع بالشهوات التي تفسد الاخلاق والآداب وتضعف الامة بذهاب ثروتها والإدلاء بها الى الاجانب . وانا لننتظر من محسننا العظيم نفحة من هذه النفحات لاخت جمعية العروة الوثقى وشقيقتها الكبرى وهي الجمعية الخيرية الاسلامية ولعله يخبأ لها إنشاء المدرسة الكلية التي لاتحقق أمنيتها الا بكرمه وجوده

ومما لهجت به الجرائد في هذه الايام ان محسننا العظيم تبرع بألفي ليرة عثمانية إعانة لسكة الحديد الحجازية وبخمس مئة ليرة أخرى باسم قرينته فجزاه الله أفضل الجزاء بمنه وكرمه

﴿ جمعية الفضائل الاسلامية ﴾

ألف نفر من ذوي الغيرة الملية في الفيوم جمعية سموها بهذا الاسم وفرضوا على كل داخل فيها خمسة قروش في الشهر على ان يشتروا بما يجتمع في كل شهر نسخا من المنار وبعض مؤلفات الاستاذ الامام ويوزعوها على الناس . وهؤلاء النفر الكرام محمد رمزي وابراهيم أبو عيشة وأحمد نصار وحسين ناصر وعبد الجواد حسن وابراهيم الصعيدي فحياهم الله ونماهم

كامنة حتى اذا تسنى لها الظهور تظهر في أقبح الصور . وأما الذي يمحو الاخلاق الذميمة فهو الاقناع بقبحها وضررها وحسن المعاملة وتكريم النفس حتى تتكرم عن الشوائن وتأنف من كل ماينافي الشرف

وأما الامر الثالث فهو إنشاء مدرسة دار العلوم التي تسمى الآن « مدرسة المعلمين الناصرية » (قال) إن تلامذة هـذه المدرسة يؤخذون من طلاب العلم فى الأزهر فيضمون الى العلوم الازهرية جملة صالحة من العلوم الكونية التي تقرأ فى المدارس . وقد تخرج فى هذه المدرسة كثيرون خدموا المعارف في مصر خدمة نافعة فنهم معلمو العربيـة فى جميع مدارس الحكومة وبعض المدارس الأخرى ومنهم المشتغلون في المعارف بالتفتيش فى المدارس والكتاتيب وهم محافظون على زيهم المصري زي أهل العلم الديني ولهذه المحافظة تأثير عظيم فى التربية والتعليم

وبعد ذلك وزعت المكافأة السنوية التي يتبرع بها الشيخ عبد الرحيم الدمرداش للنابغين من تلامذة مدرسة الجمعيـة في القاهرة وهي ألف قرش . ثم انفض القوم بختم الاحتفال داعين للمدرسة بزيادة النجاح وللجمعية ببلوغ الكمال

﴿ المحسن المصري العظيم ـ منشاوي باشا ﴾

ذكرنا فى جزء مضى ان صاحب السعادة احمد باشا المنشاوي الشهير تبرع بمئة فدان من أطيانه لمدرسة الصنائع التي تنشئها جمعيـة العروة الوثقى في الاسكندرية . وقد كتب رئيس الاكتتاب لإعانة المدرسة صاحب الدولة مصطفى رياض باشا كتاب شكر الى هذا المحسن العظيم وأرسلت الجمعية طائفة من أعضائها الى داره فى القرشية يشكرون له بأنفسهم هذا الاحسان . ولما كان الشكر مدعاة المزيد هزته أريحية الكرم فتبرع بوقف ثلاث مئة فدان على هذه الجمعية الخيرية فكتب اليه رياض باشا كتاب شكر آخر ترغيباً فى الاحسان وإسعاداً على الترغيب فيه وهو :

سعادتلو افندم أحمد منشاوي باشا حضرتلري .

سلام وثناء عليك يامن عرفت كيف تصرف الأموال وكيف تخدم الاوطان وكيف تتقدم البلاد. اني كثيراً ما تمنيت الخير وكثيراً ماحبيت فيه وكثيراً ما ناديت الامة المصرية الى جمع الاموال لتأسيس المدارس العلمية والصناعية وبعد ان أوشك اليأس ان يستولي

بأن نقول ان الامة التي تظلمها حكومتها تتعلم الظلم والامة التي تحكم بالعدل تجري على العدل ــ خاننا التعليل وان كان له وجه وجيه إذ يصعب علينا ان نفضل حكومة روسيا على حكومة الهند . والصواب ان حسن المعاملة تابع لحسن الخلق والاخلاق آثار الوراثة والتربية في النفس اذا رسخت وانطبعت . ولا شك ان الامم المحكومة تؤثر كيفية الحكم في أخلاقها. ولكن أخلاق الامم تنطبع في الزمن الطويل ولا تتغير الا في الزمن الطويل ولذلك لا يصح الحكم على أخلاق الامة بحال حكومتها الحاضرة الحادثة فان الذين يفعل الاستبداد والاستذلال في نفوسهم عدة قرون لا يتطهرون من تلك الآثار الخبيثة في عشرات من السنين لاسيما اذا انتقلوا من عبودية ذل الى حرية مجون وخلاعة ، ومسلمو روسيا لم يكونوا أذلاء ولا مجانا من قبل حكمها وهي لم تظلمهم الا بالتضييق على المعارف زمنا ثم أعطتهم حرية ما في التعليم والتربية فهم يجدون فيها ويجتهدون على بصيرة يفضلون فيها سائر المسلمين .وأهل الهند كانوا اذلاء بالاستبداد ثم كانت لهم حرية فاسقة مع تضييق في أمور المعارف ثم صارت لهم حرية تامة لم تؤثر فيهم تأثيرها لقصر الزمن

وأما أهل المغرب الاقصى فهم على بداوتهم في ظلمات من الفوضى والجهل لا يبصرون ولا يبصرون ولذلك قلنا ان الحكم عليهم غير صحيح . ونظن ان الاخلاق في الجزائر لم تفسد بالمرة وانها هناك خير منها في تونس لأن الجزائريين أبعد من التونسيين عن الخلاعة والترف وقد كانوا من قبل حكم فرنسا أقرب في حضرهم الى البداوة ولم يؤثر حكمها في أخلاقهم الا قوة الاعتصام برابطة الدين والجنس لأنها أزالت منهم السلطة الاسلامية ولا يستطيع افساد المسلمين الا الحكام الطغاة من المسلمين اذ لا يفل الحديد الا الحديد. والبلاد العثمانية نزلت عليها آية الحجاب فلا كلام فيها

بقي الكلام على بلاد مصر . كانت هذه البلاد ولا تزال أم العجائب وفيها من الماطلين والخائنين والهاضمين للحقوق مالا يوجد في غيرها كما ان فيها من الفضلاء وأهل الكرم والوفاء نفراً يعز وجود أمثالهم في سواها . في هذه البلاد رأينا من الفروق بين الاصناف ، كما يرى الراءون بين الاشخاص ، وأظن ان غير العالم المختبر يحسب ان أحسن الناس وفاء وأسهلهم قضاء، علماء الدين أو قضاة الشرع أو القضاة عامة لأنهم هم الذين يعملون لاقامة العدل وأداء الحقوق الى أهلها وهم أعلم الناس بالآثار التي في الحقوق

﴿ قراء الصحف المنشرة ﴾

يقرأ هذه الصحف التي تسمى المجلات والجرائد جميع أصناف الناس في جميع البلاد فاصحاب الصحف الرائجة المشهورة أجدر الناس بمعرفة حال الناس في المعاملة مطلا ووفاء . وقد علمنا بالاختبار ان لكل صنف خلقا ولأهل كل قطر خلقا فمسلمو بلاد روسيا أحسن خلق الله وفاء أكثرهم يرسل مع طلب الاشتراك اوراقا مالية بقيمته وأوراقا مطبوعا عليها عنوانه ثم يرسلون القيمة في أول كل سنة ومن ارجأ الارسال عن أول السنة فلا يرجئه الا قليلا ويليهم اهل جزيرة العرب. وأسوأهم معاملة وأكثرهم مطلا وإهمالا مسلمو الهند ويليهم أهل الجزائر فان كثيرا من المشتركين في هذين القطرين ليقرأ المجلة أو الجريدة عدة سنين ولا يخطر بباله أن يرسل الى صاحبها شيئا. ومن العجيب أن السلائل العربية في كل بلاد يتبوءونها يحافظون على أكثر أخلاق العرب الفاضلة فتجار العرب في الهند وجاوه وسنغافورهم الذين يرسلون قيم الاشتراك من غير مطالبة ولا تذكير ، وأهل المغرب الأقصى كأهل الجزائر الا أفراداً في مدينة فاس يشبهون مسلمي روسيا في الوفاء . والحق أنه ليس لنا ان نحكم على أهل تلك البلاد لان القراء فيهم قليلون وأصلهم في الغالب مجهول . وأما أهل تونس فهم وسط أكثرهم اذا طولب يدفع واذا سكت عنه يسكت وقليل منهم يرسل وان لم يطالب ولا أعرف احدا منهم الى اليوم طولب فمطل حتى لا يرجونه الا ان الوكيل طلب منع المنار عن نفر قليل لأن الحق لا يخرج منهم الا نكدا وأظن انهم دفعوا وليس عندهم شيء وسيتبين هذا بعد قليل ، لان المحصل لا يزال يشتغل بالتحصيل ، فان قيل ان علي بن زنين الذي كان وكيلا للمنار قد جمع طائفة من الاشتراكات وثمن كتب أرسلتموها اليه بطلبه كتقرير مفتي الديار المصرية وكتاب الدروس الحكمية وما طلكم في ذلك عدة سنين : نقول اننا لا نزال نرجوه وقد كان بعض الناس يكتب الينا يحذرنا منه فلم نحفل بذلك والذي تحققناه انه ماطل ولا نقول انه لا ذمة له ولا أمانة الا اذا كتب الينا الوكيل الذي كلفناه بمحاسبته ومطالبته: انه لا يدفع مختاراً: أو تقاضاه في المحكمة ، هذا وان الوكيل هناك يشكو من عناء التحصيل ولعل ذلك لكرم نفسه وعدم اختباره الناس في حرصهم على المال

هذا إيماء الى ما كان من إختبارنا فاذا أردنا ان نعلل ذلك بتأثير الحكومات

المثل في الدرس ببلادتهم . وليس هذا الحكم عاما فانني أعرف نفراً منهم يحبون العلم والادب منهم المتعلم في المدارس النظامية ومنهم من له حسب عريق وأخلاق موروثة . وإنما قلت ماقلت في العمد عن سماع لاعن اختبار فان المشتركين منهم في المنار قايلون وأني شاكر لهم لاشاك منهم ولا استثني الى اثنين لاأذكرهما بالاسم ولا بالوسم لأن هذا ليس من شأن المنار ولذلك تجرءا على هضم حقه

ومن الناس من يحتال على قراءة الصحف المنشرة بالانتداب لخدمتها بالمكاتبة أو الدعوة اليها وتكثير سواد قرائها وقد عانينا من هؤلاء المحتالين ماعانى غيرنا ولم يبق لأحد يعرف المنار مطمع في مكاتبته لأن مائدته لاتقبل المتطفلين ولكننا نتلقى في كل حين كتابا ممن يصفون أنفسهم بالغيرة على العلم والدين ، والرغبة في إسعاد الكتاب والمنشئين ، وبعد إطرائنا وإطراء أنفسهم يطلبون ان يكونوا وكلاء . وقد اجبنا طلب كثير منهم بارسال المجلة اليهم وحثهم على نشرها فلم يصدق أحد منهم وإنما كانوا يخادعوننا في أول الامر بطلب المجلة لواحد أو اثنين ويشهدون لمن يطلبون له بالأمانة والاستقامة ويعدون بأخذ قيمة الاشتراك منه في أثناء السنة فتمر السنة ولا يفي أحدهم بوعده ومن يدري أأخذ من المشترك أم لا . وقد كان لنا من أرجى هؤلاء العاضدين للادب بالوكالة ان حبانا مشتركا في أول العهد بوكالته (في السنة الماضية) ثم ان ذلك المشترك كتب الينا بأنه لم يرض ان يكون عونا للمجلة بالاشتراك فقط وإنما هو مستعد لنشرها وطلب وصولات لأجل التحصيل ممن يدعوهم الى الاشتراك فكتبنا اليه بأننا ننتظر قبل كل شيء قيمة اشتراكه هو ثم عليه ان ينبه من يدعوهم الى الاشتراك بارسال القيمة حوالة على البريد فسكت ولم يحر جوابا حتى اذا انتهت السنة كتبنا اليه نطالبه فلم يرسل الينا مالا ، ولم يرجع الينا قولا ، فرجعنا الى الوكيل الذي أمر بارسال المجلة اليه فكتب إنه طالبه فادعى ان المجلة ترسل اليه أنه وكيل لها لاأنه مشترك فيها !! ثم طلبها لمشترك جديد ... فكتبنا اليه : إنك كنت وكيلا على مشترك واحد فلما صار هو وكيلا صرتما وكيلين على لاشيء . وأنت الآن تطلب المجلة لآخر ونخشى ان يصير في آخر السنة وكيلا فيكون لنا ثلاثة وكلاء على لاشيء ثم يتجدد هذا في كل عام ... وما يدرينا اننا اذا أطعنا هذا الوكيل يصير خبره الى جميع المشتركين فيختارون ان يكونوا وكلاء ، يتحكم كل منهم بارسال المجلة الى من شاء ، !!!

ومضراته لانها ممثلة كل يوم أمام أعينهم في أقبح صورها وأشكالها. ليس هذا الحسبان بصحيح ولعل القارئ لايتوقع ان أقول ان أحسن الناس وفاء وأطهرهم ذمة المهندسون. ولعل السبب فى ذلك تأثير العلوم الرياضية فى نفوسهم كما تؤثر فى عقولهم فانها هي العلوم التي ليس فيها أوهام ولاظنون فاسدة ولا خرافات ولامسائل تؤخذ بالتقليد الاعمى

أما المطل فهو على أشده في أهل البطالة ثم فى كتاب الدواوين وغيرها لان أكثرهم لاهمّ له من حياته الا أن يكون له رزق مضمون يتمتع به وان كان قليلا أعني أنهم لاتهمهم الامور العامة وليس لهم مقاصد عالية وانما يذكرون لفظ الملة أو الوطن حكاية للالفاظ التي تكثر فى الجرائد ومن يشترك فى الجرائد منهم فانما يشترك تشبها بالوجهاء والرؤساء. هذا كلامنا فى الاكثرين ومنهم أفراد من أرباب البيوت التي لها سلف فى حسن الاخلاق أو التي لها قرب من سذاجة الفلاحين الفطرية التي لم يطغ عليها طوفان فساد مايسمونه (التمدن) فاولئك يشتركون ليستفيدوا وليكونوا عونا للصحيفة التي يعتقدون نفعها وقليل ماهم.

ومن العجيب ان يكثر المطل والالي وهضم حقوق العلم والادب في رجال القضاء وأعوانهم من رجال (النيابة) فان في قضاة الاستئناف الذين يرون أنفسهم فوق جميع رجال الحكومة عدلا وعدالة وعفة واستقامة من يدافعون محصل الجريدة من شهر الى شهر حتى تصير هذه الشهور سنين فما بالك بمن دونهم؟

أما أهل العلم الديني ومنهم قضاة الشرع ومعلمو المدارس فهم أحرص على المال وأضن به من جميع الناس الا أنهم قلما يشتركون في الجرائد ولكن يطلبها الوجهاء منهم على ان تكون هدية ومن أراد الاشتراك من غير الوجهاء فانه يجتهد في أن ينقص من قيمة الاشتراك المعينة شيئاً النصف فما دونه ويلح في ذلك إلحاحا ثم انهم بعد ذلك لايتنزهون عن المطل والتسويف ولكنهم قلما يستحلون أكل قيمة الاشتراك وهضمها بالمرة كما يفعل بعض كتاب الدواوين وبعض التجار والفلاحين والعمد

هؤلاء العمد يحبون الجرائد ويكرهون المجلات يحبون الجرائد لما يتوقعون من مدحها إياهم ودفعها عنهم فيما يتهمون به ولذلك يدفعون لها الاشتراك ويزيدونها عطاء ومساعدة. ويكرهون المجلات لانهم لايتوقعون منها ذلك ولا يفهمونها وليس عندهم روح حب العلم والادب وقد اعتاد أكثرهم على الظلم وهضم الحقوق حتى ان الاستاذ الامام يضرب

على سوء قصده والا فعلى جهله ، ولكنني حفظت لليازجي حق ذلك الاجتماع القليل فأوردت الرواية بصيغة المجهول التي تشعر بالشك (يقال) ثم انني لم أكن راضيا عن نفسي تمام الرضى بما نشرته وأنا أشبه بالمضطر مني بالمختار لأن مدافعة المشاغبين الذين يطعنون في الدين من الفروض الاسلامية الكفائية اذا لم يقم بها أحد يكون جميع المسلمين العارفين عاصين لله تعالى . وقد لقيت بعد أيام من صدور المنار صاحبا لي وللشيخ ابراهيم فأخبرني بأنه استاء مما كتبت وأنكر مانسب اليه . فقلت له ان أحب شيء الي ان أجد سنداً للإعلان براءته وحسبي في ذلك مانقلت انت عنه واني سأبرئه في أول جزء يصدر من المنار . فقال لا تعجل حتى ترى مايكتب فان الذي أطلعه على المنار أغراه بالرد عليه والاغلاظ له ثم جاءني صاحب آخر بما كتبه فاذا هو قد أعاد لي تلك الصورة التي صورها الناقلون الاولون

أكبر الرصيف أمر تلك الكلمة (يقال...) إكباراً حتى مثلها القارئ كلامه بصورة جبل عظيم يريد ان ينقض على العالم فتنقض معه المعاقل والصياصي ، وتشيب لهوله النواصي . وعدها من « الفوضى القلمية فى هذا القطر وانقطاع كل عقال فيه حتى أصبح كل شيء مباحا وصار الكاتب اذا هجس في صدره خاطر متخرص (كذا) أومر بسمعه قول مرجف لايلبث ان ينشره بغير تثبت ولا فحص بشوش به الافكار ويجعله مصدراً للقيل والقال » . كأنه يرى ان ما كتبه أصحاب الجرائد الاسبوعية فى الائمة الاعلام ، وفي كبار الامراء والحكام ، لايذكر فى جانب تلك الكلمة في مقامه ولا تصل به الحرية الى حال الفوضى القلمية وكأنه يتوهم أن أبناء الملتين الكبيرتين (الاسلامية والنصرانية) ينتظرون سماع اسمه ونقل كلمة عنه حتى اذا ماقيل ان الشيخ ابراهيم قال كذا تضطرب الافكار ، وتجيش الصدور ، وتستعر نيران الجدال ، وتكون كلمته موضوع القيل والقال ، ولكن الكلمة قد قيلت ولم يحفل بها أحد . وأما المنار فإنما رد عليه كما رد من قبل على ما كتبه ذلك القبطي الذي لا يعرف اسمه الا مكتوبا على غلاف تلك المجلة فلا هو من العلماء ولا من الكتاب ولكنه من المشاغبين ، الذين ينشرون شبهات المشككين .

وقال بعد نقل الكلمة انه وقف يقلب الطرف في هذا الكلام ويتمثل أيامه وأحلامه الماضية ليتذكر عهد اشتغاله بالمناقشات الدينية . ثم استدل من الكلمة على شدة حرصنا على إلصاق التهمة به وعلى أنه مأخوذ بها إما من جهة التأليف أو من ناحية التصحيح أو من جانب الزيادة . ثم قال اننا بنينا هذا الحرص وهذا الحكم بالاخذ على شهادة

﴿ نحن واليازجي ﴾

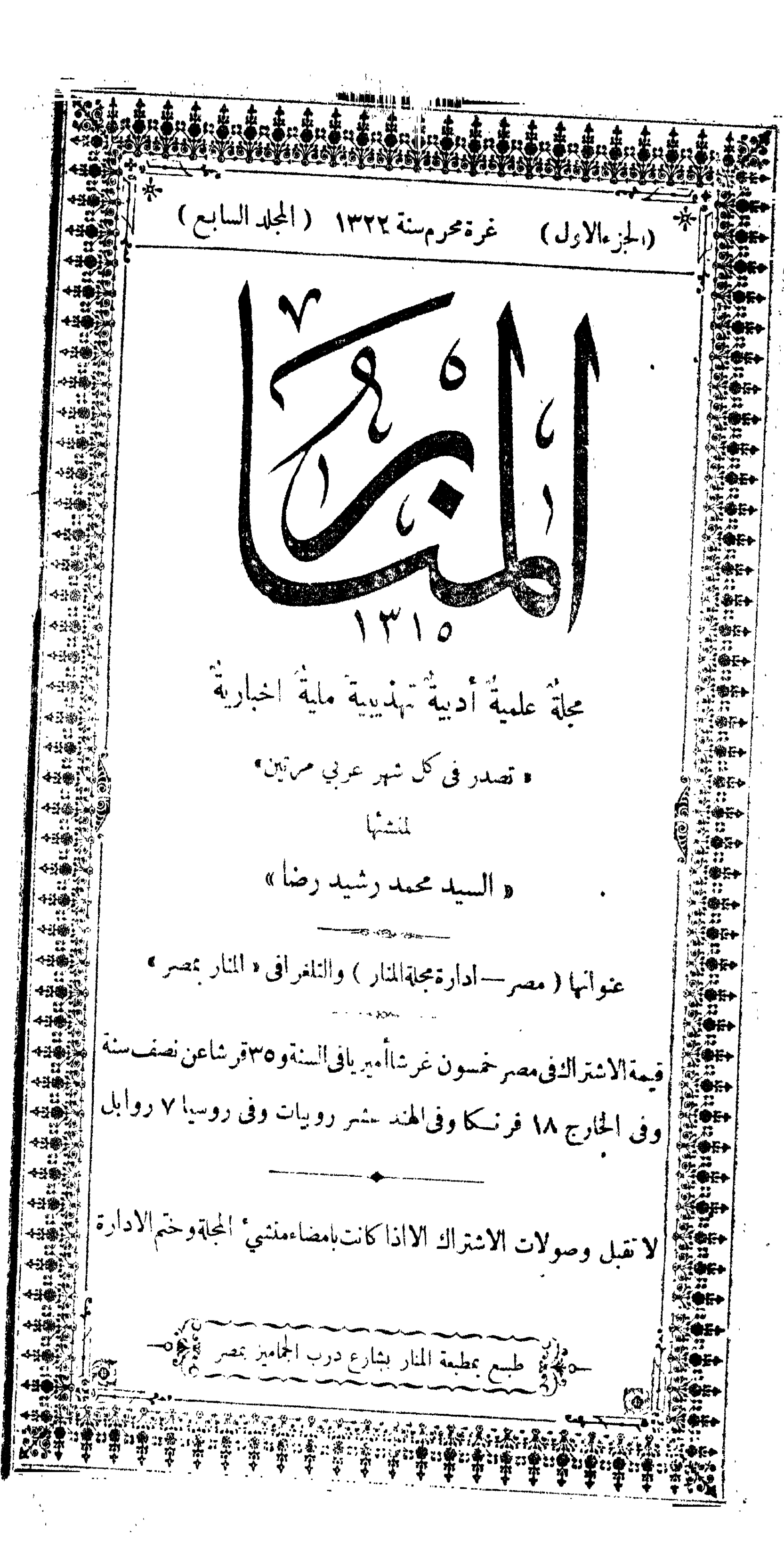
الشيخ ابراهيم اليازجي فى الطبقة الاولى من أدباء نصارى بلاد الشام وقد ا
بالعناية والبحث فى اللغة العربية وانتقاد مايكتب بها وان قومه ليجلون قدره ، ول
كنا نراهم على فخرهم به يشكون من عجبه وصلفه ، ويألمون من غروره وتف
ويقولون ان هذه الخلال حالت دون انتفاعه بعلمه وانتفاع الناس به ، وانها تحمله
أن يغمص العلماء والفضلاء الذين لايدانيهم فى علمهم (كمنشئي المقتطف) لما قد يقع فى كلا
أحياناً من كلمة دخيلة او عامية ، أو عبارة تخالف بعض قواعد العربية ، على ان كلا
لايسلم من مثل ذلك ولكنه لا نصرافه بكل همته الى التنقيح يقل فى كلامه الغ
والشذوذ ، وللقوم شغل بالعلوم يأخذ من همتهم حظا هو أشرف ماتصرف اليه اله
ومما سمعناه عنه في بلاد الشام وفي هذه البلاد ان غروره بنفسه فى فهم اللغة ح
على الطعن فى القرآن العظيم الذي خضعت له أعناق البلغاء ، وسجدت له جباه الفصح
أيام كانت البلاغة في أوج سلطانها ، والفصاحة فى ريعان شبابها ، .فكان لهذا الر
في خيالنا صورة منتزعة من سيرته المسموعة غير جميلة لذلك لم تتوجه النفس الى ط
معرفته لأننا من قوم يفضلون الاخلاق الكريمة على العلوم العقلية والكونية ، بله الفن
اللغوية ، ثم ان كلا منا يشتغل بالصحافة ولكن ليس بيننا وبينه مبادلة فلا نحن نط
على مجلته ولا هو يطلع على مجلتنا الا أن يكون ذلك مصادفة واتفاقا

ثم كان في العام الماضي ان جمعية الكتاب المصرية ضمتنا في بعض جلساتها فرأينا صورة أج
من تلك الصورة الخيالية ورأينا لطافة ودماثة وأدبا كدنا نكذب به كل ماسمعناه مما لايرضى ل
ان هذا اللقاء لايصح ان يسمى اختباراً يحكم به على الاخلاق . على أن اعتقادنا فيه ح
ورجحنا ان في قول الناس فيه مبالغة حتى اتفق لنا ما كشف الستار من خيث لانحتسب

رأى القراء أننا حين شرعنا في رد شبهات النصارى على القرآن . قلنا ان ال
البروتستنتية نقلت هذه الشبهات من كتاب لهم « يقال ان للشيخ ابراهيم اليازجي
في تصحيحه أو تأليفه أو الزيادة فيه وهو عندهم أقوى طعن في القرآن » معتقد
صدق الذين قالوا لنا ذلك لنبين لصاحب تلك المجلة وغيره ان آخر سهم فى كنانتهم طائ
وان ما ارتضاه أعلمهم باللغة وعدم طعناً في القرآن ليس بأ مثل مما يهذي به اجهلهم فهو دل







(الجزء الاول) غرة محرم سنة ١٣٢٢ (المجلد السابع)

المنار

١٣١٥

مجلة علمية أدبية تهذيبية مالية اخبارية

« تصدر في كل شهر عربي مرتين »

لمنشئها

« السيد محمد رشيد رضا »

عنوانها (مصر — ادارة مجلة المنار) والتلغرافي « المنار بمصر »

قيمة الاشتراك في مصر خمسون غرشا أميريا في السنة و ٣٥ قرشا عن نصف سنة وفي الخارج ١٨ فرنكا وفي الهند عشر روبيات وفي روسيا ٧ روابل

لا تقبل وصولات الاشتراك الا اذا كانت بامضاء منشئ المجلة وختم الادارة

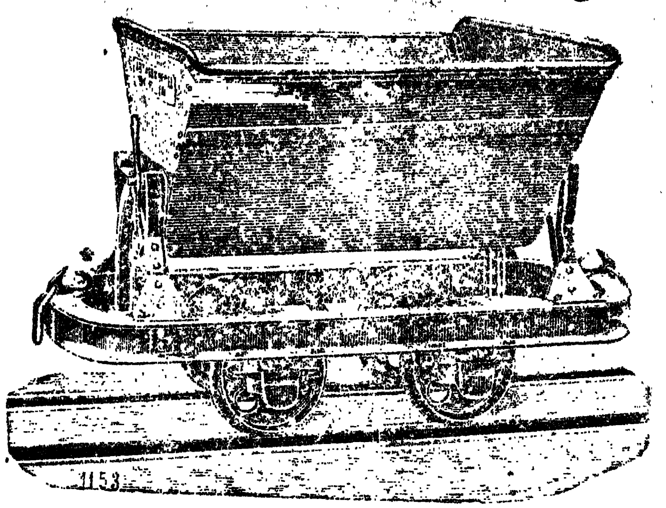
طبع بمطبعة المنار بشارع درب الجماميز بمصر

ارتور كوبل

صاحب معامل سكك الحديد الزراعيه عنوانه

مصر القاهره   صندوق البوسته نمرة ٢٤

وله فروع فى أهم عواصم أوربا وأميركا



يوجد فى محل ارتور كوبل جميع أجناس الخطوط الحديدية الزراعية والعربات القلابه لنقل الاتربة والسباخ وعربات للمحاصيل وتحاويل وفلكات وبلنجات ووردات وقد اقبل المزارعون بكل ارتياح على استعمال هـذه الآلات والأدوات وهي التي نالت الجوائز الأولى فى اهم المعارض الزراعيه والنشان الذهبي فى المعرض الباريزي ووفرها يربو على الخمسين فى المـائة كما شهد بذلك كثيرون من اعاظم هـذا القطر وشهاداتهم محفوظة فى المحل

﴿مطبعة المنار﴾

قد أنشأنا مطبعة جديدة للمنار وهي مستعدة لطبع الكتب وغيرها بأجرة معتدلة ونرجو ان تكون أحسن المطابع عناية بالتصحيح والنظافة والامانة

﴿طلاب الاجزاء المفقودة﴾

لا يزال المشتركون يكتبون الى الادارة يطلب الأجزاء الكثيرة المفقودة من السنة الخاضرة وغيرها وانا لا نرسل الى أحد جزءا الا اذا أرسل ثمنه سالفا ٢٥ مليما الا اذا صدر الجزء الاخير ولم يصل ماقبله فانه يرسل بلا ثمن لانه حق للطالب



(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و«منارا» كمنار الطريق)

(مصر — الجمعة غرة محرم الحرام سنة ١٣٢٢ — ١٨ مارث (آذار) سنة ١٩٠٤)



الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا واليه النشور. «وهو الذي أحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ان الانسان لكفور». أحيانا بتلك الروح التي نفخها في البلاد العربية. ثم أماتنا بالاعراض عن تلك الهداية السماوية. أحيانا بضع قرون. وأماتنا بضع قرون، فنسأله اتمام وعده المشار اليه في الآية الكريمة، بأن يؤيدنا بروح منه وينزل علينا السكينة. ونصلي ونسلم على محمد عبده ورسوله. رسول الرحمة، ومعلم الحكمة، وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بتأييد دعوته ونصرة حزبه.

وبعد فقد دخل المنار في العام السابع من حياته وهو سن التمييز في الحياة الشخصية ولعل حياته تكون في هذا الطور خيرا منها فيما قبله ان شاء الله تعالى. فاذا كان في طفوليته قد نجا من الماكرين، وانتصر على المعارضين، وقابل ما صادفه من الوثبات، بكل صبر وثبات. فالرجاء بفضل الله وعنايته ان يجعله في طور التمييز أحسن هداية ورشدا، وأقوى ناصرا وأكثر مددا، وما بلغ المسلمون من الضعف والتخاذل ان لا يعيش لهم صحيفة دينية، وان حاجتهم اليها لأشد من حاجتهم الى الصحف السياسية، كيف وهم دون الامم التي هي دونهم في الاعتصام بالدين، وفوقهم في الاشتغال بالدنيا - وقد سبقتهم في انشاء الصحف الدينية، ففي مصر وبيروت كثير من هذه الصحف باللغة العربية. فما بالك بسائر اللغات وهي لغات القوم الاصلية.

بل ان جميع الامم والشعوب قد سبقوا المسلمين في جميع الاعمال الاجتماعية التي ملاكها التعاون لا في

فهرس الجزء الاول من السنة السابعة

سبب التأخير

قد رأي القراء ان طبع المنار في النصف الاول من السنة المنصرمة أحسن منه فى النصف الثاني وسبب ذلك اختلاف عمال الطبع الذين اتابنا كثير منهم وقلما يثبت واحد منهم وقد تركنا آخرهم عملا عندنا على انه أمثلهم فى الاخلاق الامحاولة إتقان العمل حتى ان هذا الجزء قدطبعه جماعة منهم

والمنار وان كان تأخيره أياما لايخلق جدة مباحثه كالجرائد الاخبارية يكره صاحبه ان يؤخر الاجزاء وهي حقوق الناس عن مواقيتها كما يؤخر كثيرون منهم حقوقه على ان تأخيرهم يضره وتأخيره لايضرهم وهو مع هذا يرجو صفحهم ويتمنى ان يعاملوه بمثل مايعاملهم . حاشا أولئك السابقين الى الفضل فلهم الثناء والشكر

﴿ القسم الديني ﴾

(تفسير القرآن الحكيم)

(مقتبس من دروس الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية في الازهر)

وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا ، قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * قُولُوا آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ الى إِبْرَهِيمَ وَإِسْمَعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ ، وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ ، لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ * فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا ، وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * صِبْغَةَ اللهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ *

بين في الآيات السابقة حقيقة ملة ابراهيم في سياق دعوة العرب الى الاسلام ثم أشرك معهم أهل الكتاب لانهم أقرب الى الايمان بابراهيم وأجدر باجلاله واتباعه ، وانتقل الكلام بهذه المناسبة الى بيان وحدة الدين الالهي واتفاق النبيين في جوهره وبيان جهل أهل الكتاب بهذه الوحدة وقصر نظرهم على ما يمتاز به كل دين من الفروع والجزئيات أو التقاليد التي أضافوها على التوراة والانجيل فبعد بها كل فريق من الآخر أشد البعد وصار الدين الواحد كفرا وإيمانا كل فريق من أهله يحتكر الايمان لنفسه ويرمي الآخر بالكفر والإلحاد حتى لو كان نبيهم واحدا وكتابهم واحدا

فقوله تعالى (وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا) بيان لعقيدة الفريقين في التفرق في الدين والضمير في (وقالوا) لاهل الكتاب و «أو» للتوزيع والتنويع أي ان اليهود يدعون الى اليهودية التي هم عليها ويحصرون الهداية فيها والنصارى يدعون الى النصرانية التي هم عليها ويحصرون الهداية

الصحف الملية فقط والتعاون فرض في ديننا مأمور به في كتابنا ولكن أين نحن من الكتاب وفرائضه . فياليت الذين لا يعاونون العاملين منا للأمة لا يخذلونهم ولا يعارضونهم في أعمالهم ومشروعاتهم . كلا إننا نحن أعداء أنفسنا ، وإننا نحن مرض أمتنا ، وإننا نحن آفة نجاحنا ، ولو عقل الذين يشكون من الأجانب لشكوا من قومهم ، ولو شعر الذين يشكون من أخوتهم لشكوا من أنفسهم ،

أرأيت هذا المنار الذي أنشئ لخدمة الأمة ، والدفاع عن الملة ، إنه ليطالب الذين ينكرون فائدته ، أو يدعون مضرته ، بأن يبينوا له وجه الضر ليتقيه ، ووجه النفع لينتحيه ، وإنه لا يطالب الذين يقولون إنه نافع ولا الذين يقولون إنه أنفع ما يكتب للمسلمين في هذا العصر بأن يتبرعوا له بمال لتوسيع دائرته ، أو لزيادة مادته ، وإنما يرضى منهم بأداء حقه ، وحقه على جميع قرائه أداء قيمة الاشتراك التي هي قوام العمل وأداته التي لا يوجد إلا بها ، وحقه على الخواص منهم الدعوة إليه والترغيب فيه عندما تسنح لهم الفرص ويخاطبون من يتوسمون فيه الاستعداد

لست أعني بالخواص الأغنياء ولا كبار الموظفين ، فإن منهم من يملك الألوف وعشرات الألوف من الفدادين أو الدنانير ، وهو يماطل في دفع قيمة الاشتراك عدة سنين ، وإنما أعني بهم كل من له عقل يتفكر به في مصلحة الأمة ، وقلب يشعر بمعنى الشرف والفضيلة ، أولئك هم خواص الأمم الذين لم تنجح أمة إلا بكثرتهم فيها

لا يكثر في الأمة الفضلاء المفكرون إلا بالتعليم العالي ، وأنى لنا به ولم ترتق هذه البلاد إلى أن يكون فيها مدرسة كلية ، ولا يكثر في الأمة أهل الشعور بالشرف حتى ترتقي التربية النفسية فيها ، وأنى لنا بذلك ولم ترتق معارف الناس إلى أن يفصلوا بين التعليم وبين التربية ، فنرى كبراءنا وأذكياءنا يخصون بلقب التربية نفرا من الناس نالوا شيئا من التعليم العصري الناقص وأعلاهم تربية في عرفهم من دخل في مدارس أوربا وإن كان أكثرهم كما يعرف العارفون في أخلاقهم وأعمالهم لا سيما الذين تعلموا في فرنسا منهم

إن ارتقاء الفكر والشعور لا يعرف إلا بأثره في العمل للأمة ، فإذا قلنا إن خواص الأمة هم العاملون لها المخلصون في خدمتها ، الذين لا يشترون مصلحتهم بمصلحتها ، فكم رجلا نعد من هؤلاء فينا؟ هل نعد منهم من يرى منتهى الشرف أن يشتري رتبة يتزيا بحليتها ، أو وسمة يتزين بحليتها ، ؟ هل نعد منهم سماسرة الرتب والأوسمة الذين يأخذون عليها الأجور من أهل الغرور ثم يطرونهم بالأماديح قائلين إنهم ما وصلوا إلى هذه الحلي والحلل إلا بإخلاصهم للبلاد ولسيد البلاد وممثل الأمة ؟ هل نعد منهم الذين يقولون ويكتبون ما يراه غيرهم حسنا وإن رأوه قبيحا ، ويدعون إلى ما يشعر غيرهم بفائدته أو لذته وإن كانوا يشعرون بغائلته ومرارته ، أهؤلاء هم الذين ورد في أمثالهم «لهم قلوب لا يعقلون بها» وإنما يعقلون بقلوب من ينتفعون منهم «ولهم آذان لا يسمعون بها» وإنما يسمعون بآذان متبوعيهم حواسهم ومشاعرهم كأتباعهم عقولهم وأفكارهم «أولئك كالأنعام بل هم أضل» لأنهم خرجوا عن قانون فطرتهم بما أوتوه من الدهاء والأنعام لم تخرج عن الفطرة ، ولأن في الأنعام منافع للناس وهم ضارون للناس «أولئك هم الغافلون» عما يحل بأمتهم وينزل بها من المصائب بإفسادهم لأخلاقها ، ومحوهم لوجدان الفضيلة والشرف الحقيقي منها ، ويا حسرة على أمة تعد هؤلاء من خواصها ومن مرشديها ،

الخواص هم أصحاب الأخلاق والعزائم وهم الذين ينهضون بالأمم في كل عمل نافع فالله نسأل أن يكثر عددهم فينا ، ويوفقنا الله جميعا للإحسان في العمل ، والتعاون على البر والتقوى ، والإخلاص في السر والنجوى ، عسى أن نكون من المفلحين ،

منشئ المنار ومحرره

محمد رشيد رضا

في التسمية والدعوى ان سلفهم كانوا على ملة ابراهيم حقيقة ثم طرات عليهم الوثنية فأخذتهم عن عقيدتهم وأنستهم أحكام ملتهم وأعمالها ـ نسوا بعضها بالمرة وخرجوا ببعض آخر عن أصله ووصفه كالحج ، ونفي الشرك عن ابرهيم في آخر الآية احتراس من وهم الواهمين ، وتكذيب لدعوى المدعين ، :

أقول لا بدع ان ينسى الاميون ما كانوا عليه فان أهل الكتاب خرجوا بدينهم عن وضعه الاول فنسوا بعضا وحرفوا بعضا وزادوا فيه ونقصوا منه . فاليهود أضافوا التلمود الى ما عندهم من التوراة وسموا مجموع ذلك مع تفاسيره وآراء أحبارهم فيه باليهودية . واما النصارى فقد ظهر دينهم بشكل لو رآه الحواريون الذين أخذوا الدين عن المسيح مباشرة لما عرفوا أي دين هو . وهؤلاء المسلمون على حفظ كتابهم في الصدور والسطور يعملون باسم الدين اعمالا يظنها الجاهلون بدينهم أعظم أركان الدين ، وما هي من الدين وانما هي بدع المضلين ، فالافرنج يكتبون في رحلاتهم ان رقص المولوية ، من أعظم العبادات الاسلامية ، وان مايكون في جامع القلعة في ليالي المولد والمعراج ونصف شعبان من الرقص والعزف بالطبول والدفوف وغيرها من أهم الشعائر الاسلامية وسماها بعضهم (الصلاة الكبرى) ولولا ان القرآن محفوظ وسنة الرسول وسيرة السلف الصالح مدونتان في الكتب لنسينا الاصل واكتفينا بهذه البدع فان الالوف التي تحج الى ضريح السيد البدوي كل عام لا يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويحج البيت منهم الا النفر القليل . ولكن الله أراد بقاء هذا الدين وحفظه وسيرجع الى كتابه الراجعون ، ويهتدي به المهتدون ولو كره المقلدون ، وعند ذلك

فيها. وهذا الاسلوب معهود في اللغة. ولو صدق واحد منهما لما كان ابرهيم مهتديا لانه لم يكن يهوديا ولا نصرانيا وكيف وهم متفقون على كونه إمام الهدى والمهتدين ؛ لذلك قال تعالى تعليما لنبيه البرهان الاقوى في محاجتهم (قل بل ملة ابرهيم حنيفا وما كان من المشركين) أي بل نتبع أو اتبعوا ملة ابرهيم الذي لا نزاع في هداه ولا في هديه فهي الملة الحنيفية القائمة على الجادة بلا انحراف ولا زيغ ، العريقة في التوحيد والاخلاص بلا وثنية ولا شرك ،

والحنيف في اللغة المائل وإنما أطلق على ابراهيم لان الناس في عصره كانوا على طريقة واحدة وهي الكفر فخالفهم كلهم وتنكب طريقتهم ولا يسمى المائل حنيفا الا اذا كان الميل عن الجادة المعبدة ويطلق الحنيف في اللغة أيضا على المستقيم وبه فسر الكلمة بعضهم وأورد له شاهدا من اللغة وهو أقرب . ومن التأويلات البعيدة ماروي من تفسير الحنيف بالحاج ووجه القول به انه مما حفظ من دين ابراهيم

الاستاذ الامام : وقال بعض المشتغلين بالعربية من الافرنج ان الحنيفية هي ما كان عليه العرب من الشرك واحتجوا على ذلك بقول بعض النصارى في زمن الجاهلية « ان فعلت هذا أكون حنيفيا » وانها الفلسفة جاءت من الجهل باللغة وقد ناظرت بعض الافرنج في هذا فلم يجد مايحتج به الا عبارة ذلك النصراني وهو الآن يجمع كل مانقل عن العرب من هذه المادة لينظر كيف كانوا يستعملونها ولا دليل في كلمة النصراني العربي على ان الكلمة تدل لغة على الشرك وإنما مراده بكلمته البراءة من دين العرب مطلقا. ذلك أن بعض العرب كانوا يسمون أنفسهم الحنفاء وينتسبون الى ابراهيم ويزعمون انهم على دينه وكان الناس يسمونهم الحنفاء أيضا والسبب

خاص بكم يفصل بينكم وبين سائر أهل الاديان السماوية بل انظروا الى جهة الجمع والاتفاق ، وادعوا الى أصل الدين وروحه الذي لاخلاف فيه ولانزاع ، وهو التسليم بنبوة جميع الانبياء والمرسلين ، مع الاسلام لرب العالمين ، لانعبد الا الله ، ولا نفرق بين أحد من رسل الله ،

والاسباط أولاد يعقوب والفرق أو الشعوب الاثنى عشر المتشعبة منهم . قال تعالى « وقطعناهم اثنتي عشرة اسباطا أمما » وقد ورد أن أولاد يعقوب كانوا أنبياء ولم يرد انهم كانوا مرسلين فان صح هذا كما يفهم من اطلاق الاستاذ الامام في الدرس فالمراد بالاسباط الاطلاق الاول والا كان في الكلام تقدير مضاف أي أنبياء الاسباط كأنه قال وسائر أنبياء بني اسرائيل

وههنا نكتة دقيقة لاختلاف التعبير عن الوحي الذي منحه الله الانبياء اذ عبر بأنزل تارة وبأوتي تارة أخرى وهو ان التعبير بانزل ذكر هنا في جانب الانبياء الذين ليس لهم كتب تؤثر ولا صحف تنقل ، وذلك ان إنزال الوحي على نبي لا يستلزم اعطاءه كتابا يؤثر عنه وهذا ظاهر اذا كان النبي غير مرسل فان الوحي اليه يكون خاصا به ويكون ارشاده للناس أن يعملوا بشرع رسول آخر ان كان بعث فيهم رسول والا كان قدوة في الخير ومعدا للنفوس لبعثة نبي مرسل . وأما النبي المرسل فقد يؤمر بالتبليغ الشفاهي ولا يعطى كتابا باقيا وقد يكتب ما يوحى اليه في عصره فيضيع من بعده ، فهؤلاء الرسل الكرام الذين عبر عنهم بقوله (وما أنزل على ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط) لا يؤثر عن أحد منهم كتاب بسند صحيح ولا غير صحيح واننا نؤمن بانهم كانوا أنبياء وانزل

تنقشع ظلمات هذه البدع التي هم فيها يتخبطون ،

وقد توهم بعض العلماء ان هذا الجواب « بل ملة ابرهيم » الخ جاء على طريقة الاقناع وليس فيه حجة حقيقية ووجهوه بقولهم ان أهل الكتاب يعاندون الحق ويكابرون في معجزة النبي عليه السلام فأمر الله نبيه بان يلزمهم بالدلائل الاقناعية التي لا يقدرون على مكابرتها والمراء فيها . والحق ان هذا الجواب حجة حقيقية وقد أشرنا لى وجهها الوجيه أول الكلام فى تفسير الآية . وقد تجرأ كثير من العلماء على مثل هذا الكلام فى كثير من الآيات التي احتج بها القرآن حتى فى اثبات الوحدانية . والسبب فى ذلك افتتانهم بالطريقة النظرية التي أخذوها عن كتب اليونان ، ولقد اهتدى بحجج القرآن الالوف والوف الالوف وقلما اهتدى بالادلة النظرية المحضة أحد من الناس . وانما تفيد فى دفع شبهاتهم التي يوردونها على العقائد ولا فائدة فيها سوى المراء والجدل ، وقد تلاشت فى عصرنا تلك الشبهات ، ورغب الناس عن هذه النظريات ، وقام بناء العلم على أسس الوقائع والحوادث والتجربات ،

وقال الجلال ان الآية نزلت فى يهود المدينة ونصارى نجران فهم القائلون ماذكر . والتحقيق ان الآية فى بيان طبيعة أهل الملتين كما تقدم ، وقول يهود المدينة ونصارى نجران ماذكر — ان صح — لا يقتضي التخصيص فانهم ما قالوا الا هو لسان حال ملتهم ، وغيرهم يقول مثل قولهم ، أو يصدق القائلين باعتقاده وسيرته

أمر الله النبي بان يدعو الى اتباع ملة ابرهيم ثم أمر المؤمنين بمثل ذلك فقال « قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا » الخ أي لا تكن دعوتكم الى شيء

بين الناس وتمسكوا بالقشور وهي رسوم العبادات الظاهرة ونقصوا منها وزادوا عليها ما يبعد كلا منهم عن الآخر ويزيد في عداوته وبغضائه له ففسقوا عن مقصد الدين من حيث يدعون العمل بالدين . فاما بين الله لنا حقيقة دين الانبياء وانه واحد لا خلاف فيه ولا تفريق وأن هؤلاء الذين يدعون اتباع الانبياء قد ضلوا عنه فوقعوا في الخلاف والشقاق أمرنا سبحانه وتعالى ان ندعوهم الى الايمان الصحيح بالله وبما أنزل على النبيين والمرسلين بأن يؤمنوا بمثل ما نؤمن نحن به لا بما هم عليه من ادعاء حلول الله في بعض البشر وكون رسولهم الها أو ابن الاله ومن التفرق والشقاق لاجل الخلاف في بعض الرسوم والتقاليد . فالذي يؤمنون به في الله مثلا ليس مثل الذي نؤمن به منه فنحن نؤمن بالتنزيه ، وهم يؤمنون بالتشبيه ، وعلى ذلك القياس . فلو قال : فان آمنوا بالله وبما أنزل على أولئك النبيين وما أوتوه فقد اهتدوا : لكان لهم ان يجادلونا بقولهم انما نحن المؤمنون بذلك دونكم ولفظ مثل هو الذي يقطع عرق الجدل

على ان المساواة في الايمان بالدين بين شخصين بحيث يكون ايمان احدهما كايمان الآخر في كيفيته وقوته وانطباقه على المؤمن به وما يكون في نفس كل منهما من متعلق الايمان يكاد يكون محالا فكيف يتساوي ايمان أمم وشعوب كثيرة مع الخلاف العظيم في طرق التعليم والتربية والفهم والادراك . ولو كانت القراءة : فان آمنوا بما آمنتم به : كما روي عن ابن عباس في الشواذ لكان الاولى ان يقدر المثل فكيف نقول وقد ورد لفظ مثل متواترا انه زائد ؟

(وان تولوا) عما تدعوهم اليه من الرجوع الى أصل دين الانبياء

عليهم هو دين الله الحق وانه موافق في جوهره وأصوله لما أنزل على من بعدهم . وماذكر الله من ملة ابراهيم بالنص هو روح ذلك الوحي كله . وقد جاء في سورة النجم وسورة الاعلى ذكر صحف لابراهيم وقال الجلال هنا انها عشر . فنؤمن بانه كان له صحف ولا نزيد على ماورد شيئا . وأما اسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط فلم يثبت أن لهم صحفا ولا كتبا . فنؤمن بما أنزل اليهم بالاجمال ونعتقد انه عين ملة ابرهيم . وجاء التعبير عن وحي الذين كان لهم كتب تؤثر بقوله (وما أوتي موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم) فهو يشير بالايتاء الى ان ماأوحي اليهم له وجود يمكن الرجوع اليه والنظر فيه فان أقوامهم يأثرون عنهم كتبا

وقال بعد ماذكر الفريقين (لا نفرق بين أحد من رسله) أي سواء منهم من له كتاب يؤثر ومن ليس له ذلك . نؤمن بالجميع اجمالا ونأخذ التفصيل عن خاتمهم الذي بين لنا أصل ملتهم التي كانوا عليها وزدنا من الحكم والاحكام ، مايناسب هذا الزمان وما بعده من الازمان ، والعمدة في الدين على إسلام القلب لله تعالى (ونحن له مسلمون)

(فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا) قال صاحب الكشاف ان الآية تعريض بأهل الكتاب وتبكيت لهم ، وقال الجلال ان لفظ مثل زائد واستنكر الاستاذ الامام ذلك واستكبره كعدته فانه يخطئ كل من يقول ان في القرآن كلمة زائدة أو حرفا زائدا . وقال ان لمثل هنا معنى لطيفا ونكتة دقيقة وذلك ان أهل الكتاب يؤمنون بالله وبما أنزل على الانبياء ولكن طرأت على ايمانهم بالله نزغات الوثنية وأضاعوا لباب ما أنزل على الانبياء وهو الاخلاص والتوحيد وتزكية النفس والتأليف

ويمحون من نفوسنا صبغة الله الموجبة للتوحيد، ويثبتون مكانها صبغ البشر القاضية بالخلاف والتفريق،

قال الاستاذ الامام: والآية تشير الى انه لا حاجة فى الاسلام الى تمييز المسلم من غيره بأعمال صناعية كالمعمودية عند النصارى مثلا وانما المدار فيه على ماصبغ الله به الفطرة السليمة من الاخلاص وحب الخير والاعتدال والقصد فى الامور « فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله، ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون »

باب الفقه في احكام الدين

كلمة ثانية فى أهل الذمة

هذه المقالة منقولة عن الجزء الثالث من تاريخ (أشهر مشاهير الاسلام) لرفيق بك العظم وهو تحت الطبع. وله كلمة أخرى في حسن معاملة الاسلام لاهل الذمة في الجزء الثاني من الكتاب. وقد أورد هذه الكلمة بمناسبة كتاب من عمر بن الخطاب الى عمرو بن العاص يوصيه فيه باهل العهد والذمة ويذكره بوصية النبي بهم عامة وبالقبط خاصة ومن ذلك حديث « من ظلم معاهدا اوكلفه فوق طاقته فأنا خصمه يوم القيامة »

هذا الكتاب يمثل لنا سيرة عمر بن الخطاب مع أهل الذمة ويبين شدته على العمال فى منعهم عن ايذاء أهل الكتاب اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم وعملا بامره ومن تكون هذه سيرته مع أهل الذمة أفيعقل ان يريد بهم اذى بقول أو فعل؟ كلا ان العقل والبديهة يرفضان نسبة أي قول أو فعل اليه يشتم منه ولو رائحة الجفاء فضلا عن امتهان الذمي أو ظلمه.

واذ علم هذا فالذي يدعو الى العجب هو غفلة نقلة الاخبار ورواتها عن

ولبابه بإيمان كإيمانكم (فإنما هم في شقاق) أي ان أمرهم محصور في المعاندة والمشاقة أي الايذاء والايقاع في المشقة بتحري الخلاف والتعصب لما يفصلهم ويبينهم من غيرهم دون مايقربهم منهم ويصلهم بهم (فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم) أي يكفيك ايذاءهم ومكرهم السيء ويؤيد دعوتك ، وينصر أمتك ، فهذا الوعد بالكفاية عام للمؤمنين وان كان الخطاب خاصا فان أهل الكتاب وغيرهم ماشاقوا النبي لذاته وما كان لهم حظ في مقاومة شخصه ، فالايذاء كان متوجها اليه من حيث هو نبي يدعو الى دين غير ما كانوا عليه . وقد انجز الله وعده للنبي والمؤمنين عند ما كانوا على ذلك الايمان وكان الناس يقاومونهم لاجله فلما انحرفوا عنه خرجوا عن الوعد ولو عادوا لعاد الله عليهم بالكفاية والنصر «ولينصرنّ اللهُ من ينصره ان الله لقوي عزيز»

(صبغة الله) أي ان الايمان على الوجه السابق هو ماصبغ الله به أنبياءه ورسله والمؤمنين من عباده على سنة الفطرة فلا دخل فيه للتقاليد الوضعية ولا لآراء الرؤساء وأهواء الزعماء وانما هو من الله تعالى بلا واسطة متوسط ولا صنع صانع (ومن أحسن من الله صبغة) أي لا أحسن من صبغته فهي جماع الخير الذي يؤلف بين الشعوب والقبائل ويزكي النفوس ويطهر العقول والقلوب ، وأما ما أضافه أهل الكتاب الى الدين من آراء أحبارهم ورهبانهم فهو من الصنعة الانسانية ، والصبغة البشرية ، قد جعل الدين الواحد مذاهب متفرقة مفرقه ، والامة الواحدة شيعا متنافرة متمزقة ، (ونحن له) وحده (عابدون) فلا نتخذ أحبارنا وعلماءنا أربابا يزيدون في ديننا وينقصون ، ويحلون لنا بآرائهم ويحرمون ،

جزائرها مائة ألف وعشرين ألفا (أي من العمال) معهم الطور والمساحي والاداة يعتقبون ذلك لا يدعون ذلك صيفا ولا شتاء . ثم كتب اليه عمر ان تختم في رقاب أهل الذمة بالرصاص ويظهروا مناطقهم ويجزوا نواصيهم ويركبوا على الاكف (جمع أكاف وهو البردعة) عرضاً ولا يضربوا الجزية الا على من جرت عليه المواسي ولا يضربوا على النساء ولا على الولدان ولا يتشبهوا بالمسلمين

فانظر أيها العاقل الى هذا الكتاب وقابله بكتاب عمر الذي يوصي فيه عمرو بن العاص بأهل الذمة هل تجد بينهما التئاماً بالوجهة ؟ أم بينهما من البون البعيد ما بين الحق والباطل . وقد أوضحنا في الجزء الثاني ضعف أمثال هذه الاخبار بما فيه الكفاية وانما عدنا اليها الآن لامر ظهر لنا بعد البحث والروية : وهو ان واضعي هذه الاخبار انما ألجأهم لوضعها أمران

الامر الاول ان الشؤون الادارية وأهمها دواوين الخراج كانت تناط في أكثر الاوقات بأهل الذمة بل استمرت تكتب بلغتهم أيضا الى عهد عبد الملك بن مروان فكانوا يستطيلون احياناً على رجال الدولة وأهل المكانة وربما تحرج منهم أحيانا بعض الفقهاء فوضعوا لهم أمثال تلك الاخبار تنقيصا لهم وحطا من مكانتهم عند الخلفاء والملوك وابعادا لهم عن مناصب الدولة وانما ألجأهم الى نسبة هذه الاخبار الى عمر كونه كان رضي الله عنه قدوة فيما لم يرد بخصوصه شيء في الشرع وهذا بلا ريب يعد من أولئك الوضاعين تناهيا في ضعف الرأي لاسيما اذ علموا باحوال اهل التقى والعدل من الخلفاء ومعاملتهم الجميلة لاهل الذمة كعمر ابن عبد العزيز ومن حذا في ذلك حذوه من الخلفاء وبالاخص الخلفاء من

مقاصد عمر (رض) التي هي مقاصد الشرع الاسلامي الذي جاء للتأليف بين القلوب وعدم استحيائهم من جمع المتناقضات من الاخبار ونقلهم الموضوعات منها بلا تمحيص لصحيحها من كاذبها وبدون تروٍّ في النافع والضار منها

كتبنا في الجزء الثاني فصلا عن أهل الذمة نقلنا فيه رواية لابن الجوزي في ان عمر تقدم الى أحد عماله بختم رقاب أهل الذمة بالرصاص(١) وأبنا ثمة وجه الضعف في هذا الخبر وعجبنا من مثل ابن الجوزي كيف ينقل مثل ذلك الخبر مع انه ليس في الدرجة التي تؤلم النفس اذ لو صح لحمل على قصد سياسي أو اداري على تعبير المتأخرين يراد به ضبط احصاء أهل الجزية من الذميين لا امتهانهم اقتداء بالدول الفاتحة قبل الاسلام كالرومان والفرس الذين ثبت انهم كانوا يضربون على الرعية الجزية وربما كانت هذه العادة متبعة عندهم في احصاء أهل الجزية وقد زاد عجبنا اضعافاً الآن اذ رأينا هذا الخبر في الخطط نقله صاحبها المقريزي عن ابن عبد الحكم بزيادة أحر بها ان تكون محض افتراء على عمر بن الخطاب رضي الله عنه واذ قلنا بوهن الرواية الاولى في جانب العقل وهي لأحد حفاظ الحديث فما أحرانا بتكذيب الرواية الثانية . واليكها بنصها مع الزيادة التي أوردها المقريزي قال :

كان عمرو بن العاص يبعث الى عمر بالجزية بعد حبس ما كان يحتاج اليه وكانت فريضة مصر لحفر خلجها واقامة جسورها وبناء قناطرها وقطع

---

(١) المراد بختم رقاب أهل الذمة بالرصاص هو حمل طوق فيه علامة من الرصاص كما في بعض التواريخ

مقدمة لاستباحة امتهانهم ثم إجهادهم بالضرائب يدلك عليه ما حدث في عهد المروانيين من الاجتراء على استزادة الخراج والجزية في مصر وغيرها من غير حقها كما ستراه مبسوطاً في محله ان شاء الله

على ان سيرة الصحابة ورجال الفتح في الصدر الاول مع أهل الذمة وحدها كافية لدحض أمثال تلك الاقوال الواهية حتي انهم افتتحوا بحسن السيرة وجميل المجاورة والمعاملة ما لا يقوى عليه الحسام، ويخرج عن طوق عددهم القليل بالنسبة لبقية الاقوام[1] وحسبك من أدبهم مع أهل الذمة من الكتابيين ان ما روى عنهم من اخبار الحروب مع الروم لم يستعملوا فيه لفظ الكافرين والمشركين البتة مع انهم كانوا يعبرون عن مجوس الفرس ووثنيي العرب قبل الاسلام بالمشركين ويقولون عن أولئك: الروم: والقبط: مثلا كانهزام الروم. وقاتل القبط ونحوه. يؤيد هذا كتب

(١) قد كان المسلمون كلهم كعمر من حيث العمل بمراعاة أهل الذمة ولزوم تجنب ايذائهم بالقول أو الفعل خصوصا عماله يدلك عليه ما ذكره في سراج الملوك في حكاية طويلة لا محل لذكرها هنا وخلاصتها ان عمير بن سعد عامل عمر على حمص وفد عليه مرة فسأله عن أشياء ثم قال له عد الى عملك فقال عمير أنشدك الله ان لا تردني الى عملي فاني لم أسلم منه حتى قلت لذمي: أخزاك الله: ولقد خشيت ان يخصمني له محمد صلى الله عليه وسلم ولقد سمعته يقول (انا حجيج المظلوم فمن حاججته حججته) ولكن ائذن لي الى أهلي: فاذن له فاتى أهله الخ الحكاية

فاذا كان مثل عمير بن سعد يستعفي من عمله لكلمة قالها لذمي وخاف ان يخصمه رسول الله عليها لانه قال «من ظلم ذميا فانا خصمه يوم القيمة» فهل يسوغ العقل ان يؤذي عمر وعماله الذميين بمثل جز النواصي والركوب على الاكف ونحو ذلك من أنواع الايذاء الذي لا شيء بالنسبة اليه قول عمير للذمي: اخزاك الله:

فاللهم انا نبرأ اليك مما كتبه الوضاعون وأخذ به الفقهاء على غير روية ولا تحكيم للعقل

بني العباس الذين كان أكثرهم متفقها في الدين واقفا على اخبار السلف كالمنصور والمهدي والرشيد والمأمون وامثالهم ممن أتى بعدهم فكانوا يوسدون كثيراً من شؤون الدولة الى أهل الذمة ويقربونهم منهم لاسيما الاطباء والكتاب بلا أدنى تحرج في الدين وأي حرج في الدين يمنع من محاسنة الذميين وعدم ايذائهم بمثل ذلك الامتهان المشين من كلام لوضاعين ومن وقف على اخبار ماسويه وحنين بن اسحق واضرابهما مع المأمون والمتوكل يعلم هذا . وكذلك كان حالهم مع خلفاء الفاطميين في مصر فكان القبط أرباب الكلمة العليا عند الخلفاء وكانوا كما نقل المقريزي يتولون دواوين الخراج ويركبون البغال الفارهة ويتصرفون باموال الدولة بل بلغ بالخلفاء ان كانوا يعطون القاب التشريف الخاصة بالعلماء والملوك وهي الالقاب المضافة الى الدين للاطباء والكتبة من النصارى واليهود وما نذكره من هؤلاء (الشيخ موفق الدين ابن البوري الكاتب النصراني) والحكيم (موفق الدين بن المطران) وغيرهما ممن لم تحضرني أسماؤهم الآن :

هذا هو السبب الاول واما السبب الثاني لوضع تلك الاخبار فمنشأوه نزوع بعض الامراء الى اجهاد الرعية من مسلمين وذميين بالضرائب ونكث عهود هؤلاء القديمة ولما لم يرو في الشريعة مخرجا لهم يتوصلون به الى الاستبداد بالرعية وتحميل الذمي فوق ماحدده الشرع من الخراج والجزية كما حملوا المسلم لاسيما والاخبار النبوية آمرة بالوفاء معهم بالعهد والمحافظة على ما لهم من حقوق الذمة والجوار وانهم أهل ذمة الله وذمة رسوله ـ مهدوا لاغراضهم السبيل بالايعاز الى بعض مقربيهم بوضع مثل ذلك الخبر

البشر بعضهم لبعض ولكن ما الحيلة والانسان مهما ترقت مداركه وسمى عقله فانه لا يزال يتقاصر دون الوصول الى مرتبة العلم الكامل الذي يجعل البشر كلهم بالاضافة الى وجوب التعاون والاجتماع سواء، وان اختلفوا فى المذاهب والاهواء، اذ كل امرئ مسؤول عن اعتقاده عند الله. وانه سبحانه يبين آياته للناس فمن اهتدى فلنفسه ومن ضلّ فعليها. ولكن: انها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي فى الصدور : اه

باب شبهات النصارى وحجج الاسلام

سوريا والاسلام

سوريا في حاجة شديدة الى اتفاق عناصرها لاسيما المسلمون والنصارى فاذا لم يتفقوا فلا عمران في سوريا ولا حياة . المسلم في سوريا محتاج الى مسالمة النصراني وربما كان هذا أحوج منه الى هذه المسالمة ، النصارى في سوريا أجدر من المسلمين بالسعي في الوفاق والمسالمة لانهم سبقوهم الى العلم فكان يجب ان يسبقوهم باحساس حاجة بعضهم الى بعض ، ولأن الحاجة اذا لم تكن متساوية فى الفريقين فالاضعف يكون هو الاحوج كما أشرنا اليه آنفا . وهذا ما آنسته من أكثر فضلاء النصارى الذين ذاكرتهم في المسائل الاجتماعية

نرى عقلاء المسلمين وطلاب الاصلاح فيهم يكتبون فى صحفهم ومؤلفاتهم مايقنع المسلمين بأن دينهم يرشدهم الى محاسنة أهل الكتاب ومسالمتهم ويفرض عليهم مساواتهم في الحقوق ويحرم عليهم ايذاءهم ويخص النصارى بأنهم أقرب مودة الى المسلمين من غيرهم ، وبأن مصلحة البلاد تقضي مع ذلك باتفاقهم في الاعمال الدنيوية وتعاونهم في الكسب . الى غير ذلك من الارشاد . وبينا نحن نطبع تاريخ رفيق بك العظم وفيه ما رأيت (في النبذة السابقة) من الكلام الحسن فى أهل الذمة اذا نحن بجريدة (المناظر) تردعلينا بمقالات غريبة عن موضوعها عنوانها (سوريا والاسلام) ينفث فيها صاحبها من سموم التعصب الاعمى والقدح في الاسلام والمسلمين ما يحول دون

التاريخ التي نقلت الينا أخبار افتتح بالرواية كالطبري وأشباهه، ولو فرض وجود شيء من تلك الالفاظ فيها فانه نزر يسير وهو من حشو النساخ واما كتب المتأخرين او المقلدين فان أصحابها لم يراعوا فيها ماراعاه السلف من الادب وحسن الاداء لما وقر فى نفوسهم من التعصب الذي حدث فى القرون الوسطى ولم يكن له أثر في النفوس فى صدر الاسلام لعلم أهل ذلك الصدر ان الاسلام جاء للتأليف والوئام، لا للتفريق بين الاقوام، وان اختلاف الاديان لا يوجب الفرقة والخصام، لقوله تعالى « لكم دينكم ولي دين » ولان القرآن نطق بان أهل الكتاب أقرب مودة للمؤمنين وذلك فى قوله تعالى « ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى . ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون» ولهذا سر رسول الله صلى الله عليه وسلم بانتصارهم على مجوس الفرس كما ذكرنا ذلك في الجزء الثاني فى حكاية هرقل مع الفرس وهي القصة التي جاءت في قوله تعالى « ألم غلبت الروم » الآية فتراجع فى محلها

هذا ماأردنا بسطه ليكون فيه ذكرى للذاكرين وانما أطلنا الكلام فى هذا الباب اظهارا لبراءة عمر (رض) مما عزي اليه وتنبيها لاولى النهى من المسلمين الى ان دينهم يأمر بمحاسنة الذميين وينهى عن مخاشنة الكتابيين وان مرض التعصب الذميم انما طرأت اعراضه على الامة تدريجا سيما على عقب الحروب الصليبية وان من آثار ذلك التعصب القبيح مايلاقيه المسلمون لهذا العهد من ضروب الاهانة والعسف من الدول المسيحية التي حكمت بعض الممالك الاسلامية ولم تراع فى حكم المسلمين حقوق الانسانية ولا الدين بحجة الانتقام للمسيحية، والمسيحية والاسلام يبرآن الى الله من ظلم

إليها الحضارة والمدنيـة في سوريا ومصر ولكن جميـع المؤرخين يصورونها بصورة شنيعة قبيحة، لا سنيعة ولا مليحة، ويقول المتعصبون منهم على الاسلام انه لولا ذلك الفساد في الاخلاق والعقائد والاعمـال ، ولولا ذلك الاستبداد في الاحكام والاستعباد للاقوام ، ولولا تلاشي العلم والمدنية في مصر وفارس والشام ، لما نجحت في هـذه الممالك دعوة الاسلام ، ولما تيسر لتلك الامة الامية ، ان تسود في بضع سنين على جميع أمم القوة والمدنية .

ونحن نقول لهؤلاء نعم ان الاسلام لم ينتصر الا لانه الحق قذف به على الاباطيل، ونور الهدى المشرق في ظلمات الاضاليل .

ونقول لكاتبنا ومؤرخنا الجديد : اذا كان المسلمون على بداوتهم وبعدهم عن العلوم والمعارف والحق والعدالة (بزعمك) قد انتصروا « على التمدن الفينيقي ينشيء المستعمرات على الشطوط الافريقيـة ، والتمدن المصري يفغرفاه ليبتلع سورية . » واصطادوا « النسر الروماني يظلل بجناحيه القارة الاوربية ، والقسم الاعظـم من الاسيوية » فلاشك ان انتصارهم هـذا أعجوبة سماوية ، قد حدثت بمحض العناية الالهية ، ويقول الكاتب ان انتشار النصرانية في بلاد العرب كان السبب الوحيد لتغير حالة البدو وطلبهم المحافظة على حريتهم واستقلالهم فالاسلام لم يظهر إلا بسبب المبادئ النصرانية . ونقول له ان حوادث الزمان التي أعدت العرب لظهور دين المدنية والعلم فيها على أميتها كثيرة فاذا كان منها خوفهم من النصارى المعتدين على استقلالهم كما قال فلا يصح ان تجعل النصرانية هي السبب الوحيد لظهور الاسـلام ولا يقول ذلك لا الغالي في التعصب والتحمس الديني ، وان للحرية نشوة كنشوة الخمـر ، وطغيانا كطغيان الغنى ، وانها لأعظم ثروة وأكبر لذة . فللمتمتع بها أن يقول ويكتب مايلذله ويطيب

(٣) النبي العربي

ذكر الكاتب ههنا ملخصا لتاريخ النبي عليه الصلاة والسلام فقال انه « ولد بين سنة ٥٧٠ و٥٧٨ للمسيح » والصواب انه ولد في نيسان (ابريل) سنة ٥٧١ . وقال ان أباه مات بعد ولادته بشهر والصواب انه مات قبل ولادته ، وقال ان عمه أباطالب سافر به وهو ابن اثنتي عشرة سنة والصواب انه كان ابن تسع سنين . وقال انه بعد

التأليف والتوفيق ويدفع فى صدور طالبي الاصلاح فيردهم على أعقابهم

قلنا ان هذه المقالات غريبة عن موضوع المناظر فان هـذه الجريدة قد سبقت جميع الجرائدالعربية فىالعناية بالدعوة الى الوطنية الصحيحة النافعـة وترك التعصب الذميم الذي يلقي الشقاق بين أهل البلاد حتى يحل بها الدمار ، وتكون طعمة للاغيار ، وقد عجبنا من قبوله لهذه المقالات التي تخالف خطته الحسنة

ماراعي الكاتب المصلحة ولا صـدق التاريخ ، ولكنه اقتبس جذوة من جذي دعاة الحروب الصليبية فألقاها في الامةالتي صوّح التعصب نجمهاوشجرها فصيره هشيما وناهيك بمـا تفعل النار بالهشيم

(١) كلمة جديدة

جاءالكاتب بملخص من سيرة الاسلام وسريرته في (كلمةجديدة) له لا يعرفها الاسلام ولا المسلمون. لا يعرفهاالقرآن ولا السنةالصحيحة، لا يعرفهاالتاريخ ولا الفقه الاسلامي ، ولكن يوشك ان يكون عرفهاأو ادعاها أو مثلها بطرس الراهب أو اعضاء محكمةالتفتيش أوقسوس أسبانيا فى القرن السادس عشر . وقد انصف الكاتب اذ اعترف بان كلمته في الاسـلام جديدة ! نعم انها جديدة لم يقل بها قبله أحد فيما نعرف ولو اردنا ان نبرئ الاسلام ممـا رماه به الكاتب وهو برئ منـه ونبرئ التاريخ ممـا أسنده اليـه بغير رضاه ولا معرفته لمـا بقي من تلك المقالات الطويلة الا رأي الكاتب . فملخص تلك المقالات ان الكاتب يرى أو يحب ان يري قومه أن الاسـلام فى طبيعته والمسلمين خاصتهم وعامتهم منابع للتعصب كذلك كانوا فى ماضيهم ، وكذلك هم في حاضرهم ، وكذلك يكونون في مستقبلهم ، فلا يطمعن المسيحيون في وفاقهم والاتحاد معهم على ترقية سوريا أوغيرها ، ولكن ماذا يعملون بالمسلمين ؟ للكاتب ان يرى ولغـيره ان يقبل أو يرفض ونحن لا يهمنا الا ان نبين الحق وندعو الى الخير والوفاق مااستطعنا . ولا نسمح بكثير من صحائف المنار للرد عليه بل نكتفي بالاشارة فنقول :

(٢) لماذا ظهر الدين الاسلامي

مهد لجواب هـذا السؤال تمهيدا من التاريخ خالف فيه مؤرخي الامم كلها . صور بتمهيده الأمم التي أظلها الاسلام بجناحيه فى أول ظهوره بصور بهية سنية انتهت

وضع الاسلامية لاجل هداية قبائل العرب وردهم عن الوثنية ، أما العقل فيرى انه أبقاها على ما كانت عليه في زمن الجاهلية ، » نعوذ بالله من مكابرة الحس

ثم استدل على ان الاسلامية ليست بملة جديدة ولا شريعة وبان العقل (أي عقله وحده) يحكم بان التاريخ كاذب وبأن محمدا أخذ التوحيد عن النساطرة وأضاف اليه كثيرا من التقاليد والعوائد النصرانية واليهودية ! وقال انه اذا تجرد عن كل غاية (أي الاغاية التعصب الذي يعمي ويصم) فانه يحكم بأن تصوير العقل (أي عقله) هو الحقيقي دون تصوير التاريخ . ولخص الاسلام كله بالتوحيد وقال انه عن النساطرة وكذلك انكار ألوهية المسيح وتعيين أوقات الصلوات الخمس !! وبالختان والغسل قبل الصلاة وقال انهما عن اليهود و بتعدد الزوجات وقال انه عن العرب !! أي فلم يبق في الاسلام شيء من الاسلام ! ! يا أرض اشهدي ويا سماء شاهدي هذا الكاتب البريء من كل غاية الذي يعيب التعصب على المسلمين فيسمي الضياء ظلاما والنهار ليلا لان الشمس طلعت عليهم فغمرهم ضياؤها

ثم قال: ولو ان غاية محمد دينية فقط — لو انها سامية كغايات جميع مؤسسي الاديان لوضع التعاليم التي قام يبثها ويبشر بها بالسيف على أسس الاخاء والحب والحرية والمساواة ولما كان عوّل قبل وفاته على الزحف الى سوريا» ثم زعم أن الغاية سياسية وهي حب الرئاسة والسلطة وتفيهق في ذلك بما أملاه عليه احساس التساهل والبراءة من كل غاية !!

أظن ان الذين يكتبون الينا دائما بوجوب استقصاء شبهات النصارى المصوبة الى الاسلام من كل صوب لا يسمحون لي بأن أبين خطأ كل كلمة من هذا الكلام لانه ليس من قبيل الشبهات وانما هو على حد : الشمس مظلمة والسماء تحتنا والارض فوقنا: لكنني أستأذنهم بأن أسأل الكاتب المنصف : لماذا لم يذكر في مؤسسي الشرائع موسى مع ان شريعته هي شريعة المسيح الذي يعبده وفيها قال المسيح كما تروي أناجيله « ماجئت لانقض الناموس » وهذا الناموس هو بعينه الذي يأمر بافناء جميع الذكور من المحاربين واغتنام النساء والاولاد من أهل المدن البعيدة ويأمر بابادة الشعوب القريبة كبارا وصغارا رجالا ونساء كما في سفر تثنية الاشتراع من توراتهم (٢٠ : ١٠ — ١٦) فهل ينكر التوراة وموسى لاجل الطعن بمحمد ؟ واذا هو فعل هذا فمن أين يأتي بشبهة على ألوهية المسيح أو على نبوته والعقل الذي يحكمه لا يتصور ان يكون بشر إلها خالقا

ذلك كان يسافر الى الشام من وقت الى آخر والصواب انه ماسافر بعد ذلك الا مرة واحدة مع ميسرة غلام خديجة ، وقال انه تزوج خديجة (سنة ٥٩٥) حين بلغ العشرين.والصواب انه تزوج بها وله خمس وعشرون سنة وشهران وأياما قيل عشرة وقيل خمسة عشر . وكل هذه الاغلاط في سطور لاتكوّن صفحة واحدة من المنار. ومن الاختصار الذي أشرنااليه ان لانستقصي أمثال هذه الاغلاط التاريخية وإنما نعني بالآراء والنتائج الجوهرية ومنها في هذه النبذة اشارة الكاتب الى ان ماجاء في القرآن من الكلام فى المسيح واثبات ان مريم ولدت بشراً لا الهاً قد أخذه النبي من النساطرة اذ عرج به عمه على ديرهم في سفره به الى الشام ، وقد علم القارىء أنه كان يومئذ في التاسعة من عمره فلا عجب عند كاتبنا ان يحفظ ابن تسع بعض كلام الرهبان ويسره فى نفسه زيادة عن ثلاثين سنة لاينطق به في صباه ولا في شبابه ثم يبني عليه دينا عظيما !!! ان هذا الاستدلال يشبه ماقاله بعض الظرفاء من كتاب المحاكم فى قصيدة نظمها شاعر بليغ : انه سرق قصيدته مني لانه جاء فيها :

سليل بني الزهرا ولله نسخة لقد قوبلت بالاصل في اللفظ والفحوى

(قال) فاننا نكتب على ما نبيضه من الصحف انه قوبل بالاصل ! ! : أو يشبه قول بعض ملاحدة أوربا ان مواعظ الانجيل الحسنة مأخوذة من حكم كونفشيوس الصيني وبعض فلاسفة اليونان واورد أمثلة في ذلك منها الامر بان يعامل المرء الناس بما يحب ان يعاملوه به فانها مأثورة عن كونفشيوس

ومن الخطأ العظيم قول الكاتب ان الاسلام ثبت فى البادية بالسيف وان النبي أجبر اليهود والنصارى على الاسلام . كيف والله تعالى يقول فيه « وما أنت عليهم بجبار» ويقول «لا اكراه في الدين» وأما الحرب فقد كانت بعد قوة الاسلام وانتشاره بالدعوة لمدافعة المعتدين على أهله والمهددين لدعوته وسنبين هذا بمقال مسهب فى فرصة أخرى

(٤) أمؤسس شريعة أم مؤسس مملكة

قال الكاتب فى جملته الرابعة التي رأيت عنوانها : « لقد صور لنا التاريخ محمدا نبياً ومؤسس شريعة اما العقل فيصوره سلطانا ومؤسس مملكة ، لانه لايرى فيه غير صورة مؤسسي الدول والممالك وليس صورة بوذه وكونفشيوس والمسيح . التاريخ ري

تأييد علماء الآفاق لفتوى بحل طعام الكتابي ولباسه

نشرنا في الجزء الرابع والعشرين من السنة الماضية مقالين في ذلك لعالمين من علماء المغرب الادنى (تونس) والمغرب الاقصى (مراكش) وذكرنا فى مقدمتهما اننا رأينا فى الجرائد الهندية مقالات فى الموضوع وعلمنا ان بعض القراء يودون لو يعرب شيء منها للمنار ولكننا نعتذر لهم بأن الاكثرين قد اكتفوا بما كتبناه فى المسألة وأهل المشرق (الهند وغيرها) كأهل المغرب مقتنعون بما قلناه ومؤيدون له ولكننا نذكر المقدمة الوجيزة التي افتتحت الكلام بها فى الموضوع جريدة المسلمين في (عليكده) منبع الحياة العلمية وموطن النهضة الاسلامية فى الهند فقد جاء في العدد الصادر من تلك الجريدة في ٨ فبراير سنة ١٩٠٤ ما تعريبه :

(هل ولد السيد أحمد خان ثانية في مصر وظهرت جريدته (تهذيب الاخلاق) بشكل المنار)

ان الله قد وهب للمرحوم السيد احمد خان طبعا سليما ودماغا عجيبا ، فبينا العلماء الاعلام والفقهاء الكرام يشتغلون عامة بوسائل التقليد وطرقه وينهمكون فى البحث بعبارات أمثالهم كان السيد يبحث في أصول الدين ومقاصده بحث المجتهد المحقق ، وانبرى بهمة (أسدية) قوية لاظهار الاسلام بصورته الاصلية الاولى بنزع لباس التقليد عنه ، وازاله شوائبه منه ، اذ كان شيوخ الملة المقيدين بقيود التعصبات والاوهام قد جعلوا أحكام الحنيفية السمحة البريئة من الحرج فى غاية الضيق والشدة وحكموا فيها الرسوم والعادات فجعلوها مذهبا وشريعة . عني السيد بتحقيق العقائد والاحكام وبيان الحق ولم يخف فى مخالفة الجمهور لومة لائم ففصل بين العادة والعبادة . وبين الرسوم الموضوعة والاحكام المشروعة ، ليخرج المسلمين من تلك الاوهام ، ويعودبهم الى أصل الاسلام . ولما أنشأ يطبع تحقيقاته وينشرها علت الجلبة والضوضاء ، وصاح مع العامة العلماء والفقهاء ، : قد كفر قد كفر : وطلبوا من الحرمين الشريفين الفتوى بتكفير السيد والغالب انه لم يكن فى ذلك الوقت أحد من المسلمين فى الهند الا وهو ينظر الى أفكار السيد وتصوراته بعين الحيرة والتعجب

لعل أكثر الناس يتذكرون ذلك الزمان الذي أجاز السيد فيه لباس الانكليز وأباح الاكل معهم وقال ان اللباس ليس من الامور الدينية بل من الرسوم والعادات

لمن كانوا قبل ولادته ولمن يكونون بعد موته !!! فحجته انما تقوم على صحة دين بوذه فقط

ان مسألة الطعن فى الاسلام لمشروعية الجهاد فيه مسألة سياسية . وقد بينا في المنار غير مرة ان الجهاد في الاسلام ماشرع الا للمدافعة عن الحق وأهله وتأمين الدعوة وحرية الاعتقاد. وقد نشرت جريدة المناظر الغراء في ذلك ما كتبه امامنا الحكيم في مقالات (الاسلام والنصرانية) ولكن شره الكاتب على الطعن فى الاسلام ينسيه مايقرأ أو يحمله على رفضه والاكتفاء بما يصوره له تعصبه فقط . ولولا السياسة لما أكثروا من ذم الاسلام بالجهاد وكتابهم التوراة يحكم بما تقدم آنفا وتؤيد ذلك أناجيلهم برواتها عن المسيح انه قال « لاتظنوا اني جئت لألقي سلاما على الارض ماجئت لالقي سلاما بل سيفا » (متى ١٠ — ٣٤) وقال « أما اعدائي الذين لم يريدوا ان أملك عليهم فأتوا بهم الى هنا واذبحوهم قدامي » (لوقا ١٩ — ٢٧) وهو صريح في ان المسيح طالب ملك وانه يبيح دم من لايقبلون ملكه عليهم. ثم ان تاريخهم ملطخ بالدماء لاجل الاكراه على الدين . و آية الجهاد فى القرآن هي « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا » الخ ولعلنا نفي بوعدنا بتفصيل القول فى تخطئة قول الذين يدعون ان الاسلام قام بالسيف وان الجهاد فيه مطلوب لذاته

ثم انتقل من الاستدلال بالوهم والتخيل الى الاستدلال بشيء له أصل في التاريخ ولكنه لا يدل على ما استدل به عليه . استدل على كون غاية محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) سياسية بتنازع الصحابة على الخلافة ويصح لنا ان نحتج بهذا على نقيض زعمه وهو انه لو كان الغرض من الاسلام تأسيس الملك لوضع المؤسس قاعدة للحكومة وجعل الملك فى أسباطه وأبنائهم ولكنه فوض ذلك الى الامة بعد بيان الاصول التي لا يضل متبعها ما اتبعها كقاعدة (الشورى) ومنع الخروج على الامير ، ولو أوصى بالملك لذريته لما نازعهم أحد . وأمر الملك دنيوي مبني على القوة والعصبية . ولما اتسعت فتوحات الاسلام ودخل الناس فى الدين أفواجا أمكن لمثل معاوية ان يتخذ لنفسه عصبية فى الشام ورأى انه أهل لهذه السلطة فتصدى لها وكان من الواجب على أمير المؤمنين ان يقاومه ويحاربه عند عدم الخضوع لئلا تتفرق الكلمة ، فهل يقول عاقل بان طمع معاوية فى السلطة والملك يكون دليلا على ان محمداً (عليه الصلاة والسلام) كان طالب ملك وهو الذي كان يعيش عيشة المساكين ويفيض بجميع مايملك على الناس ويقيد من نفسه (أي يمكن الناس من القصاص منه) ولا ينتقم لها الخ الخ ؟ ؟ (للرد بقية)

جاز لبعض الناس هـذا العهد القول بحرمة لبس البرنيطة على المسلم مع ان حرمتها على ما اعتقد يقتضي ان يكون الاسلام بالزي لا بالعمل أو بكليهما معاً واذا كان ذلك كذلك فاسلام من أسلم من أهل أمريكا وانكلترا غير صحيح مالم يغيروا أزياءهم وهذا من الاشكال في الدرجة القصوى كما لايخفى على بصير اذ ربما كان ذلك مدعاة لعدم انتشار الاسلام بين الاقوام الذين تقضي عوائدهم بعدم التخلي عن لبس البرنيطة وماشابهها

وأمر آخر وهو انا نرى عشرات الملايين من المسلمين يلبسون لباس الافرنج (البنطلون) فاذا صح قولهم بعدم جواز هـذا اللبس وان الاسلام بالازياء أو بالازياء والاعمـال فمـا حكم هؤلاء ؟ هل يعتبرهم القائلون بهذا مرتدين مع ان المسلمين لم يكونوا يذكرون ذلك في دعوتهم الى الاسلام بل كانوا يكتفون بالشهادتين فيه وورد في الحديث « من قال لااله الاالله فقد عصم مني ماله ودمه الابحقه وحسابه على الله » وهؤلاء المسلمون الذين يلبسون البنطلون يقولون لااله الا الله ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة . فمـا رأيكم في هذا كله؟ نرجو الجواب، ولكم الثواب.

(ج) لايوجد دليل في الكتاب ولافي السنة ولافي أقوال الائمة على اشتراط زي مخصوص للمسلم بل هناك أدلة على عدم الاشتراط كما رأيتم في المقالات التي نشرناها في الموضوع والذين قالوا ماقالوا في منافاة لبس قلانس النصارى (البراطل أو البرانيط) للاسلام لايعرفون من الاسلام الاالتقاليد العامة التي يعرفها الحوذي . قلتم ان الذين أسلموا في الصدر الأول لم يشترط عليهم تغيير أزيائهم ونزيدكم على هذا ان الصحابة كانوا يلبسون الثياب التي يغنمونها من المشركين والمجوس وأهـل الكتاب بل النبي صلى الله عليه وآله وسلم لبس من لبوسهم أيضا كما ذكرنا من قبل . ولو أراد الله ان يتعبدنا بزي مخصوص لاختار زيا والزمنا به فان لم يكن الزي الاسلامي مخترعا جديدا من الشارع فموافقته لزي أهل الكتاب أولى من موافقته لأزياء المشركين لان الاسلام يفضل الكتابي الرومي أو الروسي على المشرك الهـاشمي القرشي. هذا وان المسلمين لم يلتزموا زيا واحدا في عصر من الاعصار فأي ازيائهـم كان زي الدين ، وأيها كان زي الكافرين او المرتدين.

وما ذكرتم من مفاسد جعل الزي داخلا في مفهوم الاسلام صحيح واهمه امتناع

ولم يحكم الشرع بالتزام زي يختص به المسلمون وأما الاكل فهو حل بنص الآية القرآنية ، ويتذكرون كيف هب العلماء للرد عليه واستدلوا بحديث « من تشبه بقوم فهو منهم » وكفروا السيد . ولكن الاقوال التي قالها السيد منذ ثلاثين سنة يقولها الآن أشهر العلماء في الممالك الاسلامية ، والافكار التي أظهرها السيد في الماضي يظهرها في هذا الوقت مفتي الديار المصرية بالحرية التامة و « النظافة » ونحن الآن نترجم الفتوى بحل طعام أهل الكتاب ولباسهم ولكن لاندري ماذا يقول الناس في هذا — اتفاق الحاضر مع الماضي — فان كان المسلمون قائلين بالتناسخ فليقولوا ضرورة بان السيد قد ولد (ثانية) في مصر وظهرت جريدته (تهذيب الاخلاق) في شكل (المنار) » اه المقدمة

(المنار) لتعتبر الجريدة المحدثة بأقوال علماء المسلمين في مشارق الارض ومغاربها فان كانت كتبت ما كتبته من الطعن في الفتوى عن جهل وكانت تريد باستنجاد مسلمي الآفاق بيان الحق فهاهم أولاء قد أيدوا الفتوى فعليها ان تعترف بخطئها وتتوب الى ربها . ويا ليت أصحاب الجمود ودعاة التأخير يعلمون ان الاستاذ الامام وحزبه هم الذين يخدمون الاسلام والمسلمين في هذه البلاد دون سواهم وأن عقلاء المسلمين في جميع الاقطار معهم ومؤيدون لدعوتهم ومرتبطون معهم بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها والله سميع عليم . فلا يغتر حزب التأخير بمال فلان الغني وجاه فلان الامير ، فان الحق يعلو ولا يعلى وان حزب الله هم الغالبون .

﴿ باب السؤال والفتوى ﴾

(س ١) الزي والدين . ر ٠ ع : بالقاهره

ان بعض الكتابيين من أهل انكلترا وأمريكا أسلموا ولم يغيروا زيهم في اللباس (كالبرنيطة والبنطلون) فهل يصح اسلامهم أم لا ؟ فان قلتم لا يصح فهل من دليل نقلي على ذلك اذ ما نعلمه من التاريخ ان الشعوب التي أسلم منها من أسلم في العصور الاولى ما كان يشترط في اسلامهم تغيير الزي وما كانو يلبسون لباسا مخصوصاً بأهل الاسلام . وان قلتم يصح اسلامهم ويقرون على لبس البرنيطة والبنطلون فكيف

حكمهم فاذا صح انا ان نجامل من نحكمهم عملا بمكارم الاخلاق التي هي أساس ديننا أفلا يصح اذا ان نجامل من يحكموننا من غيرنا ونحن أحوج الى مجاملتهم لاجل مصالحنا كما اننا نرى أنفسنا أحق منهم بمكارم الاخلاق ؟

وكأني بمتعصب يقول : قال ابن بطال « انما تشرع عيادة المشرك اذا رجي ان يجيب الى الاسلام » وأقول أولا ان كلامه في العيادة المشروعة أي المطلوبة شرعا ونحن نتكلم في العادات المباحة وثانيا ان الحديث السابق لايدل على الاشتراط وقد أورد الحافظ ابن حجر كلامه في شرح البخاري ثم قال « والذي يظهر ان ذلك يختلف باختلاف المقاصد فقد يقع بعيادته مصلحة أخرى » وظاهر ان مصالح أهل الوطن الواحد مرتبطة بمجاملة أهله بعضهم بعضاً وان الذي يسيء معاملة الناس يمقته الناس فتفوته جميع المصالح لاسيما اذا كان ضعيفا وهم أقوياء . واذا أسند سوء المعاملة الى الدين يكون ذلك أكبر مطعن في الدين . فلك أيها السائل ولغيرك من المسلمين ان تزوروا النصارى في أعيادهم وتعاملوهم بمكارم الاخلاق أحسن مما يعاملونكم ولا تعدوا هذا من باب الضرورة فانه مطلوب لذاته مع حسن النية واتقاء مشاركتهم في المحرمات كشرب الخمر مثلا والله أعلم وأحكم

﴿ صوم يوم عرفة ﴾

(س٣) ومنه : هل وردت أحاديث صحيحة في صوم يوم عرفة ولماذا يصومه المؤمنون ؟

(ج) ورد في حديث أبي قتادة عند البخاري وغيره مايدل على استحباب صوم يوم عرفة ووردت أحاديث أخرى في النهي عن صومه أصحها حديث عقبة بن عامر عند أحمد وأبي داود والترمذي وصححه وغيرهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يوم عرفة ويوم النحر وأيام التشريق عيدنا أهل الاسلام وهي أيام أكل وشرب » وورد النهي عنه للحاجّ بخصوصه وعللوه بأنه يضعفه عن الاذكار المشروعة في ذلك اليوم للواقف بعرفات وحمل أكثر العلماء حديث أبي قتادة على هذا التخصيص وقالوا انه يستحب صومه لغير الحاجّ وقال بعضهم يستحب افطاره . فاما علة الافطار فلكونه ملحقا بأيام العيد وأما علة الصوم عند القائل به فلعلها مشاركة الحجاج بالعناية بالعبادة الممكنة في ذلك اليوم فيصوم غير الحاجّ ويكثر من التكبير فيكون ذلك مذكراً له بعبادة الحج ومشوقا اليها حتى تتيسر له ان شاء الله تعالى

من يصعب عليهم تغيير ازيائهم من قبوله ، وأقول ان كل امة من الامم التي تعقل تهزأ بدين يجعل الزي ركنا من أركانه أوعملا من أعماله فلو قيل لاهل أوربا أو أمريكاان الاسلام يشترط ان يلبس الداخل فيه (فرجية) واسعة الاكمام وجبة طويلة الاذيال وحذاء أصفر يظهر منه معظم الرجل : لقالوا انهذا دين لايليق الابالكسالى والبطالين من أهل البلاد الحارة وما قاربها ولا ينبغي لاهل العمل والنشاط ولا يرضى به ذوعقل ولا ذوق

اماحديث « من تشبه بقوم فهومنهم » فهو غيرصحيح ولوصح لما أفادالمشاغبين فى مسألة الزي فان معناه أن من تكلف ان يكون شبيها بقوم فانه يلتحق بطبقتهم فان تشبه بالكرام فى أخلاقهم وأعمالهم عدمنهم وان كان متكلفا والعكس بالعكس . ومثل هذا التشبه لايحصل الابتكلف السجايا الخاصة بالقوم فان من يلبس لباس الشجعان أو الاسخياء لايعد منهم ، فالحديث إذن في معنى قول الشاعر الذي اقتبسه :

فتشبهوا ان لم تكونوا مثلهم ان التشبه بالكرام فلاح

زيارة المسلم لغير المسلمين

(س٢) ح ٠ ح فى الجبل الاسود : معلوم عند جنابكم اننا تحت تصرف حكومة نصرانية وان النصاري يزوروننا يوم عيدنا للتهنئة بالعيد ويطلبون منا مثل هذه الزيارة في أعيادهم فهل نحن معذورون اذازرناهم أم لا ؟ :

(ج) ثبت فى الحديث الصحيح عند أحمد والبخاري وغيرهما ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم عاد غلاما يهوديا كان يخدمه قبل مرضه . وقد استكبر الغلام وأبوه الفقير هذه العناية ودعا النبي الغلام الى الاسلام فقال له أبوه : أطع أبا القاسم : فأسلم والحديث يدل على مشروعية الابتداء بالزيارة . قال الماوردي : عيادة الذمي جائزة والقربة موقوفة على نوع حرمة تقترن بها من جوار اوقرابة : أي ان العيادة في المرض ومثلها الزيارة جائزة ولكنها لاتكون عبادة يتقرب بها إلى الله الا اذا اقترن بها شيء مما هو مطلوب في الشرع كحرمة الجوار والقرابة . وحسبك ان تكون الزيارة فى العيد وغيره مباحة على ان القواعد الاسلامية ترشدنا الى ان حسن النية فى الاعمال المباحة تلحقها بالعبادات

هذا وأنت تعرف الفرق بين الذمي الداخل في حكمنا وبين من نحن داخلون في

المودع والعمال المستخدمون في المصلحة والحكومة فلا يظلم احدهم الآخر فالارجح ان ما قالوه ليس من الحيل الشرعية وانما هو من قبيل الشركة الصحيحة . من قوم المال ، ومن آخرين الاستغلال ، فلا مانع إذن في راينا من العمل بتعديلهم على ان العبرة في نظر الفقه بالعقد ولذلك يحتال بعض علماء الرسوم في الربا الحقيقي فيأ كلونه بلا عقد ويقولون ان ذلك من قبيل البيوع الفاسدة وهي صغيرة او مكروهة وهذا شيء لا يحل ولا نقول به . والحاصل ان المسألة قد احلوها من طريق الفقه الظاهر والباحث في الفقه الحقيقي وهو حكمة الشرع وسره لا يرى ما ينافي حلها بناء على ما تقدم والتضييق في التعامل يفقر الامة ويضعفها ويجعلها مسودة للامم والله أعلم واحكم

القسم العمومي

نظام الحب والبغض

تابع حب القوة

(رابطة المدنية)

(تمهيد) « ما اجتمع اثنان فأ كثر اجتماعا تراد به المصلحة الا احتاجوا في انتظام شملهم وتحصيل مصالحهم الى ناموس إمّا فطري مشوب بشيء من التعليم واما تعليمي مشوب بمقتضيات الفطرة . »

لتحفظ هذه الكلمة فاننا نحسبها أصل الاصول في الاخلاق والشرائع . ولكن لا يحيط بها سريعاً إلا ذهن الذين سبروا تلك الاصول . وسيجدونها عيناً صغيرة تتفجر منها مياه كثيرة . أو عيناً صغيرة تنطبع فيها محسوسات كبيرة . أو مرآة صغيرة تقابلها أشكال متعددة فترى فيها صورها . وأما غيرهم فيناسبهم شرح هذه الكلمة .

فافرضوا ان المجتمعين أربعة : امرآن وامرأتان وافرضوا ان مصلحتهم الاولى من هذا الاجتماع ان يحفروا لهم غاراً ليسكنوا فيه ويأمنوا العوادي من حر وبرد ووحش ويجمعوا أقواتهم فيه

هذا القدر افرضوا فقط فإنكم سترونا نشرح لكم في هذا الاجتماع اجمال كثير مما يدعو علماء الاخلاق والشرائع ان يحثوا فيه . واليكم هذا النموذج من بيان ذلك :

(الاول) مما يلزم لاولئكم قبل مباشرة حفر الغار محبة كل منهم ذاته اذ لو كانوا

﴿ صندوق التوفير في ادارة البريد ﴾

﴿ وبيان حكمة تحريم الربا ﴾

(س ٤) مصطفى افندي رشدي المورلي بنيابة الزقازيق : ماهو رأي سيادتكم في صندوق التوفير بعد تعديله الاخير وهل يجوز الادخار فيه وأخذ ارباحه شرعا ؟ — ولا يخفى على حضرتكم فوائده سيما أنه يربي ملكة الاقتصاد في الانسان وهو مايؤيده الشرع في ذاته . افيدونا آجركم الله :

(ج) ان التعديل الذي تعنونه قد كان برأي لجنة من علماء الازهر جمعها امير البلاد لاجل تطبيق ايداع النقود في الصندوق على قواعد الفقه المعروفة وقد كتبوا في ذلك ماظهر لهم وارساته (المعية) الى الحكومة فعرضته على المفتي وبعد تصديقه عليه امرت بالعمل به . هذا ماشتهر ونحن لم نقف على ماكتبوه فنبدي رأينا فيه ولكننا مع ذلك لانرى بأسا من العمل به لاننا انما ننتقد من الحيل على علماء الظاهر او علماء الرسوم (كما يقول الغزالي) ماينافي مقاصد الشرع الثابتة بالكتاب والسنة كالحيلة في منع الزكاة والحيلة في الربا الحقيقي الذى علل القرآن تحريمه بقوله تعالى « لا تَظلِمون ولا تُظلَمون » والذى فصل بينه وبين التجارة بقوله عز وجل « واحل الله البيع وحرم الربو » فالتعاقد في عمل يفيد الآخذ والمعطي بيع اوتجارة . والذى يفهم سبب تحريمه من قوله تعالى « ياايها الذين آمنوا لاتأكلوا الربو اضعافا مضاعفة » وذلك انه كان في المدينة وغيرها من اليهود والمشركين من يقرض المحتاج بالربا الفاحش كما نعهد من اليهود والخواجات في هذه البلاد وفي ذلك من خراب البيوت مافيه

فالحكمة في تحريم الربا ازالة نحو هذا الظلم والمحافظة على فضيلة التراحم والتعاون او فقل : ان لايستغل الغني حاجة أخيه الفقير اليه (كما قال الاستاذ الامام) وهذا هو المراد بقوله تعالى « فلكم رؤس أموالكم لاتظلمون ولاتظلمون » ولايخفى ان المعاملة التي ينتفع ويربح فيها الآخذ والمعطي والتي لولاها لفاتهما المنفعة معا لاتدخل في هذا التعليل « لاتظلمون ولاتظلمون » لانها ضده على ان المعاملة التي يقصد بها البيع والاتجار لا القرض للحاجة هي من قسم البيع لامن قسم استغلال حاجة المحتاج . ولايخفى ان ادارة البريد هي مصلحة غنية من مصالح الحكومة وانها تستغل المال الذي يودع في صندوق التوفير فينتفع

ان يعرفوا أين يحفرون، وكيف يحفرون، وبم يحفرون، وكم يحفرون.

(السادس) مما يلزم لهؤلاء التعريف. ومعناه: احضار ماوجده العارف بقوة ذهنه بغير واسطة الا الالهام الى ذهن من لم يجد ذلك بواسطة الدلالات على اختلافها. ومن البديهي أن الاذهان مختلفة في قبول الفائضات. ولا يتم العمل اللازم للكثيرين الا بتعليم من علم لمن لم يعلم. ومن ثمة عند ماتكثر اللوازم ويقل العالمون بها يعد تعليمها أو تعليم الوسائل المؤدية اليها عملا عظيما يعادل أكبر عمل من أعمال الموجدين للوازم.

هذا وبينما كان همُّ هؤلاء واحدا، ومصلحتهم واحدة أي تعاونهم في حفر الغار ليأووا اليه اذ حدثت لهم بعد حفر الغار مصالح أخرى منها: حراسة المنزل خشية ان يطرقه طارق من وحش اذا خرجوا جميعاً. ومنها الاشتراك في تحصيل القوت رجاء ان يكونوا باجتماعهم أقوى منهم اذا انفردوا. ومنها التراضي في أمر الوقاع لان في فطرة كل من المرء والمرأة اقتضاء الوقاع وان ترك هذا الامر بلا قاعدة بينهم يتراضون بها يؤدي الى تفرقهم أو تجادلهم أو تذابحهم وهم أشد من في الارض احتياجاً للاجتماع والتآلف والتناصر. فهم في هذه المصالح المتعددة (وهي من أولى المصالح) محتاجون الى تدبيرها. وفي تدبيرها محتاجون على الاقل الى ثلاثة أشياء (١) اقتسام الاعمال. و (٢) نظام العائلة و (٣) نظام التساكن.

فاقتسام الاعمال هو اللازم (السابع) وهو عبارة عن ان يعمل كل واحد عملا يحتاجه الكل على ان يكون له نصيب في عمل الآخر. فمن قام في المنزل حارساً فله حق بما يأتي به من سار للقوت محصلا. ونظام العائلة هو اللازم الثامن. وهو عبارة عن العهد الذي يقيمه المرء مع المرأة على ان يكون كل منهما للآخر زوجاً بشرط كذا وكذا. على مايظهر لهما من المعاهدة. ونظام التساكن هو اللازم التاسع. وهو عبارة عن السبيل الحسن الذي يسير عليه جماعة اقامتهم الحاجة في منزل واحد.

ثم بينما هم في حاجة لافراد آخرين ليتم بهم تعاونهم على مشاق الاعباء التي لايستطيعون وحدهم تحملها لما يصادفهم من الطوارئ الخارجية كغلبة الوحوش والداخلية كالضعف بنحو مرض أو هرم أو قلوب متحدة أو اختلال نظام عائلة أو نظام تساكن حصل نقصهم، وسدت حاجتهم بالأنسال التي أخذت تتزايد في كل عام.

بحيث لايحب كل منهم ذاته لما كانوا ليقدموا على هذا العمل الذى تحصل به لجميعهم مصلحة لكل منهم حصة من فوائدها. ولو كان واحد منهم لايحب ذاته لنكف وحده عن العمل (امتنع او عدل) فيكون الثلاثة قد خسروه وما خسروا الا معينا. ولو نكف اثنان لخسر الآخران معينين ولو نكف ثلاثة لعمت المصائب الأربعة.

فأنتم ترون ان حب الانسان ذاته هو أول مايلزم للمجتمعين. وهو أول مايبحث فيه فلاسفة الاخلاق اذ هو الاصل الاعظم فى صلاح الاخلاق ان صلح، وفى فسادها ان فسد، وهو موجود فى الفطرة ولكن لطروء المرض يحتاج لطب التعليم.

(الثاني) مما يلزم لهؤلاء محبة كل منهم غيره. اذ محبة الغير هي الاصل الاعظم فى تحصيل مصالح الذات وهي الاصل الاعظم في اجتماع المتعددين ولولاها لكان هؤلاء الاربعة متنافرين متناحرين، لامتضافرين متناصرين.

(الثالث) مما يلزم لهؤلاء العدل، ومعناه: اعطاء المرء لغيره عدل ما أعطاه أي شيئاً يعادله. فاذا عمل كل واحد من هؤلاء مثل مايعمل صحبه كان ذلك من دواعي محبة بعضهم بعضاً ومما يوطد اجتماعهم. وأما اذا أراد أحد منهم ان يفضل نفسه عليهم فلا يعمل معهم كما يعملون ويريد أن ينتفع بما عملوا، أوان ينتفع بنصيب هو أكبر من انصبائهم فربما أوجب ان ينقموا منه ذلك لان «بدل الأصل، سبب الوصل، وبدل الفضل، سبب الفصل».

(الرابع) مما يلزم لهؤلاء الاحسان. ومعناه: رضا النفس بايجاد الحسن ولو من غير بدل أو ببدل أقل مما هو عدله. فاذا كان أحد هؤلاء أضعف من الباقين فيحسن بهم ان يحسنوا فيعملوا عمل الاقوياء، ويقبلوا من الضعيف عمل الضعفاء، على انهم في النصيب سواء. وفى الاحسان مباحثات ومحاورات ليس هذا محلها وربما أتينا بها في محل آخر. والذى لاخلاف فيه بين المتمدنين هو ان الاحسان لايجب وجوباً كالعدل بل يحسن بالانسان التحلي به وقد يشتد لزومه في المجتمعين القليلين.

(الخامس) مما يلزم لهؤلاء المعرفة. اذ كل عمل لايكون الا بعلم. فان صلح العلم صلح العمل، وان فسد العلم فسد العمل. ومعنى العلم وجدان الذهن: ماهو الشيء؟ أو كيف هو؟ أو أين هو؟ أو لم هو؟ أو متى هو؟ أو كم هو؟ أو بم هو؟ فيلزم هؤلاء

الرشد والقوة ، سالماً من نواقص الجسد والعقل .

انظروا كم ترون في هذه الحالات من حاجات . كل هذه الحاجات مرت على الانسان . وكل حاقة من هذه الحاق بقيت محفوظة في هذه السلسلة حتى هذا اليوم. وفي هذه الحاجات والمقتضيات كانت تحدث لهؤلاء المجتمعين القليلين صناعات يتبادلونها فيما بينهم . ويغلب في الظن ان صنع آلات الدفاع والهجوم له حظ من التقدم. ويظهر ان أول ماصنع الانسان من هذا القبيل — بعد حفر الغيران التي هي معاقل — هو ترقيق شبا الصلد من الحجارة بواسطة حجارة أخرى حتى يقطع بها ماشاء .

ربما صنعت هذه المدى الصوّانية لامر ثم تبين ان لها نفعاً في أمور أخرى كثيرة . ويظهر انه بها تجز الشظايا من الاشجار على هيئات مختلفة لمقاصد متعددة . فكان لهم من تلك الشظايا مغزل يفتلون به أوبار الحيوانات التي يصطادونها وكان لهم منها منسج يجمعون عليه الخيوط المفتولة حتى تكون كسفاً . وكان لهم منها مخيط يضمون به بعض الكسف الى بعض ليكون لهم من مجموع ذلك أكسية (يستبدلونها بما كانوا يكتسونه من جلود المصيدات من الحيوانات . أو المنسوج من الاعواد ولحاء الاشجار أو بعض الاوراق) وأخبية (يستبدلونها بما كانوا يختبئون فيه من الغيران الطبيعية أو الصناعية) ولا يخفى ان الحاجة كانت هي الدافعة بهم الى استبدال الأكسية والاخبية المنسوجة من الاوبار بالجلود والغيران اذ الجلود ثقيلة مثقلة للحركة ولا تفي بستر البدن على الوجه الكافي . وهذه الاكسية الجديدة — التي شرح وصفها — يتكوّن منها لباس كاف واف بالحاجة . منه الرقيق والصفيق ، ومنه الطويل والقصير ، ومنه الصغير والكبير، واذا تراكمت عليه الاوضار كانت تحيتها متيسرة. وهذه الاخبية الجديدة يتكون منها مأوى كافية وافية بالحاجة للظعن والاقامة . فاذا استوبلوا أرضاً تركوها ونزلوا فيما استطابوا لايحتاجون الى حفر مأوى جديدة.

ومما يغلب في الظن أيضاً انهم شعروا باحتياجهم لادخار زوائد من المكسوبات اللازمة للقوت والكساء والخباء والزينة نعم ان الادخار للمجتمعين لابد منه ليكون بالزوائد المحفوظة غناء يوم لايغني سعيهم في الكسب شيئاً .

وقد سمي الزائد المدخر — في لغتنا — مالا كأن أهل هذا اللسان سموه بهذا [illegible] المشتق لأن النفوس تميل اليه [illegible] فطرة أو بحسب التجربة والاحتياج . وهم [illegible] يحوي مكسوبات زائدة تمول .

(ع • ز)

ولكن هل يوجد خير غير مشوب بما يقابله من ضد ؟ كلا : ان هؤلاء لما أصابهم هذا الخير الذي هو توفر العدد لأعمام العدد أصابهم في مقابلته شر هو توسع الفرق والتفاوت فيما بين افراد المجتمعين، فأصبحوا كثيرين بينهم الضعفاء من صغار ومرضى مثلا وأصبح الاقوياء فيهم منهم عارف بقيمة الحي (وان كان صغيراً فانه يكبر وان كان مريضاً فأنه يصح) ومنهم غير عارف . ومنهم من يحب غيره ومنهم غير محب لغيره . ومنهم عادل ومنهم غير عادل . ومنهم محسن ومنهم غير محسن . ومنهم واف بالعهود ومنهم غير واف، وبالجملة أصبحت تلك الوحدة ممزقة ، وهاتيك الاوضاع متغيرة ، أو ضاق بهم ذلك الوطن الواحد فاضطروا الى تعديد الوطن. وبتعديده انقلب شكل تلك الوحدة . فبينما كانوا أربعة يتفكرون بتدبير مصالح لهم مشتركة باتحاد القلوب وتعادل الاعمال اذ صاروا أربعين مثلا . وبينما كان غار واحد اذ صارت غيران عشرة مثلا . وبينما كان العمال متعادلين صار العمال متفاوتين . وبينما كانوا يضربون في جهة واحدة لتحصيل القوت صاروا يضربون في جهات متعددة . وبينما كانوا يخافون من الوحوش فقط صاروا يخاف بعضهم من بعض لانه وجد بينهم غير العادل وغير الوافي بالعهود ولولا ان وجد هؤلاء لكان مليار من البشر المتناسلين من أولئك المفروضين أولاً على وتيرة واحدة في كل شيء . فلا أريد ملياراً على هذا النحو . ولا مليوناً ولا مائة الف ولا عشرة آلاف ولا الفاً ولا مائة. أريد اثنى عشر انساناً ليس فيهم مخادع .

التفاوت بين البشر أمر طبيعي . أي من جملة سنة الله في خلقه . ومن اقتضاء التفاوت ان يكون التضاد . ومن اقتضاء التضاد ان تكون المنازعات . ومن اقتضاء المنازعات ان يتعاون المتقاربون — في أكثر الاشياء المحسوسة والمتصورة — على المتباعدين عنهم — المتقاربين أيضا في أكثر الاشياء — ومن اقتضاء الاجتماع تقارب المنازل . ومن اقتضاء تقارب المنازل اقتسام الاعمال، ومن اقتضاء العدل التراضي بتعيين الحدود والمقادير . ومن اقتضاء التراضي تكون نظام ومن اقتضاء النظام وجوب حفظه ، ومن اقتضاء حفظه ايجاد قوة حافظة له . ولا بد للقوة من مركز ومحور لحركتها . ولا بد من ان يكون هذا المركز حيا سميعا بصيراً عالماً مريداً قادراً متكلما أي انساناً فيلزم هؤلاء

فعندهم فى بساتين النبات جميع هذه الانواع من الاشجار، ومالا تناسبه درجة الحرارة في الهواء يحدثون له جواء تناسبه بالتسخين أوالتبريد حتى يعيش فى جو مثل جوه . ولكل من يريد معرفة شئ ان يذهب ويعرفه بعينه ، ذلك وقد رسموا صور هذا كله فيما كتبوا من كتب اللغة ومعجمات العلوم ويتيسر للحاذق ان يعرف هذه الاشياء بصورها المرسومة فى تلك الكتب ، اما اذا قال لك صاحب القاموس: الجوز شجر م: أي معروف فماذا تستفيد من هذا وأنت فى مصر وليس في قرب الازهر شيء من شجر الجوز بل ولا فى الازبكية نفسها فكيف يصير هذا عندك معروفا وكيف يمكنك ان تحدث عن هذا الشجر اذا كنت كاتبا أوشاعراً أوطبيبا أو عالما أوأديبا .

الصور والتماثيل وفوائدها وحكمها

لهؤلاء القوم حرص غريب على حفظ الصور المرسومة على الورق والنسيج ويوجد فى دار الآثار عند الامم الكبرى مالا يوجد عند الامم الصغرى كالصقليين مثلا ، يحققون تاريخ رسمها واليد التي رسمتها ولهم تنافس في اقتناء ذلك غريب حتى ان القطعة الواحدة من رسم روفائيل مثلا ربما تساوي مئين من الآلاف فى بعض المتاحف ولايهمك معرفة القيمة بالتحقيق وانما المهم هو التنافس في اقتناء الامم لهذه النقوش وعد ما أتقن منها من أفضل ما ترك المتقدم للمتأخر وكذلك الحال فى التماثيل وكلما قدم المتروك من ذلك كان أغلى قيمة وكان القوم عليه أشد حرصاً ، هل تدري لماذا ؟

اذا كنت تدري السبب في حفظ سلفك للشعر وضبطه في دواوينه والمبالغة في تحريره خصوصا شعر الجاهلية وماعني الاوائل رحمهم الله بجمعه وترتيبه أمكنك ان تعرف السبب فى محافظة القوم على هذه المصنوعات من الرسوم والتماثيل فان الرسم ضرب من الشعر الذى يرى ولايسمع والشعر ضرب من الرسم الذي يسمع ولا يرى. ان هذه الرسوم والتماثيل قد حفظت من أحوال الاشخاص فى الشئون المختلفة ومن أحوال الجماعات في المواقع المتنوعة ماتستحق به ان تسمى ديوان الهيئات والاحوال البشرية . يصورون الانسان أو الحيوان فى حال الفرح والرضى والطمأنينة والتسليم ، وهذه المعاني المدرجة في هذه الالفاظ متقاربة لايسهل عليك تمييز بعضها من بعض

﴿ بلرم ـ صقليه ﴾

ــ ٣ ــ

دور الآثار وبساتين النبات

لاتبخس أهل سيسليا (صقلية) حقهم فانهم فهموا مسألة لا بأس بفهمها وأظنهم عرفوا ذلك من أخوانهم أهل شمالي ايطاليا وبقية الاوربيين وهي المحافظة على الآثار القديمة والجديدة اما القديمة فتحفظ بذواتها واما الجديدة فتحفظ ولو بنموذج منها . بنوا ملعبا فى بلرم فصنعوا له مثالا من الخشب ووضعوه في دار الآثار . مدينة بلرم لها مثال مجسم رسمت فيه البساتين والجبال والكنائس مجسمة مصغرة بألوانها الطبيعية وألوان الارض نفسها وذلك المثال في دار الآثار . حفظوا لباس امرأة مسلمة من مسلمي صقلية وهو زي يشبه الازياء الاوربية مع ساتر للوجه يدل على ان ستر الوجه كان عاما حتى فى صقلية أيضا وان كان ذلك قد يغضب قاسم بك أمين فانه يجد له اضداداً في مسلمي أوربا فضلا عن مسلمي أسيا وأفريقيا

يحفظ القوم في متاحفهم هذه كل مايوجد من آثار المتقدمين من مصنوعات وأشجار وأحجار ولايدخرون جهداً فى حفظ ذلك حتى اذا وجدت اسم شيء في كتاب تاريخ مثلا أو عرض لك اسم فى علم من العلوم كان يدل على معنى فى الزمن السابق أمكنك ان تعرف المدلول بالعيان والمشاهدة وتحقق صحة الوصف والتعريف فما استعمله الاقدمون من آلات وأدوات وانواع ثياب وضروب مراكب ونحو ذلك تجد شيئا منه في متحف من المتاحف اوفي قصر من القصور اوفى كنيسة من الكنائس اوفي داهية من الدواهي التي هناك . وهذا مما يفيد في تحقيق المعاني التاريخية واللغوية فائدة لايعرف مقدارها الا من يسمع اسم اللأمة والدلاص والدرع والخوذة والعمامة (عمامة الحرب) ونحو ذلك من الالفاظ العربية الكثيرة الاستعمال ثم يراجعها في القاموس اوغيره من كتب المعجمات وبعد ذلك لاتستقر فى خياله صورة لمدلول من مدلولات هذه الالفاظ وقد يتخيل صورة لامناسبة بينها وبين الحقيقة وهو جهل باللغة فاضح، وكثير منا يأكلون اللوز والجوز وينطقون باسمه في البيت وعند البائع اذا طلبوا شراء شيء منه وهم اذا رأوا شجرة الجوز أو اللوز لايميزون بينها وبين شجرة الجميز أو الفلفل اما الجماعة

حواشي المصاحف وأوائل السور ولم يمنعه أحد من العلماء مع ان الفائدة في نقش المصاحف موضع النزاع أما فائدة الصور فمما لانزاع فيه على الوجه الذى ذكر (١) .
وأما اذا أردت ان ترتكب بعض السيئات في محل فيه صور طمعا في ان الملكين الكاتبين أو كاتب السيئات على الاقل لايدخل محلا فيه صور كما ورد فاياك ان تظن ان ذلك يخفيك من احصاء ماتفعل فان الله رقيب عليك ، وناظر اليك ، حتى في البيت الذى فيه صور ولا أظن ان الملك يتأخر عن مرافقتك اذا تعمدت دخول البيت لان فيه صورا . ولا يمكنك ان تجيب المفتي بأن الصورة على كل حال مظنة العبادة فاني أظن انه يقول لك ان لسانك أيضا مظنة الكذب فهل يجب ربطه مع انه يجوز ان يصدق كما يجوز أن يكذب

وبالجملة انه يغلب على ظني ان الشريعة الاسلامية أبعد من ان تحرم وسيلة من أفضل وسائل العلم بعد تحقيق أنه لا خطر فيها على الدين لامن جهة العقيدة ولا من وجهة العمل . على ان المسلمين لايتساءلون الا فيما تظهر فائدته ليحرموا أنفسهم منها والا فما بالهم لايتساءلون عن زيارة قبور الاولياء أوماسماهم بعضهم بالاولياء وهم ممن لاتعرف لهم سيرة ، ولم يطلع لهم أحد على سريرة ، ولايستفتون فيما يفعلون عندها من ضروب التوسل والضراعة وما يعرضون عليها من الاموال والمتاع وهم يخشونها كخشية الله أو أشد . ويطلبون منها مايخشون ان لايجيبهم الله فيه ويظنون انها أسرع الى اجابتهم من عنايته سبحانه وتعالى . لاشك انه لايمكنهم الجمع بين هذه العقائد

(١) المنار: ان الذين رسموا الصالحين والانبياء انما أرادوا التبرك بصورهم وتعظيمها اكراما لهم وهذا التعظيم يسمى في كل اللغات عبادة وجميع الصور والتماثيل التي كانت عند العرب كانت معظمة للدين ولذلك سمي في القرآن تعظيمها عبادة وكذلك النصارى كانوا يصرحون بأن تعظيم الايقونات ونحوها من الصور عبادة فلما عارض المصلحون في ذلك صار بعض المصرين عليه يسمى تعظيمها اكراما وأصر بعضهم على تسميته عبادة هذا وان النهي عن التصوير في الاسلام لم يزد على النهي عن تعظيم القبور وتشريفها ببناء المساجد عليها وايقاد السرج عليها وقد فعل المسلمون هذا مع بقاء علته وهم يتركون التصوير وفوائده مع انتفاء علة النهي عنه أفنؤمن بظاهر بعض الدين ونكفر بحقيقة بعض؟

ولكنك تنظر في رسوم مختلفة فتجد الفرق ظاهرا باهراً ، يصورونه مثلا في حالة الجزع والفزع والخوف والخشية. والجزع والفزع مختلفان في المعنى ولم أجمعهما ههنا طمعا في جمع عينين في سطر واحد بل لأنهما مختلفان حقيقة ولكنك ربما تعتصر ذهنك لتحديد الفرق بينهما وبين الخوف والخشية ولا يسهل عليك ان تعرف متى يكون الفزع ومتى يكون الجزع وما الهيأة التي يكون عليها الشخص في هذه الحال أو تلك . أما اذا نظرت الى الرسم وهو ذلك الشعر الساكت فانك تجد الحقيقة بارزة لك تتمتع بها نفسك ، كما يتلذذ بالنظر فيها حسك . اذا نزعت نفسك الى تحقيق الاستعارة المصرحة في قولك : رأيت أسدا : تريد رجلا شجاعا فانظر الى صورة أبي الهول بجانب الهرم الكبير تجد الاسد رجلا أو الرجل أسدا ، فحفظ هذه الآثار حفظ للعلم في الحقيقة وشكر لصاحب الصنعة على الابداع فيها ، ان كنت فهمت من هذا شيئا فذلك بغيتي أما اذا لم تفهم فليس عندي وقت لتفهيمك بأطول من هذا وعليك بأحد اللغويين أو الرسامين أو الشعراء المفلقين ليوضح لك ماغمض عليك اذا كان ذلك من ذرعه

ربما تعرض لك مسألة عند قراءة هذا الكلام وهي ماحكم هذه الصور في الشريعة الاسلامية اذا كان القصد منها ماذكر من تصوير هيئات البشر في انفعالاتهم النفسية، أو أوضاعهم الجثمانية . هل هذا حرام أو جائز أو مكروه أو مندوب أو واجب ؟ فأقول لك ان الراسم قد رسم والفائدة محققة لانزاع فيها ومعنى العبادة وتعظيم التمثال أو الصورة قد محي من الاذهان فاما ان تفهم الحكم من نفسك بعد ظهور الواقعة وإما ان ترفع سؤالا الى المفتي وهو يجيبك مشافهة فاذا أوردت عليه حديث : ن أشد الناس عذابا يوم القيامة المصورون : أو ما في معناه مما ورد في الصحيح فالذى يغلب على ظني انه سيقول لك ان الحديث جاء في أيام الوثنية وكانت الصور تتخذ في ذلك العهد لسببين : الاول اللهو والثاني التبرك بمثال من ترسم صورته من الصالحين والاول مما يبغضه الدين والثاني مما جاء الاسلام لمحوه والمصور في الحالين شاغل عن الله أو ممهد للاشراك به فاذا زال هذان العارضان وقصدت الفائدة كان تصوير الاشخاص بمنزلة تصوير النبات والشجر في المصنوعات وقد صنع ذلك في

لمن بعده شيئاً جاء ذلك الذي بعده اشد الناس كفرا بتلك النعمة واخذ فى اضاعة ماعني السابق بحفظه له فليست ملكة الحفظ مما يتوارث عندنا وانما الذي يتوارث هو ملكات الضغائن والأحقاد ، تنتقل من الاباء الى الاولاد ، حتى تفسد العباد وتخرب البلاد، ويلتقي بها أربابها على شفير جهنم يوم المعاد ؛ (للرحلة بقية)

باب الأخبار والآراء

(الاشتراك في المنار) كل من قبل هذا الجزء من المنار يعد مشتركا الى سنة كاملة ويجب عليه دفع قيمة الاشتراك كاملة وان رد المجلة في اثناء السنة فمن لم يرض بهذا الشرط فليرجع الينا الجزء . ونرجوا ان لا يطلب أحدمنا الاشتراك بدون القيمة المقررة

الاسطول العثماني

بشرتنا أنباء الاستانة بان سيجهز أسطول عثماني مؤلف من السفن الجديدة التي ابتاعتها الدولة العلية من عهد قريب ومن السفن القديمة التي أصلحتها في أوربا حقق الله الآمال

منشور شيخ الاسلام فى تفليس

كتب شيخ الاسلام في تفليس عاصمة بلاد القوقاس الروسية منشورا ينصح فيه للمسلمين بالطاعة والاخلاص لدولتهم وبذل النفس والنفيس فى مساعدتها على حرب دولة اليابان الوثنيــة . وقد أحسن فيما فعل ونوافقه عليه في جملته وكان في عزمنا ان ننشر في المنار الماضي نصيحة لمسلمي روسيا بأن يفترصوا الحرب لاقناع دولتهم باخلاصهم لها لان هذا هو الذي ينفعهم ولايغتروا ببعض اليهود والارمن الشامتين بدولتهم فالغدر والخيانة يحرمهما الاسلام في كل حال . هذا وان النصرانية أقرب الى الاســلام من الوثنيه وماقلناه من ميل المسلمين الى اليابان فسببه سياسي لاديني

تغاير العلماء في روسيا

كتب الينا فيض الرحمن أفندي أحمد القزاني المجاور رسالة ملخصها ان أحــد علماء (خان كرمان) تلقى العلم فى الاستانة ولمــا رجع الى وطنه سعى بانشاء مدرسة

وعقيدة التوحيد ولكن يمكنهم الجمع بين التوحيد ورسم صور الانسان والحيوان لتحقيق المعاني العلمية ، وتمثيل الصور الذهنية ،

هل سمعت اننا حفظنا شيئا حتى غير الصور والرسوم مع شدة حاجتنا الى حفظ كثير مما كان عند اسلافنا ؟ لو حفظنا الدراهم والدنانير التي كان يقدر بها نصاب الزكاة ولا يزال يقدر بها الى اليوم أفما كان يسهل علينا تقدير النصاب بالجنيهات والفرنكات ونحو ذلك مادام المثال الاول موجودا بين أيدينا ؟ ولو حفظ الصاع والمد وغيرهما من المكاييل أفما كان ذلك مما ييسر لنا معرفة مايصرف في زكاة الفطر وما تجب فيه الزكاة من غلات الزرع بعد تغيير المكاييل وما كان علينا الا ان نقيس مكيالنا بتلك المكاييل المحفوظة فنصل الى حقيقة الامر بدون خلاف. أظنك توافقني على أنه لو حفظ درهم كل زمان وديناره ومده وصاعه لما وجد ذلك الخلاف الذي استمر بين الفقهاء يتوارثونه سلفا عن خلف كل منهم يقدر المكيال والميزان بما لا يقدره به الآخر حتى جاء فى آخر الزمان احمد بيك الحسيني يخطيء بعضهم ويوفق بين أقوال البعض الآخر بدون ان يكون بين يديه صاع ولا مدّ من تلك الآصع والامداد ، وما أصعب التخطئة والتوفيق ، اذا لم يكن العيان هو المميز بين فريق وفريق ،

لو نظرت الى ما كان يوجب الدين علينا ان نحافظ عليه لوجدته كثيرا لايحصى عده ولم نحفظ منه شيئا فلنتركه كما تركه من كان قبلنا ، ولكن ما نقول في الكتب وودائع العلم هل حفظناها كما كان ينبغي ان نحفظها أو أضعناها كما لاينبغي ان نضيعها ؟ ضاعت كتب العلم وفارقت ديارنا نفائسه فاذا أردت أن تبحث عن كتاب نادر، أو مؤلف فاخر ، او مصنف جليل ، أو اثر مفيد، فاذهب الى خزائن بلاد أوربا تجد ذلك فيها. اما بلادنا فقلما تجد فيها الاما ترك الاوربيون ولم يحفلوا به من نفائس الكتب التاريخية والادبية والعلمية، وقد تجد بعض النسخة من الكتاب في دار الكتب المصرية مثلا وبعضها الآخر فى دار الكتب بمدينة كمبردج من البلاد الانكليزية . ولو اردت ان اسرد لك ماحفظوا وضيعنا من دفاتر العلم لكتبت لك فى ذلك كتابا يضيع كما ضاع غيره وتجده بعد مدة في يد اوربي فى فرنسا أو غيرها من بلاد اوربا

نحن لا نعنى بحفظ شيء نستبقي نفعه لمن يأتي بعدنا ولو خطر ببال احد منا ان يترك

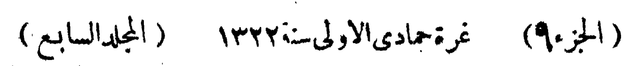
خيرية وكان يعلم فيها حتى وشى عليه بعض الممعين الى الحكومة بانه يستميل التلامذة الى تركيا بتعليمه على الطريقة التركية فاقفلت الحكومة المدرسة ثم سعى فاستصدر أمراً بفتحها فعاد أصحاب العمائم الى الوشاية حتى أقفلوها . ولاشك ان أولئك السعاة الوشاة هم أكبر بلاء على امتهم وملتهم وقد خجلنا من ذكر صنيعهم مع كثرة ثنائنا على أخلاق مسلمي تلك البلاد فعسى ان يتوبوا الى ربهم ، ويثوبوا الى رشدهم ،

﴿ استعمار مصر ومراكش ﴾

انكلترا وفرنسا تتباحثان فى وسائل الوفاق في المسائل الاستعمارية بينهما ومنها مسألة مصر التي تستعمرها انكلترا بدون نطق بكلمة حماية أو امتلاك الا ما لونت به رسم مصر في خريطة أفريقية وهو لون بلاد السودان وبلاد الترنسفال وبلاد الكاب أو رأس الرجا الصالح ، ومسألة مراكش التي تريد فرنسا ان تستعمرها هذا النوع من الاستعمار . ويوشك ان تتفق الدولتان على ان احداهما لاتنازع الاخرى في مسألتها . ولكن ماذا يفعل سلطان مراكش وأمير مصر فى هذه الايام ؟ أما أمير هذه البلاد فلا نبحث فى أعماله وأما سلطان مراكش فلم يكتف بما عنده من آلات اللهو الاوربية وما اجتلبه من حور الاستانة وولدانها حتى ارسل يطلب من مصر جوقة من المطربين والمطربات . وشاع هنا ان محمد بن شعرون سافر بالجوقة وهي تسعة رهط وفيها بعض الراقصات المشهورات ، وتعهد لها بدفع ١٥٠٠ جنيه في الشهر وقيل اقل . ومعلوم ان السلطان يقترض المال من فرنسا وان الدين هو أوسع الابواب لدخول أوربا فى البلاد . واننا ندعو الله تعالى ان يوفقه وسائر أمراء المسلمين الى ما فيه الخير الحقيقي للامة والبلاد كيفما جاء ومن أي طريق جاء

﴿ مسألة الرتب والاوسمة ﴾

قد وصل الاتجار بالرتب في الاستانة الى حد التزوير فصار السماسرة مزورين وقد حوكم من عهد قريب طاهر بك صاحب جريدة «معلومات» وغيرها متهما بتزويرها وقد اقتدت مصر بالاستانة فصار المقربون من الامير ومنهم بعض اصحاب الصحف يتوسلون اليه بهذه الرتب والاوسمة حتى علم الخاص والعام ان اكثر من نالها من غير الحكومة قد اشتراها بالمال وقد انتهى الامر بدخول اللورد كرومر في الامر وتقرر إلغاء بعض الرتب والاوسمة التي انعم بها على المرتكبين والمزورين ، وفي ذلك عبرة للمعتبرين ،


(الجزء ٩)　غرة جمادى الاولى سنة ١٣٢٢　(المجلد السابع)



مجلة علمية أدبية تهذيبية ملية اخبارية

« تصدر فى كل شهر عربي مرتين »

لمنشئها

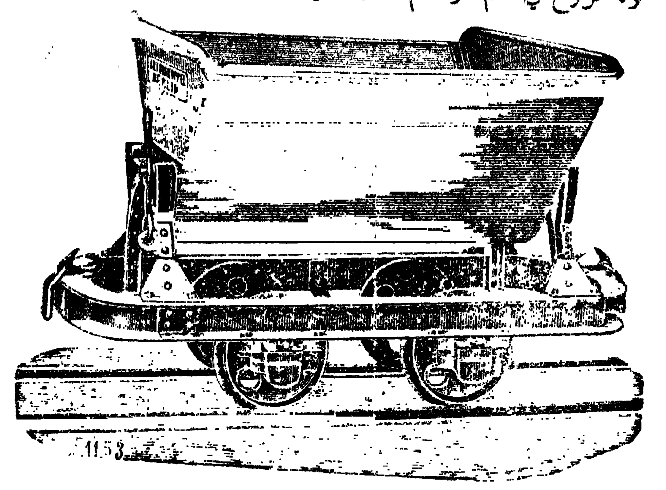
« السيد محمد رشيد رضا »

عنوانها (مصر — ادارة مجلة المنار) والتلغرافى « المنار بمصر »

قيمة الاشتراك فى مصر خمسون قرشاً أميريا فى السنة و ٣٥ قرشا عن نصف سنة وفى الخارج ١٨ فرنكا وفى الهند عشر روبيات وفى روسيا ٧ روابل

لا تقبل وصولات الاشتراك الا اذا كانت بامضاء منشيء المجلة وختم الادارة

طبع بمطبعة المنار بشارع درب الجماميز بمصر





من مسبب الأسباب لعله بعنايته ورحمته يهدينا الى طريقها أو يبدلنا خيرا منها ، وانما يجب هذا بعد بذل الجهد والطاقة فى العمل بما نستطيع من الأسباب حتى لا يبقى فى الامكان شيء مع اعتقادنا بأن الاسباب كلها من فضل الله تعالى ورحمته علينا إذ هو الذى جعلها طرقا للمقاصد، وهدانا إليها بما وهبنا من العقل والمشاعر،

لا يسمح الدين للناس أن يتركوا الحرث والزرع ويدعوا الله تعالى أن يخرج لهم الحب من الأرض بغير عمل منهم أخذاً بظاهر قوله « أم نحن الزارعون » وانما يهديهم الى القيام بجميع الأعمال الممكنة لانجاح الزراعة من الحرث والتسميد والبذر والسقي وغير ذلك ويتكلوا على الله تعالى بعد ذلك فيماليس بأيديهم ولم يهدهم لسببه بكسبهم كإنزال الامطار، وإفاضة الأنهار ، ودفع الجوائح ، فان استطاعوا شيئا من ذلك فعليهم أن يطلبوه بعملهم لا بألسنتهم وقلوبهم مع شكر الله تعالى على هدايتهم إليه ، وإقدارهم عليه ، كذلك يحظر الدين عليهم أن ينفروا الى الحرب والمدافعة عن الملة والبلاد عزلا أو حاملي سلاح دون سلاح العدوّ المعتدي عليهم اتكالا على الله تعالى واعتمادا على ان النصر بيده بل يأمرهم بأن يعدوا للأعداء مااستطاعوا من قوة ويتكلوا بعد ذلك على عناية الله تعالى بتثبيت القلوب والأقدام،وغير ذلك من ضروب التوفيق والالهام ، فمن قصر فى اتخاذ الأسباب اعتمادا على الله فهو جاهل بالله ، ومن التجأ الى ما ليس بسبب من دون الله فهو مشرك بالله ، وهذا الذي يلجأ اليه ـ من إنسان مكرم ، (كالأنبياء والصالحين) أو ملك مقرب ، أو مظهر غريب من مظاهر الخليقة ، أوصنم أو تمثال جعل تذكارا لشيء من هذه ، يسمى ندا لله وشريكا

ويقاومونه فى التدبير وهذا غير صحيح لأن القرآن قص علينا خبر متخذي الأنداد فى آيات كثيرة صريحة فى أنهم لا يعتقدون فيهم شيئا من هـذا الذى يفهم أو يتوهم من عبارة المفسرين بل يعتقدون غالبا أن الله تعالى هو المنفرد بالخلق والتدبير وأن الأنداد وسطاء بينه وبين عباده يقربونهم اليه ويشفعون لهم عنده لأن المذنبين المقصرين لا يستطيعون الوصول الى الله تعالى بأنفسهم فلا بد لهم من واسطة كما هو المعهود من الرعايا الضعفاء مع الملوك والأمراء ، والوثنيون يقيسون الله تعالى على من يعظمونه من الرؤساء وعظماء الخلق لا سيما المستبدين منهم الذين استعبدوا الناس استعبادا ، فالآيات الناطقة بأنهم اذا سئلوا من خلق كذا وكذا وكذا يقولون : الله : كثيرة وقال فيهم مع ذلك « ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله » وقال أيضا «والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى »

والأنداد عند جمهور المفسرين أعم من الاصنام والأوثان فيشمل الرؤساء الذين خضع لهم بعض الناس خضوعا دينيا ويدل عليه الآيات الآتية « اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا » الخ

فالمراد إذن من الند من يُطلب منه مالا يطلب الا من الله عز وجل أو يؤخذ عنه مالا يؤخذ الا عن الله تعالى ، وبيان الأول على ماقررناه مرارا أن للأسباب مسببات لا تعدوها بحكمة الله فى نظام الخلق وأن لله تعالى أفعالا خاصة به فطلب المسببات من أسبابها ليس من اتخاذ الأنداد فى شيء وإن هناك أمورا تخفى علينا أسبابها ، ويعمّى علينا طريق تطلابها ، فيجب علينا بإرشاد الدين والفطرة أن نلجأ فيها الى القوة الغيبية ونطلبها

حبهم لله عز وجل ولذلك قال (ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله) ذلك ان الحب ضروب شتى تختلف باختلاف أسبابها وعللها وكلها ترجع الى الأنس بالمحبوب او الركون والالتجاء اليه عند الحاجة، فقد يحب الإنسان شخصا لأنه يأنس به ويرتاح الى لقائه لمشاكلة بينهما ولا مشاكلة بين الله تعالى وبين الناس فيظهر فيهم هذا النوع من الحب . ومن أسباب الحب اعتقاد المحب أن فى المحبوب قدرة فوق قدرته ونفوذا يعلو نفوذه مع ثقته بأنه يهتم لامره ويعطف عليه بحيث يمكنه اللجأ اليه عند الحاجة فيستعين به على مالا سبيل له إليه بدونه فهذا الاعتقاد يحدث انجذابا من المعتقد يصحبه شعور خفي بأن له قوة عالية مستمدة ممن يحب . ويعظم هذا النوع من الحب بمقدار مايعتقد فى المحبوب من الصفات والمزايا التي بها كان مصدر المنافع وركن اللاجيء ، وكل ماللمخلوق من ذلك فهو داخل فى دائرة الأسباب والمسببات والاعمال الكسبية . أما قوة الخالق وقدرته ومايعتقده المؤمنون فيه من الرحمة الشاملة ، والصفات الكاملة ، والمشيئة النافذة ، والتصرف المطلق فى تسخير الاسباب والمسببات ، والسلطان المطاع فى الأرض والسموات ، فذلك مما يجعل حبه تعالى أعلى من كل مايحب للرجاء فيه ، وانتظار الاستفادة منه ، ولغير ذلك . وهذا الحب لا ينبغي أن يكون لغير الله تعالى اذ لا يلجأ الى غيره فى كل شيء كما يلجأ اليه ولكن متخذي الأنداد قد أشركوا أندادهم معه فى هذا الحب فحبهم إياهم من نوع حبهم إياه جل ثناؤه لايخصونه بنوع من الحب اذ لايرجون منه شيئاً الا وقد جعلوا لأندادهم ضربا من التوسط الغيبي فيه فهم كفار مشركون بهذا الحب الذي لا يصدر من مؤمن موحد ولذلك قال تعالى بعد

له ووليا من دونه ، وقد نطق القرآن بجميع هذه الأسماء التي سماها المشركون ولم ينزل الله بها من سلطان،

قال الأستاذ الامام : قسم المفسرون الأنداد الى قسمين قسم يعمل بالاستقلال وقسم يشفع عند الله تعالى ويتوسط لصاحب الحاجة فتقضى وانما كان الشفيع ندا لأنه يستنزل من يشفع عنده عن رأيه ويحول من إرادته وتحويل الإرادة لابد أن يكون مسبوقا بتغيير العلم بالمصلحة والحكمة إذ الارادة تابعة للعلم دائما وهذا هو المعروف من معنى الشفاعة عند السلاطين والحكام وهو محال على الله تعالى ، وأقل تغيير في علم المشفوع عنده هو أن يعلم أن الشفيع يهمه أمر من يشفع له ويتمنى لو تقضى حاجته . ولا يرغب عن الأسباب إلى التعلق بالأنداد والشفعاء الا من كان قليل الثقة بالسبب أو طالبا ما هو أعجل منه كالمريض يعالجه الأطباء فيتراءى له أو لأحد أقاربه أن يلجأ الى من يعتقد فيهم السلطة الغيبية الخارجة عن الأسباب طلبا للتعجيل بالشفاء ، ومثله سائر أصحاب الحاجات الذين يلجئون الى من اتخذوهم أولياء ليكفوهم عناء اتخاذ الاسباب (وذكر منهم طلاب خدمة الحكومة)

أما القسم الآخر من الأنداد فهو من يُتبع في الدين من غير أن يكون مبينا للناس ما جاء عن الله تعالى ورسوله فيعمل بقوله وان لم يعرف دليله يتخذ رأيه دينا واجب الاتباع وان ظهر أنه مخالف لما جاء عن الله ورسوله اعتمادا على انه أعلم بالوحي ممن قلدوه دينهم وأوسع منهم فهما فيما نزل الله . وفي هؤلاء نزل قوله تعالى « اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله » كما ورد في التفسير المأثور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

قد عظمت فتنة متخذي الأنداد بهم حتى كان حبهم إياهم من نوع

والأخلاق ، حتى لا يعتريها كسوف ولا محاق ، فالدين وضع إلهي يحسن الله تعالى به الى البشر على لسان واحد منهم لا كسب له فيه ولا صنع ، ولا يصل اليه بتلق ولا تعلم ، « إن هو الا وحي يوحى » فيجب أن يحب صاحب هذا الاحسان سبحانه وتعالى حبا لا يشرك به معه أحد ، ولكن متخذي الأنداد بالمعنى الثاني فى كلامنا قد أشركوا أندادهم مع الله تعالى فى هذا الحب إذ جعلوا لهم شركة فى هذا الإحسان بسوء التأويل كما تقدم فكما يأخذون بآرائهم على أنها دين من غير أن يعلموا من أين أخذوها وان لم يأمروهم بذلك بل وان نهوهم عنه يتمسكون كذلك بتأويلهم لما انزل الله كأنه انزل به بدون استعمال العقل ودلالة اللغة وبقية نصوص الدين للعلم بانطباقه على الحق . وأما المؤمنون حقا فانهم يوحدون الله تعالى ويخصونه بهذا الحب كما يوحدونه بالتشريع بمعنى أنهم لا يأخذون الدين الا عن الوحي ولا يفهمونه الا بقرائن ماجاء به الوحي وانما الأئمة والعلماء ناقلون للنصوص ومبينون لها بل قال الله تعالى للنبي نفسه « وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس مانزل اليهم » فهؤلاء المؤمنون يسترشدون بنقلهم وبيانهم ولكنهم لا يقلدونهم في عقائدهم ولا عباداتهم ولا يأخذون بآرائهم فى الدين الذى هو عبارة عن سير الارواح من عالم الى عالم بل يجوزون كل عقبة ويدوسون كل رئاسة فى سبيل الله تعالى ومحبته وابتغاء رضوانه فهم متعلقون بالله ومخلصون له « ألا لله الدين الخالص ، والذين اتخذوا من دونه أولياء مانعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ان الله يحكم بينهم يوم القيمة فيما هم فيه يختلفون » ـ « وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين » ـ « ان الحكم الا لله أمر أن لا تعبدوا الا إياه » فالمؤمنون هم المخلصون لله فى

بيان شركهم هذا (والذين آمنوا أشد حبا لله) من كل ما سواه لأن حبهم له خاص به سبحانه لا يشركون فيه غيره فحبهم ثابت كامل لأن متعلقه هو الكمال المطلق الذي يستمد منه كل كمال، وأما متخذو الأنداد فان حبهم متوزع متزعزع لا ثبات له ولا استقرار، للمؤمن محبوب واحد يعتقد ان منه كل شيء وبيده ملكوت كل شيء، وله القدرة والسلطان، على جميع الاكوان، فما ناله من خير كسبي فهو بتوفيقه وهدايته، وما جاءه بغير حساب فهو بتسخيره وعنايته، وما توجه اليه من أمر فتعذر عليه، فهو يكله اليه ويعول فيه عليه، وللمشرك أنداد متعددون، وأرباب متفرقون، فاذا حز به أمر، أونزل به ضر، لجأ الى بشر أوصخر، أوتوسل بحيوان أوقبر، أو استشفع بزيد وعمرو، لا يدري أيهم يَسمع ويُسمَع، ويشفع فيشفَّع، فهو دائما مبلبل البال، لا يستقر من القلق على حال،

هذا هو حب المشركين للقسم الاول من الانداد، ومن الحب نوع سببه الإحسان السابق. كما أن سبب الاول الرجاء بالاحسان اللاحق، ومن الاحسان ما تتمتع به ساعة أويوما أو أياما متاعا قليلا أوكثيرا، ومنه ماتكون به سعيدا فى حياتك كلها كالتربية الصحيحة والتعليم النافع، والارشاد الى ماخفي من المنافع، وكل هذا انما يكون من الناس بكسبهم، وليس فى طاقة البشر أن يحسن بعضهم على بعض باحسان اذا قبله المحسن عليه وعمل به يكون سعيدا فى الدنيا والآخرة بحيث تكون سعادته به غير متناهية، وهذا الاحسان الذي يعجز عنه البشر هو هداية الدين التى تعلم الناس العقائد الصحيحة التى ترتقي بها العقول وتخلص بها من ظلمات الوثنية، والتعاليم التى تهذب بها النفوس وتتزكى من الصفات البهيمية، وقوانين العبادة التى تغذي العقائد

بعض الرؤى والأحلام ، أو لاختراع بعض الطغام ، ومنهم من يعرف فى الجملة ولكن لا يعرف له تاريخ يوثق به ولا رواية يصح الاعتماد عليها ، وانما قدم كلام هؤلاء على كلام الله ورسوله وكلام أئمة السلف لأن العامة اعتقدت صلاحهم وولايتهم والعامة قوة تخضع لها الخاصة فى أكثر الأزمان ،

ومن مباحث اللفظ فى الآية أن الرؤية فيها علمية على قول الجلال وقال الأستاذ الأمام أنها بصرية وانما سلطت على المعقول لانزاله منزلة المحسوس كأنه قال لو يتمثل لهم الامر ويتشخص لرأوا أمرا هائلا عظيما لا يتصور نظيره وهو مجاز لا ألطف منه ولا أبدع . ويجوز أن يراد بالعذاب مظاهره فتكون مسلطة على محسوس . وقراءة « ولو ترى » أي لو رأيت حال هؤلاء الظالمين يومئذ لرأيت كذا وكذا . وحذف جواب لو معهود فى كلام العرب وفى كلام الناس اليوم وذلك عند قيام القرينة على مراد المتكلم ولو إجمالا . يقولون فى شخص تغير حاله وانتقل الى طور أعلى أو أدنى : لو رأيت فلانا اليوم : ويسكتون والمراد معلوم ، والاجمال فيه مقصود ، لتذهب النفس فى تصويره كل مذهب ، ويخترع له الخيال ما يمكن من الصور ، ولو على كل حال هي التي لمجرد الشرط لا يراعى فيها امتناع لامتناع .

قال الاستاذ الامام بعد تفسير اتخاذ الأنداد ومحبتهم على نحو ما تقدم وبيان ان المراد بالمحبة ما يجده المحب فى نفسه من الأنس بالمحبوب والثقة به والاعتماد عليه واللجأ اليه على اختلاف أطوار الانسان في وجدانه واعتقاده ، اننا قد اشترطنا في ابتداء قراءة التفسير أن نتكلم عن معنى القرآن من

دينهم الذين لا يأخذون أحكامه الا عن وحيه » وأما متخذو الانداد ومحبوهم بهذا المعنى فهم الذين وردفى بعضهم « واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون » فهم لا يقبلون حكم الله فى كتابه ولكن اذا دعوا ليحكم بينهم بآراء رؤسائهم أقبلوا مذعنين ،

بعد هذا ذكر الله وعيد متخذي الأنداد على سنة القرآن فقال (ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعا وأن الله شديد العذاب) أي لو يشاهد الذين ظلموا أنفسهم بتدنيسها بالشرك وظلموا الناس بما غشوهم به من أقوالهم وأفعالهم فحملوهم على أن يتلوا تلوهم ، ويتخذوا الأنداد مثلهم ، حين يرون العذاب فى الآخرة فتتقطع بهم الأسباب ، ولا تغني عنهم الأنداد والأرباب ، أن القوة لله جميعا يظهر تصرفها المطلق فى كل موجود ، ويتمثل لهم سلطانها تمثل الشهود ، فلا تحجبهم عنها أسباب ظاهرة ، ولا تخدعهم عنها قوى تتوهم كامنة ، لعلموا أن هذه القوة التى تدير عالم الآخرة هي عين القوة التى كانت تدير عالم الدنيا، وأنها قوة واحدة لا تأثير لغيرها فيها ولا فى شيء من العالم بدونها، وأنهم كانوا ضالين فى اللجأ الى سواها ، وإشراك غيرها معها ، وأن هذا الضلال هبط بعقولهم وأرواحهم ، وكان منشأ عقابهم وعذابهم ، ولو رأوا مع هذا أن الله شديد العذاب لرأوا أمرا هائلا عظيما يندمون معه حيث لا ينفع الندم . وأمثال هذا الوعيد كثير فى القرآن على من يشوب إيمانه بأدنى شائبة من الشرك ثم هو يترك كله ويترك معه ما يؤيده من السنة الصحيحة وسيرة السلف الصالحين ، والائمة المجتهدين ، ويؤخذ بالشرك الصريح عملا بأقوال أناس من الميتين منهم من لا يعرف مطلقا وإنما سمي وليا عملا

الرموز والاصطلاحات الخاصة بهم ، وعدم قبول أحد معهم الا بشروط واختبار طويل فقالوا لا بد فيمن يكون منا أن يكون أولا طالبا فمريدا فسالكا وبعد السلوك إما أن يصل وإما أن ينقطع فكانوا يختبرون أخلاق الطالب وأطواره زمنا طويلا ليعلموا أنه صحيح الارادة صادق العزيمة لا يقصد مجرد الاطلاع على حالهم ، والوقوف على أسرارهم ، وبعد الثقة يأخذونه بالتدريج رويدا رويدا ، ثم انهم جعلوا للشيخ (المسلك) سلطة خاصة على مريديه حتى قالوا يجب أن يكون المريد مع الشيخ كالميت بين يدي الغاسل لان الشيخ يعرف أمراضه الروحية وعلاجها فاذا أبيح له مناقشته ومطالبته بالدليل تتعسر معالجته أو تتعذر فلا بد من التسليم له في كل شيء من غير منازعة حتى لو أمره بمعصية لكان عليه أن يعتقد أنها لخيره وان فعلها نافع له ومتعين عليه فكان من قواعدهم التسليم المحض والطاعة العمياء وقالوا ان الوصول الى العرفان المطلق لا يكون الا بهذا . ثم أحدثوا اظهار قبور من يموت من شيوخهم والعناية بزيارتها لأجل تذكر سلوكهم ومجاهدتهم ، وأحوالهم ومشاهدتهم ، لأن الذكر من أسباب القدوة والتأسي . والتأسي هو طريق التربية القويم عندهم وعند غيرهم

فظهر من هذا الاجمال أن قصدهم في هذه الأمور كان صحيحا وانهم ما كانوا يريدون الا الخير المحض لأن صحة القصد وحسن النية أساس طريقهم ، ولكن ماذا كان أثر ذلك في المسلمين ؟ كان منه أن مقاصد الصوفية الحسنة قد انقلبت ولم يبق من رسومهم الظاهرة الا أصوات وحركات يسمونها ذكرا يتبرأ منها كل صوفي والا تعظيم قبور المشايخ تعظيما دينيا مع الاعتقاد بأن لهم سلطة غيبية تعلو الاسباب التي ارتبطت بها المسببات

حيث هو دين جاء مكملا للأرواح وسائقا لها الى سعادتها في طورها الدنيوي وطورها الأخروي ، ولا يتم لنا هذا الا بالاعتبار وهو ان ننظر في الحسن الذي يمدحه الله تعالى ويأمر به ونرجع الى أنفسنا لنرى هل نحن متصفون به ، وننظر في القبيح الذي يذمه وينهى عنه كذلك، ثم نجتهد في تزكية أنفسنا من القبيح وتحليتها بالحسن وههنا يجب علينا أن نبحث وننظر هل اتخذ المسلمون أندادا كما اتخذ الذين من قبلهم أندادا أم لا فان هذا أهم مايبحث فيه قارىء القرآن ثم قال مامثاله

اشتبه على بعض الباحثين السبب في سقوط المسلمين فى الجهل العميم (الا أفرادا في بعض شعوبهم لا يكاد يظهر لهم أثر) وبحثوا فى تاريخ الاسلام وما حدث فيه فكان له الأثر العظيم في الانقلاب وكان من أهم المسائل التى عرضت لهم فى ذلك مسألة التصوف وظنوا ان التصوف من اعظم الاسباب لسقوط المسلمين فى الجهل بدينهم وبعدهم عن التوحيد الذى هو اساس عقائدهم وليس الامر عندنا كما ظنوا وليس من غرضنا هنا ذكر تاريخه وبيان أحكامه وطرقه وانما نذكر الغرض منه بالاجمال ، وما كان له بعد ذلك من الآثار ، . ظهر التصوف في القرون الأولى للاسلام فكان له شأن كبير . وكان الغرض منه فى أول الأمر تهذيب الأخلاق وترويض النفس بأعمال الدين وجذبها اليه وجعله وجدانا لها وتعريفها بأسراره وحكمه بالتدريج . ابتلي الصوفية فى أول أمرهم بالفقهاء الذين جمدوا على ظواهر الأحكام المتعلقة بالجوارح والتعامل فكان هؤلاء ينكرون عليهم معرفة أسرار الدين ويرمونهم بالكفر وكانت الدولة والسلطة للفقهاء لحاجة الأمراء والسلاطين اليهم فاضطر الصوفية الى إخفاء أمرهم ، ووضع

وسلموا لهم بما يخالف الشرع والعقل على انه من علم الحقيقة فصرت ترى العالم الذى قرأ الكتاب والسنة والفقه يأخذ العهد من رجل جاهل امي ويرى انه يوصله الى الله تعالى . فان كان كتاب الله وسنة رسوله وما فهم الائمة واستنبط الفقهاء منهما كل ذلك لا يفيد معرفة الله تعالى المعبر عنها بالوصول اليه فلماذا شرع الله هذا الدين ، والناس أغنياء عنه بأمثال هؤلاء الاميين وأشباه الأميين ، وهل القصور إذن فيما نزل الله تعالى أم في بيان الرسول له وبيان الائمة لما جاء عن الله تعالى والرسول ؟ حاش لله ولكتابه ورسوله فلا طريق لمعرفته عز وجل والوصول الى رضوانه غير ما نزله من البينات والهدى وانما كان غرض الصوفية الصادقين فهم الكتاب والسنة مع التحقق بمعارفهما ، والتخلق والتأدب بآدابهما ، وأخذ النفوس بالعمل بهما ، من غير تقليد لاهل الظاهر ، ولا جمود على الظواهر ،

ولقد تشوهت سيرة مدعي التصوف فى هذا الزمان وصارت رسومهم أشبه بالمعاصى والاهواء من رسوم الذين أفسدوا التصوف من قبلهم وأظهرها فى هذه البلاد الاحتفالات التى يسمونها الموالد ومن العجيب ان تبع الفقهاء في استحسانها الأغنياء فصاروا يبذلون فيها الاموال العظيمة زاعمين انهم يتقربون بها الى الله تعالى ولو طلب منهم بعض هذا المال لنشر علم او ازالة منكر أو إعانة منكوب لضنوا به وبخلوا . ولا يرون ما يكون فيها من المنكرات منافيا للتقرب الى الله تعالى كأن كرامة الشيخ الذين يحتفلون بمولده تبيح المحظورات ، وتحل للناس التعاون على المنكرات ، فالموالد اسواق الفسوق فيها خيام للعواهر وحانات للخمور ومراقص يجتمع فيها الرجال لمشاهدة الراقصات المتهتكات الكاسيات العاريات ، ومواضع أخرى لضروب من

بحكمة الله تعالى بها يديرون الكون ويتصرفون فيه كما يشاءون ، وأنهم قد تكفلوا بقضاء حاج مريديهم والمستغيثين بهم أينما كانوا ، وهذا الاعتقاد، هو عين اتخاذ الأنداد ، وهو مخالف لكتاب الله وسنة رسوله وسيرة السلف من الصحابة وأئمة التابعين والمجتهدين .

وزادوا على هذا شيئا آخر هو أظهر منه قبحا وهدما للدين وهو زعمهم أن الشريعة شيء والحقيقة شيء آخر ، فاذا اقترف أحدهم ذنبا فأنكر عليه منكر قالوا في المجرم انه من أهل الحقيقة فلا اعتراض عليه، وفي المنكر انه من أهل الشريعة فلا التفات اليه ، كأنهم يرون ان الله تعالى أنزل للناس دينين ، وانه يحاسبهم بوجهين ، ويعاملهم معاملتين ، (حاش لله) نعم جاء في كلام بعض الصوفية ذكر الحقيقة مع الشريعة ومرادهم به أن في كلام الله ورسوله مايعلو أفهام العامة بما يشير اليه من دقائق الحكم والمعارف التي لا يعرفها الا الراسخون في العلم فحسب العامة من هذا الوقوف عند ظاهره ومن آتاه الله بسطة في العلم فقهم منه شيئا أعلى مما تصل اليه أفهام العامة فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ممن يجد ويجتهد للتزيد من العلم بالله وسننه في خلقه . فهذا ما يسمونه علم الحقيقة لا سواه وليس فيه شيء يخالف الشريعة أو ينافيها ومن آتاه الله نصيبا من هذا العلم كان أتقى لله من سواه « إنما يخشى الله من عباده العلماء »

هكذا كان القوم ـ الصوفية الحقيقيون في طرف والفقهاء في طرف آخر وبعد ما فسد التصوف وانقلب من حال الى حال مناقضة لها، وضعف الفقه فصار مناقشه لفظية في عبارات كتب المتأخرين اتفق المتفقهة الجامدون والمتصوفة الجاهلون وأذعن اولئك الى هؤلاء واعترفوا لهم بالسر والكرامة

فلينظر الناظرون الى أين وصل المسلمون ببركة التصوف واعتقاد أهله بغير فهم ولا مراعاة شرع ـ اتخذوا الشيوخ أندادا وصار يقصد بزيارة القبور والاضرحة قضاء الحوائج وشفاء المرضى وسعة الرزق بعد ان كانت للعبرة وتذكر القدوة ، وصارت الحكايات الملفقة ناسخة فعلا لما ورد من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتعاون على الخير ونتيجة ذلك كله أن المسلمين رغبوا عما شرع الله الى ما توهموا انه يرضي غيره ممن اتخذوهم اندادا له وصاروا كالاباحيين فى الغالب فلا عجب اذا عم فيهم الجهل واستحوذ عليهم الضعف ، وحرموا ما وعد الله المؤمنين من النصر، لأنهم انسلخوا من مجموع ما وصف الله به المؤمنين .

ولم يكن فى القرن الأول شيء من هذه التقاليد والاعمال التى نحن عليها بل ولا فى الثاني ولا يشهد لهذه البدع كتاب ولا سنة وانما سرت الينا بالتقليد أو العدوى من الأمم الأخرى اذ رأى قومنا عندهم أمثال هذه الاحتفالات فظنوا أنهم اذا عملوا مثلها يكون لدينهم أبهة وشأن فى نفوس تلك الامم . فهذا النوع من اتخاذ الأنداد كان من أهم أسباب تأخر المسلمين وسقوطهم فيما سقطوا فيه

وهناك نوع آخر لم يكن أثره فى الفتك بهم بأضعف من أثر الأول وهو ترك الاهتداء بالكتاب والسنة واستبدال أقوال الناس بهما فلو دخل في الاسلام رجل عاقل أو شعب مرتق لحار لا يدري بم يأخذ ، ولا على أي المذاهب والكتب فى الأصول والفروع يعتمد ، ولصعب علينا إقناعه بأن هذا هو الدين القيم دون سواه أو بأن هذه المذاهب كلها على اختلافها شيء واحد، ولو وقفنا عند حدود القرآن وما بينه من الهدي النبوي لسهل علينا أن

الفحش في القول والفعل يقصد بها إضحاك الناس. وبعض هـذه الموالد يكون في المقابر وترى كبار مشايخ الازهر يتخطون هذا كله لحضور موائد الاغنياء في السرادقات والقباب العظيمة التي يضربونها وينصبون فيها الموائد المرفوعة، ويوقدون الشموع الـكثيرة، احتفالا باسم صاحب المولد ويهنئ بعضهم بعضا بهذا العمل الشريف في عرفهم.

وذكر الاستاذ الامام عند شرح مفاسد الموالد هنا ان بعض كبار الشيوخ في الازهر دعوه مرة للعشاء عند أحد المحتفلين فأبى فقيل له في ذلك فقال اني لاأحب أن أكثر سواد الفاسقين فان هذه الموالد كلها منكرات ووصف ما يمر به المدعو قبل ان يصل إلى موضع الطعام. ثم قال لشيخ صديق لصاحب الدعوة كم ينفق صاحبك في احتفاله بالمولد؟ قال أربع مئة جنيه. قال الاستاذ لاشك ان هذا في سبيل الشيطان فلو كلمت صاحبك فى ان يجعل ذلك لجماعة من المجاورين في الأزهر يستعينون به على طلب العلم فيكون بذله شرعيا وهؤلاء المجاورون يذكرونه بخير ويدعون له. فاجاب ذلك الشيخ قائلا: ان الكون يلزم أن يكون فيه من هذا وهـذا: فقال الأستاذ: هذا الذي أريد فان كوننا ليس فيه الا هذه النفقات فى الطرق المذمومة فأحب أن ينفق صاحبك على نشر علم الدين ليكون بعض الانفاق عندنا فى الخير ويبقى للموالد أغنياء كثيرون. فقال الشيخ حينئذ أما قرأت حكاية الشعراني مع الزمار اذ رأى شيخا كبيرا ينفخ فى مزمار والناس يتفرجون عليه فاعترض عليه فى سره فما كان من الشيخ الا أن قال: ياعبد الوهاب أتريد أن ينقص ملك ربك مزمارا: فعلم الشعراني انه من أولياء الله تعالى. قال الأستاذ ثم تركني المشايخ بعد سرد الحكاية وذهبوا الى المولد.

كان من متخذي الانداد ، «ومن يضلل له فماله من هاد» »

وبقي صنف آخر يشبه ان يكون من الانداد وهم العامة والذين اتخذوهم أندادا هم علماء لدنيا فانهم يحلون لمرضاتهم ويحرمون ويخالفون النصوص الصريحة بضروب سخيفة من التأويل لموافقة أهوائهم . فان لم يفتوهم بخلاف النص التماسا لخيرهم أوهربا من سخطهم كتموا حكم الله من أجل ذلك فترى أحدهم اذا سئل : أهذا حق أم باطل ، وحلال أم حرام : يغض من صوته بالجواب ولا يجهر بالقول مداراة للعوام اذا كان الجواب على غير ماهم عليه لاسيما اذا كان هؤلاء العامة من الاغنياء وأصحاب السلطة . ونقول: مداراة للعوام: حكاية لقولهم اذ يسمون النفاق والمحاباة فى الدين مداراة لما كانت المداراة محمودة وكذلك كان الذين يكتمون ما أنزل الله من البينات والهدى ممن قبلهم يسمون كتمانهم بأسماء محمودة ولكن الله تعالى لعنهم على ذلك وسجل عليهم الكفر والفسوق والعصيان فهل يختلف حكمه فيرضى لهؤلاء بأن يؤثروا العامة على ربهم ويجعلونهم أندادا له يحبونهم كحبه أو أشد ؟ ترى العالم من هؤلاء ينتسب الى الشرع ويحترم لأجله وهو مع ذلك يتبع هوى من لا يعرف الشرع فهو من الذين اذا أوذوا فى الله جعلوا فتنة الناس كعذاب الله فلا يتخذون الله وليا ولا نصيرا فهل يكون المرء مؤمنا اذا كان يترك دينه لاجل الناس أم شرط الايمان ان يصبر في سبيله على إيذاء الناس ؟ « أحسب الناس أن يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون » الخ كلا : إن هؤلاء المتبوعين والتابعين بعضهم فتنة لبعض وسيتبرأ بعضهم من بعض كما أخبرنا تعالى فى قوله ..

نفهم ماهي الحنيفية السمحة التي لاحرج فيها ولا عسر، وماهو الدين الخالص الذي لاعوج فيه ولاخلف ، ولكننا اذا نظرنا في أقوال الفقهاء وتشعبها ، وخلافاتهم وعللها ، فاننا نحار في ترجيح بعضها على بعض اذ نجد بعضها يحتج عليه بحديث صحيح وهو ظاهر الحكمة معقول المعنى ولكنه غير معتمد عندهم بل يقولون فيه : المدرك قوي ولكنه لا يفتى به : ولماذا ؟ لأن فلانا قال. فقول رجل من رجال كثيرين جدا نجهل تاريخ أكثرهم يكفي لترك السنة الصحيحة وان ظهر أن المصلحة فيما جاءت به السنة وبهذا قطعت الصلة بين مانحن فيه وبين أصل الدين وينبوعه . ونحن لا نطعن في أولئك القائلين أو المرجحين سواء منهم من كان تاريخه معروفا لنا ومن كان غير معروف بل نحسن فيهم الظن ونقول انهم قالوا بما وصل إليه علمهم ولم يجعلوا انفسهم شارعين بل باحثين ، واننا نسترشد بكلامهم على أنهم دالون ومبينون، لا على أنهم شارعون.

بل نقول انه يجب على ذى الدين ان ينظر دائما الى كتابه حتى لا يختلط ولا يشتبه عليه شيء من أحكامه ولايجوز لأحد ان يرجع في شئ من عقائده وعباداته الا الى الله تعالى فان كانت هناك واسطة فهي واسطة الدلالة والتبليغ والتبيين لما نزل الله وتطبيقه على ما نزل لأجله من حياة الروح والكمال الانساني. فيجب علينا ان نعتقد بأن الحكم لله تعالى وحده لا يؤخذ عن غيره الدين كما يجب علينا ان نعتقد بان لافعل لغيره تعالى فلا نطلب شيئا الا منه وطلبنا منه يكون بالأخذ بالاسباب التي وضعها وهدانا اليها فان جهلنا أو عجزنا فاننا نلجأ الى قدرته ونستمد عنايته وحده وبهذا نكون موحدين مخلصين له الدين ، كما أمرنا في كتابه المبين ، ومن خرج عن هذا

كالعقل العام، والمرشد الحكيم لجميع الأنام،

كان لضلال البشر قبل الاسلام علتان احداهما ضعف قوى الخلقة، وثانيتهما الانحراف عن سنن الفطرة، فكان من الضعف ان يعتقد الناس في كل مظهر من مظاهر الخليقة لايعرفون علته أنه هو القوة الغيبية التي قامت بها جميع المظاهر وهي القوة الالهية فيعبدوا ذلك المظهر. وكان من الانحراف عن قوانين الفطرة ما كان من الاوضاع والبدع والتقاليد الوضعية الكثيرة. ومن عجيب أمرهم أن أسندوا معظم ذلك للدين حتى صار من المقرر عند أهل الدين وعند الحكماء الباحثين في طبائع الملل أن الدين أوضاع كلها وراء ما تدعو اليه الفطرة ويرضي العقل كأنه وضع لمصادمة الخلقة ومناصبة الفطرة ومحاولة تبديل خلق الله بشرع الله حتى جاء القرآن ينادي الداعي اليه: « فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لايعلمون » فعلم الناس ان الدين الحق إقامة الفطرة لامقاومتها، والاستنارة بنور العقل لا إطفاؤه، وأن العمدة في معرفة الحق الدليل، والعمدة فى العبادة الاخلاص لله تعالى وحده، والعمدة في معرفة الاحكام، والحلال والحرام، اجتناب المضار واجتلاب المنافع، فبهذا كان الاسلام هو الدين الاخير الذي اخرج البشر من حجر القصور وعبوديته، الى فضاء الرشد وحريته، وكان ناسخا لما قبله من الاديان، ولايمكن ان ينسخ او ينقضي الزمان،

يبلغ فى الشخص رشده فيؤذن له بالتصرف فى حاله، والاستقلال في أعماله، فيمضي فيها فتارة يخطيء وتارة يصيب، وينجح في عمل وفي آخر يخيب، وربما أضاع رأس ماله زمنا ثم استعاده فى زمن آخر. والامم أولى بالتخبط بعد بلوغ رشدها اذ الرشد لايظهر فى جميع أفرادها دفعة واحدة وانما يظهر فى بعض دون بعض فتارة يغلب إصلاح الراشدين فيها وطوار يغلب، والمجموع يستفيد من كل فوز وكل خيبة، فلايظهر الافساد فى موضع الا ويلوح الاصلاح في موضع آخر تاما اوناقصا حتى يبلغ الكمال البشري أشده ويصل الى كماله العام باستقلاله فى عمله بدون حاجة الى مسيطر ديني جديد كما كان يقع فى الامم قبل ظهور دين الفطرة الاخير وهو الاسلام ولايزال الاصلاح والافساد يتنازعان كل أمة قبل الوصول الى الكمال الاخير

باب العقائد

استغناء البشر عن دين جديد

(ومعنى كون دين الفطرة آخر الاديان ، وافتجار البابية)

فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ ٱللهِ التي فطرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللهِ ، ذَلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النـاس لا يعلمون * (سورة الروم) مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّينَ وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً * (سورة الاحزاب)

لقد كان من عموم رحمة الله تعالى وسعتها أن جعل للحق السلطان على الباطل ، وللخير الرجحان على الشر ، فلله الشكر والحمد، ولله الامر من قبل ومن بعد، خلق الانسان في أحسن تقويم ، وهداه الى الحق والى طريق مستقيم ، كمله بالمشاعر البادية والكامنة ، وأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة ،أعطاه العلم والارادة،وأناط بهما غوايته ورشاده ، ولذلك خلقه ضعيفا جهولا ، ليكون با كتسابه قويا عاما ، وجعل حياة الأمة من نوعه ، شبيهة بحياة الفرد فى شخصه ، تتربى بكسبها وتبلغ كمالها بالتدريج وجعل عقل الامة العام النبوة يظهرها فى أكمل أعضائها، كما أن عقل الافراد يكون في اشرف عضو فيها ، وشذوذ بعض آحاد الامة عن هدي نبيها شبيه بشذوذ بعض أعضاء الشخص عن حكم العقل ، كاليد تبطش حيث يضر البطش ،اوالرجل تسعى الى مايحكم العقل بوجوب القعود عنه، وسبب ذلك التقصير في التربية الدينية والعقلية

ومن آياته تعالى أن جعل شذوذ الافراد عن الاصل ، وميلهم عن الجادة ، سببا من أسباب التربية ، وعلما من أعلام الهداية ،كما جعل انتشار الباطل فى الامم ممدا لها لقبول الحق ، وتفشي الظلم والاستبداد ، من مقدمات الحرية والاستقلال،فله سبحانه في أثر كل شدة رخاء ، وفي تضاعيف كل نقمة نعماء ، فما عمّ الضلال في أمة الا وجاءها بعده الهدى ، ولا تفاقم الباطل فى قوم الاوانجلى بعد ذلك بقوة الحق ، كان يظهر لهم ذلك بتعليم الوحي المناسب لحالهم حتى اذا ما استعد النوع لان يكون أمة واحدة ، منحه الله الهداية العامة ، والرحمة الشاملة ، منحه دين الاسلام ، الذي هو

في الجملة ويختلفون فيه بالتفصيل ، ومتفقون على أنهم في حاجة الى الاصلاح والى أن هذا الاصلاح انما يكون بالرجوع الى العمل بكتاب الله تعالى وسيرة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم ، ويعتقدون أن هذا الاصلاح انما يكون على يد زعيم يدعى بالمهدي يبطل المذاهب ويقيم الناس على مثل ما كانوا عليه في عهد النبي (ص) في الدين وأحسن مما كانوا عليه في الدنيا وهذا الاعتقاد ظهر في الشيعة وامتد الى غيرهم من المسلمين حتى لا يكاد ينكره الا أفراد في كل زمان. وقد ظهر (الباب) في بلاد الفرس بهذه الدعوة في أرض ضيق شديد فتوهم الناس ومعظمهم هناك من الشيعة الذين ينتظرون المهدي في كل يوم أنه هو وحمل الضيق والبلاء كثيراً من الناس على اتباعه. وماذا كان منه ؟ هل جاء على ما كانوا يعتقدون من الصفات والنعوت والأعمال ؟ كلا إنه جاء بنزعة وثنية مناقضة لما جاء به الاسلام من الهداية العليا التي أشرنا الى مزاياها في مقدمة هذا المقال ، مبنية على استئصال جراثيم حرية الفكر. واستقلال العقل. وعلى الخضوع والعبودية لرجل مضطرب الفكر. بعيد من نور العلم. لا مزية له لا اللغو بما يخدع جهال الاعجميين . وضعفاء المقلدين . الذين اعتادوا على اعتقاد الولاية والعرفان. في أصحاب الدجل والهذيان. فكان ظهور هذا الرجل واتباع كثير من الشيعة له وتصديهم من بعده الى تعميم دعوته. ورفع كلمته. أشد مضار الاعتقاد بالمهدي المنتظر. وأكبر العظات فيها والعبر .

لم يحاول هذا الداعي المشترع إبطال دين الاسلام فيمن ينتظرون تأييده وانقاذه من التقاليد التي ذهبت باستقلاله بل حاول إفساد الفطرة وإطفاء نور العقل الذي أذكاه الاسلام وأطلقه من سجنه ، وبني دينه الجديد على تقاليد الشيعة الذين ظهر فيهم لأنه كان شبعان ريان بهذه التقاليد ومحكوم الشعور والوجدان بها ، ولولا هذا ما راجت دعوته في أولئك الغلاة الذين اذا سمعوا ذكر آل البيت عليهم السلام والرحمة ضلت أعناقهم له خاضعين ، وكانوا لكل مايقوله ذاكرهم بالخير متقبلين ، ولو أن المسلمين لا مذاهب لهم ولا كتب دينية غير القرآن وسيرة النبي وآله وصحبه في أعمالهم وأحوالهم وأقوالهم المنقولة بطرق متفق عليها بينهم مطابقة للاعمال والاحوال غير مخالفة للقرآن لما سرت اليهم هذه الضلالات في الماضي ولا في الحاضر فهكذا فعل التقليد بالمسلمين جعلهم غرباء عنه ، فسهل على المضلين أن ينتزعوا بعضهم منه»

كذلك كان شأن الناس في الاسلام نهض به الذين ظهر فيهم أولا ثم عميت عليهم سبله فوضعوا وابتدعوا ، وأولوا واخترعوا ، وتركوا الاستقلال بنور العقل في فضاء الفطرة وأقاموا لهم زعماء فنيت عقولهم وإرادتهم فيهم. وكان قد أخذ الاستقلال والاهتداء بسنن الفطرة عنهم قوم آخرون فغلب خير هؤلاء على شرهم كما غلب شر أولئك على خيرهم والسيادة والسعادة يتبعان الخير والاستقلال دائما . وقد قلب اصحاب السيادة في الأرض المجن للخاسرين فقالوا ان خساركم قد جاءكم من دينكم فاتبعونا تفلحوا ، وكان هؤلاء الخاسرون يقولون في أيام سيادتهم إننا قد سدنا بديننا فاتبعوه ايها الناس تفلحوا ، وانما كانت السيادة لكل من السائدين بالاستقلال واتباع سنن الفطرة التي أرشد اليها الاسلام — ساد بها أولئك من حيث عرفوا موردها، وساد بها هؤلاء من حيث جهلوا مصدرها ، وانما يستظل أهل الزعامة الدينية منهم والسيطرة الروحانية فيهم بظل الذين تركوها، ويخدعون اولئك بلقب الدين المشترك بينهما ، فعلم بهذا ان المسلمين قد تركوا ما ساد وسعد به سلفهم الصالحون ، والآخرين جهلوا منبعث هذا النور الذي هم في ضوئه يسيرون ، وزعم بعضهم ان دينهم هو الذي هداهم اليه ولكن لماذا لم يهتدوا اليه بدينهم عقيب دخولهم في ذلك الدين. بل ظلوا يتسكعون في الظلمات بضعة عشر قرنا حتى انتشر الاسلام فأطلق الافكار من سيطرة الرؤساء . والارادة من عبودية الزعماء، ووصل تعليمه وهديه الى تلك الارجاء ، ؟

لاعجب في إنكار المخالفين مزية في الاسلام بالقول . بعد ما أنكرها أهله بالفعل. ولكن العجب العجاب في صنيع قوم قاموا يداوون الداء بالداء . ويعودون بالنوع البشري الى مضيق العبودية والاستخذاء . . ذلك أن الامة الاسلامية ضاقت ذرعا بأوزار البدع والتقاليد التي وضعها الرؤساء وألزموا الناس بها تقليدا أعمى فطفقت تئط وترمي عن عاتقها بعض ما حملت على غير بصيرة فيما ترميه وتستبقيه هل هو النافع أم الضار وتنتظر زعيما قائما بالحق ينتاشها مما وقعت فيه من الجهل والفقر والذل والعبودية . واذا بصائح يصيح: انا القائم المنتظر: وكان ذلك مؤسس دين البابية ،

البابية

المسلمون متفقون على أن الدين قد ضعف في النفوس يعترف بهذا عالمهم وجاهلهم

ذلك (في ص٢٢ من الكتاب الاقدس) ولئن أصاب البهائية في هذه فهم لايخرجون عن كونهم فرعا من البابية وكون ديانتهم مبنية على أساس البيان والمبني على الفاسد فاسد

ماذا عسى ان نقابل ونتظر بين تعليم الاسلام وتعليم البابية ؟ هذا شيء يطول وأفضل منه التنبيه والايماء الى سبب قبول بعض المسلمين لهذا الدين مع رفضهم لدين النصرانية الذي يجتهد دعاته في تنصيرهم ويبذلون القناطير من الاموال ، ويتقنون فنون التشكيك والجدال ، على ان البابية تشبه النصرانية بالقول بألوهية البشر وهي دونها فيما عدا ذلك فان كلام الباب بمكانة من السخف واللغو يضحك منها الصبيان وانما راجت دعوته في طائفة الشيعة من المسلمين والسبب في ذلك أمور خاصة بهذه الطائفة وأمور اخرى عامة يشاركهم فيها غيرهم من طوائف المسلمين

(السبب الأول) عموم الجهل بالقرآن فمن فهم القرآن يستحيل ان يقبل دينا آخر لأنه يعلم أنه لاحاجة للبشر معه الا الى استعمال ماوهبهم الله من القوى العقلية والبدنية لنيل سعادة الدنيا والآخرة . وكان يجب على المسلمين ان يعلموا كل مسلم ومسلمة هذا القرآن ـ لا ألفاظه فقط بل ألفاظه ومعانيه وكان الخلفاء الراشدون يفرضون العطايا لمن يتعلم القرآن ولكن سلاطين الجور من بعدهم أبطلوا هذا واتفق بعد ذلك أئمة الجور من الملوك والفقهاء على الاكتفاء بكتب الفقه عن كل الدين .

(الثاني) عموم الجهل بسيرة النبي وسنته فانهما خير البيان لما نزل الله تعالى ولكنهم لم يحفلوا بذلك حتى لاتجد في مثل الازهر من يتعلمهما والعلة فيه ماتقدم

(الثالث) الجهل باللغة العربية التي يتوقف عليها فهم القرآن ولاشك أن تعميم تعليمها واجب اذ لايفهم الدين بدونه واني لاأعرف في بلاد المسلمين مدرسة ولامكانا تعلم فيه هذه اللغة وانما يعلم في المدارس بعض فنونها والكتب المؤلفة بها أما اللغة وأساليبها فلا تعلم بحيث ينطق بها المتعلم ويكتب ويخطب. ولو كان أولئك الذين استجابوا للباب يعرفون هذه اللغة الشريفة لسخروا من تقليده للقرآن بالفواصل مع كثرة اللغو والغلط واللحن في كلامه حتى ان فيه مالا يعقل له معنى قط وانما هو جمجمة وسجع كسجع الكهان ربما يظنه الاعجمي شيئا عظيما بليغا كالقرآن اذ لايفهم من القرآن شيئاً. ولايذوق لبلاغته طعما

القرآن بشر البشر بأن الله تعالى رفع عنهم سيطرة الرؤساء الروحانيين حتى خاطب من أنزله عليه بقوله « فذكر انما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر » وسماه عبدا متبعا لما أمر به وانما ذكرهم بما تعهده الفطرة السليمة فاقامة هذا الدين هو الرجوع الى الفطرة المعتدلة كما ترشد اليه الآية التي صدرنا بها المقال وذلك تبشير برشد البشر واستقلالهم، والبابية يحاولون إرجاع السيطرة الدينية للاشخاص بأقبح ما كانت عليه من أشكال الوثنية فهم يعيدون البشر الى حجر الطفولية التي تفتقر الى القيم المطاع طاعة عمياء

القرآن بشر البشر بأن محمدا خاتم النبيين فلا حاجة بعده الى تعليم سماوي ولا وحي جديد لان تعليمه هو التعليم العالي الذي يرتقي به العقل ويستقل فلا يقبل الشيء الا ببرهانه ولذلك استدل على العقائد وبين منافع الآداب والأحكام وطالب بالدليل والبرهان وجعله شرطا للاعتراف بالصدق «قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين» والبابية يحاولون إرجاع أهل هذا التعليم العالي الى تعليم الاطفال الابتدائي الذي يؤخذ فيه كل شيء بالتسليم والاذعان ، بدون دليل ولا برهان ،

القرآن أبطل التقليد لأن فيه حجرا على العقول أن تفهم الدين عن الله بنفسها وتفهم مصالحها في الدنيا بالتجربة والاختبار فقال فيمن احتجوا بتقليد ماكان عليه آباؤهم «أولو كان آباؤهم لايعقلون شيئا ولايهتدون» فبين أن أحدا لا يأخذ بقول أحد الااذا عقله وتبين له وجه الهداية فيه. والبابية يحاولون إقرار الذين ضلوا عن الاستقلال على ضلالهم وإلزامهم باتباع رؤسائهم في التأويلات التي لاتعقل والخضوع لهم فيما علموا وجهلوا بل أوجبوا عليهم عبادتهم (يا للمصيبة والرزية ، وضعف البشرية)

القرآن جعل آية محمد الكبرى علمية أدبية . ولم يحتج على نبوته بالآيات الكونية لأنه دين العقل والآيات الكونية لاتعقل ولانه دين العلم وهي لاتعلم . ولانه جعل ركن ارتقاء البشر الهداية الى سننه تعالى في الخلق وكونها لاتتبدل ولا تتحول وهي على غير السنن الكونية ، والبابية زعموا ان الباب كان مؤيدا بالخوارق والآيات ولكن لم يستطيعوا إثبات ذلك بل جعلوا اللغو دلائل كما ترى قريبا

القرآن أرشد البشر الى العلوم الكونية وحثهم عليها في آيات كثيرة والباب حرم عليهم كل علم الا مايؤخذ عنه وفرض عليهم في البيان محو جميع الكتب ثم نسخ البهاء

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي خلق الماء بسر الانشاء ، واقام العرش على الماء بشأن الامضاء ، وأنزل الايات من عالم العماء بجريان انقضاء . وفصل ماقدر في طور السيناء بحكم الثناء ، وأمضى ماقدر بالبهاء بذوبان الاقتضاء ، فسبحانه وتعالى قد أرسل الرسل مبشرين ومنذرين الا يعبدوا الااياه ، وجعل في يدي كل أحد منهم شأنا من قدرته التي يعجز عن مثلها كل ماسواه ، تثبت الحق بكلماته ، ويبطل الباطل باياته ، لئلا يكون لاحد بعد العلم بمحل حكمه حجة وكان الكل له مسلّمين ، فسبحانه وتعالى قد جعل بينه وبين رسله شأن البهاء من الكلام لانها أعظم النعماء في الانشاء ، وبها يتشرف الرسل بعضهم على بعض كما نزل في التنزيل ، بحكم الله الجليل ، وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي باذنه مايشاء انه علي حكيم ، وجعل في كلامه شأنا من القدرة التي لايشتبه بكلام عباده وانه سبحانه حي قادر ينزل على من يشاء بما يشاء من آياته سبحانه وتعالى عما يصفون . أشهد الله في ذلك الكتاب بما شهد الله لنفسه بنفسه من دون شهادة أولى العلم من عباده بانه لا اله الا هو لم يزل كان بلا ذكر شيء . والآن هو الكائن بمثل ماكان لم يكن معه شيء . قد علا بعلو ذاته عن نعت الانشاء وأهلها . وتعظم بعظمة نفسه عن وصف الابداع وما يشابهها . سبحانه تقطعت الابداع كينونيته . وتفرقت الاختراع انيته . من قال هو هو فقد فقده لانه لايوجده غيره ولاله صفة دون ذاته ولا اسم عين بهائه فمن وحده فقد حجده لانه لايعرفه بشيء ولايدركه عبد انقطعت الاسماء من عالم العماء بجبروتيته ، وامتنعت الصفات من عالم الامثال بملكوتيته ، لم يزل كان ربا بلا مربوب ، وعالما بلا معلوم ، وقادرا بلا مقدور ، وموجدا بلا موجود ، والآن كان الله بمثل ماكان ، وهو الكائن لامربوب ، وهو العالم لامعلوم ، وهو القادر لامقدور ، وهو الموجد لاموجود ، لااسم له ولاوصف ، ولانعت له ولا رسم ، قد تقطع الكل ذاتيته . وتفرق الكل كينونيته . لاذكر له بالفصل ، ولابيان له بالوصل ، من قال هو الحق ، يرجع الامر الى الخلق ، ومن قال هو العدل ، يمنع العدل عن الوصف ، سبحانه وتعالى قد وجدت الابداع بالانشاء بلا مسّ النار من ذاته ، واخترعت المشية بالابداع بلا فصل من نفسه ، وقد منعت الابداع عن معرفة ابداعه ، وانقطعت الاختراع عن محبته باختراعه ، سبحانه وتعالى

(الرابع) تعود المسلمين على أخذ كلام العلماء فى الدين بالتسليم من غير إ
كتاب ولا سنة ولا دليل أي تعودهم على التقليد البحت الذي ذمه القرآن وا
وقد عم هذا التقليد حتى فى العقائد فلو أن رجلا فى هـذه البلاد مثلا خا
السنوسي في الصفات العشرين والدلائل التي جاء بها عليها لعدوه مارقا من الد
وافق هدي القرآن في سرد العقائد والاستدلال عليها بآيات الله فى الكون

(الخامس) تعوّد المسلمين على الخضوع والاذعان للظاهرين بمظهر ال
واللابسين لباس التصوف وتقديم كلامهم على كل كلام حتى مايعتقدون انه ،
بلاخلاف (راجع الكلام فى الصوفية من تفسير هذا الجزء) وكم خدع المسلم
من الباطنية وغيرهم باسم التصوف وأفسد في دينهم ماشاء وماهؤلاء البابية الا
الباطنية الملحدين . وكان الباب قددخل الخلوات وبالغ في الرياضات . قبل أ
بهذا الافتئات . ومن العجائب أن علماء المسلمين اليوم يقدسون كل كلام ينسب لل
مع اعترافهم بان منه مالايفهم ومنه مايفهم وفيه مايناقض الكتاب والسنة واج
ككلام محي الدين بن عربي وعبد الكريم الجيلي وغيرهما . فلا عجب بعد هذا
القوم كلام الباب فى تفسير سورة يوسف بقصة الحسين وخضعوا للغوه
والصحف والخطب والرسائل الكثيرة

(السادس) غلوّ الشيعة في تعظيم المنتسبين لآل البيت والباب منهم واعتقاده
بالمهدي المنتظر وأنه معصوم لايسئل عما يفعل . ولا يعارض فيما يحكم . وقـد ب
دعوته على تقاليد الشيعة في الائمة والمهدي كما تقدم

وانا نورد للقراء مثـلا من أقوال الباب التي يدعي أنها منزلة ليحكموا حكم
ونبدأ بما أرسله الينا فى البريد الاخير أحد كبار البابية في (طهران) ردا لما كتبناه من
المنار . ومحاولة لاقناعنا بهذا الدين ولعله أمثل ماعندهم وسنورد بعده ماهو شر منـ
نورد مايأتي بنصه ونصححه على أصله بغاية الدقة فلا يتوهمن أحد أن مافيه م
والسخف من التحريف بل هو كلام الباب بحروفه قال :

الصحيفة السادسة فى الخطب وهي مرتبة باربعة عشر خطبة

الخطبة الاولى

هذه الخطبة قد أنشأت فى كل ماسطر في ذلك الكتاب ليكون الكل
من الشاهدين ؛

(الاولى) كتاب الاحمدية في شرح جزء الاول من القرآن (والثانية) كتاب العلوية وهو الذي قد فصل فيه سبعمائة سورة محكمة التي كل واحدة منها سبع آيات. (والثالثة) كتاب الحسنية وهو الذي قد فصل فيه خمسين كتابا محكمة بالآيات القاهرة. (والرابعة) كتاب الحسينية في شرح سورة يوسف عليه السلام التي كلها المفصلة بمائة واحدى عشر سورة محكمة التي كل واحدة منها اثنتى وأربعين أية التي كل واحدة منها تكفي في الحجية لمن على الارض وما في تحت العرش اولم تغيروكفى بالله شهيدا (والخامسة) صحيفة الفاطمية وهي مرتبة باربعة عشر بابا في أعمال اثنى عشر شهرا في كتاب الله (والسادسة) صحيفة العلوية وهي مرتبة باربعة عشر دعاء فى جواب اثنى وتسعين مسئلة التي قد فصلت بعد رجعي على الحج فى الشهر الصيام (والسابعة) صحيفة الباقرية وهي مرتبة باربعة عشر بابا فى تفسير أحرف البسملة (والثامنة) صحيفة الجعفرية وهي مرتبة باربعة عشر بابا في شرح دعائه عليه السلام في أيام الغيبة (والتاسعة) صحيفة الموسوية وهى مرتبة باربعة عشر بابا في جواب اثنين نفس من عباد الله التي قد قضت فى أرض الحرمين (والعاشرة) صحيفة الرضوية وهي مرتبة باربعة عشر بابا فى ذكر أربعة عشر خطبة غراء الناطقة عن شجرة الثناء لا اله الا هو العزيز المنان (والحادى عشر) صحيفة الجوادية وهي مرتبة بأربعة عشر بابا في جواب اربعة عشر مسئلة لاهوتية (والثانى عشر) صحيفة الهادية وهو مرتبة باربعة عشر بابا في جواب اربعة عشر مسئلة جبروتية (والثالث عشر) صحيفة العسكرية وهي مرتبة باربعة عشر بابا فى جواب اربعة عشر مسئلة ملكوتية (والرابعة عشر) صحيفة الحجية وهي مفصلة باربعة عشر دعاء قدوسية التى قد ظهرت فى بدء الامر وتنسب الى ايام العدل. فكل ذلك اربعة عشر نسخة مباركة موجودة في ذلك الكتاب مع صحيفة المشهودية في اخره فى اربعة عشر كتابا من اولياء العباد كل ذلك مكتوب فى هذا الكتاب واما ما اخرج من يدي وسرق في سبيل الحج قد ذكر تفصيله فى صحيفة الرضوية فمن وجد منه شيئا وجب عليه حفظه فياطوبى لمن استحفظ كل نزل من لديّ بالواح طيبة على احسن خط فو الذى اكرمنى اياته حرفا منها اعزّ لديّ من ملك الاخرة والاولى واستغفر الله ربى عن التحديد بالقليل وسبحان الله رب العرش عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

لاذ كر هنالك لابالنفي ولا بالاثبات ، ولا بالثناء ولا بالايات. ولا بالبهاء ولا بالعلامات، ولا بذكر الها، ولا بالفرار عن الواو ولا بالقيام بين الامرين، ولا بحرف الالا. سبحانه وتعالى عما يصفون ، (واشهد) لمحمد صلى الله عليه واله بما شهد الله له به حيث لا يعلم ذلك الا هو بعد مااخترع، لعزة ذاته، واصطفيه لقدس جنابه، وجعله منفردا من ابناء الجنس في تلقاء جماله، للقيام على منامه. إذ هو لايدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير، (واشهد) ان محمد ابن عبد الله رسوله قد بلغ ماحمل فى امره، وقبض ماجرى القضاء بايدى نفسه ، سبحانه وتعالى ويحذركم الله نفسه . الاتقولوا في حقه دون ماقدر الله لنفسه . سبحانه وتعالى عما يشركون. (واشهد) ان اوصيا محمد صلى الله عليه واله اثنى عشر نفسا فى كتاب الله يوم ماخلق حرفا فى الامكان غيرهم بما قد شهد الله لهم في عز جبروتيته وقدس لاهوتيته وعظم سبوحيته وعلو صمدانيته بما لايعلم ذلك احد غيره (واشهد) انهم قد بلغوا ماحملوا من وصاية رسول الله صلى الله عليه واله وانهم الفائزون حقا. (واشهد) ان قائمهم سلام الله عليه حي به قد اقام الله كل شيء وله يمد الله كل شيء وبه يوجد الله كل شيء . وان له رجعة حق بمثل ما جعل الله لهم فسوف يحيي الله الارض بظهوره . ويبطل عمل المشركين . (واشهد) ان فاطمة بنت رسول الله صلى عليه واله ورقة مباركة عن الشجرة البيضاء لااله الا الله سبحانه وتعالى عما يشركون. (واشهد) لكل حق بمثل ماشهد الله له فى علم الغيب ولكل باطل بمثل ذلك وانه ليعلم باني عبد الله مؤمن به وباياته وبكتابه الفرقان الذي لم يوجد بمثله وبالمحبة لكل ماأحبه وبالبرائة لكل ما أبغضه وكفى بالله عليّ شهيدا . (وأشهد) أن الموت والسؤال والبعث والحساب وحشر الاجساد والاجسام وماجعل الله وراء ذلك فى علمه لحق بمثل ماكان الناس فى علم الله ليوقنون . وأشهد ان كل ما فصل في ذلك الكتاب حق من فضل الله علي ولكن أكثر الناس لايشكرون .

ولقد فصل فى ذلك الكتاب كل ماخرج من يدي من سنة ١٢٤٠ الى سنة ١٢٤٢ من شهرها بماضى نصفه من شهرها وهو أربعة كتاب محكم وعشر صحيفة متقنة التى كل واحدة منها تكفى في الحجية على العبودية لمن فى السموات والارض وانا شاء أذكر اسمائها باسماء ال الله منزلها لتكون حنيفا في البيان، ومذكورا في التبيان

كلكم أجمعون. أتقولون ان الفرقان أكبر آيات محمد رسول الله من قبل ان أنتم بذلك موقنون. كيف لا تستدلون يومئذ ولا به في دين الله تدخلون. قل (الثالث) ان آيات الله أكبر عن آيات النبيين من قبل ان أنتم قليلا ما تتفكرون . اذ لو لم يكن أكبر لا ينسخ الله بايت الفرقان دين عيسى بعد موسى ثم النبيين قبل موسى ولكنكم في حجة دينكم من قبل لا تتفكرون. لو لم يكن آيات الفرقان أكبر من عصى موسى ثم كل آيات النبيين من قبل موسى وبعد عيسى كيف ينسخ الله بها ما نزل من قبل افانتم في دلائل الله لا تتفكرون . أفأنتم في حجج الله لا تتأملون . ولو انكم أنتم من قبل في الفرقان مستبصرون. حين سمعتم من آية لتطمئن في أفئدتكم أكبر عن خلق السموات والارض وما بينهما ولكنكم لا تتفكرون ولا تتذكرون . قل (الرابع) انما الآيات لا يكفين الذين اوتوا الفرقان من قبل ومن بعد ان انتم بما نزل الله من قبل لموقنون. قل ان ذلك لدليل ليثبتن الكتاب بانه حجة من عند الله ويكفين كل العالمين مثل ما نزل الله في سورة العنكبوت وانتم بالليل والنهار لتقرؤن . اولم يكفهم انا أنزلنا اليك الكتاب يتلى عليهم ان في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون . قل (الخامس) دليل عقلي مقطوع لو اراد احد من النصارى ان يدخل في دين الاسلام انتم كيف تستدلون . وهل يكن حجتكم بالقة بالكتاب أو أنتم بغيره تستدلون . لو تستدلون بغيره ان يقبل عنكم وان تستدلون به فاذا انتم غالبون . سواء يقبل عنكم اولا يقبل فان حجتكم قد تمت وكملت عليه هذا ما انتم من قبل في الاسلام مستدلون . كيف لا تستدلون يومئذ في البيان وانتم على الصراط بالحق لتمرون . (*) قل (السادس) قد أظهر الله قدرته في الآيات على شان كل عنها عاجزون . ولا يحسبن ان هذا امر خفيف فانه لا نقل عما في السموات والارض وما بينهما ولكن أكثر الناس لا يعلمون . ما خلق الله خلقا اعز من الانسان وكل عند ذلك

(*) المنار: زعم الباب أن هذا دليل عقلي وملخصه أن كتابه البيان حجة على المسلمين كما أن القرآن حجة على النصاري وهذا جهل مثل سابقه ولاحقه ذلك انه يجهل طريق الاستدلال عند المسلمين وهو البرهان على الألوهية بالعقل ويدخل في ذلك استحالة حلول الباري في البشر والبرهان بالعقل على الحاجة الى الرسالة والى بعثة محمد (ص) والاستغناء عنها بدينه وههنا يجيء الاستدلال بالقرآن بما فيه من العلوم العالية مع ان الجائي به أمي ومن البلاغة التي أعجزت البلغاء. وليس بيان الباب الاعجمي واغويسهل مثله على الصبيان والمجانين .

(المنار) يرى القارئ أن هذا اللغو الذي لا يفهم حتى كاتبه انما خدع بعض الفرس لما فيه من نسبة الصحف الى آل البيت وان الله أوجدو يوجد بقائمهم كل شيء وهذا شرك ولعلهم ظنوا أن ما لا يفهم منه هو الأفهام والمعقول كما يظن عامة المسلمين في كلام الصوفية.

﴿ أدلة الباب السبعة على دينه ﴾

هفت دلائلي است كه بجهة جواب يكى ازعلماء نقطهٔ بيان نازل فرموده اندكه أول از عربي است وفارسى هم تفسير اندامرقوم فرموده ند عربي اندانوشتم (*)

بسم الله الافرد الافرد

اني أنا الله لا اله الا أنا قد خلقت كل شيء بامري وما جعلت لشيء من أول ولا آخر جودا من لدنا انا كنا على ذلك لقادرين . وانتهيت كل ماقد خلقت الى بديع الاول أمراً من عندنا انا كنا على كل شيء لمقتدرين . ثم انتهينا ماقد خلقنا من بديع الاول الى محمد رسول الله ص فضلا من لدنا اناكنافاضلين. وربنا الذين أوتوا الفرقان في ألف ومائتين ثم سبعين سنينا لعلهم يستبصرون. في دينهم ليوم ظهور ربهم وحين ما يعرفهم الله نفسه ايجيبون الله ربهم ثم لينصرون . وعلمناهم في الفرقان دلائل سبعة كل واحدة منهن يكفى كل العالمين . قل (الاول) ان غير الله لن يقدر ان ينزل مثل الفرقان وهل من خلق أعجب من هذا ان أنتم فيه تتفكرون . وأمهلنا الذين أوتوا الفرقان من يومئذ الى حينئذ حتى كل يوقنون بانهم عاجزون . لعل الذين هم يستمعون آيات الله حين ظهور حجته بها آمنوا من قبل يؤمنون. انظر كيف قد سد الله أبواب حججهم ولا يمن الله علي أمم مثلهم ولكنهم عن أمر الله غافلون. حين ماقدراوا آيته لا سبيل لهم فى دينهم الا أن يقولون هذا من عند الله المهيمن القيوم . وان يقولون هذا من عند غير الله يكذبهم قول الله من قبل في الفرقان بان غير الله لن يقدر ان يأتي بآية وأنتم كلكم بذلك من قبل موقنون. قل (الثاني) مااستدل الله فى الفرقان بأمر محمد رسول الله الا بعجزكم عن آيات الله ان أنتم قليلا ماتتفكرون. ولم يكن عند الله حجة أكبر من هذا ليستدلن الله به وان مادونه ما أنتم لتذكرون كمثل ظلال عند الشمس افلا تبصرون . وأنتم

(*) هذه العبارة الفارسية لمرسل الرسالتين ومعناها الدلائل السبع التى تفضلت بانزالها نقطة البيان فى جواب العلماء بالعربية ومترجمة بالفارسية فبادرت بارسال العربية اليكم.

الى غيري اذ كل فيه وكل بامر الله اذا يشاء ليظهرون ، هذا معنى قول محمد من قبل فى ذكر النبيين بانهم اياي اذ ما فى كل أمر واحد قد اتصل بمحمد رسول الله ومن محمد الى نقطه البيان ومن نقطة البيان الى من يظهره الله ومن يظهره الله الى من يظهر من بعد من يظهره الله الى آخر الذي لا آخر له انتم مثل أول الذي لا اول له لتستنبئون ثم لتوقنون (*). فاذا فى كل ظهور كل ما ظهر فيه وكل ما يظهر من عنده يظهر ذلك معنى ما أنتم في بحر الاسماء تذكرون ، سبحانك اللهم انك أنت الاول ولم يكن قبلك من شيء وانك أنت مؤل الاولين ، قل اللهم قل اللهم انك أنت الآخر ولم يكن بعدك من شيء وانك أنت مؤخر الآخرين. قل اللهم انك أنت الظاهر فوق كل شيء ولم يكن فوقك من شيء وانك أنت مظهر الاظهرين. قل اللهم انك أنت الباطن دون كل شيء ولم يكن غيرك من شيء وانك أنت مبطن الابطنين. سبحانك اللهم انك أنت القادر على كل شيء لن يعجزك من شيء لا في السموات ولا فى الارض ولا ما بينهما تنصر من تشاء بامرك انك أنت اقدر الاقدرين. وان كنت في بحر الخلق ناظرين. مثل ذلك فى مرءات الازل انا كنا منزلين ، اذ لا يرى في المرات الا تجليها ذلك رب العالمين ، فانظر من اول ماقد دخلت في دينك هل رأيت من نبي او حجة الا وقد شهدت الفرقان من عند الله رب العالمين ، واستدللت به من غير ان تسكن فيه وكنت به لمن الموقنين. فلتنصفن حين ماقد رايت الفرقان اوآيات البيان هل رايت ماتحجبنك عن هذا او توقننك فى هذا ان كنت من المستبصرين ، وإن ماتشاهدن غير قواعد النحويين والصرفيين هؤلآء يستنبئون علمهم من كتاب الله وما يتلى الكتاب من عند الله لا يستبنئ من علمهم فما هؤلاء القوم لا يتفكرون ولا يتذكرون ، (*) وهذا دليل على انكم توقنون بان الله قد اظهر حجته من عند من لم يتعلم شؤن علمكم املكم انتم بذلك تستطيعون في دين الله توقنون ، وانا لو نشاء لننزلن مثل ما انتم في قواعدكم مستدلون ، مثل ماقد نزلنا كتبا من قبل وان كنا على ذلك لمقتدرين ، وان الله في كل ظهور ليحبن ان يدخلن الناس فى دين الله بحجة ودليل وعلى هذا

(*) المنار: يظهر أن الشيعة يروون حديثا مرفوعا في هذا الموضوع والعارف بالعربية وأساليبها يجزم بأنه موضوع لا أصل له ويفهم من العبارة ان الباب يعتقد بخلود الناس فى الدنيا (*) انظر الى هذا الاعتذار السخيف عن عجزه عن الكلام الصحيح كأن الله تعالى يحب اللغو الذي لا يفهم

عاجزون ، انظر كل بحروف الثمانية والعشرين متكلمون ، وان الله قد سخر تلك الحروف وركبها بشان كل عنها يعجزون ، هذا صنع الله كل به يخلقون ، ان الذين يدعون من دون الله مالهم دليل فى كتاب الله مثلهم كمثل الذين هم كانوا من قبلهم لو شاء الله ليهديهم وان يشاء ليمهلنهم وذلك نارهم عند الله ولكنهم لا يعلمون ، ولكنهم لو يتفكرون اقرب من لمح البصر ليهتدون ، قل (السابع) كل موقنون بان الله لن يعزب من علمه من شيء ولا يعجزه من شيء لا في السموات ولا في الارض ولا ما بينهما وانه كان بكل شيء عليما وانه كان على كل شيء قديرا . فاذا نسب أحد نفسه اليه ان لم يكن من عنـده فعلى الله ان يظهرن من يبطلن ذلك بدليل كل به يوقنون ، فان لم يظهر دليل انه حق من عنـد الله لا ريب فيه كل به مؤمنون ، انظر ان الامر في ظهور البيان أعجب عما نزل الله من قبل الفرقان وجعله آية من عنـده على العالمين ، قل الله قد نزل الفرقان من قبل بلسان محمد رسول الله فى ثلث وعشرين سنة وكل يومئـذ به لمدينون من الذين أوتوا الفرقان ومن لم يؤمن به فاولئك هم عن صراط الله لمبعدون ، ولـكن الله ان شاء لينزلن مثل مانزل من قبل في يومين وليلتين اذا لم يفصل بينهما ان أنتم تحبون فتستنبؤن ، فانا كنا على ذلك لمقتدرين ، انظر باية قل نزل الله من قبل في ذكر الحج فى حول كم من خلق في حول الطين يطوفون ، هذا عظمة أمر الله في آياته وسيشهدن الذين هم يأتون من بعـد في آيات البيان أكبر من ذلك ولـكن الناس هم لا يعلمون ، هذا في شأن انا كنا بلسان الخلق مستدلون ، والا كيف نعرفن أنفسنا باياتنا وانها هي خلق في كتاب الله تعرف بالله ربها والله لا يعرف بها وانا كنا على كل شيء لشاهدين ، ان كنت في بحر الاسماء لمن السائرين ، مامن اله الا الله رب العالمين ، له الاسماء الحسنى من قبل ومن بعد كل عباد له وكل له عابدون ، وان كنت فى بحر الخلق لمن السائرين ، قد خلق الله كل شيء بامر واحد وجعل مثل ذلك الامر كمثل الشمس ان تطلع بما لا يحصي المحصون ؛ انها هي شمس واحدة وان تغرب بمثل ذلك انها هي شمس واحدة قل كل بالله قائمون ، فاذا فى كل الرسل أمر واحد وفي كل الـكتب أمر واحد وفى كل المناهج أمر واحد كل بامر الله من عند مظهر نفسه قائمون ، هذا معنى حديث أنتم في ذكر قائمكم لتذكرون ، ليذكرن من بديع الاول الى محمد وليقولن من أراد أحد من أنبياء الله فلينظرن الى ولا يقولن فلينظرن

لترضون ولا تجملون رضائه بما ترضون بل تجملون رضائكم بما يرضى ولا تسئلونه عن آيات غير ما يؤتيه الله فانكم انتم لا تستجابون . قد وصينا كم حق الوصية لعلكم في دينكم تتقون ، وعلمناكم سبل الدلائل في الايات لعلكم فى البيان لتتقون ثم لتخلصون ٠ ثم بالحق تستدلون . اه

(المنار) الذى يمكن أن يفهم بالقرائن من مجموع هذا اللغو الطويل الذي أفرغ فيه الباب جعبة دلائله أن أهل كل دين جديد يرون أنهم محقون ومهتدون وغيرهم مبطل وهكذا يراهم غيرهم وأن المسلمين الذين يؤمنون بالأئمة مع الذين لا يؤمنون بهم كذلك فوجب أن يكون دينه كذلك ٠ ولو نهض هذا دليلا لجاز لكل أحد فى كل يوم أن يخترع دينا ويحتج به !!! وقد جهل الباب أو نسي أن المسلمين الذين يحتج عليهم يعتقدون بأن الأديان قد ختمت بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ٠ وان الدليل عليها لم يكن التنازع والخلاف بين أهل الأديان بل كان دليلا حقيقيا معقولا

وقد بنت البهائية دينها على قوله من يظهره الله ولكن أي معنى لوجود شارع يضع دينا ولا يلبث أن ينسخ دينه في عصره ويكتم كتابه قبل أن يعلم به الناس الا قليلا لا يعتد بهم فان البهائية يخفون (البيان) إذ وجد فيهم من أدرك أنه سخرية ؟ وياليت هذا الدين الصبياني قد انقسم الى دينين فقط ٠ كلا انه انقسم الى أربع فرق يكفر بعضها بعضا في الغالب وهي كما فى خاتمة كتاب (مفتاح باب الابواب) الذى نوهنا به من قبل وقد تم طبعه الآن وسيصدر بعد أيام قال مؤلفه

﴿ فرق البابية ﴾

﴿ الأولى البابية الخلّص ﴾ أي الذي اتبعوا الباب فقط ولم يرضخوا لأوامر من قام من بعده مثل الميرزا يحيى صبح أزل وأخيه الميرزا حسين علي البهاء وغيرهما وهم يعملون بأحكام البيان وينبذون جميع ما ألف وكتب بعد الباب ظهريا وهؤلاء يبلغون نحو مائتي نفس فى البلاد الايرانية دون غيرها وفى أثناء وجودنا بطهران تقابلنا مع أناس منهم وعلمنا منهم مالا تعلمه البابية الأزلية والبهائية ٠

﴿ الثانية البابية الازلية ﴾ وهم القائلون بخلافة أو أصالة الميرزا يحيى صبح أزل سجين قبرص الآن اي ان الأزل هو مصداق لما ورد فى كتاب البيان (من

لينصحن الرسل في كل ظهور كل عباد الله المؤمنين، والا اذا يبعث الله ذا طول عظيم ليدخلن الناس فى دين الله سوآء يحيطون علمهم بدليل أو لا يحيطون، مثل كل ما ادخل محمد رسول الله من قبل في الاسلام بجبر وقهر فان اولئك هم سوآء يطلعون بدليل او لا يطلعون، ليدخلنهم الله في رضوان الدين بفضله سوآء هم يعلمون او لا يعلمون، فلتتفكرن هل يكن حجة الذين اوتوا التورية بالغة على الذين اوتوا الزبور كيف هم صبروا فى دينهم وما دخلوا فى دين موسى ولا هم يتذكرون، ويحسبون بينهم وبين الله بانهم محسنون، بعد ما انهم عند الذين هم اوتوا التورية مسيئون، وكيف عند الله ولكن لا يعقلون، ثم انظر الى الذين اوتوا الانجيل لم يكن حجتهم بالغة على الذينهم اوتوا التورية كيف هم قد صبروا في دينهم ويحسبون بينهم وبين الله بانهم محسنون. بعد ما انهم عند الذين اوتوا الانجيل لمسيئون. وكيف عند الله ربهم ولكنهم لا يتذكرون، ثم انظر الى الذين اوتوا الفرقان بان حجتهم بالغة على الذين اوتوا الانجيل كيف هم يحسبون بانهم بينهم وبين الله محسنون. وان ما وعدهم عيسى ما جاء وهم يحسبون بينهم وبين الله ربهم بانهم فى دينهم مستبصرون. بعد ما انهم عند الذين اوتوا الفرقان لمسيئون وغير مبصرون، وكيف وعند الله ربهم ولكنهم لا يعلمون. ثم انظر الى الذين اوتوا الفرقان كيف حجة الذين هم امنوا بائمة الدين بالغة على الذين لم يؤمنوا بهم وهم يحسبون بأنهم محسنون. بعد ما انهم عند هؤلآء غير محسنون. ثم انظر الى الذين اوتوا البيان فان حجتهم بالغة على كل الامم وكل بينهم وبين الله يحسبون بأنهم محسنون وفى دينهم محتاطون ثم لمتقون. ولكنهم عند الذين اوتوا البيان غير محسنون ولا متقون. وكيف عند الله وعند مظهر نفسه وعند شهداء مظهر نفسه ولكنهم لا يتفكرون ولا يتذكرون. ثم انظر الى الذين هم اوتوا الكتاب من يظهره الله فى القيامة الاخرى فان حجتهم بالغة على الذينهم اوتوا البيان ولكنهم يحسبون فى دينهم بأنهم متقون ومحسنون. بعد ما انهم عند الذين أوتوا ذلك الكتاب غير متقون ولا محسنون، وكيف عند الله وعند من يظهره الله وعند ادلائه يا اولى البيان بالله تتقون. ان لا تفضحن أنفسكم مثل الامم قبلكم بانكم تحسبون بينكم وبين الله بانكم متقون. وعند خلق آخر غير متقون ومحسنون. وكيف عند الله ربكم فلتنقطعن عن كل علمكم وعملكم ولتستمسكن بمن يظهره الله ثم دليله وحجته ثم بما يستدل المستدلون وباهوائكم لا تستدلون ثم بما يرضى

ورافق أباه بالنفي الى بغداد وادرنه وعكا ولم يكن للبابية البهائية شأن يذكر قبل ترعرعه ولما بلغ أشده واستلم زمام الامور بكياسته المشهورة ، نثر ونظم ،عقد وحل ،غير وبدل، ألف وصنف ، وهو الذى اشار على ابيه بالاستقلال فى الامر والاستبداد بالرأي حتى فرق بين ابيه وعمه الازل وجعل للبهائية شأنا يذكر ولولاه لما قامت للبابية قائمة وما قام بشخص يسقط بسقوطه ويزول بزواله اذ لا بقاء له بذاته ، نعم انه كان يتظاهر امام البابية انه كما قيل عبد متواضع خاشع للبهاء ولكنه كان ماسكا دفة الامر بيد من حديد يديرها كيف شاء وأنى شاء وكان يخاطبه أبوه بلفظة (آقا) ومعناها (السيد) ولما مات البهاء آلت اليه الرياسة وانفرد بالمحو والاثبات في الاحكام فذعر من ذلك اخوته والخاصة من اصحاب ابيه مثل الميرزا آقاجان الكاشاني الملقب بخادم الله ومحمد جواد القزويني وجمال البروجردي واصهار البهاء فانضم هؤلاء الى الميرزا محمد على النجل الثاني للبهاء الملقب بغصن الله الاكبر وأرسلوا الدعاة الى البلدان، ونزغوا الى الطغيان والعصيان، وألفوا كتبا بالفارسية والعربية وطبعوها بالهند أظهروا بها مروق العباس وأشياعه من دين البهاء وكفروه وسلقوه بألسنة حداد (عندنا نسختان من الكتب المذكورة) ومن جراء ذلك انشقت البابية البهائية الى قسمين قسم سمي (بالناقضين) هم الميرزا محمد على واشياعه وقسم سمي (بالمارقين) هم العباس واشياعه وقام كل منهم الآن يؤيد دعواه ويكفر من عداه فاعتزلوا المعاشرة وحرموا المعاملة بعضهم لبعض وعداوة كل منهم للآخر أشد من عداوتهم جميعا للمسلمين وغيرهم فهذا ما آل اليه أمر البهائية بعد موت البهاء ولله الامر من قبل ومن بعد.



بشائر الاصلاح فى المملكة الفارسية

كتبنا في المنار السابق مقالة بعنوان (هذا أوان العبر) ابنا فيها عن فساد الحكم الاستبدادي وان الذي أودى بالمسلمين وأوهن قواهم وجعلهم دون غيرهم قوة ورقيا واستعدادا دولهم وعدم ملائمة طرز حكومتهم لأصول الترقي الجديدة لما أثبته التاريخ وأيده الحس فى هذا العصر من ان كل الامم التى سبقت المسلمين وآخر السابقين أمة اليابانيين انما سبقوهم بتغيير طرز الحكومة الاستبدادية الى مايوافق أصول ترقي

يظهره الله أو من يريده الله) وهؤلاء يؤيدون مدعياتهم بكتب عديدة من الباب والميرزا حسين علي الى الميرزا يحيي وهي موجودة عند الأزل ويتمسكون ويستدلون بها على بطلان أمر البهاء وأتباعه وعددهم الفان ونيف تقريبا في البلدان الايرانية وغيرها وداعيتهم الأكبر وعميدهم الاعظم هو الحاج الميرزا .... القاطن الآن بطهران هو وأنجاله وأناس آخرون منهم ذكرنا أسماءهم في كتابنا (باب الابواب) وهؤلاء يتظاهرون بالاسلامية ، ويتبرؤن من الباب والبابية ، ويعملون بالتقية ، يصلون ويصومون ويقومون بجميع فرائض الدين الاسلامي في الظاهر ويكفرون البهاء وأتباعه ويلعنونهم في الظاهر والباطن ، ويستبيحون أموال وأنفس المسلمين والبهائية عند المقدرة ويستعينون على قضاء حوائجهم هذه بالكتمان وشدة الحذر ويسندون الخلافة من بعد الميرزا يحيي الى الحاج الميرزا .... المذكور ولهم اشارات ورموز خاصة بهم لمعرفة بعضهم بعضا.

﴿ الثالثة البابية البهائية ﴾ وهؤلاء على مر عليك من أخبارهم يعتقدون بربوبية وألوهية البهاء وأنه هو الذي بعث الانبياء والرسل وان زردشت وموسى وعيسى ومحمد(ص) والباب انما كانوا يبلغون أحكامه ويبينون آياته فهم مظاهر أوامره وبشروا به وبظهوره كما أن ابنه الاكبر عباس يكون كذلك من بعده وان ليس لاحد أن يقوم بعده ويدعي بالامر الا بعد ألف سنة كاملة وبعد ذلك يكون الامر لمن يظهره الله (يعني لمن يظهره هو كما علمت من أقواله) وان من يدعي أمرا قبل ألف سنة يحتم قتله لامحالة ويبلغ عددهم نحو ثلاثة آلاف نفس في ايران ونحو ألفي نفس في خارجها ولا عبرة بما يدعونه من انهم يبلغون الملايين من النفوس فى البلدان الايرانية ومئات الألوف فى الممالك الروسية والافرنجية والعثمانية ومثلها في الممالك المتحدة الامريكية لأن الاطراء والاغراق في الغلو هي ديدنهم ودأبهم في تجسيم وتعظيم الأمور الراجعة اليهم كشأنهم في بقية المسائل المختصة بهم ،

﴿ الرابعة البابية البهائية العباسية ﴾ هؤلاء هم البابية البهائية ولكن يقدسون ويمجدون العباس كتقديسهم لأبيه البهاء بل البعض منهم يجملون البهاء مبشرا به كما كان الباب مبشرا بأبيه وولد العباس فى اليوم الخامس من جمادى الاولى ١٢٦٥ هجرية بطهران

ذات قوانين عصرية مايؤيد رأينا في المقالة السابقة وبذلك عليه أن الشاه المعظم أحال في ختم خطبته إيضاح لامر والنظر في أطراف المسئلة ووضعها موضع المناقشة بين أهل هذه الشورى على الوزير الاعظم فخطبهم الوزير خطبة فى موضوع الاصلاح وفيما رآه من ذلك أن وضع امامهم أكثر قوانين الدول المتمدنة وطلب اليهم انتخاب ما يوافق منها حالة الامة والدولة مع مراعاة تطبيقها على أصول الشريعة وحاجة العصر.

رأى مظفر الدين شاه لزوم الحكومة النيابية اذ أراد أن ينهض بالأمة ولزوم الاستعانة بقوانين الدول الراقية على تأسيس مثل هذه الحكومة ، والامة لم تستعد لمثل تلك المفاجأة فاشار الى انه تنازل عن حقوقه فى الحكم المطلق اشارة تغني عن كثير البيان تمهيداً للعمل ثم أشار بانتخاب مايوافق مثل تلك الحكومة من القوانين بثاً لروح الحاجة اليها في نفوس الشعب فاذا ثبت على عزمه ومضى في وجهته وجارى ميكادو اليابان فى حسن ارادته وعلو همته وحبه لخير وطنه ورعيته بتأسيس حكومة نيابية في مملكته فقد والله حقق اماني العقلاء فيه وجعل افئدة من الامة الاسلامية تهوي اليه ونهض بقومه نهوضا لاعثار بعده ان شاء الله وحسبه من ذلك فضيلة ان يكون قدوة الامراء المستبدين، وعبرة حسنة في الآخرين، وذكراً خالداً في تاريخ نهضة المسلمين ،

هذا واننا لنرجو من صاحب المنار الغيور أن يتتبع في الجرائد الفارسية خطبة الشاه المعظم ومشروع الاصلاح الذي وضعه الصدر الاعظم ويعرب كل ذلك أوجله وينشره في المنار الاغر ليطلع عليه المسلمون في كل الافطار التي يصل اليها المنار إفادة للمسلمين وإعلانا لهذه الحسنة الكبرى والله ولي المرشدين (رفيق)

(المنار) اننا لما علمنا بخبر طلب الشاه للاصلاح اهتززنا طربا وفاجأنا من السرور مالا يمكن التعبير عنه وعهدنا الى صديق لنا من علماء الفرس هنا بأن يعرب لنا ما تنشره الجرائد الفارسية التي تجيئنا من ذلك لاسيما جريدة (حبل المتين) فأرجأنا التعريب انتظاراً لما ستقرره اللجنة التى عهد اليها الشاه العظيم النظر فى طرق الاصلاح وأرجأنا الكتابة فى المسألة لنكتب عن بينة حتى جاء صديقنا رفيق بك يستعجلنا وله الحق فان هذا النبأ أعظم نبأ إسلامي طرق الآذان فى هذا العصر واذا سار الاصلاح في تلك المملكة الاسلامية على وجهه كان لنا ان نعد مظفر الدين أعظم ملوك المسلمين ، لأنهم وضعوا أصول

الامم ويلائم حالة العصر حيث أقاموا مقامها الحكومات النيابية التي هي أصل فى سعادة الشعوب وأساس متين لبقاء حياة الدول وذكرنا قصور أمراء المسلمين ودولهم عن مجاراة الدول الاخرى استئثاراً بالسلطة وحرصا على بقاء القديم على قدمه وطلبنا من الامة ان تلتمس وجوه العبر بنفسها وتنهض لمجاراة الامم بغير اعتماد على حكامها. وكأن هذا الشعور الذي يشعر به كل عقلاء الأمة يشعر به أمراء المسلمين أنفسهم أيضا ويعلمون ان حياة أممهم الطيبة ورقيهم السريع متوقفان على تغيير طرز الحكومة وإطلاق أعنة العقول من أسر الاستبداد القاهر، وانما يمنعهم من العمل بما تشعر بالحاجة اليه الضمائر مغالبة النفس الميالة الى الاستئثار بالسلطة ويدلنا على هذا انا في الوقت الذي كنا نرمي فيه أمراء المسلمين بالتقصير ونبين حاجة الأمة الى تغيير شكل الحكومة القديم واستبدال ما يوافق حالة العصر به، ويسمو بدول المسلمين الى مصاف الدول الاوربية، كان مظفر الدين شاه إيران المعظم يفكر فيما وصل اليه المسلمون فى مملكته وفي حاجة دولته الى تغيير صفة الحكومة حتى ترتقي بالامة الى مرتبة الكمال كما ارتقى بها ميكادو اليابان منذ وضع في بلاده أساس الحكومة النيابية، وتنازل حبا بترقي قومه عن سلطته الاستبدادية

جاء في الجرائد الفارسية تفصيل ما كانت ألمعت اليه منذ مدة التلغرافات العمومية عن جمع شاه ايران لاعيان الأمة وكبار الوزراء وإلقائه عليهم خطابا طويلا في تقرير وجوه الاصلاح اللازم للمملكة الفارسية ومحصل ما جاء في تلك الجرائد انه جمع نحو أربعمائة شخص من الوزراء والاعيان وقام فيهم خطيبا يبين ما وصلت اليه البلاد وحاجة الدولة الى الاصلاح في كلام طويل جامع. والذي حل منا محل الاعجاب من كلام ذلك الملك الكبير وكان عليه المعول وفيه المؤمل، انه أعلن قبل كل شيء على رؤوس الملأ تنازله عن كل شيء يسمى امتيازاً للملك أو الأسرة المالكة يمتازون به عن الرعية وتخلى عن السلطة الاستبدادية بمحض الرغبة بخير الدولة والامة وأشار عليهم بعد ذلك بالنظر فى طرق الاصلاح الواجب سلوكها على الأمة والدولة فى عصر هو أحوج ما تكون فيه الامة الى مثل هذه الرغائب العالية التي يندر صدورها عن ملك عظيم بمحض الارادة . وأنت ترى أن في قوله هذا من الصراحة في حاجة الدولة الى حكومة نيابية

في أيدي المتغلبين ، فيوما يستعبدها من يشاركها حقيقة أو صورة في وصف من أوصافها كاللغة أو الجنس أو الدين ، ويوماً يستذلها من لا يشاركها الا في الصورة البشرية ، فهي تتراوح دائما بين استعباد واستذلال ، لأن طبيعتها قاضية بهذه الحال ، بفقدها تلك الروح التي تبعث بطبيعتها الاستقلال ،

يا معشر المتخيلين والواهمين ان حنين الأمة التي عبث الاجانب بسلطان حكومتها الى حكامها السابقين المستبدين ليس حنينا الى الاستقلال بل الى الاستبداد ، وان المحافظة على بقايا رسوم السلطة السابقة ، لا يكون آلة لمقاومة السلطة الطارئة ، وانما الذي يمنع الامة من كل جور ، ويصد عنها كل ظلم ، هو مايهبها حقيقة الاستقلال في ذاتها ثم في حكومتها بأن تكون الحكومة مستقلة باستقلال الامة قوية بقوتها وقد عرفتم معنى ذلك الاستقلال ومهب روحه من النداء الاول فاعملوا له ان كنتم عاملين ، أو موتوا بضعفكم ان كنتم متواكلين ،

اجتماع التلامذة وانتحارهم

للتعليم ثمار مختلفة منها مايكون مطلوبا ومقصودا من المعلمين ومنها لا يكون مقصودا لهم وأعني بالمعلمين هنا مديري نظام التعليم ومؤسسي المدارس . ومعلمو المدارس في هذه البلاد الافرنج سواء مدارس الحكومة وغيرها ومن مقاصدهم الباطنة فيه زلزال التقاليد القديمة للامة الذي ينتهي باضعافها أو زوالها وتحويل وجهة المتعلمين الى الى تقليد قوم المعلمين اذ بذلك تكون لهم السيادة الحقيقية عليهم بتحولهم عن مقومات أمتهم الذي يقطع الامل باستقلالهم . وقد مضت سنة الاولين بأن الضعيف يقلد القوي في الامور التي تضر غالبا ولا تنفع لهذا ترى المتفرنجين من المتعلمين ومقلدي المتعلمين قد أخذوا عن الاوربيين السكر والقمار والفحش والازياء والزخرف في الاثاث والماعون بدون مراعاة للاقتصاد الذي تسمح به ثروتهم كما يفعل أولئك . وقد زالت من أكثر هؤلاء المتعلمين حرمة الدين وآدابه واحتقروا أمتهم حتى صارت حالة الامة بهم شراً من حالها في أميتها قبل انتشار هذا التعليم فيها بسياسة من يستعمر بلادها ويسخرها لسعادة قومه بأساليب مختلفة

ومن ثمار التعليم الذاتية التأليف بين الافكار التي تتلقى تعليما واحدا والجمع بين

الاستبداد فى القرن الاول وتمسكوا بها بعده حتى أزالها هو فى القرن الرابع عشر

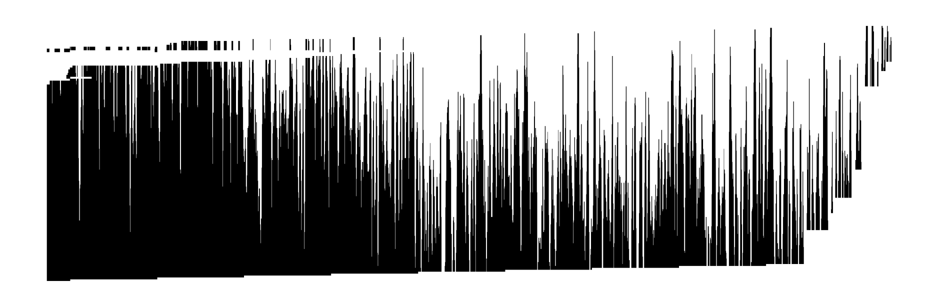
لايكفي فى الاصلاح تنظيم ادارة البلاد وإقامة العدل فيها بل يجب ان يعتنى أشد الاعتناء بالفنون العسكرية والقوى الحربية وأن تنشر المعارف العصرية في البلاد طولها وعرضها وعندي أنه يجب أن يكون التعليم باللغة العربية ولغة أخرى اوروبية فاذا عاشت العربية مع العلم في تلك البلاد كان لهذه الدولة شأن آخر في إفادة الامة الاسلامية كلها لاسيما البلاد العربية المجاورة لها والله الموفق للسداد

استقلال الحكومة باستقلال الامة

ان الامم الجاهلة المحكومة بالاستبداد، المذللة بالظلم والاضطهاد، لايخطر على بال أفرادها معنى يعبر عنه باستقلال الامة. ولا يعقلون أن للرعايا أثرا فى سيادة الحكومة، الا بما يؤدون من الأتاوات والضرائب وما يسخرون به من الاعمال لترقية سادتهم المستبدين. فاذا عبثت باستقلال حكومتهم حكومة أخرى أجنبية طفقوا يشعرون بمعنى الاستقلال بالتدريج ويقوى فيهم هذا الشعور بنسيان ظلم حكامهم السابقين لاسيما إذا كان الاجنبي العابث ظالما على أن النفرة من سلطة الاجنبي طبيعة في الامم فان هو عدل تمنوا لو يستبدلون بسلطته سلطة من جنسهم عادلة ليكونوا مستقلين، ولكنهم بعد هذا كله لايفهمون من معنى الاستقلال الا إعادة السلطة للاسرة الحاكمة فيهم بالاستبداد من قبل ويبلغ فساد التصور من بعض الافكار ان تخيل إرشاد الامة الى ضرر الاستبداد والمستبدين من عوائق الاستقلال، وهذا من أعجب عجائب عالم الخيال.

يامعشر المتخيلين والواهمين إنكم لن تتنسموا للاستقلال ريحا، ولن تستنشقوا له عرفا، الابعد الاعتقاد القاطع بأن الاستقلال انما هو استقلال الامة وذلك بأن ينفخ فيها روح من التربية والتعليم يشعر جميع طبقاتها بمعنى الأمة وحقوقها وأول هذه الحقوق أن تختار هي الحاكم الأعلى لها وأن تقيد حكومته بشريعتها وقوانينها التي ترضاها وتلزمه بتنفيذها بمشاورتها وتحت مراقبتها وسيطرتها حتى يكون لها الحق بعزل من يشذ عن ذلك أو إقامته عليه سواء الحاكم الاكبر وغيره

يامعشر المتخيلين والواهمين ان أمة محرومة من هذه الروح لن تعرف للحياة الاستقلالية معنى، ولن تذوق للسيادة القومية طعما، بل تظل طعمة للطامعين، وألعوبة







يختلف باختلاف الزمان والاشخاص والبيوت فمن يترك سبعين دينارا في منزل قفر ، وبلد فقر ، وهو من الدهماء فقد ترك خيرا . ولكن العامل أو الوزير ، اذا تركا مثل ذلك في المصر الكبير ، فهما لم يتركا الا العدم والفقر ، ومالا يفي بتجهيزهما الى القبر ،

وأما الثانية فهي خلافية والجمهور على أن الآية منسوخة بآية المواريث أو بحديث : لا وصية لوارث : أو بهما جميعا على أن الحديث مبين للآية . قال البيضاوي . وكان هذا الحكم في بدء الاسلام فنسخ بآية المواريث وبقوله عليه السلام « ان الله أعطى كل ذي حق حقه ألا لا وصية لوارث » وفيه نظر لأن آية المواريث لا تعارضه بل تؤكده من حيث انها تدل على تقديم الوصية مطلقا والحديث من الآحاد وتلقي الأمة له بالقبول لا يلحقه بالمتواتر : اه أي والظني من الحديث لا ينسخ القطعي منه فكيف ينسخ القرآن وكله قطعي وقد زاد الاستاذ الامام عليه أنه لا دليل على أن آية المواريث نزلت بعد آية الوصية هنا وبأن السياق ينافي النسخ فان الله تعالى اذا شرع للناس حكما وعلم أنه مؤقت وانه سينسخه بعد زمن قريب فانه لا يؤكده ويوثقه بمثل ما أكد به أمر الوصية هنا من كونه حقا على المتقين ومن وعيد من بدله ، وبامكان الجمع بين الآيتين اذا قلنا إن الوصية فى آية المواريث مخصوصة بغير الوارث بأن يخص القريب هنا بالممنوع من الارث ولو بسبب اختلاف الدين فاذا أسلم الكافر وحضرته الوفاة ووالداه كافران فله أن يوصي لهما بما يؤلف به قلبهما وقد أوصى الله تعالى بحسن معاملة الوالدين وان كانا كافرين « ووصينا الانسان بوالديه حسنا وان جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما » الآية (العنكبوت) وفى آية لقمان

الموت لتكون خاتمة أعمالهـم خيرا وهو على نسق ماتقـدم في الخطاب بالقصاص من اعتبار الأمـة متكافلة يخاطب المجموع منها بما يطلب من الأفراد وقيام الأفراد بحقوق الشريعة لا يتم الا بالتعاون والتكافل والائتمار والتناهي فلو لم يأتمر البعض وجب على الباقين حمله على الائتمار . وفسروا الخير بالمال وقيده الاكثرون بالكثير أخذا من التنكير ولم يقيده الجلال بذلك . قال الاستاذ الامام: لم يقتصر أحد من المفسرين على ذكر المال فقط الا مفسرنا وقوله صادق فيمن ذكروه وجها وذكروا معه قول من قيده بالكثير كالبيضاوي وجزم المفسر بان الآية منسوخة بآية المواريث وحديث الترمذي: لا وصية لوارث : ورده بعضهم فكلام الجلالين في المسألتين غير مسلم

اما الاول فقد قالوا ان المال لا يسمى في العرف خيرا الا اذا كان كثيرا كما لا يقال فلان ذو مال الا اذا كان ماله كثيرا وان تناول اللفظ صاحب المال القليل وأيدوا هذا بما رواه ابن أبي شيبة عن عائشة (رض) قال لها رجل أريد أن أوصي قالت كم مالك قال ثلاثة آلاف قالت كم عيالك قال أربعة قالت قال الله تعالى «إن ترك خيرا» وهذا شيء يسير فاتركه لعيالك فهو أفضل . وروى البيهقي وغيره ان عليًّا دخل على مولى له في الموت وله سبع مئة درهم أو ست مئة درهم فقال ألا أوصي قال لا إنما قال الله تعالى « ان ترك خيرا» وليس لك كثير مال فدع مالك لورثتك فعبارتهما تدل على أنهم ما كانوا يفهمون من الخير الا المال الكثير . واختلفوا في تقـدير الكثير فروى عبد بن حميد عن ان ابن عباس أنه قال : من لم يترك ستين دينارا لم يترك خيرا . واختار الاستاذ الامام عدم تقديره لاختلافه باختلاف العرف فهو موكول عنـده الى اعتقاد الشخص وحاله ولا يخفى ان العرف

لان الاطلاق بعد التقييد نسخ كما ان التقييد بعد الاطلاق نسخ : فأما دعواه الاتفاق في التقدم والتأخر فلا دليل عليها وأما تأويله فظاهر البطلان وقاعدة الاطلاق والتقييد إن سلمت لا تؤخذ على إطلاقها لان شرع الوصية على الاطلاق لا ينافي شرع الوصية لصنف مخصوص ونظير هذا الأمر بمواساة الفقراء مطلقا والامر بمواساة الضعفاء والمرضى منهم لا يتعارضان ولا يصح ان يكون الثاني منهما مبطلا للأول الا اذا وجد في العبارة ما ينفي ذلك .

وما في الآيتين ليس من قبيل تعارض المطلق والمقيد وانما آية الوصية خاصة وذكر الوصية منكرة في آية الإرث يفيد الاطلاق الذى يشمل ذلك الخاص وغيره . فاذا سلمنا لذلك الحنفي بأن آية الميراث متأخرة فلا نسلم له أنه كان يجب أن تذكر فيها الوصية بالتعريف لتدل على الوصية المعهودة اذ لو رتب الارث على الوصية المعهودة لما جازت الوصية لغير الوالدين والأقربين . ولو كان الاسلوب العربي يقتضي ماقاله لما قال علي وابن عباس وغيرهما من السلف بالوصية للوالدين والاقربين على ما تقدم وقد نقل ذلك الالوسي نفسه بعد ما تقدم عنه ولكنه سمى التخصيص نسخا فنقل عن ابن عباس أنها خاصة بمن لا يرث من الوالدين والاقربين كأن يكون الوالدان كافرين قال وروي عن علي كرم الله تعالى وجهه : من لم يوص عند موته لذوي قرابته ـ ممن لم يرث ـ فقد ختم عمله بمعصية : ثم ذكر ان الاكثرين قالوا بأن هذه الوصية مستحبة لا واجبة وسمى هذا كغيره نسخا للوجوب . ولنا أن نقول إن اكثر علماء الأمة وأئمة السلف يقولون ان هذه الوصية المذكورة في الآية مشروعة ولكن منهم من يقول بعمومها ومنهم من يقول إنها خاصة بغير الوارث فحكمها اذاً

بعد الأمر بالشكر لله ولهما « وان جاهداك على أن تشرك بي ماليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا واتبع سبيل من أناب إليّ » الآية . أفلا يحسن أن يختم هذه المصاحبة بالمعروف بالوصية لهما بشيء من ماله الكثير . (قال) وجوز بعض السلف الوصية للوارث نفسه بأن يخص بها من يراه أحوج من الورثة كأن يكون بعضهم غنيا والبعض الآخر فقيرا . مثال ذلك أن يطلق أبوه أمه وهو غني وهي لا عائل لها الا ولدها ويرى أن مايصيبها من التركة لايكفيها . ومثله أن يكون بعض ولده أو إخوته ـ ان لم يكن له ولد ـ عاجزا عن الكسب فنحن نرى ان الحكيم الخبير اللطيف بعباده الذي وضع الشريعة والأحكام لمصلحة خلقه لايحتم ان يساوي الغني الفقير والقادر على الكسب من يعجز عنه فاذا كان قد وضع أحكام المواريث العادلة على أساس التساوي بين الطبقات باعتبار أنهم سواسية فى الحاجة كما انهم سواء فى القرابة فلا غرو أن يجعل أمر الوصية مقدما على أمر الارث أو يجعل نفاذ هذا مشروطا بنفاذ ذلك قبله ويجعل الوالدين والأقربين فى آية أخرى أولى بالوصية لهما من غيرهم لعلمه سبحانه وتعالى بما يكون من التفاوت بينهم فى الحاجة أحيانا فقد قال فى آيات الارث من سورة النساء «من بعد وصية يوصى بها أو دين» فأطلق أمر الوصية وقال فى آية الوصية هنا ماهو تفصيل لتلك .

ورأيت الألوسي نقل عن بعض فقهاء الحنفية أن آية الارث نزلت بعد آية الوصية بالاتفاق وأن الله تعالى رتب الميراث على وصية منكرة والوصية الأولى كانت معهودة فلو كانت تلك الوصية باقية لوجب ترتيبه على المعهود فلما لم يترتب عليه ورتب على المطلق دل على نسخ الوصية المقيدة

ان تنسخ بعض أحكام شريعة بأحكام أخرى فى تلك الشريعة فالمسلمون كانوا يتوجهون الى بيت المقدس فى صلاتهم فنسخ ذلك بالتوجه الى الكعبة وهذا لا خلاف فيه بين المسلمين ولكن هناك خلافا فى نسخ أحكام القرآن ولو بالقرآن فقد قال أبو مسلم محمد بن بحر الاصفهاني المفسر الشهير ليس فى القرآن آية منسوخة وهو يخرّج كل ماقالوا انه منسوخ على وجه صحيح بضرب من التخصيص أو التأويل وظاهر ان مسئلة القبلة ليس فيها نسخ للقرآن وإنما هي نسخ لحكم لا ندري هل فعله النبي صلى الله عليه وآله وسلم باجتهاده أم بأمر من الله تعالى غير القرآن فان الوحي غير محصور فى القران ولكن الجمهور على ان القرآن ينسخ بالقرآن بناء على انه لا مانع من نسخ حكم آية مع بقائها فى الكتاب يعبد الله تعالى بتلاوتها وبتذكر نعمته بالانتقال من حكم كان موافقا للمصلحة ولحال المسلمين فى أول الاسلام الى حكم يوافق المصلحة فى كل زمان ومكان فانه لا ينسخ حكم الا بأمثل منه كالتخفيف في تكليف المؤمنين بقتال عشرة أمثالهم والاكتفاء بمقاتلة الضعف بأن تقاتل المئة مئتين ٠ واتفقوا على انه لا يقال بالنسخ الا إذا تعذر الجمع بين الآيتين من آيات الأحكام العملية وعلم تاريخهما فعند ذلك يقال ان الثانية ناسخة للأولى ٠ اما آيات العقائد والفضائل والاخبار فلا نسخ فيها ٠ ونسخ السنة بالسنة كنسخ الكتاب بالكتاب بل هو أولى وأظهر وكذلك نسخ السنة بالكتاب كما فى مسئلة القبلة ولا خلاف فيهما ٠ ومن قبيل هذا نسخ الحديث المتواتر لحديث الآحاد

اما الخلاف القوي فهو فى نسخ القرآن بالحديث ولو متواترا والحديث المتواتر باخبار الاحاد والذي عليه المحققون الأولون ان الظني (وهو خبر

لم يبطل فما هذا الحرص على اثبات نسخها مع تأكيد الله تعالى إياها والوعيد على تبديلها ؟ ان هذا الا تأثير التقليد

فقد علم مما تقدم ان آية المواريث لا تعارض آية الوصية فيقال بأنها ناسخة لها اذا علم أنها بعدها واما الحديث فقد أرادوا ان يجعلوا له حكم المتواتر أو يلصقوه به بتلقي الامة له بالقبول ليصلح ناسخا على أنه لم يصل الى درجة ثقة الشيخين به فلم يروه أحد منهما مسندا ورواية أصحاب السنن محصورة فى عمرو بن خارجة وأبي أمامة وابن عباس وفى إسناد الثاني اسماعيل بن عياش تكلموا فيه وانما حسنه الترمذي لأن اسماعيل يرويه عن الشاميين وقد قوى بعض الأئمة روايته عنهم خاصة . وحديث ابن عباس معلول اذ هو من رواية عطاء عنه وقد قيل إنه عطاء الخراساني وهو لم يسمع من ابن عباس وقيل عطاء بن أبي رباح فان أبا داود أخرجه فى مراسيله عنه وما أخرجه البخاري من طريق عطاء بن أبي رباح موقوف على ابن عباس . وما روي غير ذلك فلا نزاع فى ضعفه فعلم أنه ليس لنا رواية للحديث صححت الا رواية عمرو بن خارجة والذي صححها الترمذي وقد علمت ان البخاري ومسلم لم يرضياها فهل يقال أن حديثا كهذا تلقته الامة بالقبول ؟

وقد توسع الاستاذ الامام هنا فى الكلام على النسخ وملخص ماقاله ان النسخ فى الشرائع جائز موافق للحكمة وواقع فان شرع موسى نسخ بعض الاحكام التي كان عليها إبراهيم وشرع عيسى نسخ بعض أحكام التوراة وشريعة الاسلام نسخت جميع الشرائع السابقة لأن الاحكام العملية التى تقبل النسخ انما تشرع لمصلحة البشر والمصلحة تختلف باختلاف الزمان فالحكيم العليم يشرع لكل زمن مايناسبه وكما تنسخ شريعة بأخرى يجوز

أنه لم يقل به. ولما كان الخلاف هنا ضعيفا جدا احتاج القائلون بنسخ حديث: لا وصية لوارث: لآية الوصية الى زعم تواتره بتلقي الامة له بالقبول وقد علمت ان هذا غير صحيح. وقد صرح بعض الشافعية بأن الخلاف فى نسخ الكتاب بالسنة انما هو فى الجواز وأنه غير واقع قطعا

وقالوا أيضا أن السنة لا تنسخ الكتاب الا ومعها كتاب يؤيدها والظاهر فى مثل هذه الحال ان يقال ان الكتاب نسخ الكتاب لأنه الأصل وكأنهم أرادوا تصحيح قول من قال بالنسخ تعظيما له أن يرد قوله، وتعظيم الله تعالى أولى، ثم تعظيم رسوله يتلو تعظيمه ولا يبلغه وإنما يطاع الرسول ويتبع باذن الله تعالى

ومن أغرب مباحث النسخ ان الشافعية الذين يبالغ امامهم فى الاتباع فيمنع نسخ الكتاب بالسنة ثم هو يبالغ فى تعظيم السنة واتباعها ولا يبالي برأي أحد يخالفها يقول بعضهم ان القياس الجلي ينسخ السنة مع ان البحث فى العلة أمر عقلي يجوز ان يخطئ فيه كل أحد ويجوز أن يكون مافهمناه من عموم العلة غير مراد للشارع فاذا جاء حديث ينافي هذ العموم وصح عندنا فالواجب أن نجعله مخصصا لعلة عموم الحكم ولا نقول رجما بالغيب انه منسوخ لمخالفته للعلة التي ظنناها. فاذا كانت المجازفة فى القياس قد وصلت الى هذا الحد وقد تجرأ الناس على القول بنسخ مئات من الآيات وإلى إبطال اليقين بالظن وترجيح الاجتهاد على النص فعلينا ان لا نحفل بكل ماقيل وان نعتصم بكتاب الله قبل كل شيء ثم بسنة رسوله التى جرى عليها أصحابه والسلف الصالحون وليس فى ذلك شيء يخالف الكتاب العزيز.

وصفوة القول أن الآية غير منسوخة بآية المواريث لأنها لا تناقضها ولا

الآحاد) لا ينسخ القطعي كالقرآن ولا الحديث المتواتر والحنفية وكثير من محققي الشافعية صرحوا بجواز نسخ الكتاب بالسنة المتواترة لأن النبي صلى الله عليه واله وسلم معصوم فى تبليغ الاحكام فمتى أيقنا بالرواية عنه واستوفت شروط النسخ تعتبر ناسخة للكتاب كما اذا نسخت آية آية وذهب آخرون ومنهم الامام الشافعي كما فى رسالته المشهورة فى الاصول بأنه لا يجوز نسخ حكم من كتاب الله بحديث مهما كانت درجته لأن للقرآن مزايا لا يشاركه فيها غيره

وقد أورد الشافعي كثيرا من الاحاديث التى زعموا أنها ناسخة لاحكام القرآن وبين انها غير ناسخة بل بين أنها مفسرة ومبينة (قال الاستاذ) ولا أعرف لابي حنيفة قولا فى هذه المسائل . والاصوليون المتقدمون من الحنفية والشافعية لا يقولون بنسخ القرآن بغير المتواتر من الاحاديث وان اشتهر بنحو رواية الشيخين وأصحاب السنن له والدليل ظاهر فان القرآن منقول بالتواتر فهو قطعي واحاديث الآحاد ظنية يحتمل أن تكون مكذوبة من بعض رجال السند المتظاهرين بالصلاح لخداع الناس. أقول وهناك تمييز اخر وهو ان كل ما فى القرآن وحي من الله تعالى قطعا وأما الأحاديث فان فيها ما هو من اجتهاد النبي عليه الصلاة والسلام وهو دون الوحي وان كان قد تقرر ان النبي اذا أخطأ في اجتهاده لا يقر على الخطأ بل يبين له كما فى قوله تعالى « ما كان لنبي ان يكون له اسرى » الآية وقوله « عفا الله عنك لم أذنت لهم » الآية . وقال بعضهم ينسخ الكتاب بالسنة ولو خبرآحاد لأن دلالة الآية على الحكم ظنية فكأن الحديث لم ينسخ الا حكما ظنيا وفاتهم أن دلالة الحديث أيضا ظنية فكأننا ننسخ حكما ظنيا إسناده الى الشارع قطعي بحكم ظني إسناده اليه غير قطعي بل يحتمل

الإثم عن تبديل الوصية المحرم تبديلها يشعر بذلك اذ لو لم يكن التبديل للاصلاح مطلوبا لم ينف الاثم عنه. وختم الكلام بقوله (إن الله غفور رحيم) للاشعار بما في هذه الاحكام من المصلحة والمنفعة وبأن من خالف لاجل المصلحة مع الاخلاص فهو مغفور له

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة، اذ لا يسع الناس عامة، ونشترط على السائل ان يبين لنا اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متأخراً لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا. ولمن يمضي على سؤاله شهران أو ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان عندنا سبب صحيح لاغفاله

الناسخ والمنسوخ في القرآن

(س ٧٨) السيد احمد منصور الباز في (طوخ القراموص) : ثبت أن في القرآن ناسخا ومنسوخا وان من المنسوخ مانسخ حكمه وبقي رسمه ومنه العكس كقوله «الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله» فقد ثبت في الصحيح أن هذا كان قرآنا يتلى . ومما نسخ حكمه وبقي رسمه ولا يعلم له ناسخ كما في الصحيح «لو كان لابن آدم واديان من ذهب لتمنى لهما ثالثا» الخ فهل من حكمة ترشدنا اليها بمناركم وضاح السبل في إبقاء رسم المنسوخ ورفع رسم الناسخ مع بقاء حكمه وفي نسخ لفظ مع بقاء حكمه وعدم وجود ناسخ له

(ج) قد تقدم في التفسير المنشور في هذا الجزء أهم أحكام النسخ وحكمته ومنها الاشارة الى أن حكمة بقاء الآية التي نسخ حكمها التذكر بنعمة النسخ والتعبد بتلاوتها اما نسخ لفظ الآية مع بقاء حكمها أو نسخ لفظها وحكمها معا فهما لا يجب علينا اعتقاده وإن قال به القائلون ورواه الراوون وقد علله القائلون به والتمسوا له من الحكمة ماهو أضعف من القول به وأبعد عن المعقول

واعلم أن القرآن كلام الله المنزل على نبيه محمد (ص) وهو أصل الدين وأساسه

دليل على أنها بعدها بل تؤيدها ولا بالحديث لانه لا يصلح لنسخ الكتاب وان حكمها باق ولك أن تجعله خاصا بمن لا يرث من الوالدين والاقربين كما روي عن بعض الصحابة وان تجعله على اطلاقه . ولا تكن من المجازفين الذين يخاطرون بدعوى النسخ فتنبذ ما كتبه الله عليك بغير عذر لا سيما بعد ما أكده بقوله (حقا على المتقين) وبقوله : (فمن بدله) أي ما أوصى به الموصي (بعد ما سمعه) وعلم به (فانما إثمه على الذين يبدلونه) من ولي ووصي وشاهد وقد برئت منه ذمة الموصي (ان الله سميع) لما يقوله المبدلون فى ذلك (عليم) بأعمالهم فيه فيجازيهم عليه . والضمير فى المواضع الثلاثة راجع الى الحق أو الايصاء أي أثره . وقوله سميع عليم يتضمن تأكيد الوعيد

ثم قال (فمن خاف من موص جنفا أو إثما فأصلح بينهم فلا اثم عليه) الجنف بالتحريك الخطأ والاثم يراد به تعمد الاجحاف والظلم كأنه قال ان خرج الموصي فى وصيته عن المعروف والعدل خطأ أو عمدا فتنازع الموصى لهم فينبغي ان يتوسط بينهم من يعلم بذلك ويصلح بينهم ففسروا الخوف هاهنا بالعلم . قال الاستاذ الامام الآية استثناء ممن قبلها أي ان المبدل للوصية آثم الا من رأى إجحافا أو جنفا في الوصية فبدل فيها لاجل الاصلاح وإزالة التخاصم والتنازع والتعادي بين الموصى لهم فعبر بخاف بدلا عن رأى أو علم تبرئة للموصي من القطع بجنفه وإثمه وتحاميا من تقييد التصدي للاصلاح بالعلم بذلك يقينا يعني ان من يتوقع النزاع للجنف أو الإثم فله أن يتصدى للاصلاح وان لم يكن موقنا بذلك وللتعبير عن مثل هذا العلم بالخوف شواهد فى كلام العرب . والمصلح مثاب مأجور ونفي

من أحاديث الصحيحين لم يأخذ بها أئمته وفقهاء مذهبه وسائر المذاهب الذين لاينكر على أحد منهم شيئا وحجتي واضحة وهو أن المقام مقام اثبات القرآن وطريق اثباته التواتر بالاجماع فلو تواترت الرواية عن عمر او غيره وأجمع عليها لقلت بأن عمر قال ذلك والاحاديث الصحيحة المصريحة المسندة المرفوعة الى النبي (ص) التي خالفها الفقهاء كثيرة وهي فى الاعمال التي يجب أخذها من أحاديث الآحاد بالاجماع وعدم اعتقاد صحة هذا الحديث لايترتب عليه ترك مشروع ولا إثبات خلافه فلاضرر فيه وانما الضرر في ترك ماتركه ولعلك تقول ماهو جواب مثبتي هذا الضرب من النسخ فأقول قال السيوطي فى الاتقان مانصه :

« الضرب الثالث نسخ تلاوته دون حكمه وقد أورد بعضهم فيه سؤالا وهو: ما الحكمة فى رفع التلاوة مع بقاء الحكم وهلا أبقيت التلاوة ليجتمع العمل بحكمها وثواب تلاوتها ؟ وأجاب صاحب الفنون بأن ذلك ليظهر به مقدار طاعة هذه الأمة في المسارعة الى بذل النفوس بطريق الظن من غير استفصال لطلب طريق مقطوع به فيسرعون بأيسر شيء كما سارع الخليل إلى ذبح ولده بمنام والمنام أدنى طريق الوحي اه وهو كما ترى لاقيمة له فان الوحي للأنبياء كله قطعي وبذل النفوس هنا لامعنى له. والاحكام التي رويت لنا عن الآحاد فأفادت الظن كانت يقينية عند الذين سمعوها من النبي (ص) فاذا كانوا سمعوا الآية من النبي ثم فرضنا أنه أمرهم بتركها وعدم قراءتها مع بقاء العمل بها أفلا يقال ماهي حكمة ذلك بالنسبة اليهم والى من بعدهم

﴿ مذهب العامي واتباعه الرخص ﴾

(س٧٩) ومنه : يقال العامي لامذهب له فهل يجوز له ان يقلد كل مذهب فى رخصه ولو بسبب عذر ضعيف

(ج) قولهم العامي لامذهب له صحيح لانزاع فيه فان ذا المذهب هو من له طريق فى معرفة الاحكام بدلائلها والواجب على العامي ان يسأل أهل الذكر أي العارفين بالكتاب والسنة عن كل مسألة تعرض له قائلا ماهو حكم الله تعالى في هذه المسألة فما أخبروه به عن الله وعن رسوله وجب عليه الاخذ به اذا اعتقد أن المسؤل ثقة عارف ولا يجوز له أن يتبع رأي أحد يخالف ذلك فاذا بلغه عن الشارع فى أمر عزيمة ورخصة فله أن يعمل بالرخصة عند الحاجة ويجعل العزيمة هي الاصل . ومن يسأل عن رخص المذاهب وآراء العلماء ويتبع اسهلها عليه وأقربها من هواه فهو متلاعب بدينه.

أحكمت آياته فلا تفاوت فيها ولا اختلاف ولا تناقض ولا تعارض وما ذكروه من الجمل التي قالوا إنها كانت من القرآن ونسخ لفظها لاتضاهي أسلوب القرآن ولا تحاكيه فى بلاغته والتصديق بذلك مدعاة لتشكيك الملحدين في القرآن ٠ وقد ثبت أن بعض الزنادقة كانوا فى زمن الرواية وتلقي الحديث من الرجال يلبسون لباس الصالحين ويضعون الحديث وكان يروج على الناس لاستيفائهم شروط الرواة الظاهرة من العدالة وحسن الحفظ وغير ذلك حتى إن بعضهم تاب ورجع عما كان وضعه ولولا اعترافه به لم يعرف فما يدرينا أن بعضهم مات ولم يتب ولم تعرف حقيقة حاله وبقي ماوضعه رائجا مقبولا لم يطعن في سنده أهل النقد . لأجل هذا لايعتمد على الحديث الا اذا كان مع صحة سنده موافقا لأصول الدين الثابتة بالقطع ولغير ذلك من الحقائق القطعية ككون الشمس لاتغيب عن الارض كلها عند ماتغيب عنا كل يوم وانما تغيب عنا وتشرق على غيرنا الا اذا أمكن الجمع ، ولا يؤخذ بأحاديث الآحاد الصحيحة السند فى العقائد لانها ظنية باتفاق العلماء والعقلاء والله تعالى يقول «وان الظن لايغني من الحق شيئا» ومثلها آيات في التشنيع على الكافرين باتباع الظن ٠

واذا كان القرآن لايثبت الا بالتواتر المفيد للقطع وكان كون الآية منسوخة فرع كونها آية كان لنا بل علينا أن لانصدق بأن كون هذا القول آية منسوخة الا إذا روي ذلك بالتواتر من أول الاسلام كما روي القرآن . وليس فيما زعموا أنه قرآن نسخت تلاوته شيء متواتر . وهذا الذي رووه من حديث « الشيخ والشيخة اذا زنيا » مروي عن أبيّ بن كعب وروي أيضا من حديث أبي أمامة عن خالته العجماء وعن عمر (رض) وليس هذا من التواتر فى شيء وكذلك الأثر الذى فيه «لو كان لابن آدم واد لابتغى اليه ثانيا» الخ وفى رواية « لوكان لابن آدم واديان » الخ فهو موقوف على أبيّ فان سلمنا أن السند اليه صحيح فاين التواتر الذى لايكون إلا برواية جمع يؤمن تواطؤهم على الكذب ٠ وجملة القول انه لم يرو في هذا المقام حديث صحيح السند الا قول عمر في الشيخ والشيخة اذا زنيا وهو من رواية الآحاد ولذلك خالف الخوارج وبعض المعتزلة في الرجم ولم يكفرهم أحد بذلك. وأنا لااعتقد صحته وان روي في الصحيحين فمن أنكر علي من المقلدين ذلك فليكتب الي لاسرد له عشرات

الى الآن مرارا كثيرة وكلها معزوة كهذه الى رجل اسمه الشيخ أحمد خادم الحجرة النبوية • والوصية مكذوبة قطعا لايختلف في ذلك أحد شم رائحة العلم والدين وانما يصدقها البلداء من العوام الأميين ولاشك أن الواضع لها من العوام الذين لم يتعلموا اللغة العربية ولذلك وضعها بعبارة عامية سخيفة لاحاجة الى بيان أغلاطها بالتفصيل. فهذا الاحمق المفتري ينسب هذا الكلام السخيف الى أفصح الفصحاء وأبلغ البلغاء صلى الله عليه وآله وسلم ويزعم أنه وجده بجانب الحجرة النبوية مكتوبا بخط أخضر يريد أن النبي الأمي هو الذي كتبه ثم يجرأ بعد هذا على تكفير من أنكره . فهذه المعصية هي أعظم من جميع المعاصي التى يقول انها فشت في الامة وهي الكذب على الرسول عليه الصلاة والسلام وتكفير علماء أمته والعارفين بدينه فان كل واحد منهم يكذب واضع هذه الوصية بها وقد قال المحدثون ان قوله (ص): من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار: قد نقل بالتواتر ولا شك ان واضع هذه الوصية متعمد لكذبها ولاندري أهناك رجل يسمى الشيخ أحمد أم لا

اما تهاون المسلمين في دينهم وتركهم الفرائض والسنن وانهماكهم فى المعاصي فهو مشاهد وآثار ذلك فيهم مشاهدة فقد صاروا وراء جميع الامم بعد ان كانوا بدينهم فوق جميع الأمم « ولعذاب الآخرة أخزى وهم لاينصرون » الا ان يتوبوا ولا حاجة لمن يريد نصيحتهم بالكذب على الرسول ووضع الرؤى التى لايجب على من رآها ان يعتمد عليها شرعا بل لايجوز له ذلك الا اذا كان مارآه موافقا للشرع فالكتاب والسنة الثابتة بين أيدينا وهما مملوآن بالعظات والعبر ، والآيات والنذر ،

كيفية فرض الصلاة والمراجعة فيه

(س ٨١) عوض افندي محمد الكفراوي فى (زفتى): أحقيقة مايقال اويروى من ان الصلاة كانت اول ما فرضت خمسين صلاة وان النبي (ص) راجع فيها ربه بارشاد موسى عليه السلام حتى جعلها الله خمسا فى الفعل وخمسين فى الاجر؟ أفيدونا ولكم الاجر من الله ولا زال مناركم هاديا للسلمين

(ج) إن ماذكر مروي فى حديث المعراج وقد اختلف فيه المسلمون على صحة سنده والمثبتون له وهم الجمهور قد اختلفوا في كونه وقع يقظة أم مناما واستدل القائلون

الوصية المنامية المنسوبة الى النبي (ص)

(س ٨٠) أرسل الينا السيد صالح السرجاني بمصر صورة هذه الوصية وسألنا بيان رأينا فيها لقراء المنار وهي:

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم قال الشيخ أحمد خادم الحجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام في ليلة الجمعة وهو يقرأ القرآن العظيم فقال لي ياشيخ أحمد المؤمنين حالهم تعبان من شدة معصيتهم فاني سمعت الملائكة وهم يقولون تركوا ذكر الله سبحانه وتعالى فأراد ربك أن يغضب عليهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم يارب ارحم أمتي فانك أنت الغفور الرحيم وأنا أعلمهم بذلك يتوبوا وان لم يتوبوا الامر اليك وهم قد ارتكبوا المعاصي والكبائر وتركوا الدعاء واتبعوا الزنا ونقصوا الكيل وشربوا الخمور واشتغلوا بالغيبة والنميمة واحتقروا الفقير والمسكين ولا يعطوا الفقير حقه وتركوا الصلاة ومنعوا الزكاة فأخبرهم ياشيخ أحمد بذلك وقول لهم لاتتركون الصلاة وأتوا الزكاة واذا مر عليكم تارك الصلاة لاتسلموا عليه واذا مات لاتمشوا في جنازته وانتبهوا واستيقظوا واجتنبوا الفواحش ماظهر منها وما بطن وقول لهم الساعة قد قربت ولايبقى من الدنيا الا القليل وتظهر الشمس من مغربها فأرسلت اليهم وصية بعد وصية فلم يزدادوا الا طغياناً وكفراً ونفاقا وهذه آخر وصية فقال الشيخ أحمد قد استيقظت من منامي فوجدت الوصية مكتوبة بجانب الحجرة النبوية بخط أخضر فقال النبي صلى الله عليه وسلم من قرأها ولم ينقلها كنت خصمه يوم القيامة ومن قرأها ونقلها من بلد الى بلد كنت شفيعه يوم القيامة فقال الشيخ أحمد والله العظيم قسما بالله ثلاثا ان كنت كاذبا فاخرج من الدنيا على غير الاسلام فمن بدله بعد ماسمعه فانما إثمه على الذين يبدلونه ان الله سميع عليم ومن شك فى ذلك فقد كفر وعليكم بتقوى الله تنجوا من المهالك وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تمت بالتمام والكمال والحمد لله على كل حال وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم » اه بنصها المطبوع المنشور

(المنار) اننا نتذكر أننا رأينا مثل هذه الوصية منذ كنا نتعلم الخط والتهجي

يحتوي على أحكام دينية ومبطل لبعض العادات الموجودة بالمساجد مثل قراءة سورة الكهف في يوم الجمعة بصوت عال والترقي فيه بين يدي الخطيب واللغط في الجنائز فرأينا بعض سادتنا العلماء يعترضون على المؤلف وقد ألفت كتب ضد الكتاب المذكور حتى صار الآن بعض البلاد بمركزنا وهو مركز منوف (المنوفية) ينقسم الى قسمين أحدهما تبع خطة الشيخ محمود خطاب المذكور والآخر غير موافق له حتى يؤل الامر أحيانا الى نزاع رسمي بين الفريقين وحيث اننا لم نعرف المصيب من المخطيء فقد حررنا هذا راجين من حضرتكم أن تفيدونا بمجلتكم العلمية حتى نهتدي الى الصواب ولحضرتكم الفضل

(ج) ان الشيخ محمود خطاب قد أهدى الينا كتابه المذكور في السؤال وقرظناه في الجزء الاول من مجلد المنار السادس ونقلنا عنه ماذكره في بدع الجمعة وكان الشيخ محمد بخيت ألف رسالة في ذلك قرظناها في الجزء الرابع والعشرين من المجلد الخامس وفي الاول والرابع من المجلد الساس وبينا في هذا التقريظ خطأ من يزعم أن الترقية وقراءة الكهف من الامور المشروعة في يوم الجمعة كمؤلف الرسالة فالسبكي هو المصيب وقراءة مؤلفاته نافعة إن شاء الله تعالى واذا أردت زيادة الايضاح فارجع الى الاجزاء التي ذكرناها .

﴿ وجوب الختان أو سنيته ﴾

(س ٨٤) من الشيخ مصطفى الحنبلي في (حلوان) : حصل بيننا وبين بعض النبهاء خلاف في مسئلة فقهية دينية موجودة في كتب الفقه وهي (الختان واجب على الذكر والانثى) وردت هذه القاعدة الفقهية في شرح الدليل وشرح الزاد للامام احمد بن حنبل وعليكم بعد ذلك بكتاب المنتهى للامام احمد أيضا فأفتونا ودام فضلكم

(ج) اننا نطبع في هذه الايام كتاب (المقنع) في الفقه الحنبلي وهو من المتون المعتمدة وعليه حاشية جليلة وفيها عند قول المتن « ويجب الختان مالم يخفه على نفسه » مانصه «وهو شامل للذكر والأنثى وعنه لايجب على النساء وصححها بعضهم وعنه يستحب » اه المقصود ومنه يعلم أن في المسألة روايات أشهرها الوجوب وهو مذهب

بانه منام برواية شريك عند البخاري إذ يقول النبي (ص) فى آخرها « ثم استيقظت » وفي رواية له أنه رأى مارأى وهو بين النائم واليقظان · ومسألة المراجعة على كل حال من المتشابهات او من الشؤون الغيبية الروحيـة وقالوا ان من حكمتها تكرار المناجاة وما يتبعها من منة التخفيف والله أعلم

صحة الرؤى والأحلام

(س ٨٢) ومنه : هل من سند صحيح للاعتقاد بصحة الرؤى والاحلام فقد فشت بين عامة المسلمين

(ج) إنما يحتاج الى صحة السند فى اثبات الاخبار المنقولة عن الآحاد ولا حاجـة الى ذلك هنا فان صدق الرؤيا واقع بالتجربة وثابت بالكتاب ولكن مايصدق منها قليل جدا ولا يقع الا للاقل من الناس وهو لا يعلم الا بعد ظهور تأويله بالفعل كما وقع لمن رأى في شهر يوليو سنة ١٩٠٣ تلك الرؤيا للشيخ علي يوسف وكتب بها اليه وكان في باريس وهي أنه تزوج فكان لزواجه نبأ ولغط وحكم القاضي ببطلان العقد وطفق الشيخ علي يسعى ويتخذ الوسائل لدى الحكومة وبعض النظار . وقد أجاب الشيـخ علي يوسف صاحب الرؤيا بكتاب من باريس يذكر فيه تأويلا لها يصرفها عن ظاهرها ولكنها وقعت بعد سنة كما رآها الرائي وكتابه محفوظ عند الشيخ علي وكتاب الشيخ علي في تأويلها محفوظ عنده. وقد قال الصوفية ان الرؤيا الصالحة تسر ولا تغر فلا يجوز لاحد الاعتماد عليها والثقة بها وقال أهل الشرع ان الرؤيا لاتعتبر شرعا في اثبات الاحكام أو نفيها فلا يجوز لمن سمع من النبي صلى الله عليه وآله وسلم في المنام شيئا أن يعتد به على أنه من الدين وذلك لعدم الثقة بضبط الرائي وحفظه لما رأى ولان الشريعة قد كملت في حياته (ص) فلا تحتاج الى زيادة كما قال تعالى « اليوم أكملت لكم دينكم »

كتاب إصابة السهام والعادات المتبعة فى الجمعة

(س ٨٣) السيد محمد البسيوني بكفر الباجور :

إني كنت بمجلس يحتوي أناسا من أهل العلم وكنا نقرأ في كتب دينية منها (كتاب اصابة السهام ، فؤاد من حاد عن سنة خير الانام) تأليف حضرة الاستاذ الفاضل الشيخ محمود محمد أحمد خطاب السبكي أحد علماء الازهر الشريف حالا وهذا الكتاب

« هل هو الا بضعة منك » صححه عمرو بن القلاس ورجحه على حديث بسرة هو وعلي بن المديني والطحاوي وصححه أيضا ابن حبان والطبراني وابن حزم ولكن ضعفه الشافعي وأبو حاتم وأبو زرعة والدارقطني والبيهقي وابن الجوزي وقال قوم انه منسوخ منهم ابن حبان والطبراني وابن العربي والحازمي لتأخر إسلام بسرة عن اسلام طلق ولما كان عليه الناس من العمل بحديث بسرة لانها حدثت به في دار المهاجرين والانصار ولان من شواهد حديث بسرة مارواه طلق نفسه وصححه الطبراني عنه بلفظ « من مس فرجه فليتوضأ »

وجملة القول ان حديث بسرة أصح سندا لان رجاله رجال الصحيحين وحديث طلق لم يحتج الشيخان برجال سنده وهو من رواية ابنه قيس عنه وقال الشافعي سألنا عن قيس بن طلق فلم نجد من يعرفه وقال أبو حاتم وأبو زرعة انه ممن لاتقوم به حجة فالأول أصح سندا ومن رأى عند المصححين لحديث طلق ماينفي ماطعنوا به على سنده ولم يثبت عنده النسخ فله ان يحمله على الرخصة كما قال الشعراني في ميزانه ويحمل حديث بسرة على العزيمة . أما ترجيح حديث طلق على حديث بسرة فلا وجه له ألبتة والله أعلم

(س ٨٦) ومنه : تم نروم الافادة عما كان صلى الله عليه وسلم يلبسه من الثياب في غالب أوقاته وعما حث على لبسه (ص) وما نهى عنه ، وهل تتبع الثياب الفاخرة محمود أومذموم ؟ لازلتم ممن أحيا السنة وأمات البدعة

(ج) كان صلى الله عليه وآله وسلم يلبس في غالب أوقاته لباس قومه من الازار والرداء ولبس أيضا من لباس الروم والفرس وحث على لبس الثياب البيض وكان أحب الثياب اليه ان يلبسها الحبرة كما في حديث أنس عند الشيخين وغيرهم وهي (كعنبة) برد يماني من القطن أو الكتان سمي بذلك لانه محبر أي مزين بالخطوط والالوان وكان من أحبها اليه كذلك القميص كما فى حديث أم سلمة عند أحمد وأصحاب السنن ماعدا ابن ماجه وكان يعتم ويسدل عمامته ولم يتسرول ولكنه قال : ائتزروا وتسرولوا : ونهى عن لبس الحرير المصمت الا لحاجة كمرض وعن المنسوج بالذهب وتقدم تفصيل ذلك فى المنار وعن لباس الشهرة وعن جر الثوب خيلاء وقالوا ان المراد بثوب الشهرة مايخالف

الشافعي والرجال والنساء فيه سواء. والمشهور أنه سنة قال النووي وعليه أكثر العلماء ومنهم الحنفية والمالكية وقد جرى عليه العمل ولكن لا يوجد حديث يحتج به في الامر به فحديث «ألق عنك شعر الكفر واختتن» عند أحمد وأبي داود والطبراني وابن عدي والبيهقي قال الحافظ ابن حجر فيه انقطاع وعثيم وأبوه (كليب راوياه) مجهولان. وقال ابن المنذر: ليس في الختان خبر يرجع اليه ولا سنة تتبع: واحتج القائلون بأنه سنة بحديث اسامة عند أحمد والبيهقي «الختان سنة في الرجال مكرمة فى النساء» وراويه الحجاج بن ارطاة مدلس. والذي لا نزاع فيه هو ماقلناه من أنه سنة عملية كان في العرب وأقره النبي (ص) وعده من خصال الفطرة وهو من ذرائع النظافة والسلامة من بعض الامراض الخطرة.

نقض الوضوء بمس الذكر

(س ٨٥) السيد محمد بن عبد الله بن محمد البار الحسيني في (عدن): نروم من حضرتكم الاعراب عما ترونه في الحديثين الواردين في انتقاض الوضوء وعدمه حديث «من مس ذكره فليتوضأ» وحديث «هل هو الا بضعة منك» هل الحديثان صحيحان وهل بينهما تعارض وما الذي بان لكم الحق فيه وما الذى يجب ان نعمل به؟

(ج) الحديث الاول فيه روايات أصحها وأشهرها حديث بسرة مرفوعا «من مس ذكره فلا يصلي حتى يتوضأ» رواه مالك والشافعي وأحمد وأصحاب السنن الاربعة وغيرهم وصححه غير واحد منهم وقد احتج البخاري ومسلم بجميع رجال سنده ولم يخرجاه في صحيحيهما لاختلاف وقع في سماع عروة من بسرة قال البخاري ان مروان حدث به عروة فاستراب فارسل مروان رجلا من حرسه الى بسرة فعاد اليه باثبات الخبر عنها ومروان مطعون في عدالته وحرسيه مجهول ولكن ثبت عن غير واحد من الائمة ان عروة سمع من بسرة بعد ذلك كما في صحيح ابن خزيمة وابن حبان قال عروة فذهبت الى بسرة فسألتها فصدقته. قال في المنتقى: وقال البخاري هو أصح شيء في هذا الباب: ووردت أحاديث أخرى بمعناه

واما حديث «هل هو إلا بضعة الامنك» فقد رواه أحمد وأصحاب السنن والدارقطني من حديث طلق بن علي بلفظ: الرجل يمس ذكره أعليه وضوء: فقال (ص)

على صاحبه بحق ، ويجرون فيه على عرق ، واني لا انكر قولهم الاول ، ولا اعترف باطلاق القول الثاني ، فانه ان صح انهم لا يطلقون كلمة متربب على غير من اخذ بسهم من الفنون الحديثة على الطريقة الاوربية ، واصطبغ بشيء من ألوان المعيشة الافرنجية ، فلن يصح ان من كان له هذا السهم ، فهو مثال الفضيلة والعلم ، والقادر على النهوض بالامة والبلاد ، الى ذرى السيادة والاسعاد ، واليك البيان

ترى جرائد الدهان تملأ ماضغيها فخرا بأن محمد علي باشا وخلفهم الذين أسعدوا البلاد المصرية بادخال هذه التربية الحديثة فيها فأحيوها بها بعد موتها ولكن مابال هذه الحياة التي نفخ روحها في الامة منذ قرن كامل لم تصدر عنها آثار الاحياء فى الاخلاق الفاضلة والاعمال النافعة ونظام البيوت ووحدة الامة واستقلال الحكومة ومنعتها الواقية من التحيز الى الاجنبي والاستنصار به والاستذلال له وتمكينه من ناصيتها ألم ترتق أمة اليابان بعد الاخذ بعلوم اوربا بخمس وعشرين ؟ فما بال الامة المصرية لم ترتق بعد مئة من السنين ،

اذا كان ترقي الامة هو استقلالها ، ونهوضها بأحكامها وأعمالها ، وكان أمراء مصر قد نهضوا بأهلها وجذبوهم الى الرقي والكمال ، فما بال الامير عند أول نبأة من الامة في طلب الاستقلال ، ومشاركة الشراكسة في الاعمال ، قد استغاث بدولة انكلترا لتنقذه من الامة وتؤيد سلطته عليها وتمكن له فى أرضها وقد كان من أمرها في تمكين هذه السلطة ان اخذت من الشراكسة والترك أكثر مما كان المصريون يطلبونه لانفسهم بل استولت على كل شيء ، حتى لا يبرم بغير يديها شيء ،

احتلت انكلترا أرض النيل فنيدت الحكومة وأطلقت الاهالي وكان من هذا الاطلاق حرية للمطبوعات كثرت بها الجرائد وكثر اللغط فى السياسة ، والسياسة هي الفتنة الكبرى للناس فتن بها المصريون حتى شغلتهم عن الانتفاع بالحرية التي منحوها واغتر بفتنتهم كثير من الناس فظنوا ان وراء ثرثرة الجرائد المصرية وتبجحها بذم الانكليز ومعارضتهم حياة طيبة واستقلالا كاملا هاجته القوة فأنشأ يواثبها ويناصبها ولا يلبث أن يغلبها ، ولم تلبث الحرب أن فثأت وانجلى الغبار عن أفراد استنفرتهم المنفعة الشخصية فنفروا ، واستفزهم طلب الجاه ففزوا وطفروا ، وقد سكنت الآن الزعازع ،

به اللابس الناس ليرفعوا اليه أبصارهم فيتيه عليهم ويفتخر بلبوسه وهذا من السخف والصغار فان عالي الهمة لايفتخر بثيابه . ولم ينه عن اللبوس الفاخر مع حسن القصد بل لبس ثيابا غالية الثمن • وفي حديث ابن مسعود عند أحمد ومسلم قال قال رسول الله (ص) : « لايدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر » فقال رجل ان الرجل يحب ان يكون ثوبه حسنا ونعله حسنا فقال (ص): «ان الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمص الناس» أي احتقارهم . وجملة القول ان اللبس من الأمور العادية والدين لايذم لباسا الااذا كان في لبسه ضرر في الاخلاق أوغيرها كالاسراف

باب التربية والتعليم

نابتة العصر ، ومستقبل مصر

(أو التربية الحديثة)

أن للألفاظ دولا كدول الاشخاص يعز بعضها فى زمن ويذل فى زمن آخر اذ تدول العزة الى غيره وان لفظ التربية الحديثة لهو في هذا العصر أقوى الالفاظ دولة وأعز نفراً حتى يوشك أن يكون له الظهور والاستعلاء على لفظ (بيك) ولفظ (باشا) الذي طفق يتدحرج من قنة عزه بابتذال الرتب التي يقرن بها اذ صارت تباع بالدراهم والعروض وصار سماسرة البيع يتباخسون ويتناجشون فيها ويبيع بعضهم على بيع بعض بالوكس ، والثمن البخس ، حتى ترفع الوضيع ، وتبرم الرفيع ، وأما لفظ التربية وما اشتق منه كالمربي والمتربي فلم يسحل مريره ، ولم يهن نصيره ، ولم يخرج عن نصابه ، ولم يعد سن شبابه ،

اذا كان لفظ (بيك) او (باشا) قد احترم ولا يزال يحترم لانه عنوان الجاه والثروة ، والقرب من رجال الدولة ، فان لفظ (المتربي) يحترم أشد الاحترام لانه عنوان العلم والادب ، والسياسة والكياسة ، وصاحبه ، موضع الامل والرجاء بخدمة الامة ، والارتقاء بالوطن الى القمة ، والمستحق لاعمال الحكومة ، والقادر على القيام بالمشروعات العظيمة ، ويقولون ان أكثر الذين تحلوا بالرتب ، التي تقرن بذلك الالقاب ، قد تدلوا بغرور ، ولبسوا ثوبي زور ، لان رتبهم من المواضعات الرسمية ، التي تخط بسوء حال الحكومة والمعية ، (المعية فى العرف حاشية الامير الحاكم) ولقب المتربي من اصطلاح اهل العلم ، ومواضعة اهل الذكاء والفهم ، فهم يطلقونه

آيات بينات وحقائق ساطعات واضحات تدل على استقلال الغازيت وحريتها فيما تنشره من المقالات النافعة المفيدة • ثم نشر في تلك الجريدة مقالة أخرى لكاتب انكليزي في معناها ينحي فيها على المصريين إنحاء شديداً فعربتها جريدة المؤيد مقرة لها وبعد ذلك نشر في المؤيد مقالة لاحد المحررين فيها فى موضوع مقالتي الجريدة الانكليزية قال في فاتحتها

« اطلع القراء على ماعربه المؤيد عن جريدة (الاجبشيان غازيت) تحت عنوان (مستقبل المصري) وما أظن أن أحداً ممن وقع نظره على تينك الرسالتين لم يعترف فى نفسه ولمن معه بصدق ماجاء فيهما من الحقائق المرة إذ كون المصري مخذولا في بلده مهملا لشؤونه الحيوية مفصوم العروة القومية ــ الى آخر مايمكن أن يوصف به من الاهمال والخمول والتراخي وعدم النظر الى المستقبل ــ قضية لاتحتاج الى إقامة برهان أو بيان ولكن الذى يجب أن يتساءل عنه هو اسباب هــذا الخذلان وهل ثمة واسطة لاصلاح الحال »

ثم ذكر من المقالة الثانية الانكليزية التي نشر تعريبها في (٩ ش) مانصه : « ان الاخــلاق الفطرية للأمة المصرية بل وكل ماضي تاريخها تدل على أن الوصول الى الرقي الأدبي والحياة الاجتماعية القومية يعد من قبيل المستحيلات فانه منــذ فجر التاريخ والفلاح المصري على ماهو عليه تاركا أموره وحياته ووجوده فى أيدي غيره واكلا الى الأجانب عنه تأدية الواجب الذي كان من المحتم عليه القيام به » اه ثم سأل محرر المؤيد نفسه وقراء الجريدة عن سبب ذلك على أنه أطال الفكر فيه فلم يهتد قال:

« أن قلنا إن التعليم والتربية ناقصان وإن الجهل سبب كل هــذا أجابونا فما بال هؤلاء المصريين المتعلمين الذين حازوا من علوم أوربا أسماها وأغلاها وعاشروا المتمدنين منهــا والعاملين المجدين فيها لايعملون ولايفكرون ؟ وما بالك تراهم مثل أمثالهم من إخوانهم المصريين مشتغلين جل أوقاتهــم بالسفاسف والصغائر؟ وأين هي الاخلاق القوية التي يوجدها التعليم والتربية فى النفوس وهم كما تراهم وتعرفهــم» . ثم قال انه لايصح أن يكون السبب جوّ البلاد ، ولا كون الامة عريقة بحكم الاستبداد ، ولا دين الاسلام لان الاجانب يعملون في هــذا الجو ويرتقون ولان غــير المصريين حكموا بالاستبداد ثم نجحوا وارتقوا ولأن الاسلام قد نهض بالأمة العربية أو نهضت به وهؤلاء

وسكت المنازع ، وأقصى ماكان من تأثير هذه السياسة أن غرت الامة بغيرها ، ولم تحاول ان تغرها بنفسها ، ودعتها الى حياة سياسية ، ولم تدعها الى حياة اجتماعية ، وفاقد الشيء لايعطيه ، ولاينضح الاناء الا بما فيه ،

نعم ان المصريين لم يغتروا بأنفسهم فاننا منذ جئنا هذه البلاد نسمع من شكوى خاصتهم وعامتهم مايدل على عدم ثقتهم بأنفسهم وعدم رضاهم عن حالهم في التعلم والتربية والعمل والاقتصاد وكل مقومات الحياة . ووجدنا الشعوب التي مازجتهم تشكو من أخلاقهم وحالهم أشد مما يشكون ، وكنا نظن ان الجميع مبالغون فيما يقولون،لان رجاءنا في مصر والمصريين كان عظيما وقد ضعف الآن ولكنه لم يذهب بالمرة وانا لنعلم أن كل المسلمين البعداء عن مصر يرجون من المصريين مالا يرجوه المصريون لانفسهم من أنفسهم. ولايغرنك ما يتشدق به ويتفيهق بعض الأحداث الذين اتخذوا المدح حرفة يكتسبون بها المال وقليل ماهم وانظر ماقالته جريدة المؤيد في هذا الشهر وفاقا لجريده الاجبشيان غازيت الانكليزية المصرية في مستقبل المصري بعد الاشتغال بعلوم أوربا مئة سنة وبعد عشرين سنة في الحرية الحقيقية التي وهبها الاحتلال الانكليزي لمصر

تقول الجريدة الانكليزية فى مقالة عنوانها(مستقبل المصري) ان مستقبل مصر أي حسنه مضمون ولكن مستقبل المصري بين اليأس والرجاء فان ترقي هذه البلاد المستمر في التجارة والزراعة والصناعة وجميع مرافق الحياة انما هو من الاجانب و بالاجانب وان المصري لم يشترك فيه على أنه استفاد منه قليلا.وان التاريخ يثبت بالبراهين الكثيرة ان المصري فطر على الدعة والسكون والقناعة بالوجود فى العالم متى حظي بما يكفل له الحياة وحاجاتها الضرورية فلا مطمع له ولاأمل في تحسين أموره . وتقول ان المصري لاعذر له الآن في هذا فان هذا الزمان ليس كالزمان الذي كان فيه طلب التقدم والارتقاء خطرا عظيما أي من الامراء المستبدين . ثم جزمت بأن المصري ما استفاد ولاهو يستفيد من تقدم بلاده ولايسير مع الارتقاء ولايأخذ نصيبه من نمو الثروة في بلاده بل كل ذلك عائد على الاجانب والغرباء الذين ترتقي البلاد بعملهم

وقد ترجم المؤيد المقالة فى (ع ٣ ٤٣٨٩) الصادر في ٦ شعبان ووصفها بقوله «وكلها

منذ يومين آلم نفوسنا فقد واحد من رجالنا

ذلك أن قطعة من قطع الاخشاب المنحرفة الوضع المستعملة في السفينة لشد حبالها لم يكن ربطها وثيقا فأتت عليها نفحة من الريح فهوت بها على السطح فصادمت في هويها رأس ذلك الملاح وهو قائم على الحراسة فلم آل جهدا في تجريب جميع الوسائل الفنية لايقاظه وتنبيهه ولكني لم أفلح لانه لم يبق فيه أدنى علامة على الادراك فسرى الوجوم في السفينة لأن هذا الملاح الباسل كان محبوبا عند رفقائه وصاح الربان بصوت أجش وقد بدت على وجهه آثار الحزن مع انتقابه بالتجلد بأن تنقل الجثة الى غرفته

استولى سكون الحداد على السفينة فما كنت ترى على ظهرها الا انظارا شقت عن الاسى ووجوها نكرتها الاشجان وأسدل الليل على البحر بالتدريج حجب ظلماته كلها وأرخى عليه سدول احزانه فما رأيته قبل تلك الليلة بهذا المقدار من العظم والكآبة وكانت الامواج باصطخابها تشكو شكوى الاحياء من مضض المصيبة حتى خيل لي انها نفوس تناجي نفوسنا

واربأه ما كان أشأم هذا الصخب المتقطع الناشئ من ملاطمة الامواج لالواح سفينة تقل ميتا

أقبل النهار وأدبر الليل بيد أن أضواء الشمس فى إشراقها لم تقو على قشع ماغشي النفوس من سحب الاكدار الليلية فبقيت جميع القلوب مثلوجة متبلدة بضرب من الهول ذلك أن وجود الميت في بيت يبث فيه على الدوام الحزن مشوبا بالاجلال والرعب والسفينة بيت مضطرب فما يسهل انفصامه من عري المودة بين من تطاوحت بهم النوى من العائشين في البر يتأكد بين العائشين في السفينة بسبب اشتراكهم في الحاجات والمخاطر

تخلف يعقوب فى ذلك الصباح عن إجابة داعي الشمس المشرقة وعهدنا به أنه كان على الدوام أول من يسمع دوي صوته الشديد على ظهر السفينة فأصبح وقد قضي عليه أن لا يكون هو الصائح بكلمة «تمام»

كان من أسباب اشتغال قلوب المسافرين والملاحين بالحزن أيضا ارتقابهم لما كان قريب الوقوع من دفن الميت ومع كون أعمال التجهيز كلها كانت تؤدي فى سكون

القبط فى مصر كالمسلمين ولأن اليابان وأوربا ماارتقيا بالدين . وغرضنامن قول هذا المحرر شهادته في المصريين الذين تعلموا وتربوا (كمايقال) فانهاشهادةالمؤيدأشهرجرائدهم وقدكان قال من عهدقريب ان الامةالمصرية لم ترتق الى درجةتؤهلهاالإنشاءمدرسة كلية

أما سبب هذه الحيرة في علة انحطاط المصريين فهو الجهل بمعنى التربية الصحيحة النافعة التي ترتقي بهاالامم والتي لايفيد التعليم بدونها الفائدة المطلوبة وقد بينا الفرق بين التعليم والتربية غير مرة وقلنا إن في مصر شيئا من التعليم الناقص ولكن ليس فيها تربيةقط بل التربية فيها متعسرة أو متعذرةأويحال بين الناشئين الذين يربون وبين الناس لئلاتفسدعمل المربي هذه البيئةالوبيئة بفساد الأخلاق والأعمال ولكن أين المربي وأين يربي ؟ واذا هو وجد فمن يسمع له ومن يعينه على تربيةولده؟وبينا أيضا ان هذا التعليم الناقص قدزادفي إفسادأخلاق الأمة وفتح لها خروقا من السرف والترف والايغال فى اللذة والاستمتاع مافتحت في أمة قوية الا وأضعفتها وجعلتها من الهالكين

وليعلم القارىء ان حياة الامم الميتة تتوقف على الاستعداد فى الأمة كماأوضحناه في مقالة (الاصلاح والاسعاد على قدر الاستعداد) فاذا لم تستعدالأمةفبيان أمراضها وطرق علاجها لاينفعها لانها كالمريض الاحمق يأبى كل دواء لأنه دواء. بل لايسهل على غير المستعد أن يفهم أسباب الضعف وكيفية معالجته.فاذا أقمت البراهين والحجج القيمة على أن رغبة الامة المصرية فى الرتب والنياشين من أسباب الفساد لايفهم قولك الا الاقلون ومن فهمه يكابر فيه وينكره بلسانه وان اعتقده في قلبه ومنهم اكثر أصحاب الجرائد فما بالك اذا ذكرت لهم الادواء الفاتكة التي يعد حب الرتب والنياشين من أعراضها

وسنذكر فى الجزء الآتي طريقة تعلم النابتة المصرية والروح الذي به تحيا الامم ولاينفع مع فقده علم ولاتعليم، والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

شذرات من يومية الدكتور أراسم (*)

يوم ٣٠ ابريل سنة ــ ١٨٦

تتناقص الحرارة ويتدرج الهواء في البرودة لاننا صرنا في خط الجدي

(*) معرب من باب تربية اليافع من كتاب أميل القرن التاسع عشر .

كان يعتوره الاين حينا بعد حين فتتخالله نغمات ضعيفة مهتزة كأنها تنبعث من القلب وكان مايحصل في نفسه من التنازع بين التمالك والسكينة التي يراها لازمة لكرامته من حيث هو رجل وبين عاطفة الرحمة التي كان يكاد يبدي بها يكسو وجهه هيأة غريبة جمعت بين القسوة والرحمة وكان كاتب السفينة يتلو فى ذلك الكتاب عينه الحكم الانجيلية وما كان يسع احدا من السامعين أن لايعترف بشيء من الجلال لهذا الضرب من التحاور في معنى الموت بين رجلين مستهدفين فى كل يوم لآلاف من المعاطب قد شهد كلاهما كثيرا من اخوانهما يخرمون من حولهما ويثوون فى ظلمات البحر السرمدية

هذا الذي كانا يتناوبان تلاوته لم يك يشبه الصلوات بحال (فالكنيسة الانكليزية لايصلى فيها قط على المتوفين) بل كان عبارة عن فكر ماخوذة من التوراة في معنى قصر الاجل ومصوغة في قوالب تشبيهات شعرية كتشبيه الحياة بعشب البوادي يخضر في الصباح ويذبل في المساء أو بالظل يسري على الماء وتشبيه جمال الرجل والمرأة شوهته السنون بثوب أكلته الارضة وكان جميع الحاضرين يفهمون نص هذه العبارات العبرية لانه كان مترجما الى الانكليزية

على أن الساعة الاخيرة قد اقتربت فكف الربان عن التلاوة وأخذ يرقب عظم اتساع السماء والماء ثم صوب بصره آخر مرة الى ذلك الشيء وهو مدرج في نسيج يعرف الناظر اليه من خلاله شكل آدمي معرفة مبهمة وقد وضع على شفا الفوهة التي صنعت في جدار السفينة ليلقى منها فى البحر ولم تكن الا اشارة من الربان أن سمع صوت غليظ رخو لسقوط رجل ميت فى البحر فشوهد للامواج فوران شديد فترجرج خفيف فدوائر من الماء متداخل بعضها فى بعض فلا شيء

التأم الآذيّ على الجثة كما يلتئم بلاط اللحد . وقال الربان بصوت خنقته العبرة والانفعال « أنت في وديعة البحر »

كنت فى كل المدة التي استغرقها أداء هذه الشعائر أرقب «أميل» حينا فحينا فأجده شديد التأثر وأما «لولا» فكنت اراها باكية

يرجع تأثر هذين الغلامين الى سببين اولهما ان تجهيز الميت كان مقرونا من الوقار والهيبة بما يهز القلوب ثانيهما انهما لم يكونا شهدا الدفن قبل هذه المرة لجهلهما الموت

كأنها من وراء حجاب كنا نخلس الملاحين في بعض الا ماكن روحات وجيآت خفية وقد أحدث السفينة بتنكيس الاعلام التي تزهو دروتها عادة بارتفاعها فوقها فخرا بالامة المنتسبة اليها وفى نحو الساعة العاشرة برز الربان على ظهرها ثم أقبل على ملاحيه وقال بصوت منخفض قد حلت ساعة النحس فعلي بالربان الثاني وأخبروه بأننا مستعدون ويعلم الله مقدار مايشق على من تأدية هذا الفرض ولكن من الواجب انقيام بالواجب

رتب الملاحون اكوام الحبال اتي كانت تعيق السير بتبعثرها على سطح السفينة ورفعوا أحد الاجزاء التي تتألف منها جدران السفينة فكان من ذلك نافذة شبيهة بالكوة كنا نرى منها البحر يتراوح بين الصعود والهبوط

كان ناقوس السفينة يطن فيحدث عن طنينه المؤلم اذا انتشر على وجه الامواج أثر محزن يغادر جميع القلوب واجفة

لما كانت السفينة خلوا من القسيسين كان من العادات المضطردة في مثل هذه الحالة بانكلترا أن يعهد بصلاة الجنازة الى ربانها من أجل ذلك أخذ الربان مجلسه وهو مكشوف الرأس وبين يديه كتاب مفتوح والتفت عليه حلقة من المسافرين والملاحين يحفهم الوقار والخشية على تشوش هيآتهم وأوضاعهم ينتظرون البدأ في الشعائر الدينية

أشار الربان الى رجلين من الملاحين بان يهبطا من أحد سلالم السفينة الضيقة فلم يلبثا أن صعدا يحملان الميت على نعش كبير منقب وقد لف فى قطعة من نسيج الشراع خيطت عليه وكان من الميسور تقدير ثقله بما كانا يعانيانه من الجهد فى حمله ذلك أن العادة تقتضي فى مثل هذا المقام أن يوضع فى الكفن مع الجثة قذيفا مدفع (القذيفة الكرة التي تقذف من المدفع) احداهما عند رجليها والاخرى عند رأسها

مابرزت هذه الصورة المشؤمة من سدفة السلالم (السدفة الظلمة المختلطة بالضوء) حيث كانت تبدو منها ببطئ حتى اقشعرت لمرآها أبدان الحاضرين وقد بسط على صدر المتوفي علم من أعلام السفينة عليه الوان البحرية الانكليزية

انشأ الربان يتلو صلاة الجنازة بصوت شديد معتاد على الأمر والنهي غير أنه

يسميها الملاحون حمام الراس الواحدة منها في حجم البطة البرية أحد نصفيها أبيض والثاني اسود وكانت تحوم حولنا اسرابا وتصطاد بشباك تمد على كوثل السفينة (مؤخرها) فتنشب فيها اجنحتها في غدوها ورواحها عليها وتتورط فلا تستطيع انفكاكا

وشاهدنا طيرا آخر أثار العجب في نفس «أميل» بعلو قامته وارتفاع طيرانه وهو المسمى بالبطروس (١) اه

يوم ١٠ مايو سنة ــ ١٨٦١

راس القرن حقيق بان يسمى رأس الزوابع فقد هاجت علينا فيه هيجة خلنا فيها أن المحيط بأجمعه ينيخ بكلكله على سفينتنا الضئيلة على انها تقاوم وتجري مع مايلاطمها من الامواج ويتقاذفها من المهاوي لا يقعدها عن ذلك زمجرة البحر فهو بهيمة كبري وجدت من يروضها .

باب الأخبار والآراء

﴿ خلاصة تاريخ حرب اليابان وروسيا ﴾

في هذه الحرب عبر كثيرة منها أن ماظهر من ارتقاء اليابان العلمي والصناعي والادبي قد أبطل ما كانوا يزعمون من تفاوت استعداد أجناس البشر ككون الجنس الاصفر أضعف استعدادا من الابيض فقد اعترف الاوربيون بأن ارتقاء اليابانيين لايعلوه ارتقاء في أوربا وهذه الامة الشرقية الصفراء قد ارتقت في مدة ربع قرن وأوربا لم ترتق الابعدة قرون وما كلها في الارتقاء سواء

ومنها أنه لايوثق بأحد في نقل جزئيات التاريخ ولا يوثق منه الا بالأمور الكلية التي تستنبط من مجموع الحوادث بعد تمحيصها والاطلاع على اختلاف الرواة فيها فان نقل التاريخ لم يكن في عصر من الاعصار أيسر وأقرب الى الضبط منه في هذا العصر لان كل واقعة من الوقائع العظيمة يشهدها عدد من أصحاب الشركات البرقية وأصحاب الصحف ومندوبو الدول وكلهم مؤرخون واننا مع هذا نرى ماينقلون من أخبار هذه الحرب تختلف جزئياته وتتناقض ويكذب بعضها بعضا . ونرى مؤرخي العصر

(١) البطروس طير من فصيلة الطيور الراحية الأجل يعيش في بحار استراليا

حتى هذه الساعة نعم أنهما كانا يعرفان بالتحقيق ان كل شيء صائر الى الفناء فقدشهدا حيوانات تزول واخوانا يختطفون من حولهم غيراني في شك قوي من كثرةاشتغالهما بهذه الطوارىء الطبيعية ووقوفهما بالفكر عندها والانسان لايعرف الامور معرفة صحيحة الا اذا فكر فيها بنفسه ولا أعدم واهما يلقي علي تبعة هذا الجهل لاني أعلم انه كان ينبغي من اجل إنشاء «أميل» على الاصول القويمة التي يحبها ذلك الواهم ان اربيه على الخوف وان أحيط له الحياة فى مواعظي بوعيد القبر ومخاوف الخلود ولكن ما حيلتي اذا كنت لم أجد من نفسي إقداما على ذلك فأني رأيته كثير الاغتباط بالحياة فصرفت جل عنايتي فى تحبيب الواجبات الى نفسه لافى دناءة التخويف من عقوبات الآخرة أو التأميل فى مثوباتها الغيبية

المواعظ المحزنة لاتربي الوجدان بل تكدر صفاءه وتزعجه فواشوقاه الى الساعة التي يتأثر فيها اليافع بمشهد الموت فيأنس من نفسه الحاجة الى سبرغور ماقدر له فى أخراه . (١) اه

(يوم ٦ مايو سنة ــ ١٨٦)

الرياح باردة والسماء كدراء وتزعم «لولا» أن سفرنا استغرق الربيع والصيف والخريف واننا داخلون في الشتاء وحقيقة الامر هي ان اقاليم البلاد فصول ثابتة كما ان فصول السنة أقاليم مرتحلة

صارت الامواج من الثقل والضخامة بحيث اصبح مسير السفينة شاقا وقد هبت علينا ريح خبيثة فهي ترفعنا الى الشرق نحو جزائر فوقلند . (٢) اه

يوم ٨ مايو سنة ــ ١٨٦

اقتحمنا مدخل بوغاز ماجلان (٣) وهو مجاز وعر خطر ورأينا هناك طيورا

---

(١) ما كرهه المربي لولده من إنشائه على الخوف من العقاب والرجاء فى الثواب غير مكروه ووصفه هذين الامرين بالدناءة غير صحيح واملة فى أن ولده يسبرغور ما قدر له فى اخراه وهم ظاهر وخدعة زينها له شكه فى اليوم الآخر (٢) جزائر فوقلند هي ارخبيل فى المحيط الاطلانطيقى شرقي بوغاز ماجلان مملوك للانكليز

(٣) بوغازماجلان واقع بين بتاغونيا ويكردو فو (أرض النار) اكتشفه رحالة بورتغالي إسمه ماجلان وهو أول من بدأ بالطواف حول الارض

بحراً • وفي ٢٩ منه احتل اليابانيون جزيرة هي بونتو من جزر اليوت شرقي بورت آرثر
وفي ٢ مارس انكرت اليابان التهم التي وجهتها روسيا اليها في البلاغات التي نشرت في ١٨ و ٢٠ الماضي • وفي ٦ منه أطلق الاميرال كميمورا المدافع على فلادفستوك • وفي ٩ منه نشرت اليابان ردها على المنشور الذي اصدره الكونت لمسدروف في ٢٢ الماضي • وفي ١٠ منه هاجمت النسافات اليابانية اسطول بورت آرثر بعد منتصف الليل بقليل فغرقت نسافة روسية وضرب الاسطول الياباني بورت آرثر في الصباح فدمر مباني سانشان تاو • وفي ١٧ منه وصل المركيز ايتو الى سيول موفداً من عاهل اليابان الى عاهل كوريا. وفي ٢١ و ٢٢ منه أطلق الاسطول الياباني المدافع على بورت ارثر وجعل الاسطول الروسي موقفه عند مدخل الميناء • وفي ٦ منه احتل اليابانيون ويجوو وبدأ الروس يعبرون نهر يالو متقهقرين • وفي ٨ و ٩ منه حدثت مناوشات على نهر يالو • وفي ١٢ منه استعانت البارجة كوريو مارو اليابانية بالنسافات ونصبت الالغام عند مدخل بورت آرثر • وفي ١٣ منه قطعت المدامرات اليابانية الطريق على مدمرة روسية في جوار بورت آرثر فاغرقتها وفيه جرت الطردات اليابانية أسطول الاميرال مكاروف خارج الميناء فاصابت البارجة بترباولسك لغما عند رجوعها فغرقت وغرق الاميرال مكاروف • وفي ٢٣ منه عبرت طلائع اليابانيين نهر يالو. وفي ٢٥ منه نهض أسطول فلاد فستوك الى جنسان فجأة وأغرق فيها الباخرة اليابانية جويومارو • وفي ٢٦ منه أغرقت نسافتان روسيتان النقالة اليابانية كنشين مارو • وفي ٢٧ منه حاول اليابانيون سد مدخل بورت آرثر فلم يفلحوا وفيه بدأ القتال على نهر يالو. وفي ٢٩ و ٣٠ منه وأول مايو عبر الجنرال كووركي نهر يالو بجوار ويجوو كسر الروس وكانوا بقيادة الجنرال ساسوليتش وغنم منهم ٣٨ مدفعا واستولى على كيوليانشنج وهي المعركة المعروفة باسم معركة يالو
في أول مايو حاول الاميرال توجو ان يسد مدخل بورت آرثر بتغريق البواخر والاخشاب فيه • وفي ٣ منه سد اليابانيون المدخل على المدرعات والطرادات فقط • وفي ٤ منه أبحر الجيش الياباني الثاني من شنمبو صباحا • ووصل الاميرال «هوسايا» ومعه أسطول من النقالات الي « بتزي هو » شرقي بورت آرثر في شبه جزيرة لياوتونج مساء • وفي ٥ منه أنزل الاميرال هوسايا لواء بحريا وفرقة من الجيش البري الي

وهم أرباب الصحف يرجحون بأهوائهم لذلك كان الموثوق به حقيقة هو النتائج التى اتفق عليها جميع الناقلين وهي أن اليابانيين هم الظافرون فى جميع المواقع البرية والبحرية وأنهم اخف حركة وأعلم بالحرب وأحسن نظاما مع الشجاعة الكاملة وهاك ذكر أهم الحوادث والوقائع بتاريخها ملخصا مما عزبه بعض الرصفاء عن جريدة التيمس:

في ٥ فبراير انذر المعتمد الياباني فى بطرسبرج حكومة القيصر بقطع العلاقات السياسية بين الدولتين بامر حكومته. وفي ٧ منه نشر التلغراف الذي أرسله الكونت لمسدروف الى سفراء روسيا ووكلائها السياسين في انحاء السلطنة الروسية. وفي ٨ منه وصل أسطول ياباني يخفر نقالات يابانية بقيادة الاميرال اوريو الى ميناء شملبو واطلقت البارجة كوريتز الروسية القنبلة الاولى في هذه الحرب. وفي ٨ منه أيضا هاجم الاميرال توجو الاسطول الياباني الذي في بورت آرثر في منتصف الليل ونسف ثلاثة بوارج منه وهي الدارعتان زارويتش ورتفيزان والطراد بوبيدا. وفي ٩ منه أعاد توجو الكرة على الاسطول الروسي فى الصباح فتعطلت الدراعة الروسية بولتافا وثلاثة طرادات وهي نوفيك واسكولد وديانا. وفيه أيضا وقعت معركة بحرية في شملبو فدمر اليابانيون الطراد فارياج والمدفعية كوريتز. وفي ١٠ منه أعلنت اليابان الحرب رسميا وأصدر القيصر منشوراً الى الشعب الروسي أعلنه به بنشوب الحرب وقال انه سينتقم من اليابان مئة ضعف ويقتل هذا الطفل قبل ان يشب. وفى ١١ منه مست البارجة الروسية ينيسي لغماً فنسفها فى تاليان وان واغرق أسطول فلاديفوستوك باخرة يابانية وأنقذ ركابها. وفى ١٢ منه اعلنت الصين الحياد وخرج المسيو بافلوف معتمد روسيا فى كوريا من سيول. وفي ١٤ منه اغتنمت النسافات اليابانية حدوث عاصفة فهاجمت اسطول بورت آرثر ونسفت الطراد بويارين. وفى ١٧ منه تعين الاميرال مكاروف قائدا لاسطول بورت آرثر محل الاميرال ستارك. وفي ٢١ منه صدرت ارادة قيصرية بتعيين الجنرال كوروبتكين ناظر الحربية قائداً عاماً للجنود الروسية فى منشوريا فسافر الى منشويا فى ١٢ مارس. وفى ٢٣ منه عقد اتفاق بين كوريا واليابان ووقع في سيول. وفى ٢٤ منه ايضا حاول اليابانيون ان يسدوا مدخل بورت آرثر عند بزوغ الفجر وفى ٢٥ منه تجدد القتال فى بورت آرثر

لفريقان في جوار كاي بنج وكان الروس نازلين في كاي بنج وتاشي كياو ولياوينج واليابانيون في جنوب كاي بنج وساي متسى وليانشان كوان . وفيه ضرب اليابانيون بورت آرثر برا واستولوا على استحكامات في الجهة الشرقية . وفي ٢٧ منه استولى اليابانيون على مضيق فن شوى لنج ومضيق تالنج ومضيق موتيان لنج وهذه المضايق تعد مفتاح وادي لياو . وفيه أغرق اليابانيون باخرتين في مدخل بورت آرثر لسدها . وفي ٢٨ منه نزلت الفرقة السادسة اليابانية في خليج كر . وفي ٣٠ منه أطلق أسطول فلادفستوك المدافع على ثغر جنسان .

وفي أول يوليو وصل أسطول فلادفستوك الى بوغاز كوريا فنمي خبره الى الاميرال كيمورا فهب لمقاتلته ولكنه لم يدركه . وفي ٣ و٤ و٥ منه دار قتال شديد في بورت آرثر برا وبحرا ومس الطراد كيمون الياباني لغما في تاليان وان فغرق . وفي ٤ و٦ منه اجتازت النقالتان بطرس برج وسمولنسك من الاسطول الروسي المتطوع بوغاز الدردنيل رافعتين العلم التجاري . وفي ٦ منه غادر المارشال اوياما توكيو قاصدا ميدان القتال لاستلام القيادة العامة . وفيه استولى اليابانيون على الحصن نمرة ١٦ في بورت آرثر . وفي ٩ منه احتل الجنرال اوكو (كاي بنج) . وفي ١٩ منه نسف الروس الباخرة هيسانج في خليج بتشيلي . وفي ٢٠ منه اجتاز أسطول فلادفستوك بوغاز تسوغارو فدخل الاوقيانوس الباسفيكي وفي أثره نسافات يابانية . وفي ٢٤ منه نسف اليابانيون ثلاث مدمرات روسية خارج بورت آرثر . وفي ٢٥ منه كسر الجنرال اوكو الروس في (تاشي كياو) بعد قتال شديد وفيه احتل اليابانيون (نيوشوانج) . وفي ٢٦ منه بدأ قتال شديد حول بورت آرثر ودام حتى ٣٠ منه فاستولى اليابانيون في أثنائه على مواقع تل ماي تل الذئب . وفي ٣١ منه زحف اليابانيون زحفا عموميا على الروس فاجلوهم عن مواقعهم على طول الخط الى هاي شنج وينشي لو وينج زولنج

في ١ اغسطس استولى اليابانيون على شان تاي كاو وهو حصن مهم بجوار بورت آرثر وفي ٣ منه احتل الجنرال اوكو هاي شنج ونيوشوانج وفيه رد الروس إلى خط الدفاع الداخلي في بورت آرثر وفيه خرج الاسطول الروسي من بورت آرثر ولكنه رد اليها . وفي ١٠ منه خرج الاسطول الروسي من بورت آرثر بقيادة الاميرال ويتهوفت

بتزي هو . وفي ٦ منه احتل الجنرال كوروكي فنج هوانج شنج . وفي ٨ منه قطع الجنرال اوكو خط السكة الحديدية عند بولان تيان شمالي بورت آرثر . وفي ١٠ منه هاجم القوزاق انجو في كوريا على غير جدوى . وفي ١٢ منه أطلق الاميرال كاتاوكا القنابل على تاليان وان ومست نسافة يابانية لغما فغرقت في خليج كر . وفي ١٤ منه غرقت نقالة يابانيـــة في خليج كر ايضا واحتل اليابانيون بولان تيان . وفي ١٥ منه اصطدم الطرادان اليابانيان يوشينو وكاسوجا فغرق الاول . وفيه مست الدراعة اليابانية هاتسوسي لغما فغرقت بجوار بورت آرثر . وفي ١٦ منه زحف الجيش الياباني الثاني على كنشاو شمالي بورت آرثر . وفي ١٧ منه تعين الجنرال كيلر قائدا للفرقة السيبيرية الثانية بدلا من الجنرال ساسوليتش . وفي ١٩ منه نزل الجيش الياباني الثالث الى تاكوشان وفي ٢٠ منه قذفت العاصفة بالطراد الروسي بوغاتير على الصخور فتحطـم بجوار فلاديفوستوك . وفي ٢٧ منه ألقى الاميرال توجو نطاق الحصار على شبه جزيرة لياوتونج جنوبا وفيه جرت معركة كنشاو فاخذ اليابانيون تل تان شان عنوة وغنموا ٧٨ مدفعا من الروس . وفي ٣٠ منه احتل اليابانيون دالني وبدأ الاحتكاك بين اليابانيين وطلائع الجنرال ستكلبرج المنفذ لانقاذ بورت آرثر في وافنج كاو .

وفي ٤ يونيو مست مدفعية روسية لغما فغرقت بجوار بورت آرثر . وفي ٧ منه أخذ اليابانيون يطلقون المدافع على بورت آرثر واستمروا على ذلك في الايام التالية وفيه بدأ كوروكي بالزحف على جيش منشوريا . وفي ٨ منه احتل اليابانيون سيوين وساي متسي . وفي ١١ منه وضع اليابانيون الحصار على نيوشوانج . وفي ١٤ منه خرجت المدمرات الروسية من بورت آرثر فردها الاميرال توجو على الاعقاب . وفي ١٤ و١٥ منـــه وقعت معركة وافنج كاو فخسر الروس فيها ٧٠٠٠ رجل و١٦ مدفعا وارتدوا الى كاي بنج وكان الجنرال ستكلبرج يقودهم وتعرف هذه المعركة عند الانكليز بمعركة تليسو . وفي ١٥ منه أغرق أسطول فلاديفستوك نقالتين يابانيتين وهما هيتاشي مارو وسادو مارو. وفي ٢١ منه احتل الجنرال أوكو هسيونج ياوشنج على بعد ٣٠ ميلا من تليسو شمالا. وفي ٢٣ منه خرج الاسطول الروسي من بورت آرثر فرده الاميرال توجو الى الميناء وفيه استلم الجـنرال كوروبتكين قيادة الجنود المقاتلة بنفسه . وفي ٢٦ منه تقابل

بعد أن قاومت اليابانيين مقاومة شديدة لتسهيل التقهقر على كوربتكين • وفيه دخل اليابانيون لياوينج فى الساعة الثالثة بعد الظهر • (وكان الجيشان متقاربين فى العدد ويقال إن عدد الروس كان أكثر). وفي ٤ و ٥ منه تواصل القتال بين الروس المتقهقرين وجيش الجنرال كوروكي وكان قد احتل مناجم يان تاي • وفي ٥ منه عين المسيو ستفنس مستشار الوكالة السياسية اليابانية في واشنطن مستشارا سياسياً في كوريا وعين المسيو ميجاتا مستشاراً ماليا بناء على المعاهدة التي أبرمت مع كوريا فى ٢٢ الجاري . وفيه كانت ساقة الروس هدفاً لمدافع العدو فخسرت ١٠٠ رجل على طريق مكدن • وفي ٦ منه تعين الكبتن فيرن قائداً لاسطول بورت آرثر خلفا للاميرال أوختمسكي وكان قبلا قومندانا للدارعة بايان • وفي ١١ منه استدعى القيصر الجيش الاحتياطي في ٢٢ مقاطعة وطبقة واحدة من ضباط الاحتياطي فى كل السلطنة وفي ١٤ منه نشر تقدير الجنرال كوروبتكين لخسارة الروس بين ٢٨ أغسطس و ٥ سبتمبر فبلغ ٤ آلاف قتيل و ١٢ ألف جريح وفيه ضربت الولايات المتحدة ميعاداً لنزع النقالة لينا الروسية التي لجأت الى سان فرنسسكو سلاحها فيه أو تغادر الميناء فأجاب الربان انه عازم على نزع السلاح. وفي ١٦ منه شرع اليابانيون بتضييق سكة حديد منشوريا وفقاً لمقاس مركباتهم • وفي ١٨ منه هنأ القيصر الجنرال كوروبتكين بحسن تقهقره كما هنأ الميكادو جيشه في ٧ منه بانتصاره • وفي ٢٠ منه حاول اليابانيون اكتناف ميسرة كوروبتكين القصوى في مضيق دالنج فلم يفلحوا وفيه وصلت نجدات جديدة و ١٧٠ مدفعاً لى كوروبتكين • وفي ٢٤ منه استدعي الجنرال أورلوف بناء على قرار الجنرال كوروبتكين ومحي اسمه من الجيش بلا محاكمة • وفى ٢٥ منه قسمت الجنود فى منشوريا قسمين قسماً بقي بقيادة كوربتكين وقسماً سلمت قيادته الى الجنرال جريبن برج • وفى ٢٦ منه احتفل بافتتاح السكة الحديدية حول بحيرة بيكال • وفيه أقرت اليابان على عقد قرض داخلي قدره ٨ ملايين جنيه وعزمت على تعديل لائحه القرعة العسكرية وجعل مدة الخدمة ١٧ سنة

باب الانتقاد على المنار

وعدنا بان نذكر ما ينتقد به علينا ونبين رأينا فيه اما تسليما واما تفنيدا وقد أرسلت الينا قصيدة من الكويت يزعم ناظمها أنه رد على المنار وما هى الا سب وشتم لا يليق بالمؤمن أن يرد على صاحبها الا بكلمة «سلام...» وكذلك تصدت بعض الجرائد الجديدة فى تونس التي هى أدنى من جرائدنا الاسبوعية للخوض فى موضوعات المنار فلم نر فيها شبهة تستحق الرد وقد نصحت لها أم الجرائد التونسية «الحاضرة الغراء» فقبل النصيحة حسن القصد وكابر كاتب فردت عليه بالنبذة الآتية :

بناء على الاوامر التي وردت اليه فقاتله الاميرال توجو ودار القتال بين الاسطولين فقتل الاميرال ويتهوفت وخلفه الاميرال اوختمسكي وانهزم الاسطول الروسي فرجع قسم منه الى بورت آرثر ولجأت بوارج أخرى الى الموانى المحايدة في كياوشوو وتسنج تاو وشنغاي. وفي ١١ منه جنحت مدمرة روسية على بعد ٢٠ ميلا من واي هاي واي. وفي ١٢ منه ولد الغراندوق الكسيس ولي العهد في روسيا وفيه قبض اليابانيون على المدمرة الروسية ريسهيتاني في ميناء شيفو وأخذوها الى اليابان. وفي ١٣ منه قلد الاميرال روجستفنسكي قيادة أسطول البلطيق. وفي ١٤ منه قاتل الاميرال كميمورا أسطول فلاديفستوك على بعد اربعين ميلا من تسوشيما شمالا بشرق فاغرق الطراد روريك وفيه أطلق اليابانيون المدافع على بورت آرثر. وفي ١٦ حاول الاسطول الروسي الخروج من بورت آرثر ثانية وفيه أرسل اليابانيون مندوبا الى الروس رافعاً الراية البيضاء يدعوهم الى تسليم المدينة واخراج غير المقاتلين حقنا للدماء فأبوا. وفي ١٨ منه حمل اليابانيون حملة جديدة على بورت آرثر وفيه مست المدفعية الروسية أونفاجني لغماً فغرقت بجوار رأس لياوتي شان. وفي ١٩ منه احتج اليابانيون على اقامة الطرادين الروسيين اسكولد وجرزدوفوى في ميناء شنغاي بعد انتهاء الاجل القانوني. وفي ٢٠ منه جنح الطراد الروسي نوفيك الى شاطىء كورسا كوفسك فراراً من الطرادين اليابانيين كيتوزي وتسوشيما. وفي ٢٣ منه مست الدارعة الروسية سفستبول لغماً في بورت آرثر فاصابها تلف وفيه أيضا بدأ كوروكي بالحركات التي انتهت بمعركة لياو ينج. وفي ٢٤ منه أمر القيصر الطرادين أسكولد وجروزوفوى بنزع السلاح في ميناء شنغاي وفي ٢٥ و٢٦ منه استولى كوروكي على كونج شنج انج عنوة وحمل جيش اوكو وندزو على آن شان شار. وفي ٢٧ منه طرد اليابانيون الروس عن ضفة نهر تونج هو اليمنى. وفي ٢٨ منه ارتد الروس الى لياونج بعد ما خسروا كل مواقعهم الامامية

في أول سبتمبر انجلى الروس عن هسن لي تون وشوشان وارتدوا الى النهر وفيه استولى الجنرال كوروكي على سيكوانتون عنوة وفي ٢ و٣ منه استرد الروس سيكوانتون ولكن اليابانيين نزعوها منهم عند المساء وفيه واصل أوكو وندزو الهجوم على لياوينج. وفي ٣ منه رأى كور بتكين ان الجنرال اورلوف أتى هفوة أفسدت خطته وكشفت ميسرته للعدو وخشي الهلاك اذا تمكن اوكو وندزو من كسر ميمنته فامر جيشه بالتقهقر الى يان تاي ومكدن. وفي ٤ منه انجلت ساقة الروس عن لياوينج

المحرر ساقطة وان قلمه لاقبل له على رد سيل العرم الذي ربما يجرفه يوما ما فلا يجد لنفسه وليا ولا نصيرا اذ لا يخفى على صاحب اظهار الحق ان خدمة الامة الاسلامية عموما وخدمة الوطن خصوصا لاتكون الا بالتعاضد والتكاتف لا بالتشاتم والتنافر بين أفرادها وخصوصا حملة اقلامها ثم مالنا وللجرائد الشرقية التي يحررها كتبة أقلامهم من البلاغة بمكان ولها قراء تقدموا بمراحل في ميادين الترقيات الفكرية والعرفان فسمحت لهم معارفهم بولوج بابْ المجادلات الدينية والفلسفية بصورة يقصر دونها فهم الطالب المشار اليه ومن جاء على شاكلته فان لاولئك العلماء والكتاب الشرقيين من المبادىء الراسخة والآراء الثاقبة مالا تزحزحه عوارض طيش التخيل والغرور ومثل التي شاهدناها من أحد متخرجي الجامع الاعظم نراه تارة يطعن بشيوخه وبنظام الجامع مما ننقمه عليه وآونة يزعم انهم مصدر الفضائل وركن البراعة مما سبقناه للاعلان به ولكن لله في خلقه أسرارا » اه كلام الحاضرة الذي يتدفق إخلاصاً وصوابا وعسى أن يفيد المخلصين

آثار علمية أدبية

« كمال العناية ، بتوجيه مافى « ليس كمثله شيء » من الكناية »

وبحث علم النبي بالغيب

مؤلف هذه الرسالة السيد أحمد رافع الطهطاوي أحد علماء الازهر وقد قرظها وبالغ فى الثناء عليها الشيخ حسونه النواوي الحنفى شيخ الازهر الاسبق والسيد علي البيلاوي شيخ الازهر هذا العهد والشيخ عبد الرحمن الشربيني أعلم علماء الشافعية بلا خلاف وغيرهم من أكابر علماء الازهر كالمرحوم الشيخ حسن الطويل والشيخ حمزة فتح الله مفتش العربية فى نظارة المعارف والشيخ محمد بخيت وغيرهم

ولما نشرنا مسألة علم النبي بالغيب فى المسائل الزنجبارية كتب الينا مؤلف هذه الرسالة كتابا يؤيد فيه رأينا ويقول إنه سبق له تفنيد زعم من يقول إن النبيَّ صلى الله عليه وسلم قد اطلع على علم الغيب كلا في رسالته هذه وأهدانا نسخة منها فاذا هو يقول فى أول هذا المبحث ما نصه :

(تنبيه مهم) قد علمت أنه لاصفة لغيره تعالى تماثل صفة من صفاته جل وعلا فليس لغيره علم محيط بجميع المعلومات كما قال تعالى « ولا يحيطون بشيء من علمه الا

﴿ واذا مروا باللغو مروا كراما ﴾

نصحت الحاضرة لرصيفيها الفاضلين صاحبي جريدة الصواب وجريدة اظهار الحق إثر تحريرات شديدة اللهجة نشراها ضد بعضهما فى صحيفتيهما ودعتهما بلسان الصدق في خدمة المصلحة العامة ان يقلعا عن مثل تلك المطاعن سيما وان بعضها المدرج في ثانيتهما به تعريض مذموم بأكبر وأشهر مجلة علمية أدبية إسلامية بالشرق وعني بها جريدة المنار الاغر التي يكتب بها فضيلة مفتي الاسلام مولانا الامام الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية وقلنا لهما برفق ولين ان موضوع مجادلتهما من فصيلة المجلات العلمية لا من علقة الجرائد الاخبارية وعليه فلا ينتج عنها فى نظرنا القاصر بما لدينا من التجربة الصحافية ثمرة مثافنة نحو عشرين سنة الا تضليل بسطاء العقول والتلبيس على أهل النهى بسرد النصوص المتناقضة تارة وبتعقيد عبارة المحررين أخرى فتوفقت جريدة الصواب بسلامة ذوقها لسماع النصيحة وتطاولت خصيمتها عن الاقتداء بصنيعها الممدوح فاستأنفت القول بعبارة أكثر قحة وأبلغ شدة مما كانت نشرته وذلك بقلم محرر غير محرر ما سبق بها نشره أمضى مقالته باسمه (بو بكر العروسي) عرف بنفسه في آخر مقاله بعد تعريض ممقوت بجريدتنا فقال « اما الذين تعلموا نبذة من الكتابة بكثرة مزاولة الجرائد او موضوع مخصوص بصعب عليهم فهم مدارك الكتاب (يقصد المحرر بذلك نفسه لامحالة) الذين أخذوا فهم من قواعد وآداب عظيمة كالمتخرجين من الجامع الاعظم الخ ... »

هذه خلاصة ما كنا كتبناه فى عدد ٨١٢ من جريدتنا وزبدة ما كتبه الشاب المتخرج من الجامع الأعظم في عدد ٢٢ من جريدة اظهار الحق

ونحن لا يجدر بنا ان نجاري هذا الشاب فى تيار أهوائه بل ننصح من جديد لرصيفنا الفاضل مدير اظهار الحق ان ينزه جريدته عن الخوض في تلك المواضيع البعيدة عن خدمة المصلحة العامة وينتبه الى ان مثل هاته التحريرات التي لاتستفيد منها جريدته ولا قراؤها سيما اذا كان محررها صاحب طيش ويرى نفسه من كتاب « الصف الاول فى التحرير » الذين لا يخشون ردود محرري الشرق لانه من أولئك الذين قيل فيهم « ان بني عمك فيهم رماح » كما صرح بذلك

واذا قدر الله على جريدة إظهار الحق بعدم إدراك هاته الحقيقة فان صاحبها لامحالة يسلك بجريدته طريقا عوجاء لايسلم من عاقبتها ويعلم بعد حين ان حجة مثل هـذا

أجنبية وهي أنه يجب لاحد المثلين ماوجب للآخر فلا يلزم من تصور مساواة علم النبي صلى الله عليه وسلم لعلم الله تعالى فى الاحاطة تصورها كما ذكرته في كتابي (الطراز المعلم) وقد عرفوا اللازم البعيد بأنه مالايلزم من تصور ملزومه تصوره والقريب بانه مايلزم من تصور ملزومه تصوره والتحقيق الذي نعتقده أنه صلى الله عليه وسلم لم يفارق الحياة الدنيا حتى أعلمه الله تعالى بالمغيبات التي يمكن البشر علمها وعلمه بها لا كعلم الله كما سترى فلا يجوز القول بأنه مساوله فاعرف ذلك وفي كلام العلامة أبي محمد الامير موافقة لكلام اليوسى حيث قال عند بيان ان علمه تعالى محيط بما هو غير متناه كالاعداد ونعيم الجنان أي فإنه لايتناهى بمعنى أنه لاينقطع أبدا مانصه: وكون العلم بالكمية يقتضي التناهي انما هو فى حق الحوادث لضيق دائرة العلم الحادث وقصر تعلقه واما العلم القديم فتعلقه عام لايتناهى فيتعلق تفصيلا بما لايتناهى » اه

ووراء هذا مباحث طويلة في حقيقة علم الغيب ومفاتح الغيب والخلاف فيما يجوز ان يعلمه غير الله تعالى وأكثرها مبنية على ما اعتاده المتأخرون من التعليل والتأويل والتقييد والتخصيص والاحتمالات مما لا حاجة لأكثره ولا يترتب على الخلاف فيه فائدة أما وعندنا الاصل اليقيني المتفق عليه المنصوص فى كتاب الله تعالى وهو انه لايعلم الغيب إلاالله وأن الله تعالى يظهر من ارتضى من رسول على ماشاء من غيبه ليبلغوا رسالات ربهم ويجوز أن يطلع من شاء على ماشاء ولكن لايجوز لنا ان نتحكم برأينا فنقول إنه أطلع فلانا على مفاتح الغيب أو على علم الساعة ونحو ذلك الا بنص قطعي يخصص نص القرآن القطعي والله أعلم

تأسيس النظر وأصول الكرخي

سبق لنا تقريظ هذا الكتاب ورسالة أصول الكرخي المطبوعة معه في المجلد الخامس وانا ننقل منه الآن ماذكره الدبوسي مؤلف الكتاب فى الفرق بين دار الاسلام ودار الحرب لتوضيح ماتقدم في بحث الحكم بالقوانين الذي سنزيده بيانا بعد قال :

دار الاسلام ودار الحرب

« الأصل عندنا أن الدنيا كلها داران دار الاسلام ودار الحرب وعند الامام الشافعي الدنيا كلها دار واحدة وعلى هذا مسائل — منها — اذا خرج أحد الزوجين الى دار الاسلام مسلماً مهاجراً أو ذمياً وتخلف الآخر في دار الحرب وقعت الفرقة عندنا فيما بينهما وعند الامام أبي عبد الله الشافعي لاتقع الفرقة بنفس الخروج — ومنها —

بما شاء »اي لايعلم أحد كنه شيء من معلوماته تعالى الا ماشاء أن يعلم وقال تعالى لأعلم الخلق «وقل رب زدني علما» وقد ذكر بعضهم أنه ماأمر عليه الصلاة والسلام بطلب الزيادة في شيء الا فى العلم وأخرج الترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه قال كان رسول رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول «اللهم انفعني بما علمتني وعلمني ماينفعني وزدني علما والحمد لله على كل حال» قال العلامة الملوي فى شرحه الكبير على السلم (قلت) وهذا صريح فى الرد على من ادعى أن علم النبي صلى الله عليه وسلم مساو لعلم الله تعالى محيط بكل شيء من كل وجه إحاطة كاحاطة علم الله تعالى وانه ماتوفي حتى أعلمه الله تعالى كل شيء علم إحاطة وقد ألف شيخ شيخنا العلامة اليوسي تأليفا في الرد على من زعم ذلك وتكفيره واستدل على ذلك بادلة عقلية ونقلية كيف وهو مصادم لقوله تعالى «وعنده مفاتح الغيب لايعلمها الاهو» وقوله تعالى «وقل رب زدني علما» وقوله تعالى «ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء» الآية وقوله تعالى «ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم مافي الارحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس باي أرض تموت» وعلى القول بانه تعالى أعلمه صلى الله تعالى عليه وسلم مفاتيح الغيب فليس علم احاطة كعلمه تعالى وهو مصادم أيضا للاجماع

« على ان سر القدر لم يعلمه ولايعلمه نبي مرسل ولاملك ولاغيرهما بل هو من مواقف العقول ويلزم ان يكون علمه صلى الله عليه وسلم مساويا لعلم الله ومماثلا له في الاحاطة والحقيقة فيلزم حدوث علمه تعالى للمماثلة لانه يجب لاحد المثلين ماوجب للآخر بل ويلزم سائر لوازم العلم الحادث من العرضية والافتقار وغيرهما ولايجاب بالاختلاف بالقدم والحدوث لان القدم والحدوث خارجان عن حقيقة العلم والحقيقة لاتختلف بالعوارض واما مع عدم ادعاء المساواة لعلم الله تعالى كأن يقال إن النبي صلى الله عليه وسلم علم علم الاولين والآخرين فلا يمتنع لأن ذلك ليس مستلزما لمساواته لعلم الله تعالي والاحاطة من كل وجه ومن أقوى مايرد على هذا ماورد في الحديث من أنه صلى الله تعالى عليه وسلم يلهم في الآخرة محامد يحمد بها الله عز وجل لم يكن الهمها قبل لكن شيخ شيخنا بالغ في القول بتكفيره والذي يظهر عدم التكفير لأن هذه اللوازم بعيدة لايقول بها هذا القائل ولازم المذهب ليس بمذهب خصوصا اذا كان اللازم بعيداً اه ببعض اختصار وانما كانت هذه اللوازم بعيدة لانها مأخوذة من مقدمة

﴿ أجزاخانة نصوحي ﴾

المستحضرات الطبية على اختلاف انواعها بكل اهتمام ودقة تامة وتجهيزها المستحضرات الخصوصية لصاحبها الحائز على شهادة ديبلوما ووسامات الامتياز من الدولة العثمانية وتصريح مصلحة الصحة العمومية المصرية المحروسة يعلن ماياتي :

غرش صاغ . اسماء الادوية وبيان منافعها

١٢ اكسير نصوحي لتقوية المعدة وفقر الدم ومزيلا للالام التي تحصل وقت الطمث .

١٠ ماء الشباب يمنع الكلف والقشف ويكسب الجسم نعومة ولطافة

٦ قطران بلسمي للامراض الصدرية والسيلان الحاد والمزمن والمثانة والزكام .

٥ دواء للاسنان يمنع التسوس ويسكن الالام بسرعة عجيبة ويقوي اللثة .

٣ قطرة نصوحي تمنع الالتهابات المزمنة والرمد الحبيبي والصديدي وتعيد قوتها الحقيقية

١٢ حبوب نصوحي لتقوية المعدة والاعصاب وتمنع الشلل والروماتزم والرطوبة والصداع والدوخة والوخامة المسببة من فقر الدم .

٥ حبوب صدرية لازالة السعال وخروج البلغم بسهولة من الصدر ترbغيب .

٥ حبوب ملينة تمنع الامساك الذي ينتج منه جميع الامراض المختلفة من غير مغص .

١٠ شراب ود وتنيك فوسفاتية يستعمل لتقوية الاطفال اللنفاويين وفي لين العظام والروماتيزم وينقي الدم ويمنع العقد الخنازيرية ويقوم مقام (زيت الحوت) .

١٠ زيت الحياة للشعر يطول ويطري الشعر ويمنع السقوط وتقصيفه وكذلك يمنع القشرة معاً بزمن قليل بكل اطمئنان .

١٥ كبسول نصوحي للسيلان المزمن والحاد ويزيل الالتهابات التي يحصل في مجرى البول والمثانة في زمن قليل

٥ خلاصة كيناسايله لتقوية المعدة والامعاء وتمنع الحميات الخفيفة والرطوبة من الجسم .

٤ مسحوق الاسنان لاجل جلاء الاسنان ولتقوية اللثة ويمنع الرائحة الكريهة من الفم

٥ مسحوق للشعر يزيل الشعر في مسافة اربع دقائق بغاية السهولة ويظهر ناعما لطيف اللمس من غير خطر .

٣ نشوق صحي ضد الزكام ومزيل النوازل ومنعش للجسم .

٥ دواء نصوحي لوقاية الكوليرا ومنع مكروباتها وتصليح المعدة ومنع البواسير الحديثة والمزمنة ويزيل المغص عموما .

والمستودع العمومي بمصر الكياوي (باجزاخانة نصوحي) بشارع محمد علي بمصر .

اذا أخـذوا أموالنا وأحرزوها بدار الحرب ملكوها عندنا وعنـد الامام الشافعي لايملكونها ــ ومنها ــ اذا اغتنم أهل الحرب أموالنا وأحرزوها بدار الحرب ثم اسلموا عليها وهي فى أيديهم كانت لهم ملكا وعند الامام أبي عبد الله الشافعي لايملكونها وكان عليهم ردها الى أربابها ــ ومنهـا ــ ماقال أصحابنا أن المسلمين اذا استنقذوا من أيدي المشركين ماأخذوا من أموالنا لايأخذها أصحابها الا بالقيمة اذا وجدوها بعد القسمة عندنا وعند الامام الشافعي يأخذونها بغير شيء ــ ومنها ــ أن اهل الحرب لو اخـذوا من اموالنا عبدا ثم دخل اليهم مسلم بامان فاشتراه منهم واخرجه الى دار الاسـلام فإنه لايأخذه صاحبه الا بالثمن وان وهب له منهم يأخذه بالقيمة وعند الامام الشافعي يأخذه بغير شيء ــ ومنها ــ أن الحربي اذا أسلم في دار الحرب ثم خرج الينا وترك ماله ثم ظهر المسلمون على دارهم كان جميع ماله غنيمة عنـدنا لانه وقع بينه وبين ماله مباينة الدارين وعند الامام أبي عبد الله الشافعي لايكون غنيمة ولو أسلم ولم يخرج الينا حتى ظهر المسلمون عليهم كان عقاره غنيمة لنا وعند الامام الشافعي لايكون غنيمة وعلى هذا قال أبو حنيفة رضي الله عنه فى الآبق اليهم انهم لايملكونه بالاخذ لانه لما أبق صار فى يد نفسه في دار الحرب لانهم لايملكون قهره وعارض يد قهر مولاه قهر نفسه وعصيانه وعند صاحبيه ملكوه ــ ومنها ــ ماقال أصحابنا ان دار الحرب تمنع وجوب مايندرئ بالشبهة لان أحكامنا لاتجري فى دارهم وحكم دارهم مخالف لحكم دارنا وعند الامام أبي عبـد الله الشافعي بقعة الحرب لاتمنع وجوب مايندرئ بالشبهة وبيان هذا: حربي أسلم في دار الحرب ثم دخل رجل مسلم دارهم بامان فقتله لاقصاص عليه ولا دية عنـدنا وعند الامام أبي عبد الله الشافعي عليه القصاص وعلى هذا قال أصحابنا لو دخل مسلمان مستأمنان في دار الحرب فقتل أحدهما صاحبه لاقصاص عليه وعند الامام أبي عبد الله الشافعي عليه القصاص وكذلك قال أصحابنا فى أسيرين مسلمين في دار الحرب قتل أحدهما صاحبه لاقصاص على القاتل عندنا وعند الامام الشافعي على القاتل القصاص وعلى هذا قال أصحابنا لو شرب المسلم الخمر اوزنا أوقذف فى دار الحرب لاحد عليه عندنا ويجب عند الامام الشافعي عليه الحد »اه وفيه التصريح بأن أحكامنا لاتجري في دارهم فما بقي على المسلم الذي يرى من المصلحة للاسلام العمل في حكومة الحربي إلا أن يراعي مصلحة المسلمين اذا هو حكم بالقوانين

(الجزء ١٠ و ١١) غرة جمادى الثانية سنة ١٣٢٣ (المجلد الثامن)

المنار

١٣١٥

مجلة علمية أدبية تهذيبية ملية اخبارية

« تصدر فى كل شهر عربي مرتين »

لمنشئها

« السيد محمد رشيد رضا »

عنوانها (مصر — ادارة مجلة المنار) والتلغرافى « المنار بمصر »

قيمة الاشتراك فى مصر خمسون قرشاً أميرياً فى السنة و ٣٥ قرشاً عن نصف سنة
وفى الخارج ١٨ فرنكا وفى الهند عشر روبيات وفى روسيا ٧ روابل

لا تقبل وصولات الاشتراك الا اذا كانت بامضاء منشئ المجلة وختم الادارة

طبع بمطبعة المنار بشارع درب الجماميز بمصر



(قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و«منارا» كمنار الطريق)

(مصر ١٦ جمادى الاولى سنة ١٣٢٣ — ١٩ يوليو (تموز) سنة ١٩٠٥)

تفسير القرآن الحكيم

(مقتبس من الدروس التي كان يلقيها في الأزهر الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده قدس الله روحه)

(٢٢٤:٢٢٥) وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا، وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ *

لما ذكر في الآية السابقة ان للمؤلين من نسائهم حالين الفيئة بالرجوع الى معاشرتهن وعزم الطلاق وامضاءه ناسب ان يذكر بعده شيئا من أحكام الطلاق معطوفا على ما قبله متمما له فقال (والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء) الخ قال الاستاذ الامام قدس الله روحه المراد بالمطلقات الأزواج

فهرس الجزئين العاشر والحادي عشر

والطهر أو عبارة عن الصلة بين هاتين الحالين عبر به قوم من الفقهاء عن أحدهما وقوم عن الآخر ولكل منهم شواهد في اللغة أطال المفسرون فى ايرادها والترجيح بينها فالمالكية والشافعية وآل البيت على ان القرء هو الطهر والحنفية والحنابلة فى أصح الروايتين على أن القرء هو الحيض، وأدلة الاولين أقوى . قال الاستاذ الامام والخطب فى الخلاف سهل لان المقصود من هذا التربص العلم ببراءة الرحم من الحمل من الزوج السابق وهو يحصل بثلاث حيض كما يحصل بثلاثة أطهار ومن النادر أن يستمر الحيض الى آخر الحمل فكل من القولين موافق لحكمة الشرع فى المسألة . وأورد الحكم بلفظ الخبر دون الامر وغيره من ضروب الانشاء كقوله كتب على المطلقات كذا ـ لتأكيده والاهتمام به كأنه يقول ان هذا التربص واقع كذلك لا محالة كما يقول الشيخ عبد القاهر الجرجاني في هذا النوع من الاسناد الخبري في مقام الامر فعند ما يقال المطلقات يلتفت ذهن السامع ويكون متهيئا لسماع ما يقال عنهن فاذا قيل : يتربصن بأنفسهن : الخ وفيه الاسناد والحكم يتقرر عنده أنه مأمور به أمرا مؤكدا كأنه قال إننا أمرناهن بذلك وفرضناه عليهن فامتثلن الامر وجرين عليه بالاستمرار حتى صار شأنا من شؤونهن اللازمة لهن لا ينصرفن عنه بل لا يخطر فى البال مخالفتهن له . وليس فى الامر بصيغته ما يفيد هذا التأكيد والاهتمام لان المأمور بالشيء قد يمتثل وقد يخالف . وهذا الضرب من التعبير معهود فى التنزيل فى مقام التأكيد والاهتمام يقع في الكتاب مواقعه لا يعدوها ولا يخفى ذلك على من طعم البلاغة وذاقها

وفى التعبير بقوله « يتربصن بأنفسهن » من الإبداع فى الاشارة،

اللواتي تحقق فيهن معنى الزوجية وعهدن ان يكن مطلقات وان يتزوجن بعد الطلاق وهن الحرائر ذوات الحيض بقرينة السياق فلا يأتي هنا مايقوله الاصوليون فى المطلقات هل اللام فيها للاستغراق ام للجنس وهل هو عام مخصوص ام لا لان وصل الآية بما قبلها يمنع ذلك كما يمنعه التربص بالزواج ولولا ذلك لكان البحث في موضعه ، أما حكم من لسن كذلك في الطلاق كاليائسة والتي لم تبلغ سن الحيض فمذكور فى سورة الطلاق وهن كأنهن لا يدخلن فى مفهوم المطلقات لأن اليائسة من شأنها أن لا تطلق لان من أمضى زمن الزوجية مع امرأة حتى يئست من المحيض كان من مقتضى الطبع والفطرة ومن أدب الشرع والدين ان يحفظ عهدها ويرعى ودها وان كان بعض السفهاء لا يحترمون تلك العشرة الطويلة ولا يراعون ذلك الميثاق الغليظ فيقدموا على طلاق اليائسة ثم ان اليائسة اذا طلقت فلا تكاد تتزوج ، وما خرج عن مقتضى الشرع واستقامة الطبع فلا يعتد به ، والتي لم تبلغ سن المحيض قلما تكون زوجا ومن عقد على مثلها كانت رغبته فيها عظيمة فيندر ان يتحول فيطلق ، وحاصل ماتقدم ان مايتبادر فى هـذا المقام من لفظ المطلقات يفيد انهن الزوجات المعهودات المستعدات للحمل والنسل الذي هو المقصد من الزوجية فينتظر ان يرغب الناس فى التزوج بهن

ومعنى التربص مدة ثلاثة قروء هو أن لا تتزوج المطلقة حتى يمر عليها ثلاثة قروء وهي جمع قرء بضم القاف وفتحها ويطلق فى اللغـة على حيض المرأة وعلى طهرها منه والاصل فيه الانتقال من الطهر الى الحيض كما نقل عن الشافعي فى قول له ولذلك لا يقال للطاهر التي لم تر الدم ذات قرء اوقروء ولا للحائض التي استمر لها الدم فلما كان القرء وسطا بين الدم

والزيادة بأضعاف كثيرة حددها وعددها وهذا من نبذ الأقوال بغير بينة ولا علم فان الرجال كانوا ومازالوا هم الذين يطلبون النساء ويرغبون فيهن ثم يظلمونهن حتى بالتحكم فى طبائعهن والحكم على شعورهن ويأخذ بعضهم ذلك من بعض بالتسليم والتقليد

ثم بين تعالى حكمة هذا التربص بالزواج فى سياق حكم آخر فقال (ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله فى أرحامهن) كما كن يفعلن أحيانا فى الجاهلية اذ كانت المرأة تتزوج بعد فراق رجل بآخر ويظهر لها أنها حبلى من الاول ولكنها تلحق الولد بالثاني فهذا محرم فى الاسلام لانه شر ضروب الغش والزور والبهتان ينفي عن قوم من هو منهم ويلحق بآخرين من ليس منهم وفى ذلك من المضار مالا يجهل وقد حرمه الله في الاسلام وأمر بأن تعتد المرأة بعد فراق زوجها ليظهر انها بريئة من الحمل ونهى ان تكتم الحمل اذا علمت به واختار كثير من المفسرين أن ما خلق الله فى أرحامهن يشمل الولد والحيض وهو المروي عن ابن عمر فقد تكتم المرأة حيضتها لتطيل أجل عدتها وذلك محرم وقد فشا فى مسلمات هذا الزمان اللواتي لا يطمعن فى الزواج لأن الحكام يفرضون لهن نفقة مادمن فى العدة فيرغبن فى استدامة هذه النفقة بكتمان الحيض وادعاء عدم مرور القروء الثلاثة عليهن وما يأخذنه بعد انقضاء المدة حرام وما هن ممن يتفكر في ذلك اذ لا علم لهن باحكام الحلال والحرام ولا يبالين ما عساهن يعرفنه منها لأنهن لم يتربين على آداب الدين وأعماله بل لم يلقن عقائده ولم يذكرن بآياته حتى صار أكثرهن أقرب الى أهل الاباحة منهن الى أهل الدين وانما يجتنب الحرام ويتحرى الوقوف عند حدود الحلال أهل الايمان الصحيح ولذلك قال تعالى عقب النهي

والنزاهة فى العبارة ، ماعهد مثله فى القرآن ، ولم يبلغ مراعاة مثله انسان ، فالكلام في المطلقات وهن معرضات للزواج ، وخلو من الازواج ، والأنسب فيه ترك التصريح بما يتشوفن اليه ، والاكتفاء بالكناية عما يرغبن فيه ، على إقرارهن عليه ، وعدم ايئاسهن منه ، مع اجتناب إخجالهن ،وتوقي تنفيرهن أوالتنفير منهن ، وقد جمع هذه المعاني قوله تعالى «يتربصن بأنفسهن» على مافيه من الايجاز، الذي هو من مواقع الاعجاز ، فأفاد انه يجب عليهن أن يملكن رغبتهن ، ويكففن جماح أنفسهن ، الى تمام المدة الممدودة ، والعدة المعدودة ، ولكن بطريق اللزوم والتلويح ، لا بطريق الإبانة والتصريح ، فان التربص فى حقيقته وظاهر معناه التريث والانتظار وهو يتعلق بشيء يتريث عنه ، وينتظر زوال المدة المضروبة دونه ، ولولا كلمة « بأنفسهن » لما أفادت الجملة تلك المعاني الدقيقة ، والكنايات الرشيقة ، وما كان ليخطر على بال إنسان يريد إفادة حكم المدة ان يزيد هذه الكلمة على قوله : يتربصن ثلاثة قروء : ولو لم تزد لكان الحكم عاريا عن تأديب النفس والحكم على شعورها ووجدانها ، وامل الارشاد إلى ماتنطوي عليه نفوس النساء من تلك النزعة فى ضمن الاخبار عنهن بأن من شأنهن امتلاكها والتربص بها اختيارا هو أشد فعلا فى أنفسهن وأقوى إلزاما لهن بأن يكن كذلك طائعات مختارات كما ن فيه إكراما لهن ولطفا بهن إذ لم يؤمرن به أمرا صريحا، وهذا من الدقائق التي نحمد الله تعالى أن هدانا الى فهمها ، فأنى لأمثالنا من البشر أن يأتوا بمثلها ، وزعم بعض الناس ان معنى التربص بالانفس هنا ضبطها ومنعها ان تقع فى غمرة الشهوة المحرمة وعللوا ذلك بأن النساء أشد شهوة من الرجال ومنهم من قدر هذه الشدة

الالفة بينهما على علاتهما . واذا كانا قد رزقا الولد فان الندم على الطلاق يسرع اليهما لان الحرص الطبيعي على العناية بتربية الولد وكفالته بالاشتراك تغلب بعد زوال أثر المغاضبة العارضة على النفس لاسيما اذا كان الاولاد إناثا لهذا حكم الله تعالى لطفا منه بعباده بأن بعل المطلقة أي زوجها أحق بردها فى ذلك أي فى زمن التربص وهي العدة . وفي هـذا بيان حكمة أخرى للعدة غير تبيين براءة الرحم وهي إمكان المراجعة فعلم بذلك ان تربص المطلقات بأنفسهن فيه فائدة لهن وفائدة لازواجهن . وانما يكون بعل المرأة أحق بها فى مدة العدة اذا قصد اصلاح ذات البين وحسن المعاشرة وأما اذا قصد مضارتها ومنعها من التزوج بعد العدة حتى تكون كالمعلقة لا يعاشرها معاشرة الازواج بالحسنى ولا يمكنها من التزوج فهو آثم بينه وبين الله تعالى بهذه المراجعة فلا يباح للرجل ان يرد مطلقته الى عصمته الا بارادة إصلاح ذات البين ونية المعاشرة بالمعروف . وإنما قال الامام انه آثم بينه وبين الله تعالى لافادة ان ذلك محرم لامر خفي يتعلق بالقصد فلم يكن شرطا فى الظاهر لصحة الرجعة وما كل ما صح فى نظر القاضي يكون جائزا تدينا بين الانسان وربه لان القاضي يحكم بالظاهر والله يتولى السرائر . والطلاق الذي تحل فيه الرجعة قبل انقضاء العدة يسمى طلاقا رجعيا وهناك طلاق بائن لا تحل مراجعة المطلقة به وسيأتي ذكره فى محله . ومن مباحث اللفظ أن كلمة أحق هنا بمعنى حقيقين كما قالوا .

ولما كانت إرادة الاصلاح برد الرجل امرأته الى عصمته انما تتحقق بأن يقوم بحقوقها كما يلزمها بأن تقوم بحقوقه اذا هي قصرت ذكر جل شأنه حق كل منهما على الآخر بعبارة مجملة تعد ركنا من أركان الاصلاح في

(ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر) وهذا وعيد شديد وتهديد عظيم كأنه يقول اذا كن يعرفن من انفسهن الايمان بالله الذي أنزل الحلال والحرام لمصلحة الناس، وباليوم الآخر الذي يكون فيه الجزاء بالقسطاس ، فلا يكتمن ماخلق الله فى أرحامهن والا كن غير مؤمنات بما أنزله الله تعالى من هذه الاحكام التي هي خير لهن ولأزواجهن ، وحافظة لحقوقهم وحقوقهن ، اذ التصديق الجازم بأن الله تعالى انزل هذا الحكم وجعل فى اتباعه المثوبة والرضوان ، وفى تركه الشقاء والخسران ، يكون سببا طبيعيا لامتثاله ، مع اعظامه واجلاله ، وعلى هذا الحد ماورد فى الحديث الصحيح « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن » الخ فمن لنا بمن يبلغ النساء المؤمنات هذا التشديد ومن لنا بمن يهتم بتلقين البنات عقائد الايمان ، وتربيتهن على الاعمال التي تمكن هذه العقائد فى العقل والوجدان ، ؟ أي الرجال يفعل هذا والرجال أنفسهم لم يعد لهم همٌّ فى الدين الا قليلا منهم ، وهؤلاء يرون النساء متاعا لأناسي مثلهم ، فيدعونهن وشأنهن ، لا يتفكرون في أسباب مايلقون من عواقب إهمالهن ،

(وبعولتهن أحق بردهن في ذلك ان أرادوا إصلاحا) قال الاستاذ الامام قدس الله روحه هذا لطف كبير من الله سبحانه وتعالى وحرص من الشارع على بقاء العصمة الاولى فان المرأة اذا طلقت لأمر من الامور سواء كان بالإيلاء أو غيره فقلما يرغب فيها الرجال وأما بعلها المطلق فقد يندم على طلاقها ويرى ان ماطلقها لاجله لا يقتضي مفارقتها دائما فيرغب فى مراجعتها لاسيما اذا كانت العشرة السابقة بينهما جرت على طريقتها الفطرية فأفضى كل منهما الى الآخر بسره حتى عرف عجره وبجره وتمكنت

لم يرفعهن اليها دين سابق ولا شريعة من الشرائع بل لم تصل اليها أمة من الامم قبل الاسلام ولا بعده . وهذه الأمم الاوربية التي كان من تقدمها في الحضارة والمدنية أن بالغت في تكريم النساء واحترامهن وعنيت بتربيتهن وتعليمهن العلوم والفنون لا تزال دون هذه الدرجة التي رفع الاسلام النساء اليها ولا تزال قوانين بعضها تمنع المرأة من حق التصرف في مالها بدون اذن زوجها وغير ذلك من الحقوق التي منحتها اياها الشريعة الاسلامية من نحو ثلاثة عشر قرنا ونصف وقد كان النساء في أوربا منذ خمسين سنة بمنزلة الارقاء في كل شيء كما كن في عهد الجاهلية عند العرب اوأسوأ حالا ونحن لا نقول ان الدين المسيحي أمرهم بذلك لاننا نعتقد ان تعليم المسيح لم يخلص اليهم كاملا سالما من الاضافات والبدع ومن المعروف ان ما كانوا عليه من الدين لم يرق المرأة وانما كان ارتقاؤها من أثر المدنية الجديدة في القرن الماضي

وقد صار هؤلاء الافرنج الذين قصرت مدنيتهم عن شريعتنا في إعلاء شأن النساء يفخرون علينا بل يرموننا بالهمجية في معاملة النساء ويزعم الجاهلون منهم بالاسلام أن ما نحن عليه هو أثر ديننا . ذكر الاستاذ الامام في الدرس أن أحد السائحين من الافرنج زاره في الازهر وبيناهما ماران في المسجد رأى الافرنجي بنتا مارة فيه فبهت وقال ما هذا ؟ انثى تدخل الجامع!!! فقال له الامام وماوجه الغرابة في ذلك قال اننا نعتقد ان الاسلام قرر أن النساء ليس لهن أرواح وليس عليهن عبادة : فبين له غلطه وفسر له الآيات فيهن ... قال فانظروا كيف صرنا حجة على ديننا والى جهل هؤلاء الناس بالاسلام حتى مثل هذا الرجل الذي هو رئيس لجمعية كبيرة فما بالكم بعامتهم

اذا كان الله قد جعل للنساء على الرجال مثل مالهم عليهن الا ما ميزهم

البشر وهي قوله تعالى

(ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة)

هذه كلمة جليلة جدا جمعت على إيجازها مالا يؤدى بالتفصيل الا فى سفر كبير فهي قاعدة كلية ناطقة بأن المرأة مساوية للرجل فى جميع الحقوق الا أمرا واحدا عبر عنه بقوله (وللرجال عليهن درجة) وهذه الدرجة مفسرة بقوله تعالى « الرجال قوامون على النساء » الآية وقد أحال فى معرفة مالهن وما عليهن على المعروف بين الناس فى معاشراتهم ومعاملاتهم فى أهليهم وما يجري عليه عرف الناس هو تابع لشرائعهم وعقائدهم وآدابهم وعاداتهم فهذه الجملة تعطي الرجل ميزانا يزن به معاملته لزوجه فى جميع الشؤون والاحوال فاذا هم بمطالبتها بأمر من الامور يتذكر انه يجب عليه مثله بازائه ولهذا قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما إني لأتزين لامرأتي كما تتزين لي لهذه الآية . وليس المراد بالمثل المثل بأعيان الاشياء وأشخاصها وانما المراد أن الحقوق بينهما متبادلة وانهما أكفاء فما من عمل تعمله المرأة للرجل الا وللرجل عمل يقابله لها ان لم يكن مثله فى شخصه فهو مثله فى جنسه فهما متماثلان في الحقوق والأعمال كما انهما متماثلان في الذات والاحساس والشعور والعقل أي ان كلا منهما بشر تام له عقل يتفكر في مصالحه وقلب يحب مايلائمه ويسر به ويكره مالا يلائمه وينفر منه فليس من العدل أن يتحكم أحد الصنفين بالآخر ويتخذه عبدا يستذله ويستخدمه فى مصالحه لا سيما بعد عقد الزوجية والدخول فى الحياة المشتركة التي لا تكون سعيدة الا باحترام كل من الزوجين الآخر والقيام بحقوقه

قال الاستاذ الامام قدس الله روحه هذه الدرجة التي رفع النساء اليها

ولكن ما يطلب منها لنظام بيتها وتربية أولادها ونحو ذلك من أمور الدنيا كاحكام المعاملات ـ ان كانت في بيت غنى ونعمة ـ يختلف باختلاف الزمان والمكان والاحوال ، كما يختلف بحسب ذلك الواجب على الرجال ، ألا ترى الفقهاء يوجبون على الرجل النفقة والسكنى والخدمة اللائقة بحال المرأة ، ألا ترى ان فروض الكفايات قد اتسعت دائرتها فبعد أن كان اتخاذ السيوف والرماح والقسي كافيا فى الدفاع عن الحوزة صار هذا الدفاع متوقفا على المدافع والبنادق والبوارج وعلى علوم كثيرة صارت واجبة اليوم ولم تكن واجبة ولا موجودة بالأمس ، ؟ ألم تر أن تمريض المرضى ومداواة الجرحى كان يسيرا على النساء فى عصر النبي صلى الله عليه وسلم وعصر الخلفاء رضي الله تعالى عنهم وقد صار الآن متوقفا على تعلم فنون متعددة وتربية خاصة ، أي الامرين أفضل فى نظر الاسلام ، أتمريض المرأة لزوجها اذا هو مرض ، أم اتخاذ ممرضة أجنبية تطلع على عورته وتكتشف مخبآت بيته ؟ وهل يتيسر للمرأة أن تمرض زوجها أو ولدها اذا كانت جاهلة بقانون الصحة وبأسماء الادوية ؟ نعم قد تيسر لكثيرات قتل مرضاهن بزيادة مقادير الادوية السامة أو بجعل دواء مكان آخر

روى ابن المنذر والحاكم وصححه وغيرهما عن عليّ كرم الله تعالى وجهه انه قال فى تفسير قوله تعالى « ياأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا » : علموا أنفسكم وأهليكم الخير وأدبوهم : والمراد بالاهل النساء والاولاد ذكورا وإناثا وزاد بعضهم هنا العبد والامة والاهل فى أصل اللغة القرابة . واذا كان الرجل يقي نفسه وأهله نار الآخرة بتعليمهم وتأديبهم فهو كذلك يقيهم بذلك نار الدنيا وهي المعيشة المنغصة بالشقاء وعدم النظام

به من الرياسة فالواجب على الرجال بمقتضى كفالة الرياسة ان يعلموهن ماءيمكنهن من القيام بما يجب عليهن ويجعل لهن فى النفوس احتراما يعين على القيام بحقوقهن ويسهل طريقه فان الانسان بحكم الطبع يحترم من يراه مؤدبا عالما بما يجب عليه عاملا به ولا يسهل عليه ان يمتهنه أو يهينه واذا بدرت منه بادرة فى حقه رجع على نفسه باللائمة فكان ذلك زاجرا له عن مثلها .

كلف الله تعالى النساء بالايمان والمعرفة والأعمال الصالحة في العبادات والمعاملات كما كلف الرجال وجعل لهن عليهم مثل ماجعله لهم عليهن وقرن أسماءهن باسمائهم فى آيات كثيرة وبايع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم المؤمنات كما بايع المؤمنين وأمرهن بتعلم الكتاب والحكمة كما أمرهم واجمعت الامة على مامضى به الكتاب والسنة من انهن مجزيات على أعمالهن فى الدنيا والآخرة ، أفيجوز بعد هذا كله ان يحرمن العلم بما عليهن من الواجبات والحقوق لربهن ولبعولتهن ولأولادهن ولذي القربى وللامة والملة ؛ العلم الاجمالي بما يطلب فعله شرط فى توجه النفس اليه اذ يستحيل ان تتوجه الى المجهول المطلق ، والعلم التفصيلي به المبين لفائدة فعله ومضرة تركه يعد سببا للعناية بفعله والتوقي من اهماله فكيف يمكن للنساء ان يؤدين تلك الواجبات والحقوق مع الجهل بها إجمالا وتفصيلا ؟ وكيف تسعد فى الدنيا أو الآخرة أمة نصفها كالبهائم لايؤدي مايجب عليه لربه ولا لنفسه ولا للناس والنصف الآخر قريب من ذلك لأنه لايؤدي الا قليلا مما يجب عليه من ذلك ويترك الباقي ومنه إعانة ذلك النصف الضعيف على القيام بما يجب عليه أو إلزامه به بما له عليه من السلطة والرياسة

ان ما يجب ان تعلمه المرأة من عقائد دينها وآدابه وعباداته محدود

منهما للآخر في عمله أحيانا اذا كانت هناك ضرورة وانما ذلك هو الاصل والتقسيم الفطري الذي تقوم به مصلحة الناس وهم لا يستغنون فى ذلك ولا فى غيره عن التعاون «لا يكلف الله نفسا الا وسعها - وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان واتقوا الله» وما قاله الشيخ تقي الدين وما بينه به فى الانصاف من الرجوع الى العرف لا يعدو مافى الآية قيد شعرة . واذا أردت أن تعرف مسافة البعد بين ما يعمل أكثر المسلمين وما يعتقدون من شريعتهم فانظر فى معاملتهم لنسائهم تجدهم يظلمونهن بقدر الاستطاعة لا يصد أحدهم عن ظلم امرأته الا العجز ويحملونهن مالا يحملنه الا بالتكلف والجهد ويكثرون الشكوى من تقصيرهن ولئن سألتهم عن اعتقادهم فيما يجب لهم عليهن ليقولنّ كما يقول أكثر فقهائهم انه لا يجب لنا عليهن خدمة ولا طبخ ولا غسل ولا كنس ولا فرش ولا ارضاع طفل ولا تربية ولد ولا إشراف على الخدم الذين نستأجرهم لذلك، إن يجب عليهن الا المكث فى البيت والتمكين من الاستمتاع . وهذان الامران عدميان أي عدم الخروج من المنزل بغير اذن وعدم المعارضة بالاستمتاع فالمعنى انه لا يجب عليهن للرجال عمل قط بل ولا للاولاد مع وجود آبائهم

أما قوله تعالى (وللرجال عليهن درجة) فهو يوجب على المرأة شيئا وعلى الرجل أشياء . ذلك ان هذه الدرجة هي درجة الرياسة والقيام على المصالح المفسرة بقوله تعالى « الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم » فالحياة الزوجية حياة اجتماعية ولا بد لكل اجتماع من رئيس لان المجتمعين لا بد أن تختلف آراؤهم ورغباتهم

والآية تدل على اعتبار العرف فى حقوق كل من الزوجين على الآخر مالم يحلّ العرف حراما أو يحرم حلالا مما عرف بالنص والعرف يختلف باختلاف الناس والازمنة ولكن أكثر فقهاء المذاهب المعروفة يقولون ان حق الرجل على المرأة أن لا تمنعه من نفسها بغير عذر شرعي وحقها عليه النفقة والسكنى الخ وقالوا لا يلزمها عجن ولا خبز ولا طبخ ولا غير ذلك من مصالح بيته أو ماله وملكه . والاقرب الى هداية الآية ماقاله بعض المحدثين والحنابلة . قال فى حاشية المقنع بعد ذكر القول بأنه لايجب عليها ماذكر : « وقال أبو بكر بن أبي شيبة والجوزجاني عليها ذلك واحتجا بقضية علي وفاطمة رضي الله عنهما فان النبي صلى الله عليه وسلم قضى على ابنته بخدمة البيت وعلى علي ما كان خارجا من البيت من عمل رواه الجوزجاني من طرق قال وقد قال عليه السلام « لو كنت آمرا أحدا ان يسجد لاحد لامرت المرأة أن تسجد لزوجها ولو أن رجلا أمر امرأته أن تنتقل من جبل أسود الى جبل أحمر أو من جبل أحمر الى جبل أسود لكان نولها (أي حقها) أن تفعل ذلك» ورواه باسناده قال فهذا طاعة فيما لا منفعة فيه فكيف بمؤنة معاشه . وقال الشيخ تقي الدين يجب عليها المعروف من مثلها لمثله قال فى الانصاف والصواب أن يرجع فى ذلك الى عرف البلد » : اه

وماقضى به النبي صلى الله عليه وسلم بين بنته وربيبه وصهره (عليهما السلام) هو ما تقضي به فطرة الله تعالى وهو توزيع الاعمال بين الزوجين على المرأة تدبير المنزل والقيام بالاعمال فيه وعلى الرجل السعي والكسب خارجه . وهذا هو المماثلة بين الزوجين فى الجملة وهو لاينافي استعانة كل منهما بالخدم والاجراء عند الحاجة الى ذلك مع القدرة عليه ولا مساعدة كل

مصاب الاسلام • بموت الاستاذ الامام

مات الاستاذ الامام ولو كان كبر النفوس وطهارة الارواح وعلو الهمم مما يحول دون الموت لما مات أبدا ولكن كل حي يموت إلا الحي القيوم «إنا لله وانا إليه راجعون»

مات الاستاذ الامام فمات ذلك العلم الواسع، والحكمة البالغة، والحجة الناطقة، والمعارف الكونية والالهية، والعلوم الكسبية واللدنية، مع البيان الساحر، والأدب الباهر، والبلاغة التي تمتلك العقول والقلوب، والفصاحة التي تستهوي الاسماع والنفوس،

مات الاستاذ الامام فماتت تلك الاخلاق القدسية، والشمائل المحمدية، والصدق في القول والفعل، والاخلاص في السر والجهر، والوفاء في القرب والبعد، والسخاء في العسر واليسر، والعفة في الشباب والكهولة، والحلم عند الغيظ والمغاضبة، والعفو مع القدرة على المؤاخذة، والتواضع وخفض الجناح للمخلصين، والشهامة والترفع على المنافقين والمستكبرين، واللين للحق وأهله، والشدة على الباطل وجنده، والشجاعة التي تهابها الأمراء والعظماء، والقناعة التي رفعت رأسه فوق الرؤساء

مات الاستاذ الامام فماتت تلك الاعمال النافعة، والمشروعات الرافعة، والمساعي الجديدة، والوسائل المفيدة، والاجتهاد في ترقية الأمة، والدفاع عن الملة، والدعوة إلى التوحيد والتأليف، والاشتغال بأفضل التعليم والتأديب، والتربية الصحيحة للمريدين، والجمع بين علوم الدنيا والدين، ومواساة البائسين والمعوزين، وكفالة أولاد الفقراء والمساكين،

مات الاستاذ الامام فماتت تلك الآمال البعيدة، والمقاصد الحميدة،

في بعض الامور ولا تقوم مصلحتهم الا اذا كان لهم رئيس يرجع الى رأيه في الخلاف لئلا يعمل كل على ضد الآخر فتنفصم عروة الوحدة الجامعة ويختل النظام . والرجل أحق بالرياسة لأنه أقدر على التنفيذ بقوته وماله ومن ثم كان هو المطالب شرعا بحماية المرأة والنفقة عليها وكانت هي مطالبة بطاعته في المعروف فان نشزت عن طاعته كان له تأديبها بالوعظ والهجر والضرب غير المبرح ان تعين تأديبا، يجوز ذلك لرئيس البيت لأجل مصلحة العشيرة وحسن العشرة كما يجوز مثله لرئيس الأمة (الخليفة أو السلطان) لأجل مصلحة الجماعة. وأما الاعتداء على النساء لأجل التحكم أو التشفي أو شفاء الغيظ فهو من الظلم الذي لا يجوز بحال وكل راع مسؤول عن رعيته . وسيأتي تفصيل لهذه السلطة في سورة النساء ان شاء الله تعالى

وختم الآية بقوله عز وجل (والله عزيز حكيم) قال الاستاذ الامام ان لذكر العزة والحكمة هنا وجهين أحدهما إعطاء المرأة من الحقوق على الرجل مثل ماله عليها بعد ان كانت مهضومة الحقوق عند العرب وجميع الأمم والثاني جعل الرجل رئيسا عليها فكأن من لم يرض بهذه الاحكام الحكيمة يكون منازعا الله تعالى في عزة سلطانه، ومنكرا لحكمته في أحكامه ، فهي تتضمن الوعيد على المخالفة كما عهدنا من سنة القرآن

عن الوجود ، قبل ان يقضي لبانته من البر والجود ،

مرض هذا المصلح العظيم فاضطربت الامة المصرية لمرضه فكانت الدار التي يمرّض فيها كعبة العائدين من العلماء والامراء والوزراء والادباء والفضلاء والفقراء والأغنياء وكان البرق يناجيها كل يوم مع البريد ، بالنيابة عن العاجز والبعيد ، سائلين عن صحته ، أو مهنئين بما يقال عن راحته ، فكان يحمد الله ان جعل الدهماء من أمته يعرفون لخادمها خدمته ، ويشكرون للعامل لها عمله ، ويقول لئن شفيت لاجهدن النفس في خدمتهم اجمعين ، حتى أكون حرضا أو أكون من الهالكين ،

مرض الاستاذ الامام ، فلم يعقه المرض عن خدمة المسلمين والاسلام ، واحتضر الاستاذ الامام ، وهو يفكر فى مصلحة المسلمين والاسلام ، ومات الأستاذ الامام ، وهو يلتهب غيرة على المسلمين والاسلام ،

نقول مات الاستاذ الامام فنبدىء القول ونعيده ننصر الحس ، ونكابر النفس ، فقد كادت تحسب ان موته رؤيا منام ، وأضغاث أحلام ، وماهو الا الحق اليقين ، ومصير الاولين والآخرين ، « وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون * كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون * » مات استاذنا وإمامنا ولك اللهم البقاء فلا تفتنا بعده ، ولا تحرمنا أجره ، واغفر اللهم لنا وله ،

نعم إنه قد مات ولكن لم تمت علومه ومعارفه ، ومآثره وعوارفه ، فلقد ربى أرواحا ، واصلح إصلاحا ، وألف كتبا ، وترك علماء وأدبا ، وأمات سننا سيئة له أجر إماتتها ، وأحيا سننا حسنة له أجرها وأجر من يعمل بها ، وعلمنا كيف نفهم القرآن ، ونقيم شرائع الاسلام ، مع توخي نفع

التي كانت مطوية في ذلك الجرم الصغير ، الذى انطوى فيه العالم الكبير ، ملك الآمال التي تتضاءل دونها هِمم الملوك والأمراء ، وتتصاغر أمامها نفوس الزعماء والأغنياء ، الذين هم عن استعمال مواهبهم مصروفون ، وعن الثقة بربهم محجوبون ، وعن سنته في خلقه غافلون ،

مات الاستاذ الامام فراع موته الناس ، من جميع الطوائف والاجناس ، فعلم علماء الدين ، أنهم فقدوا ركنهم الركين ، الذي يحمل عنهم رد الشبهات ، وغير ذلك من فروض الكفايات ، وعلماء الدنيا ، أنهم خسروا ركنهم الاقوى ، الذى يدفع عنهم مطاعن المتعصبين ، وتكفير الجامدين ، ويثبت ان الاسلام جمع بين المصلحتين ، ولا يتم ذلك الا بالجمع بين العلمين ، وشعر طلاب الاصلاح بأنهم فقدوا إمامهم العظيم ، الذى كملت فيه صفات الزعيم ، وأحس الفقراء والمساكين ، بأنهم رزءوا بكافل اليتامى وغوث العاجزين ، ولم يجهل القائمون بالشؤون العامة ، شدة وقع هذه الطامة ، وانهم نكبوا بصاحب الرأي الثاقب ، والعمل النافع ، مربي الرأي العام في الشورى والجمعية العموميه ، صاحب اليد البيضاء في الاوقاف الاسلامية ، المضطلع باصلاح الأزهر والمحاكم الشرعية ، الناهض بأعباء الجمعية الخيرية ، الموفق بين الحكومة والرعية ، واعترف أهل الملل بأن مصابه مصاب الانسانية ، والخسارة الكبرى على العلم والمدنية ،

مرض هذا البر الرحيم فكان على فراش الموت يسأل عن بعض الضعفاء ، ويبحث عن مساكن القواعد من النساء ، ليواسيهم بالبر ، من وراء الستر ، وقال لي ان فلانا الغريب قد انقطع عن السفر بدين عليه ، واني مستغن الآن عن مئة جنيه فان كانت كافية ارسلتها اليه ، ولكنه غاب

مثله لغيره حتى كان يخيل للمشيع انه لم يبق أحد من سكان الاسكندرية ولا من سكان القاهرة الا وقد حضر ليودع هذا الامام الوداع الاخير وقد صلي عليه في الجامع الأزهر ودفن في قرافة المجاورين تغمده الله برحمته ورضوانه ، وأسكنه فسيح جنانه

ولما كان المنار هو الداعي الى الانتفاع بهذا الامام المصلح في حياته ، فجدير به ان يرشد الى الاستفادة بسيرته بعد مماته ، فلا نطيل في الرثاء والتأبين وان كان بالحق ، ولكننا نقص على القراء ملخص سيرته مع التزام الصدق ، ليظهر لهم كيف تعلم وتربي حتى صار إماما حكيما ، وماذا عمل حتى صار مصلحا عظيما ، وسنضع له تاريخا مطولا نفصل فيه ما أجملنا ، ونشرح فيه ما لخصنا ، ونودعه كثيرا من رسائله ومكاتباته ، وخطبه ومقالاته ، وما كتب به اليه بعض العلماء والعظماء ، وماقاله فيه نوابغ الكتاب والشعراء ، وما ابنته به الجرائد ، ومارثي به من غرر القصائد ، ونسأل الله تعالى ان يحسن عزاءنا وعزاء الامة فيه ، ويوفقنا في مصابنا لما يحبه سبحانه ويرضيه ،

ملخص سيرة الاستاذ الامام

(اصله ونسبه ومولده)

هو محمد بن عبده بن حسن خير الله من مديرية البحيرة في القطر المصري . وبيت خير الله تركماني الأصل كما اخبرنا الفقيد رحمه الله تعالى ولا أذكر عنه شيئا من تاريخ قدوم عشيرتهم إلى القطر المصري الا أنهم كانوا يقيمون في الخيام وان علي باشا مبارك أخبره ان عبد اللطيف البغدادي المؤرخ الشهير ذكر في الرحلة الكبرى انه جاء (محلة نصر) ونزل ضيفا في بيت التركماني . وأمه من عشيرة كبيرة في مديرية الغربية تعرف بعائلة عثمان وتنسب -

الناس أجمعين ، والاخلاص لله رب العالمين ،

مات أستاذنا وإمامنا فكبر علينا موته ولكنه ربانا على الصبر وعلمنا كيف نتعزى عنه حتى في مرض موته ، فقد كان هجيراه في تلك الكربات والسكرات ، كلمة الله التي أمرنا بتكرارها في الصلوات . (الله أكبر) فلئن كان بفضل الله كبيرا فينا فالله أكبر ، ولئن كان مرضه وموته كبيرا علينا فالله أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم

لبى دعوة ربه برمل الاسكندرية فى الساعة الخامسة بعد الزوال من يوم الثلاثاء ثامن جمادى الاولى فنعاه البرق بآلاته الناطقة والكاتبة الى العاصمة وغيرها من مدن القطر فاضطربت لنعيه القلوب وذرفت العيون واسترجعت الألسنة وحوقلت وطفق الناس يعزي بعضهم بعضا متفقين على ان المصاب به عام ، وأشد وقعه على المسلمين والاسلام ، وما كنت تسمع من القريب والغريب ، والبغيض والحبيب ، والوطني والاجنبي ، والرشيد والغوي ، والعالم والجاهل ، والمفضول والفاضل ، إلا كلمة « خسارة لاتعوض » أو كلمة « عوض الله الأمة به خيرا » أو قول الشاعر

وما كان قيس هلكه هلك واحد ولكنه بنيان قوم تهدما

أو قول الآخر .

ولكن الرزية فقد حر يموت لموته خلق كثير

وقد اجتمع مجلس النظار فقرر ان تحتفل الحكومة رسميا بتشييع جنازته فى الاسكندرية ومصر وان تنقل جثته على قطار خاص الى العاصمة ففعلت وشاركتها الأمة ونزلاؤها والمحتلون بهذا التشييع الذي لم يسبق

كتب هو عن مبدإ تعلمه وتأدبه مانصه : « تعلمت القراءة والكتابة فى منزل والدي ثم انتقلت الى دار حافظ قرآن قرأت عليه وحدي جميع القرآن أول مرة ثم أعدت القراءة حتى أتممت حفظه جميعه في مدة سنتين ادركني فى ثانيتهما صبيان من أهل القرية جاءوا من مكتب آخر ليقرؤا القرآن عند هذا الحافظ ظنا منهم ان نجاحي فى حفظ القرآن كان من أثر اهتمام الحافظ . بعد ذلك حملني والدي الى طنطا حيث كان أخي لأمي الشيخ مجاهد رحمه الله لأجوّد القرآن فى المسجد الاحمدي لشهرة قرائه بفنون التجويد وكان ذلك فى سنة ١٢٧٩ هجرية

« ثم فى سنة احدى وثمانين جلست فى دروس العلم وبدأت بتلقي شرح الكفراوي على الأجرومية فى المسجد الاحمدي بطنطا وقضيت سنة ونصفا لا أفهم شيئا لرداءة طريقة التعليم فان المدرسين كانوا يفاجئوننا باصطلاحات نحوية أو فقهية لا نفهمها ولا عناية لهم بتفهيم معانيها لمن لم يعرفها فأدركني اليأس من النجاح وهربت من الدرس واختفيت عند اخوالي مدة ثلاثة أشهر ثم عثر عليّ أخي فأخذني الى المسجد الاحمدي وأراد اكراهي على طلب العلم فأبيت وقلت له : قد أيقنت ان لا نجاح لي في طلب العلم ولم يبق عليّ الا أن أعود الى بلدي واشتغل بملاحظة الزراعة كما يشتغل الكثير من أقاربي : وانتهى الجدال بتغلبي عليه فأخذت ما كان لي من ثياب ومتاع ورجعت الى محلة نصر على نية ان لا أعود الى طلب العلم وتزوجت فى سنة ١٢٨٢ على هذه النية

« فهذا أول أثر وجدت فى نفسي من طريقة التعليم فى طنطا وهي بعينها طريقته في الازهر وهو الاثر الذي يجده خمسة وتسعون فى المئة ممن

إلى بني عدي قبيلة سيدنا عمر بن الخطاب ويقال إنها من ذريته . وكان والده شهما شجاعا وقورا سخي النفس وكانت والدته برة رحيمة بالمساكين ذكية الفؤاد شديدة الحياء ولا أبعد إذا قلت ان والديه كانا من أسلم الناس فطرة وأحسنهم خلقا . وكانت هذه الاخلاق فيهما موروثة ومكتسبة بالمعاشرة والقدوة لا بتعليم المدارس ولا بتأديب المعلمين . وهذا أصل عظيم فى استمداد الرجل لما وصل اليه من الكمال الذي لم نر ولم نسمع بمثله وقد قال صلى الله عليه وسلم « الناس معادن خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الاسلام اذا فقهوا» رواه البخاري ومسلم

ولد قدس الله تعالى روحه في أواخر سنة خمس وستين أو ست وستين ومئتين وألف من الهجرة الشريفة (روايتان من كتابته) فى قرية من قرى مديرية الغربية كان والده هاجر اليها هو وأخوه بهنس فرارا من ظلم حكام مديرية البحيرة فى اواخر حكم محمد علي باشا الكبير وكان له قرابة في تلك القرية وفى أثناء إقامته فيها كان يتردد إلى بعض القرى القريبة فيها ويتعارف هو وأهلها فأدى ذلك التعارف إلى المصاهرة اذ تزوج بوالدة الفقيد وهي من قرية تسمى (حصة شبشير) قريبة من مدينة طنطا واقام معها فى قرية تسمى (شنتر) الى أواخر مدة عباس باشا الأول والي مصر ثم ألجأته الحوادث بعد ذلك الى الرجوع إلى بلده وهي قرية تسمى (محلة نصر) فى البحيرة وفيها نشأ وترعرع

تعليمه وتربيته

نشأ كما ينشأ أمثاله من أبناء البيوت المعروفة فى القرى ولم يدخل المكتب لتعلم القراءة والكتابة إلا بعد أن جاوز العاشرة من سنه وقد

أن أقيم معهم مدة يلهو فيها كل منا بصاحبه . أدركني صاحبي وبقي معي الى العصر وأرادني على السفر فقلت له خـذ الفرس وارجع وسأذهب صباح الغـد وان شئت قلت لوالدي انني سافرت الى طنطا فانصرف وأخبر بما أخبر وبقيت فى هـذه القرية خمسة عشر يوما تحولت فيها حالتي، وبدلت فيها رغبة غير رغبتي »

« ذلك ان أحد اخوال أبي واسمه الشيخ درويش سبقت له أسفار الى صحراء ليبيا ووصل فى أسفاره الى طرابلس الغرب وجلس الى السيد محمد المدني والد الشيخ ظافر المشهور الذي كان قد سكن الاستانة وتوفي بها وتعلم عنده شيئا من العلم واخذ عنه الطريقة الشاذلية وكان يحفظ الموطأ وبعض كتب الحـديث ويجيد حفظ القرآن وفهمه ثم رجع من أسفاره الى قريته هذه واشتغل بما يشتغل به الناس من فلح الأرض وكسب الرزق بالزراعة

«وإن هذا الشيخ جاءني صبيحة الليلة التي بتها فى الكنيسة وبيده كتاب يحتوي على رسائل كتبها السيد محمـد المدني الى بعض مريديه بالأطراف بخط مغربي دقيق وسألني ان أقرأ له فيها شيئا لضعف بصره فدفعت طلبه بشدة ولعنت القراءة ومن يشتغل بها ونفرت منه أشد النفور ولما وضع الكتاب بين يدي رميته إلى بعيد لكن الشيخ تبسم وتجلى في ألطف مظاهر الحلم ولم يزل بي حتى أخذت الكتاب وقرأت منه بضعة أسطر فاندفع يفسر لي معاني ماقرأت بعبارة واضحة تغالب إعراضي فتغلبه وتسبق إلى نفسي . وبعـد قليل جاء الشبان يدعونني الى ركوب الخيل واللعب بالسلاح والسباحة في نهر قريب من القرية فرميت الكتاب وانصرفت اليهم . بعـد العصر جاءني الشيخ بكتابه وألح علي فى قراءة شيء منه

لايساعدهم القدر بصحبة من لايلتزمون هذه السبيل فى التعليم - سبيل إلقاء المعلم مايعرفه أو مالا يعرفه بدون ان يراعي المتعلم ودرجة استعداده للفهم غير ان الاغلب من الطلبة الذين لايفهمون تغشهم أنفسهم فيظنون أنهم فهموا شيئا فيستمرون على الطلب الى أن يبلغوا سن الرجال، وهم فى أحلام الاطفال ، ثم يبتلى بهم الناس وتصاب بهم العامة فتعظم بهم الرزية لانهم يزيدون الجاهل جهالة ويضللون من توجد عنده داعية الاسترشاد ويؤذون بدعاويهم من يكون على شيء من العلم ويحولون بينه وبين نفع الناس بعلمه »

« بعد ان تزوجت باربعين يوما جاءني و لدي ضحوة نهار وألزمني بالذهاب الى طنطا لطلب العلم وبعد احتجاج وتمنع وإباء لم أجد مندوحة عن إطاعة الأمر ووجدت فرسا أحضر فركبته وأصحبني والدي بأحد أقاربي وكان قوي البنية شديد البأس ليشيعني الى محطة (إيتاي البارود) التي أركب منها قطار السكة الحديدية الى طنطا . كان اليوم شديد الحر والريح عاصفة ملتهبة سافياء ، تحصب الوجه بشبه الرمضاء ، فلم أستطع الاستمرار فى السير فقلت لصاحبي أما مداومة المسير فلا طاقة لي بها مع هذه الحرارة ولا بدمن التعريج على قرية ننتظر فيها ان يخف الحر، فأبى عليّ ذلك فتركته واجريت الفرس هاربا من مشادته وقلت اني ذاهب الى (كنيسة ادرين) - بلدة غالب سكانها من خؤولة ابي - وقد فرح بي شبان القرية (*) لاني كنت معروفا بالفروسية واللعب بالسلاح وأملوا

(*) في العبارة ايجاز بديع بالحذف اذ لم يذكر انه وصل الى القرية ولقي شبانها بل طوى ذلك لدلالة ما بعده عليه . وقد اقتدى رحمه الله في هذا بأسلوب الكتاب العزيز

من المتاع القديم — متاع تلك الدعاوى الباطلة والمزاعم الفاسدة، متاع الغرور بأننا مسلمون ناجون، وان كنا في غمرة ساهين، سألته ما وردكم الذي يتلى في الخلوات أو عقب الصلوات، فقال لا ورد لنا سوى القرآن تقرأ بعد كل صلاة أربعة ارباع مع الفهم والتدبر: قلت أنىّ لي أن أفهم القرآن ولم أتعلم شيئا قال أقرأ معك ويكفيك ان تفهم الجملة وببركتها يفيض الله عليك التفصيل وإذا خلوت فاذكر الله: على طريقة بينها. وأخذت أعمل على ماقال من اليوم الثامن فلم تمض عليّ بضعة أيام إلا وقد رأيتني أطير بنفسي في عالم آخر غير الذي كنت أعهد، (١) واتسع لي ما كان ضيقا، وصغر عندي من الدنيا ما كان كبيراً، وعظم عندي من أمر العرفان والنزوع بالنفس الى جانب القدس ما كان صغيرا، وتفرقت عني جميع الهموم ولم يبق لي الاهم واحد وهو أن أكون كامل المعرفة كامل أدب النفس ولم أجد إماما يرشدني الى ماوجهت اليه نفسي الاذلك الشيخ الذي أخرجني في بضعة أيام من سجن الجهل الى فضاء المعرفة، ومن قيود التقليد، الى إطلاق التوحيد، — هذا هو الأثر الذي وجدته في نفسي من صحبة أحد أقاربي وهو الشيخ درويش خضر من أهالي (كنيسة ادرين) من مديرية البحيرة. وهو مفتاح سعادتي ان كانت لي سعادة في هذه الحياة الدنيا، وهو الذي ردلي ما كان غاب من غريزتي، وكشف لي ما كان خفي عني مما أودع في فطرتي،

«وفي اليوم الخامس عشر مرّ بي أحد سكان بلدتنا (محلة نصر) فأخبرني

---

(١) سنذكر هنا ثم في تاريخه المطول معنى ماقاله في تأثير التصوف في نفسه ومالم يقله ونبين ما كان له من المنفعة والضرر الذي تلافاه السيد جمال الدين في تربية فقيدنا الثانية

فقرأت وفسر ثم تركته إلى اللعب وفعل في اليوم الثاني كما فعل فى الأول أما اليوم الثالث فقد بقيت اقرأ له فيه وهو يشرح لى معاني ما أقرأ نحو ثلاث ساعات لم أمل فيها فقال لي إني فى حاجة الى الذهاب إلى المزرعة ليعمل بعض العمل فيها فطلبت منه إبقاء الكتاب معي فتركه ومضيت أقرأه وكلما مررت بعبارة لم أفهمها وضعت عليها علامة لأسأله عنها الى أن جاء وقت الظهر وعصيت فى ذلك اليوم كل رغبة فى اللعب وهوى ينازعني الى البطالة ، وعصر ذلك اليوم سألته عما لم أفهمه فأبان معناه على عادته وظهر عليه الفرح بما تجدد عندي من الرغبة فى المطالعة والميل إلى الفهم

« كانت هذه الرسائل تحتوي على شيء من معارف الصوفية وكثير من كلامهم في آداب النفس وترويضها على مكارم الأخلاق وتطهيرها من دنس الرذائل وتزهيدها في الباطل من مظاهر هذه الحياة الدنيا

« لم يأت عليّ اليوم الخامس الا وقد صار ابغض شيء إليّ ما كنت أحبه من لعب ولهو، وفخفخة وزهو، وعاد أحب شيء اليّ ما كنت أبغضه من مطالعة وفهم وكرهت صور اولئك الشبان الذين كانوا يدعونني الى ما كنت أحب ويزهدونني فى عشرة الشيخ رحمه الله فكنت لا احتمل أن اري واحدا منهم بل افر من لقائهم جميعا كما يفر السليم من الأجرب.
فى اليوم السابع سألت الشيخ ما هي طريقتكم فقال طريقتنا الاسلام فقلت أوليس كل هؤلاء الناس بمسلمين ؟ قال لو كانوا مسلمين لما رأيتهم يتنازعون على التافه من الأمر ولما سمعتهم يحلفون بالله كاذبين بسبب وبغير سبب ، هذه الكلمات كانت كأنها نار أحرقت جميع ما كان عندي

الشيخ درويشا قد سبقني اليه فكان يستمر معي يدارسني القرآن والعلم الى يوم سفري . وكل سنة كان يسألني ماذا قرأت فأذكر له مادرست فيقول : مادرست المنطق مادرست الحساب مادرست شيئا من مبادىء الهندسة : وهكذا وكنت أقول له بعض هذه العلوم غير معروف الدراسة في الازهر فيقول : طالب العلم لا يعجز عن تحصيله في أي مكان : فكنت اذا رجعت الى القاهرة ألتمس هذه العلوم عند من يعرفها فتارة كنت أخطئ في الطلب واخرى أصيب الى ان جاء المرحوم السيد جمال الدين الافغاني الى مصر أواخر سنة ١٢٨٦

«وقد صاحبته من ابتداء شهر المحرم سنة ١٢٨٧ وأخذت أتلقى عنه بعض العلوم الرياضية والحكمية (الفلسفية) والكلامية وأدعو الناس الى التلقي عنه كذلك وأخذ مشايخ الازهر والجمهور من طلبته يتقولون عليه وعلينا الاقاويل ويزعمون أن تلقي تلك العلوم قد يفضي الى زعزعة العقائد الصحيحة وقد يهوي بالنفس في ضلالات تحرمها خيري الدنيا والآخرة فكنت اذا رجعت الى بلدي عرضت ذلك على الشيخ درويش فكان يقول لي : ان الله هو العليم الحكيم ولا علم يفوق علمه وحكمته وإن أعدى أعداء العليم هو الجاهل واعدى أعداء الحكيم هو السفيه وماتقرب أحد الى الله بأفضل من العلم والحكمة فلا شيء من العلم بممقوت عند الله ولا شيء من الجهل بمحمود لديه الا مايسميه بعض الناس علما وليس في الحقيقة بعلم كالسحر والشعوذة ونحوهما اذا قصد من تحصيلهما الإضرار بالناس : »

هذا ما كتبه الفقيد عن مبدإ تربيته وتعلمه في ترجمته التي كتبها لي قبل اشتداد مرضه الاخير وكان حدثني قبل بشيء من ذلك ومنه أنه لم يكن

ان والدتي ذهبت الى طنطا اترانى فعلمت ان سيقول لوالدي انني لا أزال في الكنيسة فأصبحت مبكرا الى طنطا خوف عتاب الوالد واشتداده في اللوم لانني لو كنت أقمت له ألف دليل على انني وجدت في مهربي مطلبه ومطلبي لما اقتنع

«ذهبت الى طنطا وكان ذلك قرب آخر السنة الدراسية في شهر جمادى الآخرة من سنة ١٢٨٢ هجرية لكن اتفق ان بعض المشايخ كانت ماتت بنته ففاته الحزن عليها عن اتمام شرح الزرقاني على العزية وآخر عرض له عارض منعه عن إتمام شرح الشيخ خالد على الأجرومية فأدركت كلا منهما في أوائل الكتاب الذي كان يدرسه وجلست في الدرسين فوجدت نفسي افهم ما أقرأ وما أسمع والحمد لله. وعرف ذلك مني بعض الطلبة فكانوا يلتفون حولي لأطالع معهم قبل الدرس ما سنتلقاه. وفي يوم من شهر رجب من تلك السنة كنت أطالع بين الطلبة وأقرر لهم معاني شرح الزرقاني فرأيت أمامي شخصا يشبه ان يكون من أولئك الذين يسمونهم بالمجاذيب فلما رفعت رأسي اليه قال ما معناه: ما أحلى حلوى مصر البيضاء: فقلت له وأين الحلوى التي معك؟ فقال سبحان الله من جد وجد: ثم انصرف فعددت ذلك القول منه إلهاما ساقه الله الي ليحملني على طلب العلم في مصر دون طنطا

«وفي منتصف شوال من تلك السنة ذهبت الى الازهر وداومت على طلب العلم على شيوخه مع محافظتي على العزلة والبعد عن الناس حتى كنت استغفر الله اذا كلمت شخصا كلمة لغير ضرورة. وفي أواخر كل سنة دراسية كنت أذهب الى (محلة نصر) لأقيم بها شهرين - من منتصف شعبان الى منتصف شوال - وكنت عند وصولي الى البلد أجد خال والدي

وحكمة الاشراق من الفلسفة ، وعقائد الجلال الدواني والتوضيح مع التلويح في الاصول ، والجغميني في الهيئة القديمة وكتابا آخر في الهيئة الجديدة نسيت اسمه .

ثم ان السيد أرشده كغيره من تلامذته الى الانشاء وكتابة المقالات الادبية والاجتماعية والسياسية ومرنهم على الخطابة فبرع فقيدنا في ذلك حتى صار أبرع من أستاذه نفسه لان عبارة السيد رحمه الله تعالى كانت على متانتها وبلاغتها لم تصف من كدورة العجمة الى صفاء الانسجام العربي الخالص كعبارة الشيخ ثم ان مجالس السيد في ناديه وسامره كانت كلها مجالس علم وحكمة وأدب وسياسة وقلما كان يفوت فقيدنا شيء منها اذ كان يلازمه ملازمة ظله وما يستفيده المرء بالمذاكرة في ساعة لا يستفيده بالدرس في ساعات لان المدرس يكلفك كل مايلقيه اليك سواء كنت تشعر بالحاجة اليه وتعتقد الاستفادة منه أم لا وسواء كنت مستعدا لفهمه أم لا ، وأما المذاكرة فهي مشاركة اختيارية في البحث والانسان لا يختار الا ما يرى نفسه محتاجة اليه ومستعدة لفهمه فمثل الدرس يلقى اليك كمثل من يكلفك أن تأكل مقدارا معينا من الاطعمة التي قد تعاف بعضها ولا تستطيع تناولها الا بكلفة وغثاثة فأنت لا تتغذى الا ببعضها والباقي إما أن يضر وإما أن لا ينفع ومثل المذاكرة كالطعام الذي تشتهيه وتتناول منه مايكفيك فيكون كله غذاء نافعا . وقد قال بعض علماء التربية من الافرنج انه قلما يفلح من يقيم في مدارس العلم زمنا طويلا . ولقد كانت مجالس استاذنا الفقيد كمجالس استاذه (رحمهما الله) تفيض علما وحكمة وأدبا ولكن الفصل بينهما في هذا هو ان السيد كان يلقي الحكمة لكل أحد وأما الشيخ فكان

يواظب على حضور دروس من لا يفهم أولا يستفيد منهم وانه ربما كان يحضر درس أحدهم وفى يده كتاب آخر يطالع فيه مدة الدرس وان من شيوخه الذين فهم منهم واستفاد فى أول تحصيله الشيخ محمد البسيوني وانه بعد الحضور فى الازهر ثلاث سنين مل الدروس المعتادة كأنه أخذ حظه منها وصارت نفسه تطلب شيئا جديدا وتميل الى العلوم العقلية ولكنه حضر جميع الكتب وفهمها ولم يكن يرتاح الى إعادة شيء منها . وكان الشيخ حسن الطويل ممتازا فى الازهر بعلم المنطق فحضره عليه ولم يكن يشفي ما فى نفسه بل كانت تتشوف دائما الى علم غير موجود فكان يبحث فى خزائن الكتب الازهرية عن طلبته المجهولة فيظفر ببعض الشيء ومما ظفر به القطب على الشمسية ناقصا . وقرأ الشيخ حسن الطويل لهم شيئا من الفلسفة ولكن لم يكن يجزم بأن المعنى كذا بل كان الدرس احتمالات أو اشبه بالحزر فيما بينهم حتى جاء السيد جمال الدين فسكنت اليه نفسه من اضطرابها ووجدت عنده جميع طلبتها ، وأقصى أمنيتها ، واخبرني رحمه الله تعالى ان الذي أخبره بقدوم السيد جمال الدين هو أحد المجاورين فى رواق الشوام قال له انه جاء مصر عالم افغاني عظيم وهو يقيم فى خان الخليلي فسر بذلك واخبر الشيخ حسنا ودعاه الى زيارته معه فألفياه يتعشى فدعاهما الى الأكل معه فاعتذرا فطفق يسألهما عن بعض آيات القرآن وما قاله المفسرون والصوفية فيها ثم يفسرها لهم فكان هذا مما ملأ قلب فقيدنا به عجبا وشغفه حبا لان التصوف والتفسير هما قرة عينه أو كما قال مفتاح سعادته . وأخبرني رحمه الله تعالى انه قرأ على السيد كتاب الزوراء للدواني فى التصوف، وشرح القطب على الشمسية والمطالع وسلم العلوم من كتب المنطق ، والهداية والاشارات وحكمة العين

يقرأ الدرس فى المسجد الحسيني فقال الشيخ عليش بلغني انك تقرأ شرح العقائد النسفية درسا قال نعم : قال الشيخ عليش وبلغني انك رجحت مذهب المعتزلة على مذهب الاشعرية قال اذا كنت أترك تقليد الاشعري فلماذا أقلد المعتزلي إذًا أترك تقليد الجميع وآخذت بالدليل قال الشيخ عليش اخبرني الثقة بذلك قال هلم الثقة الذي يشهد بذلك فليميز أمامنا هنا بين المذهبين وليخبرنا أيهما رجحت : قال الشيخ عليش أو مثلك يفهم شرح العقائد قال الكتاب حاضر وأنا حاضر فسلني ان شئت : فكبر على الطلبة الحاضرين مثل هذه المراجعة من طالب للشيخ عليش المهيب وقال بعضهم ان هذا يرسل شعره ويجمعه تحت عمامته وأخذ عمامته عن رأسه ولغط الحاضرون فتركهم الفقيد رحمه الله تعالى وذهب حاسرا عن رأسه فقال أناس ان الشيخ عليشا ضربه وقال آخرون انه منعه من الدرس وكثرت الاشاعات والاقوال والرؤى والاحلام فيه وفى السيد جمال الدين والصواب ان هذا كل ما حصل وان الفقيد لم يمتنع من قراءة الدرس ولكنه كان يضع بجانبه عصا وقال اذا جاء الشيخ بمكازه فله هذه العصا وكان من الشجاعة على ما يعهد عارفوه كما سنبين ذلك فى الكلام على أخلاقه . أما تأثير هذه الحادثة فقد كان أكبر منها بل كان هو مبدأ خوض بعض الجامدين فى دين كل من السيد الحكيم والاستاذ الامام رحمهما الله تعالى وسنعقد لذلك فصلا خاصا في تاريخ الفقيد نبين فيه انه لم يسلم أحد من أئمة الدين ولا من كبار الحكماء والصوفية من مثل هذا الطعن وأنه من مناقب حكيمينا قدس الله روحهما وان الذين يتشفون بمثل هذا الخوض من الاعداء والحاسدين ومن يقلدهم من المساكين والمجانين لو عقلوا لكتموه

تخاطب كل أحد أو كل فريق بما يرى انه مستعد له ومتوجه اليه وقد قال لي رحمه الله تعالى ان السيد جمال الدين كان يلقي الحكمة لمريدها وغير مريدها ومن خواصه انه يجذب مخاطبه الى ما يريد وان لم يكن من أهله وكنت أحسده على ذلك لانني تؤثر فيّ حالة المجلس والوقت فلا تتوجه نفسي للكلام الا اذا رأيت له محلا وهكذا الكتابة الخ ماقاله وسنذكره في محله من تاريخه ان شاء الله تعالى

تدريسه ودعوته الى اصلاح التعليم فى الازهر

كان عفا الله عنه قبل أخذ شهادة التدريس يطالع مع بعض الطلاب الدروس التي يحضرونها فى الازهر ثم اتفقت الرغبة على أن يقرأ لطائفة منهم بعض الكتب فقرأ لهم إيساغوجي فى المنطق ثم شرح العقائد النسفية للسعد التفتازاني مع حواشيه ثم مقولات السجاعي بحاشية العطار وغير ذلك من الكتب التي لم تكن تقرأ في الازهر فكثر سواد المجتمعين عليه وكان يدعوهم الى مطالعة مالم يتعودوا من الفنون والكتب ويفتح لهم أبواب المذاكرة والمناقشة ليلا فكانوا يمتالون الليل ولا يشعرون بطوله وفتن الاذكياء بحسن بيانه ودقه فهمه وحسده أناس منهم فأحفظوا عليه قلب الشيخ عليش فكان ما كان من حادثته معه اذ ذهب ابن للشيخ عليش مع طالب آخر فقالوا ان فلانا يقرأ شرح العقائد النسفية وقد رجح فى درسه أمس مذهب المعتزلة على مذهب الاشعرية وكان الشيخ عليش رحمه الله أذنا يصدق بكل ماسمع وكان شديد الغيرة فى الدين حديد المزاج سريع الغضب فكبر عليه أن يقرأ أحد الطلاب مثل ذلك الكتاب الذي لم يكن الشيوخ الكبار يتسامون لقراءته فارسل الى الفقيد فجاءه وهو

والمكابرة ، فعند ذلك حلف الشيخ العباسي انه لم يرا احدا امتحن فى عصره مثله وأنه لو كان فوق الدرجة الاولى درجة ممتازة لاستحقها فأراد أحد الشيوخ واظنه الشيخ الرافعي ان يوفق ويصلح فأخذ الورقة وكتب له بالدرجة الثانية وطفق يعرضها على اخوانه الذين كانوا متفقين على حرمانه ليوقعوا عليها فوقعوا ثم أعطوها الشيخ العباسي فأمضاها لهم ولم يحب ان يراجعهم بعد أن رأى منهم مارأى فظفروا ببعض المطلوب وهو حرمانه من الدرجة الاولى وما كانوا ضائرين .

طلبه العلم بعد التدريس والدخول فى الاعمال

هذا مجمل سيرة الرجل فى تلقي العلم عن الشيوخ منذ بدأ الى أن صار مدرسا وانك لتجد أكثر طلاب العلوم عندنا يعدون أخذ شهادة العالمية غاية التحصيل والتعلم فلا تتوجه همتهم بعده الا الى استغلال العلم وطلب المال به واحراز الجاه والمكانة عند الناس بما ينالون به من وظيفة وعمل . وان صاحبنا لم يسلك مسلكهم بل سار على سبيل سلفنا الصالح الذين يؤثر عنهم : اطلب العلم من المهد الى اللحد : فكان يقول الى آخر حياته انني لا أزال طالب علم أبتغي المزيد منه فى كل يوم . فكان له في طلب العلم ثلاثة أدوار أولها الطلب على طريقة الازهر المعروفة من المناقشة فى عبارات كتب المؤلفين وقراءة المتون مع الشروح والحواشي والتقارير ـ سلكها زمنا حتى ملها وتوجهت نفسه الى علم أعلى وفهم أجلى فقيض الله تعالى له ذلك العلامة الحكيم السيد جمال الدين فقرأ له علوما أخرى على طريقة أسهل مسلكا وأقرب غاية ، فانتاشه من الاخلاد الى أرض العبارات الركيكة والاساليب الضعيفة ، والاحتمالات البعيدة ، ورفعه الى سماء عرفان الحقيقة ،

وسعوا في ازالته

نعم ان ذلك الخوض والتقول مما نزين به تاريخ هذين الحكيمين ولكن لا ننكر ان تأثيره السيء وقع على الأمة الاسلامية عامة وعلى الازهر خاصة دون الرجلين اللذين لم يحترم الناس لا سيما عقلاء الامة الاسلامية في هذا العصر أحداً من أهل المشرق كاحترامهم لهما ذلك انه كان عقبة في سبيل إصلاحهما واستفادة الأمة منهما وهما مأجوران عند الله تعالى بحسن نيتهما وبذلهما جهد المستطاع في خدمة امتهما وملتهما. وقد كاد يترتب على ذلك حرمان فقيدنا من شهادة العالمية ومرتبة التدريس في الازهر لولا عدل الشيخ العباسي وإنصافه. كتب الاستاذ الامام رحمه الله عن امتحانه ما نصه :

« عرضت نفسي على مجلس الامتحان في ١٣ جمادى سنة ١٢٩٤ هجرية وابتليت في الامتحان أشد الابتلاء لتعصب الأكثر من أعضائه مع المرحوم الشيخ عليش وكان يعاديني على الغيب اتباعا لآراء من لا رشد عندهم من بلداء الطلبة ، وكانوا قد أجمعوا أمرهم على ان لا يمنحوني درجة ما في العلم وجرت أمور قبل الامتحان يطول شرحها ولكن كان أمر الله أغلب فخرجت من هذا الامتحان بالدرجة الثانية وصرت مدرسا من مدرسي الجامع الازهر وأخذت أقرأ العلوم الكلامية والمنطقية » الخ

وقد أخبرني رحمه الله ان بعض الشيوخ تقاسموا قبل الامتحان يمينا مؤكدة لا يأخذن فلان درجة ما ولما وقع الامتحان ورأوا من حسن الجواب عما سألوه فوق ما كانوا ينتظرون ، طفقوا يناقشون ويراجعون ، وينتقلون به ويستطردون، حتى صار الامتحان مناظرة ، تتولاها المشاغبة

بتحرير تلك الجريدة كان لا يسمح لي بوقت كاف للتعلم بدراسة منتظمة فذهب علي ذلك الزمن بدون فائدة فى اللغة لا كثيرة ولا قليلة . أما بعد عودتي من النفي الى مصر واشتغالي بالقضاء فى المحاكم الاهلية والحكم بها خصوصا فى الجنايات على أصول القوانين الفرنساوية وجلوسي بين قضاة يغلب عليهم العلم بتلك القوانين في لغتها فقد قوي عندي الميل الى تعلم اللغة الفرنساوية حتى لا أكون فى معرفة القوانين أضعف ممن أجلس معهم مجلس القضاء وبعد مجيئي الى القاهرة واشتغالي بالقضاء فى إحدى محاكمها وجدت الوقت والحال مناسبين للبدء فى العمل فبحثت عن معلم فوجدت أستاذا لا بأس به فدعوته فجاءني حاملا كتاب نحو فى يده (كرامير) فسألته ما هذا فقال كتاب نحو فقلت له لا وقت عندي لان ابتدىء وانما عندي زمن لان أنتهي ثم ناولته قصة من تأليف الكسندر دوماس وقلت له أنا أقرأ وانت تصلح لي النطق وتفسر لي الكلم وما عدا ذلك فهو عليَّ والنحو يأتي فى اثناء العمل ، وهكذا أتممت الكتاب وكتابا بعده وثالثا عقبه وكنت أطالع وحدي بصوت مرتفع كلما وجدت نفسي في بيتي خاليا فتعلمت مبادىء اللغة الفرنساوية وحصلت منها ما كان يمكنني من القراءة والفهم لكن ما كنت أستطيع الكلام

« سافرت بعد ذلك الى فرنسا وإلى سويسرا عدة مرات فى أيام العطلة الصيفية وكنت أحضر دروس العطلة فى كلية جنيف وبهذه الطريقة تعلمت اللغة الفرنساوية فى أوقات الفراغ مع اشتغالي بالقضاء فى المحاكم الابتدائية ومحاكم الاستئناف . ثم ان الذي زادني تعلقا بتعلم لغة أوربية هو أني وجدت انه لا يمكن لاحد ان يدعي انه علي شيء من العلم يتمكن

والافصاح عنها بالعبارة الرشيقة ، بعد إطلاقه من قيود تقليد المؤلفين ، وتعويده على الحكم باليقين ، فهذا هو الدور الثاني وهو خاص كسابقه بالعلوم الاسلامية ، التي كتبت باللغة العربية ، مع شيء قليل من العلوم الحديثة ، وتطبيق العلم على حال المسلمين الاخيرة ، وأما الدور الثالث فهو النظر في علوم الافرنج قرأ رحمه الله كثيرا مما ترجم من الكتب ثم تعلم اللغة الفرنسية فصار يقرأ الكتب فيها لا يكاد يتركها يوما من الايام. وكانت عنايته بعلوم الاخلاق والنفس وأصول الاجتماع الانساني والتاريخ وفلسفته وفن التربية أشد من عنايته بسائر العلوم وقلما علم بكتاب لافرنجي يتكلم فيه عن الاسلام والمسلمين الا واستحضره وقرأه وقد قرأ عدة كتب في تربية الارادة خاصة ، وفي سفره الاخير إلى سويسره تعلم هناك القلم المسند لانه علم ان في بعض المكاتب الاوربية كتبا فيه وان الانكليز نقلوا من حضرموت بعض ماهنالك من الآثار الحميرية ولذلك دخل شأن في تاريخ العرب والاسلام.

وهذه العلوم الافرنجية هي التي أعطته القوة العظيمة في المدافعة عن الاسلام وفي زيادة البصيرة بخدمته لانه عرف من أين يهاجمه أعداؤه وكيف ترد هجماتهم . وكان يقول من لم يعرف لغة من لغات العلم الاوربية لا يعد عالما في هذا العصر وقد كتب لي في ترجمته عن تعلمه اللغة الفرنسية مانصه :

« بدأت بتعلم اللغة الفرنساوية عند ما كانت سني أربعا وأربعين سنة ولكن ميلي الى تعلم لغة أجنبية ابتدأ في اثناء الحوادث العرابية فتعلمت الهجاء ثم تركته ونسيته تقريبا وعند ما سافرت الى فرنسا أول مرة أقمت هناك عشرة أشهر كنت أحرر فيها جريدة العروة الوثقى ولم أتعلم شيئا من الفرنساوية لان اجتماعي كان بالسيد جمال الدين وبرفاق من العرب واشتغالي

كنت ملكا لحكمت بقتل الذين يكتبون ذلك لانهم يفتنون كثيرا من الناس ولا يفيدون به أحدا . وقال ما معناه مازج أحد نفسه في عالم الخيال ثم قدر على الخروج منه الا ان يجذبه جاذب آخر ويخرجه منه وذلك قليل . وأقول إن السيد جمال الدين هو الذي أخرجه منه ، ورقى به الى ما هو خير منه ، ولم يتمكن من ذلك الا بعد ان جاراه عليه زمنا عرفه به أنه أعرف بتلك المعاهد، وأسبق الى تلك المشاهد، بما كان يحل له من عقد كلام الصوفية التي يعجز عن حلها ، حتى أقنعه بأنه من أفراد أهلها، وسنذكر في التاريخ الكبير الذي نضعه لفقيدنا شيئا مما كتبه على طريقة الصوفية . واقول هنا لو كان الجماهير من الناس يعرفون في أيام حادثة الشيخ عليش شيئا من أمر الرجال في تصوفه وتنسكه لهاجوا على الشيخ عليش وان كانت شهرته بالصلاح عظيمة وعلى من وشى اليه من فساق المجاورين ولما خاضوا في فقيدنا بالذي خاضوا ولكنه كان يبالغ في كتمان ذلك خوفا من الرياء وحب السمعة والامة مستعدة للشر والشبهة عليه حضور كتب الفلسفة والكلام على عالم غريب وهو السيد رحمهم الله أجمعين

قلنا ان السيد جمال الدين هو الذي نقل فقيدنا من حال الى حال في التربية كما نقله في العلم وكان الشيخ درويش هو الذي مهد له السبيل للأمرين . وقبل ان ننتقل من الكلام في تربيته وتعليمه الى الكلام في عمله وإصلاحه نذكر ان الشيخ درويشا هو الذي رباه أيضا على التعرض للارشاد الديني والتصدي لنصيحة الناس فهد السبيل التي سلكها به السيد جمال - سبيل الإصلاح العلمي والسياسي . ذلك ان الشيخ درويشا رأى ان مريده قد كملت نفسه بعد العزلة الطويلة وكمل سلوكه فصار بمأمن من المعاشرين الذين يقطعون الطريق على المريدين فأمره بمخالطة الناس والتعرض لإرشادهم وقد كتب رحمه الله في ذلك ما نصه :

به من خدمة أمته ويقتدر به على الدفاع عن مصالحها كما ينبغي الا اذا كان يعرف لغة أوربية كيف لا وقد أصبحت مصالح المسلمين مشتبكة مع مصالح الاوربيين فى جميع أقطار الارض وهل يمكن مع ذلك لمن لا يعرف لغتهم أن يشتغل للاستفادة من خيرهم أو للخلاص من شر الشرار منهم» اه

الكلام في تربيته خاصة

هذا ما يقال فى طلبه للعلم وأما تربيته فقد علم مما مر شيء منها وهو أنه نشأ فى بيت يوصف أهله بالاخلاق الفطرية الجيدة التي لا ينقصها الا نور العلم وقد كان له ولم يمن فى صباه الا بالفروسية وأعمال الرجولية فكان يلعب بالسلاح ويسابق الناشئين معه على ظهور الجياد ويكثر من السباحة وهذه الالعاب مما يحسن أن يربى عليها الولدان بالقصد كما قال الحكماء وعلماء التربية وهي مما يربى عليه أولاد الملوك والامراء فى أوربا . بعد ان أخذ حظه من هذه التربية الفطرية أخذه الشيخ درويش خضر بالتربية الدينية فألزمه العزلة ومجاهدة النفس . وكان من جبلته أن يأخذ كل شيء بقوة فكان فى مدة طلبه للعلم يصوم النهار ويقوم الليل بالصلاة والتلاوة والذكر ويمشي مطرقا لا ينظر الا حيث يضع قدميه ولا يكلم أحدا الا لضرورة وقد ظل عدة سنين لا يلقي نظره على امرأة أجنبية حتى في الطريق . وقد كان لكثرة الانهماك فى الذكر والفكر والنظر فى كتب التصوف والتنقل فى أحوال القوم ومقاماتهم يخرج عن حسه ويزج في عالم الخيال أو عالم المثال كما يقولون فيناجي أرواح السابقين . ولو كان يجيز شرح ذلك لشرحناه ولكنه كان يقول ان ما يحصل للصوفية من الاحوال غير الطبيعية لا يجوز ذكره لغير العارف به ولا تجوز كتابته بحال ولو

الجواب باختلاف أفهام الافراد ومذاهبهم فهذا يقول أعظمهم العالم وذاك يقول بل الفيلسوف ، ويقول ثالث بل هو الرجل الصالح فينبري رابع قائلا بل القائد الفاتح ويخالفهم رجل آخر يدعي ان أفضل الناس السياسي الحاذق ويقول آخرون أقوالا أخرى. واذا رجعت بالجميع الى البرهان رأيتهم يتفقون على ان أعظم الرجال وأفضلهم المصلحون الذين يوجهون عزائمهم الى رفع الأمة من الدرجة الدنيا الى الدرجة العليا ، وهؤلاء قلما تجود الاجيال بواحد منهم على كثرة العلماء والصلحاء والقواد والسياسيين في كل زمان

إنما يكون الرجل عظيما بأمرين أحدهما فطري لا يأتي بالكسب وهو الاستعداد الذي يكون له بكمال الخلقة واعتدال المزاج ، وحسن الوراثة للوالدين والاجداد ، وثانيهما كسبي وهو التربية القوية والتعليم النافع ، وقد كان استعداد الاستاذ الإمام لكل أمر عظيما حتى كان استعداده هو الاصل في حسن تربيته وتعليمه . فقد علمت مما مر أن فطرته السليمة لم تقبل الاستمرار على حضور دروس لا تفهمها ولم يعرف هذا عن غيره من المبتدئين بطلب العلم حتى أذكيائهم الذين استفادوا بعد العناء فقد كانوا يصبرون على مالا يفهمون زمنا طويلا واذا حفظ أحدهم شيئا بالتكرار ظن انه هذا فهم وعلم لا سيما اذا حفظ تفسير المتن من شرحه وحاشيته .ولكن صاحبنا لم يكن يترك المسألة حتى يفهمها ويوقن أو يرجح ان الحكم فيها كذا ولذلك أسرع اليه الملل من دروس مشايخ الاحتمالات. وكان يقول ان حضور كتب العربية على طريقتهم قد أضر بذهنه وعقله وانه ظل يكنس ذهنه وينظفه منها بضع سنين فلم ينظف تمام النظافة . وأما السيد جمال الدين فانه كثيرا ما كان يشرح معنى المسألة حتى تتجلى للأفهام ثم يقرأ عبارة الكتاب ويطبقها

« قلت انني كنت في أوائل مدة طلب العلم بعد مجيئي الى الازهر في عزلة عن الناس الا من استفيد منه علما أو نصيحة لكن بعد مضي سبع سنين على ذلك - والشيخ يقودني في سبيل الرياضة وقهر النفس على المكاره بالصوم تارة وبلبس الخشن والتعرض لانتقاد الناس تارة أخرى - قال لي عند مارجعت الى محلة نصر في سنة ١٢٨٨ : الى متي هذه العزلة وماالفائدة في العلم وتحصيله اذا لم يكن لك نورا تهتدي به ويهتدي به الناس ؟ ان من المكروه أن تستأثر بالفائدة دون أهل ملتك وان من لم ينفع بما تعلم فقد أضاع أهم ثمرة تقصد من غراس المعرفة فعليك ان تخالط الناس وتعظهم وترشدهم الى الطريق القويمة والسنة الصالحة : فذكرت له اشمئزازي من الناس وزهادتي في معاشرتهم وثقلهم على نفسي اذالقيتهم وبعدهم عن الحق ونفرتهم منه اذا عرض عليهم فقال لي: هذا من أقوى الدواعي الى ماحثثتك عليه فلو كانوا جميعهم هداة مهديين لما كانوا في حاجة اليك: ثم أخذ يستصحبني في مجالس العامة ويفتح الكلام في الشؤون المختلفة ويوجه اليّ الخطاب لأتكلم فيتكلم الحاضرون فأجيبهم وانطلق في القول على وجل في أول الامر وما زال بي حتى وجد عندي شيء من الالفة مع الناس والاستئناس بمكالمتهم وفي شوال من تلك السنة ودعني وبكى بكاء شديدا ومات في السنة الثانية رحمه الله تعالى » اهـ أقول يظهر انه أحس بأن عمله قد تم بتكميل تربية مريده وأنه ألهم بأنه قد دنا أجله إذ تم عمله فبكى بكاء مودع وللصوفية من هذا الإلهام والشعور ، ماهو معروف مشهور ،

طور العمل والاصلاح

(تمهيد) لو سأل سائل أيّ الرجال أعظم في الامة وأفضل لاختلف



فمن عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا أولو الالباب

(قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق)

(مصر — غرة جمادى الثانية سنة ١٣٢٣ — ٢ اوغسطس (آب) سنة ١٩٠٥)

تتمة ملخص سيرة الاستاذ الامام

دخوله في الماسونية — من التمهيد

كان السيد جمال الدين قد أخذ على نفسه العهود والمواثيق أن يعمل عملا عظيما ينهض بدولة إسلامية نهوضا يعيد للاسلام مجده وكان مضطلعا بذلك لانه كان مستعجلا يريد أن يعمل هذا العمل العظيم ويرى أثر نجاحه وثمرة غراسه في حياته لذلك جاءه من طريق الحكومة والسلطة وتوسل اليه بالعلم فاتخذ له في مصر تلاميذ بدأ يقرأ لهم كتب أصول الدين والفلسفة حتى اذا ما وثق بهم مزج لهم السياسة بالعلم وخاف استبداد اسماعيل باشا أن يحول بينهم وبين مايشتهون فانتظم مع مريديه في سمط الجمعية الماسونية وكان باتحادهم رئيس محفل مرن فيه تلامذته على الخطابة والبحث في حياة الامم وموتها ونهوض الدول وسقوطها وقد دخل في هذا المحفل شريف باشا وبطرس باشا غالي وكثيرون من الكبراء والاذكياء، وكان توفيق باشا

عليها فان انطبقت والا أبان ما فيها من التقصير أو يقرأ العبارة ويبحث في دليلها فيقره أو يفنده ويجزم بغيره وبهذه الطريقة ارتقى الى أن يحكم بنفسه في المسائل ولا يرضى بالفهم مع التسليم لمؤلف الكتاب فالذي امتاز به صاحب الترجمة على اخوانه الازهريين هو أنه في بدايته لم يرض أن يحضر شيئاً لا يفهمه، وفي نهايته لم يرض بما يفهمه الا بعد أن يستشير فيه الدليل فيرضاه له، وأنه لم يقنع بالعلوم المتداولة في الازهر بل كان من أوائل عهده بالعلم الى يوم وفاته يطلب العلوم ويقدم منها ما يزيده كمالا في نفسه ويعينه على رفع شأن ملته وأمته ، ولو انه تعلم في حداثته على طريقة قويمة كما تعلم النابغون من حكماء أوربا وعلمائهم في المدارس النظامية ولم يضيع ذلك الوقت الطويل في البطالة وفي الطريقة الازهرية الملتوية لرأينا من آياته العلمية أضعاف ما رأينا على أن ما رأيناه يكاد يكون من الخوارق فانه لم يكن يتكلم في علم الا وتراه صاحب القدح المعلى فيه حتى كأنه هو الواضع له. فمن شاء أن يقتدي بطريقته المثلى من الازهريين وغيرهم فليفعل عسى أن يكون من المفلحين

وأما تربيته فقد علمت مما تقدم آنفا انه تربى على طريقة الصوفية القويمة الخالية من البدع والخرافات حتى ملك نفسه وكملت أخلاقه وصار الدين وجدانا له ثم انتقل من ذلك الى أخذه بالبرهان. وأهم ما اتفق له تربية الإرادة أي ملكة العزيمة والإقدام فقد كان فيها نسيج وحده في أمته

تقدم ان الرجل توجهت نفسه الى العمل والاصلاح قبل ان يصير مدرسا رسميا فبدأ بإحياء اللغة ونفخ روح العلم والدين في الازهر ثم ان السيد جمال الدين وجهه وجهه الى الإصلاح الاجتماعي والسياسي فجعله ساعده وعضده في ذلك فاشتغل بها مدة ثم استقر رأيه على ان الاصلاح محصور في إحياء لغة الامة وإصلاح نفوسها بالتربية الصحيحة والتعليم النافع

السيد جمال الدين وقال انه لا يسمح بأن يحتفل بأحد على أنه ولي العهد لدولة من الدول لا سيما الدولة الانكليزية التي من وصفها كيت وكيت وليس لها فضل على الجمعية الخ ماقاله ولا أذكر منه الا مثل هذا الاجمال فرد عليه بعض رؤساء المحافل وبعد مناقشة انسحب من الماسونية هو وخواص مريديه . ولما رأى بعض علماء الازهر بعد ذلك ترقي الاستاذ الامام ونفوذه في الحكومة توهموا ان ذلك بمساعدة الجمعية له فدخل كثيرون منهم فيها ومنهم من دخل بدعوة بعض أصحابه من أهلها ولم يدخل أحد منهم لأجل عمل يفيد الامة والبلاد الا جماعة السيد جمال الدين

﴿ إصلاحه في مدارس الحكومة والازهر ﴾

اذا تمهد هذا فنقول : قد عين الفقيد في أواخر سنة ١٢٩٥ مدرسا للتاريخ في مدرسة دار العلوم وللعلوم العربية في مدرسة الألسن الخديوية فكان يدرس فيهما مع الاستمرار على التدريس في الجامع الازهر فبدأ في دار العلوم بقراءة مقدمة ابن خلدون لانها مقدمة للتاريخ وإنما غرضه بث أفكاره السياسية والاجتماعية في أذهان التلاميذ فكان يطبق مافيها من الكلام عن نهوض الدول وسقوطها وشؤون العمران وأصوله على أمته ويبين أسباب ضعفها والوسائل التي تذهب به وتعيد اليها ما فقدت من عزها ومجدها . وكان يكلف التلاميذ كتابة المقالات والفصول في ذلك فكان كل واحد يشعر بروح جديد يدب في هيكله ويرى نفسه مخلوقا لخدمة بلاده وإعلاء شأن أمته . وقد كتب رحمه تعالى في ذلك العهد كتابا حافلا في علم الاجتماع وفلسفة التاريخ انتقد فيه بعض ماقاله ابن خلدون واستدرك عليه وبين مانسخته طبيعة الاجتماع في هذا العصر

وليّ عهد الخديوية مشايعا للسيد ومحفله ومكان صاحب الترجمة من السيد مكانه المعلوم فكان دخوله فى الماسونية متمما لتربيته وتعليمه وصلة بينه وبين توفيق باشا وكثير من رجال مصر وسببا لبحثه فى أحوال الحكومة المصرية ووقوفه على نقائصها ومساويها وتوجهه إلى السعي فى إصلاحها وممهدا له الطريق للعمل الذي قام به قبل الثورة وبعدها على ما نقصه هنا بالايجاز وفي التاريخ الذي سنؤلفه للفقيد بالتفصيل • وقبل أن ننتقل من هذا التمهيد نقول ان الاستاذ الامام رحمه الله تعالى ترك الماسونية من زمن طويل وقد أكثر أبناؤها من دعوته الى محافلها بعد رجوعه من النفي الى مصر فلم يجب وأهدوا إليه وساما فلم يقبله . وقد سألته عن حقيقتها مرة فقال ان عملها فى البلاد التي وجدت فيها للعمل قد انتهى وهو مقاومة سلطة الملوك والباباوات الذين كانوا يحاربون العلم والحرية وهو عمل عظيم كان ركنا من أركان ارتقاء أوربا وانما يحافظون عليها الآن كما يحافظون على الآثار القديمة ويرونها جمعية أدبية تفيد التعارف بين الناس • وأخبرني بأن دخوله مع السيد فيها كان لغرض سياسي اجتماعي وانه قد تركها من سنين ولن يعود اليها وانها ابتذلت فى مصر ابتذالا لم يكن من قبل . وأخبرني أنه أرشد مرة أحد ولاة بيروت الى إبطال محفل ماسوني علم انه يكيد للدولة العلية بايعاز بعض الدول الاوربية فهاب ذلك الوالي وظن أنه فوق قدرته ولكن الفقيد رحمه الله تعالى هداه السبيل الى ذلك وشد من عزيمته ففعل، بل كان مبدأ انسحابه مع السيد جمال الدين من الماسونية عندما جاء الى مصر رئيس الشرق الاعظم الانكليزي وهو يومئذ ولي العهد للدولة الانكليزية فاجتمعت المحافل الماسونية حفاوة به وذكر أحد رؤسائها ولي العهد بهذا اللقب فاعترض

افندي محمد وغيرهم. ولو طال العهد على عملهما لتم لهما المراد ولما حدثت الثورة العرابية، ولكن خانهما الزمان، وماقدر كان،

كان من عمل السيد جمال الدين ومريديه أن اتصلوا بولي العهد توفيق باشا الخديو السابق واتفقوا معه على تغيير شكل الحكومة واصلاح شؤونها فكان يعد السيد والشيخ من أقوى أنصاره وأوليائه ولما انتهى الحيف والجور والخلل بخلع اسماعيل باشا ونصب توفيق باشا أميرا على مصر في رجب سنة ١٢٩٦ طفق السيد جمال الدين يطالبه بانجاز وعوده وأولها إنشاء مجلس نواب للحكومة وجعل الوزارة مسئولة وظهرت طلائع الاصلاح على يده ولكن وجد من الواشين من غير قلبه على السيد والشيخ وأوهمه انهما يسعيان في تقييد سلطته أو إزالتها فأمر بنفي السيد فأخذ من داره ليلا في عربة مقفلة وليس عليه غير قميص واحد وأرسل في قطار خاص الى السويس ومن هناك ذهب الى الهند وأمر بعزل الشيخ من مدرسة دار العلوم ومدرسة الالسن وبان يقيم في قريته (محلة نصر) لايفارقها الى بلدة أخرى وخاصة عاصمة البلاد والمدن الكبيرة كالاسكندرية وغيرها. وكان ذلك في رمضان سنة ١٢٩٦

عمله في المطبوعات والحكومة

وفي أواسط سنة ١٢٩٧ توجهت عناية رياض باشا الى تحسين كتابة الجريدة الرسمية وجعلها مفيدة مرغوبا فيها من الناس فاستشار الشيخ حسينا المرصفي ومحمود باشا سامي البارودي كلا على حدته فأشارا برأي واحد كأنهما تواصيا به وهو جعل الشيخ محمد عبده محررا فيها ففعل بعد ان استرضى توفيق باشا فصدر الامر العالي بتعيينه محررا ثالثا وانتظر رياض باشا

من أحكام العمران فى العصور الغابرة . وكان فى مدرسة الألسن آية البيان فى إحياء اللغة العربية وإشراع الطريق اللاحب فى التعليم ، والخروج بالطلاب من مآزق العهد القديم، ثم ان دروسه في الازهر كانت بناء جديدا للعقائد على أسس البراهين القطعية ، وتجديدا لما بلي من سائر العلوم العقلية، وكانت حلقة درسه في الأزهر واسعة جدا تحيط بأعمدة كثيرة وكان يقرأ في بيته درسا فى الاخلاق أو السياسة لطائفة من المجاورين قرأ فى ذلك كتاب تهذيب الاخلاق لابن مسكويه الرازي . فكان ذلك سبب طبعه المرة الاولى وقرأ كتاب (كيزو) فى السياسة ولا أدري أتمه أم لا

كان القصد من هذه الدروس تكوين نابتة جديدة من السكان في مصر تحيي اللغة العربية والعلوم الاسلامية، وتقوم عوج الحكومة المصرية، فقد كانت هذه الحكومة لذلك العهد قد رثت ووهت ، ووقعت فى النزع أو اوشكت ، عظم فيها سلطان الاجانب ، وأحاطت بها سيول الفتن من كل جانب ، ومنيت الامة التي تمدها بالمتربة والمسغبة ، وضربت عليها الذلة والمسكنة ، ذلك بما اسرف اسماعيل باشا فى الضرائب والمكوس، وتعذيب الاجساد والنفوس ، فاما آثار اسماعيل باشا في البلاد فلا يزال الكهول والاشياخ يحدثون بها الشبان والغلمان، واما ما فعله السيد جمال الدين ومريده الشيخ محمد عبده من السعي فى إصلاح الحكومة فى الحال، وتربية الرجال لأجل الاستقبال ، فلا يعرفه الا من كان يعمل معهما ، ويتلقى عنهما ، ومن شاء من أهل هذه الديار ، أن يروي شيئا من تلك الأخبار، فليراجع من بقي من تلامذتهما الاخيار ، كالشيخ عبد الكريم سلمان وسعد بك زغلول وابراهيم بك اللقاني وحفني بك ناصف ومحمد بك صالح وسلطان

من أحكامه ان جميع ادارات الحكومة ومصالحها ومجالسها في العاصمة وغيرها ملزمة بأن تكتب الى ادارة المطبوعات مخبرة بما عملت فأتمت وماشرعت فيه وكذلك المحاكم ترسل اليها نتائج أحكامها ، وان لادارة المطبوعات الحق في انتقاد كل ماتراه منتقدا من الاعمال ، وأن لها حق المراقبة على الجرائد الوطنية والاجنبية التي تصدر في القطر المصري وان تبحث عن حقيقة ماتقوله في رجال الحكومة وأعمالها وعلى الحكومة مساعدتها على ذلك بمعنى أنه اذا نشر في بعض الجرائد ماترتاب ادارة المطبوعات فيه فإن لها ان تسأل المصلحة أو الادارة التي يسند اليها ذلك عن الحقيقة بواسطة نظارة الداخلية ان لم يكن ما نشر مسندا الى النظارة والا سألتها هي مباشرة فان كان حقا ما نشر في الجريدة وجب على الحكومة مؤاخذة من نسب اليه الذنب وذكر ذلك في الجريدة الرسمية وان كان كذبا طولب مدير الجريدة باثباته والا انذر واذا تكرر إنذار جريدة ثلاث مرات يمنع إصدارها ألبتة أو الى الأجل الذي تراه الادارة . وان من حق رئيس تحرير الجريدة الرسمية أن يجعل فيها قسما غير رسمي ينشر فيه لنفسه ولغيره مايراه نافعا من المقالات الادبية (ويدخل في الادبية الاجتماعية والاقتصادية وماأشبه ذلك) وقد أجاز هذا القانون وانفذه رياض باشا لماله من العناية بالاصلاح ولثقته بكفاءة صاحب الترجمة وغيرته وإخلاصه في الخدمة العامة وإن في هذا لعبرة لأولي الالباب ـ صاحب عمامة أزهرية يدخل في حكومة مطلقة بعيدة في أعمالها عن رجال العلم والدين فيشرف من نافذة غرفة تحرير الجريدة على نظارات الحكومة ومجالسها ومحاكمها ومصالحها فيصلح لهم مايكتبون ، ويرشدهم الى اصلاح العمل فيما يعملون ، ثم يشرف من نافذة اخرى على الامة فيقوم من اخلاقها ،

مدة من الزمن فلم ير تغييرا يحمد . ثم إنه كتب من الاسكندرية بأمر قلم المطبوعات في مصر بأن تكتب مقالة فى مالية مصر تلم بشيء من تاريخها الماضي وحالها الحاضر الذي وضع له قانون التصفية وان تنشر هذه المقالة فى أول عدد يصدر من الجريدة الرسمية وكان قد بقي له يوم واحد فحاص كتاب الجريدة وحاروا وأرسلوا الى صاحب الترجمة من أحضره من الازهر وكلفوه كتابة المقالة فكتبها فى مجلسه ونشرت فلما قرأها رياض باشا أعجب بها أشد الاعجاب وسأل عن كاتبها فقيل له هو فلان فزاد عجبه أن وجد فى الازهر شاب واقف على تاريخ المالية في مصر عارف بجميع شؤونها قادر على بيان ذلك والافصاح عنه . وفي أواخر هذه السنة طلبه رياض باشا وسأله عن رأيه في اصلاح الجريدة فبين له رأيه في تقرير ضاف فأمر بأن تؤلف لجنة للنظر في التقرير من وكيل الداخلية ومدير المطبوعات وكاتب التقرير وان توضع لائحة لقلم المطبوعات وتحرير الجريدة فكان ذلك وعين الفقيد رئيسا لقلم تحرير الجريدة الرسمية العربية فاختار لها من المحررين المهرة الشيخ عبد الكريم سلمان والشيخ سعد زغلول (هو سعد بك زغلول المستشار بمحكمة الاستئناف لهذا العهد) والشيخ سيد وفا (رحمه الله) وهم ممن كانوا يحضرون دروسه ودروس السيد جمال الدين وبرعوا في الكتابة معه على يد السيد . ثم ماذا كان من شأنه ؟ كان مالم يكن يخطر على قلب بشر وهو أن رئيس التحرير للجريدة الرسمية صار مهيمنا على الحكومة والامة ينتقد الاعمال والاقوال ، وينتقل بالناس من حال الى حال ،

وضع لائحة أوقانونا لقلم المطبوعات أجازه وأنفذه رياض باشا فكان

لتعليم المقصرين وتبرع تغمده الله برحمته بقراءة درس في بعضها . فهذا هو مبدأ النهضة العلمية الحقيقية في مصر فالفصل فيها للسيد جمال الدين وللشيخ محمد عبده رحمهما الله تعالى

وأما انتقاد أعمال الحكومة فكان من أسباب تحريها الحق والعدل والاجتهاد فى اصلاح كل نظارة وقد عني الفقيد يومئذ بنفسه في انتقاد نظارة المعارف ومثل مساوي التعليم والتربية في مدارسها شر تمثيل فضاق ذرع ناظر المعارف لذلك العهد فلاذ برياض باشا شاكيا من الجريدة الرسمية فقال له رياض باشا ان كان ما كتب حقا فلا وجه للشكوى منه وان كان باطلا فعليك أن تبين ذلك بالدليل والبرهان وفلان ينشره في الجريدة الرسمية نفسها فانه لا يقصد بما يكتب فيها الا المصلحة فسكت الناظر واجما

﴿ عمله في مجلس المعارف الاعلى ﴾

اقتنع رياض باشا بما فى نظارة المعارف من الخلل وعلم ان مايكتب فى الجريدة الرسمية حق فذاكر الفقيد فى ذلك وفى وسائل تلافيه فعرض عليه ان يكون للمعارف مجلس أعلى يكون له الحكم الفصل فى ادارة المعارف العمومية ويكون الناظر منفذا لما يقرره فانفذ ذلك رياض باشا وجعل صاحب الترجمة عضوا فى هذا المجلس فكان له فيه الاقتراحات النافعة ولولا كثرة ماجعل فيه من الاعضاء الاجانب الذين كانوا يعارضون المشروعات النافعة للبلاد ثم حدوث الثورة لارتقت معارف البلاد في ذلك العهد ارتقاء عظيما . صدر الامر العالي بتشكيل هذا المجلس فى ٢٨ ربيع الآخر سنة ١٢٩٨ وقد تألفت منه لجنة للنظر في إصلاح طرق التعليم والتربية في جميع المدارس وكان الفقيد الكاتب العربي لجلساتها وكان

ويصلح ما فسد من عاداتها، بالوعظ الصحيح ، والارشاد الحقيقي،ويطل من نافذة ثالثة على الجرائد العربية فيعلمها حسن التحرير ويربيها على الصدق في القول ويجعل للصادق منها سلطانا نصيرا ، وتأثيرا مأثورا، يالها من عمامة شرفت برأس صاحبها حتى حسدتها الطرابيش ، وهابتها التيجان والبرانيط، ونذكر هنا على سبيل الفكاهة ان بعض الكبراء رغبوا الى الاستاذ الامام في ذلك العهد أن يستبدل الطربوش بالعمامة لان صاحب العمامة لا يرتقي الى مراتب الرؤساء والنظار كصاحب الطربوش فأبى عليهم ذلك فأرادوا الاستعانة عليه برياض باشا فأوهموه انه يميل الى لبس الطربوش ولكنه لا يلبسه الا بأمره فسأله فظهر له انه لا يرغب في ترك زيه وأنه اذا ألزمه بذلك إلزاما فانه يمتثل مادام في عمل الحكومة فاذا خرج من عمله عاد الى عمامته فقال رياض باشا كلا انني لا أرضى لك الطربوش لانني أحب أن يعلم الناس انه يوجد تحت العمائم من العقول والافهام مثل ما يوجد تحت الطرابيش وغيرها . فلله در رياض باشا وجزاه الله الخير فانه هو الذي أحضر السيد جمال الدين ومكن له في أرض مصر وهو الذي كان السبب في ظهور مواهب الشيخ محمد عبده في أول نشأته حتى انه حكمه في انتقاد نظارة الداخلية وهو أحد العمال المتوسطين فيها

كان من أثر مراقبة ادارة المطبوعات للجرائد ان اجتهد أصحابها في انتقاء المحررين وقد أنذر عامله الله تعالى باحسانه مدير جريدة شهيرة بمنع جريدته اذا لم يختر لها محررا صحيح العبارة في مدة عينها ففعل ذلك ذلك المدير . ولم يكن يأذن بطبع كتاب من الكتب الضارة . وكان من أثر انتقاد كتاب الحكومة أن نبه شأن المجيدين منهم وفتحت مدارس ليلية

وانها لأمنية يتلجلج على ذكرها السلطان والامير ، ويسيل لتوهمها لعاب الناظر والوزير، ولكن تقف دونها الآمال حسرى ، وتنحني أمامها العقول حيرى ، وتكبو فى غاياتها جياد السياسة ، ويصغر عن الطمع فيها أهل الرياسة ، ثم تسمو اليها تلك الهمة ، وتستنزلها من أعلى القمة ، ولولا الفتنة العرابية لجعل لنا ذلك العضو أو الكاتب ، سيطرة على مدارس الاجانب، على ما كان لهم فى ذلك الزمان ، من النفوذ والسلطان ، فكيف لو كان ذا منصب أعلى ، ونفوذ أقوى ،

(دعوته نظارة الاوقاف الى الاصلاح)

كان لنظارة الأوقاف من حظ إرشاده نفعنا الله بعلومه وآثاره نحو ما كان لسائر النظارات ومصالح الحكومة وكان من تأثير إخلاصه أن عزمت هذه النظارة يومئذ على عمل جليل وهو أن تصل دار الكتب المصرية (الكتبخانه) ومدرسة دار العلوم بالازهر وتوسع دائرة المدرسة بحيث تدرس فيها جميع العلوم ويبلغ عدد طلابها ٥٠٠ طالب ويكون المتخرجون فيها هم المقدمين فى أعمال الحكومة ولو تم هذا لكانت الاوقاف ينبوع الحياة لهذه البلاد . ولكن حال دون هذا ودون ما كانت الحكومة شرعت فيه من الاصلاح الاداري والقضائي والعسكري تلك الفتنة المشؤمة

الثورة العرابية

علم مما تقدم ان البلاد المصرية كانت فى أواخر إمارة إسماعيل باشا فى ظلمات بحر من الظلم لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض - ظلمة الجور والظلم وظلمة الفقر والفاقة وظلمة الشرور وفساد الاخلاق والآداب وظلمة تحكم الأجانب وسيطرتهم

له فيها الآراء الصحيحة والحجج القيمة على مايطلب من الاصلاح

اذكرمن اقتراحه شيئا سمعته ولا ادعي انني أحطت به كل الاحاطة وهو انه اقترح مرة على المجلس ان يطلب من الحكومة مبلغا عظيما من المال يوزع على المدارس الاجنبية مكافأة لها على خدمة العلم ونشره في البلاد فهش الاعضاء الاوربيون لهذا الاقتراح وعارض فيه بعض الاعضاء الوطنيين ووافق الآخرون الذين عرفوا مايرمي اليه المقترح فتقرر بأكثر الآراء . ثم انه اقترح في جلسة أخرى أن يقرر المجلس وجوب جعل المدارس الاجنبية تحت مراقبة نظارة المعارف لينظر مفتشو النظارة فى نظام التعليم فيها فهش الاعضاء الوطنيون لهذا الاقتراح وعارض فيه الاجانب فأقام عليهم الحجة بأن جميع الدول الاوربية تراقب جميع المدارس التي تأخذ منها إعانة وتفتش مدارسها اذ يجب على الحكومة أن تعلم انها لاتضيع دراهمها بل تنفقها فيما ينفع بلادها . فقال بعضهم ان هذا قول حق وانما نعارض الآن فى هذا الاقتراح لاننا نعلم أن المعارف فى مصر منحطة وانما اجتمعنا لترقيتها وأرباب المدارس الاجنبية مرتقون فى العلوم والمعارف ولا يصلح السافل للاشراف على من هو أعلى منه ولا المنحط للحكم على المرتقي . فقال الفقيد رحمه الله تعالى كان يصح هذا الدفاع لولم تكن أنت ورفاقك من أعضاء مجلس المعارف المصري فاذا كان الطلب فى نفسه حقا وعدلا فلا يصح أن يرفض لان المعارف العمومية لم ترتق فى البلاد المصرية لان عدم ارتقاء المعارف وانتظام المدارس لاينافى وجود أفراد من الموظفين فى النظارة من الاوربيين أو المصريين المتعلمين فى مدارس أوربا العالية يصلحون لتفتيش المدارس الاجنبية : فنهضت حجته وتقرر اقتراحه .

كان ينتقد على زعماء الثورة بالقول خطابة وجدالا فى انديتهم وسمارهم وبالكتابة فى الجريدة الرسمية حتى أرسل اليه عرابي مرة من يتهدده ويقول انك أهنت الشرف العسكري بما كتبت عن الجيش ورؤسائه . أرسل اليه ضابطين الى تلك المطبوعات من الداخلية فطردهما وهددهما بالضرب اذا هما لم يخرجا . وكان عرابى وأعوانه ينفضون من المجلس يدخل فيه

زار مرة طلبه باشا فى أيام عيد الفطر فاذا بعرابي وأعوانه جلوس يتكلمون فى الاستبداد والحرية والحكومة المطلقة والحكومة النيابية الدستورية واتفقوا على أن الأمن على الارواح والاموال ، وصعود الامة في مراقي الكمال ، من آثار الحكومة المقيدة بلا جدال ، وان هذا التحويل قد آن في مصر أوانه ، وأدركها إبانه ، فعارض الاستاذ فى ذلك وقال ان أول مايجب ان يبدأ به التربية والتعليم لتكوين رجال يقومون بأعمال الحكومة النيابية على بصيرة مؤيدة بالعزيمة ، وحمل الحكومة على العدل والاصلاح ومنه تعويدها الاهالي على البحث فى المصالح العامة واستشارتها إياهم فى الامر بمجالس خاصة تنشأ فى المديريات والمحافظات ، وليس من الحكمة أن تعطى الرعية مالم تستعد له فذلك بمثابة تمكين القاصر من التصرف بماله قبل بلوغ سن الرشد وكمال التربية المؤهلة والمعدة للتصرف المفيد. فطفق عرابي يجادله هو وأحد أساتذة المدرسة الحربية وكان مما احتج به النقيد عليهما أن الأمة لو كانت مستعدة لمشاركة الحكومة في ادارة شؤونها لما كان لطلب ذلك بالقوة العسكرية معنى فما يطالب به رؤساء العسكرية الآن غير مشروع لانه ليس تصويرا لاستعداد الأمة ومطلبها ويخشى ان يجر هذا الشغب على البلاد احتلالا أجنبيا يسجل على مسببه اللعنة الى يوم القيامة ،

على الحكومة بحجة المراقبة المالية لمالهم من الديون على اسماعيل باشا وسلطتهم على الرعية التي أغرقها في الاستدانة منهم كثرة الضرائب والجزى، وكثرة الضرب وسوء الجزا ، . وكان يظهر من غمرات هذه الظلمات بصيص من النور في مواضع مختلفة لمعت جذوة منه في الازهر فنفخ الشيخ عليش نفخة أخمدتها ولكنها ما أطفأتها ثم كان هذا النور يظهر في معاهد خاصة فنعشو اليه الابصار، ويسير في ضوءه من سار ، حتى أشرق وتلألأ في ادارة المطبوعات، وانتشر نوره في سائر الجهات، وكان ما كان من أخذ الحكومة والناس بوسائل الاصلاح ومقاصده فرحين مستبشرين بأميرهم الجديد (توفيق باشا) لعفته عن أموالهم ، ورغبته في إصلاح حالهم ، وبوزيرهم العامل المخلص (رياض باشا) واذا بناجم الفتنة قد نجم ، وطائر الشر قد وقع ، إذ هب ضباط الجيش من المصريين يطالبون بحقوقهم ، وأيديهم على مقابض سيوفهم ، وتلك هي مايسمونه بالثورة العرابية

لا يعنينا في هذا المقام خبر هذه الثورة ولا تاريخها وانما يعنينا أن نبين في تاريخ أستاذنا انه كان كارها لها منددا بزعمائها وهو يذمهم لانه كان يعلم انها تحبط عمله الذي مضى فيه ، وكل إصلاح تعمله الحكومة أو تنويه ، وانها تمهد للأجانب سبيل الاستيلاء على البلاد بل كان هو واستاذه يتوقعان ذلك من سيرة اسماعيل باشا وقد صرح السيد بذلك في خطبه وفي بعض ما كتب وطبع لذلك العهد وحاول أن يحول دون ما يخشى ويتوقع بالسعي في الاصلاح فليس مانقوله عن أستاذنا من أنه كان لا يجهل خطر الثورة بالحدث والرجم بالغيب ، بل هو قول مؤيد بالدلائل وثابت بالرواية الصحيحة عنه وعن الصادقين من العارفين بما كان .

بسائر الناس وإزالة امتيازاتهم واستئثارهم بالجاه والوظائف ومشاركة الطبقات الدنيا لهم فى ذلك فكيف حصل فى هذه المرة ومن أهل هذا المجتمع ؟ (قل) فهل تغيرت سنة الله فى الخلق وانقلب سير العالم الانساني أم بلغت الفضيلة فيكم حداً لم يبلغ اليه أحد من العالمين حتى رضيتم واخترتم عن روية وبصيرة أن تشاركوا سائر أمتكم فى جاهكم ومجدكم وتساووا الصعاليك حبا بالعدالة والانسانية ؟ أم تسيرون الى حيث لا تدرون ، وتعملون مالا تعلمون ؟ : وأمثال هذا الكلام الذي فهمه بعضهم نطقوا ينغضون رءوسهم وثقلا على أفهام الاخرين

«هذا ماقاله الشيخ محمد عبده فى أعظم مجتمع لرؤساء العرابيين ولو كانوا يعقلون لرجعوا به الى رشدهم ولكن الامة لم تكن استعدت لفهم ارشاد هذا الحكيم ولما تستعد الى الآن ، ولهذا الاستاذ ان يتمثل بقول ابن الفارض رحمه الله تعالى

ونهج سبيلي واضح لمن اهتدى ولكنها الاهواء عمت فأعمت

هذا ما كتبناه منذ أربع سنوات كاملة . ولا حاجة الى كثرة الشواهد والوقائع في هذه السيرة المختصرة

ولا يلتبسن على القارىء معارضة الاستاذ الامام للعرابيين فى مشروع مجلس النواب وتقييد السلطة مع أنه كان الداعي الثاني الى ذلك بعد أستاذه وأول من تلقى ذلك عنه فانه كان يحاول أن يكون ذلك برضى الامير وحكومته لا بالخروج عليه وأن يكون فى البداية من قبيل التمرين والتعويد مقرونا بالتربية والتعليم الى أن تبلغ النابتة الجديدة أشدها، وتصل من طريق الحكمة الى رشدها، وقد رأيت كيف كان التوسل منه ، فيما

عند ذلك أبدى المجادل نواجذه لغير تبسم وقال أرجو أن لا استحق هذه اللعنة وليس الجند هو يطالب مجلس النواب ولكنه مؤيد لطلب أعيان البلاد ووجهائها، ثم أسر الى الاستاذ ان سلطان باشا جمع الاعيان لهذا الطلب.

وقد كتبنا فى ص ٥١٢ من مجلد المنار الرابع ردا على صحافي عرض بأن الاستاذ الامام كان من أركان الثورة العرابية نذكره هنا وهو

« عرض هذا الانفجاني المتذفح بذكر الفتنة العرابيــة ويا ليته كان يعرف حقيقة الفتنة العرابية ويعرف المتهورين فيها والناصحين لهم بالاعتدال فهو لا يعرف ولا يحب أن يعرف واذا أحب فليسأل العارفين ، وليراجع كتابة الكاتبين ، وعند ذلك تظهر له مزية من عرض به ان كان من المنصفين، يظهر له أن هذا الرجل الكبير العقل البعيد الرأي كان ينتقد أعمال عرابي وتهوره فى جريدة الوقائع الرسمية فى القسم الادبي منها على حين ترتعد فرائص قصر الخديوية من عرابي وحين يرى هــذا المنتقد الشجاع ان رئيس النظار ينزل من ديوانه بأمر عرابي مكرها ويسمع من أتباعه ما يكره . وتظهر له تلك الخطبة التي خطبها هذا الرجل العظيم فى زعماء الثورة العرابية عند ما ألزموه بحضور مجتمعهم وان يقوم فيهم خطيبا . ماذا كان موضوع خطبته ؟

« كان موضوعها بيان تاريخي بأن المعهود فى سير الامم وسنن الاجتماع أن القيام عـلى الحكومات الاستبدادية وتقييد سلطتها وإلزامها بالشورى وبالمساواة بين الرعية انما يكون من الطبقات الوسطى والدنيا اذا فشا فيهم التعليم الصحيح والتربية النافعة وصار لهم رأي عام ، وانه لم يعهد في أمة من أمم الارض ان الخواص والاغنياء ورجال الحكومة يطلبون مساواة أنفسهم

الدين في نظر العقل الصحيح

﴿ المقالة الثانية ـ لصاحب الامضاء ﴾

النبوة

النبوة إصلاح في الارض من قبل الله تعالى على يد شخص يصطفيه من بين خلقه . معنى أنها من قبل الله أنها ليست مستمدة من معلومات من جاور هؤلاء المصطفين الاخيار من الاقوام . بل هي أرقى بكثير مما عليه الناس وماوصلوا إليه . وفائدتها تقدم العالم بسرعة إلى الامام وإصلاح ضمائر الخلق وماتكنه صدورهم بسبب ماتوجبه من الايمان باليوم الآخر ومافيه من عقاب أو ثواب وبذلك تستقيم أمورهم في السر والعلن ذكرنا الايمان باليوم الآخر وحده ولم نذكر الايمان بالله مع أنهما مرتبطان أتم ارتباط لأن الاول لا سبيل للعقل أن يجزم به بدون النبوة بخلاف الثاني فالعقل وحده كاف لمعرفته ومعرفة صفاته كما بيناه آنفا . إذاً الغرض الاكبر من النبوة حمل الناس على الايمان بذلك اليوم وإصلاح حالهم الدينية والدنيوية إصلاحا لا يصلون إليه بأنفسهم ولو بعد مئات من السنين إن لم نقل آلاف منها . هذا ولما كان محمد عليه السلام المثال الاكبر للانبياء وتاريخه أقرب عهداً وأصح سنداً رأيت أن أتكلم على حياته بمايقتضيه المقام . ايضاحا لما أجملته فيما مر من الكلام . وهذا يستلزم ذكر أحوال العالم في ذلك الوقت ثم أحواله عليه السلام وماأتى به من الاصلاح في الارض ولذا أبدأ الآن بوصف حالة العالم في عصره فأقول

كثرت المشاغبات في الدين ، وطمس نور الحق بين العالمين ، تشعبت الآراء ، وتعددت الاهواء ، وعبد كلٌ ماشاء الشيطان من الاباطيل . عم السجود للاوثان ، وعبدت الصور والصلبان ، واعتقد الناس الالوهية في التماثيل . خلط الخلق في شأن اللاهوت ، وتوهموا ظهوره في الناسوت ، فاتخذ البشر آلهة من دون واجب الوجود . سهل على الناس اعتقاد السلطة في بعض الافراد ، وظنوا ان بيدهم الاشقاء والاسعاد ، فهابوا مقامهم ، واعلوا شأنهم ، فطغى أولئك وبغوا ، وافتروا ماشاءوا من الاحكام . وقالوا لما تصف ألسنتهم الكذب هذا حلال وهذا حرام . اصبح الناس عبيداً اذلاء . في جهالة عمياء ،

رويناه لك عنه، وهو لم يفارق القوم المطالبين بالصلاح عند مهب الفتنة، ويلجأ الى قصر الامارة أو يتفيأ ظلال العزلة، لانه في فكره وسط بين الطرفين ، وفي عمله بين المصلحتين، وقد قال لعرابي مرارا كثيرة عليك بالهدوء والسكينة وأنا أضمن لك أكثر مما تطالب في بضع سنين ونهاه بعد ذلك عن محاربة الانكليز

انتهت الثورة بالاحتلال الانكليزي وقبض على زعمائها وألقوا في غيابة السجن ليحاكموا فيقتلوا تقتيلا . وجعل الفقيد منهم لامر ما وصدر الامر بأن تكون محاكمتهم بالقانون الانكليزي وعين لهم محام انكليزي جاءهم فسمع منهم وكلفهم ان يكتبوا دفاعهم بأيديهم كل يكتب عن نفسه، ولا يطعن في غيره ، فلم ير في كتابة أحد ما تقوم به الحجة ، وتقعد به التهمة ، ويدل على الغوص في أعماق الحوادث ، والاحاطة بما لها من الأسباب والنتائج . الا ما كتبه وما قاله فقيدنا بالامس ، وقد زاد المحامي على بيان ذلك ان اشعره بالخفايا ، وأطلعه على ما في زوايا القصر من الخبايا ، كقوله ان الحاشية خاطبت محافظ الاسكندرية بلسان البرق بكذا في يوم كذا وعدد كذا بأن يفعل كيت وكيت . وأعطاه من المستندات ما يقلب وجه المسألة ، ولا ترضى إظهاره السياسة، وسنشرح ذلك في تاريخ الفقيد بالتفصيل . حكم على عرابي ورفاقه المعروفين بالنفي الابدي وعلى صاحب الترجمة بالنفي ثلاث سنين وثلاثة أشهر . وقد كان النفي بلاء وشقاء على كل المنفيين حاشا الامام فانه كان رحمة له ونعمة عليه ومزيدا في كمال علمه وتربيته وسببا لنشر علمه في بلاد كثيرة ذلك انه كان من أهل الاخلاص والتقوى فجعل الله تعالى له من كل ضيق فرجا ومخرجا بل بدل له النقمة نعمة والسيئة حسنة فكان مبدأ حياة جديدة له نبينها فيما يلي هذا .

لا يشاهد وهو يستعمل القراءة والكتابة في شؤونه الخاصة •

(٦) لو كان ابتدأ بتعلم القراءة والكتابة لا قصد دعوى النبوة لاظهر افتخاره بذلك وجاهر به ولو كان لقصد دعوى النبوة فمن البعيد جداً أن يدبر حيلة كهذه وخصوصاً إذا أضفناها الى غيرها مما يسميه أعدؤه حيلا فانها تغيب عن أذهان الفلاسفة والسياسيين لانهم اذا دبروا عدة حيل يظهر أمرهم ولو في إحداها على ممر الازمان فكيف يتأتى لواحد مثل محمد في أول نشأته أن يدبر كل ذلك بنفسه ويكتمه حتى يصير كهلا ولا يفتضح أمره مرة واحدة إن ذلك لبهتان عظيم

والخلاصة أن حاله ووسطه الذي تربى فيه كان اليتم والفقر والجهل والامية، والاوهام والضلال والوثنية ، وقد احتاط به فساد الاخلاق من جميع الجهات، والتف حوله عشيرته الغارقة في بحر من الخرافات والترهات، فكيف كان تأثير ذلك في نفسه ؟؟ ام يكن له ذلك التأثير المعهود بل نشأ منشأ يخالف ما عليه أهله وقومه • بغضت اليه الوثنية في مبدأ عمره • فلم يعرف عنه أنه سجد لصنم قط أو احتفل بمعبود مع أهله • كانوا يشربون حوله الخمور، وينغمسون في الشهوات والفجور، وهو بعيد عنهم منكر عليهم، كانوا يشتغلون بالتافه من الامور ويثيرون الحروب لمسائل واهية ولم يكن هو منهم، كانوا يقومون ويقعدون، ويتفانون ويقتتلون لقصيدة أو بيت شعر وهو لا يحفل بذلك ولا يجاريهم عليه • ماذا كانت حاله اذاً ؟؟ الجد والاستقامة دأبه، والصدق والامانة طبعه، حتى عرف بين أهل مكة بالامين وهو في ريعان شبابه • ينهمك الشبان عادة في الشهوات ولو كانوا معلمين مهذبين ولكنه هو يتزوج العوان ويبقى معها الى ما بعد الاربعين حتى حين وفاتها ولا ينظر الى سواها ويعيش معها بكل طهارة وعفة فلم يسمع عنه أنه ارتكب منكراً في زمن شبابه أو علق بحب فتاة أو مال الى عشقها مع أن قومه كانوا غارقين في هذه البحار وقصائدهم تشهد بذلك . ماذا كان شغله اذاً ؟؟ كان شغله رعي الاغنام ثم التجارة ثم التعبد في الخلاء والتحنث بمناجاة الله تعالى

قام عند بلوغه الاربعين بدعوى الخلق الى عبادة الحق وقرر ان للعالم إلهاً واحداً بريئاً من كل ما ينسبونه اليه مما لا يليق به وثبت ذلك بالحجج الدامغة وأمر الناس باستعمال الفكر والعقل في كل شيء ونهى عن التقليد وحض على النظر في الموجودات • اطلق للناس الحرية الصحيحة

اشتغل الرؤساء بالمطامع الشخصية، وتفانوا في الحصول على لذاتهم البهيمية، واخذوا العويص من المسائل الدينية ذريعة للمشاجرات والمماحكات. فتعددت البدع وكثرت الفرق وظهرت مذاهب الاباحيين والدهريين ، اثار كل رئيس من تحت يده من المرءوسين ، واشهروا الحرب على الآخرين فأريقت دماء العالمين.

هكذا كان حال الامم في كل بقعة من الارض وفي بلاد العرب ادهى وامرعم الفساد وزاد العناد وزال العلم وحل الجهل وفسدت الاخلاق في سائر الآفاق

ليس ماذكر تخيلات شعرية ، ولا افكار وهمية، بل هي حقائق تاريخيه، اتفق عليها اهل العلم، ولم يشذ عنهم ذوفهم؛

ظهر في هذا الوسط الجاهل والظلام الحالك، الذي يضل فيه كل سالك، محمد العربي والنبي الامي . ونشأ يتيما فقيرا لا أب له يهذبه ويربيه ولا معلم يرشده ويهديه

قد يزعم بعض المجادلين انه تعلم القراءة والكتابة ليدفع بذلك ماسيأتي على سمعه من قوة البرهان ولكنه وهم نزيله بما يأتي من الدلائل الواضحة:

(١) إن الجمهور الاعظم من امته كان اميا إلا نفراً قليلا فاذا أضفنا إلى ذلك يتمه وفقره وامينه فلا نجد أي حامل يحمله على تعلم القراءة والكتابة إذ أولى له أن يسعى على عيشه من أن يصرف وقته في الحصول على شيء لا يعرفه الا القليل ممن جاوره

(٢) تعلم القراءة والكتابة يحتاج إلى زمن ليس بقصير وخصوصاً في بلاد ليس فيها دور للعلم ولا كتب ولا مدرسون فلو سعى في تعلمهما لوجد مشقة عظيمة ولما أمكنه إخفاء أمره إذ لابد أن يشاهده الناس ولو مرة واحدة . مع أنه كان يجاهر بأميته على رؤوس الاشهاد ولم يوجد من يعارضه (وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون)

(٣) لم يعهد عنه أنه كان يعاني أحداً ممن اشتهر بمعرفة القراءة والكتابة قبل نبوته

(٤) لو كان أحد من الناس يعلمه لاضطر النبي إلى تقديمه على أصحابه ولاظهر له احتراماً زائداً ولفاه المعلم بذلك لبعض الناس مع أنه لم يحصل شيء من ذلك مطلقاً

(٥) لم يشاهد أنه في منزله أو خارجه قبل النبوة أو بعدها كان يستعمل قرطاساً أو قلماً في تأليف شيء ما أو تدوينه فلو فرضنا أنه لم يشاهد وهو يتعلم فيبعد جداً أن

الاجنبية وما به إرضاء خديجة التي بعثته إليهم او يجهد نفسه في البحث عن عالم ليس من امته ولم يكن على عقائدهم ويرضخ له حتى يبث في قلبه كل هذه التعليمات ويسلم له فيما خالف معتقد آبائه وأجداده . وان زعم انه حصل ذلك في بلاده فهو غير ممكن لاسباب :

(١) انه كان يشاهد يفعل ذلك ولو مرة واحدة

(٢) ان المعلم له إما انه كان من الوثنيين وهذا لا يمكن أن يعلمه ما في التوراة والانجيل وغيرهما من عقائد الموحدين واما انه كان من اليهود وهذا لا يمكن أن يعلمه أخبار المسيح وأمه والاقرار لهما بالفضل والنزاهة واما انه كان من النصارى وهذا لا يعلمه أن ينكر لاهوت المسيح ولا التثليث ولا الصلب ولا أن يرمي النصارى بالتحريف في كتبهم ولا غير ذلك مما يوجد في القرآن من الانكار عليهم واما انه كان من المبتدعين ومثل هذا أولى أن يشتهر بين الناس بنفسه أو يعرف له علاقة في التاريخ بمحمد عليه السلام تؤهله أن يتعلم منه

(٣) أي حامل يحمل هذا المعلم على اجهاد نفسه وصرف وقته في تعليم هذا العربي الامي ولم لم يدع الناس الى هذه الاشياء بنفسه او يختار احداً ممن اشتهر بشعر او بخطابة أو شيء من العلم أو كان له جاه أو أعوان أو مال او غير ذلك مما يكسب المهابة في قلوب الناس

(٤) انه من الصعب جداً ان يقدر احد من الناس ان يهذب هذا الامي كل هذا التهذيب وان يخرجه من عقائد آبائه واجداده ويدخل في ذهنه مسائل النبوة والوحي والتنزيه والتوحيد ويجعله يعتقد ذلك اعتقاداً يقينياً الا اذا كان هذا المعلم مقتدراً عالماً حكيما ومثل هذا لم يعرف له ذكر في بلاد العرب ولا فيما جاورها فكيف لم يشتهر بالعلم والفضل وأي مؤرخ لذلك العهد ذكر كلمة عن احد مثل هذا متمسكا بما يوجد في القرآن من العقائد والعبادات والمعاملات والاخلاق والمبادىء وغيرها

(٥) لم لم يسر هذا المعلم الى احد بأنه يعلم محمداً ويهذبه وما الذي حمله على اخفاء هذه المسألة وكتمها هذا الكتمان المطلق

(٦) لم لم يشاهد محمدا يحترم أحدا قبل نبوته اكثر من غيره او يلوذ به

وحرم عليهم الخضوع لرئيس في الدين أو لأي أحد سوى رب العالمين ومنعهم من الالتجاء إلا إليه مباشرة وأمرهم بالاستعانة به وحده، أعطى الروح والبدن ما يطلبانه بشرط أن لا يضرهما ولم يحث على المبالغة في الزهد ولا الرهبانية بل أمر بالسعي والعمل وتصريف الأعضاء فيما خلقت لأجله مع مراعاة أن لا يضر ذلك بالمرء أو غيره، أباح الطيبات وحرم الخبائث. وأمر بالعدل والمساواة ومسالمة المخالفين في الدين ومعاملتهم بالتي هي أحسن والتوفيق بيننا وبينهم ونهى عن الإكراه في الدين وأوجب تأمين الراغبين في النظر فيه ولو وقت الحرب (وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون) إلى غير ذلك مما لم تهتد إليه الناس في الغرب إلا بعد أن وصل إليهم شعاع من نور الإسلام في الشرق، فارجع البصر إلى تاريخ أوروبا قبل الإصلاح الديني بلوثر وقبل الإصلاح السياسي بالثورة الفرنساوية لتعرف ما كانوا عليه، أتى مع ذلك بجميع الأخلاق الفاضلة المعتدلة والعبادات الصالحة والمعاملات الكاملة والمبادىء السليمة والسياسات القويمة وغيرها مما كان السبب في إصلاح أمر الإنسان وتحريره من العبودية وإنقاذ العقل من الأسر ورده إلى مملكته ليحكم فيها بالقسط فنهض الشرق نهضة سريعة عالية لم يعهد لها مثيل في التاريخ ثم امتدت إلى الغرب

فهذه هي آثار ذلك الأمي وهذه هي أعماله فبماذا يجيب الضالون؟

زعم بعضهم بعد أن سلم بأميته أنه لا بد أن يكون تلقى ما أتى به من أخذ الناس بالمشافهة فنجيب بأن ذلك التلقي المزعوم إما أن يكون حصل قبل النبوة أو بعدها

فإن كان قبل النبوة فإما أن يكون حصل ذلك في بلاده أو في غيرها أما في غيرها فهو لم يسافر إلا إلى بلاد الشام وذلك مرتين الأولى مع عمه أبي طالب قبل بلوغه رشده والثانية في سن الخامسة والعشرين مع غلام خديجة وفي كلتيهما لم يكن منفرداً ولم يشاهده أحد من التجار المسافرين معه يتلقى العلم عن أحد ولم يغب عن قومه إلا مدة التجارة وإلا لو غاب عنهم بضع سنين لقالوا له أين تعلمت هذا مدة غيابك عنا وهم لم يفوهوا بمثل هذا مع أنهم كانوا يحاولون أن يلصقوا به هذه الشبهة وهي التعلم من الناس وأيضاً فأي خامل يحمل هذا الفقير الذي نشأ هذا المنشأ الذي بيناه ولم يوجد من يتفقده ويرشده فكرة الفضيلة والعلم حتى يترك ما يقتات به وهو في نشأة البلاد

سوى ما أخـذه باقرارهم جميعاً عن كتاب الله وحديث رسوله فان كان هـذا العلم موجودا في عصر النبوة فلم لم يشتهر قبل دعوى محمـد بالعلم والفلسفة ولم أخفى نفسه حتى ادعى محمد النبوة ولم لم يظهر بين العرب حتى تجله وتحترمه احترامها لمحمد وأي شيء استماده حتى يكتم كل هذا فيالله من التعصب الذي يعمي ويصم

علمت مما تقدم أنه كان أمياً وأنه لم يتلق العلم عن أحد شفاهياً فكيف أتى بما أتى وكيف عمل ما عمل ؟؟ شيء آخر في تاريخه وهو أنه لم يجار العرب في الاشتغال بالشعر أو النثر أو الخطابة أو غير ذلك مما كانت تتفنن فيه العرب ولم يشتهر بينهم بشيء من ذلك مطلقاً ولم ينقل عنه أنه قال كلاماً في منتهى البلاغة قبل نبوته وكان قليل العناية بمجتمعاتهم وافتخارهم بنثرهم ونظامهم فكيف أتى بهذه البلاغة الخارقة للعادة؟ وكيف أتى بهذا الاسلوب المعجز واخترعه ، وكيف لم يوجد فرق في البلاغة بين أول ما نزل من القرآن وآخره مع أن العادة أن الانسان يتـدرج في الشيء فيكون آخر ما أتي به أحسن مما ابتـدأ بانشائه وكيف يكون الكل معجزاً مع أن المعتاد من البلغاء أن يكون بعض كلامهم في منتهى البلاغـة والبعض الآخر ليس كذلك ، كيف لم تجد العرب إعجازاً في كلامه الذي ينسبه لنفسه قبل النبوة أو بعدها مع أنه لم يظهر عليه شيء يدل على عنايته بانشاء أحـدهما دون الآخر بل كثيراً ما كان يقول أحدهما في عـين الظروف التي يقول فيها الآخر بدون تكلف أو تحوير فيما يلقيه من أول وهلة ، كيف أمكنه الجزم بأن جميع الناس لن تقدر على الاتيان بكلام مثل القرآن منفردين ومجتمعين ويخبر بذلك قبل وقوعه ويصدق خبره (فان لم تفعلوا ولن تفعلوا) الآية وغيرها فما هذه الحجج الملجمات وما هذه البراهين المفحمات؟

قام بالدعوة الى الله وحده ولا حول له ولا قوة والناس حواليـه ، أحباء ما ألفوا أعداء لما دعوا اليه ، فـسفه آراءهم ، ونكس أصنامهم ، ولاقى بسبب ذلك منهم مالاقى مما يثبط الهمم ويذهب بالعزائم لولا تثبته في امره وجزمـه بالظفر والنجاح ، نجا من جميع الشراك التي كانت تنصب له في الحروب وغيرها وسلم من الدسائس التي كانت تعمل له والتربصات لقتله غيلة التي كانت تعقد عليه ووعد اصحابه بالنصر والفتح والتمكين في الارض والخلافة فوقع كل ذلك لهم وصدق في جميع ما اخـبر به من المغيبات ، تحققت نبوته وصح اخباره بانتصار الروم على الفرس في السورة المعروفة مع أنهم كانوا في حالة

ويلازمه كما هو شأن التلميذ مع معلمه

(٧) اي شيء ألزمه الصبر اربعين سنة ولم يجعله يسارع الى دعوى النبوة ولم لم يبادر الى سرد القصص التي تعلمها مرة واحدة . وكذلك الاحكام والعقائد وغيرها خوفاً من الذهاب من الذاكرة والنسيان وهو الامي الذي لا يمكنه ان يستعمل مذكرة لشيء مطلقا خوفا من ان يطلع عليها احد وهي . . . شأن الذي يريد ان يدعي شيئاً مثل هذا ان يظهر عليه عدة محاولات تدل على ماتطويه سريرته ثم يجرأ فيزداد شيئاً فشيئا لا ان يسكت اربعين سنة ثم يندفع بدعواه مرة واحدة بعزيمة واحدة قوتها في الاول كقوتها في الآخر

(٨) كيف ان هذه الفكرة لم تأخذ بلبه ومشاعره فتجعله مشتغلا بها طول السنة وكيف يتناساها إحدى عشر شهرا ويشتغل بها شهر رمضان فقط من كل سنة فيستمد فيه لما سيدعيه كما يزعمه اولو الاهواء في عزلته السنوية . عادة المفترين ان تأخذ مثل هذه النيات بحواسهم وعقولهم حتى يظهر للناس انهم دائما في انشغال بال ولكن النبي ما كان يشغله شيء عن شيء والا لانهك الفكر بدنه وصار سقيما وكانت قواه العقلية من كثرة الحيل وتعدد الصعوبات التي كان يلاقيها فتضعف عن ان تدبر كل ما كان يدبره لولا الارشادات الالهيــة والالهامات الربانية . وكيف علم انه ان ينقضي اجله حتى تم القرآن في آخر سنة من حياته ويأمن على نفسه فيأتي به نجوماً نجوماً

وان كان التعلم حصل بعد ظهوره بالنبوة

(١) فكيف ابتدأ دعواه على جهله وأي منبه قام بفكره حتى حمله على ذلك وكيف ضمن أنه يجد من يعلمه

(٢) لم لم يشاهد مرة يلجأ الى أحد الناس ليتعلم منه

(٣) لم لم يقدم هذا المعلم ويفضله على أصحابه أو يوصي له بالخلافة ولم بقي معلمه مرؤوسا له ولم يكن رئيساً عليه (راجع أيضاً الاوجه السابقة)

(٤) لم لم يوجد بين أصحابه من كان يأنف من أن يتلقى العلم عنه ويخضع لامره وينتهي بنهيه فان كان هذا المعلم حتى ساوى نفسه بأصحابه هذا . ولم يعرف أحد منهم ممتازا بعلم

على ماوقع منه كأنه لم يكن يعرف عواقب الامور . أليس من المعهود ان الانسان يقع في بعض غلطات من كان يجهل كلامهم معتمدة فيما يعتقد انه صواب فلماذا لم يقع محمد في خطأ واحد من خطأهم

كيف سلم كلامه من الغلطات في المسائل العلمية التي كانت منتشرة بينهم في ذلك الوقت كاعتقادهم ان الشمس وقفت لفلان او رجعت بعض درجات وان الحية لاتأكل إلا التراب مع انها لاتأكل التراب وكالأوهام في شأن جنة عدن وما ذكر معها من الانهار مما لا يصدق به الا الجهلة من اهل التحريف الى غير ذلك مما كان ذائعاً بينهم ولا يزال الى الآن . هل يعرف الامي الذي نشأ في وسط الجهل وفي زمن الجهل ماصح من المسائل وما فسد منها حتى انه لايقع في كلامه الا الصحيح مع أن انتشار الخرافات والاقوال الفاسدة كان بحيث اذا كلف فيلسوف بانتقاده واختيار صحيحها لوقع في الوهم والحكم على بعض الصحيح بأنه باطل وعلى كثير من الباطل بأنه صحيح وخصوصاً في ذلك الزمن وفي تلك البلاد العربية التي كان فيها العلم عبارة عن مجموع خرافات للعجائز اختلطت بشيء لايخلو من الصحة من بعض الوجوه فما بالك بمحمد الامي والرجل العامي .

أيتصور ان هذا الرجل الذي كان يعتقد في اهل الكتاب انهم غاشون ماكرون يحرفون الكلم عن مواضعه ويفترون على الله الكذب ويكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلا أيتصور منه وهو يعرف كل هذا عنهم ان يثق بأقوال يسمعها من افواه الجهلة منهم ويزعم بعد ذلك أنها من عند الله مع انه ما كان يثق بقول اعظم عالم من علمائهم بل كان يرميهم بأنهم لايفهمون حقائق ما عندهم من الكتاب وأنهم يختلقون اشياء كثيرة لتضليل عامتهم وغشهم . فكيف يعول النبي الذي لاينكر أحد رجحان عقله على قولهم مع انه شرح للناس مكرهم وكذبهم، وكيف لايخاف ان يكذبوا عليه ويغروه ويوقعوه في الخطأ الذي لايمكنه التخلص منه . وكيف يسلم لاحد منهم مايقوله في دينه مع انه يجوز ان يكون مخطئا ولا أثر لما يقول في الدين لما نشاهد ذلك كثيرا في المسلمين وغيرهم فكم من غلط وقع فيه الكتاب الغربيون اثناء كلامهم عن الاسلام وعن عقائدهم بسبب مايسمعونه من جهلة المسلمين .

لا يرجى منها نصر لشدة ضعفهم وقوة عدوهم وهو لم يكن من السياسيين ولا المطلعين على مواقع البلاد واحوال الامم وتاريخها فكيف يتأتى له الحكم بشيء مثل هذا ويعرض نفسه للتكذيب والخذلان مع ان المسألة ليست مما يهم كثيراً حتى يبت الحكم فيها فلولا ثقته بالوحي لما تجرأ على القول بأنهم سيغلبون في بضع سنين وعرض نفسه للسخرية والتكذيب وهو احرص الناس على عدم افتضاح امره كما يقول اعداؤه (واذا صحت قراءة من قرأ سيغلبون بالبناء للمجهول اي ان المسلمين تغلبهم فهذا ايضاً الاخبار بغيب او لم يقع لظهر كذبه) اجتمعت عليه العرب مرة احزاباً وتحددوا على محوذكره من الوجود انتقاماً فارسل الله عليهم ريحاً وألقى في قلوبهم الرعب من غير سبب ففروا انهزاماً وكفى الله المؤمنين القتال. فما كل هذه المصادفات ان صح ما يقول الواهمون الذين يتمحكون بهذه التأويلات الفارغة ويتمسكون بالتعليلات الباردة. سمعت من بعضهم بعد ان ادهشه الدليل بان النبي لم يتعلم من واحد مخصوص قولا يريد به تسكين نفسه وتهدئة خاطره وهو انما كان يسمعه النبي ممن حوله من الناس في مسائل الدين سهل عليه الاتيان بما اتى به وانه كان يتصيد معلوماته ممن جاوره من النصارى واليهود باسترا‍ق السمع منهم فاقول له مهلا ايها المعجب بتفسيراته المغرور بتعليلاته واستمع لما سأتلو عليك وانت شهيد ولا تكن ممن عن الحق يحيد؟

انه لم يكن في مكة من أهل الكتاب الا أشخاص يعدون على أصابع اليد الواحدة وكانوا من أجهل الناس وأحطهم مقاماً في الهيئة الاجتماعية وكانوا يحترفون بدنيء الحرف تخدمة بعض العرب او الاتجار في بعض اشياء حقيرة. وقد نزل في مكة من القرآن ما كان محمد في اشد الحاجة الى من يلقنه اياه فهل يسلم العقل ان علم محمد مستفاد من هؤلاء الاشخاص

هب انه كان يتصيد المسائل من نصارى العرب ويهودها فكيف أمن من الوقوع في خرافاتهم التي يجزم العقل ببطلانها كقصة شمشون وما يتعلق بقوته وشعره ونحو ذلك من الاوهام التي كانت ولا تزال منتشرة بين النصارى واليهود الى اليوم. لم تنزه كلامه عن اضاليلهم في المسألة اللاهوتية كعقائدهم في المسيح والصلب والتثليث ومصارعة الله بعض الانبياء وظهوره بمظهر شخص لم يترو فيما فعله فندم بعد ذلك

هذا هو ماننتظره في قول العامي المصري الذي ضربناه لك مثلاً أم كنا نستلقي على قفانا من الضحك عند سماع بضعة أسطر من كلامه في المسائل الطبيعية والتاريخية والعمرانية والاخلاقية واللاهوتية والشرائع المدنية والعبادات الدينية إذا حاول أن يملي علينا شيئاً من ذلك. استحضر الآن في فكرك ما أتى به القرآن . أليست الشريعة الاسلامية تضارع أعظم الشرائع كالرومانية وغيرها . أليست الاخلاق المحمدية أكمل الاخلاق لتقويم النفوس مع خلوها من الضعف وما يوجب المسكنة وإذلال النفس وغير ذلك مما ورد في غيرها من التفريط أو الافراط . أليست قصص القرآن عبرة لمن اعتبر مع بعدها عن سفاسف الامور واللغو الذي لا فائدة فيه (قارنها ببعض أسفار العهد القديم مثلا كسفري الملوك واخبار الايام) أليس من المبادىء الاسلامية مالم تهتد الناس إليه الا في العصر الحاضر (لها بقية)

محمد توفيق صدقي حكيم بسجن طره

باب التربية والتعليم

شذرات من يومية الدكتور أراسم (*)

(التربية بالتأثيرات الطبيعية)

يوم ١٤ أغسطس سنة ــ ١٨٦

صادفنا غداة اليوم على مقربة من ليما زنجيا آتيا اليها يلتمس رزقه من عرض حيوان يسمى البوما وهو الممثل للاسد في أمريكا كانت قبيلة من المتوحشين اصطادته حيا وكان ربه وهو شبه مشعوذ يؤمل أن ينال بعض النقود من عرضه على النظار

كان هذا الرجل على شدة فاقته وعجزه عن القيام بنفقة نفسه مصحوباً بصبية زنجية عليها طمر أزرق رأيت في مشيتها فزلا فسألتها بالاسبانيولية التي لا أحسنها عما أصابها فجعلها تعرج كما رأيت فكان جوابها أن ارتني إحدى ساقيها فاذا فيها جرح دام ورأيت قدميها قد ورمتا ورما مفرطاً ولما أمعنت النظر في ساقها المجروحة عثرت على طرف شوكة

(*) معرب من باب تربية اليافع من كتاب اميل القرن التاسع عشر

هل يمكن للعامي الأمي اذا سمع خليطاً من قصص بني اسرائيل من افواه آحاد الناس في مجالسهم مشوهة ممزوجة بكثير من الخرافات كما هو شأن العامة في أحاديثهم غير مرتبة على حسب وقوعها وغير مفصلة تفصيلا يزيل ما اشتبه على الافهام بحيث لا يدرى صحيحها من كذبها ان يفهم منها حقيقة تاريخهم وعقائدهم ودعوى انبيائهم ويأتي بعد ذلك بتفاصيل اهم حوادثهم وذكر اعظم رجالهم وما حدث لهم ويشير الى ترتيب ازمنتها والى بعض البلاد التي وقعت فيها والى موقعها الجغرافي كأن يومئ الى موقع البحر الاحمر بالنسبة الى مصر بقوله (فأتبعوهم مشرقين) ويأتي على القصص الطويلة كقصة يوسف وموسى وابراهيم ولوط وغيرهم ويعرف نسبة كل منهم الى الآخر ويرتبها على حسب ترتيبها الطبيعي من غير تقديم او تأخير في حوادثها او يخلط فيها مع ان هذا التاريخ اجنبي عنه وعن قومه ولم يدرسه دراسة تمكنه من ان يكتب إحدى حوادثه الكبيرة ؛ تصور حالة عامي من عامة المصريين اذا سمع اقوالا متفرقة متشعبة من افواه بعض جهلة الاوروبيين عن تاريخهم فهل يمكن هذا العامي ان يأتينا بشيء عظيم صحيح من تاريخهم مثل ما اتى به القرآن ويسرد علينا آراءهم ومبادئهم ومعتقداتهم ويذكر أهم رجالهم ونسبهم وتاريخ حياتهم وما اتوا به من الاصلاح في بلادهم وينبه على وجوه العبرة في كل ما يقص علينا وعلى ارتباط الحوادث بعضها ببعض ولا يذكر إلا الصحيح منها ويترك الاباطيل التي ألحقتها الاوهام بها . قل لي بأبيك هل هذا ممكن ؟؟ يزعم البعض أن في القرآن خطأ في هذه المسائل ويأتوننا بأشياء تعد على أصابع اليد الواحدة ويزعمون أنها غلط من غير اعتماد على دليل صحيح يعتد به . فلو كان مصدر القرآن كما يقولون هل كنا نجد فيه هذه الغلطات القليلة (على زعمهم) فقط غير الثابتة أم كنا نجد كل صحيفة ممتلئة بالاوهام والخرافات والخلط في المسائل والخبط من غير اهتداء إلى صحيحها وذلك من غير كثير عناء وتعب بل بمجرد مطالعتها كان يضحكنا ويجعلنا نهزأ بها ونتعجب من ترهاتها وخصوصاً في زمننا هذا الذي صار فيه تلامذة مكاتبنا يضحكون من أفكار بعض فلاسفة من سبقنا ويتفكهون بذكرها ولا نحتاج إلى البحث والتنقيب وصرف الوقت في الحصول على هفوة قبل أن نجدها في القرآن وإذا وجدناها فانها لاتلبث أن تزول بعد التروي والتأمل والتعمق في البحث . فهل

من مظاهر الفخامة والعظم مع اننا لم نبلغ منها الا ادنى شعافها

لا بد لي أن ألاحظ هنا ان القدماء كانوا قليلي التأثر بالجبال الشامخة من المحاسن الرائعة فانا لم نر لشعراء اللاتين من الكلام فيها الا النذر اليسير ومعظم ماقاوه استهجان واستقباح وقد يحدو بي ذلك الى القول بأنه كان يلزم ان يدهمهم من الكوارث المحزنة ما تهتز له نفوسهم وأن تستضيء بصائرهم بنور العلم ويتمكن منها الاستعداد للبحث والتنقيب الذي هو من مزايا العصور الحديثة ولو تم لهم هذا لادركوا أن في سيارنا الذي نعيش على ظهره من المظاهر الهائلة البديعة مايدعو الى الاعجاب الحقيقي اهـ

يوم ٢ سبتمبر سنة ـ ١٨٦

كسبت «لولا» دعواها وان شئت قلت خسرتها فكلا القولين صحيح باعتبار جهة النظر اضطررنا للمصالحة في هذه القضية الكثيرة الارتباك لما يقتضيه الفصل فيها من الانتظار أشهراً بل سنين فعرض على الخصم أن يعطوا لبنت السفان مقداراً زهيداً من النقود وبعض ما كان لوالدها من الارضين . والارض هاهنا لاقيمة لها اليوم أصلا مالم يستغلها صاحبها بنفسه أو بواسطة وكيل له يقيم في هذه البلاد

فأما انا وهيلانة فحاجتنا لنقيم في «ليما» بل قد انتهت مهمتنا ولم يبق الا السفر لاسيما اني تلقيت مكتوباً من الدكتور وارنجتون يدعوني الى لوندره لامور نافعة لي بينها فيه وأما (او بيدون وجورجيا فانهما خبيران بفن الزراعة خصوصاً زراعة الاقطار الحارة وليسا من ذوي العقول الضعيفة وأمانتهما تقوّم بكل مافي بلاد البيرو من الذهب ولا أرى مايمنع من العهد اليهما بزراعة أطيان «لولا»

وانه ليشق عليّ مفارقة هذين الشهمين غير اني أرى أن اقاليم انكلترا لم تخلق لمثلهما من الزنوج وأما اقاليم جنوب امريكا فانه يؤذن بأن سيكون لهما فيه بتوالي الايام مناخ جميل ووطن سعيد» اهـ

رجعت السفينة التي كانت حملتنا من لوندره الى قلاو منذ ثلاثة أسابيع ويعلم الله متى يكون مجيئها ولهذا رأينا بدلا من اجتياز رأس القرن أن نركب هذه المرة في سفينة تجارية على نهر الامازون(١) تسير بنا والشاطيء حتى نبلغ سواحل البرازيل حيث نجد

---

(١) المعروف ان الامازون أكبر انهار الدنيا ولعل المؤلف يريد بقوله نهراً احد فروعه القريبة من ليما

غليظة في سمك لحمها وهي التي تسبب عنها الجرح قطعاً ثم خبث بما اعتوره من المشي والوصب ولدغ الحشرات فان هذين المسافرين كانا آيسين من مسافة بعيدة جدا

مازلت بهذه الشوكة حتى نجحت في سلها ثم ضممت أجزاء الجرح بعضها الى بعض ولما لم أجد خرقة أعصبه بها ناولتني « لولا » منديلها ولم تقتصر على ذلك بل دعتها رحمتها بهذه الفتاة الى خلع نعليها ووضع قدميها المرضوضتين فيهما فلاءمتاها أشد الملاءمة كأنما صنعتا لهذه المسكينة فأعربت «للولا» عن شكرها ثم غادرناهما ومضينا في سبيلنا

انبعثت «لولا» الي عملها هذا باعث من بواعث الخير القلبية الا انها ما لبثت ان أدركت صعوبة الاحتفاء في أرض صلبة خشنة كارض البيرو فان طرقها لا مشابهة بينها وبين مخارف البساتين الكبرى في انكلترا

انشأ «إميل» أولا يسخر من حيرة صديقته في مسيرها حافية ولكنه لتأثره من صنيعها دبت فيه النخوة فاحتملها على ظهره فقبلت ذلك مبتسمة

ان الباقي من طريقنا لم يكن طويلا جداً ومع ذلك وقف «اميل» في أثنائه للاستراحة مرتين أو ثلاثاً متبعاً في ذلك نصيحتي وفي آخر وقفة منها بصرنا من بعيد بالمشهود يقود اليوما وعرفت «لولا» الصبية الزنجية وقد خلعت النعلين وحملتهما في يدها فما كان أشد غمها لهذا المرأى انظر كيف بخستها منحتها وكيف استعملتها

فسريت عنها ماخامر قلبها من الكدر بأن قلت لها ان العادة طبع ثان وان هذه الصبية لا بد أن تكون تميت من الانتعال لاعتيادها الاحتفاء على ان نية اسداء المعروف محمودة على كل حال ولو أخطأ صاحبها فيما يتخذه من الوسائل لايصال النفع

والذي رأيته خيراً من هذه العظة كلها هو انما وجده قلبها الطاهر من السرور باحتمال «اميل» اياها قدر لها فيما أرى على ان الانسان لا يخسر شيئاً مما يسديه من المعروف . اهـ

يوم ٢٨ أغسطس سنة ــ ١٨٦

زرنا بعض أجزاء من جبال القوردبير ولم يكن سبق «لاميل» أن شاهد مثل هذه الجبال التي يصح أن تسمى بالالاب(١) الامريكية فراعه كل الروع ما لهذا الخلق الهائل

---

(١) جبال الالاب هي سلسلة جبال عظيمة في اوربا

أتنزه في المدينة ولكوني أجنبياً لما أطلع على اسرار طائفة الشبان كلها على ان أحدهم قد أخذني معه ذات ليلة الى مدخن (مكان لتدخين التبغ) يجتمع فيه بعض الطلبة الالمانيين فما فتح بابه حتى رأيتني تائها مغموراً بسحاب مركوم من الدخان حال بيني وبين رؤية جدران المكان وسقفه بل رؤية المكان برمته وكان يخيل الي انه يمتد الى غير نهاية وكنت اسمع اصواتاً واغاني وقهقهات ولا ابصر شيئاً من الصور الحية وأرى أضواء حمراء تبدو في بعض جهات هذا المكان يغشاها ذلك السحاب كانما تسبح منه فى بحر لجي وكنت أمشي كخابط ليل وراء الدليل وعلى مقربة منه بين صفين من الموائد خيل الي انها تعوم فى الضباب ورأيت عليها رؤية غير مستبينة آنية من القصدير كان لمعانها المعدني يجهد فى صدع حجاب الظلام الدخاني المنسدل على القاعة كلها ثم لمحت من خلال هذه الآنية وجوها آدمية لان بصري كان يتدرج فى اعتياد هذا الجو الغريب والانس به ولم يكشف عني الحجاب كشفاً تاماً الا عند ما بلغت نهاية القاعة حيث اقيم مصطلى عظيم فرأيتني فى جمع حافل من الشبان على رؤسهم القلنسوات وفي أيديهم أكواب الجعة وبين هذا التشويش واللغط عثرت على حلاق من الطلبة قامت بينهم مناظرات فى مسائل مهمة ولم تعقهم عن مداومة الشرب والتدخين

ان أذني لم تعتد سماع الاصوات الالمانية اعتياداً يكفي لمتابعة مجرى الحديث وفهمه ومع ذلك قد فهمت من فحوى ما سمعته انهم يتناظرون فى مقاصد ووسائل بعضها اسمى من بعض تتعلق باصلاح أحوال البشر وكانت البراهين والنكت والمعاني تنبعث من أفواههم كانها سهام نارية تتقذف بين أنفاس الدخان ولما انتصف الليل غادر القاعة جميع الطلبة ورأيت بعض من لاحظت فيهم الحمية والغيرة على مصالح الانسان منصرفين الى بيوتهم وقد جعلوا يغنون جهاراً فى وسط الشارع أغاني مبتذلة ولم يبد عليهم حينئذ ما يدل على انهم ذاكرون لما تعاهدوا عليه من اصطلاح شؤون الكون

أخص غاية للطلبة من اختلافهم الى المدارس الجامعة هنا بحسب ما سمعت هي ان يلوا عملا من أعمال الحكومة فكلهم يؤمل أن يكون خادماً لها على تفاوت بينهم فى ذلك فاذا حصل أحدهم على لقب دكتور مثلا رأيته يتقدم الى الحاملا شهادته راجياً ان توليه أحد الاعمال الخالية في ادارتها ومعظم هذه الاعمال لا يولى الا بالامتحان ولا يناله الامن

سفينة تكون مسافرة الى انكلترا فان هذه الطريق أقصر من الاولى بسير عشرين يوماً

تنوي «لولا» أن تعود معنا لان بلادها لقلة ما عرفته منها لم تبعث فى نفسها شيئاً من الرغبة في توطنها ولانها تعلم فوق ذلك اننا نحبها

ماندمت على هذا السفر بحال «فاميل» قد مضى وقته هنا فى الالتفات الى العلم والامعان في مسائله فهو يعود الى بلاده الآن ناقلا اليها مجاميع في علم التاريخ الطبيعي بل حاملا ماهو خير له منها – ضروب الانفعال الكثيرة بمرأى وصنوف الذكر لما وعى وقد تربى طبعه في مدرسة الاختبار والحياة التي لا يربي الرجال غيرها

نعم اني لا أعني بهذا القول أن ألزم جميع من هم فى سنه من المراهقين أن يبتعدوا عن أوطانهم بقدر ابتعاده ولكن رأيي الذي لا أحول عنه هو انهم لو خرجوا قليلا من أصدافهم ورأوا الكون في الكون قبل أن يروه فى الكتب لغنموا من ذلك أكثر مما يتوهم. اهـ

الكتاب الرابع في تربية الشاب

المكتوب الاول من «أميل» الى والده

وصف معيشته – نادي الطلبة الالمانيين ومحاوراتهم – تهافتهم على خدمة الحكومة تفكر «اميل» في أمره – تألمه من عدم فهمه اللغة الالمانية – ذكره «لولا» – استيحاشه من غربته

برلين في ٨ يناير سنة – ١٨٦

انتظمت في سلك المدرسة الجامعة بعد امتحان كان لا بد من تأديته وصرت ادعى منذ أسبوع بالسيد الشاب

من المفروض عليَّ ان أكاشفك بشيء من تفاصيل معيشتي وأنا طالب: اما نهاري فأصرفه فى تلقي دروس الحكمة والتاريخ والقوانين وعلم تركيب الحيوان والنبات ومنافع أعضائهما والمقارنة بين اللغات وغير ذلك وأما ليلي فاقضيه في مسكن استأجرته ستة أشهر بنحو مائة وخمسين فرنكا واما طعامي فأتناوله في مطعم على مائدة جامعة فى مقابل أربعة وعشرين صولدياً (١) وبعد العشاء تارة آوي الى حجرتي وطوراً

(١) الصولدى جزء من عشرين جزءاً من الفرنك فقيمة طعامه هي فرنك وربع

وساعات يخيل إلي اني قد فنيت في عجزي وتجردت من حولي وقوتي وتارة تملكني الافكار وطوراً يستحوذ علي وجدان الحاجة الى العمل والذي اراه يقيناً اني لم اجد الى الآن استقامة واستقراراً فيما انفسي من القوى ان صح ان يسمى بها الشاب مثلي من الشهوات القوية التي تدعوه الى السعي لادراك مقامله في هذه الدنيا

لما بلغت ليبا منذ شهرين كنت اعتقد اني على علم باللغة الالمانية لما قرأته منها في الكتب فما لبثت ان تبين لي خطأي في ذلك ومنشأ هذا الخطأ اني كنت احسن قراءة الصحف وعناوين الحوانيت واسماء الشوارع وما على الجدر من الاعلانات فان الجدر هنا كما تعلم تتكلم بالالمانية فاذا جرت حولي المحاورات اصغيت اليها وما كنت أسمع الا اصواتاً لاأفقه شيئاً من معانيها فكنت مطاق البصر اسير السمع لان من الاسر المعنوي الحقيقي ان يعيش الانسان بين قوم لايفهم لغتهم . كان الغلام الذى في الثالثة من عمره وهو في هذه السن لا يعرف من هذه اللغة الا النامم ببعض ألفاظها يعرف منها أكثر مما اعرف حتى اني لما كنت احاول مخاطبته كان ينفض الي رأسه استهزاء كأنه يقول « اليك عني اني لا افقه لك قولا »

كنت بين اولئك القوم كالاصم الا بكم الذي فقد كل وسيلة للتفاهم حتى لغة الاشارات فهل يمكن ان ينبأ عن الامواج الصوتية اذا اختلف انتقالها الى الاذن اختلافاً يسيرا باختلاف كيفية تحريك الشفتين مثل هذه الحوائل والحجب التي تبعد الناس بعضهم عن بعض

استأت جدا من هذه العزلة فجاهدت جهادا عظيما في التجرد من الانكماش الذى اجده من حياتي الطبيعي وانشأت اليوم انطق بالالمانية نطقاً مفهوماً واني لاعلم انه لايزال يعوزني تحصيل الكثير منها ولكن من هو في مثل سني قد يبعد ان لا يحصل في قليل من الزمن لغة هو لاينفك يسمع اصواتها من افواه جميع الناس في هذه البلاد وليس اصعب مافي هذه اللغة التكلم بها فيما أرى بل هو فهم ما يسمع من التحاور بها بين اثنين من أهلها فقد كنت ذات مرة في الملعب وكان اثنان من الممثلين يتحاوران فما استطعت في سرعة تحاورهما ان افهم كلمة منه اللهم الا ما كان من تحية المساء وهي : « ليلتك سعيدة »

يظهر انهم اعلم من غيرهم وحينئذ يعول الذين يخيبون فيه على الاشتغال بالاعمال المستقلة ولا ادري اهذه الحالة وهي فرط الرغبة في تقلد المناصب العامة هي التي ينبغي ان ينسب اليها التغير الذي يحصل في عقول شبان الدكاترة عند خروجهم من الجامعة ام له سبب آخر

فالواقع هو انه ليس بين اخلاق الطلبة واخلاق غيرهم من الالمانيين ادنى مشابهة: الطلبة يتظاهرون بالتنفج(١) والشذوذ والعربدة ويخيل الى من يرى غيرهم من الالمانيين انهم ممتازون سكينة بل جمودا وبلادة والاولون مشهورون بالميل الى الثورة وبحب الحكومة الجمهورية وبعدم المبالاة بالخوض في اي بحث نظري وبالهجوم على جميع المسائل سياسية كانت او دينية او قومية بما يدهش من جرأة الجنان وبقية الأمة يظهر عليها التشدد في الاستمساك بالعوائد القديمة وبالحكومة الملكية. وترى الطلبة يتباهون باحتقارهم جميع المميزات التي لا منشأ لها الا اتفاق النسب على حين ان أواسط الناس يجلون ألقاب الشرف اجلالا لا حد له فترى الفريقين كامتين متمايزتين وليس للطلبة في الحقيقة ارتباط بباقي الامة الا رغبتهم العظمى في أن يلواهم بعد مبارحة الجامعة اعمالا رسمية على ان هذا الارتباط كاف في عدم اكتراث الحكومة كثيرا بما يبدونه من حدة أفكارهم الحرة.

دعتني سيرة هؤلاء الشبان الى التفكر في سيرتي فاني قد بلغت التاسعة عشرة من عمري ولا مقام لي بين الناس بل لم يقف بي الاختيار حتى الآن على صناعة نافعة اشتغل بها واذا أردتني على الاقرار لك بما أجده قلت اني أحياناً آنس من نفسي فتوراً في الهمة وضعفاً في العزيمة وأسائلها عما أصلح له من الاعمال وأنا ضائق بذلك صدراً نعم انك قد رأيت مني تقدماً سريعاً مناسباً لحالي في العلوم ودرس كتب المتقدمين في أربع سنين أو خمس مضت وما ذلك ولا شك الا من الطريقة التي أهلتني بها أنت ووالدتي للعمل العقلي وهي مراقبة الأمور والاسفار وما تلقيته منكما من الدروس النافعة ولا اشك ان لي ظمأ في العلم ولكني اجهد فكري في استقصاء ما يعوزني من الخصائص فآونة اتوهم اني احس في نفسي بروح إلهي يقدرني على كل شيء

(١) التنفج افتخار الانسان بأكثر مما عنده

فلا يضرب معهم المتأخر بسهم، ولا يدانيهم في فضل او علم — لذلك رأينا ان من انفع ماتخدم به الامة وضع تاريخ مطول للاستاذ الامام رحمه الله تعالى وقد نوهنا بذلك فيما نشرناه من سيرته • ونريد ان نقول هنا ان ورثة الفقيد واصدقاءه ومريديه الذين نعرفهم هنا عون لنا على هذه الخدمة ونرجو من اخوانهم في الصداقة والوفاء من سائر الاقطار ان يتفضلوا علينا بما يرون من النصائح، وما يعرفون عن الفقيد من الاعمال والمآثر مما يخفى مثله علينا، وبظن ان لا يكون وصل الينا، كبعض الكتب والرسائل، وما رأوا من الاعمال اوسمعوا من المسائل، ومن ارسل الينا شيئاً من خط الفقيد فاننا نعيده اليه على عهد الله ورسوله

ثم ان ما يرسل الينا منه ان كان اثارة من علم اوادب فاننا ننشرها حتماً ونكافيء مرسلها بنسخة من التاريخ نهديها اليه وان كان كتاباً خاصاً عن كان ارسل اليه فاننا لا ننشره الا اذا كان فيه فائدة عامة من حكمة تؤثر او بلاغة تؤثر على انه قلما يخلو كلامه من كلا المزيتين مهما كان الموضوع الذي كتب فيه • ولا شك ان الذين توجد عندهم هذه الآثار والاخبار يحرصون مثلنا على تدوينها واستفادة الناس منها في الاغلب فلا يبخلون علينا بما ينفع الامة ويحفظ اثر الامام فهذا الاستجداء سيصادف بذلا وسماحاً ان شاء الله تعالى

واننا نقدر ان التاريخ لا يقل عن الف صفحة وقد يزيد عليها وان نجزئته الى جزئين اوثلاثة اولى وربما نجعل له اشتراكاً

وليعلم الشعراء الذين نظموا المراثي ونشروها في بعض الجرائد اننا لا ننشر منها الا ما نختار مما ارسلوه الينا اوالى الشيخ عبد الكريم سلمان اوحموده بك عبده لاننا لم نتتبع الجرائد ونحفظ مافيها من القصائد وليس المانع من اثبات المرثية في التاريخ هو سبق نشرها في بعض الجرائد وإنما هو ماذكرنا من عدم التتبع والحفظ فمن شاء ان يرسل الينا شيئاً مما نشر فليفعل

وكنا نود لو يبين لنا كل من أرسل اويرسل الينا شيئاً من كاتب وشاعر لقبه الذي يخاطب به ووظيفته التي يذكربها لنذكره بما هو معروف به ان لم يكن متنكراً فذلك خير من نشر القصيدة او المقالة بالتوقيع الذي يذكر فيه الاسم غفلا لا يعرف مسماه الا المتصلون به وقد يشتبه بغيره لكثرة المشاركة في الاسماء والالقاب هنا (اي في البلاد المصرية)

مثل اللغات الاجنبية ان لم اكن واهماً كنت ادخل التبوغ بالنادي الذي حدثتك عنه في كونه كان يحجب عني بادىء بدء رؤية ما كان فيه من الاشياء والاشخاص في حجاب سيزول على التعاقب وآمل ان سيظهر لي النور عما قليل

ارجوك ان تنوب عني في تقبيل «لولاء» واود لو ادري هل هي مواظبة على سقي الازهار وتمام العناية بالطيور وتنسيق مجاميع الاعشاب والدفائن وآمل منك إيصاءها بأن تذكرني كما اذكرها

إذا انا كتبت اليك فقد كتبت الى والدتي فانتما في قلبي لا تفترقان ولهذا لا ازيدها شيئاً الا اسفي على حرماني من حجرتي الصغيرة التي كنت أسمع منها حركة غدوكما ورواحكما في البيت وعلى أنسي بقربكما عند اصطلاء النار ليلا فاني هنا في وحشة أي وحشة . اختم اليك هذا المكتوب في الساعة الحادية عشرة من الليل على ضوء مصباح يعلوه عاكس ضوئي يسقط منه نور ضارب الى الخضرة وفي احدى زوايا حجرتي ساعة دقاقة من الصنف الذي يصوت كطير الكوكو عند انقضاء كل ساعة تكرر تكتكتها التي لا تتغير واسمع حسيس احتراق الحطب في التنور وصرير الباب من صفق الريح اياه وارى البدر من خارج الحجرة شاحب الوجه يرنو الي من خلال ستارتين كبيرتين موشاتين بالاشجار والازهار ما بين بيضاء وحمراء وقد أحسست باغريراق عيني مع ان هذه الاشياء في ذاتها لا تدعو الى الحزن ولكن لا تأمني فاني مازلت طفلا ولست آسى على بلادي وانما آسى على مفارقة مهدي فاني احبكما وأرجو من هذه الجهة على الاقل ان اعيش طول عمري طفلا



تاريخ الاستاذ الامام

ان التربية بناء يوضع على أساس القدوة ، ويرتفع على قواعد الاسوة ، فسير عظماء الرجال ، أنفع ما يدخر للاجيال ، وان العبرة بسير المعاصرين ، أقوى من العبرة بسير الغابرين ، لان عامة الناس عندنا تعتقد ان الاولين من عنصر ازكى ، واستعداد اقوى ،

الفاسقة والمدينة المتبدلة والمدينة الضالة • ثم ذكر في التفصيل أقساماً أخرى منها مدينة الخسة والشقوة قال • وهي التي قصد أهلها التمتع باللذة من المأكول والمشروب والمنكوح وبالجملة اللذة من المحسوس والتخيل وإيثار الهزل واللعب بكل وجه ومن كل نحو • وهذه المدينة قسم من أقسام المدينة الجاهلية • أما المدينة الفاسقة فهي أرقى من المدينة الجاهلية وقد عرفها بقوله • وهي التي آراؤها الآراء الفاضلة وهي التي تعلم السعادة والله عز وجل والثواني والعقل الفعال وكل شيء سبيله أن يعرفه أهل المدينة الفاضلة ويعتقدونه ولكن تكون أفعال أهلها أفعال اهل المدن الجاهلية • وجميع مباحث الكتاب تجري على طريق الفلسفة اليونانية

ولعل من اطلع أو يطلع على هذا الكتاب يتذكر انا كنا عبرنا عن هذه المدينة بالفاسقة فقام بعض الذين لم يرتقوا عن أهل المدينة الجاهلية يسلقوننا بألسنة حداد زاعمين أن ذلك يتضمن الطعن بعرض كل من يقيم في هذه المدينة • يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم • على أنهم هم الطاعنون ولكن لا يخجلون

(مرور في أرض الهناء • ونبأ من عالم البقاء)

كتاب جديد الوضع والاسلوب والتخيل ألفه شكري أفندي الخوري اللبناني المقيم في البرازيل • فأما أرض الهناء فهي المدينة الفاضلة أو الكاملة في رأي فلاسفة هذا العصر وعلمائه وهي سعادة الحياة التي يتمنون ان يصل اليها البشر بالعلم والعمل والاتفاق والتواد بين جميع الناس وبلوغهم العمر الطبيعي (مئة سنة او اكثر) مع التمتع بالصحة والعافية لما يتربون عليه من الرياضة البدنية والعقلية وتجنب الافراط والتفريط في الامور كلها لاسيما السرف في الطعام والشراب • مر بهذه الارض روح بشري فارق جسده وذهب الى الدار الآخرة فكانت في طريقه اليها وقد كتب الى صديق له في الدنيا ينبئه بوصفها على ما خيله مؤلف الكتاب

وأما عالم البقاء فهو معروف والمؤلف يصور فيه موقف الحساب والجزاء يحضره ملك شرقي ظالم وأحد المتصرفين في جبل لبنان وراهب وشيخ مسلم وبخيل ولص وكاهن (قسيس) وصحافي وطبيب وسكير ومحام • يحاسب كل منهم ويعاقب على ما أفسد في الارض — تذكر ذنوبه • وتشرح عيوبه • ويعتذر ويتنصل • فلا يعذر ولا يقبل •

كتاب الهدية المصرية الى الجامعة الوطنية

كتب سليمان افندي مصوبع المحامي السوري مقالات فى الاجتماع البشري والعمران ونشرها فى جريدة ثمرات الفنون وغيرها من جرائد بيروت ثم اقترح عليه أن يجمع شملها في كتاب فجاء الكتاب يناهز مئتي صفحة فى عشرة أبواب (١) فى العمران أساسه وتحديده وسيره ٢ في الحاجة تأثيرها والوقاية منها ٣ فى المحاماه ٤ في الانتقاد ٥ فى مسئولية الانسان ٦ فى أدوار الحياة ونحو ذلك. وفى هذه المباحث آراء صحيحة وفيها مسائل غامضة ولعل أكثر الغموض من ضعف التأليف وإعواز البيان حتى كان الكلام كترجمة باصطلاحات جديدة وأسلوب لم يخلص دائماً الى الاسلوب العربي الصحيح من حيث تعدية الافعال وربط الكلام بعضه ببعض ووضع الكلم موضعه على أن فيه جملا رائعة وتجوزاً حسناً في بعض المواضع. وقد كان أعجب الكتاب اليّ وأحسنه عندي كلامه في الدين والشرائع الثلاث الموسوية والمسيحية والاسلامية فانه قد بناه على قاعدة النشؤ والارتقاء وبذلك تبين ان دين الانبياء واحد وان الاخير مكمل لما قبله وعليه المعول في الخلاف ولولا التطويل لنقلت كلامه هذا على انه قد سبق لنا اقتباس ما كتبه الاستاذ الامام (رحمه الله تعالى) فى ذلك من رسالة التوحيد وهو الكلام الذى ليس فوقه مطلع ولا وراءه غاية. وانما نثني على سليمان أفندي اعنايته بما نقل العناية به في تلك البلاد، ونرجو له زيادة التحرير والاجتهاد.

كتاب آراء أهل المدينة الفاضلة

هذا الكتاب ذكر فى دواوين المتقدمين لشهرة مؤلفه أبي نصر الفارابي فيلسوف المسلمين فى القرن الرابع وقد كان من كنوز الكتب المخفية فظهر في هذه الايام وطبعه الشيخ فرج الكردي والشيخ مصطفى القباني الدمشقي ويطلب من المكتبة الملوكية بمصر

مسائل الكتاب تدور على أقطاب الفلسفة اليونانية في الوجود الاول وما يجب له من الصفات وفى أقسام الموجودات الاخرى ومنها النفس ومن هنا ينتقل الى الكلام في الوحي والنبوة ثم الى حاجة الانسان الى الاجتماع والتعاون وانما يكملان بالمدينة ولذلك يبين معنى المدينة وقسمها الى أقسام المدينة الفاضلة وما يضادها من المدينة الجاهلية والمدينة

ثم انه ليس لمشايخ المسلمين من العناية بعامتهم وتلقينهم التعاليم والتقاليد الدينية مثل ما للقسوس وأكثر حديث المشايخ مع غيرهم في الامور المادية ويا ليتهم كانوا يعنون بنشر مسائل الدين إذاً لقل التنافر فان رأي الاسلام في النصرانية ليس كرأي النصرانية في الاسلام. الاسلام يثبت ان كتاب النصرانية حق ويوجب الايمان بمن جاء به وانما يثبت ان اهلها حرفوا او انحرفوا عن صراطها وأن ايذاءهم حرام والبر اليهم مشروع. والنصرانية تعد الاسلام كفراً في اصوله وفروعه وقد ألف القسوس في ذمه كتباً حشوها بأكاذيب لم تخطر على قلب مسلم في الارض ثم انه لم يعقد احد من المشايخ مجالس وسماراً لاجل الطعن في النصرانية ولم يعينوا احدا منهم لدعوة النصارى الى الاسلام كما يفعل القسوس بالمسلمين، فأي الفريقين هو المفرق بين العالمين؟

لهذا أرى ان أقرب طريق الى التأليف بين الفريقين نشر تعاليم الاسلام الصحيحة في المسلمين واقلاع قسوس النصارى الذين لهم السلطان الاعلى على قلوب عامتهم عن تنفيرها من المسلمين وكفهم عن الطعن في الاسلام ولا أبرئ بعض المشايخ من كلام ضار يقولونه في المجالس عند ما يذكر تعصب النصارى ولكن مثل هذا الكلام لا يكاد يجيء في درس ديني ولا كتاب تعليمي. وقد اقنعت من لا أحصي من المسلمين بأن التساهل والاتفاق على المصالح الدنيوية خير يأمر به الدين فلم اجد مقاومة تذكر، ولا ردا يؤثر. وقد كتبت من قبل ان الصواب في التأليف ان يحمل الاحرار من كل طائفة على المتحمسين المفرقين منها واما حمل كل طائفة على الاخرى فهو الداء الذي لا يرجى معه شفاء.

تهذيب الاخلاق

يولد في كل أمة ألوف من الاولاد على استعداد عظيم للعلوم والفضائل فيضيع استعدادهم باغفال تربيتهم وتعليمهم وفيهم من لو علم وربي لنهض بالامة أو لكان ركناً من أركان ارتقائها. على أن إغفال تربية الاولاد وتعليمهم لا يكون من والديهم بالعمد والاختيار وانما هو الجهل والعجز. وقد تهمل التربية الصحيحة والتعليم النافع في الامة حتى لا يوجد أحد يقوم بهما ويقيمهما على قواعدهما وأمة مثل هذه يلوح للناظر انها قد تودع منها حتى لا رجاء فيها. ولكن هذا النظر غير صحيح فقد يقيض الله لبلد عم فيه الجهل والفساد، من يربي فيه بعض الافراد، فيكون منهم النور المستطير،

وأما أسلوب الكتاب فهو فكه سلس يقرب من أسلوب العوام ويتخلله كثير من عباراتهم وأمثالهم وتشبيهاتهم ومن قرأ طائفة منه يندفع الى إتمامه بسائق الرغبة وحادي اللذة وقلما ترى بين الكتب التي تؤلف وتنشر بيننا ما جمع بين اللذة والفائدة لاسيما في شؤون المعيشة والاجتماع والسياسة • نعم ان الفكاهة لاتليق في مقام الرهبة والجبروت وفي مواقف الحساب والجزاء ولكن غرض المؤلف من ذلك تمثيل سيئات هذه الاصناف من الناس التي تشتغل بالمصالح العامة فتفسدها وهم الملوك المستبدون وأعوانهم والاطباء والصحافيون والمحامون والقسوس وغيرهم من رجال الدين وقرنهم باللصوص والبخلاء وليس الغرض الاول تمثيل أهوال الحساب والجزاء وارهاب الناس منه بل هذا وسيلة وذلك هو المقصد

ومما ينتقد عليه أن ما ذكره من حال الملائكة التي تذهب بالارواح والتي تتولى الحساب والجزاء لايتفق مع عقائد الناس أو تخيلاتهم فيهم ولا هو في نفسه مؤثر يصادف من النفس موقعاً يليق به وأكثره لافكاهة فيه الا ما ذكره من فتنة المحامي وتهييجه الشعب في ذلك العالم لاجل ان يخوض من العقاب فلا يستطيع احد ان يملك ضحكه عند قراءة هذا

وقد انتقد عليه زميلنا نعوم افندي لبكي صاحب جريدة المناظر الحرة في مقدمة وضعها له اكتفاءه بذكر الراهبات من الاجواق التي رآها صاعدة الى السماء حيث تاتي أحسن الجزاء، في الناس من يستحق ذلك غيرهن • وانتقد عليه انا بقوة زعمه ان النصارى تتقرب من المسلمين في جرائدهم ومدارسهم والمسلمون لايزدادون الا تباعداً والصواب ان في عقلاء الفريقين من يسعى للتساهل والتقرب بينهما وان جرائد المسلمين أبعد عن اثارة التعادي من جرائد النصارى فاننا لانرى فيها جريدة منتشرة تتعرض للنصارى فيما يختص بدينهم ورؤسائه كما نرى في جرائد النصارى بمصر من ذلك حتى ان بعض الجرائد اليومية كانت من عهد قريب تطعن وتحمي عن العقائد الاسلامية في الازهر وتعرض ببعض كبار العلماء والائمة وتحاول اشراب الافهام انهم يبثون في الازهر الالحاد ويفسدون الدين ومثل هذا كثير في تلك الجرائد كالمناظر وأما المدارس النصرانية فأكثرها أو جميعها تلزم التلاميذ المسلمين بالعبادات النصرانية ولا نعرف مدرسة اسلامية في الدنيا تعامل التلاميذ النصارى بمثل هذه المعاملة •

والخير الكثير ... من سيرة الاستاذ الامام رحمه الله تعالى • وقد ينهض الاستعداد ببعض ... واحدهم نفسه بعد الرشد واستقلال الفكر ثم يتصدى لتربية غيره ولا بد لمثل هذا من الاسترشاد بالكتب النافعة • ومن هذا الصنف العالم الفيلسوف أحمد بن محمد بن مسكويه صاحب كتاب (تهذيب الأخلاق) الذي هو أحسن المختصرات في هذا العلم الجليل•

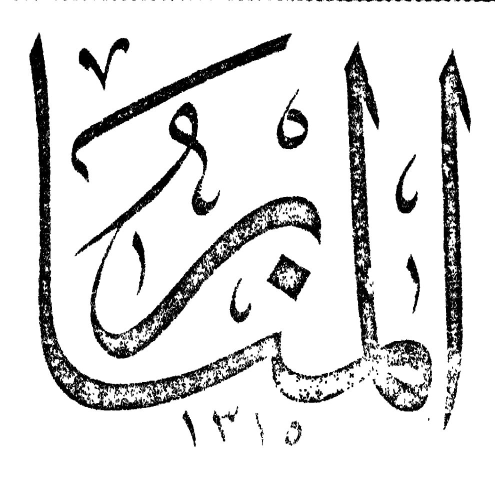
ولعت بهذا الكتاب منذ رأيته فطالعته ثم قرأته درساً ثم علمت بعد الهجرة الى مصر ان الاستاذ الامام قرأه درساً كما ذكرت ذلك في ترجمته وكان الكتاب يومئذ مجهولا عند المشتغلين بالعلم نعرف ومينا فاستحي ويسرنا ان الناس أقبلوا عليه في هذه السنين فقد كان طبع طبعاً قبيحاً ونفدت نسخه فأعاد طبعه عبد العليم افندي صالح منذ سنين بالحرف الاسلامبولي الجميل على ورق جيد فأقبل الناس بسعيه عليه حتى نفدت نسخه ورأى من الاعانة على التربية أن يطبعه ثانية ففعل وله من الفضل في اتخاذ الوسائل لنشره مايضاهي قيامه باجادة طبعه فعسى أن يكون في هذه الكرة اسرع انتشاراً لنستبشر بأن أمتنا تزداد حباً في العلم النافع وميلا الى التربية الصحيحة عاما بعد عام• وثمن النسخة من الكتاب خمسة عشر قرشاً وأجرة البريد قرش صحيح ويطلب من طابعه ومن إدارة المنار بمصر

شكر واعتذار

نشكر للذين عزونا ببرقياتهم وكتبهم عن مصابنا بمولانا الاستاذ الامام عالمين أن مكانا منه مكان الولد البار من الوالد الرحيم، والمريد الصادق من المرشد الحكيم، على انه تغمده الله برحمته كان أبا الامة ومربيها، ومرشدها وهاديها، فما من معز لنا الا وكان يعزي نفسه ثم يذكر الامة والاسلام، ويعترف بأن المصاب عام، وكذلك رأينا التعازي التي خوطب بها اخونا حموده بك عبده والشيخ عبد الكريم سلمان بل رأينا مثل هذه التعازي في أيدي بعض المريدين وسننشر نموذجاً من ذلك في كتاب التاريخ ان شاء الله تعالى • وأما الاعتذار فهو عن عدم مجاوبة المعزين ويدخل فيه الاعتذار الى كاتبونا منذ أشهر في مسائل اخرى ونخص بالذكر البحرين وزنجبار والمغرب الاقصى • ولعلنا نكتب اليهم عن قريب

(تنبيه) لا نسمح لجرائد المصرية بنقل ترجمة الاستاذ الامام عن المنار ولا يضر اقتباس قليل من العبارة مع العزو وكثير من المعنى ولو بدونه والعلم أمانة بين أهله

(الجزء ١٩)　غرة شوال سنة ١٣٢٣　(المجلد الثامن)



مجلة علمية أدبية تهذيبية ملية اخبارية

« تصدر فى كل شهر عربي مرتين »

لمنشئها

« السيد محمد رشيد رضا »

عنوانها (مصر — ادارة مجلة المنار) والتلغرافى « المنار بمصر »

قيمة الاشتراك فى مصر خمسون قرشاً أميرياً فى السنة و ٣٥ قرشاً عن نصف سنة وفى الخارج ١٨ فرنكا وفى الهند عشر روبيات وفى روسيا ٧ روابل

لاتقبل وصولات الاشتراك الا اذا كانت بامضاء منشئ المجلة وختم الادارة

طبع بمطبعة المنار بشارع درب الجماميز بمصر

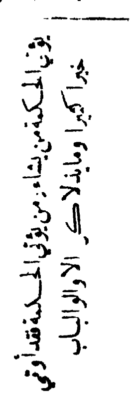
اورنشتين وكوبل ـ متعهدين الحضرة الفخيمة الخديوية

شركة مساهمة رأسمالها عشرة ملايين فرنك — (سكك حديد زراعية)

هي أشهر وأعظم المعامل الاوربية ٠ وفي مستودع الشركة بالاسكندرية يوجد دائما كميات وافرة من جميع أجناس الخطوط والعربات

وهذه الشركة قد وردت عشرات من وابورات الكوموتيف في أعظم تفاتيش هذا القطر وقد اكتسبت ثقة أصحاب الدوائر العظيمة والمشروعات الكبيرة وهي مستعدة ان تعطي الايضاح اللازم مع الرسم والخرائط مجاناً لمن يطلبها

والبنك في مصر امام البنك المصري وفي لاسكندرية في شارع شريف باشا والعنوان بالضبط هكذا « مصر جناب الخواجات اورنشتين وكوبل »





فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الالباب

(قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و «منارا» كنار الطريق)

﴿ مصر — غرة شوال سنة ١٣٢٣ — ٢٨ نوفمبر (ت٢) سنة ١٩٠٥ ﴾

تفسير القرآن الحكيم

(مقتبس من الدروس التي كان يلقيها في الأزهر الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه)

(٢٣٩ : ٢٤١) وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعاً إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ، فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * (٢٤٠ : ٢٤٢) وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُتَّقِينَ * (٢٤١ : ٢٤٣) كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ *

هذه الآيات تتمة ما في السورة من أحكام الازواج وقد جاء الامر بالمحافظة على الصلوات في أثناء هذه الاحكام — والصلاة عماد الدين — للعناية بها فمن حافظ على الصلوات كان جديرا بالوقوف عند حدود الله تعالى والعمل بشريعته ولذلك قال «واستعينوا بالصبر والصلاة» وقد بينا وجه ذلك

قوله ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا﴾ ألخ فيه قولان (أحدهما)

فهرس الجزء التاسع عشر من المجلد الثامن للمنار

أربعة أشهر وعشرا كما في تلك الآية التي تقدمت عليها في الذكر وهي متأخرة عنها في النزول وبجعلها وارثة للزوج بنص القرآن مع تحريم الوصية للوارث في الحديث. أقول وعليه يكون الاصلاح لتلك العادات الجاهلية في الاعتداد لوفاة الزوج وما يتبعه من الحداد عليه قد حصل بالتدريج فأقرت مدة العدة أولا ولكن منع أن تكون بتلك الحالة الرديئة التي تقدم ذكرها ثم نسخت بما تقدم

قال الاستاذ الامام وهناك وجه آخر يتصل بقول الجمهور وهو أن الآية كانت في فرض الوصية وطلب مع هذا الفرض من ورثة الميت أن لا يخرجن النساء في مدة الحول. وان الخروج الذي يبرأ به أولياء الميت من الوصية المفروضة التي هي النفقة هو الخروج الذي بعد العدة التي هي أربعة أشهر وعشر . قال وهو قول ضعيف

والقول الثاني ان هذه الآية لم يذكر فيها التربص الذي هو الاعتداد كما ذكر في غيرها من آيات العدة السابقة وانما ذكر الوصية والمراد بها أن يستوصي الرجال بالنساء اللواتي يتوفى أزواجهن خيرا بأن لا يخرجوهن من بيوت أزواجهن بعدما كان من قوة علاقتهن بها الى مدة سنة كاملة تمر فيها عليهن الفصول الاربعة التي يتذكرن أزواجهن فيها ،وأن يجعل لهن في مدة السنة شيء من المال ينفقنه على أنفسهن الا اذا خرجن وتعرضن للزواج أو تزوجن بعد العدة المفروضة في الآية السابقة .ولكن لم يعمل أحد من الصحابة ولا من بعدهم بهذا ولذلك قال الجمهور انه منسوخ وذهب بعض الصحابة والتابعين الى أن الامر بالوصية كان للندب وتهاون الناس به كما تهاونوا في كثير من المندوبات – أي كاستئذان الاولاد الذين لم يبلغوا الحلم

ان عدة الوفاة كانت في أول الاسلام سنة كاملة مجاراة لعادات العرب ولكن مع تخيير المرأة في الاعتداد في بيت الميت فان اعتدت فيه وجبت نفقتها من تركته وحرم على الورثة اخراجها وان خرجت هي سقط حقها في النفقة وقالوا انه لم يكن للمرأة من ميراث زوجها الا هذا المتاع والنفقة فقوله تعالى ﴿وصية لأزواجهم﴾ معناه فليوصوا وصية لأزواجهم أو فعليهم وصية لأزواجهم اذ قرأ أبو عمرو وابن عامر وحمزة وحفص عن عاصم «وصيةً» بالنصب . وقرأها ابن كثير ونافع والكسائي وأبو بكر عن عاصم بالرفع وقوله ﴿متاعاً الى الحول﴾ معناه أن يمتعوا متاعاً أو متعوهن متاعاً كأنه قال فليوصوا لهن وصية وليمتعوهن متاعاً الى آخر الحول وقيل إن التقدير جعل الله ذلك لهن متاعاً وقوله ﴿غير إخراج﴾ معناه غير مخرجات أي يجب ذلك لهن مقيمات في دار الميت غير مخرجات فلا يمنعن السكنى . قال الاستاذ الامام: لأحسن ماقاله بعضهم من إن متاعاً مصدر بمعنى تمتيعاً أو معمولة للمصدر الذي هو وصية ومعنى غير اخراج غير مخرجات وهو حال من الأزواج والنكتة في العدول عنه هي أن المراد أن يوصي الرجل بعدم اخراج زوجه وأن ينفذ أولياؤه وصيته فلا يخرجونهن من بيوتهن ولو قال «غير مخرجات» لكان تحتيما عليهن بالبقاء في البيوت ولأفاد عدم جواز اخراجهن لأحد ولو كان ولياً كأبيها وليس هذا بمراد فعبارة الآية تفيد المعنى المراد ولا توهم سواه — هذا ماذهب اليه الجمهور في معنى الآية فهي عندهم توجب أن تكون عدة الوفاة سنة كاملة وأن ينفق على المعتدة من تركة زوجها مقيمة في داره لايجوز اخراجها منه الا أن تخرج باختيارها فتسقط نفقتها قالوا ثم نسخت بجعل العدة

(والثاني) أن يكون الناسخ متأخراً عن المنسوخ في النزول (أي الشرط أن يكون الخ ولعل لفظ الشرط سقط من الاصل) واذا كان متأخراً عنه في النزول كان الأحسن أن يكون متأخرا عنه في التلاوة أيضاً لأن هذا الترتيب أحسن فأما تقدم الناسخ على المنسوخ في التلاوة فهو وان كان جائزا في الجملة الا أنه يعد من سوء الترتيب وتنزيه كلام الله تعالى عنه واجب بقدر الامكان. ولما كانت هذه الآية متأخرة عن تلك في التلاوة كان الاولى أن لا يحكم بكونها منسوخة بتلك (الوجه الثالث) هو أنه ثبت في علم أصول الفقه أنه متى وقع التعارض بين النسخ وبين التخصيص كان التخصيص أولى، وههنا ان خصصنا هاتين الآيتين بالحالتين على ماهو قول مجاهد اندفع النسخ فكان المصير الى قول مجاهد أولى من التزام النسخ من غير دليل وأما على قول أبي مسلم فالكلام أظهر لأنكم تقولون تقدير الآية: فعليهم وصية لأزواجهم أو تقديرها: فليوصوا وصية: فأنتم تضيفون هذا الحكم الى الله تعالى وأبو مسلم يقول بل تقدير الآية: والذين يتوفون منكم ولهم وصية لأزواجهم: أو تقديرها: وقد أوصوا وصية لازواجهم: فهو يضيف هذا الكلام الى الزوج. واذا كان لا بد من الاضمار فليس اضماركم أولى من اضماره. ثم على تقدير أن يكون الاضمار ماذكرتم يلزم تطرق النسخ الى الآية وعند هذا يشهد كل عقل سليم بأن اضمار أبي مسلم أولى من اضماركم وأن التزام هذا النسخ التزام له من غير دليل مع ما في هذا القول بهذا النسخ من سوء الترتيب الذي يجب تنزيه كلام الله تعالى عنه وهذا كلام واضح. واذا عرفت هذا فنقول هذه الآية من أولها الى آخرها تكون جملة واحدة شرطية فالشرط هو قوله «والذين

عند دخول بيوتهم في الاوقات الثلاثة التي هى مظنة التهاون بالستر قبل صلاة الفجر وحين وضع الثياب من الظهيرة في أيام الحر ومن بعد صلاة العشاء—قال وعلى هذا فلانسخ لأنهم مجمعون على أنه لا يصار الى النسخ اذا أمكن الجمع بين النصين

هذا ماجرى عليه الاستاذ الامام رحمه الله تعالى في تفسير الآية وفي كتب التفسير عزو مخالفة الجمهور الى كبيرين من قدماء المفسرين وهما مجاهد وأبو مسلم أما مجاهد فقد روى عنه ابن جرير أنه يقول نزل في عدة المتوفى عنها زوجها آيتان قوله تعالى « والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا» الآية وقد تقدمت وهذه الآية فيجب حمل الآيتين على حالتين فان اختارت الاقامة في دار زوجها المتوفى والنفقة من ماله فعدتها سنة والا فعدتها أربعة أشهر وعشر . فيكون للعدة على قوله أجل محتم وهو الأقل وأجل مخير فيه وهو الأكثر . وأما أبو مسلم فيقول ان معنى الآية: من يتوفى منكم ويذرون أزواجاً وقد وصوا وصية لأزواجهم بنفقة الحول وسكنى الحول فان خرجن قبل ذلك وخالفن وصية الازواج بعد أن يقمن المدة التي ضربها الله تعالى لهن فلا حرج فيما فعلن في أنفسهن من معروف أي نكاح صحيح لأن اقامتهن بهذه الوصية غير لازمة قال والسبب انهم كانوا في زمان الجاهلية يوصون بالنفقة والسكنى حولا كاملا وكان يجب على المرأة الاعتداد بالحول فبين الله تعالى في هذه الآية ان ذلك غير واجب وعلى هذا التقدير فالنسخ زائل

أورد الامام الرازي هذا في تفسيره ثم قال «واحتج على قوله بوجوه (أحدها) ان النسخ خلاف الاصل فوجب المصير الى عدمه بقدر الامكان

جعل الاسلام عدتها أربعة أشهر وعشرا كان من مقتضاه أن يخرجها الورثة من البيت بعد مضي العدة فاذا كانت غير راغبة في الزواج يشق عليها ذلك فكان من اللائق المتوقع من الزوج الوفي أن يوصي بعدم اخراجها قبل الحول المعتاد جبرا لقلبها وأن لا تكلف النفقة على نفسها مادامت في البيت وقد بين الله تعالى للناس أنه لا حرج على أولياء الميت وورثته فيما تفعله المرأة اذا هي خرجت من بينهم لأن كفالتهم اياها تسقط حينئذ من غير تقصير منهم في اكرامها وانما قيد الفعل بالمعروف لان منعها عن المنكر واجب عليهم فاذا قصروا فيه كان عليهم جناح عظيم ٠

وهذا الوجه الثاني يتفق مع التفسير المختار عن الاستاذ الامام وهو أن الوصية للندب لا للوجوب ٠ والوجه الأول يمكن التفصي منه بجعل الوصية من الله تعالى لا من المتوفى والتقدير على الوجه المختار : والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً وصية من الله لأزواجهم أو فالله يوصي وصية لأزواجهم أن يمتعن متاعاً ولا يخرجن من بيوت أزواجهن الى تمام الحول فان خرجن من تلقاء أنفسهن فلا جناح عليكم أيها المخاطبون بالوصية فيهم في مافعلن من المعروف شرعاً وعادة كالتعرض للخطاب بعد العدة والتزوج اذ لا ولاية لكم عليهن فهن حرائر لا يمنعن الا من المنكر الذي يمنع منه كل مكلف وجعل الوصية من الله تعالى معهود في القرآن كقوله «يوصيكم الله في أولادكم» وقوله «غير مضار وصية من الله» وهذا هو المتبادر من النظم الكريم فهو أظهر من قول أبي مسلم ولا يعارض آية تحديد العدة ولا آية المواريث ولا حديث « لا وصية لوارث» فيتأتى فيه النسخ سواء كانت هذه الوصية للندب أو للوجوب وما قلنا انها للندب الا لعدم شيوع العمل

يتوفون منكم ويذرون أزواجاً وصية لأزواجهم متاعاً الى الحول غير إخراج» والجزاء هو قوله (فان خرجن فلا جناح عليكم في ما فعلن في أنفسهن من معروف) فهذا تقدير قول أبي مسلم وهو في غاية الصحة» اهـ

أوردنا كلام الرازي بنصه على اسهابه واطنابه لما فيه من تفنيد قول الجمهور بالحجج البينة التي يقتنع بها أولو الألباب وليعلم المقلدون أن في أشهر مفسري القرون الوسطى من ضعف ذلك القول ورجح عليه كلا من القولين المخالفين له . واعلم أن ما ذكره من جواز كون الناسخ متأخراً عن المنسوخ في التلاوة هو ما قاله الأصوليون واطلاق القول فيه غريب ما حملهم عليه الا تصحيح فهمهم لمثل هاتين الآيتين أو اغترارهم بتفسير الجمهور لهما واذا سهل تسليم قولهم بجواز وجود آيتين في سورتين تنسخ احداهما الأخرى مع وجود الناسخة في السورة المتأخرة في ترتيب القرآن فلا يسهل القول بأن آيات متناسقة في سورة واحدة يجعل السابق منها ناسخاً لما قبله ويفهم من قوله بوجوب تنزيه كلام الله تعالى عن مثل ذلك أنه لا يجيزه لان الواجب في التنزيه يدخل في باب العقائد فهو أبلغ من الواجب في الاحكام العملية فكيف يسمى تركه جائزا . واذا كان غير جائز فهو البرهان القاطع على بطلان قول الجمهور بالنسخ

بعد هذا كله أقول ان قول مجاهد في الآية بعيد جدا وإن فضله الرازي على قول الجمهور ويرجح قول أبي مسلم أمران أحدهما في العبارة وهو جعل «الذين يتوفون» فيه على ظاهره والجمهور يجعلونه بمعنى الذين تحضرهم الوفاة كأن هذه الوصية لا تجب الا على من يشعر بدنو أجله . وثانيهما ما علم من عادة العرب في إلزام المرأة بيت زوجها المتوفي سنة كاملة فلما

ويطنب في مقام آخر حيث ينبغي الإطناب وهو معجز في اطنابه كإيجازه لا لغو فيه ولا حشو ولكل مقام فيه مقال ينطبق على الحكمة ويعين على التدبر والتذكر

أقول ان المطلقات أربع مطلقة مدخول بها قد فرض لها مهر فلها كل المفروض وعدتها ثلاثة قروء وفيها قوله تعالى «ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً » الآية وتقدم تفسيرها وفي معناها قوله تعالى في سورة النساء «وان أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئاً» ومطلقة غير مدخول بها ولا مفروض لها فيجب لها المتعة بحسب ايسار المطلق ولا مهر لها وفيها قوله تعالى «لا جناح عليكم ان طلقتم النساء مالم تمسوهن» الآية وقد سبق تفسيرها ولا عدة عليها لآية الأحزاب التي ذكرناها في تفسير تلك الآية ، ومطلقة مفروض لها غير مدخول بها فلها نصف المهر المفروض وفيها قوله «وان طلقتموهن من قبل أن تمسوهن» وتقدم تفسيرها ولا عدة عليها أيضاً، ومطلقة مدخول بها غير مفروض لها قالوا ولها مهر مثلها بلا خلاف وذكر بعضهم أن قوله تعالى في سورة النساء «فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة» معناه فأعطوهن مهورهن بالفرض والتقدير اذا كان غير مسمى أي والعمدة في التقدير مساواتها بأمثالها. ولم يأمرنا تعالى بالتمتيع عند ذكر نوع من المطلقات الا غير الممسوسات مطلقاً كما في آية الأحزاب أو مقيدا بقوله «أو تفرضوا لهن فريضة» كما تقدم في الآية المشار اليها آنفاً. ثم ختم الله تعالى هذه الأحكام المسرودة هنا بقوله «وللمطلقات متاع» فزعم بعضهم أن المراد المطلقات المعهودات اللواتي سبق الامر بتمتيعهن واستدلوا بما رواه

بها كآية استئذان الولدين في سورة النور ولا يمكن الجزم بأنه لم يعمل بها أحد ألبتة اذ لم يطلع أحد من الخلق على جميع معاملات الناس في بيوتهم . وقد ختم الآية بقوله ﴿والله عزيز حكيم﴾ لتذكر بأن لله العزة والغلبة فيما يريد من تحويل الامم عن عادات ضارة الى سنن نافعة تقتضيها الحكمة لتحويل العرب عن عاداتهم في العدة والحداد بجعل المرأة أسيرة ذليلة مقهورة مدة سنة كاملة الى ما هو خير من ذلك وهو اكرامها ما دامت في بيت زوجها بين أهله وعدم الحجر على حريتها اذا أرادت الخروج منه ما دامت في حظيرة الشرع وآداب الامة المعروفة فهذه الحكمة البالغة توافق مصلحة الافراد والجمعيات في كل زمان ومكان

ثم قال تعالى ﴿وللمطلقات متاع بالمعروف حقاً على المتقين﴾ قال الجلال كرره ليعم الممسوسة أيضاً اذ الآية السابقة في غيرها: وقد أنكر عليه الأستاذ الامام كعادته القول بالتكرار قال كان ما تقدم خاص وما هنا عام والصواب أن كل آية من الآيات التي وردت في المطلقات وردت في نوع منهن فتقدم حكم من لم تمس وقد فرض لها وحكم المدخول بها المفروض لها وبقي حكم غيرهما (وفي المذكرة المأخوذة عن درسه وبقي حكم من الممسوسة سواء فرض لها أم لا) فذكره هنا ولم يذكر ذلك بالترتيب لان القرآن ليس كتاباً فنياً فيكون لكل مقصد من مقاصده باب خاص به وانما هو كتاب هداية ووعظ ينتقل بالانسان من شأن من شؤونه الى آخر ويعود الى مباحث المقصد الواحد المرة بعد المرة مع التفنن في العبارة والتنويع في البيان حتى لا يمل تاليه وسامعه من المواظبة على الاهتداء ويوجز أحيانا بما يعجز كل أحد عن الاتيان بمثله اذا كان المقام يقتضي الايجاز

مؤمن مطلقاً الا أن يثبت أن ما تستحقه من المهر يسمى متاعاً في عرف القرآن فحينئذ تكون هذه الآية فذلكة لسائر الآيات كأنه قال لكل مطلقة متاع تمتع به فمنهن من متاعها المهر المسمى أو المقدر ومنهن من متاعها نصفه ومنهن من لها متاع غير محدود لأنه على حسب الاستطاعة . وأحوط الاقوال وأوسطها قول من جعل المتعة غير المهر وأوجبها لمن لا تستحق مهراً وندبها لغيرها

ثم ختم الله تعالى هذه الأحكام بقوله ﴿ كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون ﴾ أي مضت سنته تعالى بأن يبين لكم آياته في أحكام دينه مثل هذا النحو من البيان وهو أن يذكر الحكم وفائدته ويقرنه بذكر الله والموعظة الحسنة التي تعين على العمل به ليعدكم بذلك لكمال العقل بتحري الاستفادة من كل عمل فعليكم أن تعقلوا ما تخاطبون به لتكونوا على بصيرة من دينكم عارفين بانطباق أحكامه على مصالحكم بما فيها من تزكية نفوسكم والتأليف بين قلوبكم فتكونوا حقيقين باقامتها والمحافظة عليها . قال الاستاذ الامام ليس معنى العقل أن يجعل المعنى في حاشية من حواشي الدماغ غير مستقر في الذهن ولا مؤثر في النفس بل معناه أن يتدبر الشيء ويتأمله حتى تذعن نفسه لما أودع فيه إذعاناً يكون له أثر في العمل فمن لم يعقل الكلام بهذا المعنى فهو ميت وان كان يزعم أنه حي — ميت من عالم العقلاء حي بالحياة الحيوانية — وقد فهمنا هذه الاحكام ولكن ما عقلناها ، ولو عقلناها لما أهملناها . :

وأقول إن هذه الطريقة المثلى في بيان الاحكام من طريقة الكتب المعروفة عندنا بكتب الفقه وهي غفل في الغالب من بيان فائدة الأحكام

ابن جرير عن ابن زيد قال لما نزلت «ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعاً بالمعروف حقاً على المحسنين» قال رجل ان أحسنت فعلت وان لم أرد ذلك لم أفعل فأنزل الله هذه الآية . وفسروا المتقين بمتقي الكفر وليست هذه الرواية مما يحتج به وقد قدمنا ان ذكر المحسنين هناك لا يدل على التخيير . وقال بعضهم ان هذا حكم عام فتجب المتعة لكل مطلقة . ولا تكرار على هذا مع الآية الآمرة بتمتيع من لم تمس ولم يفرض لها لأن هذه الآية مسوقة لحكم هذه المتعة من غير تخصيص ولا تقييد بكونها تختلف باختلاف حال الرجل في الإيسار وتلك سيقت لبيان نفي الجناح عمن طلق من لم يمسها ولم يفرض لها وجاء في السياق انه يجب لها تمتيع حسن بحسب قدرة المطلق لما تقدم بيانه في تفسيرها . فعلى هذا تكون المتعة مشروعة لكل مطلقة وروي هذا عن ابن عباس وابن عمر وعطاء وجابر ن زيد وسعيد بن جبير وأبي العالية والحسن البصري والشافعي في أحد قوليه وأحمد واسحق واستدلوا بعموم هذه الآية وبقوله تعالى في سورة الأحزاب (٣٣ – ٢٨) «يأيها النبي قل لأزواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحاً جميلا» وقد كن مدخولا بهن مفروضاً لهن المهر . والقائلون بهذا منهم من يقول انها واجبة لكل مطلقة ومنهم من يقول واجبة لمن لم تمس ولم يفرض لها مندوبة لغيرها . وحجة من قال ان التمتيع خاص بمن لم تمس ولم يفرض لها هي أنه بدل مما يجب لغيرها من نصف المهر ان فرض لها ولم تمس أو المهر المسمى أو مهر المثل اذا كانت ممسوسة . وحسبنا ان الله تعالى جعل تمتيع المطلقات حقاً على المتقين وقد فسروه بالذين يتقون الشرك أي هو حق على كل

أيمانكم» ونهى عن لطم المملوك وضربه وجعل كفارة ذلك العتق فقال عليه الصلاة والسلام «من لطم مملوكه أو ضربه فكفارته عتقه» وليس هذا فقط بل قال «اخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم ما يغلبهم فان كلفتموهم ما يغلبهم فأعينوهم» وقال «لا يقل أحدكم عبدي أمتي وليقل فتاي وفتاتي وغلامي» وحث على تهذيبهم وتعليمهم في مثل قوله «من كانت له جارية فعلمها وأحسن اليها وتزوجها كان له أجران» هذا وقد أمر الله تعالى بتزويجهم فقال في القرآن الشريف «وأنكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله»

واذا افترش السيد أمته فولدت له كان الاولاد أحرارا ويرثون في أبيهم الى غير ذلك من القواعد العادلة التي لم تأت بها شريعة قط . ليس هذا كل ما فعله الاسلام بأولئك الضعفاء بل جعل تحرير الرقاب كفارة لكثير مما يقع من الانسان مخالفاً للدين حتى في أبسط المسائل كالحنث في الايمان فقال «لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان فكفارته» الى أن قال «تحرير رقبة» وليس هذا فقط بل أمر بجمع الاموال ـ الزكاة من الاغنياء وصرف جزء منها في تحرير الرقاب «انما الصدقات للفقراء ـ الى قوله ـ وفي الرقاب» الآية وكرر حث ذوي اليسار على ذلك المرة بعد المرة «ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله ـ الى أن قال ـ « وأتى المال على حبه ذوي القربى» ـ الى قوله ـ «وفي الرقاب» وقال أيضاً «فلا اقتحم العقبة وما أدراك ما العقبة فك رقبة» الى غير ذلك مما يطول شرحه. أليس ما أتى به القرآن منذ قرون هو ما تفتخر به المدنية الحديثة وتتيه اعجاباً به ؟

يزعم دعاة المسيحية أن ما قام به الأوروبيون في الزمن الأخير هو من آثار دينهم فيهم . ولكن الحقيقة أن ذلك نتيجة الرقي العقلي والعلمي الذي وصلوا اليه عن قريب ولا دخل للدين فيه . والا فلماذا قضوا القرون العديدة في استعباد الناس على أشنع الأحوال!!

وهل ورد في المسيحية كلمة واحدة عن تحرير الرقيق؟ الذي ورد فيها هو أمر

وانطباقها على مصالح البشر في كل زمان ومزجها بالوعظ والتذكير . وأين أهل التقليد من هدي القرآن هو يذكر لنا الأحكام بأسلوب يمدنا للعقل ويجعلنا من أهل البصيرة وينهانا عن التقليد الأعمى وهم يأمروننا بأن نخر على كلامهم وكلام أمثالهم صما وعميانا ، ومن حاول منا الاهتداء بالكتاب العزيز وما بينه من السنة المتبعة أقاموا عليه النكير . ولعله لا يسلم من التبديع والتكفير ، يزعمون أنهم بهذا يحافظون على الدين وما أضاع الدين الا هذا فان بقينا على هذه التقاليد لا يبقى على هذا الدين أحد فاننا نرى الناس يتسللون منها لواذا واذا رجعنا الى العقل الذي هدانا الله تعالى اليه في هذه الآية وأمثالها رجي لنا أن نحيي ديننا فيكون دين العقل هو مرجع الأمم أجمعين ، وهذا ما وعدنا الله تعالى به «ولتعلمن نبأه بعد حين»

باب العقائد

الدين في نظر العقل الصحيح

تتمة المقالة الثالثة لصاحب التوقيع

٧ — الرقيق وإصلاح حاله وتحريره

قضي على البشر أن يستعبد بعضهم بعضاً من قديم الأزمان . فلم تخل أمة من الاسترقاق واختطاف الناس للتجارة فيها . عومل الرقيق بضروب من القسوة في سائر الشعوب بما يجعل وجه الانسانية يحمر خجلاً وقلب المؤمن ينفطر من الله وجلا . ولكن هكذا كان وهكذا حصل .

أتى الاسلام فرق لحالهم كما كان شأنه لجميع الضعفاء . منع الاسترقاق بتاتاً الا أن يكون في حرب شرعية مع قوم لم يؤمن اذاهم من غير المسلمين . و بهذه القاعدة سد أكثر ينابيعه وغلق أبواب الظلم والعدوان . أمر بالاحسان الى الارقاء ومعاملتهم بالرفق واللين . فقال «وبالوالدين احساناً وبذي القربى» الى أن قال «وما ملكت

من الاختلاف نشأ مرض التباغض في جسم الهيئة الاجتماعية فحقد الفقير على الغني وأراد به السوء . فأفهم الاسلام هؤلاء البائسين حكمة الله في ذلك وأمرهم بالتزام الصبر والرضاء بقضائه ووعدهم خيراً في الآخرة . ثم عطف على الأغنياء وألزمهم أن يعطوهم شيئاً من أموالهم مساعدة لهم في معاشهم وكرر ذلك المرة بعد المرة حتى انك قلما ترى سورة من القرآن خالية من ذلك «وآتوا الزكاة» فاستل بذلك ضغائن أهل الفاقة ومحص صدورهم من الغل . فأي دواء أنجع من هذا ؟ وأي دين أوجب ذلك كما أوجب القرآن وميز بين الصدقة والزكاة؟

﴿الأيتام﴾

لم يهمل الإسلام شأنهم بل حافظ على حقوقهم وحرم اغتيال شيء من مالهم «ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً انما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيرا» ونهى عن إغضابهم واذلالهم فقال « فأما اليتيم فلا تقهر » وحث على اطعامهم في نحو قوله «أو اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما ذا مقربة»

﴿ابن السبيل﴾

عندي أن اللقيط أجدر بهذا اللقب من المسافر وغيره فان لم يكن هو المراد بهذه التسمية وحده فليكن مما يدخل في عمومها وان كان اللقطاء في بلاد الاسلام قليلين وعليه يكون القرآن قد أمر بصرف جزء من الزكاة في تربيتهم واعدادهم لأن يكونوا نافعين للمجتمع الانساني . فأي شيء يفتخر به الغربيون لم يوجد في ديننا ؟ وأي دين وجد فيه ما يمكن أن يفهم منه هذا المعنى بصراحة مثل ذلك ؟ (*)

(*) المنار : جاء في آية مصارف الزكاة ذكر ثمانية أصناف منها أربعة ذكرت بلام الملك « انما الصدقات للفقراء والمساكين » الخ والباقيات ذكرت هكذا «وفي سبيل الله وابن السبيل» والحكمة في ذلك أن الاصناف الأولى يملك أفرادهم نصيبهم من الزكاة وأما الأربعة الباقية فهي من المصالح العامة التي يصرف المال فيها ولا يملكه أفراد الآخذين وقد فسروا في سبيل الله بالجهاد وزاد بعضهم الحج والاستاذ الامام يقول انه يشمل غير ذلك من المصالح العامة كبناء المدارس والمستشفيات وهو

الارقاء أن يطيعوا مواليهم مع الخوف والرعب كما يطيعون المسيح عليه السلام وأن يبالغوا في حسن القيام بخدمتهم تمجيداً لتعاليمه عليه السلام كما يقول بولس في رسائله وقد وافق على ذلك بطرس الحواري في رسالته الأولى حيث أوصى العبيد بأن يخضعوا لساداتهم ويخشوهم فأين هذا من ذاك وأين الثرى من الثريا. ولم لم يهتم المسيح بشأن العبيد ويرق لحالتهم كما رق الإسلام وينه عن الاسترقاق متبعيه أو يأمر باستعمال الرفق بهم واللين ولو بجملة واحدة ؟ يقولون انه لم يأت ليسن شرائع أو ينسخ ما كان موجوداً منها . ونقول ردا عليهم لم حرم الطلاق والتزوج بالمطلقة والتعدد في الزوجات . أما كان يمكنه أن ينهى الناس عن استعمال القسوة على الاقل مع اولئك الضعفاء . واذا قدر على الاول فكيف لم يقدر على الثاني مع ان الاول اشق على النفوس من الثاني . (١)

هذا والحق يقال إن ما اتى به الاسلام لم يأت بمثله دين على وجه البسيطة ولو كان المسلمون في درجة الأورو بيين مدنية وعلماً لكانوا اولى الناس بذلك العمل العظيم وهو تحرير الارقاء الذي لم يعرفه غير دينهم . ولكن قضى الله أن يكون المسلمون حجة على دينهم كما كان يقول حكيمنا الاستاذ الامام قدس الله روحه

٨ — أصناف آخرون رعاهم الاسلام بعين رعايته

﴿الفقراء والمساكين﴾

قضت الحكمة الالهية أن يكون الناس مختلفين في الدرجات ما بين غني وفقير اوصعلوك وأمير الى غير ذلك من أنواع الاختلافات التي قامت بسببها الأعمال في الارض ودارت حركة الاشغال وكثرت المنافسات في الحصول على العيش والارتقاء جاء الاسلام فقرر هذه القاعدة العمرانية « ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخريا » وخالف بذلك من أراد أن يجعل المعيشة اشتراكية لأن ذلك هدم للنظام ومدعاة للكسل وترك للأعمال وايقاع للبشر في مهواة الفقر والفاقة والتقهقر . ولذلك لم ينجح ولن ينجح من حاول تبديل خلق الله ولكن

---

(١) المنار : كان سكوت المسيح عن مثل هذا لأن الأمة لم تستعد له مع علمه أن الدين الاخير سيبينه في وقته وقد عبر عن رسول هذا الدين بقوله روح الحق الذي يبين لكم كل شيء

الامم تقرب منه يوماً بعد يوم الى أن يتحقق نبأ الغيب «هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون»

﴿المقالة الرابعة وهي الخاتمة﴾

(في رد بعض شبهات)

اذا قامت في نفس الانسان شبهة ولم يمكنه —أولم يرغب— ازالتها أعمته عن قوة البراهين ولو كانت تلمس باليد وصارت عقبة في سبيل فهمها . وكلما ناداه منادي العقل والانصاف أن أذعن . صاح به شيطان الشبهة أن لا تغتر ، والى غير اعتقادك لا تركن ، ولذلك تجده يقرأ من البراهين ، ماهو آيات للمستيقنين ، ولا يزداد الا جمودا ، وللحق جحودا ، فلهذا رأيت أن أختم مقالاتي السابقة برد ماأعلم أنه العقبة الكبرى أمام اقتناع الكثيرين ممن يقرأونها وهم غالبا صنفان اما أن يكونوا ممن أثرت في عقولهم نظريات الماديين ، واما أن يكونوا من المسيحيين

شبهتان للماديين في القرآن

أما الأولون فأعظم ما يشتبه عليهم ذكر قصة آدم في القرآن وخلق العالم في ستة أيام لان ماعندهم من نظريات «داروين» وغيرها يحول دون التسليم بما ورد في الكتاب . ولي كلمتان أقولها لهذا الصنف من الناس (الاولى) أني أقر وأعتقد أن مذهب «داروين» هو أسمى ماوصل اليه الفكر البشري لحل معميات هذه المسائل — الآثار الجيولوجية ، الاعضاء الأثرية ، التشابه العظيم بين الحيوانات وخصوصاً بين أجنتها وغير ذلك من المسائل العلمية فى عالمي الحيوانات والنباتات التي لا يمكن تعليلها الآن بأحسن من هذا المذهب — ولكن لا ينتج من ذلك أنه هو الحق الذي لا يصل البشر الى تعليل آخر غيره . فكم من نظريات عمل بها العالم أجيالا وقرونا في تفسير كثير من المسائل وقد اعتقدنا الآن خلافها . أما كنا في الزمن الاول نعتقد أن العناصر أربعة فقط (الهواء والنار والماء والتراب) أما كنا نعتقد أن الارض هي مركز العالم وأن الشمس والسيارات تدور حولها ؟ أما كنا

٩ – الخمر والميسر ولحم الخنزير

نهى القرآن نهيًا صريحًا عن هذه الاشياء الثلاثة بما لا يقبل تأويلا. ولم يرد عن نبيه أنه حول الماء خمرا معجزة له ليشربه الناس. ولم يأت في عبادات الاسلام مايشرب فيه الخمر على أنه دم الإله (تعالى) وحكمة تحريم الخمر والميسر لاتخفى على أحد. وأما لحم الخنزير فقد سبق أننا كتبنا في المنار في احدى السنين الماضية مافيه من المضرات التي هي علة تحريمه ونجاسته

١٠ – مصالح الدنيا

أباح القرآن بعد ذلك الطيبات أكلا وشربا وزينة ولباسًا (اقرأ أوائل سورة الأعراف) وأمر بالسعي والعمل وتصريف الأعضاء فيما خلقت لأجله « فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه – فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله» فلم يحث على زهد أو رهبانية أو إخصاء أو نحو ذلك مما هو عقبة في سبيل الرقي والتقدم (أنظر مثلا انجيل متى إصحاح ١٩ : عدد ١٠–١٢) وجملة القول أن الاسلام لم يدع أصلا من أصول الاصلاح الا أتى به ولكن العمل بما قال به الفقهاء المقلدون لا بما دل عليه اللفظ والاسلوب في الكتاب ولا فضيلة الا قررها فهو وحده الدين الكامل بلاشك ولا مراء . ولا يراد بالدين والانبياء الا أن يكونوا كالطب والأطباء لامراض الاجتماع. ولا يعرف قدر الدين الا بقدر شفائه للادواء فهل هناك دواء شاف لمن تعاطاه غير الاسلام. لهذا أخذت

على كل حال ليس مما يملكه أفراد معينون بل يشترى به السلاح وتقام به الحصون وتنشأ به الاساطيل الى غير ذلك مما يتوقف عليه الجهاد فلذلك عبر عنه بقوله «وفي سبيل الله» ولما عطف عليه ابن السبيل كان من مقتضى الاسلوب أن يكون هذا من المصالح فلو كان ابن السبيل خاصًا بالمسافر الذي ينقطع في سفره كما يقول الفقهاء لعطفه على الفقراء والمساكين والمؤلفة قلوبهم والغارمين. فعلم من هذا أن ابن السبيل في قوله تعالى «وفي سبيل الله وابن السبيل» يجب أن يكون من المصالح التي ينفق فيها المسلمون ولفظ ابن السبيل وحده يدل على من لم يعرف له أصل ينسب اليه فنسب الى الطريق الذي وجد فيه وهو أظهر في اللقيط منه في المنقطع في سفره الحلال كما قال الكاتب

«وخلق منها زوجها» أي من جنسها كما في قوله تعالى «خلق لكم من أنفسكم أزواجاً» أو باعتبار أن المرأة هي أصل الرجل ولو كان المراد في مثل هذه الآية أن آدم وحواء هما أصل جميع الامم لما قال في آخرها «وبث منهما رجالا كثيرا ونساء» بل كان يقول «وبث منهما جميع الرجال والنساء» أو ما يفيد هذا المعنى من التعبير كما هو مقتضى السياق . ولكن عبارة القرآن الشريف صريحة في أن المبثوث منهما بعض الرجال وبعض النساء لا كلهم . هذا ولا مانع من أن يكون آدم وحواء هما أبوا العرب وبعض الامم الشرقية . وأما غيرهم فلهم آباء آخرون . ولا يوجد في القرآن ما ينافي ذلك وقد علمت أن هذه الآية على هذا التفسير فيها دليل لنا لا علينا ان قلنا بذلك المذهب — مذهب داروين — ولذا أوردناها في هذا المقام .
واعلم أن القرآن قد يخاطب النبي فقط «يا أيها النبي اذا طلقتم النساء» وقد يخاطب العرب وقد يخاطب أولاد آدم «يا بني آدم خذوا زينتكم» وقد يخاطب المؤمنين في زمن النبي ومع ذلك قد يريد بالخطاب من هم على شاكلة المخاطبين لا المخاطبين فقط ففي هذه الآيات التي نحن بصددها وان كان الخطاب لبني آدم على اعتقادنا الا أن المطالب بالتقوى جميع الناس . هذا وفي قوله تعالى «ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم» اشارة الى أن الله تعالى خلق الناس أولا ثم صورهم ثانيا أي أحسن خلقتهم ثم أسجد الملائكة لبعض أفرادهم الذي اختاره أن يعمر بعض الجهات ويكون خليفة لقوم بادوا فيها . ومثل ذلك قوله تعالى «ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمإٍ مسنون * والجانّ خلقناه من قبل من نار السموم * واذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من صلصال من حمإٍ مسنون*» فكأنه يشير الى أنه خلق الانسان من الطين «وليس فيها دليل على أن ذلك مباشرة» ثم أمر الملائكة بالسجود لأحد أفراد الانسان الذي خلقه مثلهم أولا من الطين الذي يترفع الملائكة عنه ويحتقرونه فكأنه يقول أنا آمركم أن تسجدوا لهذا الفرد المخلوق من الطين كغيره من الناس الذين تحتقرونهم ولذلك كرر قوله «من صلصال من حمإٍ مسنون» وقد يتمسك البعض بقوله تعالى «ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون *» قائلا

نعتقد صحة خبطهم وخلطهم في أمزجة الانسان وأسباب الامراض ومعالجتها ؟ أما كنا نعتقد بكل هذه المسائل وغيرها ونظن أنها الحق الذي ما بعده الا الباطل. فما هو اعتقادنا اليوم ؟ أترك القارئ ليتفكر في هذه المسألة وليستحضر في ذهنه تلك الدهور الغابرة

(الكلمة الثانية) لم يرد في القرآن الشريف نص قطعي على أن آدم أول بشر خلق على وجه الارض ولا على أنه أبو جميع الناس ولا على أنه خلق مباشرة من التراب بل وجد فيه ما يشير الى خلاف هذه المسائل ومثل ذلك قوله تعالى «اني جاعل في الارض خليفة، قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها و يسفك الدماء» فان لم يكن قبله أحد فمن يخلف حتى سماه خليفة ؟ ولو لم تشاهد الملائكة افساد الناس في الارض وسفكهم دماء أنفسهم فمن أين علموا ذلك؟ ومثل قوله تعالى « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالا كثيرا ونساء» . اعلم أن القرآن كثيرا ما يخاطب العرب دون غيرهم من الأمم كما في قوله «انا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون» . فلا يتحتم أن يكون المراد بكل خطاب للناس فيه جميع من على وجه الارض وانما هؤلاء قد يكونون مطالبين بالتبع للعرب المخاطبين ابتداء على حد قول القائل — اياك أعني واسمعي يا جاره — ومثل قول الخطيب لسامعيه يا أيها الناس لا تشربوا الخمر مثلا فهو وان كان يخاطب الحاضرين الا أنه لا يقصد نهيهم وحدهم عن الشرب بل هم وجميع من على شاكلتهم فكذا يجوز أن يكون الخطاب في هذه الآية التي نحن بصددها للعرب وان كان غيرهم مطالبا بالتقوى مثلهم وقد ورد في القرآن لفظ الناس ولم يرد به الا طائفة قليلة وذلك نحو «واذا قيل لهم آمنوا كما امن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء؟» فالمراد بالناس هنا طائفة المؤمنين . واذا تصفحنا القرآن وجدنا أن التكلم في أكثره مع العرب . اذا علمت هذا أقول «يا أيها الناس» أي العرب و «من نفس واحدة» أي نفس أمهم لأن الأم هي الأصل المعول عليه ولها الحظ الأوفر في تكوين الانسان كما يتضح للناظر في العلوم الطبيعية . واذا لاحظت أن هذه الآية هي أول سورة النساء أدركت ما فيها من حسن الابتداء وبراعة الاستهلال

شبهات النصارى في القرآن

« وأما الصنف الثاني وهم المسيحيون» فلهم شبهات (الاولى) ان القرآن قد أخذ ما أتى به من الامم الاخرى ويستشهدون على ذلك بما يوجد فيه مشابهاً أومماثلا ماعند غيرنا من القصص أو العبادات أو العقائد أوغير ذلك . ولكني أذكرهم بثلاث مسائل (١) ان القرآن أتى ليصلح ما كان فاسداً عند الامم لالأن يزيله كله ويأتي بشيء جديد من الأول الى الآخر. كلا بل اذا وجد حسناً أبقاه واذا وجد قبيحاً محاه (٢) ان القرآن نص على أن الله بعث لكل أمة رسولا في عدة مواضع منه منهم من نعرف ومنهم من لا نعرف واذاً فلاغرابة اذا وجد عند هؤلاء الامم شيء من القصص الصحيحة والعقائد الحقيقية والعبادات. فان وافق عليها القرآن فما ذلك الالانها وحي من عند الله لهؤلاء الناس. وان خالف شيئاً منها فما ذلك الالوقوع الغلط فيها على ممر الازمان. وان رد عليها فما ذلك الالانها مما افترته الناس على الله (٣) اذا صح ذاك التعليل فيما أتى به القرآن مماثلا ماعند الناس فماذا يقولون فيما يوجد فيه مما لم يأت به دين آخر ولم يعرفه أحد الا في الايام الاخيرة وقد فصلنا ذلك في المقالات السابقة

(الشبهة الثانية) ورود بعض غلطات فى القرآن على زعمهم . ولا حجة لهم على ذلك إلا مقارنة القرآن بكتبهم . فان وجدوه موافقاً في شيء قالوا أخذه منها . وان خالف قالوا أخطأ . وان أتى بما لم يعرفوه قالوا اخترع . فنعما لحججهم المضحكة !! نحن لانريد أن نطيل الكلام معهم في هذا الباب ولكننا نطالبهم بأن يجيبونا عن هذه المسائل الثلاث بما يقتنعون به هم أنفسهم اقتناعاً حقيقياً بدون رياء أو مكابرة (١) أن يثبتوا بالبرهان القاطع صحة نسبة هذه الكتب الى من نسبت اليهم و (٢) أن كاتبيها موحى اليهم من الله وأنهم لم يخطئوا فى شيء كتبوه و (٣) أنها وصلت الينا كما كتبها هؤلاء بدون تحريف لا بالزيادة ولا بالنقص ولا بالتبديل .

نحن نعلم وكل الناس يعلمون الا الجاهلين أن في هذه الكتب عبارات تدل على أن كاتبيها ليسوا من نسبت اليهم ولنضرب مثلا واحدا اصحاح ٣٤ : ٥ و ٦ من

ان كان ادم كسائر أفراد البشر مخلوقاً من ذكر وأنثى على مذهب «داروين» فلم خص بالذكر دون اي فرد آخر. قلت لأن الخطاب مع النصارى الذين يعتقدون بخلقة آدم من التراب مباشرة فأتاهم بما هو أعجب على حسب اعتقادهم كأنه يقول ان كان آدم في اعتقادكم مخلوقاً بلا اب ولا ام فكيف تعجبون ممن خلق بلا أب فقط. فان قيل لم قال «عندالله» ولم يقل — عندكم — قلت ليشعر بأن هذا التمثيل ان لم يكن مقبولا عندهم فهو عند الله مقبول وكذا عند جميع المنصفين من الناس لأن ما قبله تعالى فهو حق مقبول عندهم كأنه قال ان مثل عيسى كمثل آدم خلقه كما خلقه وان لم تقبلوا هذا التمثيل فهو عند الله مقبول. ثم ان الضمير في قوله خلقه عائد على ما أرى الى المسيح عليه السلام لأنه هو موضوع الكلام أي انه خلقه من تراب كما خلق آدم. ومن المعلوم أن المسيح لم يخلق مباشرة من التراب فيكون آدم مثله وعليه تكون هذه الآية أيضاً لنا لا علينا ان قلنا بمذهب «داروين» ومعناها هكذا: اني آتيكم بمثل مقبول عند الله وان لم تقبلوه وهو أن المسيح مخلوق من تراب كأيّ فرد من أفراد البشر وأخص آدم بالذكر لأنكم اذا اعتقدتم فيه هذا الأمر العجيب — وهو خلقه بلا أب ولا أم — كان الواجب أن لا تندهشوا من مسألة المسيح التي هي أقل غرابة من ذلك.

اذا علمت ذلك تحققت أن القرآن قد أشار الى أن آدم ليس أبا لجميع البشر الموجودين الآن وليس هو أول من خلق. ولم يخلق مباشرة من تراب. وعليه يكون جميع ما ورد فى القران بشأنه سهل التفسير بما ينطبق على مذهب «داروين» تماماً

وأما خلق العالم في ستة أيام فقد ورد فى القرآن أن اليوم عند الله آلاف من السنين «وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون» وقال أيضاً «تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة» فيجوز أن يكون المراد بهذه الأيام الستة آلاف من السنين (*)

(*) المنار: اليوم في اللغة هو الزمن فالستة الأيام هي ستة أزمنة انتقلت بها السموات والارض من طور الى طور حتى تم خلقها على هذه الصفة المشاهدة كما أوضحنا ذلك في المجلد السادس (ص ٣٣١)

الذي لو راجعته لوجدته إما خطأ واما تناقضاً واما زيادة واما دليلا على أن المؤلف ليس من نسب اليه الكتاب الى غير ذلك من الدلائل على فساد هذه الكتب واذا لم تفهم بعض ما أشير اليه من عباراتها فطالع احد التفاسير لتفهم غرضي لأني لا أريد ذكرها بالتفصيل والتكلم عليها خوفاً من التطويل الممل فلذا أكتفي بالاشارة الى أماكنها وأترك الباحث وراء الحق يبحث كما شاء وهي هذه :ــ

﴿ أربعون شاهدا من «الكتاب المقدس» عندهم على تناقضه واختلاه ﴾

(١) رسالة يوحنا الاولى ٥:٧

(٢) تيموثاوس الاولى ٣:١٦

(٣) أكو ١٥:٥ ومر ١٦:١٤

(٤) أعمال ٩:٧ و ٢٢:٩

(٥) أعمال ٢٢:١٠ و ٢٦:١٦

(٦) يوحنا ٣:١٣

(٧) يوحنا ٢:١٩ ومتى ٢٦:٦٠ و ٦١

(٨) يوحنا ٥:٣١ و ٨:١٤

(٩) مرقس ١٦:١ و ٢ و يوحنا ٢٠:١

(١٠) مرقس ٢:٢٦

(١١) مرقس ١٠:٤٦ ولوقا ١٨:٣٥

(١٢) مرقس ٦:٨ ولوقا ٩:٣

(١٣) متى ٢٧:٩

(١٤) متى ١٢:٤٠

(١٥) متى ٦:١٣

(١٦) متى ١٩:٢٨

(١٧) متى ٢:١٥ و ١٧ و ١٨

(١٨) متى ٥:١٧ و ٣١ و ٣٢ و ٣٨ و ٣٩

(١٩) متى ١٦:٢٧ و ٢٨ وأيو ٢:١٨ وأتسا ٤:١٥ و ١٧ و ١٨ واكو ١٠:١١ ومتى ٢٤:٣٤

سفر التثنيه يدل على أن الكاتب لم يكن موسى . وان قيل ان أحدا أضافها فمن هو حتى نثق بأقواله وكيف يضيف الى كتاب الله مالم يكن منه . واذا أمكن مثل هذه الاضافة فلِمَ لم يمكن اضافة غيرها مما لم ينزله الله . ثم نسألهم كيف الف الناس كتبًا كثيرة ونسبوها الى الموحى اليهم كذبًا ؟ كيف ميزتم الكتب الصادقة من الكاذبة وما هي حججكم ؟ لم رفضت بعض الطوائف ماسلمته الاخرى ؟ بماذا اعتقدتم أن كاتبيها ملهمون من الله . هل للخوارق التي يتناقلها جميع الأمم عن مؤسسي دينهم بل وعن غيرهم كالصالحين الاولياء والقديسين — أم لماذا ؟ أو لم يقعوا في الغلط مع أننا نجد أنهم كانوا يفسرون الاشياء على غير حقيقتها كتفسير كثير من الامراض بتأثير الشياطين وكظنونهم فى قوس قزح الذي برهن العلم أنه موجود منذ وجد السحاب والنور وأنه نتيجة انكسار النور في مثل الماء أو البلور

نحن نعلم وأهل العلم يعلمون أن هذه الكتب مملوءة بما يسمونه غلط الكاتب . وفيها من الفقرات الزائدة والناقصة ما يدهش ذوي الالباب وفيها من التناقض ما يحير العقول . ولنضرب مثلا لكل . أما مثل غلط الكاتب فما ورد في السفر الثاني للايام إصحاح (١٦ : ١) اذا قورن بالسفر الاول للملوك (١٥ :٣٣) ومثل الزيادة ما ورد في رسالة يوحنا الاولى ٥ : ٧ التي فيها اشارة صريحة لعقيدة التثليث ومثل التناقض ما في الاصحاح ٩ عدد ٧ من كتاب الاعمال والاصحاح ٢٢ عدد ٩ من نفس الكتاب اذ يقول في الاول ان الذين معه سمعوا الصوت وفي الثاني انهم لم يسمعوا الصوت . فاذا جاز أن يكون الكاتب أخطأ فى النسخ وانتشر خطأه في جميع النسخ فكيف لا يجوز أن يكون حرف شيئًا وانتشر كذلك ؟ !! واذا جازت الزيادة في الفقرات والنقص فيها فكيف نأمن أنه لم يزد أو ينقص مايخل بالمعنى ؟ واذا وجد التناقض فكيف نرجح الصحيح على الباطل ؟ هذا هو حال الكتاب الذي يتخذونه ميزانًا لكتاب الله تعالى وشتان ما بين هذا وذاك

واننا نؤيد قولنا بايراد أربعين شاهداً من هذه الكتب على وجه الاختصار

باب التربية والتعليم

تقرير مشيخة علماء الاسكندرية سنة ١٣٢٢ الدراسية

﴿ تمهيد ﴾ جاء في كتاب « أعمال مجلس ادارة الازهر » مانصه : في ٢٩ المحرم سنة ١٣٢١ و ٢٧ ابريل سنة ٩٠٣ صدرت الارادة السنية بإلحاق التدريس والامتحان في ثغر الاسكندرية بالجامع الأزهر ومضمون الارادة « ان الجناب العالى وافق ارادته العليــة أن تكون الاسكندرية ملحقة بالازهر في التدريس والعلوم والامتحان وان مجلس ادارته يضع لها القوانين والنظامات ويرتب درجات العلماء الموجودين فيها وقت صدور هذه الإرادة ويحصر الاماكن التي تدرس فيها العلوم هناك وان يكون ترتيب درجات علمائها بحضور ثلاثة من مشهوريهم الاقدمين »

ثم ذكر بعد هــذا ان شيخ الازهر ومفتي الديار المصرية (يعني الاستاذ الامام رحمه الله) سافرا الى الاسكندرية للابتداء بتنفيذ هذا الامر الذي كان من رغائب الثاني وأثر سعيه فرتبا درجات العلماء وأحصيا عددهم واختارا الشيخ محمود باشا شيخاً لعلماء الاسكندرية و بعد ان عادا اشتغلا مع مجلس ادارة الازهر بوضع قانون لسير التدريس والامتحان في الاسكندرية فوضع . ثم ان الشيخ محمود باشا أبى أن يكون شيخاً لعلماء الاسكندرية تابعاً للازهر فوقف العمل واتفق أن جاء الشيخ محمد شاكر قاضي قضاة السودان في ذلك العهد الى مصر بالاجازة فأراده أحد أعضاء المجلس (يعني الاستاذ الامام) على أن يكون شيخاً لعلماء الاسكندرية فصادف منه ارتياحاً « فأشار عليه أن يعمل ليصل الى هذه الغاية فقام بالأمر خير قيام ومهد لذلك باسترضاء الجهتين جهة السودان لتوافق على نقله وجهة مصر لترضى بتعيينه شــيخاً لعلماء الاسكندرية وكلل سعيه فيهما بالنجاح فقرر مجلس الادارة في ١٦ ابريل سنة ١٩٠٤ انتخابه لهذه الوظيفة الجليلة وأن يكتب الى نظارة الداخلية لتستصدر الأمر العالي بذلك فكان ماطلبه المجلس وصدر الامر العالي بتعيينه شيخاً لعلماء الاسكندرية في ١٠ صفر سنة ١٣٢٢ و ٢٦ ابريل ١٩٠٤ وانحل

(٢٠)متي ١:١٢

(٢١)متى ١:١١و١٧

(٢٢)متى٩:١٨ومرقس ٥:٢٣

(٢٣)دانيال ٩:٢٤

(٢٤)حزقيال ٤٥و٤٦ وسفر العدد ٢٨و٢٩

(٢٥)حزقيال ١٨:٢٠ وخروج ٢٠:٥

(٢٦)أرميا ٥٢:١—٣٤

(٢٧)نحميا ١٢:١-٢٦

(٢٨)٢أيام ١٥:١٩وا ملو ١٥:٣٣

(٢٩)٢أيام ٢٢:١وا ملو ١٥:٣٣

(٣٠)٢أيام ٢٢:٢ و٢ملو ٨:٢٦

(٣١)١أيام١٩:١٨ و ٢صمو ١٠:١٨

(٣٢)١أيام ١٨:٤و ٢ صمو ٨:٤

(٣٣)يشوع ١٠:١٣ وتكوين ١٤:١٤ (انظر ٢صمو ١:١٧ وقضا ١٨:٢٩)

(٣٤)يشوع ١٥:٦٣ (انظر صموئيل الثاني ٥:٦—٨)

(٣٥)يشوع ٢٤:٢٩ — ٣١

(٣٦)تثنية ٢٣:٢ و٣

(٣٧)تثنية ٣٤:٥—١٠

(٣٨)خروج ١٢:٤٠

(٣٩)تكوين ٤٦:١٥

(٤٠)تكوين ٣٦:٣١—٣٩

ناهيك بما في هذه الكتب من الغلط والخطإ في المسائل العلمية والأخلاقية والاعتقادية وقد أشرنا الى بعضها فيما سبق. (محمد توفيق صدقي)

(المنار) ان ما ذكره في كون آدم ليس أول البشر على الاطلاق موافق لمذهب الصوفية الذي يؤيدونه بالكشف كما يعلم من كلام الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي. وللمقالة بقية

بما جاء به من عند ربه بحيث تكون دعائم التعليم لكل بناء المسلمين هي تلك الدعائم التي بني عليها الاسلام وهي الاقرار لله بالوحدانية ولمحمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة واقامة الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وأداء فريضة الحج الى بيت الله الحرام حتى لانرى في الشبيبة المصرية (وهم رجال الغد) من يجترئ على ترك فريضة أوسنة أو يستطيع الصبر على مسلم يتركها وهو على فعلها قدير والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم»

﴿المنار﴾ قد أحسن الاستاذ في عرض تقريره على محك النقد بما كتبه في هذه المقدمة و بما كتب به الينا والى غيرنا من أصحاب الصحف . واننا نبدأ بابداء رأينا في هذه الجملة فنقول انه يعني بالشبيبة —وهي مصدر — الشبان بل من دونهم من المميزين المرشحين وما ذكره بشأن تربيتهم تربية اسلامية غير كاف على مافي العبارة من الاطناب الذي أفضى الى التكرار ايضاحاً للواضح في قوله «على اتباع شريعة المصطفى (ص) وعلى العمل بماجاء به» وقوله بعد هذا «بحيث تكون دعائم التعليم» الخ لا يصلح تصويراً و بياناً للاتباع والعمل فان التعليم غير التربية العملية ثم ان الذي يجب أن يتعلمه كل مسلم من الإسلام ليس هو الاقرار لله بالوحدانية الخ ماذكره لأن كل مسلم يقر هذا الاقرار و يسهل عليه أن يتعلم كيفية اقامة الصلاة في مجلس واحد وكذلك أحكام الصوم ولا يجب على مسلم تعلم أحكام الزكاة والحج الا اذا كانا مفروضين عليه لغناه . ثم ان تعليم هذا الاقرار وهذه الاعمال لا يترتب عليه ماذكره غاية له بقوله «حتى لا نرى في الشبيبة المصرية من يجترئ على ترك سنة أو فريضة» الخ فان الأستاذ الكاتب يعلم كما نعلم ان عدد المسلمين الذين تعلموا هذه الأمور وعملوا بها لا يتناوله الاحصاء ولا يكاد يوجد فيهم من لا يجترىء ولا يصبر على ما ذكر .

ان الاحاديث التي اكتفت في اجراء أحكام الاسلام على المرء بالشهادتين والعمل بالاركان الاربعة الاخرى انما هي في شأن الكافرين الذين يدخلون في الاسلام فهذه هي الامور الظاهرة التي يعدون بها مسلمين وقد كان ممن قام بالأركان الخمسة في الظاهر المنافقون الذين نزل فيهم من الآيات مانزل وقال فيهم النبي

ذلك المشكل العظيم» اهـ ما أردت نقله من كتاب أعمال الازهر

وأقول ان الاستاذ الامام رحمه الله تعالى كان يتوسم في الشيخ محمد شاكر الهمة والنشاط في العمل ويعرف فيه حب النظام فلذلك اختاره قاضياً للسودان أولا ثم شيخاً لعلماء الاسكندرية آخراً وهو الذي أقنع الحكومة السودانية بأن ترضى بنقله وأقنع مجلس ادارة الازهر بطلب تعيينه وتسهيل السبيل له وانظر ماجاء عن مبادئ عمله في كتاب (أعمال مجلس الازهر) قال مؤلفه

« قام شيخ علماء الاسكندرية الجديد بعمله أحسن قيام لما فيه من الفطنة وشدة الذكاء ولعلمه بما يجب لهذا الزمان الحاضر وعضده مجلس الادارة الازهرية وشيخ الازهر أكبر التعضيد وسهل له الطريق في استعمال فكرته ولم يقيده بنظام سوى نظام الازهر نفسه ونسخ له صور القوانين والقرارات التي يجري عليها العمل المستمر وقرر له كل ماطلبه في سير الاعمال وضبط نظامها وتكاليف العمال بما يطلبه منهم فأمضى بقية سنته في ترتيب وتنظيم وفي تعويد العلماء على العمل وضبط المواعيد والمواظبة على إلقاء الدروس واستصدر أخيراً من مجلس الادارة قرارا بحصر المساجد التي يكون فيها التدريس في ثمانية مساجد» الخ

ثم ذكر أنه في آخر السنة الدراسية قدم تقريرا الى مشيخة الجامع الأزهر فصل فيه أعماله في تلك المدة ومايريده في السنة الجديدة. ونقول قدمت هذه السنة ووضع لها تقريراً رفعه «للاعتاب الخديوية» لالمشيخة الأزهر وهو موضوع ما نكتب هنا بعد هذا التمهيد فنبدي رأينا في مسائله التي فيها مجال للرأي ثم في عبارته

﴿ مبحث التعليم الديني — رأيه ورأينا ﴾

في مقدمة التقرير كلام في فائدة عرض الأعمال على أصحاب الافكار والآراء قال بعده «وهذه خلاصة الاعمال في مشيخة العلماء بمدينة الاسكندرية وأن المشيخة ليسرها أن ترى ذلك اليوم الذي يتناول فيه كبار الكتاب أقلامهم لإفاضة البحث في ترقية التعليم الديني واعلاء شأن معاهد العلوم الدينية استنهاضاً للهمم وترغيباً في تربية الشبيبة المصرية من كل الطبقات التي تتكون منها الامة تربية اسلامية مؤسسة على اتباع شريعة المصطفى صلى الله عليه وسلم وعلى العمل

الاسلام وعظماء الامة أن التعليم الديني قدكاد يكون منحصرا فى طبقات الفقراء وبعض الطبقات الوسطى من الامــة الإسلامية دون الطبقات العليا منها وذلك خطر غير قليل على الجامعة الاسلامية بمرور الدهور والاعوام اذا قدر أن ينتهي الأمر بانحصار التعليم الديني في تلك الطبقات فتكون الرئاسة الدينية منحصرة فيهم لايتولاها سواهم من الطبقات الاخرى و بالتالي تكون كل الوظائف الدينية فى أيدي أولئك الاقوام ومن خصائصهم و بعبارة أصرح تكون الفضائل والمزايا الدينية مجردة عن القوة المالية، والقوة المالية بعيدة عن المزايا الدينية، و بين أيدينا من نتائج هذا التفريق في القوى الفعالة وهذا التدلي في التربية الدينية مايصلح عبرة لكرام القوم وخاصة المسلمين وعقلاء الامة

« فلينظر العقلاء وسادات الاسلام الى موقفهم هذا فلعلهم اذا فكروا فيـه كثيرا يترجح عندهم ان يتربى أبناؤهم تربية دينية اسلاميـة محضة تحت كفالة خيرة العلماء العاملين المرشدين حتى اذا تخرجوا على هذا المبدإ القويم كانوا أقدر على خدمة دينهم وأمتهم الخدمة التى ترجى من أمثالهم مع الترفع عن الدناءة وعن السقوط في مهاوي الخسران واذا شاء عظماء الأمة أن يتربى أبناؤهم هذه التربية فانهم يساعدون على ترقية التعليم الديني و يجعلون له المكانة العليا في أفئدة الناس أجمع وما ذلك على الله بعزيز نسأله الهداية والتوفيق لأقوم طريق » اهـ

(المنار) هذه تتمة مقدمة التقرير وجملة ما يقال فيها انها من الخواطر الحميدة التي تسنح للاذكياء وغرض الكاتب منها فيما يظهر دعوة أغنياء المسلمين فى هذه البلاد الى نظم أولادهم في سلك طلبة العلم الديني في الاسكندرية والعناية بالإسعاد عن هذا التعليم . وما من مسلم متفكر الا وهو يتمنى أن يقبل الاغنياء مع الفقراء على تلقي العلوم الدينية والتأدب بأدب الاسلام وانها لأمنية لاتنال بالتعبير عنها في تقرير ولا بالدعوة اليها والترغيب فيها بالكلام المبهم . بل بترقية المدارس الدينية ترقية تجذب الغني اليها باعتقاد أن فيها سعادته في الدنيا قبل الآخرة بجمعها بين علومهما مع الاقتصاد في الوقت على ما سنبينه بالايجاز الذي تقتضيه الحال

لايقدم الناس على شيء الا اذا علموا علم إذعان بأنه خيرلهم وأكفل لمصالحهم

صلى الله عليه وسلم ما قال، والمبتدئون من جهلة الأعراب الذين سلموا بظاهر الدين. ولم يفهموا عقائده بالبرهان المفيد اليقين الا بعد حين وفيهم نزل (قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم) الآية

الغاية التي ذكرها انما ترجى للكملة من الذين تربوا على الاصول الثلاثة في حديث جبريل المتفق عليه من رواية عمر وأبي هريرة وهي الاسلام المفسر بالاركان الخمسة التي ذكرها صاحب التقرير وهي عبارة عن القسم العملي من عبادات الدين والايمان وهو عبارة عن القسم الاعتقادي منه والاحسان وهو الادب الكامل الذي هو أثر الاعتقاد الصحيح والعبادة القويمة والتهذيب المعتدل. ونعني بتربيتهم على هذه الاصول الثلاثة تعويدهم العمل بالعملي منها من أول النشأة بحسن القدوة لا بمجرد الطلب باللسان وتلقينهم العلمي منها بالدلائل التي يخضع لها العقل ويطمئن بها القلب

وجملة القول ان عبارة التقرير في هذا المقام مضطربة وغير مبينة لما يجب من التربية الاسلامية والتعليم الاسلامي ولا للضروري منه وهو (١) العقائد الدينية على طريقة القرآن مع كشف الشبهات التي فشت في هذا العصر بين المسلمين من غير خلط بفلسفة اليونان وشبهات المبتدعة الذين انقرضوا ودرست مذاهبهم. و (٢) الآداب الدينية مع بيان فوائدها للمتأدب بها في نفسه وفيمن يعيش معهم بحيث يقتنع بتعلمها أن فيها سعادة الدنيا قبل الآخرة ويتضح له ذلك بالتأدب بها فعلا. و (٣) الأحكام العملية مع بيان أسرارها وفوائدها في نفس العامل وفي صلته بالناس الذين يعيش معهم على ما بينا آنفاً. هذا ما يذكر في دعائم التعليم الديني بالاجمال ونحث الكتاب على الترغيب في إقامة هذه الدعائم بتعليمها لأولاد المسلمين وتنشئتهم على العمل بها في البيوت وفي المدارس حتى يصير العلم بها مؤيداً بالوجدان. وانا لنعلم ان كاتب التقرير يقر هذا في نفسه وان لم تتناوله عبارته وله أن يقول ان سيرته التي سيشرحها تتفق معه في الجملة وان كان اللاحق لا يدفع الايراد السابق. ونحن لا نرتاب في حسن قصده، وما قلناه بيان جاء في وقته ،

﴿التعليم الاسلامي في الاغنياء والاعلياء﴾

ثم قال الاستاذ صاحب التقرير بعد ما تقدم: « ومما يجب أن يتنبه له عقلاء

كل مسلم مكلف فهم دينه من كتابه وسنة نبيه ان استطاع فان لم يستطع ذلك بنفسه استعان بأيّ مسلم يرى انه يعرف حكم الله الذي يطلبه لا تنحصر افادة الدين في رؤساء معينين . وقد مضى الاصطلاح بأن يدعى سلطان المسلمين رئيساً دينياً وان قال الصحابة في أبي بكر عليه الرضوان: رضيه رسول الله صلى الله عليه لدينا — أي في امامة الصلاة — أفلا نرضاه لدنيانا: فجعلوها دنيوية وهل يطمع غني أو فقير بهذه الرياسة الشرعية أو الدينية، مهما بلغ في التربية والعلوم الاسلامية ؟ وأما الوظائف الدينية الحقيقية المحضة كامامة الصلاة والاذان فلا يرغب فيها الاغنياء بل لا يرضونها لانفسهم على أنها لا تزال مبذولة للجاهلين . وهناك وظائف شرعية كالقضاء والافتاء وليست مما يرغب فيه الاغنياء هنا لما هو معروف للكاتب والقارئين

لا خطر على الجامعة الاسلامية في انحصار الوظائف الدينية في أهل الفضائل والمزايا الدينية من الفقراء والأوساط ومن يتحلون بهذه الفضائل والمزايا لا يعجزهم أن يطلبوا الغنى فينالوه وأن يقنعوا الأغنياء ببذل شيء من فضول أموالهم في سبيل الله لاقامة المصالح العامة . ثم إن تحلي الأغنياء بالفضائل والمزايا الدينية ليس مما يتوقف على هذا التعليم الذي يدعوهم اليه الاستاذ في تقريره . فجملة القول أن عبارة التقرير في هذه المسألة مبهمة مضطربة كعبارته التي قبلها

اذا قلنا ان المسلمين أو الجامعة الاسلامية على خطر فانما نعيد قولا تكرر منا في المنار كثيراً . ونعيده الآن لنقول ان التعليم الديني في مصر ليس له أثر ما في حفظ ما يسمونه الجامعة الاسلامية بل ربما كان له الاثر في اضاعتها لأنه لا يدفع الشبهات الطارئة في هذا العصر على الدين ولا يبين انطباق أحكامه على مصالح البشر ومنافعهم الشخصية والاجتماعية ولا يخرج رجالا يصلحون حجة على أهل التعليم الدنيوي باستقامتهم وفضائلهم وقدرتهم على النهوض بالأعمال العظيمة عامة كانت أو خاصة حتى اذا أردنا أن نقول : ان أثر التعليم الديني في أهله هو أفضل من أثر التعليم الدنيوي بأهله أو مساوله في شؤون الدنيا ويفضله في الآخرة قلنا ذلك بقوة تخترق الآذان ، وتصيب من النفوس مواقع الوجدان ، بل كثيراً ما يأتي هذا التعليم بضد ذلك حتى صارت جميع الطبقات التي يصفونها بالعليا

ودعوة الأغنياء الى التعليم الديني لم تبن على بيان يودع نفوسهم من العلم بذلك ما يحملهم على اجابة الدعوة فان عبارة التقرير لم تذكر من المرغبات في الدعوة الا توقي الخطر على الجامعة الاسلامية الذي جعله مشروطاً بانحصار التعليم فى غير الاغنياء. وفرع من هذا الاصل انحصار الرياسة الدينية في غيرهم وجعل الوظائف الدينية تالية للرياسة في هذا ثم فسر ذلك بعبارة أصرح في مقصده وهي جعل الفضائل والمزايا الدينية مجردة عن القوة المالية والقوة المالية بعيدة عن المزايا الدينية . فكأن هذا التجرد هو الخطر فاتقاؤه هو المرغب الوحيد للاغنياء في اجابة الدعوة وهو يتوقف على الاقتناع بصحته وصحة كونه محل الخطر على الجامعة الاسلامية وصحة كون معاهد العلم الديني فى الاسكندرية تجمع للمتعلمين بين القدرة على النهوض بالاعمال المالية مع الفضائل والمزايا الدينية ليجمعوا بين القوتين وكون ذلك يمنع الخطر . على ان هذا كله غير واضح فى كلامه ولنا أن نجعل كل كلمة من تلك الكلمات التي يفسر بعضها بعضاً في كلامه مرغباً مستقلا ونوسع الدائرة بالاستنباط ثم نرى أيكفي ذلك لاجابة الدعوة

أيحسب الذين اعتادوا الارتياح الى أمثال هذا الاقتراح في الجرائد أن من الجواذب اليه والمرغبات فيه ماذكره الاستاذ من الخطر على الجامعة الاسلامية، والترغيب في الرئاسة الدينية، والوظائف الدينية ، وتجريد المزايا الدينية من القوة المالية ، وكفالة خيرة العلماء العاملين المرشدين ، لطلاب هذه التربية مع التعليم،؟ أين توجد التربية الاسلامية والتعليم الديني الجامعان لكلمة المسلمين الموثقان لروابطهم ؟ أين أولئك العلماء الذين أشار اليهم وماهي آثارهم في وقاية الامة من الخطر ، ماهي الرياسة الدينية التي لا ينالها الامن تعلم العلوم الدينية وتربى في حجرها، ثم ماهي الوظائف الدينية التي يرفع الاغنياء أبصارهم اليها، أليست هذه الكلمات من قبيل مايطفو فوق أنهار الجرائد كل يوم كفقاقيع الماء، ثم يتلاشى في الهواء ، بلى انها من هذا القبيل ولا تنس اننا حمدنا السانحة في نفسها وجزمنا بأن كل مسلم عاقل يتمناها، وكيف السبيل الى نيل الاماني!

فيادارها بالخيف ان مزارها قريب ولكن دون ذلك أهوال

ليس في الاسلام رياسة دينية حقيقية كالرياسة في الاديان الاخر فان

لرقي الامم في كل زمان ومكان ثم ما استفاده سلف الامة منهما في تفصيل ليس هذا المقال بالذي يتسع له فأ كتفي بهذه الكلمة كما أ كتفي من بيان فوائد النظام بأن مدة تحصيل العلوم الدينية والدنيوية لا ينبغي أن تزيد فيه عن مدة التحصيل فى الازهر لتلك الكتب التي لاغناء فيها وهي خمس عشرة سنة أما العلوم الازهرية فيكفي لتحصيلها في غير كتبهم هذه وعلى غير طريقتهم في التعليم خمس سنين

اذا حسنت حال التعليم في الاسكندرية فان حسنها يكون تمهيداً لما يريد المصلحون من ارتقاء علوم الاسلام فيها وإن للشيخ محمد شاكر من الفطنة ما نرجو أن يرتقي به في السلم الذي وضع للازهر من قبل مع الاستعانة بالاذكياء العارفين بنظام التعليم كمريدي الاستاذ الامام الذين عرف لهم حقهم وشكر لهم صنيعهم بمساعدته في تقريره الاخير. وما وضع للازهر انما كان موقتا روعي فيه ضعف الاستعداد. وكان في عزم المصلح الاول رحمه الله تعالى أن يعد به القوم الى نظام أكمل منه تزاد به العلوم ويجعل فيه فرق تختص باتقان بعضها بعد الالمام بجميعها. وسنبين بعض ذلك عند الكلام على التدريس والعلوم



باب الأخبار والآراء

مسألة مكدونية

﴿ أوربا وتركيا — أو الدين والسياسة ﴾

اشتد ضغط دول أوربا على دولتنا في هذه الايام يعرضن عليها أن يكون لهن مراقبون لمالية الولايات المكدونية ويحملنها على اجابتهن الى ما طلبن بالتهديد والوعيد. وما هذه المراقبة التي يطلبن الاجعل ادارة تلك البلاد — وهي سياج عاصمة الدولة — أوربية محضة. وقد كنا حين نجم ناجم الثورة في مكدونية من نحو ثلاث سنين لانخشى الامن روسيا لأنها كانت تستعد للحرب فاذا هي تستعد لليابان التي جعلت استعدادها في البر والبحر هباء منثورا

تتفكه بانتقاد أهله والخوض فيهم

زار القاهرة في هذه الايام أستاذ من أساتذة المدارس الاسلامية فى روسيا وكان جل همه البحث عن طرق التعليم الديني وغير الديني فساءه ما رأى في الازهر من الفوضى وفساد طريقة التعليم وزرت معه بعض العظاء فكانوا اذا ذكر الازهر وأهله يقولون انه لاخير في هذا المكان يرجوه الاسلام وان أهله «كالخشب المسندة» وألقاب أشنع لاأحب ذكرها . والتعليم في الاسكندرية قد أوشك يفضل التعليم في الازهر بالنظام والمراقبة والامتحان والمكافأة التى طالب المصلح بها أهل الازهر وحتمها عليهم بالقانون منذ عشر سنين أو أكثر فنفروا منها نفارا، وأصرّ كبراؤهم على رفضها اصراراً ، ووجدوا لهم من السياسة أنصارا:

انه ليسرنا أن ينفذ فى الاسكندرية شيء من الاصلاح الصوري مع توجيه الهمة الى شيء من الاصلاح المعنوي وأن يصدق ظن شيخنا الاستاذ الامام في الشيخ محمد شاكر ونراه موفقاً الى السداد في تنظيم معاهد العلم فى تلك المدينة ولكننا نقول ان هذا كله لا يكفي في الاصلاح المطلوب الذي يرجى لوقاية الاسلام ولا مسلمي مصر من الخطر ولا لجذب أولاد الأغنياء الى هذا التعليم اذ الأغنياء أحرص الناس على الزمن أن يضيع منه خمس عشرة سنة أو عشر سنين في معالجة كتب محدودة في الفنون العربية والفقه الذي صار أكثره غير معمول به والكلام الذي معظمه نظريات في مذاهب انقرضت وهم يرون أنه يقل في معالجي هذه الكتب من ينجح في فهمها وأن الذين يفهمونها قلما يوجد فيهم من يفيد الأمة فائدة لها شأن في ترقيتها أو الدفاع عن دينها وحقيقتها بل قلما يوجد فيهم من تصح عبارته العربية وكيف يفهم الدين من لا يتقن لغته اتقاناً

ان توحيد التعليم والتربية فى الأمة باشتراك جميع الطبقات فيهما مما يتوقف عليه تحقق وحدة الأمة وقوتها وهو أمر يتوقف على وجود زعماء من المسلمين يعرفون أسبابه فيأتونه من أبوابه وما أبوابه الا المدارس التي تجمع بين علوم الدين وعلوم الدنيا مع النظام الذي انتهى اليه رقيّ البشر الاجتماعي والصناعي . وأعني بعلوم الدين علوم القرآن والسنة ومافيهما من الحكم والاسرار الموافقة

«مسألة مكدونية مسألة عشواء والحكم فيها غامض لما تقدم ولأن النصارى فيها وفي جميع ما بقي تحت حكم العثمانيين من بلاد أوربا وما يدانيها كبلاد الارمن قد توجهت نفوسهم الى الاستقلال واعتقدوا ان أوربا نصيرة لهم وأن الذريعة الوحيدة لاثارة نعرتها عليهم وتصديها لفصلهم من جسم الدولة الثورات التي تضطر الأتراك الى سفك قطرات من دمائهم تأديباً لهم» اه المراد منه

ثم كتبنا مقالة في الجزء الحادي عشر الصادر في غرة جمادى الثانية من تلك السنة (١٣٢١) رجحنا فيه ان استعداد روسيا الحربي انما كان لاجل توقع الحرب مع اليابان وان الخوف على دولتنا يومئذ انما هو من الجانب الذي كانت ترجوه من قبل وهو انكلترا وأوضحنا بعض الايضاح ما عليه أوربا من التحامل علينا ولا بأس بذكر شيء من ذلك هنا . قلنا بعد الكلام في عدوان البلغار وأخذها بمحضاة الثورة في مكدونية تعويلا على مساعدة بعض الدول

« أيعقل ان تتحرش بلغاريا الضعيفة بالأسد التركي الا اذا كانت واثقة بأن وراءها أسدا أو أسودا ؟ اذا لم يكن الأسد الروسي الذي أعطى هذه البلاد استقلالها هو الذي يحميها من قرنه التركي فعلى أي الاسود تعتمد؟ الأقرب عندي أن يكون الخوف اليوم في موضع الرجاء بالأمس فاننا لما كنا نسيء الظن بروسيا أحسنا الظن بالانكليز حتى توقعنا أن يكون الغرض من زيارة ملكهم لفرنسا الاتفاق معها على عدم الرضى من روسيا بمحاربة تركيا لكيلا تساعدها فرنسا على ذلك ولما ترجح عندنا الآن أن روسيا لا تريد حرباً ولا تضمر غدراً (أي لنا) انعكس الرأي الأول وظننا السوء بانكلترا وتوقعنا انها قد اتفقت مع فرنسا على النفخ في نار الثورة . . . الى أن قلنا

« ان سلوك أوربا الجديد في حل المسألة التي يسمونها الشرقية و يعنون بها الاسلامية سلوك عجيب وأعجب صوره وأغرب أشكاله ما كان من نتيجة محاربة الدولة العلية لليونان فقد جعلت أوربا الدولة البادئة بالعدوان، المغلوبة في ميدان الطعان، هي الفائزة بالنتيجة اذ جعلت ولي عهدها حاكماً على ولاية عظيمة من ولايات الدولة المنتصرة (وهي جزيرة كريت) على أن تكون هي الحافظة والحامية لتلك

كتبنا في الجزء الأول لسنة المنار السادسة (سنة ١٣٢١) الصادر في ٣٠ مارس سنة ١٩٠٣ م نبذة في ثورة مكدونيه قلنا فيها ما نصه : ولقد كان الانكليز عون الدولة العثمانيــة على روسيا فحال لون السياسة الجامعة بينهما وتغير شكلها ، وتبدل السلطان عاهل الألمان بالانكليز وهو ملك يَطعَمُ ولا يُطعِمُ شديد الجشع قوي الطمع اذا رأى روسيا وقد جد جــدها يكتفي منها بلقمة كبيرة يلتهمها ويتركها بعد ذلك وشأنها ، ولا يطوف في خاطر عاقل انه يسمح بجندي ألماني واحد لصديقه السلطان ، اذا نزل مع الروس في ميدان الطعان، اه واذ ظهر لنــا أن اليابان كفتنا الخوف من روسيا بما نــكلت بها وبما أعقبت حربها اياها من الثورة التي كادت تدمر البلاد الروسية وتذهب بسلطانها المطلق وتقبض ظله عن الأرض فلنذكر ما كتبناه في تلك النبذة عما نخشاه من أوربا على تلك البلاد اذا أمنا روسيا وعن اضطراب المسلمين لذلك ثم نقفي عليه بما حدث في هذه الأيام . قلنا هناك:

«كانت قلوب المسلمين في العيدين (أي عيدي سنة ١٣٢٠) محوّمة فوق بلاد مراكش تؤلمها فتنـــة الخارج كما تسوءها سيرة المالك ، وقد دخلت عليها السنة الجديدة فاستقبلها همّ أكبر من هم مراكش – هم الدولة المسلمة الكبرى (وقاها الله تعالى) ولا خوف عليها الا من روسيا فاذا كانت لا تريد سوءا فدع البلقان يضطرم بنيران الثورة اضطراماً ولا تخش مغبته فالدولة قادرة على تأديبه . وأسوأ عاقبــة تنتظر حينئذ استقلال مكدونية أووضعها تحت حماية الدول الكبرى على المذهب الجديد في سير أوربا بالمسألة الشرقية ــ مذهب التفكيك وتحليل العناصر -- وهــذا المذهب خير لدول أوربا وأسـهل طريقاً من حرب الدولة لأجل الفتح والتغلب لان هذا يعوزه الاتفاق على ما يتعسر الاتفاق عليه ويقتضي بذل أموال غزيرة وسفك دماء عزيزة . وهو خير للشرقيين أو المسلمين وأسهل عليهم أيضاً لأن كل عنصر ينحل من عناصر بلادهم وكل قطعة تنتقص من أرضهم تفيدهم عبرة كبرى وتعلمهم كيف يحفظ الباقي . فاذا لم يتعلموا بتكرار النذر ، وأنواع العبر ، وكانوا يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون ، فهم أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون ،

اسفراء دولهم . فخلاصة هذا الاقتراح أن تكون مالية تلك الولايات وادارتها في أيدي دول أوربا كما أن أمر الأمن في أيديهم وللدولة اسم السلطة والسيادة لا ينازعها فيه منازع الآن لما عليه أمراء الشرق وملوكه من التفاني في عشق الالقاب:

رفض السلطان قبول هذا الاقتراح الجائر الذي يقلص ظل سلطته عن تلك الولايات التي هي حظيرة لعاصمة ملكه فألحت الدول عليه وهددته باحتلال بعض الجزائر العثمانية التي تقرب من باب الاستانة (الدردنيل) فأصر على الإباء وله الحق في ذلك ولكنهم قوم يطمعون في ضعفه

ماودع المسلمون رمضان واستقبلوا عيد الفطر الا وقلوبهم تكاد تتفطر أسى وحزنا ، وحقداً وضغناً، الأسف والحزن على ماوصلت اليه الدولة الاسلامية الكبرى من الضعف باهمال اصلاح بلادها، والحقد والضغن على أوربا المتعصبة التي تريد محو سلطة المسلمين من أوربا ثم من الأرض كلها. وقد رأيت من مسلمي هذا القطر المبارك فوق ما كنت أعتقد فيهم من الغيرة والتألم على الدولة العلية أعزها الله بالعدل والعلم والاصلاح ، ومن البغض لأعدائها خذلهم الله بالتفرق والتعادي والانقسام ،

والرأي عندي وعند كل من تكلمت معهم في هذا الأمر ، من ذوي الرأي والفكر ، أن اصرار الدولة العلية على رفض مايطلب الدول منها هو الصواب وأن شر عاقبة تتوقع له هي خير منه أو أضعف شراً وأقل ضرراً ، ان استيلاء الدول على تلك الولايات بالقوة بعد مقاومة الدولة لهن لهو خير من تسليمهن ادارة ماليتها بالتهديد والانذار والوعيد فان كلا الأمرين خسران مبين للبلاد وفي الخنوع والاستسلام للوعيد خسران معنوي أعظم وهو خسران الشرف والاستقلال يقابله في المقاومة مع حفظ هذا الشرف فوز معنوي عظيم وهو ايقاظ المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها وإشعارهم بالخطر الذي يتهدد سلطتهم من حيث هم مسلمون ولا شيء أنفع لهم في هذا العصر من هذه اليقظة والشعور وقد كان الاستاذ الامام رحمه الله تعالى يقول ان الحرب العثمانية الروسية الأخيرة قد كانت هي المبدأ لهذه الحركة الفكرية العامة في المسلمين وان كان البلاء لينزل من قبل هذه

الولاية وما يدرينا لعلهم يريدون الآن سلخ ولايات مكدونية من الدولة بمثل تلك الطريقة، وهكذا يقطعون في كل مرة عضوا من جسم الدولة يغذون به من يرونه أولى به، حتى لا يبقى الا الرأس والقلب فيسهل على الروس الاتفاق على الايقاع به

« اننا نرى دول أوروبا عابثة فى كل حين باستقلال الدولة، ففي كل حادثة لهم أوامر تطاع ، ومناهي تجتنب، والدولة راضية وكل ماتجنيه في بعض الاحيان لا يخرج عن مراوغة في تنفيذ بعض الأوامر أو إرجائها وكلماتم للدولة ضرب من ضروب هذا الظفر الوهمي هتف المغرورون مع الغارّين . نحن أصحاب السياسة المثلى ، والكلمة العليا . فاذا انتهى أجل الارجاء، وحل اليأس محل الرجاء، سكتوا واجمين ، أوخدعوا أنفسهم معتذرين»

« يقول الاوربيون ان الذي أذل تركيا وذللها لهم هو ظلمها لمن ليس على دينها من رعيتها لاسيما النصارى . ولنا أن نقول ان وجدنا سامعاً : اذا كانت هذه الدولة تظلم المخالفين لها في الدين فلماذا يهرب اليهود من مشرق أوربا (روسيا) ومغربها (اسبانيا) الى بلادها ؟ أمن المعقول أن يهرب الناس من ظل العدل الى هاجرة الظلم واذا زعمتم أنها تظلم النصارى خاصة فكيف يعقل أن تظلم المخالف الذي يجد أنصارا أقوياء ينتقمون له وتدع من لا ولي له ولا نصير ، واذا كانت أوربا تعبث باستقلال الدولة وتفتات عليها في سياستها الداخلية حباً في العدل بالمظلومين فما بال هذه الرحمة لا تحرك لهم عاطفة على اليهود الذين يستحرّ فيهم القتل بأيدي النصارى لأنهم يهود ؟؟ ليس موقفنا مع أوربا موقف جدال وحجاج ولكنه موقف قوة وضعف فالقوة تفعل والضعف ينفعل اه المراد منه

هذا شيء ما كتبناه في المسألة والعهد قريب بظهورها وقد كرت السنين فما زادت هذه الآراء الا بيانا ورجحانا . وضعت أوربا ضباطاً من جندها يحفظون الأمن في الولايات المكدونية مع رجال الضبط العثمانيين ليكونوا مطلعين على كل ما يقع في البلاد ثم أرادت القبض على أزمة المالية والادارة فاقترحت على الدولة تعيين مندوبين مالبين من الدول العظام يضعون الميزانية للبلاد وينظرون في أمر العمال والمستخدمين من تولية وعزل ويتصرفون في الجباية والصرف ويكونون تابعين في أعمالهم

سياسيا قد صدقوا ، والذين سموه دينيا لم يكذبوا ، فاذا كان لا يهمها أمر الدين الاسلامي من حيث هو اعتقاد وعبادة ، فأكبر همها ان لا يكون له سلطان ولا سيادة ، ألا يجدر بالمسلمين اذا أن يحرقوا عليها الأرّم ، ويعتقدوا ان شرف سلطتهم لا يسلم حتى يراق على جوانبه الدم ، بلى وانما موضع الخطأ ان يحاولوا الانتقام من الذميين والمسالمين ، والله تعالى يقول « وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين » فايذاؤنا النصارى في بلادنا ، عصيان لديننا وخراب لدنيانا ،

اذا كان المسلمون قد شعروا شعورا صحيحا بالخطر الذي ينذر سلطتهم ، والبلاء الذي يتهدد ملتهم ، فعليهم ان يعرفوا كيف يقاومون العدوان بمثله لان الله تعالى يقول «ومن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدي عليكم واتقوا الله» أي ولا تبغوا وانما تعتدي علينا أوربا بقوة أمتها، وعلمها وصناعتها ، ونظامها وثروتها، ودهائها وحكمتها ، ولذلك تستفيد مما بقي لنا ما لا نستفيد. فما دمنا على هذا الجهل والخلل ، والتفرق والفشل، فاننا لا يمكن ان نقف أمام أوربا . فاذا لم يظفروا بمكدونية تمام الظفر فى المرة ، فأنهم يظفرون بها و بغيرها اذا أعادوا الكرة ، ولنا فيما مضى عبرة وأي عبرة ، بماذا نقاومهم ؟ رؤساؤنا مستبدون، وحكامنا ظالمون، وعلماؤنا جامدون ، وأغنياؤنا ممسكون ، وخواصنا مترفون ، وعوامنا جاهلون ، فاذا رضينا لأنفسنا بهذا فاننا نكون من الذين يفسدون في الارض ولا يصلحون ، ولا ينطبق علينا قول ربنا « ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون » فعلينا أن نبذل المال ، ونجمع شمل الرجال ، لنرقي الامة فتلزم الحكام باصلاح الحال ، فان العصر عصر الامم لا عصر الافراد وعصر النظام والاجتماع لا عصر الاستبداد ،

وفاة الشيخ عبد القادر الرافعي

الشيخ عبد القادر الرافعي الكبير أشهر فقهاء الحنفية في الازهر بل فى البلاد العربية كلها أتقن المذاهب تعلما وتعليما وتأليفا وعملا بالمحاكم الشرعية فقد كان رئيس المجلس العلمي في المحكمة الشرعية بمصر . وقد وقع اختيار الحكومة على

الحرب في القطر الاسلامي فلا يهتزله القطر الذي يجاوره دع البعيد عنه الذي انقطعت دونه أخباره وقد صرنا نرى المسلمين في كل قطر يتألمون لما يصيب اخوانهم في سائر الاقطار لاسيما اذا كان المصاب من اعتداء الاجانب عليهم

ان ساسة أوربا يقدرون هذه الحركة التي أشار اليها حكيمنا قدرها، ويحيطون بما لم نحط به من خبرها، لذلك أجمعوا كيدهم على ذبح العفريت بسيفه الخشبي (*) اذ يتعذر قتله بسواه أعني أن يزيلوا السلطة الاسلامية من الارض بنفوذ رؤسائها من السلاطين والأمراء - يدخلون في أمر الواحد منهم ويدعونه الى ما يريدون، فينالون به نيلهم والمسلمون وادعون ساكنون، يحسبون أن أولي أمرهم منهم وأنهم لأمرهم يخضعون، فمثل أوربا في سياستها هذه وفي انتقاصها الممالك الاسلامية من أطرافها كمثل الطبيب يخدر العضو ويقطعه حتى لا يشعر صاحبه بشدة الالم ولكن الطبيب يعمل هذا لمصلحة الجسم وهم يعملونه لمصلحة أنفسهم باعدامه بل التهامه

يقول قوم ان الدافع لاوربا على هذا هو التعصب على الاسلام ولذلك لا نرى الدول النصرانية تتفق على العبث باستقلال دولة نصرانية فيجب ان يقابل المسلمون ذلك بالتعصب على النصارى كافة . ويقول آخرون ان أوربا بريئة من التعصب الديني الذي لا يعرف في غير الشرق وانما هي المصالح السياسية لا مذهب لها ولا دين ولذلك ينتصر الامبراطور غليوم النصراني للخليفة المسلم العثماني وتطارد حكومة فرنسا الرهبان وتتبرأ من الكنيسة . والصواب في المسألة ان أوربا لا تتعصب على المسلمين من حيث هم مسلمون يقرون لله بالوحدانية ولمحمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة ويصلون الى الكعبة ويعبدون الله تعالى على غير الطريقة التي يعبده بها سواهم وانما تتعصب عليهم لان لهم سلطة ودولا فالذين سموا تعصبها

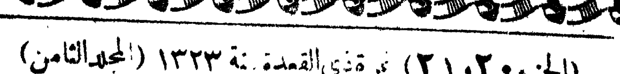
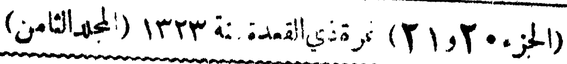
(*) في الحكايات الخرافية التي يلهي بها الامهات أطفالهم ان للعفريت سيفاً خشبياً اذا ذبح به مات واذا ذبح بسيف آخر من الحديد والفولاذ فانه لا يصيبه ضرر، ولا يحدث منه في رقبته ولا جسمه أدنى أثر، ولكنه ينتبه لمحاول قتله فيفتك به وكذلك المسلمون لا يسهل اهلاكهم الا بواسطة رؤسائهم الذين هم سيوفهم ولذلك تحاول أوربا أن تكون هذه السيوف الخشبية في يدها فاللهم أصلح الراعي والرعية

ترشيحه لمنصب الافتاء فسمي مفتيا للديار المصرية في أوائل رمضان الماضي * فلم يلبث ان توفى فجأة ليلا وهو في مركبته يقصد زيارة أحد نظار الحكومة والناس يقصدون داره لتهنئته فاستحال السرور بالمنصب عند أهله حزنا وتحولت تهنئتهم به تعزية لهم عنه وشيع جنازته مع العلماء والوجهاء نظار الحكومة و بعض كبار حاشية الأمير وصلي عليه فى الجامع الازهر ودفن في قرافة المجاورين وكان ذلك اليوم موعد نشر خبر تعيينه مفتيا فى الجريدة الرسمية فلم ينشر

آل الرافعي في غنى عن التعريف فعلماؤهم وأدباؤهم وخدمة الحكومة منهم كثيرون في وطنهم (سوريا) ومهاجر الكثيرين منهم (مصر) وكان الشيخ عبد القادر رحمه الله تعالى كبيرهم في العلم والوجاهة ومن ذوي الدرجة الاولى في الازهر. ومما كان يمتاز به على أكثر الشيوخ البحث في الامور العامة وكثرة السؤال عن أحوال الدولة . وكان بعيدا من الفتن والخوض في الناس وقورا مهيب المجلس ذا أخلاق شريفة حافظا لكرامة العلم محترما عند أهل الدنيا كاحترامه عند أهل الدين . تغمده الله تعالى برحمته ورضوانه وأحسن عزاء ولده وأهله وأسرته الكريمة عنه

﴿ إحياء سنة أزهرية ﴾

كان من عادة أهل الازهر اذا مات عالم منهم أن يجتمعوا في الازهر يوم جمعة بعد موته لقراءة ختمة يهدى ثوابها الى روحه ولانشاد المراثي التي يرثيه بها الشعراء منهم فأبطل الاصلاح هذه العادة مع عادات أخرى مثلها ولكن شيخ الأزهر الشيخ عبد الرحمن الشربيني أمر بالعود الى هذه العادة التي سماها المؤيد «سنة حسنة» فاجتمع الازهريون لرثاء الشيخ عبد القادر الرافعي في الجامع الازهر رحمه الله تعالى وحضر الاجتماع خلق كثير فقرءوا وأنشدوا مرثيه لبعض الشيوخ ثم وزعوا على الحاضرين شيئاً من الحمص والزبيب كان يتناثر منهم في المسجد وهو من تمام سنتهم التي أحييت بعد أن ماتت وانه ليغلب على ظني أن الرافعي رحمه الله تعالى لو كان حياً واستشير في احياء هذه السنة لاشار بعدم احيائها ولما سماها سنة حسنة بل بدعة سيئة واذا كانت أمثال هذه السنن صارت تحيا بعد موتها فبشر المسلمين بحياة العلم والدين،



(الجزء ٢٠ و ٢١) غرة ذي القعدة سنة ١٣٢٣ (المجلد الثامن)



١٣١٥

مجلة علمية أدبية تهذيبية ملية اخبارية

« تصدر في كل شهر عربي مرتين »

لمنشئها

« السيد محمد رشيد رضا »

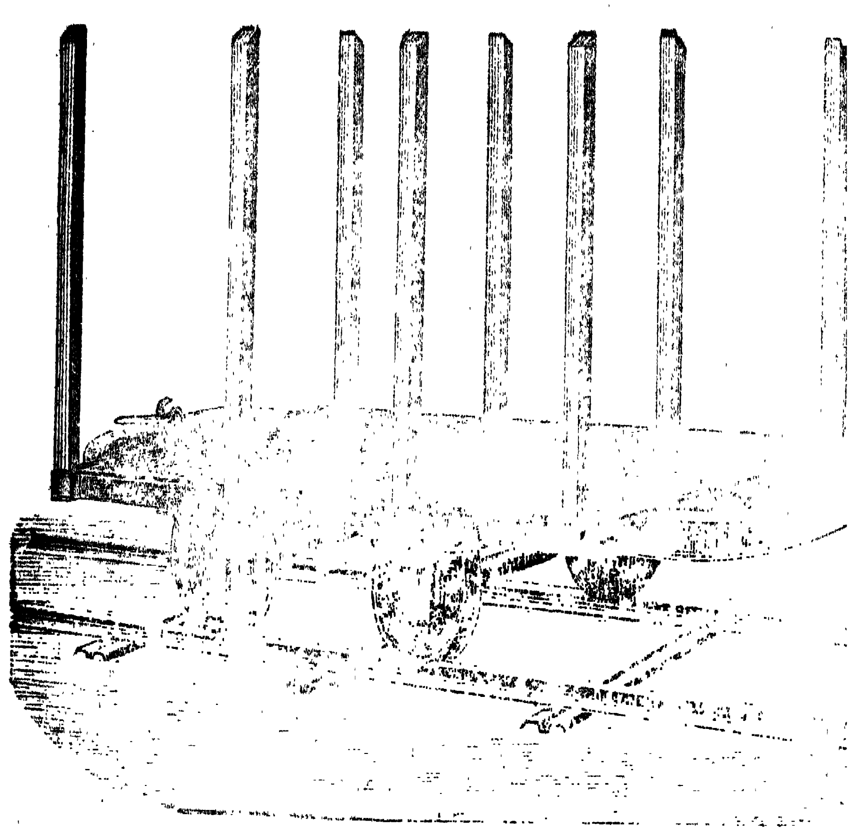
عنوانها (مصر — ادارة مجلة المنار) والتلغرافي « المنار بمصر »

قيمة الاشتراك في مصر خمسون قرشاً أميرياً في السنة و ٣٥ قرشاً عن نصف سنة
وفي الخارج ١٨ فرنكا وفي الهند عشر روبيات وفي روسيا ٧ روابل

لا تقبل وصولات الاشتراك الا اذا كانت بامضاء منشيء المجلة وختم الادارة

طبع بمطبعة المنار بشارع درب الجماميز بمصر

اورنشتين وكوبل – متعهدين الحضرة الفخيمة الخديوية



شركة مساهمة رأسمالها عشرة ملايين فرنك — (سكك حديد زراعية)

هي أشهر وأعظم المعامل الاوربية • وفي مستودع الشركة بالاسكندرية يوجد دائماً كميات وافرة من جميع أجناس الخطوط والعربات

وهذه الشركة قد وردت عشرات من وابورات الكومبوند في أعظم تفاتيش هذا القطر وقد اكتسبت ثقة أصحاب الدوائر العظيمة والمشروعات الكبيرة وهي مستعدة ان تعطي الايضاح اللازم مع الرسم والخرائط مجاناً لمن يطلبها

والبنك في مصر امام البنك المصري وفي الاسكندرية في شارع شريف باشا والعنوان التلغرافي هكذا «مصر ب مجنا الخواجات أورنشتين وكوبل»



(قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و «منارا» كمنار الطريق)

﴿ مصر — ١٦ شوال سنة ١٣٢٣ — ١٣ ديسمبر (ك ١) سنة ١٩٠٥ ﴾

تفسير القرآن الحكيم

(مقتبس من الدروس التي كان يلقيها في الأزهر الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه)

(٢٤٢:٢٤٤) أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ، إِنَّ اللهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ * (٢٤٣:٢٤٥) وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ ٱللهِ وَٱعْلَمُوا أَنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ *

لما ذكر تعالى من الأحكام ما ذكر في الآيات السابقة قفى عليه بذكر بعض أخبار الماضين لأجل العظة والاعتبار، بما تتضمنه الوقائع والآثار، كما هي سنة القرآن، في تنويع التذكير والبيان، بل الانتقال هنا انما هو من أحكام مسرودة مع بيان حكمتها، والتنبيه لفائدتها، الى حكم سبقته حكمته، وتقدمته فائدته، في ضمن واقعة مضت زيادة في البصيرة ومبالغة في الحمل على الاعتبار وهو حكم القتال في سبيل الله ويتلوه حكم بذل

فهرس الجزئين العشرين والحادي والعشرين من المجلد الثامن للمنار

أحييهم فقال نعم فقيل له ناد : أيتها العظام ان الله يأمرك أن تجتمعي : فجعلت العظام يطير بعضها الى بعض حتى تمت العظام . ثم أوحى الله تعالى اليه ناد: أيتها العظام إن الله يأمرك أن تكتسي لحماً ودماً : فصارت لحماً ودماً ثم ناد: إن الله يأمرك أن تقومي: فقامت فلما صاروا أحياء قاموا وكانوا يقولون سبحانك ربنا وبحمدك لا إله الا أنت ثم رجعوا الى قريتهم بعد حياتهم وكانت أمارات انهم ماتوا في وجوههم ثم بقوا الى أن ماتوا بعد ذلك بحسب آجالهم

أقول على هذه الرواية اقتصر (الجلال) مع علمه بأن السدي هذا هو محمد بن مروان الكوفي المفسر الكذاب كما قال جرير وغيره (وليس هو اسماعيل السدي التابعي الذي وثقه أحمد وضعفه ابن معين) وذكر في عددهم أقوالا أقلها أربعة آلاف وأكثرها سبعون ألفاً وأنهم عاشوا دهراً عليهم أثر الموت لا يلبسون ثوباً الا عاد كالكفن واستمرت في أسباطهم !!!

وهناك رواية أخرى وهي أن ملكا من ملوك بني اسرائيل استنفر عسكره للقتال فأبوا لأن الارض التي دعوا الى قتالها موبوءة فأماتهم الله ثمانية أيام حتى انتفخوا وعجز بنو إسرائيل عن دفنهم فأحياهم الله تعالى وبقي فيهم شيء من ذلك النتن وفي بعض القصص إن ذلك انتقل الى ذريتهم وسيبقى فيهم حتى ينقرضوا وقلما تجد في العلماء من ينبه الناس لهذه الأكاذيب .

والرواية الثالثة هي أن حزقيل النبي عليه السلام ندب قومه الى القتال فكرهوا وجبنوا فأرسل الله عليهم الموت فكثر فيهم فخرجوا من ديارهم فرارا منه فدعا عليهم نبيهم فأرسل الله الموت على الخارجين ثم ضاق صدره فدعا الله فأحياهم

المال في سبيله . الاحكام السابقة تتعلق بالاشخاص في أنفسهم وبيوتهم وهذان الحكمان في أمر عام يتعلق بالامم من حيث حفظ كيانها ودوام استقلالها بمدافعة المعتدين عنها وبذل الروح والمال في حفظ مصالحها وتوفير منافعها . ولذلك كان الاسلوب أشد تأثيرا ، وأعظم تذكيرا ، لأن الإشارة في سياق التذكير بمنافع الشخص ومصالحه في نفسه وفيمن يتصل به كافية للتذكر والعمل بما يوعظ به لموافقة ذلك لهواه فلها من النفس عون لا يغيب ووازع لا يعصى وأما المصالح العامة فانه لا يفطن لها ولا يرغب فيها الا الاقلون فالعناية بالدعوة اليها ، يجب أن تكون بمقدار بعد الجماهير عنها ، فمن ثم جاءت هذه الآيات ببيان أجلى ، وأسلوب أفعل وأقوى ، كما ستعلم تفسيرها عن الأستاذ الإمام ، لا عن القصاصين وأصحاب الأوهام ،

رووا في تفسير قوله تعالى ﴿ ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت ﴾ روايات من الاسرائيليات التي ولع بها المفسرون وكلفوا بتطبيق كتاب الله تعالى عليها أشهرها أبعدها عن السياق وهي رواية السدي قال كانت قرية وقع فيها الطاعون وهرب عامة أهلها والذين بقوا مات أكثرهم وبقي قوم منهم في المرض والبلاء ثم بعد ارتفاع المرض والطاعون رجع جميع الذين هربوا سالمين فقال من بقي من المرضى هؤلاء أحرص منا لو صنعنا ما صنعوا لنجونا من الامراض والآفات ولئن وقع الطاعون ثانياً لنخرجن كما خرجوا فوقع وهربوا وهم بضعة وثلاثون ألفا فلما خرجوا من ذلك الوادي ناداهم ملك من أسفل الوادي وآخر من أعلاه : أن موتوا : فهلكوا وبليت أجسامهم فمر بهم نبي يقال له حزقيل فلما رآهم وقف عليهم وتفكر فيهم فأوحى الله تعالى اليه أتريد أن أريك كيف

والكلام في القوم لا في أفراد لهم خصوصية لأن المراد بيان سنته تعالى في الامم التي تجبن فلا تدافع العادين عليها ومعنى حياة الامم وموتها في عرف الناس جميعهم معروف . فمعنى موت أولئك القوم هو أن العدو نكل بهم فأفنى قوتهم وأزال استقلال أمتهم حتى صارت لا تعد أمة بأن تفرق شملها وذهبت جامعتها فكان من بقي من أفرادها خاضعين للغالبين ضائعين فيهم مدغمين في غمارهم لا وجود لهم في أنفسهم وانما وجودهم تابع لوجود غيرهم .ومعنى حياتهم هو عود الاستقلال اليهم .ذلك أن من رحمة الله تعالى في البلاء يصيب الناس أنه يكون تأديباً لهم ومطهراً لنفوسهم مما عرض لها من دنس الأخلاق الذميمة . أشعر الله أولئك القوم بسوء عاقبة الجبن والخوف والفشل والتخاذل بما أذاقهم من مرارتها فجمعوا كلمتهم ووثقوا رابطتهم حتى عادت لهم وحدتهم قوية فاعتزوا وكثروا الى أن خرجوا من ذل العبودية التي كانوا فيها الى عز الاستقلال فهذا معنى حياة الامم وموتها — يموت قوم منهم باحتمال الظلم ويذل الآخرون حتى كأنهم أموات اذ لا تصدر عنهم أعمال الامم الحية من حفظ سياج الوحدة وحماية البيضة بتكافل أفراد الأمة ومنعتهم فيعتبر الباقون فينهضون الى تدارك مافات ، والاستعداد لما هو آت، ويتعلمون من فعل عدوهم بهم كيف يدفعونه عنهم .قال علي كرم الله وجهه إن بقية السيف هي الباقية التي يحيا بها أولئك الميتون : فالموت والاحياء واقعان على القوم في مجموعهم على ما عهدنا في أسلوب القرآن اذ خاطب بني اسرائيل في زمن تنزيله بما كان من آبائهم الأولين بمثل قوله «أنجيناكم من آل فرعون — وقوله — ثم بعثناكم من بعد موتكم» وغير ذلك وقلنا ان الحكمة

اذا علمت هذا فألق السمع الى مارويناه عن الاستاذ الامام ، وتدبر مافيه من حقائق علم الاجتماع في القرآن لتعلم أن حقائق هداية كتاب الله يتجلى منها في كل عصر للعارفين بالله مالم يتجل لسواهم وانه الكتاب الذي لا تنتهي هدايته ولا تنفد معارفه وأن هذه الأمة كالمطر قد يكون في آخره من الخير والبركة مالم يكن في أوله كما روي في الحديث الصحيح قال روّح الله روحه ما محصله

أطلق القرآن القول في هؤلاء الذين خرجوا من ديارهم ولم يعين عددهم ولا أمتهم ولا بلدهم ولو علم لنا خيرا في التعيين والتفصيل لتفضل علينا بذلك في كتابه المبين فنأخذ القرآن على ماهو عليه لا ندخل فيه شيئاً من الروايات الاسرائيلية التي ذكروها ، وهي صارفة عن العبرة لا مزيد كمال فيها ، المتبادر من السياق ان أولئك القوم قد خرجوا من ديارهم بسائق الخوف من عدوّ مهاجم لا من قلتهم فقد كانوا ألوفاً أي كثيرين وانما هو الحذر من الموت الذي يولده الجبن في أنفس الجبناء فيريهم أن الفرار من القتال هو الواقي من الموت وماهو الا سبب الموت بما يمكن من رقاب أهله

يرى الجبناء أن الجبن حزم وتلك خديعة الطبع اللئيم

ولما خرجوا فارين ﴿ قال لهم الله موتوا ﴾ أي أماتهم بإمكان العدوّ منهم فالأمر أمر التكوين لا أمر التشريع أي قضت سنته في خلقه بأن يموتوا بما أتوه من سبب الموت وهو تمكين العدوّ المحارب من أقفائهم بالفرار ففتك بهم وقتل أكثرهم . ولم يصرح بأنهم ماتوا لأن أمر التكوين عبارة عن مشيئته سبحانه فلا يمكن تخلفه وللاستغناء عن التصريح بقوله بعد ذلك ﴿ثم أحياهم﴾ وانما يكون الاحياء بعد الموت .

ماقالوه من أنهم هربوا من الطاعون وأن الفائدة في ايراد قصتهم بيان أنه لا مفر من الموت لما كان لنا مندوحة عن تفسير إحيائهم بأن الباقين منهم تناسلوا بعد ذلك وكثروا وكانت الامة بهم حية عزيزة ليصح أن تكون الآية تمهيدا لما بعدها مرتبطة به والله تعالى لا يأمرنا بالقتال لأجل أن نقتل ثم يحيينا بمعنى أنه يبعث من قتل منا بعد موتهم في هذه الحياة الدنيا:

﴿ان الله لذو فضل على الناس﴾ كافة بما جعل في موتهم من الحياة اذ جعل المصائب والعظائم، محيية للهمم والعزائم، كما جعل الهلع والجبن وغيرهما من الاخلاق التي أفسدها الترف والسرف من أسباب ضعف الامم، وجعل ضعف أمة مغريا لأمة قوية بالوثبان عليها والاعتداء على استقلالها، وجعل الاعتداء منبهاً للقوى الكامنة في المعتدى عليه وملجئاً له الى استعمال مواهب الله فيما وهبت لأجله حتى تحيا الامم حياة عزيزة ويظهر فضل الله تعالى فيها . قال الاستاذ الامام المراد بالفضل هنا الفضل العام وهو أنه تعالى جعل إماتة الناس بما يسلط على الأمة من الأعداء ينكلون بها بمثابة هدم البناء القديم المتداعي والضرورة قاضية ببناء فلاجرم تنبعث الهمة الى هذا البناء الجديد فيكون حياة جديدة للامة . تفسد الأخلاق في الامم فتسوء الاعمال فيسلط الله على فاسدي الاخلاق النكبات ليتأدب الباقي منهم فيجتهدوا في إزالة الفساد وإدالة الصلاح ويكون ما هلك من الامة بمثابة العضو الفاسد المصاب بالغنغرينا يبتره الطبيب ليسلم الجسد كله . ومن لا يقبل هذا التأديب الإلهي فان عدل الله في الأرض يمحقه منها وما للظالمين من أنصار . فهذه سنة من سنن الاجتماع بينها القرآن وكان الناس في غفلة عنها ولهذا قال

في هذا الخطاب تقرير معنى وحدة الأمة وتكافلها وتأثير سيرة بعضها في البعض الآخر حتى كأنها شخص واحد وكل جماعة منها كعضو منه فان انقطع العضو العامل لم يكن ذلك مانعاً من مخاطبة الشخص بما عمله قبل قطعه وهذا الاستعمال معهود في سائر الكلام العربي يقال هجمنا على بني فلان حتى أفنيناهم أو أتينا عليهم ثم أجمعوا أمرهم وكروا علينا مثلا وانما كر علينا من بقي منهم

أقول واطلاق الحياة على الحالة المعنوية الشريفة في الأشخاص والأمم والموت على مقابلها معهود في القرآن كقوله تعالى «ياأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم» وقوله «أومن كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها» الآية وانظر الى دقة التعبير في عطف الأمر بالموت على الخروج من الديار بالفاء الدالة على اتصال الهلاك بالفرار من العدو ، والى عطفه الإخبار بإحيائهم بثم الدالة على تراخي ذلك وتأخره لأن الأمة اذا شعرت بعلة البلاء بعد وقوعه بها وذهابه باستقلالها فانه لا يتيسر لها تدارك ما فات الا في زمن طويل . فما قرره الاستاذ الامام هو ما يعطيه النظم البليغ وتؤيده السنن الحكيمة . وأما الموت الطبيعي فهو لا يتكرر كما علم من سنة الله ومن كتابه اذ قال «لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الأولى» وقال «وأحييتنا اثنتين» ولذلك أول بعضهم الموت هنا بأنه نوع من السكتة والإغماء الشديد لم تفارق به الأرواح أبداً بالمرة . وقد قال بعد ما قرره: هذا هو المتبادر فلا نحمل القرآن ما لا يحمل لنطبقه على بعض قصص بني اسرائيل والقرآن لم يقل أن أولئك الألوف منهم كما قال في الآيات الآتية وغيرها . ولو فرضنا صحة

ذكرنا الله تعالى بعد هذا الامر بأنه سميع عليم لينبهنا على مراقبته فيما عسى أن نعتذر به عن أنفسنا في تقصيرها عن امتثال هذا الامر في وقته ، وأخذ الاهبة له قبل الاضطرار اليه . أمرنا أن نعلم أنه سميع لأقوال الجبناء في اعتذارهم عن أنفسهم: ماذا نعمل: مافي اليد حيلة: ليس لها من دون الله كاشفة: ليس لنا من الامر شيء : لو كان لنا من الأمر شيء ما قعدنا ههنا: فهذه الالفاظ في هذا المقام منفاخ الجبن، وعلل الخوف والحزن، فهي عند أهلها تعلات وأعذار ، وعند الله تعالى ذنوب وأوزار ، وما كان منها حقاً في نفسه فهو من الحق الذي أريد به الباطل – وأنه عليم بما يأتيه مرضى القلوب وضعفاء الايمان من الحيل والمراوغة ، والفرار من الاستعداد والمدافعة . فاذا علمنا هذا وحاسبنا به أنفسنا عرفنا أن كلا من المعتذر بلسانه والمتعلل بفعاله مخادع لربه ولنفسه وقومه . قال الأستاذ الامام بعد نحو ماتقدم : وكثير من النـاس يهزأ بنفسه وهو لايدري اذ يصدق مايعتاده من التوهم وهذه شنشنة المخذولين الذين ضربت عليهم الذلة وخيم عليهم الشقاء تعمل فيهم هذه الوساوس مالا تعمل الحقائق وقد أنذرنا الله تعالى أن نكون مثلهم بتذكيرنا بأنه سميع عليم لايخادع ولايخفى عليه شيء . ونقول ان هذا التذكير كان بالأمر بالعلم لا بمجرد القول أو التسليم فمن علم علماً صحيحاً أن الله سميع لما يقول عليم بما يفعل حاسب نفسه وناقشها ومن حاسب نفسه وناقشها تجلى له كل آن من تقصيرها مايحمله على التشمير لتدارك مافات ، والاستعداد لما هو آت، فمن تراه مشمراً فاعلم أنه عالم ، ومن تراه مقصرا فاعلم بأنه مغرور آثم،

ومن مباحث اللفظ في الآيتين أن كلمة (ألم تر) اذا خوطب بها

﴿ولكن أكثر الناس لا يشكرون﴾ أي لا يقومون بحقوق هذه النعمة ، ولا يستفيدون من بيان هذه السنة ، أي هذا شأن أكثر الناس في غفلتهم وجهلهم بحكمة ربهم فلا تكونوا كذلك أيها المؤمنون بل اعتبروا بما نزل عليكم وتأدبوا به لتستفيدوا من كل حوادث الكون حتى مما ينزل بكم من البلاء اذا وقع منكم تفريط في بعض الشؤون واعلموا أن الجبن عن مدافعة الأعداء ، وتسليم الدار بالهزيمة والفرار ، هو الموت المحفوف بالخزي والعار ،وأن الحياة العزيزة الطيبة هي الحياة الملية المحفوظة من عدوان المعتدين، فلا تقصروا في حماية جامعتكم في الملة والدين،

﴿وقاتلوا في سبيل الله واعلموا أن الله سميع عليم﴾ القتال في سبيل الله هو القتال لاعلاء كلمته،وتأمين دينه ونشر دعوته،والدفاع عن حزبه كي لا يُغلبوا على حقهم، ولا يُصدّوا عن اظهار أمرهم ،فهو أعم من القتال لاجل الدين لأنه يشمل مع الدفاع عن الدين وحماية دعوته الدفاع عن الحوزة اذا همّ الطامع المهاجم باغتصاب بلادنا والتمتع بخيرات أرضنا ، أو أراد العدو الباغي إذلالنا ، والعدوان على استقلالنا،ولو لم يكن ذلك لاجل فتنتنا في ديننا ، فهذا الامر مطلق كأنه أمرلنا بأن نتحلى بحلية الشجاعة ، ونتسربل بسرابيل القوة والعزة ، لتكون حقوقنا محفوظة ، وحرمتنا مصونة ، لا نؤخذ من جانب ديننا ولا نغتال من جهة دنيانا، بل نبقى أعزاء الجانبين،جديرين بسعادة الدارين،ألا ترى أن من ساق الله لنا العبرة بحالهم، وذكرنا بسنته في موتهم وحياتهم ،لم يذكر أنهم قوتلوا وقتلوا لأجل الدين، فالقتال لحماية الحقيقة كالقتال لحماية الحق كله جهاد في سبيل الله . فتفسير (الجلال) سبيل الله باعلاء دينه تقييد لمطلق وتخصيص لقول عام من غير دليل

باب العقائد

الدين في نظر العقل الصحيح

الشبهة الثالثة — مريم أخت هارون

قال تعالى حكاية عن قوم مريم عليها السلام في خطابهم لها « يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيًا » . قال المسيحيون (ولا تجد كتابًا لهم في الطعن في الاسلام خاليًا من ذلك) إن القرآن هنا نص على أن مريم هي أخت لشخص يسمى هارون فتكون هي مريم أخت هارون وموسى النبيين عليهما السلام وعليه يكون القرآن قد دل على أن عيسى عليه السلام ابن أخت موسى فيكونان معاصرين . فانظر الى هذه البراهين المفحمة ، والأقيسة المنطقية المدهشة !! هل يلزم من كون مريم أم المسيح لها أخ يسمى هارون أن تكون هي مريم أخت موسى ؟ أما رأيتم أنه قد يوجد في بيتٍ أبٌ وابن وأخت له وتكون أسماؤهم كأسماء أشخاص من بيت آخر ؟ قد رأينا ذلك كثيراً ولكننا ما رأينا أحدا يقول ان هذا البيت هو البيت الآخر بعينه . فما بالكم خرجتم عن العقل في مسائل الدين !! هل ورد في القرآن أن هارون هذا هو هارون النبي أخو موسى أم ورد فيه أن مريم العذراء هي أخت موسى الذي جاء بالتوراة ؟ ألم يقل القرآن الشريف بعد ذكره التوراة وأنبياء بني اسرائيل التابعين لها في سورة المائدة « وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم » فاذا كان هنا ينص على أن عيسى عليه السلام أتى بعد جميع أنبياء بني اسرائيل التابعين لموسى فكيف تستنتجون منه أن عيسى معاصر لموسى ! وقلما يذكر المسيح في القرآن الا بعد ذكر موسى أو أنبياء بني اسرائيل فليتق الله المنصفون .

هذا واذا علمنا أنهم لا يعرفون اسم أبي مريم عليها السلام بالجزم حتى سماه بعض الأناجيل القديمة التي رفضوها بيهو ياقيم علمنا كيف أنهم يجهلون نسبها فلا غرابة اذا جهلوا أخًا لها يسمى هارون . بل اختلاف أناجيلهم في نسب المسيح اختلافًا أتعبهم منذ وجودها في التوفيق بينها يجعلنا لا نعبأ بما يعرفونه عنه وعن أهله

من سبق له العلم بما يذكر بعدها تكون للتعجب والتقرير والتذكير واذا خوطب بها من لم يعرف ذلك تكون لتعريفه به وتعجيبه من شأنه وقد أجريت مجرى المثل في هذا المقام فنزل من لم يرما تتعلق به منزلة من رآه كأنه لظهوره وتقرره في نفسه مما لا ينبغي أن يخفى أو أن يغفل عن التعجب منه والاذعان له. قال الأستاذ الامام في قول (الجلال) ان الاستفهام بها استفهام تعجيب وتشويق: أي ان الاستفهام الحقيقي ممتنع من الله تعالى ولذلك كان أكثر استفهام القرآن للانكار أو للتقرير . ولكن الاستفهام هنا لشيء آخر وهو مايحدث العجب للنبي صلى الله عليه وسلم ويوجب الشوق له الى ما يقص عليه والمعنى ألم ينته علمك الى حال هؤلاء الذين خرجوا من ديارهم الخ والرؤية بمعنى العلم يمتنع أن تكون بصرية ولم يقل ألم تعلم للإشعار بأن الامر المحكي عنه قد انتهى في الوضوح والتحقق الى مرتبة المرئي . أقول ولا يشترط أن تكون القصة في مثل هذا التعبير واقعة بل يصح مثله في القصص التمثيلية اذ يراد أن من شأن مثلها في وضوحه أن يكون معلوماً حتى كأنه مرئي بالعينين . ومنه ما نبهنا عليه من الفرق بين العطف بالفاء وبثم وقد قالوا ان العطف في قوله تعالى (وقاتلوا) للاستئناف لأن الجملة المبدوءة بالواو هنا جديدة لا تشارك ما قبلها في اعرابه ولا في حكمه الذي يعطيه العطف . قال الاستاذ الامام وهذا لا يمنع أن يكون بين الجملة المبدوءة بواو الاستئناف وبين ماقبلها تناسب وارتباط في المعنى غير ارتباط العطف والمشاركة في الاعراب كما هو الشأن هنا فان الآية الأولى مبينة لفائدة القتال في الدفاع عن الحق أو الحقيقة والثانية آمرة به بعد تقرير حكمته وبيان وجه الحاجة اليه فالارتباط بينهما شديد الأواخي لا يعتريه التراخي

القرآن في قصة فرعون .

ويجوز أيضاً أن يكون السامري لقباً لشخص من بني اسرائيل ومعناه الحافظ وأصله من لفظ شمر العبري الذي معناه حفظ . فاذا كانت كل هذه الاحتمالات جائزة قريبة فكيف يجزمون بخطأ القرآن في ذلك ؟

الشبهة الخامسة — غروب الشمس في العين

قال تعالى في قصة ذي القرنين « وجدها تغرب فى عين حمئة » أي الشمس فقالوا ان القرآن يدل على أن الشمس تغرب في نفس الأرض وتجاهلوا أن في مثل هذا المقام يقول القائل في كل لغة (رأيت الشمس تغرب في البحر) مثلا مع أن القائل قد يكون أعلم الجغرافيين والفلكيين وانما يعبر هذا التعبير بحسب ما يبدو لنظر الواقف على ساحل البحر . والقرآن الشريف انما نسب الأمر الى ذي القرنين فقال وجدها اشعاراً بأن ذلك هو ما تخيله بصره فما أحسن هذا اللفظ في مثل هذا المقام . ولو كان الكلام فى مقام التكوين والخلق ونص القرآن على أن الشمس تغرب في جزء من الأرض لكان لهم الحق في هذا الانتقاد . على انه تعبير معروف عند كل الناس حتى المنتقدين

ويناسب هذا الموضوع أن نشير الى ما قاله العلماء في مسألة جريان الشمس بما يؤيد ما ورد في الكتاب العزيز « والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم » فقد اتفقت كلمتهم على أن الشمس وجميع ما حولها من السيارات تجري فى الفضاء الى حيث لا يعلم أحد وهذا يوافق كل الموافقة ما قاله القرآن الشريف من غير زيادة ولا نقصان

الشبهة السادسة — آزر أبو ابراهيم

قال تعالى في ابراهيم عليه السلام « واذ قال ابراهيم لأبيه آزر » فاعترض على ذلك دعاة المسيحية قائلين ان ما ورد فى التوراة هو أن أبا ابراهيم يسمى تارح فمن أين أتى القرآن بآزر : قلنا اننا قد تكلمنا على ما يسمونه بالتوراة بما لا يمكنهم الرد عليه . ثم ان القرآن لم ينكر هذه التسمية وورود اسم آخر فيه قد يكون بسبب

عليه السلام. ولا حاجة لنا بتأويل بعض مفسرينا الذين قالوا ان هرون كان رجلا صالحًا فجعلت أختهفي الصلاح والتقوى أي انها مثله في ذلك أوكما يقال أخو العرب واخو الحرب

الشبهة الرابعة — السامري

قال تعالى في حكاية عجل بني اسرائيل(وأضلهم السامري)فقال المسيحيون ان السامري هذا الذي ذكره القرآن هو من السامريين وهؤلاء لم يوجدوا الا بعد موسى بعدة سنين . ولكننا نطالبهم بالدليل على هذا الزعم الفاسد وكيفية استنباطهم له . وهل اذا جهلنا أصل هذا اللفظ يحملنا الجهل على أخذه من لفظ السامريين فنقول انه واحد من تلك الفرقة و بعد ذلك نبني عليه ما نبني من الاوهام، فكم في الكتب المقدسة من ألفاظ لا يدرك اشتقاقها ولا تعرف أصولها. ولم لا يكون ماورد في القرآن منسوبًا لبلد غير ماعرفنا من البلدان ؟ وهل يمكنكم الجزم بأنه لم يسم بلفظ سامرة غير سامرة فلسطين مع علمنا بخلاف ذلك . وفي البلاد القديمة أيضًا ما يسمى (سامراه) أو (سمرا)(١) ويجوز أن يكون (السامري) نسبة لبيت رجل من بني اسرائيل يسمى (شامر) مثلا (٢)وهذا الاسم وما يشابهه له وجود في أسفار العهد القديم أنظر (١ أخبار الايام ٧:٣٤و٨:١٢) واذا تذكرنا أن الاسماء المعربة تتغير بالتعريب تغيرا يبعد بها عن أصلها أحيانا(٣) كما في عيسى بالنسبة ليشوع (بالشين) ويحيى بالنسبة ليوحنا و يونس بالنسبة ليونان وغير ذلك فاننا لا نستغرب نسبة (السامري) الى شامر بل لا نرى من الغرابة أن نجهل الاصل المعرب منه هذا اللفظ بالمرة فانظر الفرق بين لفظ عيسى ويشوع مثلا . وما قيل في هذه الآية والتي قبلها يمكننا أن نرد بمثله اشتباههم في لفظ هامان الوارد في

---

(١) المنار: صرح بعض المفسرين بأن السامري منسوب الى بلد اسمها سامرة

(٢) أكثر الالفاظ التي هي في العبرية بالشين المعجمة تذكر بالعربية اذا نقلت اليها بالسين المهملة فسامرة فلسطين عبريتها شوميري واسم موسى عندهم بالمعجمة

(٣) ليس هذا خاصًا بالعربية فالافرنج أشد تغييراً وتحريفًا للالفاظ المنقولة الى لغاتهم

الشبهة الثامنة — الناسخ والمنسوخ

ذهب جمهور المسلمين الى أن القرآن قد وقع فيه نسخ كثير واستدلوا على ذلك بأحاديث آحادية و ببعض آيات وردت فيه وتغالوا في المسألة حتى أنهم جعلوا جزءاً عظيماً من القرآن منسوخاً . ولم يقفوا عند هذا الحد بل زادوا الطين بلة بأن ادعوا نسخ بعضه بالسنة حتى جرأوا الخصوم على الطعن في الكتاب العزيز ولكن قيض الله لهم فى كل زمن من رد عليهم فى أكثر هذه الدعاوي أو في جميعها من علماء الاسلام المحققين . فقد ظهر بينهم من أفهمهم معنى أكثر هذه الآيات وأبان لهم أن لا ناسخ ولا منسوخ فيها بالدليل الذي لا يقبل الرد مثل الامام الشوكاني وغيره وقام الامام الشافعي رضي الله عنه وأبطل دعوى نسخ الكتاب بالحديث . وذهب أبو مسلم الاصفهاني المفسر الشهير الى أنه ليس في القرآن آية منسوخة وخرج كل ماقالوا انه منسوخ على وجه صحيح بضرب من التخصيص أو التأويل ونقل عنه الفخر الرازى آراءه في ذلك في تفسيره المشهور. ومن العلماء المتأخرين الاستاذ الامام رحمه الله تعالى فقد كان يدحض كل دعوى بالنسخ في أي آية فسرها بالحجة الواضحة والبراهين الظاهرة وقال في أحاديث الآحاد أنها ظنية يحتمل أن تكون مكذوبة من بعض رجال السند المتظاهرين بالصلاح لخداع الناس حتى أن بعضهم تاب ورجع عما كان وضعه ولولا اعترافه به لم يعرف فما يدرينا أن بعضهم مات ولم يتب ولم تعرف حقيقة حاله و بقي ما وضعه رائجاً مقبولا لم يطعن في سنده أهل النقد . وتبعه في كل آرائه هذه الاستاذ الرشيد حفظه الله . ولولا خوف التطويل لنقلت عنهم آراءهم في جميع هذه الايات . فليراجعها فى كتبهم وليتدبر القرآن بنفسه من أراد أن يهتدي الى الحق

والخلاصة أن مذهب النسخ فى القرآن ليس من العقائد الاسلامية في شيء بمعنى أن المسلم يمكنه أن يفهم كتاب الله و يكون مؤمناً به حقاً بدون أن يحتاج الى القول بشيء مما زعموه البتة . ومن أراد أن يحاجني في ذلك فعليه بالقرآن وحده.

أن الرجل مسمى باسمين أو أحدهما لقب له كما يقولون هم أنفسهم لرفع التناقض المالىء كتبهم في أسماء كثير من الاشخاص . ولكننا لا نكتفي بذلك بل نبين لهم أصل هذه التسمية الواردة في القرآن ليعلموا أنه لو كان اخذ ما أتى به من كتبهم كما يهذون لما خالفها في مثل هذه الاشياء البسيطة خوفاً من أن يقع في تخطئة منهم لا حاجة اليه بها ، وكان في أمن منها لو وافق على ماورد فيها .

آزر لفظ قديم معناه النار وأطلقه قدماء الفرس والكلدانيين والاشور يين على كوكب المريخ لظنهم أنه من نار ثم عبدوه في صورة عمود وصاروا يلقبون الاشراف منهم بهذا اللفظ (آزر) تبركا به وقد وجد كثيراً في كتابات البابليين أيضاً وعليه قال العلماء ان آزر هو اللقب الوثني لأبي ابراهيم ويوافق ذلك ماورد في تفسير البيضاوي وغيره من أن آزر اسم للاله الذي كان يعبده فهل فيما أتى به القرآن بعد ذلك أدنى شبهة . بل أليس فيه حجة على صدق النبي الامي وخصوصاً اذا لاحظنا أن التوراة لم يرد فيها هذا اللقب ولا فى التلمود الذي سماه (زاراج) فمن أين أتى القرآن بذلك لولا وحي الله ؟

الشبهة السابعة — جبل الجودي

قال تعالى فى سفينة هود عليه السلام « واستوت على الجودي » فقال بعضهم المذكور في التوراة أن اسمه (أراراط) ولم يرد لفظ « جودي » فيها فمن أين أتى به القرآن ؟ ونجيب عن ذلك بأننا لا نعبأ بكتبهم لما ذكرناه سابقاً ثم نبين أصل ماذكره كتاب الله . هذا الجبل يسكن بجواره الكرد (الاكراد) ولذلك سموه بلغتهم كاردو أوجاردو . وحرفها اليونانيون جوردي ومنه عرب لفظ القرآن جودي «*»

«*» المنار: ان نسخ التوراة ليست متفقة على ان السفينة استوت على أراراط فان السريانية والكلدانية منها صرحت بأنها استقرت على جبل الاكراد وهذا موافق لقول بروزس معاصر الاسكندر الاكبر . أورد هذا في دائرة المعارف العربية وقال : ووافقه أيضاً القرآن الشريف ولا تزال الروايات تشير الى أن الجودي كان مركز الحادثة المذكورة (الطوفان) وهي تسند هذا الرأي الذي ذكره بروزس الي وجود آثار الفلك على قمة ذلك الجبل :

الى آخر الآيه فما هنا نافية على أصح الاقوال ولفظ «الملكين» هنا وارد على حسب العرف الجاري بين الناس في ذلك الوقت كما يرد ذكر آلهة الخير والشر في كتابات المؤلفين عن تاريخ اليونان والمصريين وغيرهم وكما يرد في كلام المسلم في الرد على المسيحيين ذكر تجسد الإله وصلبه وان كان لا يعتقد بذلك

والمراد بالشياطين المذكورين قبل ذلك في قوله «واتبعوا ما تتلو الشياطين» خبثاء الانس وأشرارهم كما في قوله « واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم » وقوله « شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض» والذي يعين هذا المعنى في الآية التي نحن بصدد تفسيرها قوله « تتلو » لأن تلاوة شياطين الجن لا يسمعها أحد ومعنى تتلو هنا تقص وقوله بعدها « يعلمون الناس السحر » يعين هذا أيضاً اذ لا يتعلم أحد السحر الا من شياطين الانس .

وقوله تعالى «ما يفرقون به بين المرء وزوجه» هو من قبيل التمثيل واظهار الامر في أقبح صوره أي بلغ من أمر ما يتعلمونه من ضروب الحيل وطرق الافساد أن يتمكنوا به من التفريق بين أعظم مجتمع كالمرء وزوجه والخلاصة ان معنى الآية من أولها الى آخرها هكذا:—

ان اليهود كذبوا القرآن ونبذوه وراء ظهورهم واعتاضوا عنه بالاقاصيص والخرافات التي يسمعونها من خبثائهم عن سليمان وملكه وزعموا أنه كفر وهو لم يكفر ولكن شياطينهم هم الذين كفروا وصاروا يعلمون الناس السحر ويدعون أنه أنزل على هاروت وماروت اللذين سموهما ملكين ولم ينزل عليهما شيء وانما كانا رجلين يدعيان الصلاح لدرجة أنهما كانا يوهمان الناس أنهما لا يقصدان الا الخير ويحذرانهم من الكفر . وبلغ من أمر ما يتعلمونه منهما من طرق الحيل والدهاء أنهم يفرقون به بين المجتمعين ويحلون به عقد المتحدين

فأنت ترى من هذا أن المقام كله للذم فلا يصح أن يرد فيه مدح هاروت وماروت كما توهم كثير من المفسرين . والذي يدلك على صحة ما قلناه فيهما أن القرآن أنكر نزول أي ملك الى الأرض ليعلم الناس شيئاً من عند الله غير الوحي الى الأنبياء ونص نصاً صريحاً أن الله لم يرسل الا الانس لتعليم بني نوعهم فقال

الشبهة التاسعة — هاروت وماروت — السحر — هل سحر النبي؟

وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ، وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ — وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ، وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ، فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ، وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ، وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ، وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ

ذهب كثير من المحققين سلفاً وخلفاً الى أن هاروت وماروت كانا رجلين متظاهرين بالصلاح والتقوى في بابل وكانا يعلمان الناس السحر و بلغ حسن اعتقاد الناس بهما أن ظنوا أنهما ملكان من السماء وما يعلمانه للناس هو بوحي من الله و بلغ مكر هذين الرجلين ومحافظتهما على اعتقاد الناس الحسن فيهما وفي علمهما أنهما صارا يقولان لكل من أراد أن يتعلم منهما « انما نحن فتنة فلا تكفر » أي انما نحن أولو فتنة نبلوك ونختبرك أتشكر أم تكفر وننصحك بأن لا تكفر. يقولان ذلك ليوهما الناس أن علومهما إلهية. وصناعتهما روحانية. وأنهما لا يقصدان الا الخير كما يفعل ذلك دجاجلة هذا الزمان قائلين لمن يعلمونهم الكتابة للمحبة والبغض على زعمهم: نوصيك بأن لا تكتب لجلب امرأة متزوجة الى رجل غير زوجها الى غير ذلك من الأوهام والافتراء: ولليهود في ذلك خرافات كثيرة حتى أنهم يعتقدون أن السحر نزل عليهما من الله وأنهما ملكان جاءا لتعليمه للناس وقد جاراهم في ذلك جهلة المفسرين. فجاء القرآن مكذباً لهم في دعواهم نزوله من السماء وفي ذم السحر ومن يتعلمه أو يعلمه فقال « يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين »

أبو مسلم الاصفهاني ونقله عنه الامام الرازي واستحسنه وذكر مثله المفسر الشهير أبوالسعود أيضاً .

فهذه هي أكبر مطاعنهم في القرآن الشريف وأكثرها ورودا في كتبهم وقد اتضح لك مما قررناه واتفق عليه العلماء المدققون أنها كالسراب يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئاً . بل ان بعضها ليس فيه على القرآن شبهة بل هو له حجة كما يتبين لك من البحث عن أصل لفظي آزر والجودي مثلا . وقس على أمثالها مما لم نذكره هنا لشدة سخافته

هذا وليعلم القوم أن ما ذكر في القرآن من المسائل الغريبة كتكلم النملة وسماع سليمان لها ان حمل على ظاهره وتسخير الجن له وغير ذلك ليس مما يصادم البداهة العقلية أو يناقض البراهين القطعية . وانما هو غريب وليس كل غريب مستحيلا والا لكانت جميع المعجزات مستحيلة وكذا جميع الاختراعات والاكتشافات الحديثة . فمن ادعى أن في القرآن شيئاً مستحيلا فعليه بالدليل المنطقي الصحيح والاضرب بنا بكلامه عرض الحائط واعتبرناه هاذياً

﴿مسألة صلب المسيح﴾

بقي عليَّ أن أنبه الناس على ما يفتريه هؤلاء الدعاة طعناً في القرآن في مسألة أخرى وهي دعوى صلب المسيح قائلين انه وحده هو الذي أنكر صلب المسيح ولم يسبقه سابق الى ذلك فان هذه الحقيقة قال بها كثيرون من فرق النصارى الاولين مثل الباسيليديين والسيرينثيين والكاربوكراتيين والتانيانوسيين وغيرهم وقد ذكرت أكثر هذه الطوائف من قبل في رسالة لي سميتها (الخلاصة البرهانية على صحة الديانة الاسلامية) فمن شاء فليراجعها . وورد مثل ما قاله القرآن في كتب أخرى كالكتاب المسمى رحلة الرسل وهو يشبه كتاب الأعمال الذي عند النصارى الآن وفيه أخبار بطرس و يوحنا واندراوس وغيرهم ومما ورد فيه أن المسيح لم يصلب وانما صلب واحد آخر بدله كما رواه العلامة سيل الانكليزي مترجم القرآن عن اخر يدعى (فوتيس) وكذا ما ورد في انجيل برناباس وهو أحد الأناجيل التي رفضها المسيحيون يؤيد ما أتى به القرآن تماماً حتى في ذكر اسم النبي محمد صلى الله عليه وسلم صراحة . وهذا

«وما أرسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون» وقال منكراً على من طلب إنزال الملك «وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضي الأمر ثم لا ينظرون» وقال في سورة الفرقان «وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق، لولا أنزل عليه ملك فيكون معه نذيرا * — الى قوله — فضلوا فلا يستطيعون سبيلا»

واعلم أن السحر لا يغير حقائق الاشياء وانما هو تخييل وشعوذة وحيل كما قال تعالى في حكاية سحرة فرعون «يخيل اليه من سحرهم أنها تسعى» وقال أيضاً «سحروا أعين الناس واسترهبوهم» أي انهم دلسوا عليهم وخيلوا لأبصارهم وأوهموهم صحة ما يفعلون. فأين هذا من قول كتاب اليهود الذي يقول «وصارت العصي ثعابين» كأن المسألة كانت حقيقية.

هذا واذا لم يكن للسحر تأثير حقيقي فلا يمكن أن يسحر النبي صلى الله عليه وسلم حتى أنه صار يخيل اليه أنه يفعل الشيء وهو لا يفعله كما افتراه المفترون اذ لو جاز ذلك لجاز أن يتوهم أنه أوحي اليه شيء وهو لم يوح اليه ولصدق عليه قول الكافرين «ان تتبعون الا رجلا مسحورا» وقد أنكر القرآن عليهم ذلك بنفسه وانما قالوه طعناً فيه ورداً لحجته الباهرة كما قالوا عنه انه ساحر وكاهن ومجنون وشاعر الى غير ذلك مما اختلقوه. وأما قوله تعالى «ومن شر النفاثات في العقد» الذي اتخذه المفترون دليلا على افكهم فمعناه هكذا:—

النفاثة من صيغ المبالغة كالعلامة والفهامة يستعمل كذلك للذكر والأنثى والنفاثات جمعه والمراد بها هنا النمامون المقطعون لروابط الألفة المحرقون لها بما يلقون من ضرام نمائمهم وما ينفثون فيها من سموم وشاياتهم. والعقد كالعقود معنى مثل عقدة النكاح وعقدة البيع وغيرهما. كأنه قال تعوذ من شر من يسعى لحل المجتمعات الخيرية والتفريق بين المحبين المتحدين

والدليل على كذب المفترين غير ما ذكرنا أن هذه السورة مكية وما يزعمونه يدعون أنه حصل بالمدينة فكيف يصح أن يقال نزلت فيه وهذا التفسير الذي ذكرناه مأخوذ من أفكار الاستاذ الامام رحمه الله تعالى وقد ذكر ما يقاربه المحقق

ردا عليها لا أن يعموا بصيرتهم بأنفسهم لأجل ماورثوه عن آبائهم . فان الحق أحق أن يتبع (وما متاع الحياة الدنيا في الآخرة الا قليل) . وهاك البرهان، موجزا بقدر الامكان:

رجل يتيم، فقير، أمي، لم يشتغل بما كان يشتغل به قومه من الشعر أو الخطابة ونحوهما، لم يعهد عليه الكذب في صغره، نشأ في وسط الجهل والوثنية، فأتى والعالم محتاج الى الاصلاح بعقائد صحيحة أشار الى براهينها وعبادات وشرائع وأخلاق وحكم وقصص مفيدة ومسائل علمية لم تكن معروفة واخبار ببعض مغيبات تحققت وأخرج العرب من أحط دركات الهمجية الى أعلى سلم من المدنية في مدة قليلة. ثم انتشر اصلاحه في العالم بسرعة لم تعهد . ولم يوجد فيما أتى به شيء يقطع العقل ببطلانه الى الآن بعد مضي ألف ومئين من السنين . بل أخذ الناس المرتقون يستصوبون أعماله وأقواله ويفهمون اسرارها. أتى بجميع ذلك في عبارات خارقة للعادة في بلاغتها، ومخالفة للمعهود في أسلوبها، وطلب من البشر أن يعارضوه في شيء مما أتى به ويستعينوا بمن شاءوا فلم يقدم على ذلك أحد ونجح، بل أذعن جمهورهم ومن شذ افتضح، ثم هو لم ينغمس في الملاذ والشهوات والترف كما بينا ذلك فيما مضى بل كان أبعد الناس عنها

فكيف لا يعثر الانسان على غلطة مقطوع بها في قرآنه مع علمنا بحاله وكيف لم ينجح أحد في معارضته الى الآن كما أنبأ بذلك . فلم يأت بشر بشيء مثل جزء من كلامه لفظا ومعنى ؟

فماذا تجيبون أيها المبطلون، وكيف تعللون ذلك أيها الواهمون ؟؟ ولنجمع هنا آيات القرآن، الدالة على ذلك البرهان، اتماما للفائدة، وبيانا لكونه حجة الله على الناس كافة

« ألم يجدك يتيما فآوى * ووجدك ضالا فهدى * (١) ووجدك عائلا فأغنى *

---

(١) المنار الضلال في اللغة أنى تخطىء الطريق وقد كان النبي قبل النبوة لا يعرف طريق الايمان والشرع فهداه الله اليه كما قال تعالى « ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا»

الانجيل مما كتب قبل الاسلام بقرون . وان ادعى بعضهم أن أحد المسلمين حرفه أجبنا كيف حرف المسلمون جميع نسخه حتى الموجودة عند النصارى ولم لم يحرف المسلمون غيره من كتبهم على ان المسلمين ماعرفوه الا عنهم

وان تعجب فعجب قولهم في مسألة قيام المسيح من القبر على زعمهم: اذا كانت هذه القيامة موهومة فأين جسده اذاً . وفاتهم أن موسى عليه السلام الذي مات موتاً طبيعياً بين قومه لم يعرفوا قبره الى الآن ونصت التوراة على ذلك في آخر اسفارها «تثنية ٣٤:٦» فهل يستبعدون قولنا ان المسيح لم يعرف أحد قبره مع ملاحظة أن التلاميذ فروا من حوله وتفرقوا وتولى الأمر غيرهم ممن لهم غاية وغرض في إخفاء جثته لو قتل لاطفاء نار المشاحنات والفتن ومحو الشغب بين الناس؟ هل يستبعد هذا ولا يستبعد أن كاتب سفر التثنية لم يعرف قبر موسى مع وجود الفرق العظيم بين هذه الحالة وتلك ؟

لا يبعد أن يكون ما يقصه النصارى علينا هو من قبيل تلفيق روايات التمثيل وغيرها مما كتبه الناس قديماً وحديثاً . ومثل هذه التلفيقات كان شائعاً في الأعصر الاولى المسيحية حتى أن كل طائفة من طوائفهم ألفت أناجيل ورسائل كثيرة ونسبتها الى المسيح وتلاميذه لتأييد آرائهم وهم باقرارهم برآء منها . فيجوز أن تكون هذه القصة مما كتب في أواخر القرن الاول أو في القرن الثاني . وقد خالفها يومئذ طوائف كثيرة كما خالفوا في مسائل أخرى كالتجسد والتثليث . وها قد أخذ الحق يحصحص الآن بينهم بعد أن صارعه الباطل أجيالا عديدة وأخذ الناس يدخلون في عقيدة التوحيد والتنزيه أفواجاً أفواجا . وانتشرت أفكار الموحدين في أوروبا وأمريكا وأوشك سراج الحق يكون وهاجا .

﴿ اعادة برهان النبوة بالاختصار ﴾

عند هذا الحد أقف بالقارئ . وقبل أن أتركه أكرر عليه مرة أخرى بغاية الايجاز برهان النبوة لعلمي أنه الآن يمكنه أن يدركه ادراكاً حقيقياً أكثر من ذي قبل فأضعه تحت نظر عقله مختصرا كي يجول بسهولة في انحائه ويحيط بأطرافه وأرجو من المخالفين أن يمعنوا النظر في جميع مقالاتي هذه امعان من يريد أن يكتب للناس

عن كل ما يعرض له من الشبهات على الدين وهو تلميذ في مدرسة الطب ولهذه الشبهات مصدران التعليم الجديد ودعاة النصرانية الذين يعرضون لتلاميذ المدارس بأبلغ مما يتصدون لغيرهم وكان له رفيق في المدرسة اسمه عبده أفندي ابراهيم عرفناهما منذ سنين اذ كانا يرجعان الينا في بعض مباحثهما ويعرضان علينا أهم ما يشتبه عليهما كمسألة الروح والبعث وغير ذلك . وكنت أظن أنه لا يوجد في مصر من طلاب العلوم الدينية لاجل الاقتناع والاذعان ، والقدرة على الإقناع والبيان ، الاهذان التلميذان ، وأحدهما مسلم والآخر قبطي ، كانا يأخذان المسألة من مسائل الاعتقاد فيدققان فيها النظر ويتناصفان في المناظرة الى أن يتفقا على ان الحق فيها كذا فما خرجا من المدرسة الا وقد خرج المسلم من شكوكه في دينه ودخل القبطي في الاسلام البرهاني الصحيح (فهو المسلم عن بصيرة تامة وفهم لبراهين الدين وحكمه ثبتنا الله واياه) وهذه المقالات هي صورة اعتقادهما الذي هداهما اليه ربهما بعد اطالة النظر والاستدلال عدة سنين وأكثر ما فيها من المسائل في الألوهية والنبوة وفهم القرآن مقتبس من رسالة التوحيد للاستاذ الامام ومن التفسير المقتبس عنه في المنار ومن مقالات أخرى في المنار لا تقليداً بل اقتناعاً بالنظر والاستدلال . وللكاتب مسائل كثيرة هداه اليها البحث والتنقيب ومراجعة كتب المسلمين والافرنج لاسيما في رد شبهاتهم كما رأيت وهو يدعو من خالفه في شيء مما كتبه الى المناظرة بشرط أن يكون الحكم بينهما الدليل القطعي وما هو الا العقل والقرآن والسنة المتواترة لأن المقام مقام تأييد الاعتقاد وهو لا يكون بأخبار الآحاد ، ولا بتقليد الآباء والأجداد ،

وكأني ببعض الشيوخ المقلدين وقد أنكروا عليه بعض المسائل التي انفرد بها أو وافق بعض العلماء المخالفين للجمهور كمسألة ابن السبيل ومسألة النسخ فاللين اللين منهم يعذره والجامد المتعصب يغلظ عليه وان كان قد خرج بهذه الطريقة من الشك الى اليقين وخرج صاحبه من النصرانية ودخل في الاسلام ، وأن مقاليدهم التقصر عن ذلك ولو راجعهم في شبهاتهم لما رجع الا بالجحود والالحاد «ومن يضلل الله فما له من هاد »

وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذاً لارتاب المبطلون* وما علمناه الشعر وما ينبغي له * فقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون * هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين* قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسول أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير * أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً * فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين* فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين »

وليلاحظ القارىء أني أوردت هذه الآيات على هذا الترتيب . لتكون كل دعوى من البرهان السابق مؤيدة بشيء من القرآن . فأعظم به من كتاب جمع فأوعى، وأكرم به من نعمة من الله كبرى، قشعت غياهب الظلام ، وأنارت قلوب الأنام بضياء الاسلام ، فبلغ الله عنا محمدا أزكى السلام في البداية والختام ،

﴿ ختم المقال بذكر شيء من كتاب الله تعالى ﴾

ان في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب* الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ربنا ماخلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار *ربنا انك من تدخل النار فقد أخزيته . وما للظالمين من أنصار * ربنا اننا سمعنا منادياً ينادي للايمان أن آمنوا بربكم فآمنا، ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار * ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة . انك لا تخلف الميعاد* فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى . بعضكم من بعض . فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقُتلوا لأكفرنّ عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثواباً من عند الله والله عنده حسن الثواب *

(محمد توفيق صدقي)

الطبيب بسجن طره

﴿المنار﴾ السبب فى كتابة هذه المقالات هو أن كاتبها كان يحب البحث

الطرفين سواد عظيم لكل منهم سهم من سعة الوجود على قدر قوة الانسانية فيه وضعفها فاذا كثر أصحاب السهام العظيمة في أمة من الأمم اتسع وجودها بيسط سلطانها على الأمم التي قلت سهامها وخف بها ميزانها فينقبض وجود هذه بمقدار اتساع وجود تلك فاما أن تعتبر فيخرج أفرادها من مضيق الحياة الشخصية الجسدية الى بحبوحة الحياة الاجتماعية حتى يتقلص ظل غيرهم عنهم واما أن يكونوا غذاء للغالب لا بقاء لهم الا باستبقائه اياهم لحاجته وقد ينكمش وجودهم ويتقلص حتى يضمحل ويفنى كأن لم يكن شيئاً مذكوراً

أين المصريون الأقدمون، أين الكلدانيون والأشوريون والبابليون، أين الرومان والفرس الأولون، أين هنود أمريكا العريقون ؟ منهم من اندغم وجوده في وجود آخر أوسع منه وأقوى، ومنهم من انقرض وجوده فلا تحس منهم من أحد ولا تسمع لهم ركزا، سنة الله في التكوين والتمكين، « ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين، » الذين يتقون أسباب الفساد والزوال، ويصلحون في الأرض بالأحكام والأعمال، «ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، واذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال»

قلنا ان وجود الشخص الواحد يتسع ويضيق بمقدار معنى الانسانية في روحه قوة وضعفاً، وان وجود الأمة ينبسط وينقبض بحسب كثرة أصحاب السهام العظيمة من سعة الوجود فيها، فهذا هو معنى الحياة العزيزة في الأفراد وفي الامم فكمال الشخص انما هو في كونه يعمل للامة التي يعتز بعزتها، ويهون بهوانها وضعتها، وكمال الامة انما هو في حفظ ما به كانت أمة وبسطه بجعل وجود غيرها تابعاً لوجودها

ما به تكون الامة أمة معنى يوجد في كل فرد من أفرادها يربط بعضهم ببعض حتى يكون الجمع الكثير به واحداً وقد يعبر عنه بالجنسية وهو النسب والبيئة أو الوطن واللغة والدين والحكومة وأنت ترى أن بعض هذه المعاني أوسع من بعض فأول اجتماع كان بين البشر يتعاون به أفراد كثيرون على مصلحة الجميع هو اجتماع القبائل البدوية التي تنسب الى أب واحد ثم كانت دائرة الاجتماع تتسع في البشر فتكبر الهمم وتعلو النفوس لشعورها بسعة وجودها وما هي مطالبة به من العمل لحفظ

باب المقالات

روابط الجنسية ✡ والحياة الملية

وفلسفة الاجتماع البشري

وعدنا في خاتمة المجلد السابع بأن نعود في هذا المجلد الى نشر المقالات الاجتماعية والفلسفية وذكرنا هناك بعض الموضوعات التي سبقت الى الذهن عند كتابة تلك الخاتمة ومنها الحياة الزوجية والحياة الملية وكذا الوطنية . وقد حالت الحوادث دون الاكثار من المقالات وسبح القلم سبحاً طويلا في بحث الحياة الزوجية فكان ست مقالات ورأينا أن نقفي عليه بالكلام في الحياة الملية وكذا الوطنية بعد تمهيد في فلسفة الاجتماع البشري بالايجاز فنقول

خلق الانسان ليعيش مجتمعاً يتعاون أفراده على الأعمال التي هي قوام حياتهم الشخصية والنوعية واظهار استعدادهم الانساني في استعمار الأرض وإظهار أسرار الكون فأعني بالاجتماع ماهو أوسع من اجتماع الزوجين الذي يشاركهم فيه سائر أنواع الحيوان ومن اجتماع النحل والنمل وتعاون أفرادها على ما به حفظ حياة نوعيها فالحياة الزوجية ليست خاصة بالانسان ولا الحياة الأهلية (العائلية) فمن كان لا يشعر بفائدة لنفسه الا أنه يعمل ليأكل ويطعم من يعول من أهل وولد فحياته ان كانت أوسع من حياة الطير فهي لا تصل الى مرتبة بعض الذباب والحشرات (النحل والنمل) فان لهذين النوعين من التعاون على الأعمال المشتركة ما تقصر عنه همة كثير من الناس فما أحقر من يرى وجوده أضيق من وجود الذباب والحشرات

لا تفاوت بين أفراد نوع من أنواع المخلوقات نعلمه كالتفاوت بين أفراد البشر يتسع وجود زيد منهم فيملأ الآفاق ، ويضيق وجود عمرو حتى يضيق به قفص جسمه، يشعر ذاك بروحه الكبيرة أنه خلق لينهض بأمة كبيرة أو ليفيد جميع الامم، ويحار هذا في خدمة جسده، ويرى نفسه عاجزة عن تغذيته وتوفير لذته، فاذا زدوج فصار له بيت كان همه أكبر، لأنه أعجز عن سياسته وأصغر ، وبين هذين

الحكماء وهي موجودة في الملة الاسلامية وان كان المسلمون من أبعد الناس عنها فهذه الملة هي التي عرفها كتابها العزيز بقوله : «فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم، ولكن أكثر الناس لا يعلمون»:

الملة الاسلامية تساوي بين المختلفين في الأنساب والأوطان والأديان وتسمح لمن يدخل في حكمها وهو على دينه ان ينشئ في بلادها محاكم لأهل ملته وأبناء جلدته فلا تلزمه بأحكامها الزاماً فان هو اختار حكمها بنفسه ساوت بينه و بين أقرب الناس من بنيها وأعلى أفرادها مكانه فيها . فهي تدعو جميع البشر الى التعارف والتآلف في ظل حمايتها وانه لظل ظليل يباح للمستظل به كل شيء الا محاولة ازالته أوازلة فائدته للناس وهي دفع الشر والأذى عنهم وتقريب الخير منهم مع حفظ حريتهم في أديانهم وأعمالهم التي لا تضر سواهم . هذا ما تبذله لكل من قبل حمايتها، واستظل برايتها ، ثم انها تختص من قبل هدايتها في الدين بأخوة روحية، أخص من هذه الأخوة الانسانية، لانه يشارك أهلها فيما يؤهلهم لسعادة الحياة الأخرى، فهو أقرب اليهم بالروح ممن لا يشاركهم الا في سعادة الحياة الدنيا،

هذه الجنسية هي نهاية ما يمكن وضعه لسعادة البشر كلهم في هذه الحياة ولكن الناس لما يستعدوا لها تمام الاستعداد لذلك لم يرعوها حق رعايتها ونعتقد أن سيعودون اليها في يوم من الأيام . نقول يعودون اليها عوداً ، دون يقصدون اليها قصداً ، لأنها قد وجدت في الجملة مدة قليلة على عهد الخلفاء الراشدين فرقص لها العالم الانساني وأقبلت عليها شعوب به أيما اقبال ثم طفق نورها يخبو بما أفسد فيها الامويون ومن بعدهم ولكنه كان على ضعفه أفضل عند جميع الامم من كل ماعداه لذلك كان يخرجهم باختيارهم من جنسياتهم اخراجاً، فيدينون لها شعوباً و يدخلون فيها أفواجاً،

كانت حكومة الخلفاء الراشدين حكومة عسكرية لأن الدعوة لم تكن أمنت، والسلطة لم تكن استقرت، وكانت على ذلك حكومة عادلة رحيمة فضلها كل من ذاق حلاوتها على ماعهد من قومه . وكانت حكومة الامويين في الشرق والغرب وحكومة العباسيين في الشرق اسلامية في أكثر الفروع دون الاصول وأعني بالاصول قواعد

كون كبير واسع. وكلما اتسعت دائرة الاجتماع تتسع منها فائدة البشر فبعد أن كان امتياز القبائل والشعوب لاجل التناكر والتغابن ، صار باتساع ذلك المعنى لأجل التعارف والتعاون، كما قال تعالى «وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا»

اذا كانت الجنسية في الأمة هي النسب كانت بسطتها في الوجود بطيئة. كذلك الوطن اذا كان بلاداً محدودة كمصر أو الشام أو العراق. وليس نشر اللغة وجعلها جنسية بالامر السهل ومثلها الدين اذا كان خاصاً كاليهودية . وأما الحكومة فهي أوسع من جميع ما ذكر وبها تكونت الأمم الكبرى كامبراطورية الاسكندر والامبراطورية الرومانية فى الزمن الماضي وكالسلطنة العثمانية والحكومات الاستعمارية في هذا الزمان . ولكن الجنسية في الحكومة لا تعد جنسية حقيقية الا اذا كانت الشريعة أو القوانين التي يحكم بها الرعايا المختلفون في النسب والوطن واللغة والدين مبنية على قواعد العدل والمساواة بينهم وكان القائمون بها من لفيفهم لا من طائفة معينة منهم . على ان هذا الشرط الأخير انما تشترطه الطوائف والشعوب الراقية في معارج الاجتماع دون سواها وان من الشعوب ما يغلب فيها الشعور بأنها خلقت لتكون محكومة من الغرباء وأن جنسها لا يصلح للاحكام.

يكون اتساع محيط الجنسية نافعاً للبشر ما قصد بها تكثير سواد أهلها ومشاركة كل من يدخل فيهم لهم في جملة مزاياهم . ومتى قصد الشعب الاستئثار بالمنافع دون من يمتد وجوده اليهم وينبسط نفوذه فيهم كان آفة على سائر الشعوب لا يعدل فيهم ولا يمكنهم من الارتقاء فى معارج الكمال الانساني فسنة الله فى كمال الشعوب والامم ونقصها كسنته فى الأفراد نقص كل منهما بالأثرة والغلو في حب الذات حتى لا يتحرك حركة الا للمنفعة ذاته وكمال كل منهما بالقصد الى نفع غيره وايصال الخير اليه وجعل المنفعة الذاتية تابعة للمنفعة العامة

فالنتيجة لما تقدم من القواعد أن أكمل الجنسيات وأنفعها للبشر ما كانت أعم وأشمل للطوائف والجمعيات المختلفة في النسب والوطن واللغة والدين والحكومة بأن يقصد بها الخير للجميع والمساواة بينهم في الحقوق وتمكينهم من الرقي الى ما أعدتهم له الفطرة البشرية من الكمال الاجتماعي. وانما لجنسية يتحسر عليها نوابغ

الغربي وغير ذلك مما كان في قلب هذه القارة الاسلامية التي استولت عليها أوربا الا قليلا. ولو عقل المسلمون معنى الحياة الملية، لكانوا في هذه الممالك كلها أحسن نظاما ووحدة من الامبراطورية الانكليزيه

ان الحياة الوطنية الصحيحة هي جزء من الحياة الملية الاسلاميـة فاذا حيي المسلمون في قطر ما حياة اسلاميـة فبشر جميع دعاة الوطنية الصحيحة من أهل الملل التي تعيش معهم بجميع ما يطلبون من عـدل وحرية ومساواة وتعاون على درء المضار وجلب المنافع وكل ما به تعمر البلاد وتزيد خيراتها ، و بشر المسلمين منهـم بأن سيكونون مركز الجاذبية العامة لجميع الشعوب المسلمة في الارض ثم مشرق المدنية الفضلى لجميع العالمين

يالله العجب ! ثلاث مئة مليون أي ثلاث مئة ألف ألف من المسلمين قد اكتظ بهم قلب الارض من مراكش الى الصين ولا تجد لهم قوة ولا سلطة عزيزة لا يعبث باستقلالها عابث ، ولا يلمس شرفها لامس ، أرأيت لو كان لهم حياة ملية، تشعرهم بحقيقة الأخوة الاسلاميـة ، أما كان يعتز بعضهم ببعض ويمد بعضهم بعضاً ولو امدادا معنويًا ؟ أكان يسهل على الناقم من شعب من شعوبهم أن ينتقم منـه بغيًا وعدوانًا وهو يعلم أن قلب الارض يخفق للعدوان عليه خفقانًا لا يستهان به ؟

ما هو المرض الذي أضعف في المسلمين هذه الحياة الملية العليا ؟ هو عصبية الجنس واللغة والوطن وهي العصبيات التي حاول الاسلام القضاء عليها فلما غـير الملوك شكل حكومته الى ضدها تمكنوا من محاربته بجنسياتهـم فما أفسد علينا ديننا ودنيانا الا الملوك المستبدون وأعوانهم من علماء السوء وتلك سنة قد دخلت في كل أمة قال فيها الشاعر

وهل أفسد الدين الا الملوك وأحبار سوء ورهبانها

هل من سبيل الى اضعاف هذه النزعة الجنسية الخبيثة وإماطة هذه النزعة الوطنية الحمقاء من طريق الحياة الملية الاسلامية واشعار المسلمين في جميع الأقطار بحقيقة الرابطة التي تضم بعضهم الى بعض اشعاراً يملك الوجدان وتصدر عنه

الحكومة الأساسية كانتخاب الحاكم العام وإلزام الأمة له بالشورى واتباع الشريعة وكانت على ذلك أفضل من جميع الحكومات التي عرفها الناس قبل الراشدين . ولو وجدت الحكومة الاسلامية على حقيقتها فى دولة آمنة مطمئنة لاختارها كل من عرفها من الراقين، حتى تكون ملاذ البشر أجمعين،

سيقول الجاهلون بحقيقة الاسلام ان هذا من غلو المسلم المذعن و يأتون على ذلك ببعض الاعمال والتقاليد التي انتقدت على المسلمين وانني لعلى علم بشبهاتهم لكثرة ما بلوت من أمثالهم وما كشف تلك الشبهات عليّ بعسير ولكن القول قلما يقنع الجاهل لاسيما اذا كان متعصباً لرأيه ، غير محيط بتفصيل ماعند خصمه،

لست أعجب ممن نشأ فى دين يعادي الاسلام اذا هو أنكر مزايا الاسلام الظاهرة ، وأصوله الواضحة ، بله المزايا التي فقدت من المسلمين ، فلا أثر لها الا فى ثنايا آيات الكتاب المبين ، انما عجبي ممن نشأ فى المسلمين وهو منهم ثم هو يجهل مكان الجنسية الاسلامية الواسعة العامة لجميع الشعوب والطوائف، الشاملة لجميع الخيرات والعوارف، فيدعو الى جنسية الوطن كبعض أحداث المصريين أو جنسية اللغة والنسب كبعض جهلة الترك . فمثل هؤلاء كمثل من يهدم مصرا و يبني قصرا، بل هم أضيق وجودا وأضعف فكرا،

يعذر في مثل هذه الدعوة القبطي فى مصر والأرمني في بلاد الترك والاسرائيلي فى فلسطين لأن السلطة فى أيدي غيرهم فلهم الحق في أن يطلبوا مساواتهم بسائر أبناء بلادهم . على أن وجود هذه الطوائف القليلة العدد أوسع من وجود دعاة الوطنية والجنسية فانهم يطمعون في الاستقلال ببلاد أكثرها لغيرهم فهم يطلبون سعة وامتدادا، ودعاة الوطنية والجنسية منا يبغون ضيقاً وتقلصاً

لولا جنسية النسب لما تمزقت السلطة الاسلامية في ريعان شبابها فكانت عباسية فى الشرق أموية في الغرب فاطمية في الوسط والشريعة واحدة والملة واحدة ولما كان بين ذلك من ملوك الطوائف ما كان . لولا جنسية اللغة والوطن لما تفرق المسلمون بعد ذلك الى دول وممالك كالتركية والفارسية والافغانية وما كان قبلها فى الهند من السلطنة التيمورية وغيرها في المشرق وكالعربية في شمال افريقية

في الغالب يعتقدون ان اظهار عيوبها عون للاجانب عليها وقد يكونون مخطئين فى اعتقادهم هذا وأنى لنا بالرجال العارفين الذين يكشفون للعامة عن وجه الصواب فيعرفونه معرفة اذعان ؟

المرشدون الرسميون فينا جاهلون بشؤننا وسياستنا وعون للحكام كيفما كانوا لأن لهم سهماً من سلطتهم وأصحاب الجرائد منا لاهم لأكثرهم الا الازدلاف الى الحكام ، والحظوة عند العوام ، على أنهم لاحرية لهم فى بلادنا المستقلة تمام الاستقلال ، ولو كانت هناك حرية لوجد من يفيد لاسيما في البلاد العثمانية فان البلاد لم تخل من العقلاء المخلصين .

هذا شأن السياسة في صد محبي الاصلاح الحقيقي عن السعي اليه في طريقه وأما الجهل فلا حاجة الى بيان وجهه القبيح فان ضرره ما لا ينكره أحد في جملته ولا يتسع هذا المقال لتفصيله ،

لا نيأس من روح الله ولا نقنط من رحمته فان حوادث الزمان تعمل لنا مالا نعمل لأنفسنا، ورب عدوان علينا لأجل إماتتنا ،يكون سبباً من أسباب حياتنا ، بينا في الجزء الماضي ان الحرب الروسية العثمانية قد أحدثت في المسلمين هزة حيوية كما قال حكيمنا رحمه الله وقد رأينا أثر هذه الهزة فى هذا الشهر عند ما علم المسلمون بتهديد أوربا للدولة العلية واحتلال أسطولها المختلطة لجزيرة (مدللي) لحمل الدولة على تمكينهم من ادارة الولايات المكدونية حتى ان بعض فضلاء المسلمين في الهند (هو القاضي أمير علي الشهير) كتب الى التيمس أشهر الجرائد الانكليزية يبين سوء تأثير عمل أوربا فى نفوس المسلمين كافة و ينذر بسوء العاقبة . على أن الشدائد والبلايا انما تكون محيية اذا عرفت الأمة كيف تستفيد منها فلندع لها أثرها وفعلها الطبيعي ولنبحث فيما يجب علينا أن نعمله لحياتنا الملية ، وكيف نجتنب مكافحة السياسة ومنازعة الجهل وهو ما نبينه في مقال آخر



الأعمال التي توثق هذه الرابطة وتؤكد ما فيها من حقيقة الأخوة مع بقاء كل قوم منهم في بلادهم وتعاونهم مع سائر أهلها على عمارتها بالعدل والاحسان والتوادّ والاخلاص ؟ السبيل واضحة وهي حبل الله المتين وسراجه المنير ولكن السياسة والجهل عقبتان كؤدان من دونها يصدان السالك عن المضي فيها ولا يذلل العقبات الا همم الرجال فأين الرجال ؟

السياسة المانعة من حياة المسلمين الملية نوعان سياسة أجنبية وسياسة مسلمية وان أهل البصيرة من المسلمين لعلى خلاف فى أيهما أشد وطأة فالذين يحكمهم الأجانب يعتقدون أن حكامهم أعداء دينهم فهم وحدهم العقبة في طريق رقيهم في هذه الحياة . والذين يحكمهم المسلمون يعلمون أن حكامهم بجهلهم وبماتيهم وتبلهم من عشق الاستبداد والسلطة المطلقة التي لا تكون الا لله هم العقبة الكبرى في طريق الحياة الملية بالاعتصام بحبل الله المتين، والاهتداء بكتابه المبين، والجمع بذلك بين مصالح الدنيا والدين ،

ومن عرف الحكومتين ، وعجم عودي السياستين ، فهو أعلم بالحق ، وأجدر ببيان الفرق ،

الأجانب الحاكمون في بلاد المسلمين منهم القاسي الحائف كهولندا وفرنسا ومنهم اللين المتساهل كإنكلترا ولم يبلغ أشدها جورا ومنعاً للمسلمين من التعليم والتربية أن يحجب عنهم من كتب العلم والتربية ماتحرمه عليهم بعض الحكومات الاسلامية أو المسلمية ولكن محبي الاصلاح من المسلمين يرجون أن يغلبوا حكوماتهم ويلزموها بالعدل والمساواة وترقية العلوم والعقول وحرية الاجتماع للخير ويرون الاجانب عقبة في طريقهم فان إكراه الحكام على ترك الاستبداد لا تتمكن منه الامة المستعدة له الا بثورة داخلية والمسلمون يعتقدون ان الأجانب يتربصون بهم الدوائر فاذاهم ثاروا على حكومة من حكوماتهم المستبدة اغتنم الاجانب هذه الفرصة فأوقعوا بالدولة وقضوا عليها فالاجانب عقبة في طريق المسلمين أينما ساروا وتوجهوا لافرق بين بلادهم المستقلة وبلادهم المستعمرة . وهذا هو السبب في مقت عامة المسلمين لكل من يتكلم في عيوب الدولة العثمانية ولوكان صادقاً قاصدا للاصلاح فانهم

والدعوة . وهاك ما جاء في العدد الاخير من جريدة الرياض الهندية التي تصدر بالعربية والأوردية المؤرخ في ٢٥ رمضان الماضي قال

دعوة الاسلام في السند

مضت بضعة أشهر على إعلان الجرائد الآريوية (فرقة حديثة من هنود الوثنيين) أنه دخل فى دين الوثنية عائلة اسلامية تحتوي ٥٦ نسمة تسكن بلدة لركانه (بليدة في السند) وأظهروا عليه فرحاً شديدا وحسبوا أن هذا هو الخسران المبين للاسلام والمسلمين والفوز العظيم لهم وشاع هذا الخبر أسرع من البرق في جميع أقطار الهند وأثر تأثيرا سيئاً في المسلمين وحزنوا حزناً شديدا فمنهم من يكذب هذا الخبر ومنهم من يتعجب منه غاية العجب ويقول من ذا الذي يعبد الله الواحد الأحد الصمد القدير الذي خلق الأرض والسماء ثم يتبع من اتخذ إلهه هواه وكيف يعبد أصناماً حجرية ان يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له ان هذا لشيء عجاب —

ومنهم من يشدد النكير على علمائنا الكرام بأنهم لا يسعون في تسكين قلوب ضعفاء العقول من المسلمين ولا ينفعون بنصائحهم جميع الأنام بل يقصرون مواعظهم ونصائحهم على الذين يتبعونهم ويحسنون الظن بهم ولا يقدمون على اظهار الشك في أقوالهم ويحبون ان لا يسمعوا غير «سمعنا وأطعنا» قولا آخر — بل ينبزون الذي يعترض عليهم بالالقاب وبئس الخطاب —

فمن الذين أنكروا هذا الخبر وكذبوه أصحاب الجرائد وأعضاء اللجنات الاسلامية — فأصحاب الجرائد التمسوا في جرائدهم من المسلمين الذين يسكنون فى لركانه وحواليها أن يكاتبوهم بأحوالهم

وأعضاء اللجنات عزموا الى ارسال الواعظين الى لركانة ليصدقوا هذا الخبر ويعظوا المسلمين المترددين الذين يشكون في الاسلام — فوصل المولوي محمد ابراهيم ومولوي نبي بخش مندوبين من بعض اللجنات الى لركانه وكتبا وكتب بعض المسلمين منها أنه كانت في لركانه عائلة صغيرة من الهنود وكانوا هم وآباؤهم وأجدادهم هنديين يعبدون الأوثان ويحرقون أمواتهم ويعتقدون بالعقائد التي يعتقدها سائر الهنود الوثنيين الا أن جدهم بدلداس صار موظفاً في ديوان السادات أمراء لركانه

باب الأخبار والآراء

الدعوة الى الاسلام

الدعوة حياة الأديان والمذاهب والجمعيات وغيرها من الأمور العامة التي يراد تكثير سواد أهلها فبالدعوة ينتشر الباطل ويظهر، وبترك الدعوة ينطوي الحق ويخفى، وأشد أهل الاديان عناية بالدعوة الى دينهم النصارى فما من مذهب من مذاهبهم المشهورة الا وله دعاة في جميع الأقطار تنفق عليها الجمعيات الدينية مما تجمعه من أغنيائها ودول أوربا تحميهم أينما كانوا، ويتبعهم سلطانها أينما تمكنوا، ولم أر كالمسلمين اهمالا للدعوة . ولولا أن الاسلام هو دين الفطرة الموافق للمصالح المطابق للعقول لارتد عنه في هذا الزمان أكثر المنتسبين اليه من العوام الجاهلين الذين لا يسمعون كلمة هداية، ولا يجدون في كثير من الاقطار عزة حماية، ولو أن المسلمين يعنون بالدعوة اليه لدخل الناس فيه كل يوم أفواجاً كما كان في أول نشأته، أيام نشر دعوته، ومن أعجب أمر هذا الدين المتين انه ينمو بنفسه، ويجذب الناس اليه بطبعه، « هذا وما كيف لو »

وانه ليسرنا أن نرى نفوس المسلمين الذين أيقظتهم حوادث الزمان قد توجهت الى احياء الدعوة الاسلامية وكثر الحديث فيه بينهم، حيث يجدون حرية في دينهم، كبلاد مصر وبلاد الهند. أما هذه البلاد فقد كان الاستاذ الامام رحمه الله تعالى عازماً على إعداد فرقة من طلاب الأزهر للدعوة يتعلمون ما ينبغي لها في هذا العصر من العلوم والفنون التي يتمكنون بها من اقناع أصناف المدعوين، وكشف شبهات المنكرين، ولكن ما أحدثه أعداء الاصلاح من الشغب والمقاومة حالت دون ما كان يريدو لعل مريده الشيخ شاكر يوفق الى ذلك في الاسكندرية اذا استقام على ماعهد به اليه، وان كان يعوزه ما كان المرحوم أقدر عليه، وأما مسلمو الهند فقد انتقل الامر فيهم من طور الفكر أو التمني الى طور العمل

أسلم ٨٥٧ نسمة والعالمان المتورعان يجتهدان في دعوة الاسلام وكل يوم ننتظر أن تصل الينا بشارة جديدة يفرح بها المسلمون فرحاً --

يا معشر المسلمين أفلا تنظرون بعين الناقد البصير الى أعمال علمائكم كيف نجحت مساعيهم في برهة من الزمان فما هذا الا نتيجة احيائهم سنة من سنن الرسول صلى الله عليه وسلم فان اختار علماؤنا الكرام هذه الخطة التي عمل بها رسول الله صلى الله عليه وسلم مدة عمره الشريف رأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً —

فعليكم أيها المؤمنون أن تحسبوها تجربة حسنة وتبنوا عليها بناء جيداً فان ارتقاء القوم لما كان يتوقف على تعليم العلوم والصنائع والتجارة وكثرة العدد والعدد عقدتم لتعليم العلوم والصنائع جمعيات عديدة فالاجدر أن تقيموا الدعوة الاسلام جمعية أيضاً يشترك فيه المسلمون كلهم واجتهدوا في نشر الاسلام حق الاجتهاد وانظروا الى معاصريكم من المسيحيين كيف يجتهدون في اشاعة المسيحية وكيف يصرفون عليها قناطير الذهب والفضة كل سنة كما يظهر من رسالة مكاتبنا المكرم التي أدرجناها

وانظروا الى اخوانكم الآرية كيف يجتهد كل واحد منهم في اشاعة مذهبهم التكثير حزبهم مع أن معتقداتهم مخالفة للعقل السليم ولا تقاوم الادلة الفلسفية كتعدد الآلهة ومسئلة التناسخ وعبادة آلات التناسل وغير ذلك من العقائد الباطلة وشائنة ولكنهم يجتهدون في تكثير أفراد هذه المذاهب ويفوزون فوزا تاماً حتى انه لم يبق قرية أو بلدة من الهند الا ويوجد فيه عدد من هذه الفرقة الحديثة التي بدت منذ خمس وعشرين سنة

أما دينكم فمطابق لفطرة الله التي فطر الناس عليها وأصوله موافقة للعقل والحكمة والفلسفة فوجهوا وجهتكم الى هذا الأمر الجليل والتفتوا اليه أجل التفات واعقدوا له جمعية جديدة أو حثوا احدى الجمعيات الموجودة عليه لتعمل فيه بالنظام المتين والتدبير المستقيم المستقل وتديم الجهد عليه فالفوز والنجاح بين أيديكم لا ريب فيهما

ان العالمين المذكورين قد قرعا هذا الباب وفتحاه لكم وقدما نتائج مساعيهما الحسنة اليكم ليكون لكم درساً مفيدا — فعليكم أن تنصروهما وتدبروا تدابير

واختار مراسم المسلمين كما يختار أكثر الهنود مراسم العزاء بسيدنا الامام الحسين بن علي رضي الله عنه ويبنون في المحرم تماثيل مقابرهم ويلبسون الثياب الخضراء ويجمعون الاشتراكات لهذه التماثيل ويقولون انهم فقراء الامام وينذرون لها نذوراً كما يفعل المسلمون الجاهلون في شهر المحرم ومن الهنود من لقب بالألقاب الاسلامية كمرزا تفته وغير ذلك فهكذا هذه العائلة قد اختارت رسوم جهال المسلمين استرضاء لمواليهم المسلمين واشتهروا بالشيوخ واستمروا عليه حيناً من الدهر الا أنهم لم يؤمنوا ولم يدخلوا في حوزة الاسلام قط وكانوا يعبدون الأوثان ويحرقون أمواتهم ويرسلون نبذاً من الشعور على رؤوسهم ويستعملون الزنانير ويسمون أبناءهم وبناتهم بأسماء المشركين ويتبعون أهل الشرك في عقائدهم وتفردوا لهذا أو بسبب آخر من أقوامهم فسعت الآرية في انضمامهم الى فئتهم ففازوا بذلك وأظهروا في جرائدهم انهم كانوا من المسلمين

أما العالمان العاملان المذكوران فصمما عزمهما على دعوة الاسلام وتبليغه الى الذين لا يعرفون محاسن الاسلام واحياء سنة من سنن الرسول صلى الله عليه وسلم التي تركها العلماء منذ قرون عديدة فانه صلى الله عليه وسلم كان يذهب تارة الى عكاظ وتارة الى الطائف وتارة يضع مأدبة لقريش ويبلغهم آيات الله ويحثهم على طاعة الله ويهديهم الى سواء السبيل ويعظهم في المجامع العامة التي تشتمل على طوائف الناس من المؤمنين والمشركين —

وعلماء هذا الزمان مارعوا هذه السنة حق رعايتها بل حصروا مواعظهم ونصائحهم في المساجد حيث لا يحضر الا من يصلي ولا يصل وعظهم الى المسلمين الذين غرقوا في بحار المناهي والمناكر ولا يصل نداء وعظهم الى من لا يؤمن بالله واليوم الآخر — الا أن هذين العالمين قد أحييا هذه السنة وعملا عليها عملا حسناً فعمما مواعظهما وجددا عزمهما الى هداية الذين لا يدينون دين الحق وشرعا في الذهاب الى القرى والبلاد وأنتجت مساعيهما نتائج حسنة فاعتنق الدين الاسلامي في أسبوع واحد أربع مائة من الرجال والنساء والصبيان ومازال عدد التاركين الوثنية الداخلين في الاسلام يزداد يوماً فيوماً في هذه الاقطاع الى أن بلغ عدد من

﴿مسألة مكدونية وتأثيرها في المسلمين﴾

اتفقت النمسا وروسيا وانكلترا وفرنسا وايطاليا على ارسال أسطول مؤلف من سفنهن لتهديد الدولة العلية وإلزام السلطان باجابة مايطلبن من المراقبة المالية الاوربية في تلك الولايات وقد احتل الاسطول المتحد جزيرة مدللي وأصر السلطان على رفض طلبهن كما قلنا في الجزء الماضي

وكان من بعض أجوبته لسفرائهن انه لا يقدر على احتمال سخط المسلمين في هذه الحادثة أو ما هذا معناه ففسرت شركة روتر في برقياتها هذه الكلمة بأن السلطان يهدد أوربا أو النصارى بالحرب الدينية وقيام المسلمين عامة على النصارى وان السفراء فهموا هذا منه وأن سفير الانكليز قال انه هو المسؤل عن كل ما ينجم من الاعتداء على رعية دولته . والسلطان لم يقصد شيئاً مما زعموا وانما أراد أن يبين لهم عذره في رفض طلب الدول وهو أن المسلمين يسخطون عليه ويقولون انه هو الذي أضاع بلاد الدولة

قال روتر كلمته وطيرها بالبرق الى مصر وغيرها فأحدثت في النفوس اضطراباً عظيما فكثر حديث الناس في المسألة حتى النساء وانتشر الخبر في العامة انتشارا عظيما وتوقع الأجانب حدوث فتنة عظيمة اذا تمادى الخلاف بين الدول المتحدة وتركيا المنفردة وأنشأت الجرائد تبين ضرر العدوان وفوائد الصفاء والانفاق . ولكن لم يطل ولله الحمد أمد الاضطراب والاشفاق على الدولة من عدوان أوربا فلم نلبث أن أنبأتنا البرقيات بأن الباب العالي اتفق مع الدول على قبول المراقبة بعد تعديل وتحوير فيها فسكنت النفوس مرة واحدة واطمأنت القلوب وسكتت الجرائد عن الخوض في المسألة ووعظ الناس بوجوب السكينة لولا ما حدث في الاسكندرية

حدث في الاسكندرية ان بعض رعاع اليونانيين أطلق الرصاص على آخر فأصاب رجلا مسلما فانتصر المسلم بعض العامة ولليوناني من حضر من قومه فانتشرت الفتنة وظن بعض الغوغاء من أحداث المسلمين ان ما يتحدث به الناس من الحرب الدينية قد وقع فتألبوا وكثر جمعهم وصاروا يصيحون في الشوارع الحرب الدينية: ويضربون من يلقون من اليونانيين وغيرهم فجرح خلق كثير وعجز رجال

حسنة لاستمرار الاعمال التي شرعا فيها —

يامعشر المسلمين انتبهوا من هذه الغفلة وجددوا عزائمكم وقووا قلوبكم وصمموا نياتكم وقوموا لإحياء قومكم واشاعة دينكم وتكثير حزبكم لتكونوا من المسلمين الصادقين الذين يفاخر بكم نبيكم الامم لكثرة عددكم وقوة عددكم وجهادكم بأموالكم وأنفسكم وأقلامكم وأقدامكم واسعوا بالاخلاص في اعلاء كلمة الله ونشر شعائر الله وافشاء أحكام الله واتفقوا واجتمعوا ولا تفرقوا فان يد الله مع الجماعة .» اه بنصه مع تصحيح بعض الكلمات

﴿ الدعوة الى الاسلام في اليابان ﴾

كانت الجرائد رددت صدى ما نشر في مجلة (شوكيا) اليابانية عن تصدي حسان المسلم الصيني لدعوة قومها الى الاسلام بتأليف كتاب نشره في تلك البلاد ثم نقل بعضها عن الجزء الصادر من تلك المجلة في أول سبتمبر الماضي شيئاً عن بحث لجنة الأديان اليابانية في ذلك الكتاب وملخصه أن رئيسها كاف المستر كوريما دراسة قسم العبادات من الكتاب والمستر جورافوش دراسة قسم المعاملات والمستر ايوا داوا دراسة قسم العقوبات مع اشتراك الجميع في المسائل العويصة من كل قسم . وكتب الى المستر حسان يدعوه الى اليابان لمذاكرته في مسائل كتابه فلبى وتلقته اللجنة بالحفاوة والاكرام وكان يحضر اجتماعهم . ولما دارت المناقشة في كلمة «لا إله الا الله» قاعدة التوحيد أورد المستر كوريما كل مافي خياله من الادلة النظرية لاثبات تعدد الآلهة ولكن رفيقيه مالا الى رأي المستر حسان . ومن رأي اللجنة أن تنشر كل ما تراه صحيحاً من المسائل الاسلامية بعد الاتفاق عليه في الجرائد في صحف خاصة توزع على العامة : واننا نخشى أن يعجز أخونا حسان عن اقناع القوم ببعض المسائل لتمسكه فيها بمذهب معين فان الذي نعرفه عن مسلمي الصين أنهم قلما يعرفون من الاسلام غير مذهب الحنفيه . ونود أن يستحضر لنا بعض أهل الغيرة هذه المجلة وما عساه يطبع في المناظرة ويترجمه ليتسنى لنا مشاركتهم في بحثهم نحن ومن يهمه ذلك من العلماء ونكتب اليهم مانراه مقنعاً لهم ان شاء الله تعالى

واعتزازهم بحماية حكوماتهم لهم من العدل يحفظون القلوب عليهم و يملأونها حقدا وضغنًا فاذا جاءت أحداث الزمان بالفرصة للتشفي والانتقام، ومقابلة العدوان بالعدوان، كان من ظلم الحكومة أن تنكل برعيتها اذا قدرت، ومن البلية عليها وعلى البلاد ان عجزت، (رابعها) ان بعض الاجانب ينبزون هذه الحركة بلقب التعصب الديني الذي هو عندهم من الالقاب الممقوتة ولو أنصفوا لعرفوا أن كل حركة ضدهم فهم سببها سواء كانت دينية أودنيوية (خامسها) ان جميع الاجانب يقتنون السلاح و يتعلمون استعماله و يقل في الوطنيين من يقتنيه أو يحسن استعماله والحكومة المصرية تشدد على رعيتها في اتخاذه وذلك مما يحفظ قلوبهم على الاجانب اذ يعتقدون أنهم يستعدون للايقاع بهم ومن مصلحتها أن تقرب القلوب بعضها من بعض بالمساواة وهذا يتوقف على رضاء دول أوربا فلعلهن يفكرن في ذلك

وعلى ذكر السلاح نقول ان الحكومة العثمانية في سوريا قد أتقنت التشديد على العلم ومنع الكتب والجرائد خوفًا من حركة الفكر ولكنها لم تتقن منع السلاح فلا يكاد يوجد أحد في بيروت ولا لبنان لا يتخذ بنادق مرتيني وغيرها من المدى والمسدسات و يكثر السلاح أيضًا في سائر البلاد وسيعم فنسأل الله أن يقيها الفتن، ماظهر منها وما بطن

أنباء الازهر — الشيخ أحمد الرفاعي

هذا الشيخ هو أول من تجرأ على الجهر بمعارضة الاصلاح في الازهر باسم الانتصار للدين ودعا الشيوخ الى ذلك فأجاب دعوته كثيرون لاالاكثرون. وقد كان من عاقبة أمره ماعرفه الناس هنا وخاضت فيه الجرائد وهذا ما نشرته جريدة اللواء (فى ع ١٨٧٧ الصادر في ١٨ رمضان الماضي)

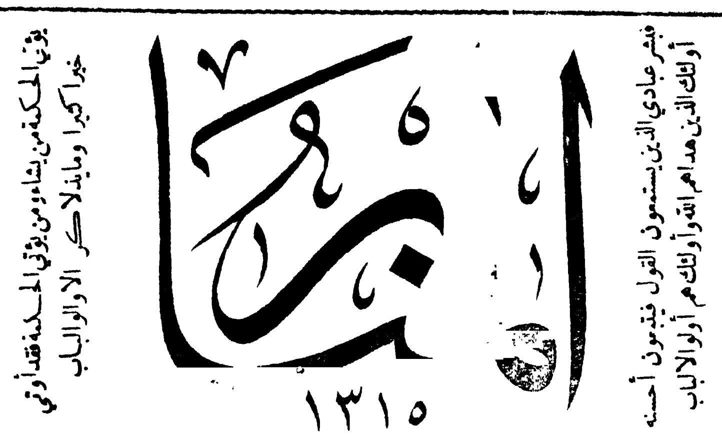
«من المسائل التي يجب علينا نحن معشر الوطنيين النظر فيها وتلافيها قبل أن ينبهنا اليها الغير تلك الحالة المكدرة التي وقعت من الشيخ أحمد الرافعي شيخ المقاري. ومعلوم ان هذا الشيخ نال الحظوة السامية لدى الجناب العالي الخديوي عدة سنوات وكم من مرة طاف على العلماء بالعرائض لطلب عزل شيخ الجامع والمفتي وكان الكثيرون يتبعونه وكان يقرأ التفسير في القبة اثناء شهر رمضان. وقد

الشحنة عن فل الجموع وحفظ الأمن فأمر محافظ الاسكندرية بأن يجاء بمطافىء الحريق فيرش منها الماء في المحشر ففرق الماء تلك الجموع من حيث لم يضر أحدا منهم ونعم الرأي رأي المحافظ

وقد اتفقت الجرائد العربية والافرنجية على أن الذنب في الحادثة لشرار اليونان لا للمصريين وروى بعضها أن قنصل اليونان نفى طائفة منهم بالاتفاق مع الحكومة . وقد قبض على جماعة من المشاغبين لأجل محاكمتهم ويقال ان الحكومة ستعاملهم بالقسوة وتعاقبهم أشد العقاب عبرة لهم ولأمثالهم

وروت الجرائد أيضاً أن محافظ الاسكندرية أمر الخطباء والوعاظ بأن ينصحوا للناس بموادة النصارى وغيرهم من المخالفين لهم في الدين ليعلم الجاهلون أن الدين يأمر بالعدل والإحسان لا بالظلم والعدوان . وقد روت البرقيات والجرائد الأوربية أن السلطان أمر خطباء الاستانة ووعاظها بمثل هذا . وينكر بعض الناس مثل هذا محتجاً بأن أهل الاستانة لم يعرفوا من الخلاف بين الدولة العلية والدول ما يعرف الاروبيون والمصريون وان مثل هذا الوعظ قد يضر ولا ينفع لأنه ينبه النفوس الى ما كانت غافلة عنه ولا تعنينا هذه الآراء وما كان للمنار ان يذكر الحوادث الا لبيان العبرة فيها

العبرة في هذه الحادثة من وجوه (أحدها) أن لعامة المسلمين غيرة على دينهم وعلى سلطتهم وحظاً مّا من الشعور بالحياة الملية العامة ولكن ليس لهم زعماء يخدمون هذا الاستعداد ، ويستخدمونه بما ينفع الأمة والبلاد، (ثانيها) ان هؤلاء العوام لجهلهم بدينهم عرضة لمخالفته بقصد الاهتداء بهدايته حتى يسهل دفعهم الى الفتن ، وايقاعهم في مزالق المحن ، ولا علاج لهذا الجهل الا التعليم الديني النافع والتربية الاسلامية القويمة، واذا كانت الحكومة تظن أن القسوة في عقاب المذنبين في حادثة الاسكندرية تكون تربية لسائر العوام ورادعا لهم عن الوقوع في مثل ما وقع فيه المعاقبون فظنها هذا اثم فان العوام لا يندفعون بالفكر والقياس، بل بالوجدان والإحساس ، فاذا حدث في وقت آخر ما يحرك احساسهم للشر ، فانهم لا يتذكرون ماسبق للمذنبين من العقوبة والضر ، فعلى الحكومة المصرية أن تعنى بتعميم التعليم الديني ما استطاعت (ثالثها) ان شرار الاجانب باعتدائهم على الوطنيين



(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق)

﴿ مصر الاربعاء غرة القعدة سنة ١٣٢٣ — ٢٧ ديسمبر (ك ١) سنة ١٩٠٥ ﴾

تفسير القرآن الحكيم

(مقتبس من الدروس التي كان يلقيها في الأزهر الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه)

(٢٤٤ : ٢٤٦) مَنْ ذَا ٱلَّذِي يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ، وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ *

القتال للدفاع عن الحق أو لحماية الحقيقة يتوقف على بذل المال لتجهيز المقاتلة ولغير ذلك لا فصل في الحاجة الى هذا بين البدو والحضر فاذا كانت مقاتلة القبائل البدوية لا تكلف رئيسها أن يتولى تجهيزها بل يجهز كل واحد نفسه فكل واحد مطالب ببذل المال لتجهيز نفسه واعانة من يعجز عن ذلك من فقراء قومه . وأما دول الحضارة فكانت تحتاج في الاستعداد للمدافعة والمهاجمة ما لا يحتاج اليه أهل البادية وقد كثرت نفقات الدول الحربية اليوم بارتقاء الفنون العسكرية وتوقف الحرب على علوم وصنائع كثيرة من قصر فيها كان عرضة لسقوط دولته . لهذا قرن الله تعالى الأمر بالقتال،

بلغ من تقربه ان سمو الأمير رشحه لمشيخة الازهر عقب احالة فضيلة الاستاذ العلامة الشيخ سليم البشري على المعاش

«أما الذي علمناه وعلمه الكثيرون فهو ان الشيخ المذكور لما تعين شيخاً للمقاري أقيم ناظراً على وقف مشروط النظر فيه لمن يكون في وظيفته فكان من تصرفه المخالف للشرع الشريف انه أجر لحضرة سمعان بك صيدناوي التاجر الشهير في الموسكي قطعة أرض لمدة ستين عاماً بأجرة زهيدة جداً . ولما بلغ هذا الخبر أولياء الأمور فصلوه عن وظيفته من مشيخة المقاري فأصبح غير ناظر على الوقف ثم أبى الجناب العالي قبوله في السراي العامرة كما انه لم يدعه للافطار في عابدين مع بقية العلماء وسيجري الشأن بابطال عمل الرجل شرعاً وهذا وان كان يريح البال بعد العلم بهذه الحادثة الا ان الجاري الآن من الغرابة بمكان ذلك ان الشيخ لا يزال مدرساً في الازهر

«وغني عن البيان ان وظيفة التدريس خصوصاً في مدرسة كلية مثل الازهر الشريف هي وظيفة سامية لا تسند الا الى الرجل الشريف الطاهر السمعة ولا يليق ان يتقول الناس فى الخارج على واحد يشغلها . وعندنا أن عالماً حسن السمعة خير الف مرة من عالم أوسع منه علماً يكون سيء السمعة غير محمود الذكر لأن مثل هذا يكون مثالا رديئاً لتلاميذه وبه يعتقد الطلبة ان العلم يسمح لصاحبه بخراب الذمة

« فهل ترضى مشيخة الأزهر أن يهان التدريس الى حد أن يتربع في حلقاته من أتى أمراً مخالفاً للشريعة السمحاء (الصواب السمحة)

فان كان الشيخ قد أتى ما أتى وهو عالم بمخالفته الشرع فهذا يكفي لحرمانه من التدريس وان كان أتاه وهو غير عالم بمخالفته فهناك الطامة الكبرى لاسناد التدريس لمن لا يعرف نواهي الشرع وان كان أتاه عن ضعف وكبر فهو غير لائق للتدريس .

فهل لمشيخة الازهر ان توجه أنظارها الى ذلك صيانة لشرف العلم والمتعلمين .» اه

(المنار) كان للواء أن يلتمس للشيخ عذراً فيما فعل ولو بالطرق التي يسمونها حيلا شرعية ونقول انه بعد هذا قد أقيل الشيخ الرفاعي من مجلس ادارة الازهر الذي عين عضوا فيه عقب ترك الاستاذ الامام له والذين كانوا يعارضون الاصلاح كلهم مثل هذا الشيخ أو دونه

على النفس مفارقة محبوبها (المال) ولذلك يقل في الناس من يبذل المال في المصالح العامة فلهذا كان المقام يقتضي مزيد التأكيد والمبالغة في الترغيب وليس في الكلام ما يدرك شأو هذه الآية في ذلك لاسيما في موقعها هذا بعد بيان سنة الله تعالى في موت الأمم وحياتها

حسبك أنه تعالى جعل هذا البذل بمثابة الاقراض له وهو الغني عن العالمين الذي له ملك السموات والارض وما بينهما وانما يقترض المحتاج — وأنه عبر عن طلبه بهذا الضرب من الاستفهام ، المستعمل للإكبار والاستعظام ، فانه إنما يقال من ذا الذي يفعل كذا في الامر الذي يندر أن يقدم عليه أحد • يقال من ذا الذي يتطاول الى الملك فلان أومن ذا الذي يعمل هذا العمل وله كذا : اذا كان عظيما أوشاقاً يقل من يتصدى له• قال تعالى « من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه » وقال «قل من ذا الذي يعصمكم من الله » الآية ولا يقال : من ذا الذي يشرب هذه الكاس المثلوجة : وهجير الصيف متقد والسموم تلفح الوجوه — وأنه لم يكتف بتسميته إقراضاً وبالتعبير عنه بهذا الاستفهام حتى قال ﴿فيضاعفه له أضعافاً كثيرة﴾ ذلك أن الاقراض هو أن تعطي انساناً شيئاً من المال على أن يرد اليك مثله فالتعبير بالإقراض يقتضي أن القرض لا يضيع وليس هذا بكاف في الترغيب الذي تقتضيه الحال هنا فصرح بأنه لا يرد مثله بل أضعاف أضعافه من غير تحديد وقد قال في مقام آخر «وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه» وهو كاف هناك لما علمت من الفصل بين المقامين، والتفاوت بين الناس في الحالين ، وانك لتجد الناس على هذا التأكيد في الترغيب قلما يجودون بأموالهم في المصالح العامة «وقليل من عبادي الشكور »

بالحث على بذل المال ، فالمراد بالبذل هنا مايعين على القتال وما هو بمعناه من كل ما يعلي شأن الدين ،ويصون الأمة ويمنعها من عدوان العادين ، ويرفع مكانتها في العالمين ،

ذكر هنا حكم الإنفاق في سبيل الله بعبارة تستفزّ النفوس وأسلوب يحفز الهمم ، ويبسط الأكف بالكرم ،فقال ﴿ من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً﴾ فهذه العبارة أبلغ من الأمر المجرد ومن الأمر المقرون ببيان الحكمة ، والتنبيه الى الفائدة،والوجه في اختيار هذا الاسلوب هنا على ماقرر، الأستاذ الامام أن الداعية الى البذل في المصالح العامة ضعيفة في نفوس الأكثرين والرغبة فيه قليلة إذليس فيه من اللذة والأريحية مافي البذل للأفراد فاحتيج فيه للمبالغة في التأثير . يدفع الغني الى بذل شيء من فضل ماله لأفراد ممن يعيش معهم أمور كثيرة منها ازالة ألم النفس برؤية المعوزين والبائسين ، ومنها اتقاءحسد الفقراء واكتفاءشر شرارهم والأمن من اعتدائهم،ومنها التلذذ برؤية يده العليا وبما يتوقعه من ارتفاع المكانة في النفوس وتعظيم من يبذل لهم وشكرهم واحترام غيرهم فان السخي محبب الى جميع الناس من ينتفع بسخائه ومن لا ينتفع . واذا كان البذل الى ذوي القربى أو الجيران فحظ النفس فيه أجلى ، وشفاء ألم النفس به أقوى ، فإن ألم جارك وقريبك آلم لك ويتعذر أن يكون الانسان ناعماً بين أهل البؤس والضراء ، سعيدا بين الاشقياء ، فكل هذه حظوظ للنفس في البذل للأفراد تسهل عليها امتثال أمر الله فيه وان لم يكن مؤكدا . وأما البذل الذي يراد هنا — وهو البذل للدفاع عن الدين واعلاء كلمته وحفظ حقوق أهله— فليس فيه شيء من تلك الحظوظ التي تسهل

أثرها كازالة البطالة بإحداث أعمال ومصالح للفقراء وازالة الجهل بالانفاق على التعليم والتربية — تعليم طرق الكسب والتربية على العمل والاستقامة والصدق . واذا كان فقر الفقير انما هو بالجري على سنة من سنن الله فازالة سبب فقره أو مساعدته عليه أو فيه انما يجري على سنة من سننه تعالى أيضاً كما أن غنى الغني كذلك فالانفاق لاحياء سنة الله ومساعدة من ينتسبون الى الله تعالى على انهم عياله اذ لاغنى لهم بكسبهم ولاحول لهم ولاقوة ينزل منزلة الإقراض له تعالى فالفقراء عيال والله يعولهم بأيدي الأغنياء ويعول الأغنياء بتوفيقهم لأسباب الغنى

أقول هكذا وجه العبارة رحمه الله تعالى بعد أن قال ان الحث على الإنفاق في هذه الآية يراد به الانفاق في المصلحة العامة لامواساة الفقير فكأنه أراد أن يبين صحة التعبير في نفسه حيثما ورد وان استعمل في مقام آخر كقوله تعالى في سورة التغابن (١٧:٦٤) «إن تقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعفه لكم ويغفر لكم» ودخل فيما ذكره بعض المصالح العامة وهو ينطبق على سائرها فإن القتال لحماية الدين وتأمين دعوته وللدفاع عن الانفس والبلاد هو من سنن الله تعالى في الاجتماع البشري فالانفاق فيه يصح أن يسمى اقراضاً لله تعالى باعتبار اقامة سنته به على وجه الحق الذي يرضيه جل شأنه . وقد كنت أزيد مثل هذا وأسنده اليه في حياته اعتمادا على اجازته مع كونه مما يقتضيه قوله

ثم قال روح الله روحه مامثاله : والتعبير عن الإنفاق بالإقراض الذي يشعر بحاجة المستقرض الى المقرض عادة جدير بأن يملك قلب المؤمن ويحيط بشعوره ويستغرق وجدانه حتى يسهل عليه الخروج من كل مايملك

قال الأستاذ الامام معلوم أن الله تعالى غني عن العالمين فلا يحتاج الى شيء لذاته ولا هو عائل لجماعة معينين فيقترض لهم فلا بد لهذا التعبير بالاقراض من وجه صحيح —أي غير ما يعطيه الأسلوب من الترغيب— فماهو هذا الوجه؟ ورد في الحديث أن الفقراء عيال الله على الأغنياء (*) لأن الحاجات التي تعرض لهم يقضيها الأغنياء . ومعنى كونهم عيال الله أن ما أصابهم من الفاقة والعوز انما كان بالجري على سنن الله في أسباب الفقر وللفقر أسباب كثيرة منها الضعف والعجز عن الكسب ومنها إخفاق السعي ومنها البطالة والكسل ومنها الجهل بالطرق الموصلة ومنها ما تسوقه الأقدار من نحو حركات الرياح واضطراب البحار واحتباس الامطار . والأغنياء متمكنون من ازالة هذه الأسباب أو تدارك ضررها وإضعاف

(*) هكذا قال الاستاذ الامام وهو يشير الى الحديث المتداول « الفقراء عيال الله وأحب الناس الى الله أنفعهم لعياله » وقد رواه أبو يعلى فى مسنده والبزار من حديث أنس والطبراني من حديث ابن مسعود بلفظ « الخلق كلهم عيال الله فأحبهم الى الله أنفعهم لعياله » كذا في كنز العمال وقال الجلال في الأحاديث المشتهرة رواه البيهقي في الشعب وأبو يعلى من حديث أنس وسنده ضعيف وابن عدي من حديث ابن مسعود: أقول ورواه الخطيب عن ابن عباس بلفظ « فأحب الناس الى الله تعالى من أحسن الى عياله » والديلمي عن أبي هريرة بزيادة « وأبغض الخلق الى الله من ضيق على عياله » وتقرير الاستاذ الامام يتفق مع الرواية كما هو ظاهر على أن للفظه أصلا في هذا المقام وهو ما رواه ابن جرير عن علي كرم الله وجهه : مات غنيان وفقيران فقال الله تبارك وتعالى لأحد الغنيين ما قدمت لنفسك وما تركت لعيالك فيقول يارب خلقتني واياهم سواء تكفلت برزق كل دابة وقلت « من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له » وعلمت انك ترزق عيالي من بعدي : فيقول اذهب فلو تعلم مالك عندي لضحكت كثيراً ولبكيت قليلا الخ

وثقته بربه وابتغائه مرضاته ولا على حبه الخير لذاته لارتقاء نفسه وعلو همته بما استفاد من فضائل الدين وحسن التهذيب فلا يكون له حظ من نفقته يقربه الى ربه زلفى بل يكون كل جزائه تلك السمعة الحسنة «فهجرته الى ماهاجر اليه» . ومن الناس من ينفق في المصالح بنية حسنة ولكن بغير بصيرة تريه مواطن المنفعة بنفقته فيبني مسجدا حيث تكثر المساجد فيكون سبباً في زيادة تفرق الجماعة وذلك مخالف لحكمة الشرع أو يبني مدرسة ولا يحسن اختيار المعلمين لها أو يفرض لها من النفقة مالا يكفي لدوامها فيسرع اليها الخراب أو يضع فيها معلمين فاسدي الاعتقاد أو الآداب فيفسدون ولا يصلحون فمثل هذا كله لا يقال له قرض حسن وانما يكون الانفاق قرضاً حسناً مستحقاً للمضاعفة الكثيرة اذا وضع موضعه مع البصيرة وحسن النية ليكون على الوجه المشروع من إقامة الدين، وحفظ مصالح المسلمين ،أو منفعة جميع الأنام، من الطريق الذي أشرعه الاسلام،

وأما هذه المضاعفة الى أضعاف كثيرة ـ وسيأتي في آية أخرى ذكر سبع مئة ضعف والمراد الكثرة ـ فهي تكون في الدنيا والآخرة . ذلك أن المنفق لإعلاء كلمة الله ولتعزيز الأمة وللمدافعة عن الحق والحقيقة يكون مدافعاً عن نفسه ومعززا لها وحافظاً لحقوقها لأن اعتداء المعتدين على الامة انما يكون بالاعتداء على افرادها فضعف الأمة وإذلالها وضياع حقوقها لا يتحقق الا بما يقع على أفرادها وهو منهم والبلاء يكون عاماً «واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة» ثم ان الأمة التي يبذل أغنياؤها المال، وتقوم بفريضة التعاون على الاعمال، فيكفل غنيها فقيرها ، ويحمي قويها

ابتغاء لمرضاة الله وحياء منه فكيف وقد وعد برده مضاعفا أضعافاً كثيرة ووعده الحق . هذا التعبير بمثابة الهزّ والزلزال لقلوب المؤمنين فقلبٌ لا يلين له ويندفع به الى البذل قلبٌ لم يمسسه الايمان ، ولم تصبه نفحة من نفحات الرحمن ، قلب خاوٍ من الخير ، فائض بالخبث والشر ، أيُّ لطف من عظيم يداني هذا اللطف من الله تعالى بعباده ؟ جبار السموات والارض رب كل شيء ومليكه الغني عن العالمين الفعال لما يريد المقلب لقلوب العبيد يرشد عباده الذين أنعم عليهم بفضل من المال واختصهم بشيء من النعمة الى مواساة اخوانهم بما فيه سعادة لهم أنفسهم ولمن يعيش معهم ، ويهديهم الى بذل شيء من فضول أموالهم في المصالح العامة التي فيها صلاح حالهم وحفظ شرفهم واستقلالهم ، فيبرز هذا الهدي والارشاد في صورة الاستفهام ، دون صيغة الأمر والالزام ، ويسمي نفسه مقترضاً ليشعر قلب الغني بمعنى الحاجة التي ربما تصيبه يوماً ما ثم هو يعد بمضاعفة ذلك العطاء — أيكون هذا اللطف كله منه بعبده الذي غمره بنعمته وفضله على كثير من خلقه ثم يجمد قلب هذا العبد وتنقبض يده لا يستحي من ربه ولا يثق بوعده ويقال مع هذا انه مؤمن به وبأن ما أصابه من الخير فهو من عنده ؟ كلا . مثل في نفسك ملكا من ملوك الدنيا يريد أن يجمع إعانة للفقراء وقد خاطبك بمثل هذا الخطاب في التلطف والاستعطاف ومثل في خيالك موقع قوله من قلبك وأثر كلامه في يدك

أما كون القرض حسناً فالمراد به ما حل محله ووافق المصلحة لا ما وضع موضع الفخفخة وقصد به الرياء والسمعة نعم ان ما أنفق في المصالح العامة حسن وان أريد به الشهرة ولكنه لا يكون دالا على ايمان المنفق

الصيغة من معنى المغالبة. قرأ أبو عمرو ونافع والكسائي (فيضاعفه) بالضم وعاصم بالنصب ولا محل هنا لتطبيق قواعد النحو عليه وقرأ ابن كثير (فيضعفه) بالرفع والتشديد ويعقوب وابن عامر بالنصب.

قال تعالى ﴿ والله يقبض ويبسط ﴾ وقرأ نافع والكسائي والبزي وأبو بكر يبصط بالصاد وهي لغة كأن الأصل فيها تفخيم السين لمجاورة الطاء أي يقبض الرزق عن بعض الناس فيجهلون طرقه التي هي سنن الله تعالى فيه أو يضعفون في سلوكها ويبسطه لمن يشاء بما يهديهم الى تلك السنن ويفتح لهم الأبواب ويسهل لهم الاسباب. ولوشاء أن يغني فقيرا ويفقر غنياً لفعل فان الامر كله له بيده القبض والبسط وهو واضع السنن والهادي اليها والموفق للسير عليها فليس حضه الأغنياء على مواساة الفقراء والإنفاق في المنافع العامة أو الخاصة من حاجة به أو عجز منه سبحانه، كلا بل هي هدايته الانسان الى طرق الشكر على النعم بما يحفظها ويفضي الى المزيد فيها حتى يبلغ كماله الاجتماعي الذي أعده له بحكمته. وقال بعض المفسرين يقبض بعض الايدي عن البذل، ويبسط بعضها بالفضل، قال الاستاذ الإمام وهو لا يتفق مع ما تقدمه من الآية ولا يظهر بعده ما تضمنه قوله تعالى ﴿ واليه ترجعون ﴾ من الوعد والوعيد أي لأنه لا بد أن يكون مرتباً على عمل لنا فيه كسب واختيار، لا على ما تصرفه الاقدار، وقد قال بعض العلماء ان هذا التعقيب يدل على أن البذل واجب يعاقب على تركه: أقول يريد عقاب الآخرة وأما عقاب الدنيا فهو أظهر لانه مشاهد لأرباب البصائر الباحثين في شؤون الامم اذ لا يبحثون في حال أمة عزيزة الا ويرون بذل أغنيائها المال، لنشر العلوم واتقان الأعمال، وتعاون أفرادها على مصلحتها،

ضعيفها. تتسع دائرة مصالحها ومنافعها، وتكثر مرافقها وتتوفر سعادتها، وتدوم على أفرادها النعمة مااستقاموا على البذل والتعاون في المصالح العامة ثم أنهم يكونون بذلك مستحقين لسعادة الآخرة ومضاعفة الثواب فيها

أقول ولوسرنا في الأرض وسبرنا أحوال الأمم الحاضرة. وعرفنا تاريخ الامم الغابرة، لرأينا كيف ماتت الامم التي قصرت في هذه الفريضة أواستعبدت ، وكيف عزت الأمم التي شمرت فيها وسعدت ، وهذه المضاعفة الدنيوية تكون لكل أمة أقامت هذه السنة الإلهية في حفظ كيانها واعزاز سلطانها سواء كان المنفقون فيها يبتغون الأجر عند الله تعالى أم لا. وانها لمضاعفة كثيرة لايمكن تحديدها فما أجهل الامم الغافلة عنها وعن حال أهلها اذيرون أهلها قد ورثوا الأرض وسادوا الشعوب فيتمنون لوكانوا مثلهم ولا يدرون كيف يكونون كذلك . ومن العجب أن يكون المسلمون اليوم أجهل الامم والشعوب بهذه السنة الالهية وهم يتلون كتاب الله آناء الليل وأطراف النهار ولا تتحرك قلوبهم ولا تنبسط أيديهم عند تلاوة آياته الحاثة على بذل المال في سبيل الله لاسيما هذه الآية التي لو أنزلت على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من هيبة الله تعالى والحياء منه . عمل بهذه الهداية قوم فسعدوا ، وتركها آخرون فشقوا ، فان كان قدفات الأولين قصد مرضاة الله باقامة سننه فحرموا ثواب الآخرة فقدخسر الآخرون بتركها السعادتين وذلك هو الخسران المبين . ومن التفسير المأثور في الآية مارواه ابن أبي حاتم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه القرض الحسن المجاهدة والانفاق في سبيل الله: وهو اجمال لما تقدم تفصيله ومن محاسن عبارات المفسرين هنا أن لفظ المضاعفة هنا للمبالغة بما في

باب المقالات

الحياة الملية* بالتربية الاجتماعية

﴿هذا ما وعدنا به في مقالة روابط الجنسية والحياة الملية في الجزء السابق﴾

ذهب كثيرون من نابتة الترك والمصريين مذاهب الخيال الذي انعكس الى أفكارهم مما شهدوا من ظواهر مدنية أوربا فحسبوا أن فلاح كل شعب وكل قطر معلول لعلة واحدة هي تقليد أوربا بنشر العلوم الرياضية والطبيعية ونظام الحكومة والأخذ بعادات أهلها ويستدلون على رأيهم هذا بما كان من ارتقاء اليابان في نحو ربع قرن بهذا التقليد ويحسبون هذا برهاناً قاطعاً لا سبيل الى المكابرة فيه الا ممن كان أعمى البصيرة جاهلاً بحال هذا العصر مغروراً بحال قومه في حاضرهم أوماضيهم وكأني بمن تعود منهم قراءة الكلام المعقول في المنار وقد أنكر فاتحة هذا القول وساء ظنه بمن سمى هذه القضية البديهية اليقين عنده تخيلا وحسباناً .

لا تعجلوا بالإنكار عليّ فلست بمنكر فائدة تلك العلوم ولا أقول ان أمة تعز وتقوى في هذا العصر مع الجهل بها وبطرق الاستفادة منها وارجعوا الى أنفسكم فانتم أعلم بها منكم بأوربا واليابان . انكم قد سبقتم اليابانيين الى هذا التقليد فالمصريون منكم قد مرّ على أخذهم بهذا التقليد قرن كامل والترك قد ناهزوا ثلاثة أرباع القرن ولم يدرك أحد من الفريقين غبار اليابانيين الذين لا يزيد سنهم في المدنية على ربع القرن الا قليلا . فدولة اليابان قد دوخت في بضع سنين أكبر دولة شرقية وأكبر دولة غربية وطفقت ترث الأرض وتستعمر البلاد ، وبلادكم تنقص من أطرافها ، ويفتات عليكم فيما بقيت لكم رسومه منها ، فأيّ أثر لتقليد أوربا تحمدون ، وأيّ فائدة له في أنفسكم تعرفون ،

هل يستطيع المصري أن يقول ان حكومتنا لم تتشكل بشكل الحكومات الأوربية فلم يتم لنا التقليد الذي هو علة النجاح ؟ أنّى وكل ما عرفته هذه البلاد من نظام أوربا ومدنيتها فهو من حكومتها لا من الأهالي ولا تزال الحكومة

هي أسباب عزتها ورفعتها ، ولا يبحثون في حال أمة ذليلة مقهورة الا ويرون أغنياءها مساكين. وأفرادها غير متعاونين ، فعلمنا بهذا أن قوله تعالى «والله يقبض ويبسط» الخ بيان لطريق المضاعفة ودليل عليه وتذكير بالله وبتدبيره لخلقه وبمصير الخلق اليه أي فهو يضاعف لهم في الدارين . وقد عهدنا في القرآن ختم آيات الاحكام بمثل هذا وعندي أن هذه الآية أبلغ آياته

قال الاستاذ الامام الرجوع الى الله تعالى رجوعان — رجوع في هذا العالم الى سنته الحكيمة ونظام خليقته الثابت ككون تحصيل الغنى يكون بكذا من عمل العامل وكذا من توفيق الله تعالى وتسخيره، وكون الفقر يكون بكذا وكذا من نحو ذلك . وككون البذل من فضل المال يأتي بكذا وكذا من المنافع الخاصة بالباذل والعامة لقومه الذين يعتز بعزتهم ويسعد بسعادتهم وكون ترك البذل يأتي بكذا وكذا من المفاسد والمضار العامة والخاصة . ولا يستقل الانسان بعمل من ذلك تمام الاستقلال بحيث يستغني به عن الرجوع الى الله تعالى بالحاجة الى معونته وتوفيقه وتسخير الأسباب له . أقول ولو فرض أن بعض أعماله يتم بكسبه وسعيه وجده لما كان الا راجعاً الى الله تعالى فيه لأنه ماعمل ولا وصل الا بالسير على سنته وانما يكون مستغنياً عن الله تعالى ان قدر أن يغير سننه ونظام خلقه وينفذ بعمله من محيط ملكه وسلطانه « ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا ، لا تنفذون الا بسلطان * فبأي آلاء ربكما تكذبان » قال وأما الرجوع الآخر فهو الرجوع في الدار الآخرة حيث تظهر نتائج الأعمال وآثارها « يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذ لله »

لا ريب أن معظم ما أخذناه عن أوربا كان سبباً في زيادة نفوذها فينا واستيلائها على كثير من بلادنا وامتصاصها لثروتنا وقد ضعفنا وما قوينا وبعدنا عن الاستقلال ولم نقرب منه فلماذا كان هذا منتهى حظنا منها وكان حظ اليابان ما نعلم من القوة والمنعة والعزة والثروة ؟ وكيف السبيل الى استخراج لبن هذه المدنية من بين فرثها ودمها أم كيف السبيل الى نجاح أمتنا فهذه الصين قد أنشأت تقتدي باليابان في اصلاح شأنها وتنظيم حكومتها وهذه روسيا قد وضعت الثورة حكومتها في البوتقة لتذيبها وتنقيها من أوضارها واذا صلحت حال هاتين الحكومتين فان فساد الأرض ينحصر فينا وحدنا، واذا جعلنا الكلام في الشعوب والملل، لا في الحكومات والدول، فاننا لا نجهل أننا قد دفعنا من صدرها الى عجزها، وصرنا الى ساقتها بعد أن كنا في مقدمتها، فماذا يجب علينا من العمل، قبل أن ينقطع منا الأمل ،؟

أقول في الجواب يجب أن نكون أمة واحدة تربطنا رابطة واحدة تصل بعضنا ببعض حتى يشعر كل صنف وقبيل منا بل كل فرد بأنه عضو من جسم كبير له حياة واحدة عامة منبثة في جميع الأعضاء ما دامت الأعضاء متصلة فاذا ما انفصل عضو منها فارقته الحياة اذ لا حياة له في نفسه. واننا لا نشعر الآن بهذه الحياة وانما يشعر كل واحد منا بنفسه وحدها فهو يعمل لها وحدها فالمهندس والطبيب والفقيه والقانوني والمدرس وسائر أهل المعارف هم كالحداد والنجار والزارع والصانع والأجير والخفير وغيرهم من أهل الحرف والصنائع كل واحد منهم يتعلم ليتوسل الى رزقه وما يمتع به نفسه وأهله لا يلاحظ مصلحة عامة ولا رابطة جامعة فوجوده لا ينبسط الى أكثر مما ينبسط له وجود بعض الذباب والحشرات على ما شرحناه في مقالة روابط الجنسية فالعلوم الرياضية والطبيعية والشرعية وغيرها لا حظ فيها عندنا لما يسمونه الهيأة الاجتماعية وهي الأمة في مجموعها لا لأجزائها فلو صار كل فرد منا عالماً بفن من الفنون التي ارتقت بها أوربا ونحن على هذه الحال، لما كان ذلك كافياً لجعلنا أمة عزيزة كاملة الاستقلال، قصارى هذا العلم أن ينقل هؤلاء الأفراد من مرتبة الخزف والودع الى مرتبة الخرز زجاجاً كان أو جوهراً مع بقاء كل خرزة منفردة عن الأخرى اذ لا سلك

أرقى من الرعية تسوقها في كل طريق وتقودها بكل زمام . منح الشعب المصري حرية القول والعمل والاجتماع منذ ربع قرن ولم توجد له جريدة ذات مذهب ملي نافع ورأي اجتماعي ثابت ولا مدرسة كلية بل ولا جزئية يعتمد بتعليمها وتربيتها تنظر البلاد الى المتخرجين فيها نظر الرجاء بما ترى من امتيازهم على المتخرجين فى مدارس الحكومة فمدارس الحكومة وهي في أيدي الأجانب ترجح على جميع المدارس الأهلية رجحانًا مبينًا ، ولم تؤسس فيها شركات كبيرة للزراعة أو للتجارة أو للصناعة نجحت في عملها ، فكانت موضعًا للثقة بها ، ولم يوجد فيها للمسلمين وهم السواد الأعظم غير جمعية خيرية واحدة لاتزال فقيرة بالنسبة الى الجمعيات الخيرية في أوربا واليابان على ماقاسى مؤسسوها من العناء والبلاء في سبيلها ولا يزال مجلس ادارتها يمحو من دفاترها في كل سنة أسماء كثير من الاغنياء الذين يشتركون فيها وتمر عليهم السنون ولا يؤدون اليها مافرضوه على أنفسهم لإعانة فقرائهم وأكثرهم من المتعلمين علوم أوربا في بلادهم أو في أوربا نفسها .

وأما الترك فقد ملأ طلاب المدنية منهم الآفاق أنينا وشكوى من حكومتهم وطعنًا فى سلطانهم وانني على اعترافي لهم بأنهم فى مجموعهم أرقى من المصريين علماً وأخلاقًا وأقوى عزيمة واستقلالا أقول ما قاله كبير من كبرائهم : إننا بطعننا في السلطان وصراخنا بالشكوى من حكومة «المابين» نعترف للعالم علنًا بأننا لسنا أمة اذلو كنا أمة لما قدر رجل واحد على أن يفعل فينا مايشاء ويحكم مايريد ولما عجزنا عن وضع بناء حكومتنا على أساس الشورى الشرعية التي فرضها ديننا ورأينا نجاح الأمم بها، فهؤلاء الخائضون منافى السلطان انما يبصقون على ذقونهم : يريد هذا التركي الكبير ان الشعب لم يرتق الى المستوى الذي يقدر فيه على تغيير شكل الحكومة فهو اذًا لم يستفد من تقاليد أوربا ما اعتزت به أمته وارتقت به دولته بل كان كل خذلان أصيبت به الدولة أثرا من آثار خيانة هؤلاء المقلدين أوربا المعبر عنهم بالمتفرنجين فهم الذين اقترفوا جريمة الخيانة في حربها الأخيرة مع روسيا وهم هم الذين أفسدوا البلاد بظلمهم وبيعهم الدماء أو الحقوق بالرشوة لأجل ارضاء شهواتهم التي استفادوا التفنن بها من مدنية أوربا .

يجهلهم ، كأن صائحاً أهاب به . قف لا تخاطب من لا يسمع ، ولا تطالب من لا يعمل ، . فوقف هنيهة ثم أنشأ يجوب البلاد و يتصفح الوجوه فرأى أن أكثر الذين يعقلون ما يقال ، ويقدرون على الأعمال أحلاس بيوت ، وأحلاف خمول ، ومن قد ظهر بما نصح للأمة ، قد استفاد بنصحه الظنة ، فلا يثق به الجمهور ، ولا يكلون اليه تدبير الأمور ، ثم عاد الى قبر الاستاذ الامام ، فبكاه بالدموع السجام ، وتذكر أن الامة ما فقدت رأيه ونصيحته ، وانما فقدت زعامته وامامته ، فانها لم تكد تشعر بأنه رب السلك ، ور بان الفلك ، فتستعد لقبول ما يأتيه من النظام ، إلا وقد اختطفه منها الحمام ،

فان لم يأتنا ندب بسلك فلا عمل هناك ولا نظام
وان لم يأتنا نوح بفلك على الاسلام والشرق السلام

هذا ما كان من الفكر في سكوته عن الاملاء قد أملاه ، ثم عاد الى ما كان وعد القلم به فوفاه ،

يجب على العامل في مصر والهند ما لا يجب على العامل في الأستانة والشام ، ويطلب من المصلح فى تونس والجزائر ، ما لا يطلب من المصلح في فارس أو قزان ، ولا أذكر مراكش اذ ليس فيها — على ما أظن — رجال ، ولا الصين لأن المسلمين فيها لا يهمهم غير جمع المال ، وجملة القول ان الشعوب الاسلامية متمزقة ، فى بلاد متفرقة ، وليس لشعب منها من الحرية فى العلم والعمل للدنيا والدين مثل ما لمسلمي مصر والهند وهم في مقدمة المسلمين ذكاء وفطنة ولولا ما يعوزهم من العزيمة والثبات والاستقلال الشخصي الذي تفضلهم به الشعوب العثمانية لكانوا هم الرجاء لسائر المسلمين ، ولا أعتد دعوة أحداث الوطنية في مصر مانعاً لانتفاع المسلمين بالمصريين فان دعوتهم لا تزال ضعيفة لا يخشى أن تفصل هذا العضو من جسم الملة .

انما يكون العاملون لخير الاسلام في مصر والهند بمأمن من غائلة السياسة اذا هم اتقوا الاصطدام بالسياسة والافتتان بها فيجب أن يكون عملهم للاسلام نفسه لا لهوى أمير أو مليك ، ولا اتكالا على دولة أو حكومة ، ولا لأجل مقاومة السلطة ، أو معاندة

هناك تنتظم فيه ولا ناظم يؤلف بينها في السلك فيجعلها عقدا . وأعني بالسلك هنا رابطة الجنسية و بناظم العقد المربي الاجتماعي لا المربي الصناعي . حدثني محمد توفيق البكري قال سمعت السيد جمال الدين في الاستانة يقول: ان المسلمين لا ينتفعون بشيء من هذه العلوم التي يتعلمونها لأن السلك عندهم منقطع ولا فائدة بدونه: أوما هذا معناه قال لي البكري وقد فاتني أن أسأله عن مراده بهذا السلك فما رأيك فيه

مثل المعلم الفني والمربي الصناعي كمثل من ينظف قطع المعدن أو الجوهر ليُنتفع بها في الجملة ولا يبالي أ كانت حبة في عقد أو فصاً لخاتم أو كمثل من ينحت الحجارة النحت الأول لتباع لمريدها فهو لا يبني ولا يعنيه أمر الباني أ كان يريد مسجد صلاة أم هيكل أوثان . وأما المربي الملي والمعلم الاجتماعي فهو الذي يقيم بناء الأمة أو ينظم عقدها فيجب أن يكون هو الرئيس على معلمي الفنون والعلوم المدير لمدارسهم لأنهم هم الذين يمهدون له العمل و يهيئون له الحجارة التي يقيم بها البناء فإذا خلت مدارس الأمة من هؤلاء المربين والمعلمين فبشرها بأنها تهيء أفرادها للدخول في بناء غير بنائها وهكذا نرى الذين تعلموا العلوم والفنون مناهم الذين مكنوا الأجانب منا بنصحهم لهم في خدمتهم، وان لم يصلوا فى التشرف بهم الى أن يجعلوا من بنيتهم، وهكذا تتبدل أحوال الامم وتتغير أشكالها كما صارت كنائس القسطنطينية مساجد ومساجد قرطبة كنائس

ألا ان حياتنا الملية التي هي سلك اجتماعنا و ينبوع سعادتنا لا تنفخ روحها فينا الا بالتربية الدينية الدنيوية فيجب أن يكون جل اهتمام طلاب الاصلاح منا في الدعوة الى هذه التربية والسعي لها وازالة العقبتين اللتين ذكرناهما فى مقالة الجزء الماضي من طريقها أعني عاقبة السياسة وعقبة الجهل وكيف يكون ذلك ؛

كتبت ما تقدم فلم يقف القلم دقيقة ولا لحظة انتظارا لما يمليه الفكر حتى اذا انتهى الى هذه النقطة وقف ساعة من الزمان ، وكان هذا شأنه في المقالة الاولى جرى فلم يقف الا عند نقطة بيان العمل الواجب علينا فكانت وقفته خاتمة المقالة . وقف القلم لوقوف الفكر ، ووقف الفكر لأن تصور العاملين حال بينه وبين تصوير العمل ، انتقل من إملاء الواجبات التي يعلمها الى البحث عن العاملين الذين

عملنا لاحياء ملتنا وترقية أمتنا بالعلوم النافعة والأعمال المالية المشتركة والجمعيات العلمية الخيرية مع مسالمة القوة بالصدق لا بالرياء والمخادعة وما مسالمة القوة الا ترك العبث بمقاومتها لاجل قوة خارجية سواها . أما مطالبتها بترك كذا مما يضر البلاد أو فعل كذا مما يفيدها فلا ينافي المسالمة ولا يقتضي المقاومة واذا صار في البلاد أمة تطالب بذلك على بصيرة وحق فان طلبها لا يكاد يرد اذا كان معقولا فان العاقل لا يظلم مع العاقل لا سيما اذا كان أمة (الكلمة للسيد جمال الدين رحمه الله) ولن تكون هذه الأمة أمة الا بالحياة الملية التي ندعو اليها

تلك الحقيقة وقد يتوهم ضعفاء العقول أن فيها مصانعة للمحتلين وما أنا بمحتاج الى مصانعتهم لدنيا أريدها منهم وهم أغنى بقوتهم وبراعتهم فى استعمار البلاد وتدبير أمور الأمم عني . ولو كنت أصانع لكنت أحوج الى مصانعة العوام بمجاراتهم على أهوائهم لتزداد مجلتي رواجاً فيهم أو بعض الكبراء الذين يبذلون الأموال لمن يواتيهم على ما يريدون وما كان هذا مني ولا ذاك ولن يكون ان شاء الله تعالى . ان أريد الا اقناع طائفتين من الناس بما لو اقتنعوا به رجي أن تستفيد الامة من عملهم . الطائفة الاولى جماعة من أهل المعرفة بما ينفع الامة يصدهم عن العمل لها اعتقاد أن الانكليز واقفون بالمرصاد لكل عامل لملته لأنهم أعداؤها ولا قدرة لنا عليهم فعلينا السكون والسكوت وهؤلاء هم الواهمون . والطائفة الثانية مؤلفة من أفراد كثيرين لا يعرفون النافع للامة والمحيي للملة وانما يظنون أن الواجب على كل وطني أو مسلم أن يعتقد أن كل ما يعمله المحتلون البلاد ضارٌّ فان كان نافعاً في الظاهر فهو ضار فى الباطن وأن يقاوم القوم بالقول فيذمهم ويقبح أعمالهم ويظهر الميل الى دولة أوربية أخرى نكاية فيهم ، وهؤلاء هم المخدوعون. فأولئك لجبنهم لا يعملون بعلمهم النافع وهؤلاء لحمقهم يقولون ما لا يفعلون، والغارّون لهم يخادعونهم بما لا يعتقدون

أريد العمل لما يحيي الملة وينهض بالأمة ولا حرية لنا في غير مصر والهند فأحب أن يقدرها العارفون بالخير والشر قدرها ويستفيدوا منها لينشط أهل الهند ولكيلا يطول على المصر يين أمد الوهم وسوء الظن بالانكليز كما طال على مسلمي الهند فحرموا

القوة ، ولولا افتتان المصريين بالسياسة وتعلق نفوسهم بمناهضة انكلترا اتكالا على فرنسا لنجحوا في ظل حرية الاحتلال الانكليزي نهضة كانوا بها أئمة المسلمين ولكنهم لم يكادوا يشفوا من داء الغرور بفرنسا حتى قام من خطباء الفتنة من يغرهم بألمانيا ويغريهم بمناصبة القوة المحتلة الحقيقية اتكالا على قوة ألمانيا الوهمية.

يخدع بعض المصريين أنفسهم ويخادعون قومهم اذ يقولون ان الحياة الوطنية انما تكون بكثرة الكلام في ذم كل عمل للمحتلين واظهار الميل عنهم الى غيرهم ، ويتوهم الأكثرون منهم ويوهمون قومهم بأن من يعمل لخير ملته وأمته في مصر فهو على خطر ايقاع الانكليز به لان الحرية التي عندهم لا تعدو اباحة القول وعمل المنكر ، وان كلاً لمخطيء فيما يقول ويزعم فان القول لا يزلزل القوم ولذلك أباحوه فاذا آنسوا ان وراءه عملا فلا يعجزهم إحباطه وهم هم الذين يلعبون بالأمم والدول كما يشاءون . وأما من يعمل في سلطتهم لخير نفسه بالاهتداء بدينه والارتقاء في دنياه فانهم لا يصدونه عن السبيل، ولا يقيمون في وجهه العراقيل، وقد ارتقى وثنيو الهند في ظل حريتهم ارتقاء مبينا والمسلمون نائمون فلم يقعدوا القائم، ولا أيقظوا النائم، ولما انتبه المسلمون من نومهم ،ودعاهم الداعي الى العمل لقومهم ،قال لهم الانكليز إن تعملوا لأنفسكم فانا مسعدون، وإن تهملوا شؤونكم فما نحن لكم إلا مهملون،

الانكليز قوم يحبون الكسب بهدوء وسلام فهم لا يحركون أضغان الناس عليهم ولا يقصرون في تسكين ما تحرك من نفسه أو حركه خصم آخر ينــاظرهم ، لا يعاندون الطبيعة ولا يساعدونها على أنفسهم ، فمن استعدت طبيعته لعلم أو عمل مع مسالمتهم اقتنعوا بأن يستفيدوا منه بحسب حاله فهم يرضون من العالم ما لا يرضونه من الجاهل، ويعاملون الشعب المستقل المتحد، بغير ما يعاملون به الشعب المستذل المستعبد، فما أجبن من يقول انهم لا يمكنوننا من العمل، وما أجهل من يقول لماذا لا يعملون لنا ما لا نعمل لانفسنا انهم اذاً أعداؤنا . نعم انهم أعداؤك العقلاء وأنت بجهلك أعدى أعداء نفسك

اذا ما أهان امرؤ نفسه   فلا أكرم الله من يكرمه

هذه ما نقتحم به عقبة السياسة في مصر والهند أعيده مختصرا وهو أن يكون

الاسلامية المفقودة من الأرض (٨) جعل مدار التعليم والتربية على استقلال الفكر واستقلال الارادة والاستقلال فى العمل الذي يعبرون عنه بالاعتماد على النفس ، وعلى حب الأمة وشرف الملة . والكافل لهذه الاركان الثمانية هم المعلمون المربون الذين بينا وظيفتهم . وهنا تعترضنا عقبة الجهل جهل رجال الدين — والعامة من ورائهم — بهذه الطريقة للتعليم الديني وبفائدة العلوم الدنيوية وجهل علماء الدنيا بهذه الطريقة لتعليم علومهم . على أن أمر هؤلاء أهون ، وارشادهم الى المطلوب منهم أيسر ، واذا بعدنا عن علماء الرسوم الدينية ومعاهدهم كالأزهر وما ألحق به في هذه الديار فاننا نأمن معارضتهم ومناصبتهم لنا في تعليمنا على أن صوتهم في مصر قد خفت ونفوذهم قد ضعف ، ولا نعدم من يعلم الدين على الوجه النافع الذي أشرنا اليه حتى ممن كان تعلم فى هذه المعاهد وصادف علوماً وهداية أخرى بشرط أن يوجد المدير العام رب السلك وناظم العقد

لا يكون هذا الا في المدارس الكلية فلا حياة بدونها ولو بقي الاستاذ الامام حياً لأسست في مصر مدرسة كلية وشرع فيها قبل مضي هذا العام فقد كان أعد لها عدتها وعزم على جمع المال لها فى هذا الشتاء ، جزاه الله عن نيته وعمله أفضل الجزاء ، وقد كان مضطلعاً بهذا الامر ولعله يوجد في مصر من يستخدم الاستعداد الذي تم لها كما كان يريد رحمه الله . أما إنشاء الجمعيات والشركات فان البلاد المصرية والهندية شرعت فيه ويرجى لها النجاح بالتدريج ان شاء الله تعالى

هذا ما نذكر به أهل العقل والغيرة من مسلمي مصر والهند وقزان وغيرهم من مسلمي الفرس على نومتهم ، ومسلمي العثمانيين والتونسيين على ضيق عطنهم ، وحيف زمنهم ، وضعف مُنَنهم ، على أن استعدادهم الفطري للعمل ربما كان أقوى ، واستقلالهم في الارادة والفكر أقوى ، ولكن اقتحام العقبتين أشق عليهم وأعسر ، فهم أحق بالاجتهاد وأجدر ، ويتوقف ذلك على أعمال تعرف مما تنفثه الاخطار في الصدور ، لا مما تبثه الافكار في السطور ، وكل ميسر لما خلق له ، « ألا الى الله تصير الأمور »

الاستفادة من حريتهم حقبة من الزمن ولم يشعروا بخطأهم الا بعد أن رأوا الوثنيين قد علوهم بالعلم والعمل والثروة والحكم. فحسب المصريين ربع تلك المدة وليعلموا أن اقتحام العقبة سهل كما ذكرنا ومن بين لنا خطأنا فاناله شاكرون، ولرأيه ناشرون، نعم ان حكومة فارس (ايران) لا تعادي العلم، ولا تمنع الاجتماع، ولكن الشعب نائم، يحلم بظهور المهدي القائم، وهي عاجزة عن النهوض بنفسها، وما أحوجها الى يقظة شعبها، قبل أن يفرغ لها الجاران، فتغتالها الغيلان،

بينا معنى الحياة الملية وأن رابطة الملة في الاسلام هي أقوى الروابط وأعمها نفعاً للبشر وأن العاقل اذا فقه سرها لا يرغب عنها ولا يفضل عليها غيرها ولو لم يكن من أهلها وأنها الآن منحلة وأنها على انحلالها موضع للأمل وانه يجب على المسلمين توثيقها وتوكيدها وأن أحرى الناس بالعمل والسعي لها مسلمو الهند ومصر — ويليهم مسلمو التتر في روسيا واستعدادهم قوي وستظهره الحرية المنتظرة بعد الثورة— وان ما يمنعهم من العمل ليس الا وهما يقويه الجبن أوجهالة يمدها الخداع والغرور. هذا وسنشير الى اقتحام عقبة الجهل فيما يأتي

أما العمل الواجب فلا يشرح بالتفصيل الا للعاملين ويجب أن يكون دائراً على أقطاب هذه المسائل الكلية (١) كون تعليم الدين مؤيداً للعقائد دافعاً للشبهات الرائجة في هذا العصر (٢) كون تعليم التاريخ وعلم الاجتماع والاخلاق والآداب موثقاً للرابطة الملية بين شعوب المسلمين وعناصرهم المختلفة (٣) تعليم العبادات مع بيان حكمها وفوائدها في تزكية النفس وتعليم أحكام المعاملات مع بيان انطباقها على مصالح البشر ومنافعهم في هذا الزمان ومن ذلك بيان أن كل محرم ضار وكل حلال نافع (٤) تعلم العلوم الرياضية والطبيعية بقصد ترقية النفوس بمعرفة سنن الله وحكمه في الخلق وترقية مجموع الأمة بالأعمال التي تزيد في ثروتها وعزتها (٥) احياء اللغة العربية بإلزام المتعلمين التحاور بها استبدالا لها باللغة العامية وبتعليمهم البلاغة في القول والكتابة ليكونوا كتاباً بارعين، وخطباء مؤثرين، (٦) تعليم الصنائع التي يمكن العمل بها في البلاد وفنون التجارة بقصد انماء ثروة الامة بغنى أفرادها (٧) الجمع بين التعليم على النهج الذي شرحناه وبين التربية العملية في المدارس

في التفسير وفي الازهر يقرءون البيضاوي والكشاف وتفسير الجلالين أصغر كتب التفسير وأقلها فائدة والبيضاوي والكشاف أعلاها ولا يخفى أن روح الدين كله في القرآن فمن لم يرتق فيه فلا رقيّ له . وليس في الاسكندرية شيء من علم الاصول ولا المعاني ولا البيان وفهم الفقه والتفسير والحديث لا يتم لمن لا حظ له من هذه العلوم . والعذر في عدم قراءة هذه العلوم انه ليس في الاسكندرية من الطلاب الا خمس فرق ابتدائية أو خمس سنين على اصطلاحهم وليس من غرضنا هنا الانتقاد على اختيار ما اختارت المشيخة لهذه السنين من الدروس وانما الغرض بيان أن العلوم في مصر وطنطا أرقى منها في الاسكندرية فطالب الرقيّ في هذه العلوم لا يختار الادنى وهو الاسكندرية على الاعلى كالازهر .

فالتنبيه على هذه الدقائق مما لا بد منه للباحث في الامور العامة وسنن الاجتماع لأن أكثر الناس قد اعتادوا ترك التدقيق في أمثال هذه الاقوال، وأمثال هذه الطرق من الاستدلال، التي جرى عليها بعض أصحاب الجرائد في هذه البلاد، واعتاد السكوت عن التمحيص أهل الفهم والتدقيق من الكتاب، حتى صارت دهماء الامة تعتقد في الامور العامة غير الصواب، فالمعقول في مسألة إقبال الناس على التعلم في الاسكندرية هو ما ذكرنا من أن أهل البحيرة والغربية يرجحونها لقربها وما جاء من غير هاتين المديريتين لا يعتد به ولا ينهض دليلا على ما يرمي اليه التقرير من شعور الامة بأن العلوم الدينية في الاسكندرية أرقى فطالب الرقي يفضلها ويختارها .
ويوضح ما يريد صاحب التقرير من تفضيل مشيخته على مشيخة الازهر في التعليم ما ذكره في الفصل الآتي قال

﴿ طرق التعليم ﴾

« كان الازهريون ولا يزالون يعتمدون في تعليمهم لطلاب العلم الشريف العناية بتنمية القوة العاقلة واعدادها للبحث واستنتاج النتائج من المقدمات ولذلك كانت عنايتهم بالجدل وطرق الاقناع أكثر من عنايتهم بالتماس النتائج الحقة (كذا) من مقدماتها الصحيحة . وقد كنا نرجو الخير لطلاب العلوم من هذه الطريقه لولا أن بعض المتأخرين استعملوها بافراط حتى مع صغار الطلبة والمبتدئين

باب التربية والتعليم

﴿ تقرير مشيخة علماء الاسكندرية ﴾

الاحصاء العام

كتبنا في الجزء التاسع عشر رأينا في مقدمة هذا التقرير ونكتب الآن شيئاً عن فصوله ومسائله المقصودة منه بنفسها وأولها فصل الاحصاء العام وفيه ان الاقبال على طلب العلم في الاسكندرية كان في هذا العام عظيماً حتى بلغ عدد الطلاب في هذا العام ٧٢١ طالباً وكانوا في نهاية السنة الماضية (وهي الاولى للمشيخة) ٣٤١ فالزيادة ٣٨٠ ولكن لم يثبت من هؤلاء وهؤلاء الا ٤٤٠ وهو العدد الموجود والمسجل الآن . وقد قال الاستاذ واضع التقرير «ان جميع مديريات القطر المصري قد اشتركت في طلب العلم الشريف بهذه المدينة» وجعل ذلك دليلا على الشعور العام والميل الخاص الى الترقي في طلب العلوم الدينية وأحال في بيان هذا على الجداول التي وضعها لاحصاء الطلاب فراجعناها فلم نر فيها ذكرا لمديرية القليوبية ولا لمديرية الجيزة ولا لمديرية بني سويف . ورأينا أكثر من جاء الاسكندرية من مديرية البحيرة وسببه ظاهر وهو قربها منها و بعدها عن مصر ثم من الغربية ولعله لهذه العلة وأما الشرقية والفيوم فلكل منهما طالب واحد في الاسكندرية ولمديرية جرجا اثنان ولكل من قنا وأسيوط والمنيا ثلاثة وللمنوفية أربعة وللدقهلية خمسة ولأسوان ستة ولا يعرف السبب فى وجود هؤلاء في الاسكندرية .

وما ذكر في التقرير من كون هذا أثر الشعور العام والميل الخاص الى الرقي في العلوم الدينية فهو غير ظاهر لأن هذا العدد قليل وأسباب الاختيار مجهولة ولأن التعليم في الاسكندرية هو دون التعليم في مصر وطنطا من وجهين أحدهما أن المدرسين في المصريين أرقى في العلوم الدينية ووسائلها من المدرسين في الاسكندرية وثانيهما ان الدروس نفسها أرقى والعلوم أكثر . في الاسكندرية يقرءون الجلالين

الاختلاف الى الدروس بلا فائدة يستفيدها ولا علم يحصله ولا يقتصر ضرره على نفسه ولكنه يتعدى الى العلماء المتصدرين للتدريس فيكون حجة للذين يسبون التدريس في الأزهر الشريف وملحقاته وبرهاناً تنقطع دونه ألسنة الذين يدافعون عن التعليم في دور العلم الاسلامية »

ثم ذكر أن مشيخة الاسكندرية تداركت هذا الفساد في طرق التعليم بشيئين (١) تكليف بعض العلماء مراقبة الطلبة في شؤونهم الدراسية وتعويدهم على الأخلاق المرضية (كذا) (٢) تقرير الامتحان السنوي على كل طالب حتى لا ينتقل من علوم سنته الى أرقى منها الا اذا أظهر الامتحان استعداده لعلوم تلك السنة. قال «أما العيب الذي أشار اليه ابن خلدون فقد تلافته المشيخة بشيئين أيضاً. الأول تنبيه حضرات العلماء والمدرسين الى ملاحظة قوى الطلبة والاقتصار على تفهيمهم مسائل الكتب المكلفين بتدريسها (كذا) بدون تعرض لكلام الحواشي والشروح الطوال خصوصاً مع المبتدئين في الطلب » والثاني عناية المشيخة بانتخاب الكتب التي تناسب كل سنة من سني الدراسة

ان الذي يمكن أن يلخص به كلامه في عيوب التعليم في الأزهر وما على شاكلته من المدارس الدينية على ما فيه من الاضطراب والايهام هو أن العيوب ثلاثة (١) أن بعض المتأخرين قد استعملوا طريقة الأزهر القديمة في التعليم التي كان يرجى خيرها بافراط حتى مع الصغار والمبتدئين فصار الطالب يقضي السنين بين التشكيكات والمناقشات فقلما يحسن العلم بمسائل الفنون التي يتلقاها (٢) الولع بالشغب والمحدثات الذي كاد يطفئ مصباح الاسلام وهو ما كان عليه أهل الأزهر من الابتداء بحفظ المتون والتدرج في ادراك مسائلها. وقال ان هذا ما كان عليه سلف الأمة الصالح واستدل على ذلك بعبارة ابن خلدون (٣) اطلاق السراح للطلاب يتدرجون كما يشتهون ويحضرون من الكتب ما يختارون بدون مراقبة. وذكر من ضرر هذا العيب أن الطالب يقضي العشرات من السنين في معاهد العلم بلا فائدة وأن ذلك برهان للذين يسبون التدريس في الازهر وملحقاته لا يرد وحجة لا تدحض. ثم ذكر ان مشيخة الاسكندرية قد تداركت هذه العيوب أي فبرئت

في العلوم فيقضي الطالب الاعوام العديدة من بداية طلبه بين تشكيكات ومناقشات واعتراضات وأجوبة قلما يحسن معها العلم بمسائل الفنون التي يتلقاها

«ولقد أدركنا الطرف الأخير من ذلك الزمن الذي كانت عناية أكابر العلماء فيه الازهريين وغيرهم متجهة في بداية الطلب الى تكليف الطلاب بحفظ متون العلوم (كذا) وهي مسائلها التي تسرد سردا ثم التدرج معهم في ادراك تلك المسائل تدرجاً يناسب مداركهم وقواهم العقلية حتى يبلغوا الحد الذي يقتدرون فيه على الاشتغال بإقامة الادلة والبراهين على الذين كانوا يعلمون (كذا) . ولكن الولع بالشغب والمحدثات قد كاد يطفئ هذا المصباح الذي استضاء به العالم الاسلامي دهرا طويلا . وهذا التدرج في التعليم كان طريقة للمتقدمين يحسن بالمتأخرين أن يسلكوها اتباعاً لسلفهم الصالح »

ثم نقل من مقدمة ابن خلدون نبذة في التعليم ملخصها ان التعليم انما يكون مفيدا اذا كان على التدريج مراعى فيه استعداد الطالب بأن يقرأ له الفن ثلاثاً يلقي عليه في الاولى أصول المسائل وتشرح بالاجمال ويخرج بالثانية الى التفصيل وذكر الخلاف ووجوهه ويستقصى فى الثالثة كل عويص ويوضح كل مقفل . ثم ذكر ابن خلدون أنه شاهد كثيرا من المعلمين يجهلون طرق التعليم فيلقون على المتعلم في أول تعليمه المسائل المقفلة ويطالبونه بحلها ويخلطون عليه غايات العلوم في مبادئها ويكلفونه وعيها وهو لم يستعد لها فيكل ذهنه ويكسل ويهجر العلم ظنّاً منه انه صعب في نفسه وانما هو سوء التعليم . ثم ذكر صاحب التقرير مفسدا آخر من مفسدات التعليم في مثل الازهر فقال

« واذا أضممنا الى هذا الذي قاله المحقق ابن خلدون مفسدا آخر لطرق التعليم وهو اطلاق السراح للطلاب وتركهم يحضرون ما يشاءون ويتركون ما يشاؤن ويتدرجون في تلقي العلوم كما يشتهون بدون مراقبة على المواظبة في الطلب ولا ملاحظة لاستعداد الطالب فيما يريد تلقيه ، كانت المصيبة أعظم والفساد أعم وأشمل ، فلم يكن من العجب أن يقضي الطالب العشرات من السنين فى دور العلم ومعاهد التعليم ثم لا يكون حظه من تلك السنين الطوال الا إضاعة العمر في

أفرطوا في استعمال تلك الطريقة ولا ينافي ذلك قطعاً ماذكره من أنهم ينتهون الى الاقتدار على الاشتغال باقامة الادلة والبراهين على الذين كانوا يعلمونهم لأنه انما جعل غايتهم الاستعداد لاقامة الادلة والبراهين على معلميهم لا الاقتدار على اقامة البراهين بالفعل على المطالب الصحيحة فلا يقال ان قوله هذا مناقض لقوله السابق لان العناية بالجدل لاجل الاقناع والالزام لاتفضي الى القدرة على تأليف البرهان لافادة العلم. وتشبيهه هذه الطريقة بالمصباح وقوله ان العالم الاسلامي استضاء بها دهراً طويلا كرجائه الانتفاع بها في النبذة الاولى

وأما قوله «ولكن الولع بالشغب والمحدثات قد كاد يطفىء هذا المصباح» فهو على ابهامه وايهامه لا يمكن أن يحمل الا على افراط أولئك المتأخرين في استعمال طريقة الازهر وهم بعضهم لأنه لم يذكر لغيرهم اساءة أخرى في اتباع الطريقة التي حمدها وقال ان الأزهريين كانوا ولا يزالون عليها. ولكن كلمة الشغب غريبة جداً في هذا المقام لأن معناها تهييج الشر فما هو الشر الذي هيج على العلماء من الأزهريين وغيرهم حتى كاد يطفئ ذلك المصباح — مصباح العناية بالجدل وتكليف الطلاب حفظ المتون والتدرج معهم في فهمها ؟؟ ألا ان هذه الكلمة في هذا المقام من أوابد الغرائب التي لا تأنس فيه ولعلها اقتبست من بعض الكلام البليغ لافادة معنى آخر فسقطت في هذا المكان، فلم تقبلها فيه الأذهان، على أن بعض ماعورض به الاصلاح قد كاد يكون شغباً أو كان والسياق هنا يأبى ارادته

وجملة القول إن الاستاذ صاحب التقرير بين طريقة الأزهر بما لاتحمد به ولكنه حمدها وغاية ما انتقده أن بعض المتأخرين بالغ فيها مع بعض الصغار من الطلاب وضرر هذا قليل تسهل ازالته مادام أكابر العلماء على خلافه وأن الولع بالشغب والمحدثات كاد يطفئ المصباح ولكنه لم يطفئه فبقي وهاجاً. وياليته بين لنا أزال هذا الشغب فصرنا آمنين على المصباح أم الولع به ما زال يلح بأهله فالمصباح على خطر ؟ ولقد أيد مدح هذه الطريقة الأزهرية بقوله انها كانت طريقة المتقدمين من السلف الصالح واستدل بكلام ابن خلدون. ماقاله ابن خلدون ليس حكاية عن السلف وانما هو رأي له يرد به على من شاهد من المعلمين الكثيرين الذين

من استحقاق السب و بقيت هذه العيوب فى الأزهر وسائر ملحقاته في التعليم ·
واننا نبحث في هذه المسائل شاكرين لله تعالى أن وفق عالمًا من علمائنا الرسميين
للكتابة في طرق التعليم وعرض آرائه على الباحثين والمنتقدين ولا غرو أن نثني ·
بالشكر للشيخ شاكر

أبدأ ببيان ما أشرت اليه من الاضطراب والابهام بل والايهام في العبارة
فأقول ان عبارة التقرير في هذا الموضوع عبارة من قضت عليه الحال بأن يداري
و يواري فيوهم بعض القارئين بما يبهم على الآخرين، و يرضي المختلفين في الرأي:
بالذم في معرض المدح والمدح في معرض الذم و يأتي بقياس مؤلف من مقدمات؟
تؤخذ بالتسليم وان كانت نظريات، وتكون النتيجة ان التعليم فى الأزهر له كذا
وكذا من العيوب والمفاسد، وان التعليم في الاسكندرية له كذا وكذا من المحاسن
والفوائد ، ولكن العبارة لم تواته على ما يكيد، (أي يحاول) فلم تأت الا ببعض ما يريد،
هذا ما تومئ اليه العبارة من غرض الكاتب وما كان مستوليًا عليه من الفكر ومتأثرًا
به من الشعور عند الكتابة ذكرناها على الطريقة الغربية في النقد وهي عندنا أفضل
ما يعتذر به عن الكاتب عند من يرى الاضطراب في القول فيحمله على
مركب آخر ·

ماذا يفهم القارئ من قوله ان طريقة الازهريين التي درجوا عليها كانت
تقضي بالعناية بالجدل وطرق الاقناع أكثر من العناية بطلب النتائج الحقيقية
من مقدماتها الصحيحة وقوله انه كان يرجو الخير لطلاب العلوم من هذه الطريقة
لولا ان أفرط فيها بعض المتأخرين فسلك فيها مع الصغار العاجزين عن الاستفادة
بها . هذه الطريقة شر طريقة جرى عليها الناس لا يصل سالكها الا الى افساد العلم
والدين كما بين ذلك حجة الاسلام الغزالي في كتاب العلم من الاحياء

ماذا يفهم القارئ من قوله بعد ذلك انه أدرك الطرف الاخير من ذلك الزمن
الذي كانت عناية أكابر العلماء فيه متجهة الى تكليف الطلاب حفظ المتون
والتدرج معهم في فهمها؟ أهذه هي الطريقة الاولى أم غيرها؟ ظاهر السياق أن هذا
يضاح لما قبله وهو ما كان عليه المتقدمون لا بعض المتأخرين الذين قال انهم

فى شهرتهم ونفوذهم لما تيسر له أن يقرر ما قرره من ازالة المفاسد فان تيسر له تقريره بالقول فلا يتيسر إنفاذه بالفعل على ان الانفاذ عسر على كل حال لقلة من عندنا من أهل الكفاءة اذ لم تتعود هذه الطائفة على النظام ولم تعرف ما وصلت اليه الامم في الارتقاء في فن التعليم. ومالا يدرك كله لا يترك قله والعمل يمد بعضه بعضاً فنسأل الله كمال التوفيق للعامل والثبات عليه والإخلاص فيه، وأما الصواب في نظام التعليم فلامحل هنا للكلام فيه لما سبق لنا من التفصيل من قبل ولكننا نأتي من تاريخ الامة فيه ومنه تعرف طريقة السلف والخلف فنقول

طريقة المسلمين في التعليم وتاريخه عندهم

أن التعليم فن صناعي يرتقي بارتقاء حضارة الأمة ويتدلى بتدليها ولم ينزل الوحي بكيفية تنظيم المدارس وتلقين العلوم والفنون للناشئين فنقول إن قوانين التعليم أحكام تعبدية تتلقى بالرواية ويتبع فيها طريق السلف الصالح من أهل الصدر الأول لأنهم أعلم الناس بغرض الشارع وأشدهم محافظة عليه. واذا كان التعليم فناً صناعياً فالذي ينبغي للأمة هو أن تفكر دائماً في ترقيته ولا يكتفي المتأخر فيه بتقليد المتقدم بحجة أنه متبع لسلفه معظم لهم اذ ليس من تعظيم الصحابة عليهم الرضوان أن نحارب بمثل ما كانوا يحاربون به من السيوف والرماح، ونترك المدافع وغيرها مما استحدث من آلات الكفاح، فما جاء في تقرير مشيخة الاسكندرية من استحسان طريقة كذا اتباعاً للسلف الصالح — لوصح — غير سديد، انما السداد أن نختبر طرق التعليم المستحدثة ونتخير أمثلها فان التعليم في هذا العصر أقوى عوامل الكفاح بين الأمم حتى نقلوا عن البرنس بسمرك الشهير انه قال اننا قد غلبنا فرنسا بالمدرسة. على أن ما ذكر فى التقرير هو مخالف لطريقة السلف الصالح في التعليم كما هو معروف للمطلع على التاريخ وتعرفه مجملا مما يأتي

كانت طريقة افادة العلم فى الصدر الأول الرواية اللسانية ثم الاملاء والمذاكرة. ولما كثر التصنيف واتسعت حضارة المسلمين صاروا يدرسون بعض الكتب المصنفة وأكثرها فى روايات الحديث والآثار وأشعار العرب ووقائعها وفي العلوم العربية والشرعية المؤيدة بهذه الروايات. ولما دخلت في الامة العلوم اليونانية اتخذوا لهم

مخطئون طرق التعليم وليس هو كل رأيه فرأيه مخالف لما عليه الأزهر كما يعلم مما يأتي

يحار قارىء التقرير فلا يدري أهـذا المدح لطريقة الأزهر بيان لاعتقاد الـكاتب أم يراد به شيء آخر ؟ العبارة محتملة يقوي ارادة المدح فيها عزوها الى السلف والاستدلال عليها بكلام ابن خلدون ولـكن قوله بعد ذلك كله ان هناك مفسداً آخر لطرق التعليم به « كانت المصيبة أعظم والفساد أعم وأشمل » يدل على أنه لم يقصد غير الذم . فماذا فعل ذلك المصباح فى هذه الظلمات المتراكمة ؟

الفصل معقود لبيان طرق التعليم فـكان ينبغي أن تذكر الطرق المعروفة فيه ويذكر أهلها ويفاضل بينها لبيان ما اختارته مشيخة الاسكندرية منها ولـكنك تخرج من الفصل ولم تع غير طريقة واحدة للازهر عرضت لها عيوب ومفاسـد فأزالت مشيخة الاسكندرية عيوبها ومفاسدها فصارت خير الطرق عندها، تعي هذا بعد أن يضطرب ذهنك في الفهم ، وتحار في التزبيل بين المدح والذم ، فهذا ما يقال في هذا الفصل من التقرير

وأما الموضوع في نفسه فالحق الذي نعلمه فيه علم اليقين ما نقول : ان طريق الازهر في التعليم طريق طويلة مشتبهة الصوى ، كثيرة التمعج والهـوى ، وأن أهل الازهر كانوا ولا يزالون سائرين عليها على غوائلها ، الا نفرا من المتأخرين قـد اتقوا بعض مفاسدها ، عملا ببعض ما هداهم اليه الاصلاح الذي دعا اليه الاستاذ الامام رحمه الله تعالى وهو الذي اختار للشيخ محمد شاكـر بعض تلامذته منهـم يدرسون في الاسكندرية . وقد بشرنا الشيخ محمد شاكر انه أنفذ شيئاً من ذلك الاصلاح شيئاً آخر فمجموع ما شرع فيه أربعة أمور ١ مراقبـة المعلمين للطلبة و٢ تقرير الامتحان السنوي و٣ حمل المعلمين على التدرج في التعليم و٤ اختيار الـكتب وهذه الامور مما دعا اليه الاستاذ الامام في الازهر واشتغل بها مجلس ادارته شغلا طويلا كما يعلم من تاريخه (كتاب أعمال مجلس ادارة الأزهر) وقد عارض في هذه الأمور بعض أكابر المشايخ المتقدمين لا (المتأخرين) الذين ذمهم التقريرـ المتقدمين الذين أدركهم أو بعضهم كاتبه قبل ظهور ما عبر عنه « بالشغب والمحدثات » ومن حسن الحظ أنه لا يوجد في مشيخة الاسكندرية أمثال هؤلاء الاكابر المتقدمين اذ لو وجد أمثالهم

عنه الشيخ محمد شاكر في تقريره هو من المواضع التي قصر فيها وأجمل وعذره الفرار من التكرار وانما يعرف رأيه من مجموع ما كتبه وتقدم التنبيه على بعضه ، ومنه تحصيل ذوق البلاغة بممارسة الكلام البليغ ومنه الاستدلال على حسن طريقة التعليم بقصر مدة التحصيل وذمه الاعتماد على الحفظ وتفضيله طريقة تونس بالاكتفاء بخمس سنين في تحصيل الملكة على طريقة المغرب في جعل مدة التحصيل ١٦ سنة وكانوا يعتمدون على حفظ المتون وقد استدرك عليه علماء التعليم والتربية (البيداجوجيا) في هذا العصر فيما رآه من ابتداء المتعلم بأصول المسائل من كل باب واعادتها بالتكرار ثلاث مرات بالتفصيل الذي ذكره، ومن الغريب ان صاحب التقرير لم يأخذ عنه الا المجمل المستدرك عليه وترك سائر آرائه وهي مخالفة لما عليه المشيخة بالاسكندرية

هذا صفوة ما نختصر به تاريخ التعليم عندنا وأما العلوم أنفسها فكانت العناية بها تختلف باختلاف حال الدولة التي هي أس الحضارة وشر ماحدث في القرون المتوسطة العناية بالجدل والخلاف في الفقه وقد انبرى حجة الاسلام الغزالي لبيان مفاسد هذه البدعة بعد أن خاض فيها مع الخائضين ، وكان في مقدمة المبرزين ،

﴿ رأي الامام الغزالي في التعليم الاسلامي ﴾

كتب ابن خلدون ما كتب في التعليم من حيث هو فن صناعي يرتقي بارتقاء العمران . وأما الامام الغزالي فقد كتب فيه من حيث هو طريق للارشاد وهداية الدين فما ذهب اليه هو هدي السلف الصالح — والجدير بأن تهتدي به مشيخة العلوم الدينية المحضة — الذين غرضهم حفظ الدين والاهتداء به . قال في فصل (بيان القدر المحمود من العلوم المحمودة) بعد أن قسم العلوم الى محمود قليله وكثيره ومذموم قليله وكثيره وهو مالا يفيد في دنيا ولا دين وقسم يحمد منه مقدار مخصوص و يذم التوسع فيه والاستقصاء ما نصه

«وأما القسم المحمود الى أقصى غايات الاستقصاء فهو العلم بالله تعالى و بصفاته وأفعاله وسنته في خلقه وحكمته في ترتيب الآخرة على الدنيا» ثم مدحه و بين ما يحتاج اليه طالبه من المجاهدة وتهذيب النفس وقال «وأما العلوم التي لا يحمد منها الا مقدار مخصوص فهي العلوم التي أوردناها في فروض الكفايات فان في كل علم

معلمين من أهل الملل الاخرى فحدثت لهم طرق جديدة ، ثم انحصر التعليم في قراءة الكتب غالباً فكانت طرق الناس في التعليم تابعة لطرقهم في التأليف، وأول اشتغالهم بالتأليف فى الفنون كان بجمع الروايات التي يتلقونها والأمالي التي يهيؤنها ويملونها ثم توسعوا في ذلك ويسهل أن تعرف طريقة التدريس في كل قرن بالاطلاع على طائفة من الكتب التي صنفت فيه . روايات ووقائع فأصول وقواعد مؤيدة بها فاختصار لتذكرة المنتهى فاقتصار على المختصرات وما كتب عليها فخلط للعلوم وخلل فى التعليم . وجملة القول في سيرة المسلمين فى التعليم انها كانت سائرة على سنة الفطرة بطبعها لا بقوانين وضعت لها ثم انحرفت حتى ضاع العلم وضل الفهم وصرنا الى ما نرى

لم يدون المسلمون قوانين للتعليم فى عنفوان دولة العلم فيهم بل كان موكولا الى المدرسين يسلكون فيه مسالك الكتب المصنفة فكثرت الطرق بكثرة المصنفات واختلاف مذاهب المصنفين والمدرسين حتى قام فى القرون الوسطى من ينتقد ما عليه أهل عصره ومن قبلهم كالامام الغزالي وتلميذه أبي بكر بن العربي ثم جاء الفيلسوف الاجتماعي عبد الرحمن بن خلدون فبحث في التعليم بحثاً لم يسبقه اليه سابق ووضعه على قواعد الفلسفة فأصاب كثيرا من الاغراض . ومن الأصول التي قررها ان التعليم من الصنائع التي تتبع حال الحضارة والعمران في الترقي والتدلي كسائر الصنائع وأن كثرة التأليف في العلوم عائقة عن التحصيل وأن كثرة الاختصارات المؤلفة فى العلوم مخلة بالتحصيل . وأن خلط العلوم بعضها ببعض يحول دون الظفر بشيء منها ، وان غاية تعليم الفن هي تحصيل الملكة فيه ، والمراد بالملكة ملكة العمل فملكة البلاغة هى أن يكون ذوق الكلام البليغ صفة مالكة للنفس بها يسهل الاتيان بالكلام البليغ قولا وكتابة دع فهمه والتمييز بين أقسامه وعلى ذلك فقس . وقد استفاد ابن خلدون هذه القواعد والاصول من النظر في كتب المتقدمين ومعرفة تاريخهم ومن اختبار حالة التعليم والتأليف في عصره، ولكن المسلمين لم يستفيدوا من أصوله هذه ولا من أصوله في فلسفة التاريخ وعلم الاجتماع لأن هذا انما جاءهم في طور التدلي في العلوم والعمران كما قلنا في مقدمة أسرار البلاغة وما نقله

الأولين تصنيفاً وتحقيقاً وجدلا و بياناً ثم ألهمه الله رشده وأطلعه على عيبه فهجره واشتغل بنفسه فلايغرنك قول من يقول ولا يعرف علله الا بعلم الخلاف فان علل المذهب مذكورة في المذهب والزيادة عليها مجادلات لم يعرفها الأولون ولا الصحابة وكانوا أعلم بعلل الفتاوى من غيرهم بل هي مع أنها غير مفيدة في علم المذهب ضارة مفسدة لذوق الفقه فان الذي يشهد له حدس المفتي اذا صح ذوقه في الفقه لا يمكن تمشيته على شروط الجدل في أكثر الامر فمن ألف طبعه رسوم الجدل أذعن ذهنه لمقتضيات الجدل وجبن عن الإذعان لذوق الفقه وانما يشتغل به من يشتغل لطلب الصيت والجاه و يتعلل بأنه يطلب علل المذهب وقد ينقضي عليه العمر ولا تنصرف همته الى علم المذهب فكن من شياطين الجن فى أمان واحترز من شياطين الانس فانهم أراحوا شياطين الجن من التعب فى الاغواء والاضلال،»

ثم طفق يذم الجدل في العلم مطلقاً ومنه قوله : وفي الحديث في معنى قوله تعالى « فاما الذين في قلوبهم زيغ » الآية هم أهل الجدل الذين عناهم الله بقوله تعالى فاحذرهم . وقال بعض السلف يكون في آخر الزمان قوم يغلق عليهم باب العلم ويفتح لهم باب الجدل: ثم عقد بعد ذلك باباً لبيان سبب علم الخلاف وآفات الجدل والمناظرة والحديث الذي ذكره في تفسير الآية رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي من حديث عائشة وأورده بالمعنى . فلينظر القارئ أين طريق السلف في العلوم الدينية من طريق الازهر على رأي الشيخ محمد شاكر، وكيف العناية عندهم بالجدل مكان العناية بالمهم عن السلف من العلم بالله وصفاته وأفعاله (وهي تعرف من علم الكون) و بسننه فى خلقه (وهي المعبر عنها فى هذا العصر بعلم الاجتماع وعلم نواميس الطبيعة) وعلم حكمة ترتيب الآخرة على الدنيا: لا شيء من ذلك فى الازهر ولا فى الاسكندرية فعسى أن يوفقهم الله تعالى للاسترشاد وما كتبه حجة الاسلام في ذلك

تعب الاستاذ الامام رحمه الله تعالى في اقناع كبار شيوخ الازهر في اصلاح التعليم فكانوا لا ينفذون كل ما اقتنعوا به وهو بعض مادعا اليه مما يريده ومنه أن يكون الغرض من كل فن وعلم القدرة على استعماله والوصول الى غايته دون الجدل والمماحكة في

منها اقتصاراً وهو الأقل واقتصاراً وهو الوسط واستقصاء وراء ذلك الاقتصاد لامرد له الى آخر العمر . فكن أحد رجلين اما رجل مشغول بنفسك واما متفرغ لغيرك بعد الفراغ من نفسك واياك أن تشتغل بما يصلح غيرك قبل اصلاح نفسك . فان كنت المشغول بنفسك فلا تشتغل الا بالعلم الذي هو فرض عليك بحسب ما يقتضيه حالك وما يتعلق منه بالأعمال الظاهرة من تعلم الصلاة والطهارة والصوم وانما الأهم الذي أهمله الكل علم صفات القلب وما يحمد منها وما يذم» وأطال في بيان مكانة علم التهذيب من الدين وأن الأعمال الظاهرة لا تفيد عند الله بدونه ثم قال «وان تفرغت من نفسك وتطهيرها وقدرت على ترك ظاهر الاثم و باطنه وصار ذلك ديدنا لك وعادة فيك وما أبعد ذلك منك فاشتغل بفروض الكفايات وراع التدريج فيها فابتدئ بكتاب الله ثم بسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ثم بعلم التفسير وسائر علوم القرآن من علم الناسخ والمنسوخ والمفصول والموصول والمحكم والمتشابه وكذلك في السنة . ثم اشتغل بالفروع وهو علم المذهب من علم الفقه دون الخلاف ثم بأصول الفقه وهكذا الى بقية العلوم على ما يتسع له العمر و يساعد فيه الوقت ولا تستغرق عمرك في فن واحد منها طالباً للاستقصاء فان العلم كثير والعمر قصير . وهذه العلوم آلات ومقدمات وليست مطلوبة لعينها بل لغيرها (يعني العمل المطلوب لعينه هو العلم بالله و بسننه في خلقه وحكمته كما تقدم) وكل ما يطلب لغيره فلا ينسى فيه المطلوب و يستكثر منه فاقتصر من شائع علم اللغة على ما تفهم منه كلام العرب وتنطق به ومن غريبه على غريب القرآن وغريب الحديث ودع التعمق فيه واقتصر من النحو على ما يتعلق بالكتاب والسنة فما من علم الا وله اقتصار واقتصاد واستقصاء» ثم ذكر نموذجاً لهذه المراتب الثلاث ومثل لها بالكتب المختصرة والمتوسطة والمطولة ومن رأيه أن المطولات تصنف للمراجعة لا للتدريس ثم نهى عن الجدل والخلافيات في المذاهب وذكر أنها من البدع التي لم يعهد مثلها في السلف وشبهها بالسم ثم قال

«وهذا الكلام ربما يسمع من قائله فيقال: الناس أعداء ما جهلوا: فلا تظن ذلك فعلى الخبير سقطت فاقبل هذه النصيحة ممن ضيع العمر فيه زماناً وزاد على

لتراجم الرجال الذين ينتفع بسيرتهم ٢ المقالات ٣ التربية والتعليم ٤ الصحف المنسية—ينشر فيه ماطوي ذكره من منثور العربية ومنظومها في الجد والهزل ٥ تدبير الصحة ٦ تدبير المنزل ٧ المطبوعات والمخطوطات ويدخل فيه تقريظ الكتب المنشورة بالطبع والتعريف بالكتب المخزونة في المكاتب ٨ مقالات المجلات يذكر فيه أهم ما في المجلات العربية والافرنجية من المقالات والآراء ٩ سير العلم —يدخل فيه ما يقتبس من المجلات الغربية ١٠ نفاضة الجراب — وهو في الشجون والأفاكيه

جاء في الجزء الأول ترجمة وجيزة لابن حزم ومقالة في الأمية والكتاتيب وأخرى في سيئات القرن الماضي ملخصة من مجلة فرنسية، ومقالة في تعليم اللغات وهي مترجمة أيضاً وبعض مقاطيع من شعر حافظ وعبد الرحمن شهبندر والرافعي متفرقة ونبذة في التمثيل في الاسلام ونبذة في التناسل الغريب يريد كثرة النسل * ونبذة في العمل والعملة وشيء من نصائح ابن حزم وشيء من نكات الوهراني وشيء في وصف الجرائد لعبد الله باشا فكري * ونبذة في أوقات الطعام ونبذة في استعمال السكر وأخرى في حياة الفقير ورابعة في دواء الأرق * وكلام عن كتاب مداواة النفوس لابن حزم وعن منشآت الوهراني وعن كتاب فرنسي اسمه نصائح للعملة وعن قصة (في وادي الهموم) * كل شيء مما تقدم في الباب اللائق به عند الكاتب وفي باب سير العلم نحو ٢٠ نبذة وجيزة . وغير ذلك

وقد انتقدنا عليه أمورا لا يسلم من مثلها المبتدىء بالعمل منها أنه كتب عن ابن حزم في ثلاثة أبواب وتكلم عن الوهراني في غير ما موضع . ترجم ابن حزم في الباب الأول ثم ذكر شيئاً من نصائحه في باب الصحف المنسية ثم ذكر الكتاب الذي اقتبس منه النصائح في باب المطبوعات وكان يحسن أن يذكر في باب واحد من هذا الجزء وكذلك يقال في تكرار ذكر الوهراني والكلام في العملة . ومنها ان ما ذكره من النصائح لم يعد من الصحف المنسية وقد طبع الكتاب قبل وجود المجلة . فان أراد بالصحف المنسية ما أهمل الناس العمل به فالباب واسع يدخل فيه كثير من المجلدات العظيمة في التفسير والحديث والرقائق وغير ذلك

عبارات كتبه وهذا عين مايقوله الغزالي وما كان يعني به السلف . وسنعود في الجزء الآتي الى الكلام في التعليم ان شاء الله تعالى

آثار علمية ادبية

المقتبس

آنشأ صديقنا محمد أفندي كرد علي الدمشقي في القاهرة مجلة أدبية علمية اجتماعية شهرية سماها (المقتبس) وقد أصدر الجزء الأول منها في شوال وهو اشهر المحرم من العام القابل أصدره قبل وقته تعجيلا للفائدة . اعتاد المصريون على كثرة رؤية الصحف الجديدة وعلى سرعة فقدها فقلت ثقتهم بالجديد وان كان مفيدا لعدم ثقتهم به وبدوامه ولسبب آخر هو عدم ثقتهم بثبات صاحب الصحيفة على الخطة التي يختطها لنفسه في ابتداء عمله . فمن النصيحة لقراء المنار أن نعرف اليهم المقتبِس (الكاتب) أولا والمقتبَس (المجلة) ثانيا ليشترك من يشترك عن بينة

محمد أفندي كرد علي من شبان دمشق الذين حسنت تربيتهم وعني بتعليمهم وقد اشتغل زمنا بتحرير جريدة (الشام) وله مقالات كثيرة في مجلة المقتطف ويعرف التركية والفرنسية معرفة جيدة ويحسن الترجمة عنهما وعبارته من أحسن عبارات كتاب هذا العصر وأسلمها من الخطأ والعسلطة والمعاظلة . وهو حسن الاختيار فيما يقتبس من الكتب العربية والاوربية وحسن القصد فيه . وما حمله على انشاء هذه المجلة الا ولوعه بنشر العلم والأدب الذي يراه نافعا فالكتابة انشاء وترجمة هي منتهى لذته لايكره فيها الا الخوض في السياسة وكل ما يختلف الناس فيه المذاهب والمشارب ، فأنشأ مجلة المقتبس ليمتع عقله بلذته ، ويفيد قراء العربية بحسب استطاعته ، ودعوة أصدقائه من الكتاب الى مساعدته ، وهو غني عن الكسب بقلمه وقد وطن نفسه علي الخسارة المالية سنتين أوثلاثا ولكن محبي العلم والأدب في مصر وغيرها لايرضون له الخسارة في خدمتهم ان شاء الله تعالى

مباحث المجلة تدخل في عشرة أبواب (١) صدور المشارقة والمغاربة — وهو

﴿ كشف الخبايا ـ والمسلمون والقبط ﴾

ظهرت جريدة أسبوعية جديدة بهذا الاسم لعبد الحميد أفندي فريد الذي كان قبطياً فأسلم تاركاً خدمة الكنيسة القبطية التي كان واعظاً فيها وخدمة مدرسة القبط في ملوي وكان ناظراً لها ـ تاركاً هذا وهو مورد معاشه لأنه اعتقد بعد طول البحث بحقية الدين الاسلامي فلقي من القبط مناهضة شديدة ومناصبة قوية كما هي عادتهم حتى انهم هددوه واتهموه بما يحكم فيه القضاء حكمه المهين لو ثبت فلم تثبت التهمة، ولكنه هو ثبت في الفتنة ، وأنشأ هذه الجريدة يبين فيها الآيات والدلائل التي أخرجته من دين وهدته الى آخر ويذكر فيها بعض مالقي من القوم الذين فارقهم، وماهم عليه مما نفره منهم، فينتقد جميع مايراه منتقدا من هذه الطائفة، وقد صدر العدد الأول من الجريدة في ١٤ شوال الماضي وفيه شيء كثير من ذلك

لو أن القوم عذروا الرجل فيما ظهر له أنه الحق ولم يفتنوه ليكتم اعتقاده وينافق باظهار خلافه لما تصدى للاشتغال «بكشف الخبايا» وقد يقرأ قارؤهم هذه الكلمات التي كتبتها فيفهم منها أنني أنتصر له وأحمد عمله لانه صار مسلماً فأنا أتعصب له تعصباً جنسياً كما يعهد منهم وممن اتخذ الدين جنسية من المسلمين وغير المسلمين . ولكن من يقرأ المنار يعلم أنني أدعو دائماً لأن يكون الدين كله لله لا للعصبية الجنسية . وقد قال نبينا صلى الله عليه وآله وسلم «ليس منا من دعا الى عصبية وليس منا من قاتل على عصبية وليس منا من مات على عصبية» رواه أبو داود عن جبير بن مطعم أدعو الى هذا لاعتقادي ان الناس اذا تركوا العصبية الجنسية فانهم يعذرون كل معتقد في اعتقاده ولا يفتنونه فيه وانما يدعو الداعي الى اعتقاده بالبرهان الذي يستند اليه فيه كما أمر الله تعالى بقوله « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ، ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين» ومن كان على بينة من اعتقاده فهو يعتمد في نشره على بيانه للناس كما قال تعالى « لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي» وسنة الله في الخلق تقضي باختيار الأمثل ، وترجيح الأفضل ، متى وجدت الحرية ، وزال الاضطهاد والفتنة ،

رأيت في جريدة « كشف الخبايا » كلمة لعلي لو لم أرها لم أكتب ما كتبت

فالانتقاد على الباب نفسه أولى . ومنها أنه لم يكن يحسن ذكر منشآت الوهراني والتشويق اليها والتصريح بتعمد كتمان مكانها لأن هذا يغري أهل الولوع بأمثال هذه المسائل الى البحث عنها ومن بحث عن الموجود ظفر به غالباً . ومنها ان بعض المباحث لم توضع في الأبواب التي هي أليق بها فقد أدخل في باب التربية والتعليم الكلام في العملة والصناع وأخرج منه بحث تعليم اللغات . وذكر شيئاً من مقاطيع الشعر في باب المقالات دون باب الصحف المنسية . ومنها أن المنقول في بعض المواضع لم يتميز بنسبته الى الكتب والعلماء تميزا ظاهراً يعرف أوله وآخره بلا اشتباه كما يرى المدقق في ترجمة ابن حزم وما نقل منها عن الذخيرة لابن بسام. ومنها الاختصار المخل في بعض المباحث كمبحث «الأمية والكتاتيب» فالظاهر انه يريد الكلام على الامية في الاسلام وكيف انتقلت العرب بعده منها الى التعلم حتى إنشاء الكتاتيب قديماً وحديثاً ولكنه جعل نحو ربع ما كتبه في معنى لفظ الأمي وفي تفسير ما ورد في أهل الكتاب من قوله تعالى «ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب الا أماني» (وقد ذكر في المقتبس لفظ يقرأون بدل يعلمون سهواً فليصحح) وكان المناسب أن يذكر تفسير قوله تعالى « هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة » فقد فسر الكتاب هنا بالكتابة وهما مصدران لكتب . ثم ذكر شأن الكتابة في الجاهلية وذكر أمماً أخرى بالايجاز ولم يذكر عن الاسلام بعد ذلك الا سطراً ونصف سطر وقال بعد ذلك «هذه زبدة ما يقال في معنى الأمية في الاسلام » الخ والسبب في هذا الاختصار المخل رغبة الكاتب في ايداع الجزء مباحث كثيرة . وأمثال هذه الامور التي انتقدناها مما يسهل تلافيها لا سيما بعد التنبيه اليها. ومنها ما تبع فيه اصطلاح مجلات اوربا وان لم يكن عندنا مألوفاً

وجملة القول أن «المقتبس» مجلة نافعة حسنة العبارة وصاحبها كما قيل له في كل جوّ متنفس ، ومن كل نار مقتبس ، وهي مرجوة الثبات والدوام ، مرجو لها التقدم الى الأمام ، وصفحات الجزء منها ٥٦ وقيمة الاشتراك فيها خمسون قرشاً صحيحاً في مصر وثلاثة عشر فرنكا في سائر الاقطار

يعملون ما يعملون بتواطىء بين كبرائهم من رجال الدين ورجال الحكومة وغيرهم والسبب الطبيعي في ذلك أن ما يفعله المسلمون لا يحتاج الى رأي ولا تدبير ولا مساعد ولا نصير لأنه عبارة عما يسميه فاعلوه من العامة (هيصة) يجتمع فريق من الغوغاء يحتفلون بالمسلم الجديد بالصياح في الشوارع بالدعاء للاسلام والتعريض بالكفار. وقلما يتنصر مسلم وان وقع ذلك لا يبالون به ولا يجتهدون في ارجاع المتنصر عما ذهب اليه . وأما القبط فان جل فعلهم في منع من يريد الاسلام من الدخول فيه بالترغيب والترهيب ثم الايذاء ولا يخلو ذلك من خطر على فاعله فالترهيب مع اتقاء الخطر لا يكون الا من كبراء الامة رأياً ونفوذاً . ان تواطأ كبراء القبط على ما يتعلق بشرفهم آية بينة على حياتهم القومية وقوة رابطتهم الجنسية وهم يفضلون المسلمين بهذا ولكن توجيه هذه القوة الى مقاومة من يدخل فى الاسلام والكيد له والحيلولة بينه و بين زوجه وولده مما لا تقل فائدته ولا تؤمن غائلته فلو تساهلوا فيه وتركوا من يسلم وشأنه لكان خيراً لهم وان كان يعسر عليهم مادام المسلمون مصرين على تلك المظاهرات الصبيانية . فأنا أدعو الفريقين الى ترك الدين لله وجعل الرابطة الملية حادياً يحدو بالأمة الى الاعتزاز بالعلم والعمل ولا عزة بمن يتوجه الى غير دينه مقتنعاً معتقداً ثم يترك ذلك خوفاً ويعيش منافقاً .

ثم انني أنصح لعبد الحميد أفندي فريد المسلم الجديد بأن يجعل عنايته في طلب فضائل الاسلام والاجتهاد في التحقق بها حتى لا يكتب ولا يأتي مالا يبيحه له فقد رأيت فيما كتبه تحت عنوان عن أبواب الكنيسة السرية وأمورها الخفية إسناد حب الباطل واتباع الفساد الى بلعام بعد جعله نبياً والمسلمون لا يعترفون بنبوة بلعام حتى على ما ذكر في التفسير من كونه هو المراد بقوله تعالى « واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا » كما يعلم من مراجعة كتب التفسير . وأنصح له أن لا يكتب ما يكون سبباً للعداوة والبغضاء فان كان للقبط سيئات خفية فالشرع الاسلامي لا يأذن بفضيحة الناس واظهار سيئاتهم لما في ذلك من اعلان القبيح وغير ذلك من المضار وان كان فيها ما يضر المسلمين جهلهم به فالتحذير منه مما لا يتعسر مع الأدب والاحتراس وماذكره في الأبواب السرية ليس من النصيحة

رأيت فيها الرجل يقول القوم فيما حكاه ان أحدهم قال له وهو أقرب الناس اليه وأعز الاصدقاء له « ياليتك كفرت بالله وصرت وثنياً أو طبيعياً فكان ذلك أولى وأحسن من دين محمد . . . . . » وياليته حذف ماحذفت من قوله فلم يكتبه كله . ولا شك عندي بأن قائل هذه الكلمة لاحظ له من الدين الا العصبية الجنسية السوءى و بغض المسلمين لأن كل متدين بل كل انسان يرى أن أقرب الناس اليه فيما هو عليه من كان مشاركاً له فيه على نسبة ما به الاشتراك فأقرب الناس من الكتابي من كان يؤمن بالله و بالرسل والكتب ثم من كان يؤمن بالله دون الرسل ثم من كان له دين ما ولو وثنياً وأبعدهم عنه من لا يشاركه فى شيء من ذلك فكيف يكون قائل تلك الكلمة مسيحياً يدين بما أمر المسيح من محبة الاعداء ثم يقول ما قال في دين ونبي جاء في كتابه « ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى »

ليس الذنب في هذه العصبية الجنسية الجاهلية خاصاً بالقبط بل هي عامة بعموم الجهل في البلاد فغوغاء المسلمين وكثير ممن يعدون من نبهائهم يأتون بالأعمال المنكرة فى الحفاوة بمن يسلم من النصارى فيحفظون قلوبهم ويحركون أضغانهم وذلك ضار بمصالحهم الدنيوية التي تتوقف على البر والمجاملة وحسن المعاملة لاعلى ترك الايذاء فقط وليست من الدين فى شيء بل هي مخالفة له لأنه ينهى عن الايذاء ويأمر بالعدل والاحسان « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين » ومن الدلائل على ان عمل هؤلاء الذين يفرحون ويطربون بمن يسلم من النصارى من عصبية الجاهلية لا من الغيرة الاسلامية أن أكثرهم يجهلون عقائد الدين وآدابه وأحكامه ولا يكادون يعملون بما يعلمون منها

المسلمون والنصارى في هذه العصبية الجاهلية سواء والعارفون بمضارها من الفريقين قلما ينهون عنها وقد علمت مما قص علي من الوقائع في ذلك أن الفرق بين المسلمين والقبط فيها من وجه واحد وهو أن علماء المسلمين وكبراءهم من الحكام وغيرهم قلما يوجد فيهم من يميل الى ما تفعله العامة أو يساعدهم عليه وأن القبط

و يزعج الى الاحتراس من مثله وهو لا يمنع من رواج العمل لا سيما في القصص لأن أكثر قرائها أوجميهم يبتغون بها التسلية

خاتمة الجزء من باب الفقه

﴿ شيخ الأزهر ، وزينة الكسوة والمحمل، حكم الفرجة عليها ﴾

الشيخ عبدالرحمن الشربيني شيخ الجامع الأزهر مشهور بالقشف والزهد والعزلة والاعراض عن أهل الدنيا ولما ذهب الى الاسكندرية لوداع الأمير قبل سفره الى أوربا في الصيف الماضي ذكرت جريدة المؤيد من خصائصه أنه لم ير الاسكندرية قبل هذه المرة ولم يحضر الاحتفال بمحمل الحج أي ولا الاحتفال بنقل كسوة الكعبة وقد لهج الناس يومئذ بما كتب المؤيد فمنهم من قال ان هذا ذم لا مدح ومنهم من توقف في الحكم — ذلك أن من الناس من يظن أن الاحتفال بالكسوة والمحمل من شعائر دين الاسلام و يظن أن حضور العلماء فيه هو من آيات ذلك والا لأبوا وأنكروا . والحق أن امتناع الشيخ الشربيني لم يكن الا لاعتقاده بأن حضور ذلك الاحتفال حرام واننا نورد هنا بعض نصوص فقهاء مذهبه في ذلك

قال البجيرمي على الخطيب : والكسوة المعروفة حرام لاشتمالها على الفضة : (قال) والحرمة هنا عدها البلقيني من الكبائر وقال الأذرعي انها من الصغائر وهو المعتمد وقال ويحرم زركشة أستار الكعبة من الفضة ومثلها في حرمة الزركشة بما ذكر ستور قبور الأنبياء والمرسلين على المعتمد خلاف للبلقيني . واذا قلنا بحرمة ذلك فتحرم الفرجة عليه أيضاً كالفرجة على الزينة المحرمة لكونها بنحو الحرير بخلاف المرور عليها لحاجة وامتناع ابن الرفعة من المرور أيام الزينة كان ورعاً كما قاله الرملي . ولو أكره الناس على الزينة المحرمة لم يحرم عليهم وهل يجوز التفرج عليها حينئذ ، الذي يتجه المنع لأن ستر الجدران بالحرير حرام في نفسه وعدم حرمة وضعه لعذر الاكراه لا يخرجه عن الحرمة في نفسه وما هو حرام في نفسه يحرم التفرج عليه لانه رضاء به كما قاله ابن قاسم على المنهج اه كلام البجيرمي ومثل ذلك في حواشي الشبراملسي على الرملي

للمسلمين في شيء . الجريدة تطلب من صاحبها في ملوي وقيمة الاشتراك فيها ٤٠ قرشاً في مصر و يقبل من طلاب العلم كافة ومن خدمة الجوامع نصف القيمة

كتاب الخير والشر — أو قصة كاترينا

لاسكندر ديماس الشهير بتأليف القصص الخيالية قصة سماها « كاترينا بلوم» نقلها الى العربية كل من محمد أفندي وجيه رئيس كتاب المجلس البلدي فى المنصورة وحسين أفندي الجمل وكيل البريد في المطرية مطرية الدقهلية — نقلاها بالتعاون والاشتراك وطبعاها على نفقتهما فكانت صفحاتها ٢٤٠ وهي بشكل كتاب الاسلام والنصرانية وجعلا ثمنها ستة قروش صحيحة لمن يطلبها بالبريد

سميا القصة كتاب الخير والشر لأن كاترينا التى هي موضوع القصة خيرة فاضلة ربيت تربية فطرية بعيدة عن منازع الشر وكان لخالها الذي رباها ولد عني به كما عني بها فكانا متشا كلين فتحابا ورغبا كما رغب مربيهما أن يكونا زوجين وكان هناك رجل شرير يكيدهما و يحاول افساد ذات بينهما وايقاعهما في الهلاك فكان عاقبة أمره خسراً وانتصر الخير على الشر . على ان اسم « كتاب الخير والشر » أكبر من هذه القصة اذ ليس موضوعها بيان أنواع الخير وطرقها والهداية اليها و بيان أنواع الشر وطرقها وكيفية اجتنابها . وأكبر ما فى القصة من العبرة بيان مضرة جهل المرأة وتعصبها وتحكيم هواها فى أمر تزويج ولدها فقد كان جهل أم برنار وتعصبها للكاثوليكية واتباع هواها في منعه من التزوج بينت عمه البروتستانتيه أضر من كيد ذلك الشرير له ولخطيبته ولولاها لما كان لذاك الكيد أثر يذكر . فهذا دليل على أن المحب الجاهل كثيرا ما يكون أضر من العدوّ عاقلا أوغير عاقل . ومن قرأ وصف تلك المرأة رأى أنه ينطبق على أكثر نساء هذا العصر فى هذه البلاد وأمثالها

وأما عبارة الترجمة فهى تفضل أكثر مانرى من عبارات مترجمي القصص وتتحامى كثيرا من الاغلاط المشهورة فيها وفي الجرائد . وقد طلب المعربان في مقدمتهما للقصة غض الطرف عن السهو والزلل وعدا ذلك من نظر التنشيط دون التثبيط وليس الأمر كذلك فان التنبيه على ذلك هو الذي ينشط الكاتب

زيت لطيف وماء لطيف

(اختراع جديد مفيد)

المشهود بالشهادات العديدة التي تدرج بجريدة المؤيد

(تنبيه) له كل زجاجة لم يكن عليها الماركة المسجلة وورقة اخرى عليها ختم المخترع وامضاؤه بالعربية والافرنكية بخط اليد تكون مقلدة وغير مفيدة

(خواصه) — من خواص هذا الزيت انه يطيل الشعر جداً ويمنع سقوطه وتقصيفه وتجعيده ثم ينبته بعد اليأس من نباته بسبب صلع او اي مرض آخر في الرأس والشنب ولا يصبغه الا انه بواسطة تقويته للبصيلات جداً يعيد اليها قوتها المغذية الاصلية

وهو يزيل الشيب من الشباب اذ معلوم ان شيبهم عارض ناتج عن ضعف او تخلخل في البصيلات ثم يقتل القمل وجراثيمه كالصئبان وجميع الميكروب المضر بالشعر . ويمنع الحكة والاكلان في جميع منابت الشعر ويزيل القشور من الراس ويمنع الصداع والدوار ويذهب بما قد يحدث في الرأس وغيره من دمامل وحرارة ونحوهما . ويزيل الالم الذي يوجد في جذور الشعر وقت تمشيطه أو جذبه ويسمنه ولا يضر أبداً إذا لحق بالفم والجلد شيء منه لخلوه من جميع المواد السمية . ولا فرق في استعماله عند الرجال أو النساء طريقة الاستعمال مبينة بالاعلان المغلف بالزجاجة

ويباع زيت لطيف وماء لطيف

(١) بالمستودع العمومي بادارة جريدة المؤيد بمصر عند حضرة علي أفندي (٢) بدكان حضرة مصطفى افندي صبري تاجر مني فاتوره بالموسكي (٣) باسكندريه عند حضرة محمود افندي الباجوري وكيل جريدة المؤيد (٤) وبالزقازيق باجزاخانة جالينوس ملك حضرة الدكتور محمد افندي أمين عزب ومن يشتري من غير هذه المحلات فلا يلوم الا نفسه وكل زجاجة لم يكن عليها ورقتان الاولى بها العلامة المسجلة والثانية ختم المخترع وفرمته بالعربية والافرنكية تكون مقلدة والاثمان كما يأتي زيت لطيف ١٣ قرشاً صاغاً . ماء لطيف ١٤ قرشاً صاغاً زجاجة كبيرة لمن لم يحب استعمال الزيوت . زيت لطيف المركز ١٦ قرشاً صاغاً وأجرة البريد غرشين صاغ وعلى الله الاتكال

ديوان أبي تمام

صدر هذا الديوان مطبوعاً طبعاً متقناً محلول الالفاظ اللغوية بقلم أحد علماء بيروت وثمنه ... ١٢ قرشاً وأجرة البريد قرشان في داخل القطر وفي الخارج ٣ فرنكات ونصف وهو يباع بمكتبة المنار

وقال البجيرمي على الخطيب أيضاً تنبيه يعلم من هنا — أي من الكلام على الحرير — وما يأتي في زكاة النقد أن المحمل المشهور غير جائز ولا تحل الفرجة عليه ولا يصح الوقف عليه ومثله كسوة مقام ابراهيم صلى الله عليه وسلم وكذا الذهب الذي على الكسوة والبرقع الخ اه ق ل على المحلى اه

وقال الباجورى في حواشيه على ابن قاسم الغزي ويحرم التفرج على المحمل المعروف وكسوة مقام ابراهيم ونحوه ونقل عن البلقيني جواز ذلك لما فيه من التعظيم لشعائر الاسلام واغاظة الكفار وهكذا كسوة تابوت الولي وعسا كره اه

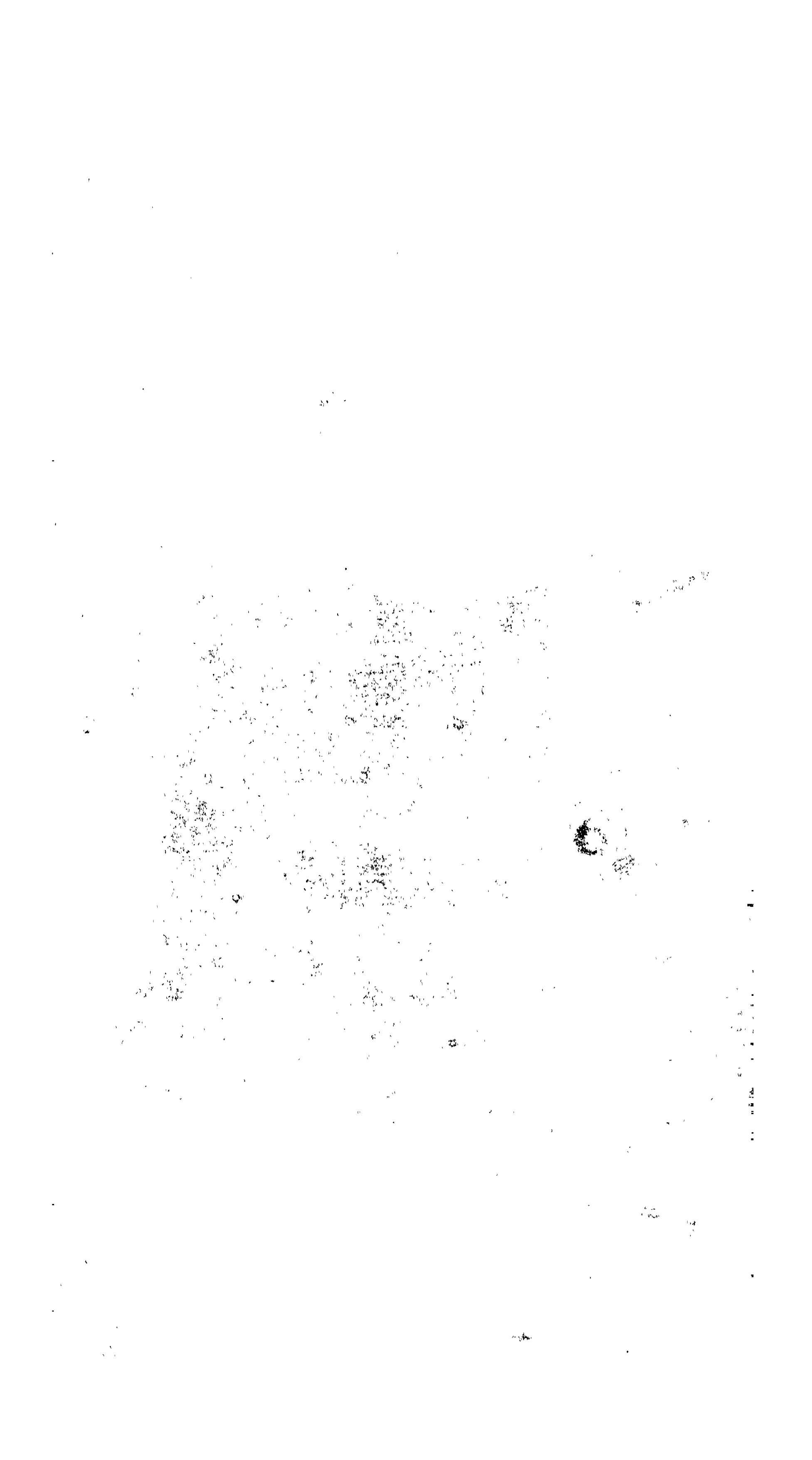
وقال الجمل في حواشيه على المنهج ويحرم ستر الجدران ونحوها بالحرير كستر ضرائح الأولياء الا الكعبة وقبور الانبياء نعم لا يحرم ستر الجدران به في أيام الزينة بقدر ما يدفع الضرر ويحرم المرور والفرجة عليها لغير حاجة خلافاً للعلامة ابن حجر. وعلم من هذا ومما يأتي في باب زكاة النقد أن المحمل المشهور غير جائز ولا تحل الفرجة عليه ولا يصح الوقف عليه ومثله كسوة مقام ابراهيم عليه الصلاة والسلام وكذا الذهب الذي على الكسوة والبرقع اه البرماوي اه الجمل

وقال الشيخ عوض على الخطيب وكذا يحرم تمويه كسوة الكعبة والمحمل الشريف والتفرج عليهما حرام وكذا الزينة التي تفعل بمصر اه

هذا هو المعتمد وما نقلوه عن البلقيني ولم يحفلوا به هو رأي له مبني على شبهة واهية وهي إغاظة الكفار ولو جاز أن نكلف اغاظة الذميين والمعاهدين لما جاز أن نرتكب المعصية لذلك وتعظيم شعائر الحج انما تكون في اقامتها على وجهها في مواضعها . وقد ذكرت الجرائد فى هذه الايام ان شيخ الجامع حضر الاحتفال بنقل الكسوة فياليتنا نعرف هل ظهر له بعد ان صار شيخاً للازهر خطأ فقهاء المذهب وصحة رأي البلقيني فاتبعه ليعظم الشعائر ويغيظ الكفار أم ظهر له دليل آخر على الحل؟

(تصحيح غلط) وقع السطر الذي ينبغي أن يكون في آخر ص ٧٣٦ من الجزء ١٩ بعد السطر الثالث عشر من تلك الصفحة فليعلم

وجاء في السطر ١٥ من صفحة ٧٤٧ كلمة (سفينة هود) والصواب (سفينة نوح) فلتصحح



فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب



يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا اولو الالباب

(قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق)

﴿ مصر الاثنين غرة صفر سنة ١٣٢٤ — ٢٦ مارس (آذار) سنة ١٩٠٦ ﴾

باب تفسير القرآن الحكيم

(مقتبس من الدروس التي كان يلقيها في الازهر الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه)

(٢٥٤) يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ ، وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ *

بعد أن ذكرنا تعالى بالرسل وما كان من أقوامهم بعدهم من الاختلاف والاقتتال ، عاد الى أمرنا بالانفاق بأسلوب آخر كما تقدم التنبيه في تفسير الآية السابقة . هنالك يقول « من ذا الذي يقرض الله » وقد نبهنا على ما في هذا الخطاب من اللطف والبلاغة . وأزيد هنا ان هذا اللطف انما يفعل فعله ويبلغ نهاية تأثيره فيمن بلغ في الايمان الى عين اليقين ، وعرج في الكمال الى منازل الصديقين ، ولطف وجدانه وشعوره ، وتألق ضياؤه ونوره ، وما كل المؤمنين يدرجون في هذه المدارج ، أو يرتقون على هذه المعارج ، فالاكثرون منهم يفعل في نفوسهم الترهيب ، مالا يفعل الترغيب ، فهم لاينفقون في سبيل الله الا خوفا من عقابه ، أو طمعا في ثوابه ، وقد يعرض للضعفاء من هؤلاء الغرور بشفاعة تغني هنالك عن العمل ، أو فدية تقي صاحبها عاقبة ما كان عليه من الزلل ، فأمثال

[illegible] الكاتب الفاضل الشيخ أحمد حسن طبارة محرر جريدة ثمرات الفنون [illegible] بيروت بادارة الشاب النشيط محمد أفندي جمال [illegible] والطرس والأقلام والكتب [illegible] [illegible]

ظاهرهما أي أنفقوا فان الانفاق في سبيل الخير والبر — وهي سبيل الله — هو الذي ينجيكم في ذلك اليوم الذي لا ينجي الأشحة الباخلين فيه من عذاب الله تعالى فداء فيفتدوا منه أنفسهم ولا خلة يحمل فيها خليل شيئا من أوزار خليله أو يهبه شيئا من حسناته ولا شفاعة يؤثر بها الشفيع في ارادة الله تعالى فيحولها عن مجازاة الكافر بالنعمة الباخل بالصدقة المستحق للمقت والعقوبة بتدنيس نفسه وتدسيتها في الدنيا . وهذا هو الوجه الذي اختاره الاستاذ الإمام فالآية بمعنى قوله تعالى في هذه السورة (٤٨ واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولاهم ينصرون *) فقوله لا تجزي نفس عن نفس شيئا بمعنى نفي الخلة هنا والعدل هو الفداء بالعوض وهو بمعنى البيع المنفي هنا . ومثلها آية ١٢٣ . والخطاب في تينك الآيتين لبني اسرائيل الذين كانوا في عصر التنزيل يقيسون أمور الدنيا على أمور الآخرة كما هو شأن الوثنيين فيظنون ان الانسان يمكن أن ينجو في الآخرة بفداء يفتدي به أو شفاعة تناله من سلفه النبيين والربانيين ، كدأب الأمراء والسلاطين ، وان كان في هذه الحياة فاسقا ظالما فاسد الأخلاق مناعا للخير معتدياً أثيما . وقصارى هذا الاعتقاد أن سعادة الآخرة هي كالمعروف للعامة من سعادة الدنيا ليست جزاء للأعمال الصالحة والأخلاق الفاضلة والعقائد الصحيحة أي ليست أثراً لشيء في نفس الإنسان وانما الغالب فيها أن تكون بإسعاد غيره له وخير ضروب هذا الإسعاد وأعلاها ما يكون بالشفاعة عند الأمراء والسلاطين الذين يجعلون المرء من أعظم أرباب المال والجاه بكلمة يحملهم عليها الشافع . فمن كان يطلب في الآخرة منتهى السعادة فعليه ان يعتمد على أحد المقربين عند الله ليشفع له هناك ولا يكلفن نفسه عناء التهذيب وأعمال البر ، وقد بين الله تعالى لبني اسرائيل خطأهم في هذا الاعتقاد بما فيه عبرة لهذه الأمة ثم خاطب المؤمنين بذلك وأنذرهم ما أنذر به بني اسرائيل ، وما تغني الآيات والنذر عن قوم يحرفون الكلام عن مواضعه كما فعل بعض المفسرين الذين زعموا أن قوله تعالى «والكافرون هم الظالمون» يدل على أن الكافرين بأصل الدين هم الذين لا ينفعهم يوم القيامة بيع ولا خلة ولا شفاعة . أي هذا النفي العام المستغرق لمنفعة الفداء والخلة

هولاء يعالجون بقوله تعالى ﴿ ياأيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة ﴾ قرأ أبو عمرو وابن كثير ويعقوب : لا بيع: وما عطف عليه بالفتح والباقون بالرفع

قالوا ان المراد بالانفاق هنا الانفاق الواجب لأن الكلام يتضمن الوعيد على الترك وهو لا يكون الا على ترك الواجب وقال بعضهم بل يشتمل المندوب . ومن الواجب على أغنياء المسلمين اذا وقع الفساد في الامة وتوقفت ازالته على المال ان يبذلوه لدفع المفاسد الفاشية والغوائل الغاشية وحفظ المصالح العامة . أقول وفي قوله تعالى « مما رزقناكم » إشعار بأنه لا يطلب منهم الا بعض ما جعلهم مستخلفين فيه من رزقه ونعمه عليهم فأين هذا من الطلب بصيغة الإقراض ؟ .

كأنه يقول اننا مارزقناكم الرزق الحسن واستخلفناكم فيه الا وقد نقلناه من أيدي قوم أساؤا التصرف فحبسوا المال وأمسكوه عن المصالح والمنافع التي يرتقي بها شأن البشر بالتعاون على البر والخير فلا تكونوا مثلهم فانهم ظلموا أنفسهم وقومهم ببخلهم فكانوا كافرين بنعم الله تعالى عليهم اذ لم يضعوها في مواضعها ولذلك ختم الآية بقوله ﴿ والكافرون هم الظالمون ﴾ وسيأتي بيانه

أما البيع والخلة والشفاعة فللمفسرين في بيان المراد بنفيها طريقان أحدهما ان المراد بالبيع الكسب بأي نوع من أنواع المبادلة والمعاوضة والمراد بالخلة — وهي الصداقة والمحبة للقرابة وغيرها — لازمها وهو ما يكون وراءها من الكسب كالصلة والهدية والوصية والإرث ، وبالشفاعة وهي معروفة لازمها فى الكسب وهو ما يكون من اقطاعات الملوك والأمراء لبعض الناس وانما يكون غالبا بالتوسل اليهم والشفاعة عندهم فهذه الثلاث من طرائق جمع المال وسعة الرزق فى الدنيا فهو يقول يا أيها الذين آمنوا بادروا الى الانفاق في سبيل الله مما تناله أيديكم وأنتم متمكنون منه بتغاء مرضاة الله به قبل أن يأتي يوم الجزاء الذي لا تجدون فيه ما تتقربون به اليه مما يكسب ببيع وتجارة ، ولا مما ينال بخلة أو شفاعة ، فانه هو اليوم الذي يظهر فيه فقر العباد وكون الملك لله الواحد القهار ،

وأما الطريق الثاني فقد فسروا فيه البيع بالافتداء وجعلوا فيه الخلة والشفاعة على

فيعطون من مال الامة ما أرادوا لمن أرادوا ، ويسلبون من أموال الرعية ما أحبوا فينفقونه على من أحبوا ، ويحكمون من شايعهم على ظلمهم ، في أنفس الخاضعين لحكمهم ، ولا يشايعهم الا من كان فاسد الاخلاق سيء الاعمال يؤثر هواهم على رضوان الله — ان كان يفكر في رضوان الله أو يؤمن به — وعلى مصلحة الامة فما يتمتع به أعوان الظالمين من المال والجاه بالباطل وما يناله أشياعهم من منافع شفاعتهم كل ذلك في حكم الله وشرعه من الشقاء لا من السعادة . أفعلى حكم هؤلاء الظالمين، نقيس حكم رب العزة في يوم الدين ، ؟ أين نحن اذًا من قوله (٢١ : ٤٧ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تُظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين*) اذا خفي شقاء هؤلاء الملوك وأشياعهم على الجاهل في طور الإملاء والاستدراج فانه لا يخفى على أهل العلم بسنن الله في الخلق ويعرف ذلك كل أحد يوم يأخذهم الله بظلمهم ، ويسلط عليهم من يسلب ملكهم ،وتشقى بهم الأمة التي رضيت بأحكامهم . فهل يشبه الله تعالى بهؤلاء الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون ، سبحان ربك رب العزة عما يصفون*

أقول لا يبعد أن يكون في قوله تعالى بعد نفي الخلة والشفاعة «والكافرون هم الظالمون» تعريضا بهؤلاء الملوك الذين يمنحون بالشفاعة غير المستحق ويمنعون المستحق ويعاقبون بها البريء ويعفون عن المجرم ، والمراد بالكافرين الكافرون بالنعم بقرينة السياق وهم الذين لا ينفقون في سبل البر والخير وقد قصر الظلم عليهم كما أفادت الجملة المعرفة الطرفين تشنيعاً لحالهم كأن كل ظلم غير ظلمهم ضعيف لا يعتد به لأنهم ظلموا أنفسهم ودنسوها برذيلة البخل ومنع الحق وظلموا الفقراء والمساكين وغيرهم من الأصناف الذين فرضت لهم الصدقة بمنعهم مما فرض الله لهم وظلموا الامة باهمال مصالحها المعبر عنها بسبيل الله . وإن أمة يؤدي أغنياؤها ما فرض الله عليهم لفقرائها ولمصالحها العامة لا تهلك ولا تخزى ولا شيء أسرع في إهلاك الأمة من فشوّ البخل ومنع الحق في أفرادها

وأقول ان هذا الكفر والظلم مما يتهاون فيه المسلمون في هذه الأزمنة وفي أزمنة قبلها لظنهم أن جميع ما في القرآن من وعيد الكافرين يراد به الكافرون

والشفاعة خاص بمن لا يسمي نفسه مسلما ، وأما من قبل هذا الاسم فان الآية لا تتناولهم وان كان الخطاب فيها للذين آمنوا . وستعلم أن لفظ الكافرين لا يراد به هنا منكرو الالوهية والنبوة أو رافضو لقب الإسلام ، لان هذا اصطلاح لم يلتزمه القرآن ،

سبق القول في الشفاعة والجزاء والفداء في تفسير آية « واتقوا يوما » التي استشهدنا بها آنفا فلا نعيده . ولكن بدا لي أن أكتب جملة وجيزة في مسألة قياس عالم الغيب على عالم الشهادة ، في التماس السعادة بالإسعاد والشفاعة ، فأقول تقدم ان القياس باطل على تقدير صدق ظنهم في سعادة الدنيا لأن الشفاعة المعروفة عند الملوك والحكام — وهي أكبر الشبهات في هذا المقام — مما يستحيل على الله عز وجل لأن الشفيع هنا يحدث في ذهن المشفوع عنده من الرأي والعلم بالمصلحة وفي قلبه من الميل والأثر مالم يكن فيهما فيعفو ويصفح ، أو يهب ويمنح ، إما بهذه العاطفة ، وإما بتلك المعرفة ، لأن عمل الانسان في الدنيا يصدر عن أحد هذين المصدرين في النفس أو كليهما . وأما أفعال الله تعالى فهي تابعة لعلمه وحكمته وسائر صفاته القديمة التي يستحيل ان يطرأ عليها تغيير ما . وهذه هي الشفاعة التي يتعلق بها السفهاء المغرورون وقد نفاها الله تعالى في هذه الآية وغيرها من الآيات وبين فيها وفي آيات أخرى كثيرة جدا أن سعادة الآخرة انما تنال بالاعمال الصالحة مع الايمان الصحيح المؤثر في الوجدان ، المصرف للارادة في الأعمال ،

وانما الذي أريد ان أقوله هنا هو ان السعادة الدنيوية الحقيقية التي يعرفها الشرع ، ويؤيده الاختبار والعقل ، هي في الأنفس لا في الآفاق . أعني أنها لا تنال باسعاد الأخلاء ، ولا بشفاعة الشفعاء ، انما العمدة فيها على اعتدال النفس في أخلاقها وأعمالها ، وصحة عقائدها ومعارفها ، ويتبع هذا في الغالب صحة الجسم ، وسهولة طرق الرزق ، والسلامة من الخرافات والأوهام ، التي تفتك بالعقول والاجسام ، ويظهر صدق هذا القول ظهورا بينا تقل فيه الشبهات في البلاد التي تساس بالعدل ويكون الحكام فيها مقيدين بأحكام الشريعة التي تكفلها الامة وانما تعرض الشبهات على صدقه في البلاد التي يحكم فيها السلاطين بارادتهم وأهوائهم

وهم ظالمون ١١٤ فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا وأشكروا نعمة الله ان كنتم إياه تعبدون*)فالوعيد الاول دنيوي وهو على كفر النعمة. والثاني مثله وهو على الظلم فى الاعتقاد . والآية الثالثة صريحة في أن الإيمان الصحيح والتوحيد الخالص يقتضي شكر النعم وحسن العمل . ومن الوعيد على الظلم بعذاب الآخرة قوله تعالى(١٩ : ٧٦ ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً *)أي في النار . وقوله(٤٢ : ٤٥ ألا إن الظالمين فى عذاب مقيم*)وأما وعيد الظالمين بعذاب الدنيا كهلاك الامة فكثير كقوله تعالى (١١ : ١٠٢ وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهي ظالمة ان أخذه أليم شديد*)

اذا تدبرت هذه الآيات وأمثالها علمت أن مانقل عن عطاء لاوجه له وأن الظالمين والكافرين في كتاب تعالى وفي حكمه سواء وأن الكفر والظلم في العمل أثر الكفر والظلم في الاعتقاد الامالا يسلم منه البشر من اللمم فقد يلمّ بالمؤمن الذنب بجهالة أونسيان أوغلبة انفعال ثم يعود عن قريب ولا يصرّ على الذنب وهو يعلم . وان مانحن بصدده من الانفاق في سبيل الله ليس من اللمم فالمنع له لا يتفق مع الايمان الصحيح والدين الخالص من الشوائب . ويعجبني ماقاله البيضاوي في تفسير هذه الجملة قال «يريد والتاركون للزكاة هم الذين ظلموا أنفسهم اذ وضعوا المال في غير موضعه وصرفوه على غير وجهه . فوضع الكافرون موضعه تغليظا وتهديدا كقوله (٩:٧ ومن كفر) مكان: ومن لم يحج : وايذانا بأن ترك الزكاة من صفات الكفار كقوله (٤١: ٦ وويل للمشركين ٧ الذين لا يؤتون الزكاة) اه وقد صدق فى قوله ان منع الزكاة من صفات الكفار أي لا يصر عليها المؤمن فتكون صفة له

قال الاستاذ الامام مامعناه: لو فتشتم عن خفايا النفس لوجدتم أن العلة الصحيحة في منع الزكاة ونحوها من النفقات الواجبة هي أن حب المال أعلى في قلب المانع من حب الله تعالى وشأن المال أعظم في نفسه من حقوق الله عز وجل لان النفس تذعن دائما لما هو أرجح في شعورها نفعا ، وأعظم في وجدانها وقعا ، مهما تعارضت وجوه المنافع . ولو وزنتم جميع أنواع الظلم الذي يصدر من الانسان لوجدتم أرجحها ظلم الباخل بفضل ماله على ملهوف يغيثه ومضطر يكشف ضرورته أو على المصالح العامة التي

بالمعنى الخاص في اصطلاح المتكلمين والفقهاء وهم الجاحدون للألوهية أو للنبوة أو لشيء مما جاء به النبي (ص) وعلم من الدين بالضرورة اجماعا وهذه الآية نفسها تبطل ظنهم وفي معناها آيات كثيرة . ثم انهم يروون عن عطاء انه قال الحمد لله الذي قال والكافرون هم الظالمون ولم يقل والظالمون هم الكافرون : يعني أنه لا يكاد يسلم امرؤ من ظلم لنفسه ولغيره فلو كان كل ظالم كافرا يهلك الناس . وقد فات صاحب هذا القول أن الظلم والكفر في القرآن يتواردان على المعنى الواحد فيطلقان تارة على ما يتعلق بالاعتقاد وتارة على ما يتعلق بالعمل ومنه الحكم بين الناس و يقابل هذه الآية في الجمع بينهما في المعنى قوله تعالى(٦ :٣٣ ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون*) ومن استعمال الظلم بمعنى الاعتقاد الباطل قوله(تعالى ٣١ : ١٣ ان الشرك لظلم عظيم*) وقوله تعالى(٦ :٨٢ الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون*) فسر الظلم هنا في الحديث المرفوع المتفق عليه بالشرك وتلا صلى الله عليه وسلم الآية السابقة شاهدا . ومن استعمال الكفر بمعنى كفر النعم بعمل السوء قوله تعالى (١٤ :٧ واذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد*) بل استعمل الكفر في القرآن بمعنى لغوي غير مذموم وذلك قوله تعالى (٥٧ :٢٠ كمثل غيث أعجب الكفار نباته) الكفار هنا بمعنى الزراع سموا بذلك لأنهم يكفرون الحب بالتراب أي يغطونه و يسترونه والستر والتغطية هو المعنى العام لهذه المادة . ولم يستعمل الظلم في معنى محمود قط فالظلم في جملة معانيه شر من الكفر في جملة معانيه

ثم ان الله تعالى توعد على الظلم بالهلاك والعذاب كما توعد على الكفر سواء كانا بالمعنى الاول أو الثاني. قال تعالى(١٤ :٢٧ ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار ٢٩ جهنم يصلونها وبئس القرار ٣٠ وجعلوا لله أندادا ليضلوا عن سبيله قل تمتعوا فان مصيركم الى النار *) الوعيد الاول على كفر النعمة بعمل السيئات وترك الاعمال النافعة الصالحة والوعيد الثاني على الشرك وكلاهما من وعيد الآخرة . وقال تعالى (١٦ : ١١٢ وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ١١٣ ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فأخذهم العذاب

سبيل الله فمنكم من يبخل، ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه، والله الغني وأنتم الفقراء، وان تتولوا يستبدل قوما غيركم، ثم لا يكونوا أمثالكم

(٢٥٥) اللّهُ لاَ إِلهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ. لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الأَرْضِ ، مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ ، يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ ، وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمٰوٰتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَؤُدُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ *

بعد أن أمرنا تعالى بالانفاق في سبيله قبل ان يأتي يوم لا مال فيه ولا كسب، ولا ينجي من عقابه فيه شفاعة ولا فداء، انتقل كدأب القرآن الى تقرير أصول التوحيد والتنزيه التي تشعر متدبرها بعظيم سلطانه تعالى ووجوب الشكر له والاذعان لأمره والوقوف عند حدوده و بذل المال فى سبيله وتحول بينه و بين الغرور والاتكال على الشفاعات والمكفرات التي جرأت الناس على نبذ كتاب الله وراء ظهورهم فقال

﴿ الله لا آله الا هو الحي القيوم ﴾ فسر الجلال الاله بالمعبود بحق والحي بالدائم البقاء والقيوم بالمبالغ بالقيام بتدبير خلقه وقد استحسن الاستاذ الامام قوله في تفسير كلمة التوحيد وقال ان تفسيره لكلمة اله هو الشائع وهو انما يصح اذا حملنا العبادة على معناها الحقيقي وهو استعباد الروح واخضاعها لسلطان غيبي لا تحيط به علما، ولا تعرف له كنها ، فهذا هو معنى التأليه في نفسه وكل ما ألهه البشر من جماد ونبات وحيوان وانسان فقد اعتقدوا فيه هذا السلطان الغيبي بالاستقلال أو بالتبع لاله آخر أقوى منه سلطانا، ومن ثم تعددت الآلهة المنتحلة وكل تعظيم واحترام ودعاء ونداء يصدر عن هذا الاعتقاد فهو عبادة حقيقية وان كان المعبود غير اله حقيقة أي ليس له هذا السلطان الذي اعتقده العابد له لا بالذات ولا بالتوسط الى ماهو أعظم منه . فالاله الحق هو الذي يعبد بحق وهو واحد والالهة التي تعبد بغير حق كثيرة جدا وهي غير آلهة في الحقيقة ولكن في الدعوى الباطلة التي يثيرها الوهم . ذلك ان الانسان اذا رأى أو سمع أو توهم ان شيئا غريبا

تقي أمته مصارع الهلكات ، أو ترفعها على غيرها درجات ، أو تسد الخروق التي حدثت في بناء الدين ، أو تزيل السدود والعقبات من طريق المسلمين، فان هذا النوع من الظلم هو الذي لا يعذر صاحبه بوجه من وجوه العذر التي يتعلل بها سواه من ظالمي أنفسهم أو التي قد تكون اعذارا طبيعية فيمن لم يؤخذ بأدب الدين كثورة الغضب وسورة الشهوة العارضة

(قال) ترى كثيرا من أغنياء المسلمين عارفين بما عليه أمتهم من الجهل بأمور الدين ومصالح الدنيا وفساد الاخلاق وتقطع الروابط وتراخي الأواخي وما نشأ عن ذلك من هضم حقوقها وانتزاع منافعها من أيدي أبنائها ويعلمون أن اصلاحهم يتوقف على بذل شيء من أموالهم ينفق على التربية والتعليم ونحوهما من المنافع العامة ثم هم يدعون الى بذل قليل من كثير ماخزنوه في صناديق الحديد وما ينفقونه في شهواتهم ولذاتهم وتأييد أهوائهم وحظوظهم فيبخلون بذلك ويرونه مغرما ثقيلا ولا يحفلون بوعد الله للمنفقين في سبيله ولا وعيده للباخلين بفضله . وأمثال هؤلاء لا يستحقون ان يكونوا من المسلمين لانه لا يوجد في نفس الواحد منهم عرق ينبض في التألم لمصائب الاسلام وأهله فمن كان يرى ان ماله أفضل من دينه في الوجدان والعمل وهواه أرجح من رضوان الله فهو كافر حقيقة وان سمى نفسه مؤمنا فما ايمانه الا كايمان من نزل فيهم (٢:٨ ومن الناس من يقول آمنا بالله و باليوم الآخر وماهم بمؤمنين*) فهناك يحكي عنهم دعوى الايمان ويحكم عليهم بعدمه لأن عملهم لا يشهد لايمانهم وههنا يعبر عنهم بالكافرين . ومن المستبعد ان يطلق الله تعالى هذين الوصفين على من كان للايمان في قلبه بقية تبعثه على الانفاق في سبيله إيثارا لرضوانه وخشيته على الشهوات والحظوظ الباطلة وترجيحا لحبه على حب المال . وأزيد على هذه المعاني المتعلقة بجوهر الدين وما به النجاة في الآخرة التنبيه الى العبرة بشقاء الدنيا الذي يترتب على ترك الانفاق وأقول ماذا يبلغ وزن ايمان هؤلاء اذا وضع في ميزان القرآن وقوبل بمثل قوله في خطاب المؤمنين بعد الامتنان عليهم بأنه لم يسألهم انفاق جميع أموالهم منذراً اياهم بأن البخل قاض باهلاكهم واستبدال قوم آخرين بهم (٤٧:٢٧ ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في

« معنى الوجود وان كان بديهيا عند العقل ولكنه يتمثل له بالظهور ثم الثبات والاستقرار وكمال الوجود وقوته بكمال هذا المعنى وقوته بالبداهة

« كل مرتبة من مراتب الوجود تستتبع بالضرورة من الصفات الوجودية ماهو كمال لتلك المرتبة في المعنى السابق ذكره والا كان الوجود لمرتبة سواها وقد فرض لها . مايتجلى للنفس من مُثُل الوجود لاينحصر وأكمل مثال في أي مرتبة ماكان مقرونا بالنظام والكون على وجه ليس فيه خلل ولا تشويش فان كان ذلك النظام بحيث يستتبع وجودا مستمرا وان في النوع كان أدلّ على كمال المعنى الوجودي في صاحب المثال

« فان تجلت للنفس مرتبة من مراتب الوجود على ان تكون مصدراً لكل نظام كان ذلك عنوانا على انها أكمل المراتب وأعلاها وأرفعها وأقواها

« وجود الواجب هو مصدر كل وجود ممكن كما قلنا وظهر بالبرهان القاطع فهو بحكم ذلك أقوى الوجودات وأعلاها فهو يستتبع من الصفات الوجودية مايلائم تلك المرتبة العلية وكل ما تصوره العقل كمالا في الوجود من حيث مايحيط به من معنى الثبات والاستقرار والظهور وأمكن ان يكون له وجب ان يثبت له وكونه مصدرا للنظام وتصريف الأعمال على وجه لااضطراب فيه يعدّ من كمال الوجود كما ذكرنا فيجب ان يكون ذلك ثابتا له فالوجود الواجب يستتبع من الصفات الوجودية التي تقتضيها هذه المرتبة مايمكن أن يكون له

« فما يجب ان يكون له صفة الحياة وهي صفة تستتبع العلم والارادة وذلك ان الحياة ممـا يعتبر كمالا للوجود بداهة فان الحياة مع مايتبعها مصدر النظام وناموس الحكمة وهي في أي مراتبها مبدأ الظهور والاستقرار في تلك المرتبـة فهي كمال وجوديّ ويمكن ان يتصف بها الواجب وكل كمال وجودي يمكن ان يتصف به وجب ان يثبت له فواجب الوجود حيّ وان بايَنَتْ حياته حياة الممكنات فان ماهو كمال للوجود انما هو مبدأ العلم والارادة ولولم تثبت له هذه الصفة لكان في الممكنات ماهو أكمل منه وجودا وقد تقدم انه أعلى الوجودات وأكملها فيه

« والواجب هو واهب الوجود ومايتبعه فكيف لو كان فاقدا للحياة يعطيها؟

صدر عن موجود بغير علة معروفة ولا سبب مألوف يتوهم أنه لو لم تكن له تلك السلطة العليا والقوة الغيبية لما صدر عنه ذلك . حتى ان الذين يعتقدون النفع ببعض الشجر والجماد كشجرة الحنفي ونعل الكاشي يعدون عابدين لهما حقيقة . (١)
والحاصل ان معنى «لا اله الا هو» ليس في الوجود صاحب سلطة حقيقية على النفوس يبعثها على تعظيمه والخضوع له قهرا منها معتقدة ان بيده منح الخير ورفع الضر بتسخير الاسباب أو بابطال السنن الكونية الا الله تعالى وحده

قال الاستاذ الامام وأما الحي فهو ذو الحياة وهي مبدأ الشعور والادراك والحركة والنمو ومثل لذلك بالنبات والحيوان فان كلا منهما حي وان تفاوتت الحياة فيهما فكانت في النبات أكمل منها في الحيوان . قال والحياة بهذا المعنى مما ينزه الله تعالى عنه لأنه محال عليه ولذلك فسر مفسرنا « الحيّ » بالدائم البقاء وهو بعيد جدا لا يفهم من اللفظ مطلقا وانما معنى الحياة بالنسبة اليه سبحانه مبدأ العلم والقدرة أي الوصف يعقل معه الاتصاف بالعلم والارادة والقدرة . وهذا الوصف يبطل قول الماديين الذين يزعمون ان مبدأ الكون علة تتحرك بطبعها ولا شعور لها بنفسها ولا بحركتها وما ينشأ عنها من الافعال والآثار . أي ان هذا النظام والإحكام في الخلق من آثار المادة الميتة التي لا شعور لها ولا علم

اختصر الاستاذ الامام في الدرس فلم يزد في الدرس على نحو ما ذكرنا في حياة الله تعالى شيئا والمتكلمون يستدلون على حياة الله تعالى بالعقل من وجهين أحدهما انه تعالى عليم مريد قدير وهذه الصفات لا تعقل الا للحي وفيه أنه من قياس الغائب على الشاهد كما يقولون أو من قياس الواجب على الممكن . وثانيهما أن الحياة كمال وجودي وكل كمال لا يستلزم نقصا يستحيل على الواجب فهو واجب له . وهذا ماقدمه الاستاذ الامام في رسالة التوحيد وقد قدم له مقدمة نفيسة في صفات الواجب قال رحمه الله تعالى :

---

(١) شجرة الحنفي شجرة عند جامع السلطان الحنفي المعروف بمصر تزار وتلتمس منها المنافع ودفع المضار . ونعل الكاشي نعل قديمة في تكية الشيخ الكاشي بمصر يتبرك بها و يقال ان الماء الذي يشرب عنها ينفع للتداوي من العشق

والماس والفحم الحجري من عنصر واحد

الشيخ : ان النبات لاحياة فيه ولو كان يعمل عمله الذي ذكرت في معنى النمو وكيفيته بما تقتضيه صفة الحياة التي أثبتها له لكان عالما بعمله ومختارا فيه ولم يرد بهذا نقل، ولا أثبته عقل ، فنموّ النبات انما يكون بمحض قدرة الله تعالى

الشاب : لادليل على أن للنبات علما ولا على أنه لاعلم له فهو في عمله كأعضاء الانسان وغيره من الحيوان التي تعمل أعمالا منتظمة لاشعور للانسان بها ولا هي صادرة عن علمه وتدبيره كأعمال المعدة والكبد في هضم الطعام فليس عندنا دليل على أن للمعدة علما خاصا ولا على انه لاعلم لها ولكننا نعلم أنها عضو حي بحياة صاحبه فاذا أبين منه ثم وضع فيه الطعام فانه لايعمل ذلك العمل . وكون كل شيء بقدرة الله لا يمنع أن يكون لكل شيء سبب فالله تعالى حكيم لا يعمل شيئا الا بنظام (٦٧ : ٣ ماترى في خلق الرحمن من تفاوت)

التلميذ : من أين تكون هذه الحياة النباتية للنبات والحياة الحيوانية للحيوان في هل المادة التى يتغذى بها النبات حية فيأخذ منها حياته ؟

الشاب : كلا إن مواد التغذية ليست حية بنفسها ألا ترى ان الانسان لا يأكل شيئا من الحيوان الا بعد إماتته بنحو الذبح والطبخ ولا يأكل نباتا الا بعد ازالة حياته النباتية ولو بالقطع والمضغ فقط ؟ وكذلك النبات . ولكن في النواة التي تتولد منها الشجرة والبيضة التى يتولد منها الحيوان حياة كامنة مستعدة للنموّ بالتغذية على ما نشاهد في الكون . وهذه الحياة مجهولة الكنه والمبدإ حتى اليوم وأمرها أخفى من أمر المادة في كنهها ومبدئها

الشيخ : اذا كنتم في علمكم هذا أرجعتم جميع العناصر التى تألفت منها مادة الكون الى شيء واحد عرف أثره ولم تعرف حقيقته – كما قلت في مبحث الوحدانية – فما بالكم تقفون في حياة بعض المواد كالنبات والحيوان وتقولون لا نعرف مبدأ حياته وحقيقتها وتقفون عند هذا الحد ولا تقولون ان الذي صدرت عن ذاته جميع الذوات هو الحي القيوم الذي صدرت عن حياته كل حياة ؟

الشاب : لاشك ان الوجود الواجب القديم هو حي كما انه قيوم فاذا كان

فالحياة له كما أنه مصدرها » اه

أقول وهذا تحقيق دقيق لاتجد مثله لغيرهذا الامام العارف والحكيم المحقق ولا يعقله الا أولو الالباب وقد كنت كتبت في كتاب العقائد الذي ألفته باقتراحه رحمه الله تعالى على وجه يليق بمعارف هـذا العصر ويفيد طلاب علومه كلاما في حياة الله تعالى قريبا من الافهام واطلع عليـه فاعجبـه وإنني أحب ايراده هنا لأني لم أر في كتب التفسير ولا في كتب الكلام كلاما ممتعا في هذا المقام. وهو وارد بأسلوب السؤال من تلميذ مبتدىء في المدارس والجواب من أخيه وهو عالم عصري طبيب نعبر عنـه بالشاب ومن أبيه وهو عالم صوفي نعبر عنـه بالشيخ وهذا نصه باختصارما

قال التلميذ : تنبت الشجرة صغيرة ثم تنمو حتى تكون في زمن قريب أضعاف ماكانت فمن أين تجـيء هذه الزيادة وكيف تدخل في بنيتها وتتفرق فتأخذ الساق منها حظا والفروع حظا وكذلك الورق والثمر

الشاب : ان هـذه الزيادة التي تدخـل في بنية النبات بعضها من الارض وبعضها من الهواء . والنبات جسم حيّ فهو بصفة الحياة يأخذ من عناصر الأرض والهواء ما يصلح لغذائه فيتغذى به كما يتغذى الحيوان بما يأكله ويشرب به وينمو بذلك كما ينمو الحيوان

التلميذ : اننا لانرى في الأرض ولا في الهواء شيئا من مادة النبات ولا من صفاته كاللون والطعم والرائحة

الشاب: انه يأخذ منها العناصر البسيطة فيأخذ من الهواء الاكسجين والنيتروجين (الازوت) وكذلك الكربون وبعض الاملاح التي توجـد في الهواء عادة وان لم تكن جزءا منه . ويأخذ من الأرض مايناسبه من عناصرها الكثيرة كالبوتاسا والفصفور والحـديد والجير والاملاح ويكوّن مما يأخذه من ذلك غـذاءه بعمل كيماوي منتظم يعجز عن مثله أعلم علماء الكيمياء . وقد علمت أن جميع هذه الصور المختلفة الاشكال والصفات انما اختلف بعضها عن بعض باختـلاف التركيب الكيماوي وعمل الطبيعة حتى ان مادّة السكر هي عين المادة التي يتكون منها الحنظل،

الحياة التي تشعر بكمال الوجود وكمال الايجاد بافاضة الحياة على الاحياء والقيومية وهي كونه قائما بنفسه أي ثابتا بذاته وكون غيره قائما به أي ثابتا وموجودا بإيجاده اياه وحفظه لوجوده بامداده بما يحفظ به الوجود من الاسباب . ومن معاني هذه القيومية القيام بالقسط كما قال تعالى (٣ : ١٨ شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط) والقسط هنا هو العدل العام في سننه الكونية وشرائعه . ومنها القيام على كل نفس بما كسبت كما قال (١٣ : ٣٣ أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت) .
وقد قصر المفسرون في بيان معنى (الحيّ) وقاربوا في معنى (القيوم) قال مجاهد هو القائم على كل شيء وقال الربيع هو قيّم كل شيء يكلؤه ويرزقه ويحفظه وقال قتادة القائم على خلقه بآجالهم وأعمالهم وأرزاقهم . وقال ابن الأعرابي من رواة اللغة معناه المدبر وقال الزجاج نحو قول قتادة . قال في شرح القاموس بعد نقل قول قتادة وقال غيره هو القائم بنفسه مطلقا لا بغيره وهو مع ذلك يقوم به كل موجود حتى لا يتصور وجود شيء ولا دوام وجوده الا به . قلت ولذا قالوا فيه انه اسم الله الأعظم اه والمادة تعطي هذه المعاني كلها . والغزالي يبدئ هذا المعنى في الاحياء ويعيده لاسيما في كتاب الشكر وكتاب التوكل ومما قاله في الأول وقد قسم الناس الى أقسام في شهودهم نعم الله وشكره قال :

« النظر الثاني نظر من لم يبلغ الى مقام الفناء عن نفسه وهؤلاء قسمان قسم لم يثبتوا الا وجود أنفسهم وأنكروا أن يكون لهم رب يعبد وهؤلاء هم العميان المنكوسون وعماهم في كلتا العينين لأنهم نفوا ماهو الثابت تحقيقا وهو القيوم الذي هو قائم بنفسه وقائم على كل نفس بما كسبت وكل قائم فهو قائم به . ولم يقتصروا على هذا حتى أثبتوا أنفسهم ولو عرفوا لعلموا أنهم من حيث هم هم لا ثبات لهم ولا وجود لهم وانما وجودهم من حيث أوجدوا لا من حيث وجدوا وفرق بين الموجود وبين الموجِد . وليس فى الموجود الا موجود واحد وموجد فالموجود حق والموجد باطل من حيث هو هو ، والموجود قائم وقيوم والموجد هالك فان . واذا كان كل من عليها فان فلا يبقى الا وجه ربك ذي الجلال والاكرام» اه

﴿لا تأخذه سنة ولا نوم﴾ السنة النعاس وهو فتور يتقدم النوم قال ابن الرقاع :

معنى قيوميته انه قائم بنفسه وكل شيء قائم به فكذلك هو حيّ بذاته وكل ماعداه من الأحياء فهو حي به أي انه يستمد حياته منه لأن هذه الأحياء كلها من نبات وحيوان هي حادثة والحادث هو ماكان وجوده من غيره لا من ذاته. فالحياة أمر وجودي بل هي أعلى مراتب الوجود فهل يقول عاقل : ان تلك الذات الأزلية قد صدرت عنها الاشياء كلها بلا حياة ثم ان بعضها أحدث لنفسه حياة ؟ هذه سخافة لاتخطر في بال عاقل فالإنسان أرقى الأحياء على هذه الأرض لأن من أثر حياته العلم بالكليات والإرادة والتدبير والنظام وهو عاجز عن هبة الحياة لنفسه ولغيره فغيره من الاحياء أحق بالعجز

التلميذ : اذا كانت الحياة التي أثرها العلم والارادة والتدبير والنظام هي أرقى مراتب الحياة وهي حياة الانسان ألا يلزم من ذلك مشابهة حياة الانسان لحياة الله تعالى لأن هذه الخصائص هي لحياة الله تعالى أيضاً

الشيخ : اعلم يابني أن ذات الله تعالى لاتشبه الذوات ، وصفاته لاتشبه الصفات ، فاذا طرأت عليك الشبهة في أثر الحياة فقط لأن حقيقتها مجهولة فتأمل الفرق بين الحياتين — ان حياة الله تعالى ذاتية وحياة الانسان من الله تعالى ، إن حياة الله تعالى أزلية وحياة الانسان حادثة ، ان حياة الله تعالى لاتفارقه وحياة الانسان تفارقه حين يموت . ان حياة الله تعالى هي التي تفيض الحياة على كل حيّ وحياة الانسان خاصة به . وكذلك العلم والتدبير والارادة والنظام كل ذلك ناقص في الانسان والله تعالى منزه عن النقص واليه ينتهي الكمال المطلق في ذاته وصفاته : اهـ المراد نقله من تلك العقيدة

وهذا الذي قلناه في بيان معنى «الحي القيوم» يجلي لمن وعاه ماروي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان هذا هو اسم الله الاعظم أو قال: أعظم أسماء الله الحي القيوم وقد أخرج أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه عن أسماء بنت يزيد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «اسم الله الاعظم في هاتين الآيتين (٢: ١٦٣ وإلهكم إله واحد لا إله الا هو الرحمن الرحيم * وفاتحة آل عمران ٣: ١ ألم الله لا إله الا هو الحي القيوم) فالآية الأولى تثبت له تعالى وحدانية الالوهية مع الرحمة الشاملة والثانية تثبت له مع الوحدانية

وأفسد في الارض ، وأعرض عن السنة والفرض ، من ذا الذي يقدم على هذا من عبيده ﴿ الا باذنه ﴾ والأمر كله له صورة وحقيقة . وليس هـذا الاستثناء نصا في ان الإذن سيقع وإنما هو كقوله (١١ : ١٠٥ يوم يأتي لا تـكـلّـم نفس الا باذنه) فهو تمثيل لانفراده بالسلطان والملك في ذلك اليوم (٨١ : ١٩ يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله) ولهذ قال البيضاوي في تفسير الجملة : « بيان لكبرياء شأنه وأنه لا أحد يساويه أو يدانيه ويستقل بأن يدفع ما يريده شفاعة واستكانة فضلا عن ان يعاوقه عنادا أو مناصبة » . وقال الاستاذ الامام ما محصله ان في هذا الاستثناء قطعا لأمل الشافعين والمتكلين على الشفاعة المعروفة الـتي كان يقول بها المشركون وأهل الكتاب عامـة ببيان انفراده تعالى بالسلطان والملك وعدم جراءة أحد من عبيده على الشفاعة أو التكلم بدون اذنه وأذنه غير معروف لأحد من خلقه ثم قال

﴿ يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ﴾ أي ما قبلهم وما بعدهم أو بالعكس أو أمور الدنيا التي خلفوها وأمور الآخرة التي يستقبلونها أو ما يدركون وما يجهلون . وهذا دليل على نفي الشفاعة بالمعنى المعروف وبيان ذلك انه لما كان عالما بكل شيء فعله العباد في الماضي وما هو حاضر بين أيديهم وما يستقبلهم وكان ما يجازيهم به مبنيا على هـذا العلم كانت الشفاعة المعهودة مما يستحيل عليه تعالى لانها لا تتحقق الا باعلام الشفيع المشفوع عنده من أمر المشفوع له وما يستحقه مالم يكن يعلم . مثال ذلك اذا اراد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان ينفي رجلا من المدينة ولا يمكن ان يريد ذلك وهو عادل الا اذا كان يعتقد المصلحة فيه بأن يكون الرجل مفسدا ضارًّا بالناس . فاذا شفع له شافع ولم يبين لعمر مالم يكن يعلم من أن المصلحـة في بقائه دون نفيه فانه لا يقبل شفاعته. هذا اذا كانت الشفاعة عند سلطان عادل كعمر واما اذا كانت عنـد سلطان جائر فيجوزان تقبل و يترك نفي المفسد الضارّ بالناس لاجل مرضاة الشفيع كأن يكون من أعوان السلطان وبطانته الذين يؤثر مرضاتهم على المصلحة العامة لأنهم يؤثرون هواه على المصلحة الحقيقية . وفي هذه الحال يظن الغافل ان الشفاعة ليس فيها اعـلام المشفوع عنده بما لم يكن يعلم ولو

وسنان أقصده النعاس فرنقت في عينه سنة وليس بنائم

والنوم معروف لكل أحد وان اختلف تعريفه من جهة بيان سببه قال البيضاوي «والنوم حال يعرض للحيوان من استرخاء أعصاب الدماغ من رطوبات الابخرة المتصاعدة بحيث تقف الحواس الظاهرة عن الاحساس رأسا» وهو قول الاطباء المتقدمين وللمتأخرين أقوال أخرى مختلفة سنشير الى بعضها .

قيل كان الظاهر ان ينفي النوم أولا والسنة بعده على طريق الترقي واجيب بأن ما في النظم جاء على حسب الترتيب الطبيعي في الوجود فنفى ما يعرض أولا ثم ما يتبعه . وقد قال : لا تأخذه : دون لا تعرض له أو لا تطرأ عليه مراعاة للواقع في الوجود فان السنة والنوم يأخذان الحيوان عن نفسه أخذا ويستوليان عليه استيلاء . وقال الاستاذ الامام: ان ماذكر في النظم الكريم ترق في نفي هذا النقص ومن قال بعدم الترقي فقد غفل عن معنى الاخذ وهو الغلب والاستيلاء ومن لا تغلبه السنة قد يغلبه النوم لأنه أقوى فذكر النوم بعد السنة ترق من نفي الاضعف الى نفي الاقوى : والجملة تأكيد لما قبلها مقررة لمعنى الحياة والقيومية على أكمل وجه فان من تأخذه السنة والنوم يكون ضعيف الحياة وضعيف القيام بنفسه أو على غيره

أقول و يظهر هذا على رأي المتأخرين في سبب أكمل الظهور وإن كان بديهيا في نفسه فانهم يقولون ان النوم عبارة عن بطلان عمل المخ بسبب ما تولده الحركة من السموم الغازية المؤثرة في العصب وقيل بسبب ما تفرزه الحويصلات العصبية من الماء الكثير بالفعل الكيماوي وقت العمل فكثرة هذا الماء تضعف قابلية التأثر فيها فتحدث فيها الفتور فيكون النوم و يستمر الى ان يتبخر ذلك الماء وعند ذلك تتنبه الاعصاب ويرجع اليها تأثرها وادراكها . فسبب النوم أمر جسماني محض والله تعالى منزه عن صفات الاجسام وعوارضها

﴿ له ما في السموات وما في الأرض﴾ فهم ملكه وعبيده مقهورون لسنته خاضعون لمشيئته وهو وحده المصرّف لشؤنهم والحافظ لوجودهم ﴿ من ذا الذي يشفع عنده﴾ منهم فيحمله على ترك مقتضى ما مضت به سنته ، وقضت به حكمته ، وأوعدت به شريعته ، من تعذيب من دسى نفسه بالعقائد الباطلة ، ودنسها بالأخلاق السافلة ،

هـذه وقلنا ان ماورد فى الحديث يأتي فيـه الخلاف بين السلف والخلف فى المتشابهات فنفوض معـنى ذلك اليه تعالى أو نحمله على الدعاء الذي يفعل الله تعالى عقبه ماسبق فى علمه الازلي ان سيفعله مع القطع بان الشافع لم يغير شيئا من علمه ولم يحـدث تأثيرا ما في إرادته تعالى وبذلك تظهر كرامة الله لعبده بما أوقع الفعل عقب دعائه أقول وبهـذا فسر الشـفاعة شيخ الاسلام ابن تيمية (رح) (وراجع تفسير آية ٤٨ واتقوا يوما الخ)

﴿ وسع كرسيه السموات والارض ﴾ قال الاستاذ الامام السياق يدل على أن الكرسي هو العـلم الإلهي وبذلك قال بعض المفسرين وأهل اللغة — ويقال كرس الرجل كفرح أي كثر علمه وازدحم على قلبه — أي ان علمه تعالى محيط بما يعملون مما عبر عنه بقوله « يعـلم ما بين أيديهم وماخلفهـم » وبما لا يعلمون من شؤون سائر الكائنات فبما ذا يمكن ان يعلمه الشفعاء . وقيل هو العرش واختاره مفسرنا (الجلال) وهو انمـا يثبت بخبر المعصوم وقيـل انه تمثيل لملك الله تعالى واختاره القفال والزمخشري والآية تدل على انه شيء يضبط السماوات والأرض ولا يتوقف التسليم بها على تعيينه والقول بأنه عـلم أو ملك أو جسم كثيف أو لطيف أي فان كان هو العلم الالهي فالأمر ظاهر وان كان خلقا آخر فهو من عالم الغيب الذي نؤمن به ولا نبحث عن حقيقته ولا نتكلم فيـه بالرأي كما قال كثيرون انه هـو الفلك الثامن المكوكب من الافلاك التسعة التي كان يقول بها فلاسفة اليونان ومقلدوهم فذلك من القول على الله بدون علم وهو من أمهات الكبائر

﴿ ولا يؤده حفظهما ﴾ أي لا يثقله حفظ هـذه العوالم بما فيها ولا يشق عليـه ﴿ وهو العليّ العظيم ﴾ فيتعالى بذاته ان يكون شأنه كشأن البشر في حفظ أموالهم، ويتنزه بعظمته عن الاحتياج الى من يعلمه بحقيقة أحوالهـم ، أو يستنزله الى مالم يكن يريد من مجازاتهم على أعمالهم، وأقول ان جملة الآية تملأ القلب بعظمة الله وجلاله وكماله حتى لا يبقى فيـه موضع للغرور بالشفعاء الذين يعظمهم المغرورون تعظيما خياليا غير معقول حتى ينسون انهـم بالنسبة الى الله تعالى عبيد مربوبون ، أو عباد مكرمون ، (٢١ : ٢٧ لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ٢٨ يعلم ما بين

رجع نظر البصيرة لرأى ان الشفيع قد أعلم السلطان ان هذا الرجل الجاني ممن يلوذ به و يهمه شأنه و يرضيه بقاؤه ولم يكن يعلم ذلك . فالشفاعة المعروفة التي يغتر بها الكافرون والفاسقون ويظنون أن الله تعالى يرجع عن تعذيب من استحق العذاب منهم لأجل أشخاص ينتظرون شفاعتهم هي مما يستحيل على الله تعالى لأنها وهي من شأن أهل الظلم والبغي تستلزم الجهل وهو ذو العلم المحيط ﴿ ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء ﴾ ومن علم شيئا منك فلا سبيل له الى التصدي لإعلامك به فما ذا عسى ان يقول من يريد الشفاعة عنده بالمعنى الذي يعهده الناس و يغتر به الحمقى الذين يرجون النجاة بها في الآخرة بدون مرضاة الله تعالى في الدنيا . قال الاستاذ الامام معناه ان الشفاعة تتوقف على اذنه واذنه لا يعلم الا بوحي منه تعالى يريد ان ذلك ترقٍّ في نفيها من دليل الى آخر أي اذا أمكن ان تكون هناك شفاعة بمعنى آخر يليق بجلال الله تعالى كالدعاء المحض فانه لا يجرأ عليها أحد في ذلك اليوم العصيب الا باذن الله تعالى واذنه تعالى مما استأثر بعلمه فلا يعلمه غيره الا اذا شاء إعلامه به ثم قال وانما يعرف اذنه تعالى بما حدده من الاحكام في كتابه أي فمن بين انه مستحق لعقابه فهو مستحق له لا يجرأ أحد ان يدعو له بالنجاة ومن بين أنه مستحق لرضوانه على هفوات ألمَّ بها لم تحوّل وجهه عن الله تعالى الى الباطل والفساد الذي يطبع على الروح فتسترسل في الخطايا حتى تحيط بها وتملك عليها أمرها فذلك مستحق له منته اليه بوعد الله في كتابه وفضله على عباده كما سبق في علمه الأزلي

ثم قال الاستاذ الامام قالوا ان للاستثناء في قوله تعالى « الا باذنه » واقعا وهو ان نبينا عليه الصلاة والسلام يشفع فى فصل القضاء فيفتح باب الشفاعة فيدخل فيه غيره من الشفعاء كالانبياء والأصفياء كما ثبت في الأحاديث وهي مسألة أنكرها المعتزلة وأثبتها أهل السنة . والله تعالى يأذن لمن يشاء ، و يطلع على علمه باستحقاق الشفاعة من يشاء ، كما علم من الاستثناء ، ونقول أجمع كل من أهل السنة والمعتزلة وسائر فرق المسلمين على كمال علم الله تعالى واحاطته وذلك يستلزم استحالة الشفاعة عنده بالمعنى المعهود كما سبق القول وقلنا هناك ان مثل هذا الاستثناء ورد في القرآن لتأكيد النفي و بذلك نجمع بين الآيات التي تنفي الشفاعة بدون الاستثناء وبين

الدين، ويرتضيه لها رؤساؤه الرسميين ، الا كلمة الشفاعة التي تزعم أنها
نبيين والصديقين ، وان جعلتها بمعنى وثني يخل بعظمة رب العالمين ،
غتر بذلك فشيطانه هو الذي يوسوس له ويمده في الغي ، وانها لنفوس
عظمة الله ولا شعرت بالحياء منه في حياتها ولاظهر في أعمالها أثر محبته،
دينه وشريعته ، وما أثر الايمان به والحب له والرجاء بفضله الا أخذ
وجد وآيته بذل المال والروح في إعلاء كلمته ، وتأييد شريعته ، لا
ليه وعلى رسوله بقبول لقب الاسلام، وتعظيمه بالقول والخيال ، دون
أعمال، والقرآن شاهد عدل، (٨٦: ٣ انه لقول فصل ١٤ وماهو بالهزل)

باب العقائد

﴿ مسألة القدر وفعل العبد بقدرته ﴾

في شرح عقيدة السفاريني بعد إبطال مذهب القدرية والجبرية وهم
الافراط والتفريط ما نصه

المتوسطون فهم أهل السنة والجماعة فلم يفرطوا تفريط القدرية النفاه، ولم يفرطوا
جبرية المحتجين بالقدر على معاصي الله، وهؤلاء على مذهبين مذهب
ومن وافقه من الخلف ومذهب سلف الأمة وأئمة السنة فمذهب أهل
ة ان جميع أنواع الطاعات والمعاصي والكفر والفساد واقعة بقضاء الله وقدره
سواه فافعال العباد مخلوقة لله تعالى خيرها وشرها حسنها وقبيحها والعبد غير
أفعاله بل هو قادر عليها هذا القدر باتفاق أهل السنة ثم ان الاشعري ومن وافقه
ت للعبد كسبا ومعناه انه قادر على فعله وان كانت قدرته لا تأثير لها في ذلك كما
شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه هذا قول الاشعري ومن وافقه من
در من الفقهاء وطوائف من أهل السنة من أصحاب مالك والشافعي
حيث لا يثبتون في المخلوقات قوى ولا طبائع ويقولون ان الله تعالى فعل
لا بها ويقولون ان قدرة العبد لا تأثير لها في الفعل ويقول الاشعري ان الله

أيديهم وماخلفهم ولا يشفعون الالمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون *) فمن تدبر هـذه الآيات وأمثالها ممـا ورد في علم الله وعظمته وانفراده بالسلطة لاسيما في ذلك اليوم وهو يوم الدين فان عظمته تعالى لاتدع في نفسه غرورا بل يوقن بان لاسبيل الى السعادة في الآخرة الابمرضاة الله تعالى في الدنيا فمن لم يكن مرضيا لله تعالى لا يتجرأ أحد على الشفاعة له كما تلوت في الآية الكريمة آنفا. واتل أيضاً قوله تعالى عن ذلك اليوم (٢٠ : ١٠٨ يومئذ يتبعون الداعي لاعوج له وخشعت الاصوات للرحمن فلا تسمع الا همسا ١٠٩ يومئذ لاتنفع الشفاعـة الا من أذن له الرحمن ورضي له قولا ١١٠ يعلم ما بين أيديهم وماخلفهم ولايحيطون به علما ١١١ وعنت الوجوه للحي القيوم وقد خاب من حمل ظلما ١١٢ ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فـلا يخاف ظلما ولا هضما ١١٣ وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا وصرّفنا فيه من الوعيد لعلهـم يتقون أو يحدث لهم ذكرا *) وأنك لتجد المسلمين يترنمون بهذه الآيات وقلما تحدث لأحد منهم ذكرا يصرفه عن حمل الظلم لنفسه ولغيره والاعتماد في النجاة على وعد الله لمن يعمل الصالحات وهو مؤمن بل ترى الجماهير يعرضون عن هـذا الذكر ويرجون النجاة والسعادة في الدنيا والآخرة بالشفاعات فقط

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها ان السفينة لاتجري على اليبس

قال الاستاذ الامام مامثاله مبسوطا: جملة الآية ومافي معناها إنذار للمسلمين ان يكونوا كأهل الكتاب الذين يتكلون في نجاتهم على شفاعة سلفهم فأوقعهم ذلك في ترك المبالاة بالدين ولكن المسلمين اتبعوا بعد ذلك سننهم شبرا بشبر وذراعا بذراع وسبقوهم في الاتكال على الشفاعة وما يترتب عليـه من التهاون بالدين كما نرى. — هذه القلوب التي خويت من ذكر الله وخلت من خشيته للجهل بما يجب من معرفته وهي على خطر الهلاك الأبدي - وهـذه النفوس المنغمسة في أقذار الشهوات ، المسترسلة في فعل المنكرات ، وهي تشعر بأنها على شفير جهنم — تريد ان تتلهى بما يصمها عن سماع نذير الشريعـة للفطرة التي أفسدتها الجهالات والأهواء لكيلا تتألم بما ينغص عليها لذاتها، أو يحتم عليها طاعة ربها ، فلا ترى أُلهية

من ان الله تعالى يخلق السحاب بالرياح و ينزل الماء بالسحاب و ينبت النبات بالماء ولا يقولون القوى والطبائع الموجودة في المخلوقات لا تأثير لها بل يقرون بأن لها أثرا لفظا ومعنى لكن يقولون هذا التأثير هو تأثير الاسباب في مسبباتها والله تعالى خالق السبب والمسبب ومع انه خالق السبب فلابد للسبب من سبب آخر يشاركه ولابد له من معارض يمانعه فلا يتم أثره الا مع خلق الله له بأن يخلق الله السبب الآخر ويزيل الموانع وقال شيخ الاسلام في موضع آخر الاعمال والاقوال والطاعات والمعاصي هي من العبد بمعنى انها قائمة به وحاصلة بمشيئته وقدرته وهو المتصف بها والمتحرك بها الذي يعود حكمها عليه وهي من الله بمعنى انه خلقها قائمة بالعبد وجعلها عملا له وكسبا كما يخلق المسببات باسبابها فهي من الله مخلوقة له ومن العبد صفة قائمة به واقعة بقدرته وكسبه كما اذا قلنا هذه الثمرة من الشجرة وهذا الزرع من الارض بمعنى انه حدث منها ومن الله بمعنى انه خلقه منها لم يكن بينهما تناقض قال فالحوادث تضاف الى خالقها باعتبار والى أسبابها باعتبار كما قال تعالى (١٥:٢٨ هذا من عمل الشيطان) وقال (٦٣:١٨ وما انسانيه الا الشيطان) مع قوله (٧٨:٤ كل من عند الله) وأخبر أن العباد يفعلون و يصنعون و يعملون ويؤمنون و يكفرون و يفسقون و يتقون و يصدقون ويكذبون وقال في موضع آخر ان ائمة أهل السنة يقولون ان الله خالق افعال العباد كما ان الله خالق كل شيء وانه تعالى خالق الاشياء بالاسباب وانه تعالى خلق للعبد قدرة بها يكون فعله وان العبد فاعل لفعله حقيقة فقولهم في خلق فعل العبد بارادته وقدرته كقولهم فى خلق سائر الحوادث باسبابها وقد دلت الدلائل اليقينية على ان كل حادث فالله خالقه وفعل العبد من جملة الحوادث وكل ممكن يقبل الوجود والعدم فان شاء الله كان وان لم يشأ لم يكن وفعل العبد من جملة الممكنات قال وجمهور المسلمين "وجمهور طوائفهم على هذا القول الوسط الذي ليس هو قول المعتزلة ولا قول جهم بن صفوان واتباعه الجبرية" فمن قال ان شيأ من الحوادث أفعال الملائكة والجن والأنس لم يخلقها الله تعالى فقد خالف الكتاب والسنة وإجماع السلف والادلة العقلية ولهذا قال بعض السلف من قال ان كلام الآدميين وأفعال العباد غير مخلوقة " فهو بمنزلة من يقول

فاعل فعل العبد وان عمل العبد ليس فعلا للعبد بل كسبا له قال شيخ الاسلام وهذا قول من ينكر الاسباب والقوى التي في الاجسام وينكر تأثير القدرة التي للعبد التي يكون بها الفعل ويقول انه لا أثر لقدرة العبد أصلا في فعله لكن الاشعري يثبت للعبد قدرة محدثة واختيارا ويقول ان الفعل كسب للعبد لكنه يقول لا تأثير لقدرة العبد في ايجاد المقدور وهو مقام دقيق حتى قال بعضهم ان هذا الكسب الذي أثبته الاشعري غير معقول قال حتى قال جمهور العقلاء ثلاثة أشياء لا حقيقة لها طفرة النظام وأحوال أبي هاشم وكسب الاشعري وذلك انه يلزم ان لا يكون فرق بين القادر والعاجز اذ مجرد الاقتران لا اختصاص له بالقدرة فان فعل العبد يقارن حياته وعلمه وارادته وغير ذلك من صفاته فاذا لم يكن للقدرة تأثير الا مجرد الاقتران فلا فرق بين القدرة وغيرها ومن هذه الطائفة من يقول ان قدرة العبد مؤثرة في صفة الفعل لا في أصله كما يقوله القاضي أبو بكر الباقلاني من أئمة متكلمة الاشعرية ومن وافقه فانه أثبت تأثيرا بدون خلق الرب فلزم ان يكون بعض الحوادث لم يخلقه الله وان جعل ذلك معلقا بخلق الرب فلا فرق بين الاصل والصفة قيل ومذهب الاشعري يقرب في هذه المسئلة من مذهب الجبرية الجهمية فانه يحكى عن الجهم بن صفوان وغلاة اتباعه انهم سلبوا العبد قدرته واختياره حتى قال بعضهم ان حركته كحركة الاشجار بالرياح كما تقدم قال شيخ الاسلام ابن تيمية ان الجهم كان يقول لا أثر لحركة العبد أصلا في فعله وكان يثبت مشيئة الله تعالى وينكر أن يكون له حكمة ورحمة وينكر ان يكون للعبد فعل أو قدرة مؤثرة قال وقد حكي عنه انه كان يخرج الى الجذمى ويقول أرحم الراحمين يفعل هذا ؟ انكارا لأن يكون له تعالى رحمة يتصف بها سبحانه زعما منه انه ليس الا مشيئة محضة لا اختصاص لها بحكمة بل يرجح أحد المتماثلين بلا مرجح

ومذهب سلف الأمة وائمتها وجمهور أهل السنة المثبتة للقدر من جميع الطوائف يقولون ان العبد فاعل لفعله حقيقة وان له قدرة حقيقية واستطاعة حقيقية ولا ينكرون تأثير الاسباب الطبيعية بل يقرون بما دل عليه الشرع والعقل

الشيخ محمد المقدسي القشاشي ما نصه : مذهب الشيخ امام الحرمين الذي تفرد به فيما قيل عن الاصحاب يعني الاشعرية من ان أصل فعل العبد واقع منه بتأثير قدرته باذن الله قال وهو مذكور في غير الارشاد وهو آخر قوليه كما نقله عنه البقي فلا يقدح مخالفته ما في الارشاد وبقية كتبه التي وصلت الى التفتازاني وغيره لما هو المنقول عنه في غير الارشاد وبقية كتبه في هذا الفن المرجوع عنها في هذه المسئلة قال الكوراني وهذا الكتاب الذي ذكر فيه آخر قوليه هو كتابه المترجم بالنظامية فيما وقفت على كلامه منقولا عنه بلفظه في كتاب (شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل) للعلامة شمس الدين ابن القيم في الباب السابع عشر منه ولفظه : اضطربت آراء اتباع الاشعري في الكسب اضطرابا عظيما واختلفت عباراتهم فيه اختلافا كثيرا وقد ذكر ذلك كله أبو القاسم سلمان بن ناصر الانصاري في شرح الارشاد ثم ساق عن تلميذ امام الحرمين شارح الارشاد هذا الانصاري كلاما فيه ان إمام الحرمين ذكر لنفسه مذهبا ذكره في الكتاب المترجم بالنظامية وانفرد به عن الاصحاب ثم قال صاحب كتاب شفاء العليل في آخر كلام شارح كتاب الارشاد المذكور

قلت الذي قاله الامام في النظامية أقرب الى الحق مما قاله الاشعري وابن الباقلاني ومن تابعهما ونحن نذكر كلامه بلفظه قال يعني امام الحرمين : قد تقرر عند كل حاظ بعقله مترق عن مراتب التقليد في قواعد التوحيد ان الرب سبحانه وتعالى مطالب عباده بأعمالهم وداعيهم اليها ومثيبهم ومعاقبهم عليها وتبين بالنصوص التي لا تتعرض بالتأويلات انه أقدرهم على الوفاء بما طالبهم ومكنهم من التوصل الى امتثال الامر والانكفاف عن مواقع الزجر ولو ذهبت أتلو الآي المتضمنة لهذه المعاني لطال المرام ولا حاجة الى ذلك مع قطع اللبيب المنصف به ومن نظر في كليات الشرائع وما فيها من الاستحثاث والزواجر عن المعاصي الموبقات وما نيط ببعضها من الحدود والعقوبات ثم تلفت على الوعد والوعيد وما يجب عقده من تصديق المرسلين في الانباء وقول الله لهم لم تعديتم وعصيتم وأبيتم وقد أرخيت لكم الطول وفسحت لكم المهل وأرسلت الرسل وأوضحت المحجة لئلا يكون للناس

ان سماء الله وارضه غير مخلوقة والحاصل ان مذهب السلف ومحققي أهل السنة ان الله تعالى خلق قدرة العبد وارادته وفعله وان العبد فاعل لفعله حقيقة ومحدث لفعله والله سبحانه جعله فاعلا له محدثا له قال تعالى (وما تشاؤن الا أن يشاء الله) فأثبت مشيئة العبد وأخبر انها لا تكون الا بمشيئة الله تعالى وهذا صريح قول أهل السنة في اثبات مشيئة العبد وانها لا تكون الا بمشيئة الرب قال شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله روحه وهذا قول جمهور أهل السنة من جميع الطوائف وهو قول كثير من أصحاب الاشعري كأبي اسحق الاسفرايني وامام الحرمين وغيرهما فيقولون العبد فاعل لفعله حقيقة وله قدرة واختيار وقدرته مؤثرة في مقدورها كما تؤثر القوى والطبائع والاسباب كما دل على ذلك الشرع والعقل قال تعالى (فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات) وقال (فأحيا به الارض بعد موتها) وقال (ويهدي به كثيراً) وهذ كثير في الكتاب والسنة يخبر تعالى انه يحدث الحوادث بالاسباب وكذلك دل الكتاب والسنة على اثبات القوى والطبائع للحيوان وغيره كما قال تعالى (فاتقوا الله ما استطعتم) وقال (هو أشد منهم قوة) وقال فى الجمادات (واخرجت الارض أثقالها) وقال (واهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج) وقال (تدمِّرُ كل شيء بأمر ربها) وقال (وأرسلنا الرياح لواقح ـ وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقَّق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله ـ وقيل يا أرض ابلعي ماءك و ياسماء أقلعي وغيض الماء وقضي الامر واستوت على الجودي) وقال تعالى (كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه) وهذا في القرآن كثير جدا

وقال السعد التفتازاني فى شرح المقاصد بعد ما نقل الخلاف ملخصا ما نصه :

ثم المشهور فيما بين القوم المذكور في كتبهم ان مذهب امام الحرمين ان فعل العبد واقع بقدرته وارادته ايجابا كما هو رأي الحكماء مع قول الامام في الارشاد اتفق ائمة السلف قبل ظهور البدع والاهواء على ان الخالق هو الله ولا خالق سواه وان الحوادث كلها حدثت بقدرة الله من غير فرق بين ما يتعلق قدرة العبد به و بين ما لا يتعلق: قال العلامة ابراهيم الكوراني في شرح منظومة شيخه

قدرة العبد مخلوقة لله تعالى باتفاق القائلين بالصانع والفعل المقدور بالقدرة الحادثة واقع بها قطعا لكنه يضاف الى الله سبحانه تقديرا وخلقا فانه وقع بفعل الله وهو القدرة وليست القدرة فعلا للعبد وانما هي صفة له وهي ملك له تعالى وخلق له فاذا كان موقع الفعل خلقا لله فالواقع به مضاف خلقا الى الله تعالى وتقديرا وقد ملك الله العبد اختياراً يصرف به القدرة فاذا أوقع بالقدرة شيأ آل الواقع الى حكم الله من حيث أنه وقع بفعل الله ولو اهتدت الى هذا الفرقة الضالة لم يكن بيننا وبينهم خلاف ولكنهم ادعوا استبدادا بالاختراع وانفرادا بالخلق والابتداع فضلوا وأضلوا (قال) ونبين تميزنا عنهم بتفريع المذهبين فانا لما أضفنا فعل العبد الى تقدير الاله قلنا أحدث الله القدرة في العبد على أقدار أحاط بها علمه وهيأ اسباب الفعل وسلب العبد العلم بالتفاصيل وأراد من العبد ان يفعل فأحدث فيه دواعي مستحثة وخيرة وإرادة وعلم ان الافعال ستقع على قدر معلوم فوقعت بالقدرة التي اخترعها للعبد على ما علم وأراد فاختيارهم واتصافهم بالاقدار والقدرة خلق الله ابتداء ومقدورها مضاف اليه مشيئة وعلما وقضاء وخلقا وفعلا من حيث انه نتيجة ما انفرد بخلقه وهو القدرة ولو لم يُرد وقوع مقدورها لما أقدره عليه ولما هيأ أسباب وقوعه ومن هدي لهذا استمر له الحق المبين فالعبد فاعل مختار مطالب مأمور منهي وفعله تقدير لله مراد له خلق مقضي (قال) ونحن نضرب في ذلك مثلا شرعيا يستروح اليه الناظر في ذلك فنقول العبد لا يملك أن يتصرف في مال سيده ولو استبد بالتصرف فيه لم ينفذ تصرفه فان أذنه في بيع ماله فباعه نفذ والبيع في التحقيق معزو الى السيد من حيث ان سببه اذنه ولولا اذنه لم ينفذ التصرف ولكن العبد يؤمر بالتصرف وينهى ويوبخ على المخالفة ويعاقب فهذا والله الحق الذي لا غطاء دونه ولا امراء فيه لمن وعاه حق وعيه (وأما الفرقة الضالة) فانهم اعتقدوا انفراد العبد بالخلق ثم صاروا اذا انه عصى فقد انفرد بخلق فعله والرب كاره أفكان العبد على هذا الرأي الفاسد مزاحما لربه في التدبير موقعا ما أراد إيقاعه شاء الرب أو كره؟.

الى هنا كلام امام الحرمين في النظامية بلفظه فيما نقله عنه كذلك الامام المحقق ابن القيم في شفاء العليل ونقله العلامة ابراهيم الكوراني الأشعري في شرح منظومة شيخه

على الله حجة وأحاط بذلك كله ثم استراب فى ان أفعال العباد واقعة على حسب ايثارهم واختيارهم واقتدارهم فهو مصاب في عقله أو مستقر على تقليده مصمم على جهله ففي المصير الى انه لا أثر لقدرة العبد في فعله قطع طلبات الشرائع والتكذيب بما جاء به المرسلون فان زعم من لم يوفق لمنهج الرشاد انه لا أثر لقدرة العبد في مقدوره أصلا واذا طولب بمتعلق طلب الله بفعل العبد تحريما وفرضا ذهب في الجواب طولا وعرضا وقال لله ان يفعل مايشاء ولا يتعرض للاعتراض عليه المتعرضون «لا يسأل عما يفعل وهم يسئلون» قيل له ليس لما جئت به حاصل كلمة حق أريد بها باطل نعم يفعل الله مايشاء ويحكم مايريد ولكن يتقدس عن الخلف ونقيض الصدق وقد فهمنا بضرورات المعقول من الشرع المنقول انه عزت قدرته طالب عباده بما أخبر انهم ممكنون من الوفاء به فلم يكلفهم الا مبلغ الطاقة والوسع فى موارد الشرع ومن زعم انه لا أثر للقدرة الحادثة في مقدورها كما لا أثر للعلم في معلومه فوجه مطالبة العبد بأفعاله عنده كوجه مطالبته بان يثبت في نفسه ألوانا وادراكات وهذا خروج عن حد الاعتدال الى التزام الباطل والمحال وفيه ابطال الشرائع ورد ما جاء به النبيون عليهم الصلاة والسلام فاذا لزم المصير الى القول بأن العبد خالق أعماله فانه فيه الخروج عما درج عليه السلف الائمة واقتحام ورطات الضلال ولا سبيل الى المصير الى الوقوع في ان فعل العبد بقدرته الحادثة والقدرة القديمة فان الفعل الواحد يستحيل حدوثه بقادرين اذ الواحد لا ينقسم فان وقع بقدرة الله استقل بها ويسقط أثر القدرة الحادثة ويستحيل ان يقع بعضه بقدرة الله فان الفعل الواحد لا بعض له وهذه مهواة لا يسلم من غوائلها الا مرشد موفق اذ المرء بين ان يدعي الاستبداد وبين ان يخرج نفسه عن كونه مطالبا بالشرائع وفيه ابطال دعوة المرسلين وبين ان يثبت نفسه شريكا لله في ايجاد الفعل الواحد وهذه الاقسام بجملتها باطلة ولا ينجي من هذا الملتطم ذكر اسم محض ولقب مجرد من غير تحصيل معنى وذلك ان قائلا لو قال ان العبد يكتسب وأثر قدرته الاكتساب والرب تعالى مخترع خالق لما العبد مكتسب له قيل له فما الكسب وما معناه وأديرت الاقسام المذكورة على هذا القائل فلا يجد عنه مهربا — ثم قال يعني امام الحرمين — فنقول

الكسب عند الاشعري تحصيل العبد بقدرته المؤثرة باذن الله ما تعلقت به مشيئته الموافقة لمشيئة الله وتقرير كلامه على هذا الوجه موافق لما قال امام الحرمين من التوسط الذي يتحصل به مؤدى الامر والنهي من المكلف بلا تكلف قال الكوراني ثم رأيت من نصوص الشيخ الاشعري رحمه الله في كتابه الابانة الذي هو آخر تصانيفه كما ذكره الامام شيخ الاسلام ابن تيمية وهو أي كتاب الابانة المعول عليه في المعتقد من بين كتبه كما دل عليه كلام الحافظ ابن عساكر ما يدل على انه أي الاشعري انما نفى الاستقلال لا أصل التأثير باذن الله وتمكينه وحينئذ يكون امام الحرمين موافقا للاشعري في التحقيق المعتمد عنده في الابانة ثم قال الكوراني وهذا قول أبي اسحق الاسفرايني قال وهو الموافق لظاهر الكتاب والسنة قال وقول أبي اسحق الاسفرايني وامام الحرمين هو الذي اختاره حجة الاسلام الغزالي فانه قال في كتاب الشكر من الاحياء ولا قادر الا الملك الجبار وقال في جواهر القرآن في باب المحبة لا قدس ولا قدرة ولا علم الا للواحد الحق وانما لغيره القدرة التي أعطاه الخ وقال في الاحياء وما هو قادر عليه يعني الانسان من نفسه أو غيره فليست قدرته من نفسه و بنفسه بل الله خالقه وخالق قدرته وأسبابه والممكن له من ذلك ولو سلط بعوضة على أعظم ملك وأقوى شخص من الحيوانات لاهلكه فليس للعبد قدرة الا بتمكين مولاه قال الكوراني فهو قائل ان للعبد قدرة مؤثرة بتمكين الله لا مستقلا وهذا التمكين هو المعبر عنه بالاذن في قوله تعالى «وماهم بضارين به من أحد الا باذن الله» انتهى ملخصا وانما ذكرت لك أقاويل هؤلاء مع ان عمدة المعتقد عندنا الغير المنتقد في عقدنا مذهب السلف المقرر على الوجه المرضي المحرر لتعلم ان محققي الاشاعرة لهم موافقة على حقيقة مذهب السلف والاغضاء عما ينمقه الخلف وبالله التوفيق اه

(المنار)

أوردنا هذا الكلام هنا للذين لا يعرفون من كتب العقائد الا كتب متأخري الاشعرية القائلة بأن لا تأثير للاسباب في مسبباتها ولا لقدرة الانسان في عمله وأن الله يخلق المسبب عند السبب لا به وأن العبد كاسب لعمله في الظاهر مجبور عليه في الحقيقة

القشاشي ولا يخفى على من نظر في كلامه تصريحه في غير موضع بان العبد له تأثير في فعله بالاختيار ومراده ان العبد ليس مستقلا في ايقاع أفعاله بمجرد مشيئته وان لم توافق مشيئة الحق بل انما تؤثر قدرته اذا شاء الله ذلك ومكنه منه وهو المعبر عنه بالاذن قال الكوراني اختار هذا شيخنا والف فيه سابقا رسالة سماها الانتصار لامام الحرمين فيما شنع فيه عليه بعض النظار ثم اختصرها وزاد فيها نقولا وقف عليها فيما بعد وسماه اختصار الانتصار ثم وقفنا على كتاب شفاء العليل لابن القيم المنقول فيه كلام إمام الحرمين في النظامية فأعجبه ذلك وأمر بإلحاقه بآخر اختصار الانتصار ليعلم الواقف عليه ان النقل عنه بالتأثير بالاذن صحيح خلافا لمن أنكر ثبوته عنه من المتأخرين قال الكوراني وقال شيخنا في شرح المواهب اللدنية على قوله تعالى « ومارميت اذ رميت ولكن الله رمى » من غزوة بدر واعتقاد جماعة ان المراد بالآية سلب فعل النبي صلى الله عليه وسلم عنه واضافته الى الله وجعلهم ذلك أصلا في الجبر وابطال نسبة الافعال الى العباد فبسط الكلام في اثبات الكسب على طريقة امام الحرمين وتأييده بدلائل الكتاب والسنة الى ان نقل عنه كلامه المذكور في النظامية ثم قال وفي شفاء العليل قال الأشعري رحمه الله وابن الباقلاني الواقع بالقدرة الحادثة هو كون الفعل كسبا دون كونه موجودا أو محدثا فكونه كسبا وصف للوجود بمثابة كونه معلوما انتهى وفهموا من ذلك ان لا تأثير لقدرة العبد يعني عند الاشعري في مقدوره كما لا تأثير للعلم في معلومه فقالوا في قدرة العبد انها مصاحبة غير مؤثرة قصدا الى التوسط قال وتفسير كلام الاشعري بهذا ميل عن التوسط الذي هو الحق وانما التوسط المحصل للكسب النافي لطرفي الافراط والتفريط من الاستقلال والجبر هو القول بان لقدرة العبد تأثيرا ولكن باذن الله لا على الاستقلال فاللائق ان يفسر كلام الاشعري بما يتنزل على هذا التوسط وكلامه قابل للتأويل لانه ليس نصا في عدم التأثير فان أوله يدل على ان الكسب واقع بالقدرة الحادثة والوقوع فرع التأثير نعم آخر كلامه يعطي ان لا تأثير لها حيث شبهه بتعلق العلم بالمعلوم على ان الاشعري نص في عامة كتبه على ما يدل على التأثير على ما نقله عنه صاحب شفاء العليل ثم حط القشاشي كلامه على ان

وسلم وقد قال الله تعالى « ما ننسخ من آية أو ننسها » :

ولو كانت هذه المسألة من العقائد الاسلامية الواجبة لما أنكرها بعض أئمة المسلمين المتقدمين والمتأخرين كأبي مسلم الاصفهاني وغيره . على أن المتمسكين بها ليس عندهم دليل يعتد به على صحة مذهبهم وسنفسر ان شاء الله الآيات التي توهموا أنها تفيدهم في تأييد رأيهم وحسبنا أن القرآن لم يقل في موضع مَّا أن هذه الآية ناسخة أو منسوخة بأخرى . ولا يحل لنا أن نترك العمل بشيء من كتاب الله تعالى لفهم فاهم أولوهم واهم وأيضا فليس عندهم دليل قطعي على تقدم المنسوخ وتأخر الناسخ في كثير من المواضع بل ان بعض الآيات التي ادعوا أنها منسوخة تجدها في القرآن متأخرة عن الناسخة كآية العدة في سورة البقرة مثلا ولما وجدوا ذلك زعموا ولا دليل لهم أن الآية المشار اليها نزلت أولا ولم يبالوا بأن ذلك ينافي حسن ترتيب الآيات في سورها وان كان هذا الترتيب توقيفيا بالاجماع . اننا لا ندري لِمَ كانت بعض الآيات منسوخة عندهم ولم تكن ناسخة أي كيف يمكنهم تمييز ما يجب العمل به وما يجب تركه مع أنه لم يرد في الكتاب ما يرشدهم الى ذلك . وهل يعقل أن الله يترك عباده يتخبطون فى أمور دينهم مع أنه يقول في شأن القرآن (٤٣ : ٥٢ جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا) . فاذا كان مذهب النسخ صحيحا أفليس من الابهام وعدم البيان أن يكون القرآن خاليا من التنبيه على ما نسخ وعلى مالم ينسخ ؟ أو ليس من أعجب العجب أن لا يوجد عند القائلين به حديث واحد متفق عليه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتبر نصا قاطعا صريحا على أن الآية أو الآيات الفلانية نسخت بالآيات الفلانية !!! وما بالهم لم يتفقوا على عدد مخصوص من الآيات ؟ ولِمَ يتركون دعواهم النسخ في آية اذا تحققوا أن لا تعارض بينها وبين غيرها ؟!

غلاَ الناس في هذه المسئلة غلوًّا حتى انهم أرادوا أن يجعلوها فنا من الفنون التي تؤلف فيها الكتب ولاجل أن يجعلوا أبواب هذا الفن كاملة زعموا أن النسخ على ثلاثة أضرب (١) ما نسخ لفظه وحكمه معا (٢) ما نسخ لفظه فقط (٣) ما نسخ حكمه فقط . ثم التمسوا لكل ضرب شواهد ولو بالتمحل البعيد والخروج عن أساليب البلاغة بل اللغة حتى ليخيل للناظر اليها أن القرآن ضاع منه شيء ففتح باب واسع

وتعزوا هذا الى الاشعري وكبارانصاره ليعلموا أن كلام الاشعري ليس نصافي ذلك وأن اكبر أنصار مذهبه وهم امام الحرمين والاسفرايني والغزالي قالوا بخلاف ذلك فلم يبق الاالباقلاني عليه فهل نحصر السنة فيه دون السلف وسائر أئمة الاشعرية

باب أصول الفقه

الناسخ والمنسوخ

للدكتور محمد توفيق أفندي صدقي الطبيب بسجن طره

أجملت الكلام في هذا الموضوع حينما كتبت مقالات (الدين في نظر العقل الصحيح) لضيق الوقت وكثرة الاشغال وقد رأيت الآن أن أعود اليه بايضاح يزيل ما هذر به السفهاء من الناس الطاعنين في الاسلام . الذين يعدون النسخ في القرآن دليلا على كونه من عند غير الله وكونه لم يحفظ كاملا كما نعتقد وليعلم هؤلاء المساكين أن ما يقذفونه به ليس إلا حصى لا تزحزح طودا من مكانه. ولولا غفلة المنتمين الى هذا الدين لما وجد القوم حصاة واحدة يرمونه بها ظنا منهم أنها تؤلمه.

القول بالنسخ في القرآن ليس من عقائد الاسلام البتة وإنما هو مذهب في التفسير نشأ غالبا في العصر الأول ان صحت الروايات الآحادية الواردة في هذا الباب. والذين قالوا به منهم انما أخذوه من ظاهر قوله تعالى ٢: ١٠٥ «ما ننسخ من آية أو ننسها» لآية فكان اذا عرض لواحد منهم اشتباه في فهم بعض آيات القرآن التي بينها شبه خلاف تمسك بهذا القول لرفع ما عرض له . وليس فهم بعض الصحابة حجة فى التفسير والا لما خالف جمهور المفسرين ابن عباس وهو أعلمهم بالتفسير في كثير من المسائل ولما خالف بعضهم بعضا في نفس هذه المسألة حتى كان بعضهم كأبيّ مثلا يقول اني لا أدع شيئا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد بذلك أنه لا يترك حكما ما بدعوى أنه منسوخ وكان عمر ينكر عليه ذلك كما ورد في صحيح البخاري عن ابن عباس أن عمر قال: أقرؤنا أبيّ وأقضانا علي وانا لندع من قول أبيّ وذاك أن أبيا يقول لا أدع شيئا سمعته من رسول الله صلى الله عليه

السطور وبعد أن سمعوها منه مرات عديدة في الصلوات والخطب وغيرها وسمعها هو ايضا منهم . ارتقت الاحوال بعد وفاته وتيسر لهم كتابة جميعه على الورق ففعلوا ذلك ونسخوا منه مصاحف بلهجات العرب المختلفة . ولما وُلّيَ عثمان الخلافة أمر بالاقتصار على لغة قريش خوفا من وقوع الاختلاف في القرآن فكتبت المصاحف بهذه اللغة الواحدة بعد التحري والتدقيق فيما كتب قبل ذلك وبعد السماع من الحفاظ وكان ذلك بعد وفاة النبي بسنين قليلة ثم أرسلت المصاحف الى الآفاق التي استعمرتها الصحابة رضوان الله عليهم وفيهم الحافظون للقرآن فى صدورهم وفي صحفهم فوافقوا جميعا على استعمال هذه المصاحف. هذا ومن عرف طباع العرب وشدتها تحقق أنه لو وجد في مصاحف عثمان عيب لرفضوها ولأثيرت حروب وأهرقت دماء ولقتل عثمان لهذا السبب ولوجدت مصاحف مختلفة بين المسلمين اليوم ولكن لم يحصل شيء من ذلك مطلقا . فدل ذلك على أن هذه المصاحف هي عين ما تلقوه عن النبي صلى الله عليه وسلم ثم أخذت طرق كتابتها تتحسن شيئا فشيئا حتى وصلت الى الحالة الحاضرة من النقط والشكل ولا يوجد بينها اختلاف مطلقا قديمها وحديثها شرقيها وغربيها الا ما كان خطأ مطبعيا أو سهو ناسخ . ويهيمن على هذه المصاحف آلاف الألوف من الحفظة في جميع الاقطار وفي جميع الازمنة . هذا هو تاريخ القرآن كما تواترت به الاخبار وما خالف ذلك من الاخبار الآحادية يجب رفضه ولا يعبأ به . وهذا هو الكتاب الذي نؤمن به ونعتقد أنه لا ناسخ فيه ولا منسوخ بل جميع آياته محكمة يجب العمل بها جميعها . ومن شاء أن يعارض فى ذلك فعليه بالدليل . فليس هو ككتب الأديان الاخرى حرمت قراءتها على العامة ولم يحفظها الخاصة في صدورهم فلعبت بها الاهواء ، وتعددت فى شأنها الآراء ،

لو كان الاسلام دين عجائب وغرائب كغيره مما بني على حكايات رويت بالروايات اللسانية ولم تكتب الا بعد زمن وقوعها بمدة تكفي لضياعها أو الخلط فيها أو ادخال الدخلاء فيها ما ليس منها ولما كتبت لم يكن عند أهلها فن تحقيق الأسانيد وتحريها الذي لم يعرف الا عند المسلمين — لو كان الاسلام كهذه الأديان لحق لأهله الخوف من الطعن في أمثال هذه الروايات . ولكن

لكل شيطان يريد أن يؤيد دعوى باطلة له لا يوافقه عليها القرآن فيختلق ماشاء أن يختلق ويزعم أنه كان قرآنا ونسخ ثم يلبس لباس الصالحين والرواة الثقاة ليقبل المحدثون روايته ٠ وقد اعترف بعض من تاب بذلك ولولا اعترافه ماعرف ٠ فما يدرينا أن بعض الملحدين أو بعض الفرق الغلاة ظهر بالمظهر الذي غر الناس حتى صدقوه في دعاويه ٠ فهل بعد ذلك نثق بأي رواية لم نتواتر في مثل هذه المسائل حتى يجرنا ذلك الى الطعن في المتواتر نفسه ٠ فالخطة المثلى في تحقيق الحق وازهاق الباطل عند العقلاء أن لا يعتمدوا الا على ماتواتر ويرفضوا كل ماخالفه والا لفقدوا التمييز ولما أمكنهم التصديق بشيء مّا الا اذا أدركوه بحواسهم مع أننا مضطرون للتصديق بأشياء كثيرة لم نحسها ٠

اضطرب مبدأ القائلين بالنسخ كثيرا ٠ فبعد أن قالوا لانسخ الا في الامر والنهي تجدهم يسلمون بالروايات الدالة على نسخ اللفظ مع أن جلها ليس الا أخبارا كما في رواية (لو كان لابن آدم واديا لاحب أن يكون له الثاني) الى آخره ٠ ولو عقل هؤلاء القوم لوجدوا أن لامناسبة بين أسلوبها وأسلوب القرآن مطلقا بحيث لو عرضت والقرآن على ذي ذوق وهو أجنبي عن المسلمين لحكم أن قائلهما لا يمكن ان يكون واحدا بدون تردد اللهم الا فيما كان مسروقا منه كرواية « ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ألا أبشروا أنتم المفلحون » على أنها لاتخلو من تكلف وتنافر بين الجملتين يدل على ان التأليف مصنوع

لهذا كله ذهب جميع المحققين من أئمة المسلمين الى أن أمثال هذه الروايات الآحادية لا يثبت بها قرآن ولا ينفى بها ولذلك لايعتد أحد بالروايات الدالة على أن الفاتحة والمعوذتين ليست من كتاب الله ولو سلمنا جدلا أن أحد الصحابة أنكرها فلا يعتد بشذوذه ومخالفته جميع من عداه منهم

نزل القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم فبلغه للناس وحفظوه عنه وأمر بكتابته دون سواه فكتبه له كتبة الوحي وكتبه غيرهم لأنفسهم على ماتيسر لهم في ذلك الوقت من جلد أو ورق أو عظم أو جريد أو خشب الى غير ذلك مما أمكنهم الحصول عليه ٠ ولم يمت عليه السلام الا بعد أن كانت جميع السور مرتبة الآيات محفوظة في صدور الجماهير مكتوبة في

الاختبار ان الصفح والاحسان لايجدي مع العدو نفعا ولايزيده الاطغيانا واسترسالا في الاذى الى درجة أن يسفك دماءهم ويغتصب أموالهم وأعراضهم ويخرجهم من ديارهم ولا يراعي لهم عهدا ولا يرقب فيهم إلاًّ ولا ذمة . لما تحققوا ذلك وقووا أمروا أن يردوه عن غيه ويكسروا شوكته وينتقموا منه مع مراعاة العدل في كل ذلك . والخلاصة أن الصبر على الاذى والاحسان الى المسيء مأمور بهما في القرآن كثيرا ولكن لافي كل وقت ولا الى غير حد ويفضلان على الأخذ بالمثل الا اذا جرا الى الوبال وسوء الحال . ومن فهم ذلك علم أن لاتعارض بين آيات القرآن في هذا الشأن فان لكل مقام مقالا . وعليه فلا معنى للقول بالناسخ والمنسوخ هنا لاختلاف الحالين وقد أدرك ذلك كثير من علماء المسلمين كالسيوطي وغيره . هذا ولما كان الواجب علينا اقتفاء أثر النبي في كل شيء وجب علينا أن تكون خطته خطتنا فنجرب أولا اللين فان لم ينجع فالشدة . الا اذا خفنا أن يضيع اللين مركزنا ويمكن العدو منا . فقد وصانا الله تعالى بالخوف من العدو كثيرا فقال (ياأيها الذين امنوا خذوا حذركم) وقال (وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة) ولذلك لم يهمل النبي صلى الله عليه وسلم ولا خلفاؤه الراشدون أحدا ممن ناصبهم العداوة وتربص بهم الفرص حتى يسلبهم ماحصلوا عليه من القوة ويتمكن من الفتك بهم

(الثانية) مسألة القبلة — لايخفى على ناظر في الكتاب العزيز أن هذه المسألة ليس فيها نسخ للقرآن وانما هي نسخ لحكم لا ندري هل فعله النبي عليه السلام باجتهاده أم بأمر من الله تعالى غير القرآن فان الوحي غير محصور في القرآن فقد قال الله تعالى ٥٣ : ١٠ (فأوحى الى عبده ما أوحى) أي في ليلة المعراج ولا ندري جميع ماأوحاه الله اليه في تلك الليلة سوى ما بلغنا اياه من أمر فرض الصلوات الخمس . وأيضا فقد يوحى اليه بشيء في منامه كرؤياه دخول المسجد الحرام المذكورة في قوله تعالى ٤٨ : ٢٧ (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام) الآية فقد كانت هذه الرؤيا وحيا اليه قبل أن ينزل فيها القرآن وهي تشبه رؤيا ابراهيم أن يذبح ابنه فقد كانت وحيا له أيضا في منامه . اذا ليس كل وحي قرآنا وانما القرآن مايمكن

الاسلام – ولله الحمد – دين عقل وعلم أسس على كتاب كتب في عهد نبيه وحفظ في الصدور . فما بال أهله قلدوا غيرهم وخافوا من رفض أمثال هذه الأحاديث الآحادية مع أنه لو رفضت جميعها بما فيها الاحاديث الدالة على صحة الاسلام كأحاديث المعجزات الكثيرة وغيرها لا الموجبة للطعن فيه فقط لما ضرنا ذلك شيئا . فما بالنا اليوم أخذنا نسب كل من فتح هذا الباب ونكفره مع أنه لم ينكر أصلا من أصول الدين . فليتق الله عقلاء المسلمين .

كم من دخيل دخل في رواة أحاديث جميع الاديان والملل ؟ كم من حق ضاع بين باطل ؟ كم من موضوعات رفضها المحققون ؟ ألم يخرج البخاري رضي الله عنه أحاديثه وهي أربعة آلاف من ستمئة ألف حديث ؟ وهو شخص واحد يجوز عليه الخطأ لانه ليس معصوما . فما هذا الجمود يا أمة محمد (ص) ودينكم أرقى من ذلك . ولولا أنتم لما وجد سفيه قشا يضربنا به .

ولنرجع الى تتميم موضوعنا فنقول أما ما تمسك به هؤلاء الجامدون من القرآن الشريف على صحة مذهبهم فهو لا يفيدهم شيئا ولذلك أذكرها هنا أشهر الآيات التى تمسكوا بها وأتكلم عليها واحدة فواحدة بما يشفي العليل ويروي الغليل :

(الآية الأولى) آية السيف وهي فى سورة التوبة ٩:٥ (فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم الآية) فقالوا انها نسخت جميع الآيات الامرة بالعفو والصبر والصفح ولو تأملوا قليلا لوجدوا أن أكثر هذه الايات مشعرا بالتوقيت والغاية الى أجل كقوله تعالى (فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره . فتول عنهم حتى حين . واصبر حتى يحكم الله . فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون) الى غير ذلك من الايات التى تشعر بأن ترك المدافعة والمقاتلة كان موقتا . ومن القواعد الاصولية المعروفة أنه اذا ورد حكم مطلق وآخر مقيد في موضوع واحد حمل المطلق على المقيد . وعليه فالآيات المطلقة الواردة في هذا الموضوع يجب أن تقيد بالتوقيت مثلا قوله تعالى (فاصفح الصفح الجميل . وقوله فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين) كل منهما موقت أي ان الأمر بالصفح والاعراض لا الى غير أجل ولم يكن دائما فلما تحقق المسلمون بعد طول

(الآن) للدلالة على القصر فكأنه قال (الآن فقط) يتساهل معكم ولا يوجب هذا الأمر الشاق عليكم ولكنه في المستقبل يحتم عليكم الاستماتة في القتال .

(الرابعة) قوله تعالى ٥٨ : ١٢ ياأيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة ذلك خير لكم وأطهر فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم * ١٣ أأشفقتم أن تقدموا بين يدى نجواكم صدقات فاذلم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الله ورسوله والله خبير بما تعملون * والمعنى أن الله ندبهم الى تقديم الصدقات للفقراء قبل مناجاة الرسول في شأن من شؤونهم والدليل على أن ذلك ندب قوله (ذلك خير لكم وأطهر) وكذا ماسيأتي بعد ثم قال (فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم) أي ان من كان هذا شأنهم لا يؤاخذهم على ترك هذا الأمر إذا لم يجدوا ما يتصدقون به أما من تركه بلا عذر فالله يلومه ويوبخه ثم قال (أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات) أي أخفتم وهو استفهام بمعنى النهي كقوله (أتخشونهـم فالله أحق أن تخشوه) أي لا تخافوا الفقر من تقديم الصدقات فان الله يخلفها ويجازيكم عليها بالخير في الآخرة (فاذلم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصلاة) أي ان تهاونتم ولم تفعلوها والحال أن الله تاب عليكم بان لم يجعلها أمرا محتما واجبا يعاقبكم عليه ان تركتموه فلا تتهاونوا في الواجبات كاقامة الصلاة وإيتاء الزكاة واطاعة الله والرسول فان الله لا يسامحكم في ذلك . وأيضا فان قيامكم بهذه الواجبات يكفر عنكم تهاونكم في المندوبات فلا يلومكم الله على تركها على حد قوله في آية أخرى ٤ : ٣. (ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم)

(الخامسة) قوله تعالى (٢ : ١٠٦ ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير ١٠٧ ألم تعلم أن الله له ملك السموات والارض وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير ١٠٨ أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل) الآية هنا هي ما يؤيد الله تعالى به الانبياء من الدلائل على نبوتهم والمعنى ما ننسخ من اية نقيمها دليلا على نبوة نبي من الانبياء أي نزيلها ونترك تأييد نبي آخر بها

تشبيهه بما يسمى عندنا الآن بالأوامر الرسمية التحريرية وغيره بالشفهية غير الرسمية ، وبناء على ذلك لم يحصل في القرآن نسخ في هذه المسألة مطلقا

(الثالثة) قوله تعالى (٨ : ٦٥ يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مئتين وان يكن منكم مئة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون * ٦٦ الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فإن يكن منكم مئة صابرة يغلبوا مئتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله والله مع الصابرين * » قال أهل النسخ إن الآية الثانية ناسخة للاولى وفاتهم أن ذلك يوجب القول بأن الحكمين الواردين في سياق واحد متناقضان ولا مخلص لهما من ذلك بدعوى أنهما نزلا في وقتين مختلفين لأن القرآن لم يقل ذلك ولم يفصل بينهما . وأيضاً يلزم على قولهم أن المسلمين في أول أمرهم كانوا أقوياء جدا حتى أن الواحد منهم يغلب عشرة ولما كثروا وانتصروا مرات عديدة ضعفوا وصار الواحد منهم باثنين فقط . فواعجبا ماهذا القلب ؟ ويلزم أيضاً أن الله على قولهم لم يكن يعلم أن الواحد منهم لا يمكنه أن يغلب العشرة إلا بعد أن جرب ذلك ولما تحقق أبطل هذا الحكم وأبدله بالآخر . وجوابهم عن هذه المسألة ركيك

واعلم أن المعنى الصحيح هو أن الآية الأولى وعد من الله لهم بنصر الواحد على العشرة ولما كان هذا الوعد يتضمن الأمر بالثبات أمام العدو ولو بلغ عدده عشرة أمثالهم فكأن واحدا منهم شق عليه ذلك فسأل : هل نمتثل هذا الأمر الآن ؟ فأجاب تعالى على سبيل الاستئناف البياني (الآن خفف الله عنكم) أي لم يرد الآن أن يوجب عليكم امتثاله ثم قال (وعلم أن فيكم ضعفا) وهذا كالتعليل لعدم ايجاب الثبات المذكور في الوقت الحاضر لعلمه أنكم ضعفاء لا تقوون عليه ثم أمرهم بالثبات أمام مثليهم فقط موقتا الى أن يقووا . فكأنه قال يعدكم الله بالنصر على عدوكم الآن وان كان مثلكم مرتين ويعدكم بالنصر في الاستقبال ولو كان عدده عشرة أمثالكم وانما قدم الوعد الاخير على الأول لأنه أبلغ في الحض على القتال فأتى به بعد قوله (حرض المؤمنين) وقدم لفظ

أن فيها تناقضا وتضاربا وقالوا انما أنت مفتر كذاب والا لما خالفت نفسك في عباراتك مرات عديدة وذلك ناشيء عن جهلهم وعدم تدبرهم في آياته (قل نزله روح القدس من ربك بالحق) فلا تناقض فيه ولا اختلاف (ليثبت الذين آمنوا) بما فيه من العبر والحكم التي ان كررت واختلفت عباراتها فلا اختلاف في معانيها وهذا يشبه قوله تعالى (وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك) ثم قال (وهدى وبشرى للمسلمين) أي هدى لهم بارشاداته المتضمنة في عباراته المختلفة وبشرى لهم بأن الله سينصرهم على عدوهم كما نصر أهل الحق من الأمم السابقة. فعلى هذين التفسيرين السابقين لا يبقى لمدعي النسخ حجة مّا في القرآن

ومن تأمل في هذه الآية وجد أنها لا تنطبق على رأيهم . فما معنى قوله (ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين) فهل في النسخ الذي يدعونه تثبيت أم زعزعة وفي أي موضع من القرآن نصَّ على ما نسخ وبين حكمته ؟ وما معنى الهداية والبشرى للمسلمين هنا مع أن دعواهم توجب الحيرة والضلال كما قلنا وليس فيها شيء من البشرى لنا . وما مناسبة هذا الكلام هنا؟

فهذه أعظم حجج القائلين بالنسخ وقد علمت مما كتبناه انه لم ينهض لهم شيء منها فبأي شيء بعد ذلك يتمسكون ؟ فيا قوم كفاكم كفاكم ما حملتم هذا الدين المتين فقد نفرتم الناس منه وصرتم أكبر الصادين عنه، . هداكم الله سواء الصراط . انتهى

(المنار) أن مسألة النسخ مثار شبهات كثيرة يوردها قسوس النصارى ومجادلوهم على القران وقد أطال اللغو فيها مؤلف كتاب الهداية طعنا في الاسلام والغرض الاول للدكتور محمد توفيق أفندي صدقي من هذه المقالة ردّ هذه الشبهات على أنه يعتقد صحة ماذهب اليه مانعو النسخ في القرآن كأبي مسلم المفسر الشهير . وان لنا كلاما آخر في هذه المسألة سننشره في جزء آخر وانه ليسرنا ان نرى من المتخرجين في المدارس العالية من يبحث في أصول الدين ويعنى بفهم القرآن والاهتداء به وان خالف جمهور الفقهاء والاصوليين في بعض المسائل التي لا يعد أحد من المتخالفين فيها كافرا ونعتقد اعتقادا مؤيدا بالاختبار أن اقتناع المتخرجين في تلك المدارس بالدين لا يكون الا بهذه الطريقة لذلك نقبل منهم مباحثهم واسئلتهم مع الاغتباط والسرور ، ولله عاقبة الامور

أو ننسها الناس لطول العهد بمن جاء بها فاننا بما لنا من القدرة الكاملة والتصرف في الملك نأتي بخير منها في قوة الاقناع واثبات النبوة أو مثلها في ذلك . ومن كان هذا شأنه في قدرته وسعة ملكه فلا يتقيد بآية مخصوصة يمنحها جميع أنبيائه. وهو رد على من يقترح معجزات مخصوصة . وهذا التفسير هو المناسب لقوله (إن الله على كل شيء قدير) الى قوله (أم تريدون أم تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل) لآية

(السادسة) قوله تعالى (١٦: ١٠١ واذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا انما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون ١٠٢ قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين) والمعنى أننا اذا بدلنا حكم آية من آيات كتب الله السابقة بحكم آخر والله أعلم بما يفعل وبما له من الحكم العظيمة قالوا انما أنت كذاب لأن الله لا ينسخ شرائعنا وذلك لجهلهم ما يترتب عليه من المنافع (قل نزله) أي القرآن (روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا) بتبيين حكم ما نسخ من الشرائع السابقة (وهدى) لهم في أعمالهم (وبشرى للمسلمين) بأنهم على الحق الثابت وأنهم مقيمون شرائع الله وحملة دينه للخلق جميعاً . وقد سميت شرائع التوراة في القرآن بالآيات في قوله ٥: ٢٤ انا نزلنا التوراة — الى قوله — ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) والذي يدلك على صحة تفسيرنا ورود بعض الاحكام الموسوية وبيان أنها منسوخة بعد الآية التي نحن بصدد تفسيرها بقليل حيث قال ١٦: ١١٤ (فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واشكروا نعمة الله ان كنتم اياه تعبدون ١١٥ إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم ١١٦ وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) الى أن قال (١٢٣ انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه وان ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون)

هذا واذا سلمنا أن المراد بقوله (واذا بدلنا آية مكان آية) آيات القرآن نفسه فلم لا يكون المراد : اننا اذا بدلنا آية في موضوع مَّا باية أخرى عند تكرر هذا الموضوع في سور مختلفة كقصص القرآن ومحاجته للعرب وغيرهم توهموا أن

كثرة بحثه عنها وعنايته بمعالجتها ولذلك يقل في الناس من يصل الى نهاية العمر الطبيعي ويقل فيهم من يعيش سليما من الامراض والاسقام كالشجر والحيوان الأعجم

ان لحياة الانسان الاجتماعيـة امراضا كما أن لحياته الشخصية أمراضا وان معالجة الامراض الاجتماعية أعسر ، والتحقق بشروطها أندر ، ففي كل جيل من الاجيال، ينبغ في الامم المشتغلة بالعلوم والفنون كثير من العلماء الإخصائيين، والصناع الماهرين ، وقد تمر قرون وتنطوي اجيال ، تخلق فيها أحوال وتتجدد أحوال ، ولا يبعث طبيب اجتماعي في الأمة ، يرفعها من الحضيض الى القمة،

ان حياة الامة التي ليس فيها أطباء اجتماعيون، وهداة روحانيون، تكون دون حياة الخلايا في الدوح ، وحياة النجم والشجر في الروض، لأن حياة النبات قلما يعوزها شيء وراء الطبيعـة وسننها في بلوغها غاية ما اعدتها حكمة التكوين له من النظام والكمال الشخصي والنوعي وحياة الانسان لابد فيها من المربي لتصل الى كماليها فاذا فقد المربي كان الناس فوضى لا يصلح لهم شأن ولا يستقيم لهم أمر . وافراده حينئذ يشبهون خلايا الاجسام من حيث جهل كل واحد منهم بنسبة حياته الى حياة غيره وتأثيرها فى الاجتماع وغايتها في الوجود على أن أفراد الانسان تشعر بعملها الجزئي ولكن يقل فيهـم من يشعر بتأثير عمله في الامة فيتحرى فيه مصلحتها و يعرف اندماج مصلحته فيها

اذا تمهد هذا فاسمع ما ألقيه عليك بشأن الامة الاسلامية في حياتها الاجتماعية . إشارة الى بدايتها وعبارة عما صارت اليه في هذا العصر يكون مثالا لانتقال الامم من طور الى طور من غير تصور ولا شعور

أطوار الامة الاسلامية

كانت هـذه الأمة في نشأتها الأولى تنفذ الرجـل من أبنائها الى المملكة فاتحا فيكون خير قائد في إبان الحرب، وخير حاكم في زمان السلم، يقيم العـدل، ويعمر الأرض، ويؤمن الرعية، ويستبدل الحرية بالعبودية، فيرى أقل رعيته ولو من غير أهل دينه وجنسه أنه مساوله في الحقوق والحرية بحيث لو نال منه نيلا فشكاه الى الخليفة الذي أنفذه لأقاده منه كما حاول عمر أن يقيد ذلك الصعلوك من جبلة

باب المقالات

تطور الامم وانتقالها

من حال الى حال

ان للاجسام الحية خلايا تتغذى وتزدوج وتلد وتموت فيخلفها نسلها فيكون بها الجسم حافظا لحياته فاذا ضعفت الحياة في الجسم قلّ توالد الخلايا وكثر فيها الموت حتى يهلك الجسم فتتصل أجزاؤه بجسم آخر قوي الحياة فتكون غذاء له كما ترى في النبات والحيوان

ان الحياة مصدر النظام فهي بعمل خلايا الجسم الجزئية تكوّن خلقا كليا منتظما وان كان لاشعور لكل خلية في ازدواجها بمثلها وإنتاجها بأن عملها ينضم الى عمل أمثالها فيكون خلقا كبيرا له في الوجود مظهر عظيم وعمل حيوي منتظم

ان مدار حياة الاحياء الصغرى كالخلايا والكبرى كالشجر والبقر على الخليقة وما فيها من سنن النظام وقلما يحتاج شيء منها الى عناية مدبر مختار من جنسها الا الانسان فانه في افراده وجمعياته لا يستغني بالطبيعة عن تعاهد بعض افراده لبعض بالعناية والتربية الشخصية والاجتماعية

ان لهذه الاحياء الصغرى التي تتكون منها العوالم الكبرى أمراضا ولهذه العوالم نفسها أمراضا وان لكل مرض علاجا ودواء وان العلاج اذا صح يحول دون انهاكه لقوة الحياة أو الذهاب بها مادام الجسم الحيّ مستعداً للحياة أي ما بقي من عمره الطبيعي بقية

ان معالجة مرض ما تتوقف على العلم بحال ما عرض له المرض من حيث هو حيّ له مزاج يصح باعتداله الفطري ويمرض باعراض تخرجه عن الاعتدال والعلم بما سبق عروضه له قبل المرض الاخير الذي يحاول علاجه وبحقيقة هذا المرض واسبابه والعلم بالدواء و بالطريقة المثلى في المعالجة

ان الانسان أغرب الأحياء على هذه الأرض والعوارض التي تعرض لحياة أفراده فتمرضهم أو تقتلهم هي أخفى مما يعرض لغيره من الاحياء النباتية والحيوانية على

المظلومين وبكاء الباكين ، (١٤ : ١٣ فأوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين *)
بما جاءهم على لسان النبيين ،

عمّ الظلم فأفسد الأخلاق وأضعف النفوس وطبع على قلوب الامة بطابع القهر والعبودية حتى لا أمر بمعروف، ولا نهي عن منكر ، ولا تعاون على بر ، ولا تناصر على رفع ضر ، فذهبت ريح الدولة وقوة الامة واستعد الفريقان بعملهم لنقمة الله تعالى بدلا من سابق نعمته فكان تقلص ظل الحاكمين الظالمين عن رؤوس المظلومين الخاضعين بأيدي الاجانب لا بأيد الامة وبهذا كان الانتقام عاما ولو كانت الامة هي التي هبت لازالة الظلم بأيدها وأخذ صولجان الحكم بيدها لكان الانتقام خاصا بالظالمين ولبقي للامة عزها ومجدها

دبّ الفساد الاجتماعي في جسم الامة فلم تشعر به فتعالجه فكان أفرادها بفقدهم الشعور بما يحلّ بهم وبما يكون من عاقبته في مجموعهم كخلايا الشجرة أو الثمرة يعرض الفساد بجانب منها ولا تدري حتى تفسد جميعها . ذلك أن الظالمين بدأوا بإزهاق روح التكافل الذي يربط بعض الافراد ببعض فيكون سببا لسريان شعور المجموع بما يطرأ على الافراد وانفعال المزاج الكلي بذلك واندفاعه الى دفع العرض الطاري، قبل سريانه واستشرائه فإن من طبيعة الجسم الحيّ أن ينفعل مزاجه بما يعرض لاي عضو من أعضائه فيوجه قوته لدفع العرض باعانة ذلك العضو عليه ألا ترى أن الدم يكثر وروده على الدماغ عند انهماكه في الفكر والى المعدة عند اشتغالها بالهضم والى نحو اليد يصيبها برد أو ضرب . والامة الحية كالجسم الحي توجه قوتها الى إعانة كل فرد من أفرادها يصيبه ضر أو يرهقه ظلم حتى تدفعه عنه أو تعجز فتكون من الهالكين كما اذا عجز المزاج الصحيح في جسم الحيوان عن دفع عوارض الفساد بنفسه أو بمساعدة الطبيب فان الفساد يغلب حينئذ على الجسم فيفسده

كيف أزهق الرؤساء المفسدون روح التكافل في جسم هذه الأمة ؟ حولوا السلطة من الشورى الشرعية الى الاثرة الاستبدادية ، وفرقوا بين المسلمين في الجنسية، فقالوا عربي وعجمي ، وفارسي وتركي ، وفي اللغة، فقالوا لغة رسمية ولغة

بن الأيهم ملك غسان لولا انه فر هاربا

بهذا اتسع ملك الأمة وانبثت حياتها العالية في أمم كثيرة فأحيتها وجددت للناس مدنية لم يسبق لهم عهد بمثلها بل لم يكتحل ناظر الزمان بنظيرها حتى هذا اليوم الذي نرى فيه من آثار العلم والاجتماع مالم نر من قبل فان انكلترا وهي أعدل دول أوربا لاتساوي بين آحاد أبنائها و بين أمراء الهند فضلا عن ان تساوي بين لورداتها وسلائل ملوكها وبين صعاليك مستعمراتها ، وان الخلفاء الراشدين ما كانوا يجيزون لأبنائهم ان ينفقوا ألوف الألوف من بيت المال في سياحتهم لأجل ان ينفخوا في الرعية روح عظمتهم ويشعروا سكان مستعمراتهم بمكان بأسهم وقهرهم كما أجازت بريطانيا العظمى للبرنس أوف ويلس وليّ عهدها في سياحته الاخيرة . فمثل هذا العمل تقرير لاستعلاء المالكين واستذلال المحكومين فهو جناية على البشر الذين لا يصلون الى الكمال الاجتماعي الا بكمال المساواة التي لا يفضل فيها أحد أحدا الا بفضائله وأعماله كما قرر الاسلام

هذا الروح الذي نفخه الاسلام في المعتصمين به حتى كان الرجل الاميّ أو شبه الامي منهم يعمل في سياسة الممالك ما يعجز عنه الفلاسفة والحكماء قد كان من شأنه أن يستولي على العالم كله فيصلحه لولا أن الملوك الظالمين وأعوانهم من الفقهاء الجامدين قد أفسدوا جسم هذه الأمة فلم يعد مستعدا لحمل هذا الروح والحياة به . فاذا كان عمرو بن العاص قد فتح مصر بجيش صغير فأحياها بالعدل وحسن الادارة حتى وصل النيل بالبحر الاحمر وآخى بين هذا القطر و بين الحجاز (وهو ممن لم يدخل المدرسة الحربية ولا مدرسة الحقوق ولا مدرسة المهندسخانه) فقد صار القطر الاسلامي العظيم يستعبده عدد قليل من الاجانب وصار المسلم المتعلم الحامل للشهادات العالية التي يظن انه يفضل بها عظماء سلفه كعمرو وعمر ينفذ الى قطر إسلامي كاليمن اليوم وكالسودان بالامس فيبغي في الارض ، ويجني على العَرَض والعِرْض ، فيترك الارض موظوبة ، والاموال مسلوبة ، والدماء مسفوكة، والاعراض مهتوكة ، حتى أنّت الارض من حكم كل مسلم عليها ، واستغاثت السماء من سلطة كل مسلم تحتها ، وسمع رب العزة أنين

تقتال ، ويجد فيها الحرية فكره ولو بعض المجال ، والا نفوه الى بلد قفر ، أوجزيرة في البحر ، حتى لا ينتشر له فكر ، ولا يسمع له ذكر ،

وجملة القول ان المسلمين كانوا أحياء بالاسلام نفسه على بصيرة وبينة ولما عرض لهم حلم الفساد اضطرب مزاجهم فتداعوا الى ازالته فحال دون ذلك تحوّل السلطة الاسلامية عن صراطها ثم ضعف الشعور بفعل هذا الحلم بجسم الأمة لقوة مزاجها وضعف سائر الأمم دونها ثم خدر المرض أعصابها فكان الحلم يفعل فعله وهي لا تشعر حتى عمّ الفساد كل عضو من أعضائها - ونعني بالأعضاء الشعوب والفرق التي انقسمت اليها وحدة الأمة — فلا يوجد شعب إسلاميّ حيّ ولا حكومة إسلامية الا وهي تعفو ما بقي من رسوم الاسلام وتجدّ في إبسال أهله الا ما يقال عن حكومة الأفغان من عنايتها بحفظ استقلالها بالقوة العسكرية الحديثة وهذا ضروري ولكنه غير كاف كما نرى في تركيا فلا بد من نشر علوم الكون في الأمة واعدادها للحكومة المقيدة بالشورى والا كانت من الهالكين

أما ذلك الشعور الذي تجدد لأفراد من المسلمين فهو لا عمل له في مملكة من ممالكهم الا إعدادا بطيئا للانتقال الى طور آخر مجهول لعامتهم ، ومشكوك فيه عند خاصتهم ، لا يدرون أيكون مرضا مضنياً ، أم موتا مرديا ، أم يكون حياة سعيدة ، وسيادة جديدة ، أساسها العلم والعدل ، وغايتها العمران والفضل ، فمنهم اليائس يزيد في الافساد ، ومنهم الراجي يدعو الى سبيل الرشاد ، وهكذا شأن الامم في طور الانتقال ، لا تستقر من الاضطراب على حال ،

من أسباب يأس اليائسين أن المسلمين قد خرجوا بتقسيم رؤسائهم اياهم الى شعوب وأجناس ومذاهب عن كونهم أمة واحدة فلا فائدة في كثرتهم ، ولا رجاء في وحدتهم ، وانما يجب الحكم عليهم بحسب حكوماتهم سواء كانت منهم أومن غيرهم فقد أعدهم الظلم والاستبداد لان يكونوا عبيدا لمن يحكمهم . واذا نظرنا في حال حكوماتهم وجدنا الاسلامية منها أسرع في الاجهاز عليهم من الأجنبية (ونعني بالاسلامية المنسوبة الى المسلمين لا ما كانت على قواعد الاسلام فان هذه لا وجود لها في الأرض) فاذا كان من الغرور أن نرجو حياة الشعب الجاوي

دينية ، وفي المذاهب فقالوا سني وشيعي ، وحنفي وشافعي ، وفي الوطن فقالوا مصري وشامي ، ومغربي وحجازي ، واذا كنت تظن ان هذا الضرب الاخير من التفريق اهون ضروبه شرا فانا اذكر لك كلمتين لرئيس ديني ورئيس دنيوي تعرف بهما مبلغ تسمم جسم الامة الاسلامية بسم الوطنية . رأى عالم من علماء الدرجة الاولى بل شيخ من مشايخ الازهر السابقين يلقب بشيخ الاسلام خطيبا شاميا في جامع بمصر فقال ان هذا الجامع حسن وموقعه عظيم «ولكن من الاسف حشوه بالشوام» وقال رئيس كبير من رؤساء الدنيا في معهد من معاهد العلم الديني — وقد رأى فيه حجرات كثيرة للطلاب من قطر غير قطره — : ماذا فعل لنا هؤلاء ... حتى نعطيهم كل هذه الحجرات وأهل البلد أحق بها منهم : أوما هذا معناه . على انه لم يكن هو الذي أعطاهم وانما تلك أماكن وقفها عليهم أناس آخرون من غير قوم القائل ومن غير وطنه ..

هنالك إفساد آخر هو أشد من كل إفساد وهو الحيلولة بين المسلمين وبين هداية القرآن الذي جعل أمر المسلمين شورى بينهم لا في ايدي أفراد يستبدون فيهم وفرض عليهم مقاومة الظلم والافساد في الارض بقوة الامة وغير ذلك مما يحفظ حياة الامم بل ينميها حتى تبلغ كمالها ولولا هذا الافساد لما تم لظالم ولا لمفسد ما أراد

سرت كل هذه الامراض في جسم الامة الاسلامية من حيث لا يدري الافراد ولا يشعرون كما علمت من التمثيل السابق وكان من عواقبها ان أكثر الممالك الاسلامية خرجت من أيدي المسلمين وما بقي لهم فهو في طور النزع ولكن هذا العصر يمتاز على ما قبله بشعور كثير من أفراده بأن الأمة في مرض ، ودولها في حرض ، فاذا لم تبادر بالعلاج ، تم فساد المزاج ، وأجهز عليها الظالم ، فهلك المحكوم في أثر الحاكم ،

بهؤلاء الافراد على قلتهم وضعفهم أنشأ المسلمون يستعدون لاستعادة ما فقدوا من مزايا الانسانية ولكن المفسدين لم يغفلوا عن مراقبتهم فهم يجتهدون في إماتة شعورهم بالضغط والاضطهاد تارة وبالرتب والرواتب تارة أخرى ومن ثبت على نار الفتنتين اضطر الى الفرار من ديارهم الى ديار أخرى يأمن فيها على نفسه أن

من الوجود زوالا أبدياً كما زال استقلال بني اسرائيل الا ان يحدث في العمران انقلاب كبير لا دليل عليه الآن

وأما أهل الرجاء — ونحن منهم — فانهم يعرفون مايحتج به أهل اليأس ولا ينكرونه ولهم نظر آخر أبعد، ورأي أسدّ — ان شاء الله وأرشد، يؤيدونه بآيات الوحي، ويستدلون عليه بطبيعة العمران وشؤون الاجتماع، ولا يتسع هذا المقال لشرح مايجوز نشره منه، وانا نوجز القول فيما لا مندوحة عنه .

ان المسلمين — وان اختلفوا في اللغات والمذاهب والأوطان والحكومات — يتفقون في أمر واحد تتبعه أمور جوهرية من ناحيتها يدعون الى مايحييهم ويجعلهم أمة عزيزة تشعرها وحدة الاعتقاد بأن لها مصلحة واحدة يجب على شعوبها الاتحاد والتكافل في سبيلها وإن ظلوا على اختلافهم في تلك الأمور العظيمة حتى اذا ما انتشرت الدعوة الى الأمر المتفق عليه (وهو القرآن) استتبعت الوحدة في اللغة والوحدة في المذهب أو انتفى الافتراق في المذاهب وصار كل شعب من شعوب المسلمين قوة للآخر وعونًا له وظهيرا على بعد الدار وقربها واختلاف الحكومات والاجناس ولا تسألني عما يكون بعد ذلك وأنت لما تعلم ما يكون قبله

الدعوة الى القرآن تستتبع الدعوة به الى جميع العلوم الكونية من طبيعية واجتماعية لأجل تكميل النفس بعرفان حكم الله في صنعه وإبداعه ولأجل تعزيز دينه بآثار تلك العلوم وتستتبع طلب المزيد من نعم الله ومساهمة الأغنياء والاقوياء للفقراء والضعفاء في هذه النعم بأداء الزكاة وغيرها من الصدقات التي تقوم بها المصالح العامة والخاصة وتستتبع حكم الشورى واقامة العدل وغير ذلك من أركان السعادة . فاذا وفق الدعاة لإقناعهم بهذا وحملوهم عليه فقل قد نفخت فيهم روح الحياة التي لا موت بعدها . نعم ان هذا الإجمال لا يقنع القارئ بهذه الدعوى وإن التفصيل مع بيان الدليل لا محلّ له هنا على أن شرح ذلك انما يفيد أهله الذين استعدوا للقيام به دون من يقرأ لأجل التسلي أو الانتقاد كما هو شأن أكثر الناس

بينا في مقالة الحياة الملية من المجلد الثامن شيئًا من حقيقة هذه الحياة التي هي محل رجائنا وذكرنا هناك العلوم التي نحتاج اليها وكيفية تمهيد العقبات التي

تحت سلطة هولندا والمغربي تحت سلطة فرنسا مثلا فمن الجنون أن نرجو حياة الشعوب العثمانية المتمزقة تحت سلطة تركيا والشعب الفارسي تحت سلطة حكامه ومجتهديه . ذلك بأن حكومات الأجانب على منعها النور الحقيقي ان ينفذ الى عقول المسلمين فيحييهم بحرارته وهدايته لا سلطة لها الا بقوتها الحسية على الاجسام وأما الحكام المسلمون فان لهم سلطتين — القوة الحسية على الاجسام والقوة المعنوية في الأرواح لان المسلمين توارثوا الاعتقاد بوجوب الخضوع لهم على أنه من الدين وقلما يوجد فيهم من يعلم أن من أعظم قواعد الدين انه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ولا حكم الا لله ومن استحل الحكم بما يخالف القواعد الشرعية المنصوصة كان مارقاً من الاسلام (٥: ٢٤ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) وهؤلاء العارفون على قلتهم لا يسمح لهم الاستبداد بنشر علمهم في الأمة لئلا تنبعث لإقامة الشريعة على أساس الشورى فتبطل سلطتهم الاستبدادية التي تنطوي في باطنها نزعة الألوهية .

ويقول هؤلاء اليائسون أيضاً ان الأوربيين الذين استولوا على أكثر بلاد المسلمين يتربصون بباقيها الدوائر وحكامها يمهدون لهم السبل بالظلم والقضاء بالجهل على العلم وباقتراض الاموال منهم ومنحهم «الامتيازات» في بلادهم وهم يجتهدون دائما في الاتفاق على قسمتها بينهم فلا يمر عقد من السنين الا ونراهم قد اكتسبوا حقاً جديدا فيها أو قلصوا ظل نفوذنا عن ولاية منها ثم هم أقدر البشر على سياسة الأمم والتصرف في الشعوب فاذا دخلوا ولاية قبض أفراد منهم على قواها المالية والعسكرية والعلمية والأدبية وذللوا الأمة لسلطانهم فهم يسخروننا لخدمتهم بقوتنا ، حتى لا يدعون لنا سبيلا الى استعمالها في منفعتنا ، وأعظم مظهر لسياستهم العليا فينا أن سلطتهم تكون أقوى وأرسخ وربحهم يكون أكثر وأسهل في البلاد التي يبقون فيها لنا اسم السلطة ويرضون بمعناها لأنفسهم فهم يستعبدوننا بواسطة استعبادهم لحكامنا الذين أنسنا بالعبودية لهم . فأين موضع الرجاء لهذه الشعوب الجاهلة المتفرقة المستعبدة مع هذه الامم العالمة المستقلة المتحدة ؟؟

هذا مجمل احتجاج اليائسين من أهل الشعور بما ينذر المسلمين من الخطر فرأيهم ان طور الانتقال الذي هم فيه سينتهي بطور دخولهم تحت سلطة الاجانب وزوال استقلالهم

في جهلهم بعاقبة علمهم وعملهم في الامة فكل واحد منهم يفكر في خويصة نفسه فهو يتعلم لغاية يجعلها نصب عينيه وهي رزق مضمون يتمتع به كما يتمتع خواص قومه. يعذر التلميذ فى هـذا ولا يعاب لأنه لا يتوجه الا حيث يوجهه معلمه ومربيه فمن لم يكن له أم ولا أب ولا معلم ينفخ فيه روح حب الأمـة والملة لا يرجى ان يهتم بجعل حياته الشخصية ركنا من أركان حياة أمته الملية ببذل شيء من وقته وشيء من فضل ماله في خدمتها وإعلاء شأنها .

اذا كان الكمال الشخصي يتوقف على حسن تربية الشخص البدنيـة والنفسية فهل يمكن ان يكون الكمال الاجتماعي بالمصادفة والاتفـاق أو بترك معظم نشء الامة فوضى والقذف بمن يراد تعليمهم من الذكران والاناث الى الاجانب حتى الجزويت والفرير ينقشون ألواح نفوسهم بما يشاءون ؟؟

هذه الحال التي نرى عليها أكثر الذين تعلموا العلوم العصرية والتي يظن أن سيكون عليها أو على ماهو دونها من يتعلمون الآن تصلح ان تكون حججا لليائسين من اصلاح حال المسلمين ولكن أهل الرجاء يرون فى اثناء هذه الظلمات المتكاثفة بصيصا من النور يوشك ان يتألق فيقشع كل ظلمة ويظهر صراط الحق للسارين. يرى البصير فى مصر والهند نابتة على شيء من استقلال الفكر ويرى فى روسيا نابتة لم يعمل فى أرواحها سم الاجانب عمله فى غيرها وهي مع ذلك تطلب العلوم والتربية لاجل الحياة، ويرى فى الاستانة نفسها على شدة الهيمنة فيها على الافكار والمراقبة على العلم نابتة تلتهب غيرة وتشعر من معنى الاستقلال بما لا يشعر به سائر المسلمين ويرى في ايران هزة جديدة، وحركة يرجى ان تكون مفيدة ، ويري فى تونس حركة أخرى حيوية، تعوزها نفحة من نفحات الحرية، وليس استقلال الفكر هو كل ما استفادت نابتتنا من الاجانب بل أصابتهم نفحة من نفحات الحياة الاجتماعية . فهذ الخير يتنازع مع تلك الشرور في هذه النفوس الضعيفة ولا يعوز الامة الآن الا الاطباء الروحانيون والزعماء الاجتماعيون الذين يشرفون على الأودية والترع والسواقي التي تجري فيها سيول الحوادث الجديدة بالامة ويقدرون على تحويلها الى حيث تكون محيية لأرض الأمة

مارأيت لكاتب في هـذه البلاد كتابة ولاعلمت لعامل عملا ينبئ بمراقبته

تعرض في سبيلها ونحن الآن في حاجة الى بيان ان المسلمين في طور انتقال من حال الى حال وأن هذا الطور شبيه بطور النقه من مرض تخشى عاقبته، ولا تؤمن نكسته، وانهم محتاجون فيه الى الأطباء الروحانيين العالمين بأدواء الاجتماع وطرق معالجتها والا سبقهم الأجانب لتحويل الأمة في هذا الطور الى حياة مذبذبة ينقطع كل رجاء للاسلام فيها

ثبت بالتجربة والاختبار أن المتعلمين للعلوم الكونية هم الذين يسودون أمتهم كما ان الامم السابقة في مضمار هذه العلوم تسود المتخلفة فيه فالناس تبع لهؤلاء المتعلمين صلحوا أم فسدوا فهم التيار الجديد الذي يحول الأمة من حال الى حال وعقول هؤلاء المتعلمين وقلوبهم بين أيدي الاجانب فهم الذين يودعون فيها وينقشون في ألواحها المستعدة ما يريدون على علم منهم بغايته وأثره . ومما نشاهد من أثره أن اكثر المتعلمين لا قيمة للدين الذي هو الرابطة العامة للمسلمين في نفوس أكثرهم فهم لا يصلون ولا يصومون ولا يحلون ولا يحرمون وإنما هم أكثرهم التمتع باللذات الحسية ولو بذلوا في سبيلها جميع المصالح العامة . ثم هم مع هذا مغرورون بأنفسهم يحسبون أنهم أرقى من سلفهم الصالح عقولا وأرجح أحلاما وأوسع علوما وأفضل آدابا وأقدر على الأعمال الاجتماعية، فلا الدين عرفوا، ولا حب الأمة أشربوا، وكيف وهم على جهلهم بشريعتها يجهلون تاريخها الذي لم يتفضل عليهم ساداتهم الاجانب بشيء حقيقي منه الا بعض المسائل المنتقدة التي صوروها بغير صورتها وألبسوها غير لباسها واستنبطوا منها ما لا تدل عليه من العيوب والمساوي . وغفل متعلمونا الاذكياء عما اعترف به المنصفون من فلاسفة اساتذتهم المتصرفين في عقولهم وقلوبهم من حيث لا يشعرون من تعظيم شأن مدنية المسلمين الاولين الذي أقاموا ميزان العدل بعد ميله وأحيوا موات العلم بعد موته كما غفلوا عن أنفسهم التي لم يوجد لها في الارض أثر محمد فلا رفعوا أمة من سقطتها ولا أحيوا دولة بعد موتتها ، ومالي لا أذكرهم بتعصب أساتذتهم لدينهم والسعي في نشره بما يبذلون من الملايين ، لجمعيات الرهبان والقسيسين ،

كلا ان القصد الى بيان حال المتعلمين في مثل مصر والاستانة وانهم كالعلامة

العلوم والمعارف والاعمال حتى صارت الآن خلوا من كل ما يطلق عليه اسم (مجد) بل لا يبعد ان قلنا ان من فيها من الخلف ضد لسلفهم وقد أهملوا كل شيء من المجد اتكالاً على مجد من سلف حتى اذا ماعرا حادث اتكلوا في دفعه على سكان الاضرحة فتراهم يعتقدون في صالحي أمواتهم انهم مطلعون على أي حادث عرا وانهم ان شاؤا دفعه عنهم دفعوه وان رأوا في ابقائه صالحًا أبقوه وتراهم يقدسون تلك البقاع التي لم يرد في الشرع تقديسها ويرون في مطلق الاقامة بها شرفًا وفضلا وان كان المقيم بها خلوا عن كل فضل وشرف

فهل أنزل الله بهذا من سلطان ؟ وهل فيما يعتقدونه شيء ورد به الكتاب والسنة؟ وهل فيما اذا ورد عن سلفهم شيء ولم نجد له دليلا من الكتاب والسنة فعلى ماذا يكون حمله؟ وهل يجب على أحد التصديق بالولاية لشخص معين؟ وماذا يكون حكم من رد شيئًا من كلامهم في نحو ماذكر اعلاه ولم يعترف بولاية أحد معين ؟ وقد جاء من نحو هذا في بعض اعداد المنار السالفة ماجاء والأمل في حضرة الاستاذ الرشيد المرشد ان لا يحيلنا على ماسبق و يبسط لنا في جوابه على ماذكرناه فضلا وليكن في معلومكم سيدي ان هذا الداء قد أزمن في كثير من بلدان المسلمين فيحتاج الى معالجته بدواء فيه قوة لاستئصاله — فلعل ان يكون دعاء المنار الى الحق بالحق مقبولا عند أولئك كما أنه قبل دعاء المنار كثير ممن ضلوا فأضلوا ثم اهتدوا فهدوا —

(المنار) ترجع هذه الاسئلة الى أربع مسائل (١) الدليل على دعاء الموتى أي التماس دفع الشر وجلب الخير منهم (٢) مايرد عن العلماء ولا يعلم له دليل (٣) حكم من رد كلام العلماء الذي لا دليل عليه (٤) الاعتقاد بولاية شخص معين من الناس أي ان له مكانة عند الله خاصة به في الدنيا والآخرة . وان كثيرا من قراء المنار قد سئموا كثرة الكلام في مسألة التوسل بالموتى الى قضاء الحاجات ولكن فتنة الناس بها وتجدد قراء كثيرين للمنار في كل عام لم يطلعوا على ما سبق نشره في ذلك مع حاجتهم اليه يوجب علينا مع تجدد السؤال عنها ان نبين الحق فيها فنقول

﴿ مسألة دعاء الموتى والتوسل بهم ﴾

 لو كان الكلام مع أناس من أهل العلم والبصيرة لكان يكفينا في بيان

للتغيير الاجتماعي الذي ينتقل بالامة المصرية من حال الى حال (وحاشا من فقدنا بالامس) الاما يكتبه اللورد كرومر في تقاريره السنوية ، ومايدبر به أمور الحكومة الكلية، هو الذي ينظر في عاقبة الاعمال المالية الكبرى ويسيرها كما يرى ، هو الذي قال في المحاكم الشرعية انها ستمد اليها يد لاتعرف للقديم حرمة، هو الذي توقع من زيادة الاقبال على تعليم البنات ماتوقع وأشار بالنظر فى مغبته، هو الذي فهم مايرمي اليه اعتصاب تلاميذ المدارس فاهتم به اهتماما لم يفهم سره الا الاقلون فمن لنا بمرشدين ينظرون فى أمورنا الكلية بتلك العين ، ويرجحون لسير نابتتنا خير النجدين ؟ هذا ما نحن فى أشد الحاجة اليه لاصلاح شؤوننا فى هذا الطور الذي نحن فيه فالزعماء المصلحون هم الذين يحولون مجاري الحوادث التي تعمل في استعداد الامة وتغييرها الى مافيه خيرها وسنفرد لهم مقالا خاصا بهم

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء ، وانا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متأخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا . ولمن يمضي على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

﴿ أسئلة من سنغافوره ورأي عالم في المنار والمسلمين ﴾

(س ٦ — ٩) من خ . م . س في سنغافوره

تشرفت بلقاء بعض الفضلاء من علماء المسلمين فانجر بنا الحديث الى ذكر الاحوال الحاضرة فيما للاسلام والمسلمين فيه وعليه فجرى ذكر المنار المنير فأثنى عليه بما هو أهله ثم شافهني بقوله: تنبه كثير من المسلمين بدعاء المنار الى الله تعالى وتمحيصه للحقائق وإني أرفع اليك هذا لترفعه الى المنار الأغر لينشره على صفحاته مؤملا منه ان يبسط لنا في الجواب على ماسألناه وما ضالتنا المنشودة الا الارشاد الى الحق — وهذا ماقاله ذلك الحكيم —

ضرب الجهل أطناب خيامه في بعض البلاد الاسلامية التي كان لسلفها القدح المعلى في

على أن هذه المسألة — مسألة النماس دفع الضر أوجلب النفع من غير الله استقلالا أو بالوساطة والشفاعة — لم تكن لتترك فلا يبين حكمها في القرآن وهي أصل الوثنية وأساسها في جميع الامم ولذلك فتن بها أهل الكتاب فاتخذوا وسطاء وشفعاء بينهم و بين الله تعالى غير وسطاء أجدادهم أوخلطائهم من الوثنيين فهم لم يخالفوا الوثنيين في أصل هذه العقيدة وحقيقتها ، وإنما خالفوهم في مظهرها وصورتها ، إذ اعتقدوا الوساطة والشفاعة مثلهم وجعلوا لهم شفعاء ووسطاء من أنفسهم غير وسطاء أولئك وشفعائهم . أفرأيت دين التوحيد الخالص يسكت عن هذه المسألة و يدعها للفقهاء يحكمون فيها بقياسهم وهي تتعلق بأساس الدين وركنه الركين وهو التوحيد؟؟

قال تعالى (١٠: ١٨ و يعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم و يقولون هؤلاء شفعاونا عند الله ، قل اتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون *) أي أنهم باتخاذ الشفعاء يعبدون غير الله لأن هذا عين العبادة ولكنهم يقولون ان هذه شفاعة عنده فهي لاتخل بتعظيمه بل هي تعظيم له كما تعظم الملوك اذلا يتجرأ الحقير على دعائهم الا بواسطة المقربين عندهم . وقدنفى سبحانه هذه الشفاعة في آيات كثيرة قال تعالى في سورة البقرة (٢: ٤٨ ولا يقبل منها شفاعة — ١٢٣ ولا تنفعها شفاعة — ٢٥٤ ولا خلة ولا شفاعة) وقال في سورة المدثر (٧٤: ٤٨ فما تنفعهم شفاعة الشافعين*) وقال في سورة الانعام (٦: ٥١ وأنذر به الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لعلهم يتقون * — ٧ وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وذكر به أن تبسل نفس بما كسبت ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع) الآية ومعنى تبسل تسلم الى الهلاك أي ان الذين تدفعهم أعمالهم الى الهلاك لا تنجيهم من عاقبتها شفاعة أحد . والآيات في هذا كثيرة وارجع الى التفسير من هذا الجزء تجد الكلام في معناها مفصلا

وكانوا يطلقون على هؤلاء الشفعاء لقب الاولياء كما تلوت في آيتي الانعام آنفا ومثلهما آية ألم السجدة (٣٢: ٤ مالكم من دونه من ولي ولا شفيع أفلا تتذكرون)

بدعتهم في ذلك أن نقول إن ما تأتونه لم يأذن به الله في كتابه ولا على لسان رسوله ولم يأت بمثله صالحو المؤمنين من الصحابة والتابعين وهو أمر ديني محض لامجال للرأي فيه فمن يقول به يكون منازعا لله تعالى في شرع الدين كما قال تعالى في سورة الشورى (٤٢:٢١ أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله) الآية . فان ادعوا ان أحدا من السلف دعا ميتا أوطلب منه حاجة أو صلى عند قبره أو تمسح به أوقصده للدعاء أوقال إن الدعاء عنده أرجى للاجابة طالبناه بالنقل ولن يجده . وانما قصارى احتجاجهم ان بعض مشايخ التصوف الذين اشتهروا بالصلاح كانوا يتبركون بالقبور . والجواب عنه سهل لمن يعرف ما هو الاسلام فان علماء أصول الدين حصروا الحجج الشرعية في الكتاب والسنة والاجماع والقياس . ولا ينهض شيء من ذلك هنا اما الكتاب والسنة والاجماع فان طريقها النقل ولم ينقل ذلك أحد واما القياس فانه لا يأتي في الأمور التعبدية ولا فيما يتعلق بشأن عالم الغيب والمسألة من هذا القبيل لأن المفتونين بها فريقان – غلاة يزعمون ان الموتى يقضون حاجاتهم بأنفسهم لأن أرواحهم مأذونة بذلك وقال بعضهم بل هي تعود الى أجسادها التي لا تفنى وتقضي الحاجة كما كان شأنها في الحياة الدنيا : وأنت ترى أن هذا نبأ عن عالم الغيب وهو لا يعرف الا بالوحي كما قال تعالى (٧٢ : ٢٦ عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول) الآيات وفيها ان الرسول يطلعه الله تعالى على مايريد ان يبلغه عنه من أمر عالم الغيب كالجنة والنار والملائكة والجن .

واما الآخرون فيقولون ان الله تعالى يقضي حاجة من يدعوهم كرامة لهم . وهذا حكم على الله تعالى وهو أعلى أحكام عالم الغيب ولا قياس فيه فهو يتوقف على نص من الوحي وإلا كان من القول على الله بدون علم وهو من كبائر الإثم المقرونة بالكفر وهي أصول المحرمات في كل دين شرعه الله كما بينه تعالى في قوله بسورة الاعراف

(٧:٣٢ قل إنما حرّم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله مالا تعلمون*)

الله صلى الله عليه وسلم شيئا فرخص فيه فتنزه عنه قوم فبلغه ذلك فخطب فحمد الله واثنى عليه ثم قال « ما بال أقوام يتنزهون من الشيء أصنعه فوالله إني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية »

ثم ان ما يطلب من أصحاب القبور وغيرهم يعبر عنه بالدعاء كما قال في الآية السابقة « أولئك الذين يدعون » الخ وقد احتج القرآن على بطلان هذا الدعاء بقوله (٣٥:١٣ والذين تدعون من دونه لا يملكون من قطمير * ١٤ إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير *) ومثلها آيات كثيرة . وقوله في نهي المؤمنين ان يكونوا مثل هؤلاء الوثنيين في طلب شيء أعوزهم نيله بسببه من غير الله تعالى (٨٢:١٨ وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا*)

هذا ولما كان أكثر الوثنيين قد فتنوا برجال من صالحيهم حتى اعتقدوا أنهم بعد موتهم ينفعون ويضرون وكانت هذه الفتنة قد سرت الى أهل الكتاب فاتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله وصاروا يبنون عليهم الكنائس أو ينسبونها اليهم ويتوسلون بهم الى الله تعالى ويعتقدون ان الله يقضي حاجاتهم بجاههم أو انه أعطاهم قوة قضائها بأنفسهم نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن بناء المساجد على القبور وعن عمارة القبور نفسها وعن وضع السرج عليها بل ونهى عن زيارتها في أول الاسلام ولما تمكن التوحيد رخص في زيارتها بقصد الاعتبار بالموت وتذكر الآخرة ففعل المسلمون في هذه الأزمنة كل ما نهى عنه ولعن فاعله ومن ذكرهم ونهاهم عن هذه البدع انكروا عليه بأنه هو المبتدع لأنه منكر لزيارة القبور كأن زيارة القبور تحمي كل تلك البدع التي هي شعار الوثنيين مع ان الصحيح في الأصول عند الجمهور ان الأمر بالشيء بعد النهي عنه انما يدل على اباحته لا وجوبه أو ندبه وهب ان الأمر بالزيارة بعد حظرها للندب أو الاستحباب أليس قد عللت بعلة تذكر الآخرة فاذا فعلت لعلة أخرى كدعاء الميت وطلب الاستفادة منه أو به تكون قد خرجت عن دائرة الإذن ودخلت في باب المحظور الذي لم يأذن به الله ؟

ومن عجائب تلاعب الاهواء بالمتبدعين ان كل ما ورود من التشديد في بناء

وقال تعالى في سورة الزمر (٣٩: ٣) والذين اتخذوا من دونه أولياء مانعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ان الله يحكم بينهم في ماهم فيه يختلفون ، ان الله لا يهدي من هو كاذب كفار * لو أراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق مايشاء سبحانه هو الله الواحد القهار *) فدلت الآية الثانية على أن من جملة هؤلاء الاولياء المسيح عليه الصلاة والسلام والملائكة أي ان الناس يتقربون بأشخاصهم وذواتهم الى الله تعالى زلفى وهذا باطل اذ لا يتقرب أحد الى الله تعالى بأحد انما يتقرب اليه تعالى بالعمل الصالح واخلاص القلب مع الايمان الصحيح . وأنت تعلم أن كل مايعتقده المبتدعون في أصحاب القبور الصالحين هو من هذا القبيل أي ان التوسل باشخاصهم يقرّب من الله تعالى ويكون وسيلة لقضائه سبحانه وتعالى حاجة من يدعوهم ويتقرب بهم. ولذلك قال تعالى في سورة الاسراء (١٧: ٥٦ قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضرّ عنكم ولا تحويلا * ٥٧ أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا *) أي ان أولئك الاولياء الذين يدعونهم لكشف الضر عنهم أو تحويله توسلا بهم كالمسيح هم أنفسهم يطلبون الوسيلة الى الله تعالى بعبادته ويرجون رحمته باتباع سنته والعمل بشريعته ويخافون عذابه اذا قصروا ، حتى ان أقربهم من مرضاته هو أخوفهم منه وارجاهم له . ذلك بأن عذاب الله في الدنيا والآخرة مخوف ومحذور في نفسه لأن لله فيه سننا لا تتبدل يوشك ان يخالفها المرء من حيث يدري أو من حيث لا يدري وأن القلوب تتقلب وأنه لا يجب لأحد من خلقه عليه شيء ولذلك قال (٥: ١٧ قل فمن يملك من الله شيئا ان أراد ان يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعا ولله ملك السموات والأرض وما بينهما يخلق مايشاء والله على كل شيء قدير*) فبمثل هذه الآية يهدينا سبحانه الى أن ملائكته وأنبياءه وأولياءه ما كانوا ليرجون رحمته الا بفضله عليهم اذ جعلهم محلا لطاعته وإرشاد عباده فلا نغلو في تعظيمهم حتى ننسى كونهم عبيدا له ان شاء أن يهلكهم فعل لئلا نطلب منهم نفعا أو ضرا . ومن ثم قرن الله خشيته بالعلم وجعله من أسبابها كما قال (٣٥: ٢٧ انما يخشى الله من عباده العلماء) وفي حديث الصحيحين عن عائشة قالت صنع رسول

كما يطاف بالكعبة والتمسح به التماسا للبركة وللشفاء وتقبيله . فان من نهى صلى الله عليه وسلم عن مثل فعلهم كانوا يفعلون ذلك . وفي مسند أحمد وسنن أبي داود والترمذي والنسائي عن ابن عباس انه قال « لعن الله زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج » وفي اسناده أبو صالح باذام تكلم فيه ويعضده ما تقدم .

واما آثار الصحابة في ذلك فكثيرة . ذكر شيخ الاسلام ابن تيمية في تفسير سورة الاخلاص وغيره انه ثبت عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه كان في سفر فرأى قوماً ينتابون مكانا للصلاة فسأل عن ذلك فقالوا هذا مكان صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إنما هلك من كان قبلكم بهذا إنهم اتخذوا آثار أنبيائهم مساجد، من أدركته الصلاة فليصل والا فليمض : وبلغه ان قوما يذهبون الى الشجرة التي بايع النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه تحتها فأمر بقطعها . وأرسل اليه أبو موسى يذكر له أنه ظهر بتستر قبر دانيال وعنده مصحف (أي كتاب) فيه أخبار ماسيكون وأنهم اذا أجدبوا كشفوا عن القبر فمطروا فأرسل اليه عمر يأمره ان يحفر بالنهار ثلاثة عشر قبرا يدفنه بالليل في واحد منها لئلا يعرفه الناس لئلا يفتتنوا به

(قال شيخ الاسلام) فاتخاذ القبور مساجد مما حرمه الله ورسوله وان لم يبن عليها مسجدا ولكن بناء المساجد عليها أعظم . وكذلك قال العلماء يحرم بناء المساجد على القبور ويجب هدم كل مسجد بني على قبر وإن كان الميت قد قبر في مسجد وقد طال مكثه سوّيَ القبر حتى لا تظهر صورته فان الشرك انما يظهر اذا ظهرت صورته . واستدل على هذا الاخير بأن المسجد النبوي كان مقبرة فنبشت وسويت . وما ذكره في هدم المسجد المبني على قبر نقل نحوه ابن حجر في الزواجر وقد نقلنا عبارته في المنار من قبل

وجملة القول أن الله تعالى لم يأذن بأن يدعى غيره لدفع ضرّ أو جلب نفع لا على أنه مستقل بذلك ولا على أنه واسطة بينه وبين عباده في الخلق والتقدير وانما حصر الوساطة بينه وبين عباده بتبليغ دينه وشرعه اليهم على لسان رسله وقد حصر خصوصيتهم بهذا التبليغ في آيات كثيرة وبين أنهم لا يمتازون عن سائر الناس

القبور وتشريفها والبناء عليها ووضع السرج عندها واتخاذها مواسم واعيادا لم يقصد به الا سد باب الاعتقاد بأن صالحي الموتى ينفعون الأحياء ويضرونهم كما ان النهي عن التصوير وعن اتخاذ الصور بصفة تشعر بالتعظيم لم يقصد به الا المنع من تصوير من يعظمون تعظيما دينيا كما هو شأن الوثنيين ومن تبعهم من أهل الكتاب الأمران من باب واحد ولكن علماء المسلمين سكتوا للعوام على ضلالهم في القبور حتى لا تكاد ترى في مثل هذه البلاد مسجدا ليس فيه قبر مبني مشرف يقصد للتوسل به وطلب دفع الضر وجلب الخير منه ولكنهم يشددون في التصوير واتخاذ الصور وان لم تكن فيها شائبة الدين ولا الشبهة على الاعتقاد أو التعظيم . وانا نختم هذا الجواب بشيء مما ورد في القبور

قال صلى الله عليه وسلم : قاتل الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد: يحذر ما فعلوا رواه أحمد والبخاري ومسلم من حديث أبي هريرة . زاد مسلم والنصارى . قالت عائشة ولولا هذا لأبرز قبره فالسبب في حجب قبره صلى الله عليه وسلم عن أعين الناس منعهم من تعظيمه أو التماس المنفعة منه مع أنه هو الذي خاطبه الله تعالى بقوله (١٨٨:٧ قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ماشاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ان أنا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون) ومثلها آيات . وفي صحيح مسلم انه قال قبل ان يموت بخمس « ان من قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك » وفي الصحيحين أنه ذكر له كنيسة بأرض الحبشة وذكر من حسنها وتصاوير فيها فقال « أولئك اذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور أولئك هم شرار الخلق عند الله يوم القيامة » وفي مسند أحمد وصحيح أبي حاتم عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ان من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء والذين يتخذون القبور مساجد» وفي سنن أبي داود وغيره عنه (ص) انه قال «لا تتخذوا قبري عيدا » وفي موطأ مالك عنه (ص) انه قال « اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » وما عبادة القبر لا تعظيمه وطلب الحوائج ممن دفن فيه ومن التعظيم الذي هو عبادة الطواف به

كل أحد يؤخذ من كلامه ويرد عليه الا صاحب هذا القبر: ويشير الى الروضة الشريفة

وقال الامام الشافعي في كتابه الأم في أثناء كلام « وهذا يدل على أنه ليس لأحد دون رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقول الا بالاستدلال » وله أقوال في هذا المعنى كثيرة يكفينا منها هذا النص الصريح فيما نحن فيه وأتباعه من أكثر الناس أقوالا في ذلك وكذلك الحنابلة ولذلك كثر المجتهدون ممن تفقه في هذين المذهبين

وأما الامام أحمد فهو أشد الناس براءة من القول بغير دليل وقد سأله أبو داود عن الأوزاعي ومالك أيهما أتبع: فقال لا تقلد دينك أحداً من هؤلاء ماجاء عن النبي وأصحابه فخذه: وقال « لا تقلدني ولا تقلد مالكا ولا الشافعي ولا الأوزاعي ولا الثوري وخذ من حيث أخذوا » أي من الدليل . وما قاله هؤلاء الأئمة المهتدون هو ما أجمع عليه السلف ولكن الغلو في تعظيم الانسان لشيوخه وشيوخهم وثقته بهم من أسباب ترك الدليل الى أقوالهم بل من أسباب اتباعهم في أقوالهم وأفعالهم وكم من رجل جهول قلده الجاهلون لانهم اعتقدوا صلاحه فقالوا ما كان لمثله في تقواه وورعه ان يقول أو يعمل الا ما يعلم انه حق . وهذا قول مردود بلا نزاع فالصالح غير معصوم فقد يخطئ جهلا وقد يخطئ سهوا وعمداً

﴿ حكم من رد كلام العلماء الذي لا دليل عليه ﴾

(ج٨) حكم من رد كلام العلماء لأنه لا دليل عليه انه اتبع الحق واهتدى بالقرآن وسار على طريقة السلف الصالحين والائمة المرضيين كما علمت

﴿ الاعتقاد بولاية شخص معين ﴾

(ج ٩) إن ما يعتقده عوام المسلمين في الولاية والأولياء في هذه الأزمنة لم يكن معروفا فى صدر الاسلام بالمرة فلم يكن الصحابة يدعون بعض عبادهم بالاولياء . والولي في اللغة الناصر والصديق ومتولي الأمر وجاء فى القرآن ان لله أولياء وللشيطان أولياء وان المؤمنين بعضهم أولياء بعض والكفار والمنافقين بعضهم أولياء بعض . فولي الله من ينصر دينه ويقيم سننه وشريعته وولاية المؤمنين بعضهم لبعض عبارة عن

بشيء وراء الوحي وما يستلزمه من الصفات كالصدق والامانة وأنهم لا يقدرون على نفع أحد ولا ضره بالفعل حتى بالهداية والرشد ومن حكمته أن كان بعض آبائهم وابنائهم وأقاربهم كفارا ليعلم الناس أنه لو كان لهم من الامر شيء لهدوا جميع أقاربهم وأنقذوهم من عذاب الدنيا والآخرة . أفبعد هذا كله يكون لمدعي الاسلام وجه ما لدعوى أن الاموات الصالحين يملكون كشف الضر أو تحويله عن الناس وجلب المنافع لهم وذلك من الوثنية الصريحة « سبحانك هذا بهتان عظيم * يعظكم الله ان تعودوا لمثله أبدا ان كنتم مؤمنين * ويبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم * » (١)

﴿ أقوال العلماء بغير دليل ﴾

(ج٧) لا حجة في قول أحد بالدين دون قول الشارع ويجب رد كل قول لم يؤيد بدليل للحديث المتفق عليه « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ » أي مردود وبذلك صرح الأئمة المشهورون قال أبو الليث السمرقندي حدثنا ابراهيم بن يوسف عن أبي حنيفة انه قال « لا يحل لأحد أن يفتي بقولنا مالم يعلم من أين قلنا » وروي عن أصحابه مثل ذلك وفي رواية « مالم يعرف دليلنا » وممن نقل عنهم ذلك الشعراني وولي الله الدهلوي . وفي روضة العلماء من كتبهم : قيل لأبي حنيفة اذا قلت قولا وكتاب الله يخالفه ؟ قال اتركوا قولي لكتاب الله . فقيل اذا كان خبر الرسول صلى الله عليه وسلم يخالفه ؟ قال اتركوا قولي لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : فقيل اذا كان قول الصحابة يخالفه قال اتركوا قولي لقول الصحابة

وروى الحافظ ابن عبد البر بسنده الى معن بن عيسى قال سمعت مالك بن أنس يقول : إنما أنا بشر أخطئ وأصيب فانظروا في رأيي فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوه وكل مالم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه : ورواه غيره أيضا . ومن المشهور عن مالك انه كان يقول عند التحديث في الحرم النبوي الشريف :

---

(١) لا نلتزم بيان عدد الآيات التي تذكر بطريق الاقتباس لا لبيان معناها في الاصل ولا للاحتجاج بها كهذه الآيات

﴿خلق آدم وعيسى﴾

لم يكتف الشيخ قاسم محمد أبو غدير بما ذكرنا في هذه المسألة التي سأل عنها فكتب الينا في ١٤ المحرم يطلب نشر أسئلته التى كان أرسلها الينا بنصها والجواب عنها بالتفصيل في أول جزء يصدر بعد كتابته هذه «لأهمية الموضوع» واننا لانرى الموضوع بالعين التي رآها به وانما يصح ان يعتنى به هذا الاعتناء اذا ثبت مذهب دارون بطريق القطع الذي لايحتمل الشك والارتياب فعند ذلك يجب علينا نحن المسلمين ان نبذل جهدنا في تأويل الآيات الواردة في خلق آدم بمثل ماتقدمت الاشارة اليه أو بغيره فان لم نقدر انتصر دارون على القرآن وأثبت بطلانه (حاش لله). أما الآن فاننا نعتقد في المسألة مايدل عليه ظاهر الآيات من غير تأويل وأما ماذكره الدكتور محمد توفيق أفندي صدقي من التأويل فهو في باب دفع الشبهات والرد على المعترضين ولا يكلف السائل ولا غيره ان يتخذه عقيدة لهذا نرى أن لاحاجة الى التطويل الذي يطلبه إذ لا فائدة له فالمسلم لا يترك الظاهر ويلجأ الى التأويل الا اذا عرضت له الشبهة أو أوردت عليه وما كان لنا ان نجتهد في ابطال تأويل يراد به تثبيت عقيدة مشتبه أو رد شبهة معترض فليتدبر . هذا وإن أسئلته قد جعلت في القا من الورق بعد ذلك الجواب المجمل وقد أردنا مراجعتها عند كتابة هذه الكلمات فلم نظفر بها

﴿تتمة أجوبة الاسئلة الجاوية في السماع﴾

(تنبيه) رأى بعض فضلاء المصريين أننا أطلنا في هذه الاسئلة أكثر مما تستحق وذلك انه يندر ان يوجد في مصر من يتحامى السماع ولكن الجمود في كثير من البلاد على تقليد المتشددين لا يلين الا بأكثر من هذا والمنار ليس خاصا بالمصريين

﴿البحث في السماع من جهة القياس الفقهي﴾

يري القارىء المنصف ان ماقاله الشوكاني (ونشرناه في الجزء الماضي) هو صفوة التحقيق الأ أن في إدخاله السماع على الاطلاق باب الشبهات نظرا فان ماثبت في الصحيح من سماع النبي (ص) وأكابر أصحابه يدفعه فانهم أبعد الناس عن الشبهات وقد سمعوا مع تسميتهم ذلك بمزمار الشيطان وباللهو . والذي يظهر من

تناصرهم في إعلاء كلمته وإقامة دينه وشريعته . والله وليّ الذين آمنوا بمعنى أنه هو الذي يتولى أمورهم وليس لهم من دونه ولي ولا نصير . فمن اتخذ وليا يعتقد أنه يتولى بعض أموره في غير ما يتعاون به الناس بعضهم مع بعض فقد اتخذه شريكا كما علمت من آية الزمر التي مرت في جواب السؤال السادس . ومثلها آيات كثيرة

ليس لمؤمن ان يعتقد جزما ان أحداً من الناس بعينه قدمات وهو وليّ لله تعالى مرضي عنده له في دار رضوانه ما وعد به أولياءه ، لأن ذلك تعدٍّ على علم الغيب وقول على الله بغير علم . وقد أجمع العلماء على أن الخاتمة مجهولة وانه لا يقطع لأحد بالموت على الايمان وبكرامة الله له بالجنة إلا بخبر عن الشارع وانما نحسن الظن بجميع المؤمنين ومن عرفنا استقامته على الشرع كان ظننا فيه أحسن ورجاؤنا له بفضل الله أكبر . أخرج البخاري في صحيحه عن أم العلاء — امرأة من الانصار — أنهم اقتسموا المهاجرين أول ما قدموا عليهم بالقرعة قالت فطار لنا — أي وقع في سهمنا — عثمان بن مظعون من أفضل المهاجرين وأكابرهم ومتعبديهم وممن شهد بدراً فاشتكى فمرضناه حتى اذا توفي وجعلناه في ثيابه دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت رحمة الله عليك أبا السائب فشهادتي عليك لقد أكرمك الله تعالى: فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم «وما يدريك ان الله أكرمه» فقلت لا أدري بأبي أنت وأمي يارسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أما عثمان فقد جاءه اليقين والله إني لأرجو له الخير . ما أدري وانا رسول الله ما يفعل بي » قالت فوالله لا أزكي أحداً بعده أبداً : فهذا الحديث الصحيح يكفي فى قطع ألسنة المفتاتين على الله الذين يجزمون بأن فلانا وفلانا ممن يعرف وممن لا يعرف من أولياء الله المكرمين عنـده قطعا وأن لهم فوق ذلك السلطان في عالم الغيب وعالم الشهادة وما أجهلهم بالله وكتابه وبهدي رسوله وسيرة سلف الأمة الذين نقل عنهم في الخوف وعدم الجزم بأمر الآخرة ما فيـه عبرة للجاهلين لو كانوا يوعظون به حتى ان المبشرين بالجنة من الصحابة ما كانوا يأمنون مكر الله وكانوا يقولون ما يدرينا ان النبي صـلى الله عليه وسلم بشرنا بشرط الاستقامة على ما كنا عليه معه وأننا فتنّا من حيث لا ندري

آخر » اه كلام الغزالي وتكلم في مكان آخر عن العوارض

فهذا القول هو أحسن ماقيل في القياس كما أن القول السابق هو أحسن ماقيل في السنة وأجمعه . وأنت تعلم ان التشبه بأهل السكر والخلاعة انما حرم لما فيه من مهانة المؤمن وضعته فاذا سمع المؤمن الأوتار في مجلس لا يعد فيه متشبها بأهل السكر والفسق كأن يسمعه في بيته أو بيت آخر بصفة لا تشبه فيها فلا مجال للقول بالتحريم فالأمر في الأوتار كالأمر في لبس القباء (هو القفطان في عرف المصريين والقنباز في عرف الشاميين) فقد حرمه الغزالي في بلاد وأباحه في أخرى لعلة التشبه وعدمها وما قاله في إباحة سائر الآلات يدخل فيه آلات الموسيقى العسكرية وأمثالها فتبين بهذا انه لا وجه في القياس الصحيح لتحريم سماع المعازف على الإطلاق كما انه لا وجه لها في كتاب ولا سنة بل الوجه ما تقدم . ومن العوارض التي لا بد من التنبيه اليها كون السماع يهيج السامع فيدفعه الى المعاصي فمن علم من نفسه ذلك حرم عليه . هذا ما يليق بدين الفطرة الذي جمع لمتبعيه بين سعادة الدنيا والآخرة والله أعلم وأحكم

﴿ الكلام على عبارات الاسئلة ﴾

أما قول السائل في السؤال الاول إن الغزالي حرم ما هو شعار أهل الشرب الخ فيقال فيه ان ما صرح به الغزالي هو أن الأصل في سماع الغناء والمعازف الحل كما تقدم وتحريم سماع الأوتار لعلة التشبه بالفساق يزول بزوال هذه العلة كما قال في لبس القباء . وما ذكره فيه عن ابن حجر من العلة الأخرى وهي كون اللذة بالسماع تدعو الى الفساد فهو محل نظر اذ السماع كما قال بعض العلماء انما يحرك الساكن ويستخرج الكامن فمن لم يكن من أهل الفساد لا يدعوه الى الفساد وأشد السماع تأثيرا في النفس سماع ألحان النساء وقد سمعها الشارع وكبار أصحابه وقد أطال الغزالي في بيان اختلاف الحكم باختلاف أحوال الاشخاص وان ذلك لا يمنع ان الاصل فيه وفي جميع اللذات الاباحة . والحديث الذي أورده فيه عن كتاب النصائح وهو « اذا فعلت أمتي خمس عشرة خصلة حل بها البلاء » وذكر منها اتخاذ القينات والمعازف وفسرها بالملاهي من الاوتار والمزامير لم نذكره في أحاديث

أحاديث الاباحة التي تقدمت أن قول من قال باستحباب السماع أوندبه ينبغي أن يحمل على ما يكون في الاوقات والحالات التي يستحب فيها تحري السرور كالعرس والعيد وقدوم الغائب . وأن السماع فيما عدا هذه الاوقات والحالات مباح لذاته بشرط عدم الاسراف فيه فان الإسراف ضارٌ بالأخلاق مسقط للمروءة وهذا هو مراد الامام الشافعي رضي الله عنه بقوله في الام ان الغناء لهو مكروه يشبه الباطل ومن استكثر منه فهو سفيه ترد شهادته وقوله ان صاحب الجارية اذا جمع الناس لسماعها فهو سفيه ترد شهادته : وقد يقال انه يقرب أن يكون ديوثا لانه اذا لم يغر على جاريته أن تطرب الناس بصوتها فربما كان لا يغار عليها مطلقا

وقولنا مباح لذاته يتفق مع قول الغزالي ومن وافقه بمنع ما كان فيه تشبه بأهل الفسق في شعارهم الخاص بهم قال في الاحياء « ولهذه العلة نقول لو اجتمع جماعة وزينوا مجلسا وأحضروا آلات الشرب وأقداحه وصبوا فيها السكنجبين ونصبوا ساقيا يدور عليهم ويسقيهم فيأخذون من الساقي ويشربون ويحيي بعضهم بعضا بكلماتهم المعتادة بينهم حرم ذلك عليهم وان كان المشروب مباحا في نفسه لأن في هذا تشبها بأهل الفساد بل لهذا ينهى عن لبس القباء وعن ترك الشعر قزعا على الرأس في بلاد صار القباء فيها من لباس أهل الفساد ولا ينهى عن ذلك فيما وراء النهر لاعتياد اهل الصلاح ذلك فيهم . فلهذه المعاني حرم المزمار العراقي والاوتار كلها كالعود والصنج والرباب والبربط وغيرها وما عدا ذلك فليس في معناها كشاهين الرعاة والحجيج وشاهين الطبالين وكالطبل والقضيب وكل آلة يستخرج منها صوت مستطاب موزون سوى ما يعتاده أهل الشرب لأن كل ذلك لا يتعلق بالخمر ولا يذكر بها ولا يشوق اليها ولا يوجب التشبه بأربابها فلم يكن في معناها فبقي على أصل الإباحة قياسا على أصوات الطيور وغيرها . بل أقول سماع الأوتار ممن يضربها على غير وزن متناسب مستلذ حرام أيضا . وبهذا تبين أنه ليست العلة في تحريمها مجرد اللذة الطيبة بل القياس تحليل الطيبات كلها الا ما في تحليله فساد قال الله تعالى (٧: ٣٢ قل من حرَّم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق) فهذه الأصوات لا تحرم من حيث هي أصوات موزونة وانما تحرم بعارض

أحمد كان ابن حزم أجمع أهل الاندلس قاطبة لعلوم الاسلام وأوسعهم معرفة مع توسعه في علم اللسان ووفور حظه من البلاغة والشعر ومعرفته بالسنن والآثار. أخبرني ولده الفضل انه اجتمع عنده بخط أبيه أبي محمد من تواليفه أربع مئة مجلد تحتوي على نحو من ثمانين ألف ورقة . قال الحميدي كان أبو محمد حافظا للحديث وفقهه مستنبطا للاحكام من الكتاب والسنة متقنا في علوم جمة عاملا بعلمه ماراينا مثله فيما اجتمع له من الذكاء وسرعة الحفظ وكرم النفس والتدين ، وكان له في الادب والشعر نفس واسع وباع طويل مارأيت من يقول الشعر على البديهة أسرع منه الخ ثم نقل الحافظ ابن حجر عن شيخ الاسلام العز بن عبد السلام امام الشافعية في عصره انه قال مارأيت في كتب الاسلام في العلم مثل المحلى لابن حزم والمغني للشيخ الموفق : ثم قال الحافظ في أواخر ترجمته قلت ابن حزم رجل من العلماء الكبار فيه أدوات الاجتهاد كاملة الخ

واما ابن طاهر فقد ذكره في طبقات الحفاظ أيضاً وبين أصل هذه الكلمة (إباحي) التي قالها فيه ابن حجر الهيتمي الفقيه مع ألفاظ أخرى تعد من السباب لم يقل بمثلها أحد . قال الحافظ في ترجمته : وقد ذكره الدقاق في رسالة فحط عليه وقال كان صوفيا ملامتيا سكن الري ثم همذان له كتاب صفوة التصوف وله أدنى معرفة بالحديث : قلت هو أحفظ منك بكثير ياهذا . ثم قال ذكر عنه الإباحة قلت بل الرجل مسلم معظم للآثار وانما كان يرى اباحة السماع لاالإباحة المطلقة التي هي ضرب من الزندقة اه فهل يسلم مسلم بعد قول الحافظ ابن حجر العسقلاني صاحب القول الفصل والحكم العدل في الرجال ما قاله ابن حجر الفقيه الهيتمي من انه مجازف اباحي كذاب رجس العقيدة نجسها ؟ اللهم ألهم هؤلاء الائمة الذين يسبهم ابن حجر الهيتمي المتعصب لتقليده العفو عنه يوم الدين .

واما حكاية الحافظ ابن طاهر عن الشيخ أبي اسحق الشيرازي إباحته العود فاذا لم تصح عنه فقد صحت عمن هم أعظم منه . قال الزبيدي في شرح الاحياء بعد نقل تحريمه عن المذاهب الأربعة : وذهبت طائفة الى جوازه وحكي سماعه عن عبد الله بن جعفر وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير ومعاوية بن أبي سفيان وعمرو

الحظر لشدة ضعفه ولأجل الكلام عليه هنا فنقول قد رواه الترمذي عن صالح بن عبد الله عن الفرج بن فضالة الشامي عن يحيى بن سعيد عن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب مرفوعا

« اذا فعلت أمتي خمس عشرة خصلة حل بها البلاء » قيل وما هي يارسول الله قال « اذا كان المغنم دولا والامانة مغنما والزكاة مغرما وأطاع الرجل زوجته وعق أمه وبر صديقه وجفا أباه وارتفعت الاصوات في المساجد وكان زعيم القوم ارذلهم وأكرم الرجل مخافة شره وشربت الخمور ولبس الحرير واتخذت القيان والمعازف ولعن آخر هذه الامة أولها فارتقبوا عند ذلك ريحا حمراء وخسفا أومسخا »

والفرج بن فضالة قد تكلم فيه سئل الدارقطني عنه فقال ضعيف فقيل له نكتب عنه حديثه عن يحيى بن سعيد «اذا فعلت أمتي خمس عشرة خصلة» الخ؟ فقال هذا باطل: فقيل من جهة الفرج قال نعم . وقال أبو داود سمعت أحمد يقول: اذا حدث عن الشاميين فليس به بأس ولكنه عن يحيى بن سعيد عنده مناكير: وقال أبو حاتم لايحل الاحتجاج به وقال مسلم انه منكر الحديث: ثم ان الحديث لايدل على تحريم سماع الأوتار لأن الخصال التي ذكرت فيه منها ماهو فضيلة كبر الصديق ولكن مجموعها سبب للهلاك وان لم يصح الحديث لأنها من السرف في الترف وفساد الاخلاق واضاعة المصالح العامة والخاصة

﴿ ابن حزم وابن طاهر الحافظان ﴾

واما ما ذكر في السؤال الثاني عن ابن حجر الهيتمي من الطعن في ابن حزم وفي ابن طاهر فهو مما اعتاد ابن حجر مثله وهو معدود عليه من غلوه في التعصب لاقوال علماء مذهبه وابن حجر ليس من طبقة ابن حزم الحافظ الامام المجتهد ولا من طبقة ابن طاهر وانما يعرف قدر مثل ابن حزم الحافظ ابن حجر العسقلاني امام المحدثين في زمنه وبعد زمنه . وقد ذكر له ترجمة طويلة في طبقات الحفاظ قال فيها: وكان اليه المنتهى في الذكاء والحفظ وسعة الدائرة في العلوم وكان شافعيا ثم انتقل الى القول بالظاهر ونفي القول بالقياس وتمسك بالعموم والبراءة الاصلية وكان صاحب فنون فيه دين وتورع وتزهد وتحرّ للصدق — ثم قال — وقال صاعد بن

انهم لا يقتدى بفعلهم في شيء مطلقا وانما يؤخذ بنقلهم وروايتهم في بيان حكم الله ان كانوا ثقات صادقين . كذلك يقال في الصوفية الذين ذكرهم في السؤال الخامس من عرفت استقامته وتقواه منهم فلا يجوز الطعن في دينه لسماعه العود من غير ان يتشبه بأهل الفسق والفجور فيما هو من شؤون فسقهم بحيث يظن انه منهم فمن فعل هذا فقد جنى على نفسه وأهانها فلا يلومن من أساء الظن به

﴿ خلاصة القول في السماع ﴾

(١) لم يرد نص في الكتاب ولا في السنة في تحريم سماع الغناء أو آلات اللهو يحتج به (٢) ورد في الصحيح ان الشارع وكبار أصحابه سمعوا أصوات الجواري والدفوف بلا نكير (٣) إن الاصل في الاشياء الاباحة (٤) ورد نص القرآن بإحلال الطيبات والزينة وتحريم الخبائث (٥) لم يرد نص عن الأئمة الأربعة في تحريم سماع الآلات (٦) كل ضارّ في الدين أو العقل أو النفس أو المال أو العرض فهو من المحرم ولا محرم غير ضار (٧) من يعلم أو يظن ان السماع يغريه بمحرم حرم عليه (٨) ان الله يحب ان تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه (٩) ان تتبع الرخص والاسراف فيها مذموم شرعا وعقلا (١٠) اذا وصل الاسراف في اللهو المباح الى حد التشبه بالفساق كان مكروها أو محرما

آثار علمية أدبية

﴿ نقد شرح ديوان أبي تمام — تابع لما في الجزء الاول ﴾

(ص ١٠٤) أظن دموعها سنن الفريد وهي سلكاه من نحر وجيد

(سنن الفريد وجه العقد) يقال امض على سننك أي على وجهك وتنح عن سنن الجبل أي وجهه ولا يقصد الشاعر الى هذا هنا وانما قصد الى تشبيه قطرات الدموع بحبات العقد الفريد التي عبر عنها بالسِنَن وهي جمع سنة كحِبر جمع حِبرة . والسنة الحبة من رأس الثوم وهي بيضاء مدملكة ملساء فيحسن تشبيه حبات

بن العاص وحسان بن ثابت رضي الله عنهم وعن عبد الرحمن بن حسان وخارجة بن زيد ونقله الاستاذ أبو منصور عن الزهري وسعيد بن المسيب وعطاء بن أبي رباح والشعبي وعبد الله ابن أبي عبيد وأكثر فقهاء المدينة . وحكاه الخليلي عن عبد العزيز بن الماجشون وقدمنا ذلك عن ابراهيم وابنه سعد وحكاه الاستاذ أبو منصور أيضا عن مالك وكذلك حكاه الفوراني في كتابه العمد . وحكى الروياني عن القفال انه حكي عن مالك انه كان يبيح الغناء على المعازف وحكاه الماوردي في الحاوي عن بعض الشافعية ومال اليه الاستاذ أبو منصور . ونقل الحافظ ابن طاهر عن الشيخ أبي اسحق الشيرازي انه كان مذهبه وانه كان مشهورا عنه وانه لم ينكره عليه أحد من علماء عصره . وابن طاهر عاصر الشيخ واجتمع به وهو ثقة وحكاه عن أهل المدينة وادعى انه لا خلاف فيه بينهم واليه ذهب الظاهرية حكاه ابن حزم وغيره . قال صاحب الامتاع ولم أر من تعرض لكراهة ولا لغيرها الا ما أطلقه الشافعي في الأم حيث قال : وأكره اللعب بالنرد للخبر اكثر مما أكره اللعب بشيء من الملاهي : فاطلاقه يشمل الملاهي كلها ويندرج فيه العود وغيره وقد تمسك بهذا النص من أتباعه من جعل النرد مكروها غير محرم ، وما حكاه المازري في شرح التلقين عن ابن عبد الحكم انه قال إنه مكروه ، ونقل عن العز بن عبد السلام انه سئل عنه فقال انه مباح وهذا هو الذي يقتضيه سياق المصنف هنا (يعني الغزالي في الاحياء) اه كلام الزبيدي ومنه ومما سبق عن نيل الأوطار يعلم أن النقل عن الصحابة والتابعين وغيرهم من العلماء لم ينفرد به ابن حزم وابن طاهر ولو انفردا لاحتج بنقلهما الإثبات وهما من الأثبات مالا يحتج بنفي ابن حجر الهيتمي وهو ليس من الحفاظ ولم يطعن في أسانيدهما لينظر في طعنه . وسقط بهذه النقول ما جاء في الاسئلة من ذكر الاتفاق على تحريم العود ونحوه وتفسيق من يسمعه

واما سؤاله عن جواز نسبة ذلك الى العلويين الاتقياء فجوابه ان النقل لا يكون بالرأي فان نقل ذلك ثقة صدقناه وحملنا سماعهم على اعتقادهم الحل كما نقل ذلك عمن هم خير منهم وان كان غير ثقة لم نصدقه

واما سؤاله عن بعض علماء الرسوم هل يقتدى بهم اذا سمعوا العود فنقول

الغبار وتكون اضافة النقع الى القسطل الذي معناه الغبار أيضا من قبيل الاضافة البيانية

(ص١٤٨) واذا القسي العوج طارت نبلها   سوم الجراد يشيح حين يطار

(السوم العلامة) السوم هنا مصدر سامت الطير على الشيء سوما حامت وهو مفعول مطلق لطارت من غير لفظه يقول اذا انتثرت النبال واشبه انتثارها حومان رجل الجراد الذي هيج فجد في الطيران. وجواب الشطر البيت بعده

(١٥١) لولا أحاديث أبقتها أوائلنا   من السدى والندى لم يعرف السمر

(السدى ندى الليل) كما يطلق كل من السدى والندى على مايسقط فى الليل يطلق أيضا على المعروف والجود ومنه اسدى اليه أحسن اليه والمراد منهما هنا المعنيان الاخيران قطعا ولا يمكن ان يراد بالسدى ندى الليل.

(ص ١٥٨) مصفرة محمرة فكأنها   عصب تيمن فى الوغى وتمضر

(العصب صبغ ينبت في اليمن) العصب ضرب من برود اليمن ذو وشي ونموش وقد أراد الشاعر ان الربيع أفرغ على الارض من أزاهيره حللا ملونة تحاكي تلك البرود اليمانية المسماة بالعصب لأنها تحاكي الصبغ نفسه

(ص١٥٨) بالثامن المتخلف اتسق الهدى   حتى تخير رشده المتحير

(اتسق سار على طريقة نظام عام) اتسق واستوسق الامر أو الهدى مثلا اجتمع وانتظم واستوى. واتساق القمر اكتماله واستواؤه. وقولهم وسق البعير أي ساقه لا يقتضي جواز مجيء اتسق بمعنى سار مطاوعا له.

(ص ١٦٨) للمجد مستشرف وللادب المجفو ترب وللندى حلس

(الحلس الكبير من الناس): نعم هو من جملة معانيه لكن أريد به هنا معنى آخر أصل الحلس مسح يبسط في البيت وتجلل به الدابة أو يكون تحت رحلها ثم استعير لمن يلازم الشيء ويعود نفسه عليه وفي الحديث كن حلس بيتك أي ملازما له وهم أحلاس خيل أي من أصحابها الآلفين لركوبها وفلان ليس من احلاسها فاستعملت استعمال حلف وترب في مثل قولهم زيد حلف فقر وعمرو ترب ادب. وقرنها بترب يؤيد كون المراد بها ماذكرناه.

(ص١٦٩) قالت وعي النساء كالخرس   وقد يصبن الفصوص في الخلس

العقد بها واطلاق اسماعيليا . ولا يضر التشبيه خبث رائحة السن لانه لا يلاحظ فيه جميع عوارض المشبه به وهذا طلع النخل تشبه به الثنايا ورائحته رائحته

(ص١٠٤) رآنا مشعري أرق وحزن وبغيته لدى الركب الهجود

(الهجود من هجد اذا أناخ) هجد نام والركب الهجود النائم وهو ما أراده الشاعر فهو يقول ان الطيف تحامى زيارته لكونه حليف ارق وحزن والطيف انما يأوي الى الركب النائم . وقد ينيخ الركب ولا ينام

(ص١٠٩) اخو الحرب العوان اذا أدارت رحاها بالجنود على الجنود

(العوان التي قوتل فيها مرة) صوابه مرتين أي مرة بعد أخرى . وفسر الشارح العوان أيضا في ص١٤٣ كما فسرها به هنا .

(ص١٠٥) بنصرا بن منصور بن بسام آنفري لنا شظف الايام في عيشة رغد

(انفرى انصلح) انفرى هنا بمعنى انكشف وتقلص واضمحل وزال راجع ما قلناه عن هذه الكلمة في قول الشاعر *به انكشف عنا الغيابة الخ

(ص١٣٨) فعلوت هامته فطار فراشها بشهاب موت في اليدين مجرد

(الفراش موقع اللسان في قعر الفم) أراد الشارح ان الفراش مفرد على وزان كتاب وان معناه ماذكره وليس كذلك فان شاعرنا أراد بقوله ما يريده أهل اللغة في قولهم أطار فراش رأسه وفراش الرأس بفتح الفاء جمع فراشة بفتحها أيضا عظام رقيقة تبلغ القحف ويقال لها فراش الدماغ والفراش أيضا كل رقيق من عظم أو حديد.

(ص١٣٩) نفسوك فالتمسوا مداك فحاولوا جبلا يزل صفيحه بالمصعد

(بالمصعد أي وقت الطلوع) لا معنى لكون وجه الجبل وسطحه يزلق بوقت الطلوع وإنما المعنى ان من أراد بلوغ المنزلة التي بلغها الممدوح كان كمن يحاول الرقي فى جبل يزلق سطحه "بالمصعد" فيه فهو لا يزال في عناء وخيبة. فالمصعد اسم فاعل من أصعد اذا استقبل أرضا أرفع من الاخرى . ونظير قول شاعرنا قول الآخر « كما زلت الصفواء بالمتنزل » أي كما يزل النازل على الصخرة الملساء

(ص١٤٥) حتى التوى من نقع قسطلها على حيطان قسطنطينة إعصار

(النقع رفع الصوت) القسطل ليس له صوت مرتفع وانما المراد بالنقع هنا

(الخلة الشق) الخلة هنا الحاجة والفقر والخصاصة أي قد يتنوق المرء في لباسه ويبالغ في تزيينها ويكون تحتها حاجة وعدم ولا كذلك الممدوح

(ص٢٢٨) ضنك اذا خرست أبطاله نطقت فيه الصوارم والخطية الذبل

(الذبل الصلبة) مادة الذبول تفيد معنى الدقة والضمور كقولهم ذبل الفرس ضمر وهزل بل ربما كان من معناها أيضاً اللين والفتور كقولهم ذبل النبات ذوى ولان وتذبل في مشيه تفتر فيه ثم أجروا المادّة على الرماح تجوزاً فقالوا قناذابل أي دقيق لاصق بالليط والليط جمع ليطة القشرة التي تكون على القصب وربما كان اللين مرادا أيضاً في ذلك الاستعمال المجازي لأن الرمح اذا لم يكن لينا لدنا تقصف ولم يصلح للطعن فالدقة واللين هما المفهومان من تلك المادة والمقصودان من ذبول الرماح . واذا أريد وصف الرماح بالصلابة قيل كما قال الحماسي

ولنا قناة من ردينة صدقة زوراء حاملها كذلك أزور

فقوله صدقة أي صلبة مستوية لاخائرة هشة .

﴿ سماع لبعض كبار التابعين من باب الادبيات ﴾

قال شارح الاحياء عند نقل الغزالي السماع عن جماعة من الصحابة والتابعين: وحسبك منهم سعيد بن المسيب وبه يضرب المثل في الورع وهو أفضل التابعين بعد أويس وأحد الفقهاء السبعة وقد سمع الغناء واستلذ سماعه : ثم ذكر عن ابن عبد البر بسنده ان سعيداً مرّ ببعض أزقة مكة فسمع الأخضر يغني فى دار العاص بن وائل وهو يقول

تضوّع مسكا بطن نعمان اذ مشت به زينب في نسوة خفرات

فضرب سعيد برجله الأرض فقال هذا والله مما يلذ استماعه ثم قال سعيد

وليست كأخرى أوسعت جيب درعها وأبدت بنان الكف في الجمرات

وعلت بنان المسك وحفا مرجلا على مثل بدر لاح في ظلمات

وقامت تراءى يوم جمع فأفتنت برؤيتها من راح من عرفات

وأثبت الحافظ ابن عبد البر أن هذه الابيات لسعيد لا للنميري . أقول وقابل ماعاب سعيد من توسيع جيوب النساء وابداء بنانهن بحال نسائنا اليوم .. ويوم

(الفصوص احداق العيون) نعم لكن ليس المراد بها هنا هـذا المعنى : اصل الفص حجر الخاتم وتجوزوا فيه فقالوا انا آتيك بالامر من فصـه أي أصله وحقيقته ومخرجه الذى خرج منه وقالوا أيضاً فلان حزاز الفصوص اذا كان مصيباً في رأيه وجوابه . وهذا المعنى هو الذى قصد اليـه الشاعر يقول ان النساء على عيهن قد يقعن على الصواب و يصبن الرأي عرضاً ثم استشهد على قوله بما قالته المرأة له . فالفصوص في البيت بالنصب مفعول به

(ص ١٨١) واقاح منور فى بطاح هذه في الصباح روض أريض

(البطاح الصحارى) البطاح جمع بطحاء وهي مسـيل واسع فيـه دقاق الحصى كالأبطح والبطيحـة . والبطاح غـير الصحارى فان الصحراء الارض المستوية الواسعة وزاد بعضهم لانبات فيها

(ص١٨٣)لا تكن لي ولن تكون كقوم عودهم حين يعجمون رضيض

(يعجمون يعصرون) العجم ان تعض العود بسنك لتعرف صلابته ثم قالوا عجمت عود فلان أي بلوت أمره وخبرت حاله وفلان عوده صليب لا تحيك فيه العواجم أي لا تؤثر فيه الاسنان وقالوا في ضدّه فلان عوده رضيض فالعجم في البيت متجوز فيه عن الامتحان والاختبار .

(ص٢١٤) يؤوب الى شمائل منه ميث قليـلات الاماعز والـبراق

(الاماعز الغزلان والبراق الحملان من الضأن) فاعل يؤوب يرجع الى السلام الذي أرسله الشاعر الى الممدوح يعني أن سلامه يرجع الي شمائل ممدوحـه التي وصفها بقوله ميث اي لينة واصل الميث وصف للارض يقال أرض ميثاء واراض ميث . ولما وصف الشاعر شمائل ممدوحه بصفة الارض الحسنة ناسب ان ينفي عنها صفة الارض الرديئة فقال قليلات الاماعز والبراق الاول جمع أمعز وهي الارض الصلبة الكثيرة الحصى والثاني جمع برقة وهي الارض الغليظة ذات الحجارة والطين والرمل ومعنى القلة هنا العدم كما لا يخفى فهو يقول إن شمائل الممدوح وطباعه لينة وليست بخشنة ولا جافية

(ص ٢١٤) وتخط بزته فربت خلة في درج ثوب اللابس المتنوّق

﴿ رسالتان فى قراءة الفونغراف والسكورتاه ﴾

اطلعنا على هاتين الرسالتين اللتين كتبهما وطبعهما في هذه الايام الشيخ محمد بخيت الأزهري المشهور بمصر وقال انه استنبطهما استنباطًا وقد رأينا فيهما الغريب من العلم في الكلام والطبيعة وتقويم البلدان والحديث والفقه . ذكر في الكلام من أمشاج المسائل مالا محل لذكره هنا ووصف الفونغراف وصف من لم يره ولم يعرف شيئا من علم مخترعيه . وقال في أول الرسالة الثانية ما نصه : «وقد ورد علينا خطاب من بعض العلماء المقيمين بالاناضول بالروملي الشرقي بولاية سلانيك يتضمن السؤال عما يأتي و يطلب الإجابة عنـه فأجبناه لطلبه وقلت وبالله التوفيق » اه و ياليت الاستاذ أطلع أحد أولاده الذين يتعلمون في المدارس على استنباطه قبل الطبع لعله ينبهه الى ان استنباط سائل مقيم في الاناضول وهو عدة ولايات في آسيا — في الروملي الشرقيـة من ولايات أوربا التي دخلت في إمارة بلغاريا — فى ولاية سلانيك من مقدونيا — استنباط يرده كل من يعلم ان إقامة الرجل في ولايات مختلفة في قارتين مختلفتين ضرب من المحال ويتهم الشيخ المستنبط بأنه أراد استنباط حيلة تدل على انه مشهور في البلاد بالعلم مقصود بالاستفتاء فلم ينجح لعدم إلمامه بالجغرافيا التي مابرح يذمها و ينفر عنها حتى انتقمت منه لنفسها وعلمته ان الاجتهاد لا يتم اليوم بدونها

ومن غريب العلم بالحديث والفقه في الرسالة الثانية قول المستنبط ان الإمامة الكبرى يجوز أن يكون فيها الامام كافرا أي يجوز أن يكون خليفة المسلمين الذي يقلد القضاء و يأذن بصلاة الجمعة كافرا واستدل على ذلك بحديث جابر بن عبـد الله عند ابن ماجه « ألا لا يؤمنّ امرأة رجـلا ولا يؤم أعرابي مهاجرا ولا يؤم فاجر مؤمنا الا أن يقهره سلطان يخاف سيفه أو سوطه »

نقول الرواية هكذا « لا تؤمنّ امرأة رجـلاً ولا أعرابي مهاجراً ولا يؤمنّ فاجر مؤمنا الا أن يقهره بسلطان يخاف سيفه أوسوطه » والحديث منكر أوموضوع فان فى اسناده عبد الله بن محمد التميمي قال البخاري منكر الحـديث وقال ابن حبان لا يجوز الاحتجاج به وقال وكيع يضع الحديث وقد تابعه عبـد الملك بن

جمع يوم عرفة ثم ذكر شارح الاحياء عن الحافظ ابن طاهر بسنده أن عبد العزيز بن عبد المطلب قاضي المدينة كان يتغنى بهذه الابيات في مسجد الاحزاب

فما روضة بالحزن طيبة الثرى ... يمج الندى جثجاثها وعرارها (١)
بأطيب من أردان عزة موهنا ... وقد أوقدت بالمندل الرطب نارها (٢)
من الخفرات البيض لم تلق شقوة ... وبالحسب المكنون صاف نجارها
فان برزت كانت لعينك قرة ... وان غبت عنها لم يغمك عارها

فقيل له أصلحك الله أتغني بهذه الابيات في جلالك وشرفك أما والله لأحدثن بها ركبان نجد. قال الراوي فوالله ما اكترث بي وعاد يتغنى بهذه الابيات

فما ظبية أدماء حفافة الحشا ... تجوب بظلفيها بطون الخمائل (٣)
بأحسن منها اذ تقول تدللا ... وأدمعها تذرين حشو المكاحل
تمتع بذا اليوم القصير فانه ... رهين بأيام الشهور الأطاول

قال فندمت على قولي له وقلت أصلحك الله اتحدثني في هذا بشيء ؟ فقال نعم حدثني أبي قال دخلت على سالم بن عبد الله بن عمر (رضي الله عنهم) وأشعب يغنيه بهذا الشعر :

مغيرية كالبدر سنة وجهها ... مطهرة الاثواب والعرض وافر
لها حسب ذاك وعرض مهذب ... وعن كل مكروه من الامر زاجر
من الخفرات البيض لم تلق ريبة ... ولم يستملها عن تقى الله شاعر

فقال له سالم زدني فقال :

ألمت بنا والليل داج كأنه ... جناح غراب عنه قد نفض القطرا
فقلت أعطار ثوى في رحالنا ... وما احتملت ليلى سوى ريحها عطرا

فقلت سالم أما والله لولا أن تداوله الرواة لاجزلت جائزتك فلك من هذا الامر مكان اه

(١) الجثجاث نبت واللفظ ثقيل والعرار بهار أصفر قيل هو النرجس البري
(٢) موهنا وقت وهن الليل وهو حين يدبر اوما بعد نصفه أو بعد ساعة منه (٣) حفافة الحشا لينته والحفاف اللحم اللين تحت اللهاة

القيمة · وكل ما يأتي من ربح المجلة — ان وجد بأريحية محبي الخير — فهو لمساعدة الايتام والفقراء والعجزة في تلك الملاجئ فعسى ان تصادف من الاقبال في حياتها الجديدة ما يبشر أعضاء الجمعية الفضلاء بأن داعية الخير والبر في المسلمين تقوى وتنمو عاما بعد عام بل يوما بعد يوم · ومكاتبات المجلة والجمعية تكون مع صاحب السعادة خليل حمدي باشا حماده رئيس الجمعية في الاسكندرية

(مجلة الشتاء)

صدر الجزء الرابع من هذه المجلة قبل صدور هذا الجزء من المنار وبه تمت سنتها الأولى مؤلفة صفحاتها من ٢٤٠ صفحة · وفي هذا الجزء من المقالات والمباحث الأدبية والمقاطيع الشعرية والنكات الفكاهية ما يكون لقراء المجلة في هجير الصيف الذي تحتجب فيه كبرد الشتاء في مصر — بردا وسلاما — يتنعمون به فلا ينسون لذته حتى تسفر عليهم حين تحتجب الشمس في أول الشتاء الآتي، اطال الله خدمة منشئها لفنون الآداب، ولقي ما هو أهله من تعضيد أولي الألباب،

(لفظ الملاحظة وانتقاد المنار تقرير الشيخ شاكر)

ذكرنا في انتقادنا عبارة تقرير مشيخة الاسكندرية ان لفظ «لاحظ» لا يتعدى بعلى وصاحب التقرير يكثر من قول «لاحظ عليه» فهو خطأ: كذا قلنا ففهم بعض الادباء ان انتقادنا هذا خاص بقوله « وقد يلاحظ المطلع على احصائية العام المقبل » لأن هذه العبارة هي التي ذكرت في المنار عند الانتقاد فقال هذا الاديب ان « على » في هذه العبارة متعلق بلفظ المطلع وهو صحيح · وأقول ان عبارة المنار المشار اليها كانت موجهة بالمناسبة الى ما قلنا انه يكثر في كلامه ولكن سقط من الاصل شيء عند الطبع وأصل العبارة هكذا: « ولاحظ مفاعلة من لحظ للمشاركة وهو النظر بمؤخر العين · وتستعمل الملاحظة مجازا بمعنى المراعاة ولا يظهر هنا المعنى الحقيقي ولا المجازي · ولاحظ لا يتعدى بعلى » الخ فسقط ما بين لاحظ الاولى والثانية ومنه يعلم ان الانتقاد على تعدية لاحظ بعلى ذكر في السياق ولم يكن هو المقصود بالذات فينبغي تصحيح العبارة وموضعها س ٢١ ص ٩١٨ م ٩

حبيب في الواضحة وهو متهم بسرقة الحديث وتخليط الأسانيد وقال الحافظ ابن عبد البر انه أفسد اسناد هذا الحديث . وفيه أيضاً علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف .

وكما لا يصح الاحتجاج به والاستنباط منه لفساد سنده لا يصح من جهة معناه فانه وارد في امامة الصلاة لا في الامامة الكبرى وهي الخلافة كما زعم المستنبط الجديد فان المرأة والأعرابي المقيم في البادية وراء أنعامه ليسا مظنة لتقلد الامامة الكبرى فينهى عن تقليدهما والمراد بالفاجر العاصي الفاسق لا الكافر ولذلك تكلم السلف في الصلاة وراء الظالمين كالحجاج وغيره ولا محل لبسط ذلك الآن .

وقد سرنا ان الشيخ سمى رأيه استنباطا وقال في أول الرسالة الثانية:
«الحمد لله الذي وفق من شاء من عباده لاستنباط الاحكام من صحيح الأدلة ، ولم يخص ذلك بزمان دون زمان بل جعل ذلك دائما مستمرا باستمرار الأهلة ،»
فقد أثبت أن الاجتهاد جائز في هذا الزمان خلافا لما في كتب مذهبه من القول باقفال بابه، وانقراض أربابه . وظاهر انه لا يعني الاجتهاد في المذهب والاستنباط منه فقد استنبط هو ما علمت من الحديث ولكنه أخطأ اذلم يبذل شيئا من جهده في معرفة سنده ولا في فهمه وقد علمت انه منكر أو موضوع وانه لا يدل على ما قال فعسى ان يتروى في مثل ذلك عند محاولة استنباط آخر . ورب ما عدنا الى انتقاد الرسالتين

(مجلة جمعية الملاجئ العباسية . ومكارم الاخلاق الاسلامية)

كان لمجلة مكارم الاخلاق الاسلامية عند ابتداء ظهورها رواج عظيم وشهرة أكبر منها حتى كان يطبع منها في السنة الأولى والثانية بضعة آلاف ثم لم يلبث الناس ان انفضوا من حولها وأعرضوا عن قراءتها حتى خفت صوتها وكاد يخفى ذكرها لولا أن بادرت جمعية المكارم في الاسكندرية الى كفالتها ولكن عنايتها بها كانت ضعيفة حتى اتحدت بجمعية الملاجئ العباسية ففي فاتحة هذا العام صدرت المجلة بالاسم الذي رأيت في العنوان مطبوعة طبعا متقنا على ورق جيد وقد تنوعت مباحثها ومسائلها المفيدة بعد ان كان أكثر ما ينشر فيها منقولا من الكتب والجرائد وجعلت هدية للمشتركين في جمعية الملاجئ العباسية وأما قيمة الاشتراك السنوي لغيرهم فثلاثون قرشا في مصر و١٠ فرنكات في سائر الاقطار . ويقبل من طلاب العلم نصف

ومن غريب جهلنا ان نعد أنفسنا ظافرين كما طلبوا منا تجديد نفوذهم في بلادنا وازالة نفوذ لنا منها فنالوا بعضه كما جرى لنا في مسألتي كريت ومكدونية وكما سيجري في مراكش بعد هذا المؤتمر الذي يجعل لهم حقا رسميا في القبض على ادارة البلاد وأموالها .

اذا أرجعت المسببات الى أسبابها تبين لك ان الذي حال بين أهل مراكش وبين الانتفاع بما ذكرناهم وذكرهم به غيرنا هو الجمود على التقاليد والاتكال على أصحاب القبور فهاتان العلتان هما المانعتان من فهم الحق ومن كل تغيير يدعى اليه المقلد للآباء، المفوض أموره الى من اتخذهم اولياء ،

﴿ مسألة العقبة ﴾

كان أهل الرأي في الدولة وأصحاب النفوذ في المابين يرون منذ شرع في سكة الحجاز الحديدية أن من الضروري احداث ناشط لها ينتهي بفرضة العقبة في البحر الاحمر وقال بعضهم اذا عجزنا عن ايصال السكة الى الحرمين فان ربحنا من السكة لا يكون قليلا اذا استعضنا عن ذلك بايصالها الى العقبة . وقد اجتهد الصدر الاعظم ومختار باشا الغازي وعزت باشا العابد وصادق باشا العظم اجتهادا عظيما في اقناع السلطان بوجوب انشاء هذا الناشط منذ سنين فكان يأبى ذلك ويحتج بأن هذا يكون وسيلة لتداخل الانكليز في بلاد العرب فلما أعياه أمر ثورة اليمن اقتنع بأن اخضاع تلك الولاية وتمكين السلطة فيها من بعض فوائد ناشط العقبة من سكة الحديد فأمر به وأرسلت الجنود العثمانية الى العقبة لتمهيد العمل . فلما رأت انكلترا ذلك خافت من الدولة على مصر أضعاف ما كان يخاف منها السلطان على بلاد العرب . واعتقدت أنه ما دفع السلطان على هذا العمل الا ألمانيا الدائبة في مناهضة انكلترا وأنه لا يبعد ان يتفق السلطان مع عاهل الألمان على الزحف على مصر بعد وصول الناشط الى العقبة فأرادت بناء معاقل عسكرية هناك باسم مصر فكانت الدولة بالمرصاد فمنعت الجنود المصرية من البناء بالتهديد فأنشأت انكلترا تعارض الدولة بأن جنودها احتلت نقطة مما كانت سمحت به لمصر من أرض سيناء واشتدت في ذلك بلسانها وبلسان الحكومة الخديوية التي تنطق بوحيها. على ان انكلترا قد غيرت حدود مصر في شبه جزيرة سيناء في الخرائط الجغرافية التي جددتها للمدارس المصرية منذ بضع سنين،

باب الأخبار والآراء

﴿مملكة مراكش ومؤتمر الجزيرة﴾

كتبنا في العدد الخامس عشر من سنة المنار الاولى الذي صدر في ٩ صفر سنة ١٣١٦ أي منذ ثمان سنين كاملة انذارا لسلطان مراكش بأن طوفان اوربا لا بد ان يفيض على بلاده فيغمرها اذا هو لم يبادر الى اصلاح شأنها بالتربية والتعليم اللذين تقتضيهما حالة العصر لاسيما تعليم الفنون العسكرية والمدنية والاقتصادية ونصحنا له بأن يستعين على ذلك بسلطان الدولة العثمانية . ثم أعدنا النذر والنصائح ولكن القوم فى غمرة ساهون ، لا يتوبون ولا هم يذكرون ، وانما يعتمدون على أهل القبور في دفع الضر أو تحويله عنهم . كما علمت من التجائهم الى قبر سيدي ادريس عندما أرادت فرنسا الافتيات عليهم وجؤارهم عنده بكلمة (يالطيف) مئة ألف مرة . وقد كان من أسباب استدراجهم فى اعتقادهم ما كان من عاهل الالمان يومئذ وايعازه الى السلطان عبد العزيز بطلب عرض اصلاح مراكش على مؤتمر أوربي فانعقد المؤتمر في الجزيرة من حواضر أسبانيا فاتفق أعضاؤه على وجوب انشاء مصرف (بنك) لتلك المملكة وانشاء شرطة (بوليس) يدير أمرها ضباط أوربيون. أما المصرف فلابتلاع أموال الحكومة وأما الشرطة فلتأمين تجارة أوربا التي يبتلعون بها أموال الاهالي ويتمكنون بها من ادارة البلاد ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون

وقد طال التنازع بين فرنسا وألمانيا في شأن حصص كل دولة في المصرف وفي كون ضباط الشرطة من الفرنسيس والاسبانيين أم من سائر الدول وفي رئيس هؤلاء الضباط ونحو ذلك مما لا غرض لنا في بيان جزئياته لأننا لا نكتب لأجل احصاء وقائع التاريخ ولا لأجل تفكيه القراء ان نكتب الا لأجل بيان طرق العبرة للمسلمين

مهما اختلف القوم وتنازعوا فهم اقرب الى الاتفاق على التوفيق بين مصالحهم المتعارضة منا على مصالحنا المتحدة . وكل ما يتفقون عليه فهو إضعاف لسلطتنا بل تقليص لظلها عن بلادنا ولو بالتدريج الذي هو خير لهم اذ لا يحتاجون فيه الى بذل دمائهم واموالهم .

ارسل عدة رجال مهمين يدعون المعرفة فاجتهد الشيخ ابراهيم الطوبي الكتبي واستحضر جملة من المغاربة والسودانية فلم تحصل فائدة وكذلك حضر الشيخ محمد الرفاعي وقرأ وكتب ولكن ما أفاد وكذلك المغربي الذي في الخرنفش فلم تحصل فائدة حتى يئس حضرة الاستاذ وصمم على بيع المنزل أو هجره حتى يحكم الله واخيراً حضر بعض الاعيان واخبر الاستاذ بانه يوجد رجل ... ساح في الارض وفي بلاد الهند والسودان وصاحب علوم واسرار بل هو الولي في هذا الزمان واسم هذا الشخص ... فتقابل معه الشيخ وقص عليه ما وقع فتوجه الى منزل الشيخ وطلب سجادة وكان موجوداً وقت ذلك ٣٠٠ نفر وفرشها وسط المنزل وطلب طشت نحاس وكتب عليه وقرأ وقال احضر يامن هو موكل بالاذى وبعد ساعة رفعت الناس الطشت فخرج من تحته طيرة تشبه النسر سوداء وصوتت بصوت رفيع وتكلم معها واشار اليها فطارت والناس تنظر اليها وكل ذلك العمل كان بعد العصر ولما جاء الليل احضر جماعة من الجن وكل من حضر سمع كلامهم بالحرف الواحد واخبراهم ... بصرف الاذى عن المنزل فانصرف وكانت فقدت أشياء من المنزل ذات قيمة فردتها الجن كما كانت واخيراً سئل ... عن هـذا الاذى فقال معناه ان هذا الامر يجب عليّ أن أضع له سور من حديد على انه لا يمكنني ان اطلع احداً عليه مهما كان ميله اليّ وقربه من فؤادي»

اهـ المراد منه وليس بعد ما ذكرنا الا الغلوّ في شهرة صاحب الاسم المراد اشهاره بالكذب لمخادعة النساء والعوام بدعوى ان بيته مكتظ بالأمراء والافرنج ...

قد ادعى هـذا الدجال عدة دعاوي باطلة يعلم بهـا انه يتعمد الكذب .

(أولاها) أن الاستاذ الإمام اتخذ لنفسه أدحية في الأزهر كان يقرأ فيها دروسه يعني مكانا صغيرا كأفحوص القطاة والناس يعلمون انه كان يقرأ في أعظم رواق في الازهر (ثانيها) انه أنكر وجود الجن في دروسه جهرا . وهذا كذب وبهتان بل اعترف في دروسـه وكتبه بوجود الجن كما يعـلم من حضر دروسه معنا ومن قرأ تفسير جزء عم من تآليفه أو تفسير المنار الذي نقتبس فيه دروسه التي كان يلقيها في الازهر (ثالثها) ان العلماء حاجوه في ذلك (رابعها) ان المؤيد واللواء والظاهر خاضت معه في هذا الموضوع وكل ذلك كذب مبني على كذب (خامسها) ان أكثر الناس وافقوه على إنكار

البدع والخرافات

والتقاليد والعادات

﴿ سلطان الشياطين على عالم أزهري • ومخادعة دجال غوي ﴾

نشر في مصر (إعلان) مطبوع عنوانه « أشهر الحوادث وأعظم الرجال — حادثة في الأزهر» يريد ناشره ان يشهر به نفسه بالولاية والقدرة على اخراج الشياطين من الاجسام والبيوت ورأى ان إعلانه لا يقرأ الا اذا افتتحه بذكر الاستاذ الامام رضي الله عنه ولو بالكذب عليه لعلمه بأن الامة تقرأ كل ما يكتب عنه. ومن العجائب أن بعض الجرائد نشرت هذا الإعلان الضار وأقرته وانا ننشره وننكره وهو باختصار

«لا ريب ان الجامعة المصرية قد حضرت دروس حكيم الشرق وفيلسوف الاسلام الشيخ محمد عبده اذ كان يتخذ ادحية في الازهر ويقرأ فيها جهاراً والناس من حوله من ترك وعرب وعجم فضلا عما يخالط ذلك من دان وشاسع وكان اذ ذاك يصيح باعلى صوته بان لا وجود للجن وكثيراً ما جاهر بهذا الانكار على رؤوس الاشهاد والعلماء يحاجونه بالكتب المنزلة فما استطاع رده ردا وكان ينسب ذلك الى الخيال والتصورات والاوهام وضرب لذلك جملة امثال ولكن لكل شرب وله شرب معلوم وكثير ما كان صاحب المؤيد واللواء والظاهر خاضوا معه في هذا الموضوع وأكثر الناس وافقه على هذا الأمر على انه يوجد أكبر شاهد على وجود الجن وهو من خيرة العلماء الافاضل وعضو في ادارة الازهر ومن رجال الدشريفة وامين الكتبخانه وهو الشيخ محمد حسنين وتحرير الخبر ان هذا الشيخ اشترى من منذ سنتين منزل بأم الغلام بجوار سيدنا الحسين فاعجبه ولكن رأى فيه في هذه الايام رجم أحجار فظن انه من الجيران فصنع صور من خشب على السطوح فزاد الحال وعظم حتى ظهرت الجن في شكل قردة وخنازير وكلاب وقطط وصاروا ينقلون الكتب والملابس والفرش والمفاتيح من جيبه ويلقونها في الشارع على ان هذا الشيخ ترك أشغاله واشتغل بهذا الحادث حتى كان لا ينام من الليل دقيقة فشاع الخبر وذاع في مصر وضواحيها وأرسلت اليه جميع الاخوان جوابات بفوائد ووصفات وكثير من أعاظم مصر

﴿زيت لطيف وماء لطيف﴾

(اختراع جديد مفيد)

المشهود بالشهادات العديدة التي تدرج بجريدة المؤيد

(تنبيه) ان كل زجاجة لم يكن عليها المارك المسجلة وورقة اخرى عليها ختم المخترع وامضاؤه بالعربية والافرنكية بخط اليد تكون مقلدة وغير مفيدة

(خواصه) — من خواص هذا الزيت انه يطيل الشعر جداً ويمنع سقوطه وتقصيفه وتجعيده ثم ينبته بعد اليأس من نباته بسبب صلع او اي مرض آخر في الرأس والشنب ولا يصبغه الا انه بواسطة تقويته للبصيلات جدا يعيد اليها قوتها المغذية الاصليه

وهو يزيل الشيب من الشباب اذ معلوم ان شيبهم عارض ناتج عن ضعف او تخاخل في البصيلات ثم يقتل القمل وجراثيمه كالصئبان وجميع الميكروب المضر بالشعر ويمنع الحكة والاكلان في جميع منابت الشعر ويزيل القشور من الراس ويمنع الصداع والدوار ويذهب بما قد يحدث في الرأس وغيره من دمامل وحرارة ونحوهما . ويزيل الالم الذي يوجد في جذور الشعر وقت تمشيطه أو جذبه ويسمنه ولا يضر أبداً إذا ذاق بالفم والجلد شئ منه لخلوه من جميع المواد السمية . ولا فرق في استعماله عند الرجال أو النساء

طريقة الاستعمال مبينة بالاعلان المغلف بالزجاجة

ويباع زيت لطيف وماء لطيف

(١) بالمستودع العمومي بادارة جريدة المؤيد بمصر عند حضرة علي أفندي (٢) بدكان حضرة مصطفى افندي صبري تاجر مني فاتوره بالموسكي (٣) باسكندريه عند حضرة محمود افندي الباجوري وكيل جريدة المؤيد (٤) وبالزقازيق بأجزاخانة جالينوس مالك حضرة الدكتور محمد افندي أمين عزب ومن يشتري من غير هذه المحلات فلا يلوم الا نفسه وكل زجاجة لم يكن عليها ورقتان الاولى بها العلامة المسجلة والثانية ختم المخترع وفرمته بالعربية والافرنكية تكون مقلدة والاثمان كما يأتي

زيت لطيف ١٣ قرشا صاغا ماء لطيف ١٤ قرشا صاغا زجاجة كبيرة لمن لم يحب استعمال الزيوت . زيت لطيف المركز ١٦ قرشا صاغا وأجرة البريد غرشين صاغ وعلى الله الاتكال

الجن وهذا طعن بأكثر المسلمين وقذف لهم بالكفر والردة . وقد بلغنا عن الشيخ محمد حسنين أنه يقول ان للحكاية أصلا ولكن ما نشر في الاعلان كله كذب وبهتان

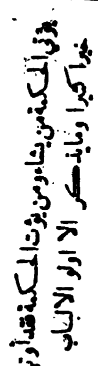
صرح الاستاذ الامام في تفسير سورة الناس بأن الجن خلق خفي وقد قال الله تعالى في أبيهم إبليس (إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم) وما ورد من رؤية النبي صلى الله عليه وسلم للجن كما في حديث ابن مسعود في استماعهم القرآن قالوا إنه لا يعارض الآية لانه من الخوارق وهي تأتي على خلاف سنة الله تعالى فهي من قبيل ما يسميه الحكام بالاستثناء . وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه صلى الله عليه وسلم لم ير الجن عند ما استمعوا القرآن لأنه تعالى يقول له في أول سورة الجن (قل أوحي الي انه استمع نفر من الجن) فقد علم ذلك بالوحي لا بالرؤية . ولكن ما اختلف فيه عالمان من أعلم الصحابة — ابن مسعود وابن عباس — هل كان معجزة للنبي (ص) أم لا قد صار عند أولياء الشيطان من الامور المعتادة بزعمهم فهم يرون الجن ويتصرفون فيهم كما شاؤا متى شاؤا ، وما كانوا الا خادعين وما كان الاستاذ الامام الا منكرا دجلهم تأييدا للقرآن ونصحا للعوام

استدل الجاهل ناشر «الاعلان» على وجود الجن بحكاية الشيخ محمد حسنين وما هذه الحكاية الا كأمثالها من الحكايات التي لا تحصى عند أهل الخرافات وعبدة الأوهام فكم من بيت كاده شياطين الإنس من أهله أو من غير أهله فعبثوا فيه وعاثوا في حنادس الظلمات أومن وراء الحجب والاستار فتوهم السخفاء ان عيثهم من عمل الجن و بلغوا من الكيد لمن أرادوا ما أرادوا

وقد اكتشف بعض أصحاب الذكاء والدهاء كثيرا من هذه الحيل الشيطانية فعلم ان منها ما كان من الجيران لسبب غرامي أو لسبب مالي وهو الطمع في شراء البيت رخيصا اذا خاف الناس من عفاريته ومنها ما كان من بعض نساء الدار وخوادمها ابتغاء تركها وسكنى غيرها أو احتيالا على الرجل الشرود ليأوي اليها . وقد كان من علماء الازهر من يحكى عنهم إخضاع الجن أو جعلهم تلاميذ لهم فهل صار للعفاريت والشياطين من السلطان على علماء الازهر أن يسلبوا راحتهم في بيوتهم في زمن قل فيه ظهور العفاريت لتحوت العوام، اذ قلت الخرافات والاوهام ، ؟

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب







﴿ مصر الخميس غرة جمادى الأولى سنة ١٣٢٤ — ٢٣ يونيو (حزيران) سنة ١٩٠٦ ﴾

باب تفسير القرآن الحكيم

(مقتبس من الدروس التي كان يلقيها في الازهر الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه)

(٢٧٢) لَيسَ عَلَيكَ هُدَاهُم وَلكِنَّ اللهَ يَهدِي مَن يَشَاءُ ، وَمَا تُنفِقُوا مِن خَيرٍ فَلِأَنفُسِكُم وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ابتِغَاءَ وَجهِ اللهِ ، وَمَا تُنفِقُوا مِن خَيرٍ يُوَفَّ إِلَيكُم وَأَنتُم لَا تُظلَمُونَ (٢٧٣) لِلفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحصِرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ لَا يَستَطِيعُونَ ضَربًا فِي الأَرضِ يَحسَبُهُمُ الجَاهِلُ أَغنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ ، تَعرِفُهُم بِسِيمَاهُم لَا يَسأَلُونَ النَّاسَ إِلحَافًا ، وَمَا تُنفِقُوا مِن خَيرٍ فَإِنَّ اللهَ بِهِ عَلِيمٌ

أخرج ابن أبي شيبة عن سعيد بن جبير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تصدقوا الا على أهل دينكم : فأنزل الله تعالى ﴿ ليس عليك هداهم ﴾ وأخرج ابن أبي حاتم وغيره عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يأمرنا أن

باب المراسلة والمناظرة

فتاوى المنار

التقريظ

[illegible]

تقدم لهذا الكلام نظير في موضع آخر. (قال) وقوله تعالى ﴿ وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله ﴾ قد يكون خبرا على ظاهره أي لا تنفقون لاجل جاه أو مكانة عند المنفق عليه وانما تنفقون لوجه الله فلا فرق بين معطًى ومعطى اذا كان الفقير مستحقا يتقرب بإزالة ضرورته الى الرزاق الرحيم الذي لم يحرم أحدا من رزقه لاعتقاده. أقول ويؤيده قوله (كُلاًّ نُمِدُّ هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا) (قال) وفي كون الانفاق لا يكون الا لوجه لله إشارة الى أن الانفاق على الكافرين اذا كان إعانة لهم على ايذاء المسلمين لا يكون جائزا لانه لا يكون مرضيا لله تعالى يبتغي به وجهه. وأكثر المفسرين على انه خبر بمعنى النهي أي لا تنفقوا الا لوجهه وابتغاء مرضاته عز وجل

ثم قال في قوله تعالى ﴿وما تنفقوا من خير يوفَّ اليكم﴾ أي في الآخرة لا ينقصكم منه شيء وعد أولا بأن خير الانفاق عائد على المنفقين في الدنيا بقوله (فلانفسكم) ثم وعد بالجزاء عليه في الآخرة موفًّى تاما وقال ﴿ وأنتم لا تظلمون ﴾ أي لا تنقصون من الجزاء عليه شيئا ولو نقيرا أو فتيلا : أقول وقد رأيت انه جعل هنا قوله تعالى « فلأنفسكم » خاصا بالدنيا وما نقلناه عنه أولا من انه عام قد قاله في الدرس فهل كان سبق لسان أم رجع عنه عند تمام تفسير الآية . وكيف فاتنا أن نسأله عن ذلك ؟ هذا ما وجدته في مذكرتي لا أذكر شيئا غير ذلك

أقول والذي كان تبادر الى فهمي من قوله تعالى (وما تنفقوا من خير فلأنفسكم وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله) أنه بمعنى (والذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتا من أنفسهم) أي ان أي نفقة من الخير أنفقتم فهي تفيدكم في تثبيت أنفسكم في مقامات الاسلام والايمان والاحسان والحال انكم ما تنفقون ذلك الا ابتغاء وجه الله وارادة رضوانه ومتى كان الانفاق كذلك كان مزكيا ومثبتا للنفس معدًّا لها ومؤهلا لرضوان الله لا يمنع من ذلك كون المنفق عليه مؤمنا أو كافرا اذ الانفاق ليس لأجل التقرب اليه وابتغاء الأجر منه. وبعد ان ذكر الفائدة الذاتية للانفاق في نفس المنفق ذكر الجزاء عليه بقوله (وما تنفقوا من خير) الخ أي وانكم على استفادتكم من الانفاق في أنفسكم بترقيتها وجعلها مستحقة لقرب

لا نتصدق الا على أهل الاسلام حتى نزلت هذه الآية . وأخرج ابن جرير عنه انه قال كان أناس من الانصار لهم أنسباء وقرابة وكانوا يتقون أن يتصدقوا عليهم ويريدونهم أن يسلموا فنزلت . والمعنى أن هذه الوقائع تقدمت نزولها فلما نزلت كانت فصلا فيها والا فهي مرتبطة بما قبلها وما قبلها نزل في الفقراء عامة . قال الاستاذ الامام : إن الآية السابقة قد أطلقت إيتاء الفقراء وجملته على عمومه الشامل للمؤمن والكافر وقد ارشد الله المسلمين في هذه الآية الى عدم التحرج من الانفاق على المشركين لأنهم غير مهديين فان الرحمة بالفقير وسد خلته لا ينبغي ان يتوقف على ايمانه بل من شأن المؤمن ان يكون خيره عاما وان يكون سابقا لسائر الناس بالكرم والفضل

أقول والخطاب على ماورد في حديث سعيد وحديث ابن عباس الاول خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم لنهيه عن الانفاق وعلى هذا التوجيه عامٌّ موجه الى المؤمنين كافة وان جاء بضمير المخاطب المفرد ويؤيده كونه في سائر الآية بضمائر جمع المخاطبين . واذا كان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكلف هداية الكافرين بالفعل وانما كلف البلاغ فقط وأعلم أن أمر الناس في الاهتداء مفوض الى ربهم وما وضعه لسير عقولهم وقلوبهم من السنن فغيره أولى بأن لا يكلف ذلك . فليس علينا اذا ان نمنع الخير عن الكافر عقوبة له على كفره او جذبا له الى الايمان واضطرارا له الى الهداية فان الهداية ليست علينا ﴿ ولكن الله يهدي من يشاء ﴾ بتوفيقه الى النظر الصحيح المؤدي الى الاعتقاد الجازم الذي يثمر العمل . وأما الباعث على الانفاق فيجب ان يكون ماأرشدنا اليه سبحانه في قوله ﴿ وما تنفقوا من خير فلانفسكم ﴾ الخ قالوا معنى هذا ان نفع الانفاق في الآخرة خاص بكم هكذا صرح بعضهم بتقييد النفع بالآخرة وقال الاستاذ الامام هنا أي لأن نفعه عائد عليكم في الدنيا والآخرة وسيأتي انه يجعله خاصا بالدنيا ومعنى كونه خيرا في الدنيا أنه يكف شرَّ الفقراء ويدفع عنهم أذى الفقراء فان الفقراء اذا ضاق بهم الامر واشتدت بهم الحاجة يندفعون الى الاعتداء على أهل الثروة بالسرقة والنهب والايذاء بحسب استطاعتهم ثم يسري شرهم الى غيرهم وربما صار فسادا عاما بسوء القدوة، فذهب بالامن والراحة من الامة ، وقد

للزوال ووجها الى الدوام والبقاء وهو وجه الله تعالى . فمعنى ابتغاء وجه الله بالانفاق على هذا المنزع ان يقصد به ثمرته الدائمة في الآخرة وهي انما تكون بارتقاء النفس في الكمال الذي يؤهلها للبقاء في مقعد صدق عند مليك مقتدر

اذا فهمت هذا علمت أنه لا حاجة هنا الى ايراد طريقتي السلف والخلف في المتشابهات وآيات الصفات ، كأن نقول ان الوجه صفة لله تعالى أو انها كناية عن الذات ، حتى يكون المعنى على الاول وما تنفقون الا ابتغاء صفة الله التي سماها وجها وآمنا بها مع تنزيهه تعالى عن صفات المحدثين — وعلى الثاني وما تنفقون الا ابتغاء ذات الله تعالى . هذا مالا يظهر معه للآية معنى ، وكل ماذكرناه في تفسيرها اظهر منه وأجلى ، وقد رأيت أن الاستاذ اكتفى كالمفسرين بجعله معنى مرضاة الله تعالى وهو صحيح

ثم قال تعالى ﴿للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله﴾ الآية قال الاستاذ الإمام: بعدما أمر الله تعالى بالانفاق في سبيله و بابتاء الفقراء عامة نبه الى أمرين أحدهما عدم التحرج من الصدقة على غير المسلم وهو ما بينته الآية السابقة وثانيهما بيان أحق الناس بالصدقة وهم الفقراء الذين ذكرت صفاتهم في هذه الآية وهي خمس صفات من أفضل الصفات وأعلاها . وقد ورد أنها نزلت في أهل الصفة وهم أربع مئة أرصدوا أنفسهم لحفظ القرآن والخروج مع السرايا — ولعل ماذكره كغيره هو أكثر ما انتهى اليه عددهم والمشهور ان متوسط عددهم كان ثلاث مئة والذين عرفت اسماؤهم منهم لا يبلغون مئة وهم من فقراء المهاجرين لم يكن لأكثرهم مأوى لذلك كانوا يقيمون في صفة المسجد وهي موضع مظلل منه فالصفة بالضم كالظلة لفظا ومعنى — (قال) أولئك الذين نزلت فيهم الآية كانوا من الذين هاجروا بدينهم وتركوا أموالهم فحيل بينهم و بينها فهم محصرون في سبيل الله بهذه الهجرة ومحصرون بحبس أنفسهم على حفظ القرآن وقد كان حفظه أفضل العبادات على الاطلاق لأنه حفظ للدين كله وأنتم تعرفون أنهم ما كانوا يحفظونه لاجل تلاوته امام الجنائز ولا في الأعراس والمآتم ولا لاستجداء الناس به ولا لمجرد التعبد بتلاوة ألفاظه وانما كانوا يحفظونه للفهم والاهتداء والعمل به ولحفظ أصل الدين بحفظه . وكانوا أيضا يحفظون ما يبينه به

الله ورضوانه لا يضيع عليكم ما تنفقونه بل توفونه لا تظلمون منه شيئا — و يدخل في ذلك الأجر عليه في الدنيا والآخرة. والكلام على هذا التفسير أشد التئاما، وأحسن نظاما، فالجملتان الشرطيتان فيه متعاطفتان وقوله (وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله) جملة حالية قيد في الشرطية الأولى وللانفاق على هذا فائدتان أولاهما وهي المقصودة بالذات تثبيت نفس المنفق وترقيتها بالاخلاص لله وابتغاء وجهه والاخرى الثواب عليه في الدنيا والآخرة وهي دون الأولى عند العارفين

وابتغاء وجه الله بالعمل هو ان يعمل له دون سواه تقربا اليه وارضاء له لذاته لا للتشوّف الى شيء آخر كأن المراد بذلك عرضه عليه ومقابلته به فقط ولا يفهم هذا حق فهمه الا من عرف مراتب الناس ومقاصدهم في خدمة الملوك ذلك ان منهم من يعمل للملك خوفا من العقوبة على ترك ما فرضه عليه قانونه أو التقصير فيه ومنهم من يعمل لأجل اقتضاء الاجر الذي فرض للعمل فهو لا يفكر في غيره ومنهم من يعمل فيجيد العمل لاجل الارتقاء من جزاء الى أكبر منه. ومنهم — وهو أعلاهم مرتبة — من يعمل العمل الحسن المرضي للملك لاجل ان يكون في نظره محسنا عارفا قيمة العمل الذي أمر به وما وراءه من الحكمة التي كانت علة الأمر فمثل هذا يصح أن يقال فيه انه مبتغ وجه الملك أي ان يكون في الجهة التي يراه فيها محسنا فان من يتعرض لان يرى فإنما يأتي من تلقاء الوجه . ومن الناس من يعمل العمل لا يبتغي به الا أن يواجه الناس — لا الملوك خاصة — بما يعتقدون أنه كمال لا يبتغي غير ذلك جلب نفع أو دفع ضر . فأرشد الله الانسان ان يكون في عمله الصالح مع الله تعالى كذلك أي ان يكمل نفسه بالعمل و يبتغي ان يراه الله تعالى كاملا يعمل العمل لأنه حسن تتحقق به حكمته تعالى وتقوم به سننه في صلاح البشر. ولك أن تقول إن معنى ابتغاء وجه الله تعالى هو طلب اقباله ومحبته للعامل قال تعالى حكاية عن اخوة يوسف (١٢:٩ اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا يخلُ لكم وجه أبيكم) فمعنى خلو وجهه لهم ان لا يشاركهم في اقباله عليهم ومحبته لهم مشارك. ولبعض الصوفية منزع دقيق في معنى وجه الله وهو أن لكل شيء وجهين وجها الى هذا العالم الحادث وهو ما يكون عليه فيه ولا بقاء له لأن جميع المحدثات عرضة

في سبيل الله تعالى فصاروا زمنى فجعل لهم في أموال المسلمين حقا · والقاعدة الأصولية أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فكل من اتصف بهذه الصفات من الفقراء كان له حكم من نزلت فيهم الآية من استحقاق الصدقة وقد رأيت المفسرين أوجزوا في تفسير هذه الصفات فأحببت أن أبسط القول فيها فأقول

(الصفة الاولى) الاحصار في سبيل الله فقوله تعالى (أحصروا في سبيل الله) بالبناء للمفعول يدل على أن المراد بالإحصار المانع من الكسب ما كان ترك الكسب فيه بسبب اضطراري ويفهم منه أن حبس النفس في سبيل الله أي في الاعمال المشروعة التي تقوم بها المصالح كالجهاد والعلم لا ينبغي ان يمنع الانسان عن الكسب الذي يستطيعه القيام بأوده بل يطلب منه أن يعمل للمصلحة العامة في أوقات الفراغ من العمل الذي به قوام معيشته فان ترك الكسب مختارا لم يحل له ان يأخذ الصدقة · أما السبب الاضطراري للاحصار عن الكسب فمنه ما هو طبيعي كالعجز وما هو شرعي كالعلم بتعطيل المصلحة العامة التي أحصر فيها اذا هو تركها لاجل الكسب فاذا تعين بعض الناس لذلك بأن كان غيرهم يعجز عن القيام بالمصلحة وكان جمعهم بينه وبين الكسب متعذرا وجب عليهم ترك الكسب وحبس أنفسهم في سبيل الله وكانوا بذلك محصرين بالاضطرار الشرعي ووجبت نفقتهم في بيت المال والا فعلى أغنياء الامة · وان لم يتعين لذلك أناس مخصوصون كان الامر من فروض الكفاية كما هو ظاهر ومنه الاحصار لتعلم الفنون العسكرية

(الصفة الثانية) قوله تعالى ﴿لا يستطيعون ضربا فى الارض﴾ أي أنهم عاجزون عن الكسب والضرب فى الارض هو السفر لنحو التجارة و بذلك فسره المفسرون هنا · وهذا يؤيد ما قلناه آنفا من اشتراط الاضطرار فيما يحصر عنه وان كان ما يحصر فيه اختياريا وان القادر على الكسب ولو بالسفر لا يحل له ان يأكل الصدقة

(الصفة الثالثة) قوله ﴿يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف﴾ أي اذا رآهم الجاهل بحقيقة حالهم يظنهم أغنياء لما هم عليه من التعفف وهو المبالغة في التنزه عن الطمع فيما في أيدي الناس وكل ما لا يليق كالقبيح والمحرم وقد فسر أهل اللغة التعفف بالعفة و بالصبر والنزاهة عن الشيء وجعله المفسرون هنا للتكلف ولكن صيغة تفعل

النبي صلى الله عليه وسلم من سنته

(قال) ويحتج بأهل الصفة أكلة أموال الناس بالباطل من أهل التكايا الذين ينقطعون اليها تاركين للاعمال النافعة فلا يتعلمون العلم ولا يجاهدون في سبيل الله وليس فيهم صفة من الصفات الخمس التي وصف الله بها أهل الصفة . وإنما قصارى أمرهم أنهم يأكلون بدينهم يأكلون الصدقات والأوقاف لاجل أن يعبدوا الله تعالى في هذه المواضع خاصة فهي لهم كالأديار للنصارى وهم فيها كالرهبان وان كان بعضهم يتزوج — وقد يخرج الذي يتزوج من التكية لأنه قد يكون من شروط المقيم فيها ان لا يتزوج — ومنهم من لا يلتزم الاقامة في التكية وإنما يجمعه بأصحابها اسم الطريقة كأصحاب السيارات الذين ينزل شيخ الطريقة منهم بزعنفة من جماعته بلداً بعد آخر فيكلفون من يستضيفونه الذبائح والطعام الكثير، ثم لا يخرجون الا مثقلين، يسألون فيلحفون، بل يسلبون و ينهبون ، فاذا منعوا ماأرادوا انتقموا لانفسهم بكل ما قدروا عليه من أنواع الانتقام، أقول ان الناس يحفظون عنهم شيئا كثيرا من ضروب الايذاء ومنه مايبرزونه في معرض الكرامات والخوارق حدثني غير واحد ان من الفلاحين من قصر في اجابة مطالب بعض الشيوخ عند مانزل وزعنفته به فأحرقوا له جرن (بيدر) الحنطة وزعموا ان الله أحرقه بغير فعل فاعل كرامة لشيخهم . وحدثت أن بعضهم اتخذ في رأس العلم الذي يحمل فوق رأسه عدسية من الزجاج كان يوجهها من ناحية الشمس الى الجرن الذي يريد احراقه من حيث لا يشعر الفلاحون و يقول انه يريد التصرف فيه فيقع الحريق فيه ولم يدن أحد منه فلا يشك الفلاحون الجاهلون في أن الحريق كان كرامة للشيخ الذي لاحرفة له الا أكل أموال الناس بالكذب على الله تعالى وادعاء الولاية له والقرب منه . وهؤلاء الاشرار الضالون هم الذين يشبهون أنفسهم بأهل الصفة، و يزعمون أن لأكلهم أموال الناس بالباطل أصلا في الكتاب والسنة ، وحاش لكتاب الله وسنة رسوله من ذلك

ماذكره الاستاذ الامام من نزول الآية في أهل الصفة هو المروي عن ابن عباس ومحمد بن كعب القرظي . وعن سعيد بن جبير انها نزلت في قوم اصابتهم الجراحات

المدقع هو الشديد الذي يلصق صاحبه بالدقعاء وهي الارض التي لا نبات فيها والغرم بالضم مايلزم أداؤه تكلفا لا في مقابلة عوض ومنه مايحمله الانسان من النفقة لاصلاح ذات البين ولنحو ذلك من أعمال البر كدفع مظلمة وحفظ مصلحة فله ان يسأل الناس مساعدته على ما يحمله من المغارم · وقد اشترط في الحديث ان يكون الغرم الذي تسئل الاعانة عليه مفظعا أي شديدا فظيعا فاذا تحمل غرما خفيفا يسهل عليه اداؤه فليس له ان يسأل لأجله ويختلف ذلك باختلاف حال المتحملين · واما ذو الدم الموجع فهو الذي يتحمل الدية عن الجاني من قريب أو حميم أو نسيب لئلا يقتل فيتوجع لقتله

وروى أبو داود والترمذي من حديث عبد الله بن عمر والنسائي وابن ماجه من حديث أبي هريرة وأحمد من حديثهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مِرّة سوي » وقد حسنه الترمذي ولبعضهم مقال في بعض رجاله · وروى أحمد وأبو داود والنسائي والدارقطني عن عبيدالله بن عدي بن الخيار أن رجلين أخبراه انهما أتيا النبي صلى الله عليه وسلم يسألانه من الصدقة فقلب فيهما البصر ورآهما جلدين فقال « ان شئتما أعطيتكما ولا حظ فيها لغني ولا لقوي مكتسب » قال أحمد في هذا الحديث هو أجودها اسنادا قاله في المنتقى وروي عنه أنه قال ما أجوده من حديث · والمرة في الحديث الاول بكسر الميم القوة والسوي الخلق السليم الاعضاء والمراد به القادر على الكسب · وروى أحمد وأبو داود وابن حبان عن سهل بن الحنظلية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من سأل وعنده ما يغنيه فانما يستكثر من جمر جهنم » قالوا يارسول الله وما يغنيه قال « ما يغديه أو يعشيه » وعند أبي داود « يغديه ويعشيه » وقد احتج الامام أحمد بهذا الحديث وصححه ابن حبان · وروى أحمد والشيخان من حديث أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لأن يغدو أحدكم فيحتطب على ظهره فيتصدق منه ويستغني به عن الناس خير له من أن يسأل رجلا أعطاه أو منعه » وروى أحمد ومسلم وابن ماجه من حديثه أيضا « من سأل الناس أموالهم تكثرا فانما يسأل جمرا فليستقل منه أو ليستكثر »

تأتي لتكلف الشيء والمبالغة فيه والثاني أظهر هنا لأن من يتكلف العفة قلما يخفى حاله على رائيه واما المبالغ في العفة فهو الذي لا يكاد يظهر عليه أثر الحاجة فهو المتبادر هنا والمقام مقام المدح والمبالغ في الفضيلة أحق به من متكلفها

(الصفة الرابعة) قوله تعالى ﴿تعرفهم بسيماهم﴾ أي بعلامتهم الخاصة بهم قيل هي الخشوع والتواضع وقيل هي الرثاثة في الثياب أو الحال وليسا بشيء وقيل بآثار الجوع والحاجة في الوجه وهذا قريب والصواب أن هذه السيما لا تتعين بهيأة خاصة لاختلافها باختلاف الاشخاص والاصول وانما تترك الى فراسة المؤمن الذي يتحرى بالانفاق أهل الاستحقاق فصاحب الحاجة لا يخفى على المتفرس مهما تستر وتعفف فكم من سائل يأتيك رث الثياب خاشع الطرف والصوت تعرف من سيماه انه يسأل تكثرا وهو غني وكم من رجل يقابلك بطلاقة وجه وحسن بزة فتحكم بالفراسة في لحن قوله ومعارف وجهه انه مسكين عزيز النفس

(الصفة الخامسة) قوله تعالى ﴿لا يسألون الناس إلحافا﴾ أي لا يسألون الناس شيئا مما في إيديهم سؤال إلحاح كما هو شأن الشحاذين، وأهل الكدية المعروفين، فالالحاف هو الالحاح في السؤال . وظاهر العبارة نفي سؤال الالحاف لا مطلق السؤال وأما ظاهر السياق فهو ان القيد لبيان حال السائلين في العادة وأن النفي للسؤال مطلقا والمعنى أنهم لا يسألون أحداً شيئا لا سؤال الحاف، ولا سؤال رفق واستعطاف، وعليه المحققون وهذا الذي اخترناه هو ما تؤيده الاخبار . ففي حديث أبي هريرة في الصحيحين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس المسكين الذي ترده التمرة والتمرتان ولا اللقمة واللقمتان انما المسكين الذي يتعفف اقرأوا ان شئتم (لا يسألون الناس إلحافا) » وفي لفظ — ليس المسكين الذي يطوف على الناس ترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان ولكن المسكين الذي لا يجد غنى يغنيه ولا يفطن به فيتصدق عليه ولا يقوم فيسأل الناس»

والسؤال محرم في الاسلام لغير ضرورة . روى أحمد وأبو داود والترمذي وحسنه وابن ماجه من حديث أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال «المسألة لا تحل الا لثلاثة لذي فقر مدقع أو لذي غرم مفظع أو لذي دم موجع» فالفقر

(٢٧٤) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ *

كل ما تقدم من الآيات في الانفاق كان في الترغيب فيه وبيان فوائده في أنفس المنفقين وفي المنفق عليهم وفى الامة التي يكفل أقوياؤها ضعفاءها وأغنياؤها فقراءها و نقوم فيها القادرون بالمصالح العامة وفي آداب النفقة وفى المستحق لها وأحق الناس بها ونحو ذلك من الاحوال الا ما يتعلق بالزمان فقد ذكره الله تعالى في قوله ﴿ الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية ﴾ وفيه بيان عموم الاوقات مع عموم الاحوال من الاظهار والاخفاء وفي تقديم الليل على النهار والسر على العلانية ايذان بتفضيل صدقة السر ولكن الجمع بين السر والعلانية يقتضي أن لكل منهما موضعا تقتضيه الحال وتفضله المصلحة لا يحل غيره محله وتقدم وجه كل في تفسير «٢٧١ إن تبدوا الصدقات» وهؤلاء الذين ينفقون أموالهم في كل وقت وكل حال لا يقبضون أيديهم مهما لاح لهم طريق للانفاق هم الذين بلغوا نهاية الكمال في الجود والسخاء وطلب مرضاة الله تعالى. وقد ورد أن الآية نزلت فى الصديق الاكبر عليه الرضوان اذ أنفق أربعين ألف دينار قيل اتفق ان كان عشرة منها بالليل وعشرة بالنهار وعشرة بالسر وعشرة بالعلانية ونقل الالوسي عن السيوطي أن خبر تصدقه بأربعين ألفا رواه ابن عساكر في تاريخه عن عائشة ولكن ليس فيه أن الآية نزلت في ذلك. وأخرج عبد الرزاق وابن جرير وغيرهما بسند ضعيف عن ابن عباس رضي الله عنهما أنها نزلت فى علي كرم الله وجهه كانت له أربعة دراهم فأنفق بالليل درهما و بالنهار درهما وسرا درهما وعلانيـة درهما وفى رواية الكلبي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ماحملك على هذا قال حملني أن أستوجب على الله الذي وعدني فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا ان ذلك لك » والعبارة تدل على أنه أنفق ذلك بعد نزول الآية . وأخرج ابن المنذر عن سعيد ابن المسيب أنها نزلت في عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف اذ أنفقا في جيش العسرة. وأخرج الطبراني وابن أبي حاتم أنها نزلت في أصحاب الخيل وفي اسناد هذه الرواية مجهولان.

وأما الحديث المشهور « للسائل حق وان جاء على فرس » فقد رواه أحمد وأبو داود من حديث الحسين بن علي والروايات عنه كلها مراسيل وفي اسناد الحديث يعلى ابن أبي يحيى قال أبو حاتم الرازي مجهول . وقد حملوه على تحسين الظن بالمسلم وانه لم يسأل الا لحاجة تبيح له السؤال المحرم . قال في نيل الاوطار : فيه أي الحديث الامر بحسن الظن بالمسلم الذي امتهن نفسه بذل السؤال فلا يقابله بسوء الظن واحتقاره بل يكرمه باظهاره السرور له و يقدر أن الفرس التي تحته عارية أو انه ممن يجوز له أخذ الزكاة مع الغني كمن تحمل حمالة أو غرم غرما لاصلاح البين . وما قالوه في الحديث يقال في تفسير السائلين فى الآية ١٧٧ من هذه السورة وتفسير (٥ : ١٩ وفي أموالهم حق للسائل والمحروم) وآية (٧٠ : ٢٤ والذين في أموالهم حق معلوم ٢٥ للسائل والمحروم) أي أن السائل المؤمن يحمل على الصدق في انه لم يسأل الا لحاجة تبيح له السؤال المحرم كتحمل غرم أو دية أو ضرورة عارضة فما كل سائل يسأل لفقره هو فالاستاذ الامام رحمه الله تعالى كان يسأل بعض اصدقائه الموسرين أي يطلب منهم المال للجمعية الخيرية ولغيرها من أعمال البر وما كل من يسأل لنفسه يسأل تكثرا ويجعل السؤال حرفة والاصل في المؤمن ان يكون عزيز النفس متنزها عن الحرام فلا يسأل الا لضرورة تبيح له السؤال فينبغي ان يجعل الغني قدراً معينا من ماله الذي يعده للصدقات لما يعرض من امثال هذه الحاجات أو الضرورات . ومن يعلم انه يسأل لنفسه تكثرا كالشحاذين الذي جعلوا السؤال حرفة وهم قادرون على العمل فلا يعطون اذ لا حق لهم فى هذا المال كما علم من الاحاديث السابقة وقد رأى عمر رضي الله عنه سائلا يحمل جرابا فأمر ان ينظر ما فيه فاذا هو خبز فأمر بأن يؤخذ منه و يلقى الى ابل الصدقة

ثم قال تعالى بعد بيان أحق الناس بالصدقة ﴿ وما تنفقوا من خير فان الله به عليم ﴾ لا يخفى عليه حسن النية فيه وتحري النفع به ووضعه فى موضعه وايتائه أحق الناس فأحقهم به فهو يجازي عليه بحسب ذلك . فالجملة تذييل مرغب فى الانفاق على الوجه الذي سيقت الهداية اليه

إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون *

نزلت هذه الآيات في تحريم الربا الذي كان معروفا في الجاهلية يأتيه اليهود والمشركون وهي من آخر القرآن نزولا كما سيأتي وذكرت في النظم بعد آيات الصدقة التي كان آخرها آية الكاملين في السخاء والجود الذين ينفقون في عامة الاوقات والاحوال لما بينها من التناسب بالتضاد فالمتصدق يعطي المال بغير عوض يقابله والمرابي يأخذ المال بغير عوض يقابله . وانما نذكر تفسير الآيات ثم نفيض الكلام في مسألة الربا وحكمة تحريمه لان لهذه المسألة شأنا كبيرا في حياة الامم السياسية والاجتماعية في هذا العصر و يزعم بعض المتفرنجين من المسلمين أن تحريم الربا هو العقبة الكؤد في طريق مجاراة المسلمين للامم الغربية في الثروة التي هي مناط العزة والقوة

قوله تعالى ﴿الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس﴾ تنفير من الربا وتبشيع لحال آكله . والمراد بالاكل الاخذ لاجل التصرف وأكثر مكاسب الناس تنفق في الأكل ومن تصرف في شيء من مال غيره يقال أكله وهضمه أي انه تصرف فيه تمام التصرف حتى لا مطمع في رده والربا في اللغة الزيادة يقال ربا الشيء يربو اذا زاد على ما كان عليه ومنه الرابية لما علا من الارض فزاد على ما حوله . وتعريف الربا للعهد أي لا تأكلوا الربا الذي عهدتم في الجاهلية وذكر ابن جرير فى تفسير الآية و تفسير آية آل عمران كيفية ذلك قال: وكان أكلهم ذلك في جاهليتهم ان الرجل كان يكون له على الرجل مال الى أجل فاذا حل الاجل طلبه من صاحبه فيقول له الذي عليه المال أخر عني دينك وأزيدك على مالك فيفعلان ذلك فذلك هو الربا أضعافا مضاعفة فنهاهم الله عز وجل في إسلامهم عنه: اه وذكر وقائع للجاهلية في ذلك سننقلها عنه في موضعها .

واما قيام آكلي الربا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس فقد قال ابن عطية في تفسيره المراد تشبيه المرابي في الدنيا بالمتخبط المصروع كما يقال لمن يسرع

فلم يصح في سبب نزولها شيء، ومعناها عام أي الذين ينفقون أموالهم في كل وقت وكل حال، لا يحصرون الصدقة في الايام الفاضلة أو رءوس الاعوام ولا يمتنعون عن الصدقة في العلانية اذا اقتضت الحال العلانية وإنما يجعلون لكل وقت حكمه ولكل حال حكمها اذ الاوقات والاحوال لا تقصد لذاتها. وقوله ﴿فلهم أجرهم عند ربهم﴾ يشعر بأن هذا الاجر عظيم، وفي اضافتهم الى الرب ما فيها من التكريم، ﴿ولا خوف عليهم﴾ يوم يخاف البخلاء الممسكون من تبعة بخلهم ﴿ولا هم يحزنون﴾ وقد تقدم تفسير مثل هذا الوعد الكريم

(٢٧٥) الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا، وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا، فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ، وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٧٦) يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ (٢٧٧) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ (*) لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٢٧٨) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٢٧٩) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ (٢٨٠) وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٨١) وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ

(*) هذه الآية لم تعد في المصحف الذي طبعه فلوجل في المانيا فهي تابعة للتي قبلها عنده وهي ٢٧٧ في عده وفي الآية التي بعد هذه يتفق مع المصحف المطبوع في الاستانة ويتفقان مع المدني الاول كلهم يعدونها ٢٧٨ .

كلامهم مجرى المثل قال البيضاوي في التشبيه « وهو وارد على ما يزعمون أن الشيطان يخبط الانسان فيصرع والخبط ضرب على غير اتساق كخبط العشواء » اهو تبعه أبو السعود كعادته فذكر عبارته بنصها . فالآية على هذا لا تثبت ان الصرع المعروف يحصل بفعل الشيطان حقيقة ولا تنفي ذلك . وفي المسألة خلاف بين العلماء أنكر المعتزلة و بعض أهل السنة ان يكون للشيطان فى الانسان غير ما يعبر عنه بالوسوسة وقال بعضهم ان سبب الصرع مس الشيطان كما هو ظاهر التشبيه وان لم يكن نصا فيه . وقد ثبت عند أطباء هذا العصر ان الصرع من الأمراض العصبية التي تعالج كأمثالها بالعقاقير وغيرها من طرق العلاج الحديثة وقد يعالج بعضها بالأوهام وهذا ليس برهانا قطعيا على أن هذه المخلوقات الخفية التي يعبر عنها بالجن يستحيل أن يكون لها نوع اتصال بالناس المستعدين للصرع فتكون من أسبابه في بعض الاحوال . والمتكلمون يقولون ان الجن أجسام حية خفية لا ترى وقد قلنا في (المنار) غير مرة انه يصح ان يقال إن الأجسام الحية الخفية التي عرفت في هذا العصر بواسطة النظارات المكبرة وتسمى بالميكروبات يصح أن تكون نوعا من الجن وقد ثبت انها علل لأكثر الامراض . قلنا ذلك في تأويل ما ورد من أن الطاعون من وخز الجن . على اننا نحن المسلمين لسنا في حاجة الى النزاع فيما اثبته العلم وقرره الاطباء أو اضافة شيء اليه مما لا دليل في العلم عليه لاجل تصحيح بعض الروايات الآحادية فنحمد الله تعالى أن القرآن أرفع من أن يعارضه العلم

قال تعالى ﴿ذلك بأنهم قالوا انما البيع مثل الربا﴾ أي ذلك الاكل للربا مسبب عن استحلالهم له وجعله كالبيع وماهو كالبيع فإن البيع معاوضة بين شيئين واما الربا الذي كانوا يأكلونه فهو زيادة عن دينهم يزيدونها عند تأخير الاجل لا يقابلها شيء وما يؤخذ بغير مقابل فهو من الباطل لذلك حرم الله الربا دون البيع فقال ﴿وأحل الله البيع وحرم الربا﴾ ولو كانا متساويين لما اختلف حكمهما عند احكم الحاكمين فكل ما فيه معاوضة صحيحة خالية من أكل أموال الناس بالباطل الذي لا يقابله عوض فهي بيع حلال وانما نحرم الزيادة التي يأخذها صاحب المال لاجل التأخير في الاجل وهي لا معاوضة فيها ولا مقابل لها فهي ظلم . وسيأتي في آية أخرى تعليل تحريم الربا

بحركات مختلفة قد جُن" . أقول وهذا هو المتبادر ولكن ذهب الجمهور الى خلافه وقالوا ان المراد بالقيام القيام من القبر عند البعث وان الله تعالى جعل من علامة المرابين يوم القيامة أنهم يبعثون كالمصروعين . ورووا ذلك عن ابن عباس وابن مسعود بل روى الطبراني من حديث عوف ابن مالك مرفوعا «اياك الذنوب التي لا تغفر — الغلول فمن غلّ شيئا أتى به يوم القيامة والربا فمن أكل الربا بعث يوم القيامة مجنونا يتخبط» أقول والمتبادر الى جميع الافهام ما قال ابن عطية لأنه اذا ذكر القيام انصرف الى النهوض المعهود في الاعمال ولا قرينة تدل على ان المراد به البعث وهذه الروايات لا يسلم منها شيء من قول في سنده وهي لم تنزل مع القرآن ولا جاء المرفوع منها مفسرا للآية . ولولاها لما قال أحد بغير المتبادر الذي قاله ابن عطية الا من لم يظهر له صحته في الواقع وكان الوضاعون الذين يختلقون الروايات يتحرون في بعضها ما أشكل عليهم ظاهره من القرآن فيضعون له رواية يفسرونه بها وقلما يصح في التفسير شيء كما قال الامام أحمد

اما ما قاله ابن عطية فهو ظاهر في نفسه فان أولئك الذين فتنهم المال واستعبدهم حتى ضريت نفوسهم بجمعه وجعلوه مقصودا لذاته وتركوا لاجل الكسب به جميع موارد الكسب الطبيعي تخرج نفوسهم عن الاعتدال الذي عليه أكثر الناس ويظهر ذلك في حركاتهم وتقلبهم في أعمالهم كما تراه في حركات المولعين بأعمال البورصة والمغرمين بالقمار يزيد فيهم النشاط والانهماك في أعمالهم حتى يكون خفة تعقبها حركات غير منتظمة وهذا هو وجه الشبه بين حركاتهم وبين تخبط الممسوس فان التخبط من الخبط وهو ضرب غير منتظم وكخبط العشواء . وبهذا يمكن الجمع بين ما قاله ابن عطية وما قاله الجمهور ذلك بأنه اذا كان ما شنع به على المرابين من خروج حركاتهم عن النظام المألوف هو أثر اضطراب نفوسهم وتغير أخلاقهم كان لا بد ان يبعثوا عليه فان المرء يبعث على ما مات عليه لأنه يموت على ما عاش عليه وهناك تظهر صفات النفس الخسيسة في أقبح مظاهرها كما تتجلى صفات النفس الزكية في أبهى مجاليها

ثم ان التشبيه مبني على أن المصروع الذي يعبر عنه بالممسوس يتخبطه الشيطان أي أنه يصرع بمس الشيطان له وهو ما كان معروفا عند العرب وجاريا في

جعل الآية خاصة باليهود فان الربا محرم في شريعتهم وهم أشد الخلق مراباة وكانوا يستحلون أكل أموال العرب بكل نوع من أنواع الباطل (٣:٧٥ و يقولون ليس علينا في الاميين سبيل) وانما حرم علينا أكل أموال اخوتنا الاسرائيليين: ولا دليل على التخصيص بل الآيات نزلت فى وقائع لغيرهم كما سيأتي. ثم ان ماعلل به كون احدى الزيادتين ليست كالأخرى وهو أن الله حرمها يقال فيه انها ليست مثلها في الواقع ونفس الامر كما بين هو ولا في النفع والضر كما سنبين ولذلك حرمها الله تعالى فما حرم الله تعالى شيئا الا لانه ضار فى نفسه ولا أحل شيئا الا وهو نافع في نفسه.

ثم قال تعالى ﴿فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف﴾ تقدم الكلام في معنى الوعظ وكون أحكام القرآن مقرونة بالمواعظ فى تفسير آية ٢٣٢ أي فمن بلغه تحريم الله تعالى للربا ونهيه عنه فترك الربا فورا بلا تراخ ولا تردد انتهاء عما نهى الله عنه فله ما كان أخذه فيما سلف من الربا لا يكلف رده الى من أخذه منهم بل يكتفي منه بأن لا يضاعف عليهم بعد البلاغ شيئا ﴿وأمره الى الله﴾ يحكم فيه بعدله ومن العدل أن لا يؤاخذ الا بما أكل من الربا قبل التحريم و بلوغه الموعظة من ربه ولكن العبارة تشعر بأن إباحة أكل ما سلف رخصة للضرورة وتومىء الى أن رد ما أخذ من قبل النهي الى أربابه الذين أخذ منهم من أفضل العزائم ألم تر أنه عبر عن اباحة ما سلف باللام ولم يقل كما قال بعد ذكر كفارة صيد المحرم (٥:٩٥ عفا الله عما سلف) وانه عقب هذه الاباحة بإبهام الجزاء وجعله الى الله والمعهود في أسلوبه ان يصل مثل ذلك بذكر المغفرة والرحمة كما قال فى آخر آية محرمات النساء (٤:٢٣ وان تجمعوا بين الاختين الا ما قد سلف ان الله كان غفورا رحيما). أباح أكل ما سلف قبل التحريم وأبهم جزاء آكله لعله يغص بأكل ما في يده منه فيرده الى صاحبه ولكنه صرح بأشد الوعيد على من أكل شيئا بعد النهي فقال ﴿ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ أي ومن عاد الى ما كان يأكل من الربا المحرم بعد تحريمه فأولئك البعداء عن الاتعاظ بموعظة ربهم الذي لا ينهاهم الا عما يضر بهم في أفرادهم أوجميعهم هم أهل النار الذين يلازمونها كما يلازم الصاحب صاحبه فيكونون خالدين فيها.

بكونه ظلما . هذا مايظهر لنا في معنى هذه العبارة وترى مفسرينا قد بنوا كلامهم فيها على تسليم كون البيع مثل الربا إذ جعلوا تحريم الربا بمعنى الامر التعبدي وقالوا ان معناه ان الله تعالى رد عليهم بأن أحل هذا وحرم هذا فيجب ان يطاع .

ويظهر من عبارة ابن جرير ان هذا القول الذي أسند اليهم على ظاهره قال: «هذا الذي ذكرنا انه يصيبهم يوم القيامة من قبح حالهم ووحشة قيامهم من قبورهم وسوء ماحل بهم من أجل انهم كانوا في الدنيا يكذبون ويفترون ويقولون انما البيع الذي أحله الله لعباده مثل الربا وذلك ان الذين كانوا يأكلون الربا من أهل الجاهلية كان اذا حل مال أحدهم على غريمه يقول الغريم لغريم الحق زدني في الأجل وأزيدك في مالك فكان يقال لهما اذا فعلا ذلك هذا ربا لا يحل فاذا قيل لهما ذلك قالا سواء علينا زدنا في أول البيع أو عند محل المال فكذبهم الله تعالى في قيلهم فقال (وأحل الله البيع):

ثم قال في تفسير هذا مانصه — يعني جل ثناؤه وأحل الله الارباح في التجارة والشراء والبيع وحرم الربا يعني الزيادة التي يزاد رب المال بسبب زيادته غريمه في الأجل وتأخيره دينه عليه يقول عز وجل وليست الزيادتان اللتان احداهما من وجه البيع والاخرى من وجه تأخير المال والزيادة في الاجل سواء وذلك أني حرمت احدى الزيادتين وهي التي من وجه تأخير المال والزيادة في الاجل وأحللت الاخرى منهما وهي التي من وجه الزيادة على رأس المال الذي يبتاع به البائع سلعته التي يبيعها فيستفضل فضلها فقال الله عز وجل ليست الزيادة من وجه البيع نظير الزيادة من وجه الربا لاني أحللت البيع وحرمت الربا والامر أمري والخلق خلقي أقضي فيهم بما أشاء واستعبدهم بما أريد ليس لاحد منهم أن يعترض في حكمي » اه

أقول اما ماقاله في بيان الفرق بين الزيادتين فهو الصواب وماذكره في معنى الربا هو الذي كان معهودا عندهم وهو مايسميه الفقهاء ربا النسيئة كما تقدم واما قوله انهم كان يقال لهم هذا ربا محرم وكانوا يجيبون بما حكى الله عنهم فليست الآية نصا فيه اذ الحكاية عن الاحوال بالاقوال من الاساليب المعروفة عند العرب ويتوقف حمل القول على حقيقته على اثبات اعتقاد العرب بتحريم الربا أو على

حتى صار الناس يتبجحون بارتكاب الموبقات مع الاعتراف بأنها من كبائر ما حرم كما بلغنا عن بعض كبرائنا انه قال اني لا انكر انني آكل الربا ولكنني مسلم أعترف بأنه حرام . وقد فاته انه يلزمه بهذا القول الاعتراف بأنه من أهل هذا الوعيد وبأنه يرضى ان يكون محاربا لله ولرسوله وظالما لنفسه وللناس كما سيأتي في آية أخرى فهل يعترف باللزوم أم ينكر الوعيد المنصوص فيؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض ؟ نعوذ بالله من الخذلان

ثم بين تعالى الفرق بين الربا والصدقة اذ جاء الكلام عنه بعد الكلام عنها ببيان أثرهما فقال ﴿ يمحق الله الربا ويربي الصدقات ﴾ فسروا محق الله الربا باذهاب بركته واهلاكه أو اهلاك المال الذي يدخل فيه وقد اشتهر هذا حتى عرفه العامة فهم يذكرون دائما ما يحفظون من أخبار آكلي الربا الذين ذهبت أموالهم وخربت بيوتهم . وفي حديث ابن مسعود عند أحمد وابن ماجه والحاكم وأخرجه ابن جرير في التفسير « ان الربا وان أكثر فعاقبته تصير الى قل » وقال الضحاك ان هذا المحق في الآخرة بأن يبطل ما يكون منه مما يتوقع نفعه فلا يبقى لأهله منه شيء . وقال الاستاذ الامام ليس المراد بهذا المحق محق الزيادة في المال فان هذا مكابرة للمشاهدة والاختبار وانما المراد به ما يلاقي المرابي من عداوة الناس وما يصاب به في نفسه من الوساوس وغيرها أما عداوة الناس فمن حيث هو عدو المحتاجين وبغيض المعوزين وقد تفضي العداوة والبغضاء الى مفاسد ومضرات ، واعتداء على الأموال والأنفس والثمرات ، وقد ظهر أثر ذلك في الامم التي فشا فيها الربا اذ قام الفقراء فيها يعادون الاغنياء ويتألب العمال عليهم حتى صارت هذه المسألة أعقد المسائل عندهم . وأما ما يصاب به في نفسه من الوساوس والأوهام فهو مالا يعرفه الا من راقب هؤلاء العابدين للمال وبلا أخبارهم : ولا أذكر عنه مثالا على ذلك وما الأمثال فيه بقليلة فمنهم من يشغله المال عن طعامه وشرابه وعن أهله وولده حتى يقصر في حق نفسه وحقوقهم تقصيرا يفضي الى الخسر أو المهانة والذل ، ومنهم من يركب لذلك الصعب ويقتحم الخطر حتى يكون من الهالكين. وأقول المحق في اللغة محو الشيء والذهاب به كمحاق القمر وكل ما لا يحسن المرء عمله

وقد أوّل الخلود المفسرون لتتفق الآية مع المقرر في العقائد والفقه من كون المعاصي لا توجب الخلود في النار فقال أكثرهم أن المراد: ومن عاد الى تحليل الربا واستباحته اعتقادا: ورده بعضهم بأن الكلام في أكل الربا وماذكر عنهم من جعله كالبيع هو بيان لرأيهم فيه قبل التحريم فهو ليس بمعنى استباحة المحرم فاذا كان الوعيد قاصرا على الاعتقاد بحله لا يكون هناك وعيد على أكله بالفعل . والحق أن القرآن فوق ما كتب المتكلمون والفقهاء يجب ارجاع كل قول فى الدين اليه ولا يجوز تأويل شيء منه ليوافق كلام الناس . وما الوعيد بالخلود هنا الا كالوعيد بالخلود في آية قتل العمد وليس هناك شبهة فى اللفظ على ارادة الاستحلال . ومن العجيب ان يجعل الرازي الآية هنا حجة على القائلين بخلود مرتكب الكبيرة فى النار انتصارا لأصحابه الاشاعرة وخير من هذا التأويل تأويل بعضهم للخلود بطول المكث . أما نحن فنقول ما كل ما يسمَّى ايمانا يعصم صاحبه من الخلود في النار ، الايمان ايمانان — ايمان لا يعدو التسليم الاجمالي بالدين الذي نشأ فيه المرء أو نسب اليه ، ومجاراة أهله ولو بعدم معارضتهم فيما هم عليه، وايمان هو عبارة عن معرفة صحيحة بالدين عن يقين بالايمان، متمكنة في العقل بالبرهان، مؤثرة في النفس بمقتضى الاذعان ، حاكمة على الارادة المصرّفة للجوارح في الاعمال، بحيث يكون صاحبها خاضعا لسلطانها في كل حال ، الا ما لا يخلو عنه الانسان ، من غلبة جهالة أو نسيان ، وليس الربا من المعاصي التي تنسى أو تغلب النفس عليها خفة الجهالة والطيش كالحدة وثورة الشهوة، أو يقع صاحبها منها في غمرة النسيان كالغيبة والنظرة، فهذا هو الايمان الذي يعصم صاحبه باذن الله ، من الخلود في سخط الله ، ولكنه لا يجتمع مع الاقدام على كبائر الاثم والفواحش عمداً ايثارا لحب المال واللذة على دين الله وما فيه من الحكم والمصالح . واما الايمان الأول فهو صوري فقط فلا قيمة له عند الله تعالى لأنه تعالى لا ينظر الى الصور والاقوال ، ولكن ينظر الى القلوب والاعمال ، كما ورد في الحديث . والشواهد هذا الذي قررناه في كتاب الله تعالى كثيرة جدا وهو مذهب السلف الصالح وان جهله كثير ممن يدعون اتباع السنة حتى جرءوا الناس على هدم الدين بناء على ان مدار السعادة على الاعتراف بالدين وان لم يعمل به

لأن الايمان الحقيقي المقرون بالاذعان يتبعه العمل الصالح حتما لا يتخلف عنه وهذا برهان على ماقلناه في تفسير الآية السابقة ﴿وأقاموا الصلاة﴾ التي تذكر المؤمن بالله تعالى فتزيد في ايمانه وحبه له ومراقبته له حتى تسهل عليه طاعته في كل شيء ﴿وآتوا الزكاة﴾ التي تزكي النفس من رذيلة البخل والحرص وتمرنها على أعمال البر حتى تسهل عليها ويكون ترك أكل اموال الناس بالربا أسهل . وذكر الصلاة والزكاة بعد الأعمال الصالحة التي تشملهما لأنهما أعظم أركان العبادة النفسية والمالية فمن أتى بهما كاملتين سهل عليه كل عمل صالح ﴿فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ تقدم نظير هذا الجزاء قريبا فلا حاجة لإعادة التذكير بمعناه وجملة الآية تعريض بآكل الربا كأنه يقول لو كان من هؤلاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات الخ لكف عنه ولكنه كفار أثيم — وتمهيد لما بعدها وهو

﴿ ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا ﴾ . وصفهم بالايمان وذكرهم بالتقوى ثم انتقل الى الأمر بترك ما بقي من الربا لمن كانوا يرابون منهم عند غرمائهم ثم وصل ذلك بقوله ﴿ان كنتم مؤمنين﴾ قال الاستاذ الامام أي إن كان إيمانكم تاما شاملا لجميع ماجاء به محمد صلى الله عليه وسلم من الاحكام فذروا بقايا الربا . وقد عهد في الاسلوب العربي أن يقال: ان كنت متصفا بهذا الشيء فافعل كذا: ويذكر أمر من شأنه ان يكون أثرا لذلك الوصف . أقول ويؤخذ من هذا ان من لم يترك ما بقي من الربا بعد نهي الله تعالى عنه وتوعده عليه فلا يعد من أهل هذا الايمان التامّ الشامل ، الذي له السلطان الاعلى على ارادة العامل ، وهذا يؤيد ماقلناه في مسألة خلود من عاد الى الربا بعد تحريمه في النار . ومن الناس من يؤمن ببعض الكتاب إيمانا يبعث على العمل ويكفر ببعض فلا يذعن له ويعمل به فهو يجحده بفعله وان أقرّ به بلسانه ولا يعتد الله بايمانه الا اذا صدق قلبه وعمله لسانه «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن»

﴿فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله﴾ أي فان لم تتركوا ما بقي لكم من الربا كما أمرتم فاعلموا واستيقنوا بأنكم على حرب من الله ورسوله إذ نبذتم ماجاءكم به رسوله عنه . فقوله فأذنوا كقوله فاعلموا وزنا ومعنى وهي

فقد محقه كما في الاساس فلعل المراد بمحق الربا محو ما يطلب الناس بزيادة المال من اللذة و بسطة العيش والجاه والمكانة وزيادة الربا تذهب بذلك لاشتغال المرابي غالبا عن اللذة وخفض المعيشة بولهه في ماله ولمقت الناس اياه وكراهتهم له كما علم مما تقدم فهو لم يحسن التصرف في التوصل الى ثمرة المال . وأما اربا‌ء الصدقات فهو زيادة فائدتها وثمرتها في الدنيا وأجرها في الآخرة كما تقدم في تفسير آيات الصدقة ومضاعفة الله اياها فمعنى يمحق الله الربا و يربي الصدقات أن سنته قضت في عابد المال الذي لا يرحم معوزا ولا ينظر معسرا الا بمال يأخذه ربا بدون مقابل أن يكون محروما من الثمرة الشريفة للثروة وهي كون صاحبها ناعما عزيزاً شريفا عند الناس لكونه مصدرا لخيرهم والتفضل عليهم واعانتهم على زمنهم كما يكون محروما في الآخرة من ثواب المال فهو في عدم انتفاعه بماله هذا الضرب من الانتفاع كمن محق ماله وهلك . وقضت سنته في المتصدق ان يكون انتفاعه بماله أكبر من ماله (وقد تقدم شرح ذلك فلا نعيده) وفي حديث أبي هريرة عند الشيخين انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال « من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يقبل الله الا طيبا فان الله تعالى يقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربي أحدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل » والحديث من باب التمثيل كما هو ظاهر

قال تعالى ﴿ والله لا يحب كل كفار أثيم ﴾ قالوا لا يحب لا يرضى والكفار المستحل للربا والاثيم المقيم على الاثم . وأقول إن حب الله للعبد شأن من شؤونه يعرف باستعمال العبد تمام حكم الله في صلاح عباده ونفي هذا الحب يعرف بضد ذلك . والكفار هنا هو المتمادي على كفر انعام الله عليه بالمال اذ لا ينفق منه في سبيله ولا يواسي به المحتاجين من عباده والاثيم هو الذي جعل المال آلة لجذب ما في ايدي الناس الى يده فافترص إعسارهم ، لاستغلال اضطرارهم ،

ثم قال تعالى ﴿ ان الذين آمنوا ﴾ أي صدقوا تصديق اذعان بما جاء من عند الله في هذه المسألة كغيرها ﴿ وعملوا الصالحات ﴾ أي الاعمال التي تصلح بها نفوسهم وشأن من يعيش معهم ومنها مواساة المحتاجين ، والرحمة بالبائسين ، وإنظار المعسرين ، ومن سنة القرآن أن يقرن الايمان بالعمل الصالح في مقام الوعد

وفي الآية أن الربا حرّم لأنه ظلم ولكن بعض ما يعده الفقهاء منه لاظلم فيه بل ربما كان فيــه فائدة للآخذ والمعطي ﴿ وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة ﴾ أي وان وجــد غريم معسر من غرمائكم فأنظروه وأمهلوه الى وقت يسار يتمكن فيه من الأداء . وقرأ حمزة ونافع (ميسرة) بضم السين وهي لغة كالفتح الذي قرأ به الباقون . روي أن بني المغيرة قالوا لبني عمر وبن عمير — في القصة السابقة — نحن اليوم أهــل عسرة فأخرونا الى ان تدرك الثمرة فأبوا فنزلت الآية في قصتهم كالآيتين قبلها ﴿ وأن تصدقوا خير لكم ﴾ أصل تصدقوا تتصــدقوا قرأ عاصم بتخفيف الصاد بحذف احــدى التائين والباقون بتشديدها للادغام أي وتصدقكم على المعسر بوضع الدين عنه وابرائه منه خير لكم من إنظاره فهو ندب الى الصدقة والسماح للمدين المعسر لما فيه من التعاطف والتراحم بين الناس وبرّ بعضهم ببعض وذلك من أعظم أسباب هناء المعيشة وحسن حال الامة ولذلك نبه الى العلم بذلك فقال ﴿ ان كنتم تعلمون ﴾ لان من لايعلم وجه الخيرية في شيء لا يعمله ومن علم عمل حتما . أي ان كنتم تعلمون أنه خير لكم عملتم به وعاملتم اخوانكم بالمسامحة فعليكم بالعلم الذي يهديكم الى خير العمل الذي يقرب بعضكم من بعض ويجعلكم متحابين متوادين . وقد استدل بعضهم بالآية على وجوب انظار المعسر مطلقا وبعضهم على وجوب ذلك في دين الربا خاصة وقالوا إن هذا الواجب يفضله شيء مندوب وهو الابراء والتصدق على المعسر فانه ليس بواجب اتفاقا . وقيل إن المراد بالتصدق هنا الانظار كأنه يقول وهــذا الانظار الذي أمرتم به خير لكم وهو خلاف المتبادر

ثم ختم جل ثناؤه آيات الربا بهذه الموعظة العامــة التي تسهل على المؤمن اذا وعاها السماح بالمــال بل و بالنفس رجاء أن يلقى الله تعالى على أحسن حــال من الفضــل والكمال فقال ﴿ واتقوا يوما ترجعون فيــه الى الله ﴾ قرأ أبو عمرو ويعقوب (ترجعون) بفتح التاء وكسر الجيم من رجع والباقون (ترجعون) بضم التاء وفتح الجيم من أرجع بالبناء للمفعول . أي واحذروا يوما عظيما ترجعون فيه من غفلاتكم وشواغل الحياة الجسدية التي تشغلكم عن مراقبة الله فتصيرون الى

قراءة الجمهور وقرأ حمزة وعاصم في رواية ابن عياش (فآذنوا) بعد الألف من الإيذان بمعنى الإعلام أي فأعلموا أنفسكم - أي ليعلم بعضكم بعضا - أو المسلمين بأنكم محاربون لله ورسوله بالخروج عن الشريعة وعدم الخضوع للحكم وهذا يستلزم ان يكونوا عالمين بذلك كأنه يقول أن عدم الخضوع للأمر خروج عن الشريعة فهو اعلام للمسلمين بأنكم خارجون عن حكم الله ورسوله محاربون لهما . فسر الاستاذ الامام حرب الله لهم بغضبه وانتقامه قال ونحن ان لم نر أثر هذا في الماضين فاننا نراه في الحاضرين ممن أصحبوا بعد الغنى يتكففون ومن باتوا والمسألة الاجتماعية (مناصبة العمال لارباب الاموال) تهددهم بالويل والثبور . وأما الحرب من رسوله لهم فهي مقاومتهم بالفعل في زمنه ، واعتبارهم أعداء له في هذا الزمن الذي لا يخلفه فيه أحد يقيم شرعه ﴿ وان تبتم ﴾ ورجعتم عن الربا امتثالا وخضوعا ﴿ فلكم رءوس أموالكم لا تظلمون ﴾ غرماءكم بأخذ الزيادة ﴿ولا تظلمون﴾ بنقص شيء من رأس المال بل تأخذونه كاملا

روى ابن جرير عن السدي أن الآيتين نزلتا في العباس بن عبد المطلب — عمّ النبي صلى الله عليه وسلم — ورجل من بني المغيرة كانا شريكين في الجاهلية سلفا في الربا الى اناس من ثقيف من بني عمرو وهم بنو عمرو بن عمير فجاء الاسلام ولهما أموال عظيمة في الربا فأنزل الله ذروا ما بقي من فضل كان في الجاهلية من الربا . وأخرج عن ابن جريج قال كانت ثقيف قد صالحت النبي صلى الله عليه وسلم على أن مالهم من ربا على الناس وما كان للناس عليهم من ربا فهو موضوع فلما كان فتح مكة استعمل عتاب بن أسيد على مكة وكانت بنو عمرو بن عمير بن عوف يأخذون الربا من المغيرة وكانت بنو المغيرة يربون لهم في الجاهلية فجاء الاسلام ولهم عليهم مال كبير فأتاهم بنو عمرو يطلبون رباهم فأبا بنو المغيرة ان يعطوهم في الاسلام ورفعوا ذلك الى عتاب بن أسيد فكتب عتاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت . . فكتب بها رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عتاب وقال ان رضوا والا فأذنهم بحرب . وأخرج أبو يعلى في مسنده وابن منده من طريق الكلبي عن ابن صالح عن ابن عباس نحوه .

فيه الى الله) الآية وكان بين نزولها وبين موت النبي صلى الله عليه وسلم أحد وثمانون يوما. ثم ذكر في الاتقان مثله عن سعيد بن جبير عند ابن أبي حاتم الا انه قال عاش بعد نزول هذه الآية تسع ليال ومثله عن ابن جريج عند ابن جرير. وعن ابن شهاب عند أبي عبيد ان آخر القرآن عهدا بالعرش آية الربا وآية الدين. وعن سعيد بن المسيب عند ابن جرير مثل هذا اللفظ في آية الدين فقط. قال السيوطي بعد ذلك ولا منافاة عندي بين هذه الروايات في آية الربا وآية (واتقوا يوما) وآية الدين لأن الظاهر أنها نزلت دفعة واحدة كترتيبها في المصحف ولأنها في قصة واحدة فأخبر كل عن بعض ما نزل بأنه آخر وذلك صحيح اه أي ان كل مخبر ذكر ذلك في سياق يقتضيه. وقيل غير ما ذكر في آخر القرآن نزولا وفي مدة بقائه صلى الله عليه وسلم بعد نزول (واتقوا يوما) الآية. وورد انه قال « اجعلوها بين آية الربا وآية الدين » وفي رواية « جاءني جبرائيل فقال اجعلوها على رأس مئتين وثمانين آية من البقرة » وهكذا كان شأنه (ص) في ترتيب الآيات

فصل في حكمة تحريم الربا

قال الاستاذ الامام في الدرس ما مثاله: يقول كثير من الناس الذين تعلموا وتربوا تربية عصرية وأخذوا الشهادات من المدارس بل ومن هم أكبر من هؤلاء ان المسلمين منوا بالفقر وذهبت أموالهم الى أيدي الأجانب وفقدوا الثروة والقوة بسبب تحريم الربا فإنهم لاحتياجهم للأموال يأخذونها بالربا من الاجانب ومن كان غنيا منهم لا يعطي بالربا فمال الفقير يذهب ومال الغني لا ينمو. ويجعلون هذه المسألة أهم المسائل الاجتماعية والعمرانية عند المسلمين يعنون انه ما جنى على المسلمين الا دينهم. (قال) وهذه أوهام لم تقل عن اختبار فان المسلمين في هذه الأيام لا يحكمون الدين في شيء من أعمالهم ومكاسبهم ولو حكموه في هذه المسألة لما استدانوا بالربا وجعلوا أموالهم غنائم لغيرهم. فإن سلمنا انهم تركوا أكل الربا لاجل الدين فهل يقول المشتبهون انهم تركوا الصناعة والتجارة والزراعة لاجل الدين؟ ألم تسبقنا جميع الامم الى إتقان ذلك فلماذا لم نتقن سائر أعمال الكسب لنعوض منها على أنفسنا ما فاتنا من كسب الربا المحرم علينا وديننا يدعونا الى ان نسبق الامم في اتقان كل

الله أي الى الاستغراق في العلم والشعور بانه لا سلطان الا سلطانه ولا ملك الا له ذكر معنى ذلك الاستاذ الامام وقال مامعناه مبسوطا (*) أما حقيقة الرجوع فلا تصح هنا لاننا ماغبنا عن الله طرفة عين ولا يمكن ان نغيب عنه فنرجع اليه ولكن الانسان في غفلته وشغله بشؤونه الحيوانية يتوهم أن له استقلالا تاما بنفسه وأن له رؤساء وامراء يخافهم ويرجوهم ويرى أنه تعرض له حاجات وضرورات يجب عليه ان يستعد لها بتكثير المال وجمعه من حرام وحلال . فأمثال هذه الخواطر تكون له شغلا شاغلا ربما يستغرق وقته فيصرفه عن التفكر في منافع التسامح في معاملة الناس والتصدق على المحتاج منهم فكان أنفع دواء لمرض انصراف النفس عن التفكر في سلطان الله وقدرته ، والتقرب اليه بما فيه تمام حكمته ، التذكير بيوم القيامة الذي تبطل فيه هذه الشواغل ، وتتلاشى هذه الصوارف، حتى لا يشغل الانسان فيه شيء مّا عن الله تعالى وما أعده من الجزاء للعباد على قدر أعمالهم . ولذلك قال بعد التذكير بالرجوع اليه ﴿ثم توفى كل نفس ما كسبت﴾ أي تجازى على ما عملت في الدنيا جزاء وافيا ﴿وهم لا يظلمون﴾ أي ولا ينقصون من أجورهم شيئا بل قد يزاد المحسنون منهم فيعطون أكثر مما يستحقون على احسانهم كما ثبت في آيات أخرى

أخرج البخاري عن ابن عباس أن آخر آية نزلت آية الربا . وأخرج البيهقي عن عمر مثله . قال في الاتقان والمراد بها (ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا) وعند أحمد وابن ماجه عن عمر : من آخر مانزل آية الربا : وعند ابن مردويه عن أبي سعيد الخدري قال خطبنا عمر فقال ان من آخر القرآن نزولا آية الربا . وأخرج النسائي من طريق عكرمة عن ابن عباس قال آخر شيء نزل من القرآن (واتقوا يوما ترجعون فيه) الآية . واخرج ابن مردويه نحوه من طريق سعيد ابن جبير عن ابن عباس بلفظ آخر آية نزلت واخرجه ابن جرير من طريق العوفي والضحاك عن ابن عباس . وقال الفريابي في تفسيره حدثنا سفيان عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال آخر آية نزلت (واتقوا يوما ترجعون

(*) إن ما في مذكرتي عنه لا يبلغ خمسة أسطر ومعناها بالاجمال انه اذا كان يوم القيامة زالت الشواغل التي كانت تصرف الانسان عن ربه في الدنيا، و بالتفصيل ماذكرنا

من الاستدانة بالربا الا قليلا والسبب في ذلك تقليد حكامهم في هذه السنة بل كثيرا ما كان حكام هذه البلاد يلزمون الرعية بها الزاما الاداء ما يفرضونه عليهم من الضرائب والمصادرات ومن هنا نرى أن الاديان لم يمكنها أن تقاوم ميل جماهير الناس الى أكل الربا حتى كأنه ضرورة يضطرون اليها. ومن حجتهم عليها ان البيع مثل الربا فكما يجوز ان يبيع الانسان السلعة التي ثمنها عشرة دراهم نقدا بعشرين درهما نسيئة يجوز له أن يعطي المحتاج العشرة الدراهم على أن يردّ اليه بعد سنة عشرين درهما لان السبب في كل من الزيادتين الأجل. هكذا يحتج الناس في أنفسهم كما تحتج الحكومات بأنها لو لم تأخذ المال بالربا لاضطرت الى تعطيل مصالحها أو خراب أرضها.

والله تعالى قد أجاب عن دعوى مماثلة البيع للربا بجواب ليس على طريقة أجوبة الخطباء المؤثرين، ولا على طريقة اقيسة الفلاسفة والمنطقيين، ولكنه على سنة هداية الدين، وهو ان الله أحل البيع وحرّم الربا. وقد جعل أكثر المفسرين هذا الجواب من قبيل ابطال القياس بالنص أي انكم تقيسون في الدين والله تعالى لا يجيز هذا القياس ولكن المعهود في القرآن مقارعة الحجة بالحجة وقد كان الناس في زمن التنزيل يفهمون معنى الحجة في رد القرآن لذلك القول اذ لم يكن عندهم من الاصطلاحات الفقهية المسلمة ماهو أصل عندهم في المسائل لا يفهمون الآيات الا به ولا ينظرون اليها الا لتحويلها اليه وتطبيقها على آرائهم ومذاهبهم فيه. والمعنى الصحيح ان زعمهم مساواة الربا للبيع فى مصلحة التعامل بين الناس انما يصح اذا أبيح للناس ان يكونوا فى تعاملهم كالذئاب كل واحد ينتظر الفرصة التي تمكنه من افتراس الآخر وأكله ولكن ههنا اله رحيم يضع لعباده من الاحكام مايربيهم على التراحم والتعاطف وان يكون كل منهم عونا للآخر لاسيما عند شدة الحاجة اليه ولذلك حرم عليهم الربا الذي هو استغلال ضرورة اخوانهم وأحل البيع الذي لا يختص الربح فيه بأكل الغني الواجد مال الفقير الفاقد. فهذا وجه للتباين بين الربا والبيع يقتضي فساد القياس.

وهناك وجه آخر وهو أن الله تعالى جعل طريق تعامل الناس في معايشهم أن يكون استفادة كل واحد من الآخر بعمل ولم يجعل لاحد منهم حقا على آخر

شيء ؟ الحق ان المسلمين فى الاغاب قد نبذوا الدين ظهريا فلم يبق عندهم منه الا تقاليد وعادات أخذوها بالوراثة عن آبائهم ومعاشريهم فمن يدعي ان الدين عائق لهم عن الترقي فقد عكس القضية وأضاف الى جهالاتهم جهالة شراً منها وانما يجيء هذا من عدم البصيرة والتأمل فى حال الامة من بدايتها الى ماانتهت اليه ولوعرفت الامة نفسها لعرفت ماضيها كما تعرف حاضرها ولكن جهلها بنفسها وعدم قراءة ماضيها هو الذي أوقعها فيما هي فيه من البلاء العظيم فهي لاتدري من أينُ أخذت ولا كيف سقطت بعد ماارتفعت . أقول يعني انها ارتفعت بالدين وسقطت بتركه مع الجهل بالسبب وأفضى بها الجهل الى أن صارت تجعل علة الرقي والارتفاع ، هي عين العلة للسقوط الانحطاط ، ومن ذلك استدانة افرادنا وحكوماتنا من الاجانب بالربا فانها أضاعت ثروتنا وملكنا وكان الدين لو اتبعناه عاصما منها فنحن ننسى مثل هذه الفائدة الكبرى للدين في الموضوع نفسه ونذكر من سيئات الدين أنه حرم الربا ولو لم يحرمه لجاز ان يكسب بعض أغنيائنا أكثر مما يكسبون الآن . وقد أشار الاستاذ الى هذا المعنى فقال ان أثر الربا فينا لايمكننا ان نزيله بمئات من السنين ولو أننا حافظنا على أمر الدين فيه لكنا بقينا لأنفسنا : فتأمل قوله بقينا لأنفسنا

وقال فى تفسير (ذلك بأنهم قالوا انما البيع مثل الربا) الخ مامثاله: مسألة الربا مسألة كبيرة اتفقت فيها الاديان ولكن اختلفت فيها الامم فاليهود كانوا يرابون مع غيرهم والنصارى يرابي بعضهم بعضا ويرابون سائر الناس وقد كان المسلمون حفظوا أنفسهم من هذه الرذيلة زمنا طويلا ثم قلدوا غيرهم ومنذ نصف قرن فشت المراباة بينهم في أكثر الاقطار وكانوا قبل ذلك يأكلون الربا بالحيلة التي يسمونها شرعية وقد أباحها بعض الفقهاء في استثمار مال اليتيم وطالب العلم المنقطع ومنها مسألة السبحة المشهورة وهي أن يتفق الدائن مع المدين على ان يعطيه مئة الى سنة بمئة وعشرة مثلا فيعطيه المئة نقدا ويبيعه سبحة بعشرة فى الذمة فيشتريها ثم يهديها اليه على أن الذين يأكلون الربا من المسلمين لا يزالون قليلين جدا ولكن الذين يوكلونه غيرهم كثيرون جدا حتى لاتكاد تجد متمولا في هذه البلاد سالما

المسألة الاجتماعية وهي مسألة تألب الفعلة والعمال على أصحاب الاموال واعتصابهم المرة بعد المرة لترك العمل وتعطيل المعامل والمصانع لأن أصحابها لا يقدرون عملهم قدره بل يعطونهم أقل مما يستحقون وهم يتوقعون من عاقبة ذلك انقلابا كبيرا في العالم ولذلك قام كثير من فلاسفتهم وعلمائهم يكتبون الرسائل والأسفار في تلافي شر هذه المسألة وقد صرح كثير منهم بأنه لا علاج لهذا الداء الا رجوع الناس الى مادعاهم اليه الدين . وقد ألف تولستوي الفيلسوف الروسي كتابا سماه (ما العمل) وفيه أمور يضطرب لفظاعتها القارئ وقد قال في آخره ان أوربا نجحت في تحرير الناس من الرق ولكنها غفلت عن رفع نير الدينار (الجنيه) عن أعناق الناس الذين ربما استعبدهم المال يوما ما

قال رحمه الله تعالى وهذه بلادنا قد ضعف فيها التعاطف والتراحم وقل الإسعاد والتعاون منذ فشا فيها الربا وانني لأعي وأدرك مامر بي منذ أربعين سنة . كنت أرى الرجل يطلب من الآخر قرضا فيأخذه صاحب المال الى بيته ويوصد الباب عليه معه ويعطيه ماطلب بعد ان يستوثق منه باليمين انه لا يحدث الناس بأنه اقترض منه لأنه يستحي ان يكون في نظرهم متفضلا عليه (قال) رأيت هذا من كثيرين في بلاد متعددة ورأيت من وفاء من يقترض انه يغني المقرض عن المطالبة بله المحاكمة . ثم بعد خمس وعشرين سنة رأيت بعض هؤلاء المحسنين لا يعطي ولده قرضاً طلبه الا بسند وشهود فسألته أما أنت الذي كنت تعطي الغرباء مايطلبون والباب مقفل وتقسم عليهم أو تحلفهم ان لا يذكروا ذلك ؟ قال نعم قلت فما بالك تستوثق من ولدك ولا تأمنه على مالك الا بسند وشهود وماعلمت عليه من سوء ؟ قال لا أعرف سبب ذلك الا أنني لا أجد الثقة التي كنت أعرفها في نفسي : قلت وقد أخبرني ان هذا الذي سأل منه عن ذلك هو والده رحمهما الله تعالى

هذا ماقاله الاستاذ الامام في حكمة تحريم الربا وما قاله في مضرة استغلال النقد مأخوذ من كلام للامام الغزالي ومطبق على حال العصر وانني أورد عبارة الغزالي فيه من كتاب الشكر من الاحياء لما فيها من الحسن والفوائد قال رحمه الله تعالى

ير عمل لأنه باطل لامقابل له و بهذه السنة أحل البيع لان فيه عوضا يقابل عوضا وحرم الربا لأنه زيادة لامقابل لها . والمعنى ان قياسكم فاسد لأن في البيع من الفائدة مايقتضي حله وفي الربا من المفسدة مايقتضي تحريمه ذلك أن البيع يلاحظ فيه دائما انتفاع المشتري بالسلعة انتفاعا حقيقيا لان من يشتري قمحا مثلا فانما يشتريه ليأكله أوليبذره أو ليبيعه وهو في كل ذلك ينتفع به انتفاعا حقيقيا (وأقول والثمن في هذا مقابل للمبيع مقابلة مرضية للبائع والمشتري باختيارهما) واما الربا وهو عبارة عن اعطاء الدراهم والمثليات وأخذها مضاعفة في وقت آخر فما يؤخذ منه زيادة رأس المال لامقابل له من عين ولاعمل (أقول وهي لاتعطي بالرضى والاختيار بل بالكره والاضطرار)

وثم وجه ثالث لتحريم الربا من دون البيع وهو أن النقدين انما وضعا ليكونا ميزانا لتقدير قيم الاشياء التي ينتفع بها الناس في معايشهم فاذا تحول هذا وصار النقد مقصودا بالاستغلال فان هذا يؤدي الى انتزاع الثروة من أيدي أكثر الناس وحصرها في أيدي الذين يجعلون أعمالهم قاصرة على استغلال المال بالمال فينمو المال ويربو عندهم ويخزن في الصناديق والبيوت المالية المعروفة بالبنوك ويبخس العاملون قيم أعمالهم لأن الربح يكون معظمه من المال نفسه وبذلك يهلك الفقراء . ولووقف الناس في استغلال المال عند حد الضرورة لما كان فيه مثل هذه المضرات ولكن أهواء الناس ليس لها حد تقف عنده بنفسها (أي فلا بدلها من الوازع الذي يوقفها بالاقناع أوالإلزام) لذلك حرم الله الربا وهولايشرع للناس الأحكام بحسب أهوائهم وشهواتهم كأصحاب القوانين ولكن بحسب المصلحة الحقيقية العامة الشاملة . واما واضعو القوانين فانهم يضعون للناس الاحكام بحسب حالهم الحاضرة التي يرونها موافقة لما يسمونه الرأي العام من غير نظر في عواقبها ولا في أثرها في تربية الفضائل والبعد عن الرذائل وانا نرى البلاد التي أحلت قوانينها الربا قد عفت فيها رسوم الدين وقلّ فيها التعاطف والتراحم وحلت القسوة محل الرحمة حتى أن الفقير فيها يموت جوعا ولا يجد من يجود عليه بما يسد رمقه فمنيت من جراء ذلك بمصائب أعظمها ما يسمونه

يطول ذكرها . فكل من عمل فيهما عملا لا يليق بالحكم بل يخالف الغرض المقصود بالحكم فقد كفر نعمة الله تعالى فيهما فإذاً من كنزهما فقد ظلمهما وابطل الحكمة فيهما وكان كمن حبس حاكم المسلمين في سجن يمتنع عليه الحكم بسببه لأنه إذا كنز فقد ضيع الحكم ولا يحصل الغرض المقصود به وما خلقت الدراهم والدنانير لزيد خاصة ولا لعمرو خاصة اذ لا غرض للآحاد في أعيانهما فانهما حجران وانما خلقا لتتداولهما الأيدي فيكونا حاكمين بين الناس وعلامة معرفة المقادير مقوّمة للمراتب فأخبر الله تعالى الذين يعجزون عن قراءة الأسطر الإلهية المكتوبة على صفحات الموجودات بخط إلهي لا حرف فيه ولا صوت الذي لا يدرك بعين البصر بل بعين البصيرة أخبر هؤلاء العاجزين بكلام سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى وصل اليهم بواسطة الحرف والصوت المعنى الذي عجزوا عن ادراكه فقال تعالى (والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم) وكل من اتخذ من الدراهم والدنانير آنية من ذهب أوفضة فقد كفر النعمة وكان اسوأ حالا ممن كنز لأن مثال هذا مثال من استسخر حاكم البلد في الحياكة والمكس والأعمال التي يقوم بها أخساء الناس والحبس أهون منه وذلك ان الخزف والحديد والرصاص والنحاس تنوب مناب الذهب والفضة في حفظ المائعات عن ان تبدد وانما الأواني لحفظ المائعات ولا يكفي الخزف والحديد في المقصود الذي أريد به النقود فمن لم ينكشف هذا انكشف له بالترجمة الالهية وقيل له «من شرب في آنية من ذهب أوفضة فكأنما يجرجر في بطنه نار جهنم» (١)

وكل من عامل معاملة الربا على الدراهم والدنانير فقد كفر النعمة وظلم لأنهما خلقا لغيرهما لا لنفسهما اذ لا غرض في عينهما فاذا اتجر في عينهما فقد اتخذهما مقصودا على خلاف وضع الحكمة اذ طلب النقد لغير ما وضع له ظلم ومن معه ثوب ولا نقد معه فقد لا يقدر على ان يشتري به طعاما ودابة اذ ربما لا يباع الطعام والدابة بالثوب فهو معذور في بيعه بنقد آخر ليحصل النقد فيتوصل به الى مقصوده فانهما وسيلتان

(١) هذا حديث رواه مسلم في صحيحه وغيره

«من نعم الله تعالى خلق الدراهم والدنانير وبهما قوام الدنيا وهما حجران لا منفعة في اعيانهما ولكن يضطر الخلق اليهما من حيث ان كل انسان محتاج الى اعيان كثيرة في مطعمه وملبسه وسائر حاجاته وقد يعجز عما يحتاج اليه ويملك مايستغني عنه كمن يملك الزعفران مثلا وهو محتاج الى جمل يركبه ومن يملك الجمل ربما يستغني عنه ويحتاج الى الزعفران فلا بد بينهما من معاوضة ولا بد في مقدار العوض من تقدير اذ لا يبذل صاحب الجمل جمله بكل مقدار من الزعفران ولا مناسبة بين الزعفران والجمل حتى يقال يعطى منه مثله في الوزن أو الصورة وكذا من يشتري داراً بثياب أو عبداً بخف أو دقيقاً بحمار فهذه الأشياء لا تناسب فيها فلا يدري ان الجمل كم يسوى بالزعفران فتتعذر المعاملات جدا فافتقرت هذه الأعيان المتنافرة المتباعدة الى متوسط بينها يحكم فيها بحكم عدل فيعرف من كل واحد رتبته ومنزلته حتى اذا تقررت المنازل وترتبت الرتب علم بعد ذلك المساوي من غير المساوي فخلق الله تعالى الدنانير والدراهم حاكمين ومتوسطين بين سائر الأموال حتى تقدر الأموال بهما فيقال هذا الجمل يسوى مئة دينار وهذا القدر من الزعفران يسوي مئة فهما من حيث انهما متساويان بشيء واحد اذا متساويان وانما امكن التعديل بالنقدين اذ لا غرض في اعيانهما ولو كان في اعيانهما غرض ربما اقتضى خصوص ذلك الغرض في حق صاحب الغرض ترجيحا ولم يقتض ذلك في حق من لا غرض له فلا ينتظم الأمر فاذاً خلقهما الله تعالى لتتداولهما الايدي ويكونا حاكمين بين الاموال بالعدل ولحكمة أخرى وهي التوسل بهما الى سائر الاشياء لانهما عزيزان في أنفسهما ولا غرض في أعيانهما ونسبتهما الى سائر الأموال نسبة واحدة فمن ملكهما فكأنه ملك كل شيء لا كمن ملك ثوبا فانه لم يملك الا الثوب فلو احتاج الى طعام ربما لم يرغب صاحب الطعام في الثوب لان غرضه في دابة مثلا فاحتيج الى شيء هو في صورته كأنه ليس بشيء وهو في معناه كأنه كل الاشياء والشيء انما تستوي نسبته الى المختلفات اذا لم تكن له صورة خاصة يفيدها بخصوصها كالمرآة لا لون لها وتحكي كل لون فكذلك النقد لا غرض فيه وهو وسيلة الى كل غرض وكالحرف لا معنى له في نفسه وتظهر به المعاني في غيره فهذه هي الحكمة الثانية. وفيها أيضا حكم

العقود التي يعدّها الفقهاء فاسدة أو باطلة . وانا نعلم انه لا يكاد يوجد في عشرات الالوف من المسلمين رجل واحد يتحامى كل ماعده الفقهاء من الربا ولعله يندر في الفقهاء أنفسهم من يطبق شراء الحلي للنساء على قواعد الفقه كأن يشتري ما كان من الذهب بفضة وما كان من الفضة بذهب أو يتخذ لذلك حيلة فقهية .
فالناس في أشد الحاجة الى التمييز بين الربا القطعي المتوعد عليه في القرآن بالخلود في النار و بين غيره مما اختلف فيه أو كان وعيده دون وعيده لان ضرره دون ضرره واليك البيان

قد علم مما تقدم في تفسير الآيات أنها نزلت في وقائع كان للمرابين من المسلمين قبل التحريم فالمراد بالربا فيها ماكان معروفا في الجاهلية من ربا النسيئة أي ما يؤخذ من المال لاجل الانساء أي التأخير في أجل الدين . فكان يكون للرجل على آخر دين مؤجل يختلف سببه بين أن يكون ثمن شيء اشتراه منه أو قرضا اقترضه فاذا جاء الأجل ولم يكن للمدين مال يفي به طلب من صاحب المال ان ينسيء له في الاجل ويزيد في المال وكان يتكرر ذلك حتى يكون أضعافا مضاعفة فهذا ماورد القرآن بتحريمه لم يحرم فيه سواه وقد وصفه في آية آل عمران التي جاءت دون غيرها بصيغة النهي وهي قوله عز وجل (٣ : ١٣٠ يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة) وهذه أول آية نزلت في تحريم الربا فهو تحريم لربا مخصوص بهذا القيد وهو المشهور عندهم

فقوله تعالى (الذين يأكلون الربا) الآيات يحمل الربا فيها على ماسبق ذكره في النهي الاول عملا بقاعدة اعادة المعرفة ووفاقا لقاعدة حمل المطلق على المقيد . ويدعم ذلك مقابلته بالصدقة حيث ذكر وتسميته ظلما وقد أورد ابن جرير وهو امام المفسرين واعلمهم بالرواية روايات كثيرة في ذلك أشرنا اليها في تفسير الآيات .
وهذا النوع من الربا هو أشدها ضررا وهو مذموم عند كل عاقل بل هو ممنوع في قوانين الامم التي تبيح غيره من أنواع الربا

قال ابن القيم في (اعلام الموقعين) الربا نوعان جلي وخفي فالجلي حرم لما فيه من الضرر العظيم والخفي حرم لأنه ذريعة الى الجلي فتحريم الأول قصدا وتحريم الثاني وسيلة . فأما الجلي فربا النسيئة وهو الذي كانوا يفعلونه في

الى الغير لاغرض في أعيانهما وموقعهما في الاموال كموقع الحرف من الكلام كما قال النحويون ان الحرف هو الذي جاء لمعنى في غيره وكموقع المرآة من الألوان فأما من معه نقد فلو جاز له ان يبيعه بالنقد فيتخذ التعامل على النقد غاية عمله لبقي النقد متقيدا عنده وينزل منزلة المكنوز وتقييد الحاكم والبريد الموصل الى الغير ظلم كما ان حبسه ظلم فلا معنى لبيع النقد بالنقد الا اتخاذ النقد مقصودا للادخار وهو ظلم» اه المراد من كلام الغزالي ويليه حكم تحريم أنواع الربا كلها

من تدبر ماقاله الامامان علم أن تحريم الربا هو عين الحكمة والرحمة ، الموافق لمصلحة البشر المنطبق على قواعد الفلسفة ، وان إباحته مفسدة من أكبر المفاسد للأخلاق وشؤون الاجتماع زادت في أطماع الناس وجعلتهم ماديين لاهمّ لهم الا الاستكثار من المال وكادت تحصر ثروة البشر فى افراد منهم وتجعل بقية الناس عالة عليهم . فاذا كان المفتونون من المسلمين بهذه المدنية ينكرون من دينهم تحريم الربا بغير فهم ولا عقل فسيجيء يوم يقر فيه المفتونون بأن ماجاء به الاسلام هو النظام الذي لاتتم سعادة البشر في دنياهم فضلا عن آخرتهم الا به ، يوم يفوز الاشتراكيون في الممالك الاوربية ويهدمون أكثر دعائم هذه الاثرة المادية ، ويرغمون أنوف المحتكرين للأموال، ويلزمونهم برعاية حقوق المساكين والعمال،

﴿ الربا المحرم بنص القرآن والربا المحرم بأحاديث الآحاد والقياس ﴾

التفرقة بين ما ثبت بنص القرآن من الاحكام وماثبت بروايات الآحاد وأقيسة الفقهاء ضرورية فان من يجحد ماجاء في القرآن يحكم بكفره ، ومن جحد غيره ينظر في عذره، فمامن إمام مجتهد الا وقد قال أقوالا مخالفة لبعض الاحاديث الصحيحة لاسباب يعذر بها وتبعه الناس على ذلك ولا يعد ذلك أحد عليهم خروجا من الدين حتى من لاعذر له في التقليد فما بالك بمخالفة بعضهم بعضا في الاقوال الاجتهادية التي تختلف فيها أقيستهم .

وقد فشا بين المسلمين أكل الربا مع ذلك الوعيد الذي نطق به القرآن وأكثرهم يعتقدون ان لفظ الربا فيه يتناول جميع ماقال فقهاء مذاهبهم انه منه حتى بيع الحلي من الذهب بجنيهات يزيد وزنها على وزنه لمكان الصنعة في الحلي وبعض

أقول فهذا الربا الذي سماه العلامة ابن القيم بالربا الجلي وقال الامام أحمد انه الربا الذي لا يشك فيه المحرم بنص القرآن وحده هو هو ربا النسيئة الذي كانوا يضاعفونه على الفقير الذي لا يجد وفاء بتوالي الايام والسنين ، هو هو مخرب البيوت ، ومزيل الرحمة من القلوب ، ومولد العداوة بين الاغنياء والفقراء ، وما معنى حصر النبي صلى الله عليه وسلم الربا فيه الا بيان ما اراد الله تعالى من الربا الذي توعد عليه بأشد الوعيد الذي توعد به على الكفر: فهل يسمح لعاقل عقله أن يقول ان تحريم هذا الربا ضار بالناس أو عائق لهم عن إنماء ثروتهم؟ اذا كانت الثروة لا تنمو الا بتخريب بيوت المعوزين لارضاء نهمة الطامعين ، فلا كان بشر يستحسن انماء هذه الثروة .

وقد علمت انه لا يدخل في هذا الربا الذي لا يشك فيه كما قال الامام أحمد شراء أسورة من الذهب بجنيهات تزيد عليها وزنا لأن هذه الزيادة في مقابلة صنعة الصانع وقد تكون قيمة الصنعة أعظم من قيمة مادة المصنوع فانه لا نسيئة في هذا البيع بل ولا ربا لا مقابل له ليكون باطلا ولا ضرر فيه على المشتري ولا ظلم . ولا يدخل فيه أيضا من يعطي آخر مالا يستغله ويجعل له من كسبه حظا معينا لان مخالفة قواعد الفقهاء في جعل الحظ معينا قل الربح أو كثر لا يدخل في ذلك في الربا الجلي المركب المخرب للبيوت لان هذه المعاملة نافعة للعامل ولصاحب المال معا وذلك الربا ضار بواحد بلا ذنب غير الاضطرار ونافع لآخر بلا عمل سوى القسوة والطمع . فلا يمكن ان يكون حكمهما في عدل الله واحدا بل لا يقول عادل ولا عاقل من البشر ان النافع يقاس على الضار ويكون حكمهما واحدا . . . .

إن كان شراء ذلك الحلي وهذا التعامل من الربا الخفي الذي يمكن إدخاله في عموم روايات الآحاد في بيع أحد النقدين بالآخر ونحو ذلك فهو محرم لسد الذرائع كما قال ابن القيم لا لذاته وهو من الربا المشكوك فيه لا من المنصوص عليه في القرآن الذي لا شك فيه فليس لنا ان نكفر منكر حرمته ونحكم بفسخ نكاحه ونحرم دفنه بين المسلمين .ليتأمل الذين لا يفرقون بين الربا المحرم في القرآن وبين غيره مقدار الحرج اذا حكموا بأن كل من اشترى حلية من

الجاهلية مثل أن يؤخر دينه ويزيده في المال وكلما أخره زاد في المال حتى تصير المئة عنده آلافا مؤلفة وفي الغالب لا يفعل ذلك الا معدم محتاج فاذا رأى المستحق يؤخر مطالبته ويصبر عليه بزيادة يبذلها له تكلف بذلها ليفتدي من أسر المطالبة والحبس ويدافع من وقت الى وقت فيشتد ضرره وتعظم مصيبته ويعلوه الدين حتى يستغرق جميع موجوده فيربو المال على المحتاج من غير نفع يحصل له ويزيد مال المرابي من غير نفع يحصل منه لاخيه فيأكل مال أخيه بالباطل ويحصل أخوه على غاية الضرر . فمن رحمة أرحم الراحمين وحكمته واحسانه الى خلقه أن حرم الربا ولعن آكله وموكله وكاتبه وشاهديه وآذن من لم يدعه بحرب الله وحرب رسوله ولم يجيء مثل هذا الوعيد في كبيرة غيره ولهذا كان أكبر الكبائر وسئل الامام أحمد عن الربا الذي لا يشك فيه فقال هو ان يكون له دين فيقول له أتقضي أم تربي ؟ فان لم يقضه زاده في المال وزاده هذا في الاجل : وقد جعل الله سبحانه الربا ضد الصدقة فالمرابي ضد المتصدق قال الله تعالى (يمحق الله الربا ويربي الصدقات) وقال (٣٠ : ٣٩ وما آتيتم من ربا ليربو في أموال الناس فلا يربو عند الله وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون) وقال (٣ : ١٣٠ يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون ١٣١ واتقوا النار التي أعدت للكافرين) ثم ذكر الجنة التي أعدت للمتقين (الذين ينفقون في السراء والضراء) وهؤلاء ضد المرابين . فنهى سبحانه عن الربا الذي هو ظلم الناس وأمر بالصدقة التي هي احسان اليهم . وفي الصحيحين من حديث ابن عباس عن أسامة بن زيد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «انما الربا في النسيئة» ومثل هذا يراد به حصر الكمال وان الربا الكامل انما هو فى النسيئة كما قال (٨ : ٢ انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون) الى قوله (أولئك هم المؤمنون حقا) وكقول ابن مسعود : وانما العالم الذي يخشى الله : » اه كلام ابن القيم في الربا الجلي الذي لا شك فيه واورد بعد ذلك فصلا في ربا الفضل الذي حرم من باب سد الذرائع وهو ان يبيع الدرهم بالدرهمين وذكر خلاف الفقهاء فيه

حال المسلمين في العالمين

﴿ودعوة العلماء الى نصيحة الامراء والسلاطين﴾

الشمس مشرقة تطوق بأشعتها الارض كل يوم ، والابصار محدقة تحيط بما يتنزل فيها من كل أمر ، يكاد كل انسان يعرف اليوم من أخبار الارض ما تعرفه الشمس ان كانت ترى الاشياء كما تريها للناس لأنه جعلها بتصرفه في قوى الطبيعة كالمدينة الواحدة يسهل على من يشاهد أمرا في رجا منها ان يفضي به الى من في سائر الارجاء . فالبرق الخافق ما بين الخافقين، يفضي الى المغربين بأخبار المشرقين ، وينبيء المشرقين بأعمال المغربين ، فطرق العبرة معبدة، ورواحل الهجرة مذللة ، وجنى العلوم والعرفان دان، تتناوله الأيدي من كل مكان ،

هذا التواصل في المكان، والتقارب في الزمان، لم يدع عذرا لشعب أو جنس من الناس، اذا لم يجار ويبار سائر الشعوب والأجناس، فقد عهدنا من طبيعة أطفال هذا النوع ان يقلدوا كباره الذين ينشؤن بينهم في كل ما يرونهم عليه حتى يكونوا رجالا مثلهم في أعوام معدودة، وعهدنا من طبيعة رجاله أن يستقلوا دون من تربوا معهم بأمور تكون لهم مزايا مشهودة، فالتقليد والاستقلال في الأعمال الكسبية ، كالتوارث والتباين في النواميس الطبيعية، بهما يحفظ الانسان أحسن ما وجد، وبهما يبتدع ما لم يجد، فهما الجناحان اللذان يطير بهما البشر في جواء العلوم والأعمال، حتى يصلوا الى ما استعدوا له من الكمال

ارجع الطرف الى ما رأيت من أحوال شعوب هذا العصر، وأصخ الاذن الى ما تسمع من أخبارهم في كل يوم، تعلم أن جميع الشعوب والاجناس قد سارت على طريق الفطرة البشرية التي أومأنا اليها آنفا ما عدا المسلمين فانهم كادوا يكونون في هذا العصر من طبيعة غير طبيعة البشر لكنها دونها بعد ان كانوا قد فاقوا سائر البشر وسادوهم فكانوا فوقهم أجمعين

ان أرقى المسلمين في هذا العصر مسلمو تركيا ومصر والهند فهل تستطيع ان تقول ان أحدا منهم ساوى شعبا من شعوب الملل المجاورة لهم ؟

قد انقد من جسم الدولة العثمانية عدة شعوب نصرانية ما منهم شعب الا وهو الآن أرقى من مسلمي هذه الدولة تركها وعربها وكردها -- أرقى منهم في الحكومة

الذهب بنقد منه وحلية من الفضة بنقد منها وكان النقد غير مساو للحلي في الوزن فهو كافر ان استحل ذلك ومرتكب أكبر الكبائر محارب لله ولرسوله ان كان يفعله مع اعتقاد حرمته

ولو كان مثل ذلك من المنصوص الذي لاشك فيه لما وقع فيه خلاف وقد اختلف الصحابة والأئمة ومن بعدهم من الفقهاء في كثير من مسائل الربا ومن ذلك بيع الحلية فقد أوضح ابن القيم الحجة على جواز بيعها بجنسها من غير اشتراط المساواة في الوزن . ومما قال في ذلك ان ربا الفضل انما حرمه الله لسد الذريعة لا لذاته وما حرم سدا للذريعة أبيح للمصلحة (راجع ص٢٠٣ من الجزء الأول من أعلام الموقعين)

وممن جوز من الصحابة والتابعين ربا الفضل مطلقا عبدالله بن عمر ولكن رووا عنه أنه رجع عن ذلك وابن عباس واختلف في رجوعه وأسامة ابن زيد وابن الزبير وزيد بن أرقم وسعيد بن المسيب وعروة بن الزبير واستدلوا بحديث الصحيحين المتقدم « إنما الربا في النسيئة » فلو كان ربا الفضل كربا النسيئة لم يقع هذا الخلاف بين الصحابة والتابعين رضي الله عنهم أجمعين

والغرض مما تقدم كله ان نفهم في تفسير القرآن ماحرم القرآن من الربا وتوعد عليه بأشد الوعيد وأن نفهم حكمته وانطباقه على مصلحة البشر وموافقته لرحمة الله تعالى بهم وكونه لاحرج فيه ولاضرر . وأماماورد في روايات الآحاد وماقاله العلماء والفقهاء مما ليس في القرآن فليس التفسير بموضع لبيانه وقد تقدم في كلام الاستاذ الامام وكلام حجة الاسلام وكلام العلامة ابن القيم نتف تشعر بحكمة بعضه وليطلب تعليل باقيه من كلام الاخيرين من شاء والله أعلم وأحكم



الازبكية في مصر وقد أحدق به الناس ، من جميع الملل والأجناس ، فرأيت الفرق بين المسلم والمجوسي عظيما . سمعت المسلم يذكر في خطابه من مكانة الشيخ عبد القادر الجيلاني عند الله تعالى أنه اذا اختطف غراب عظما من عظام الذبائح التي تذبح في مولد الشيخ عبد القادر فوقعت منه في مقبرة للكفار فان الله تعالى يغفر لجميع من دفن فيها كرامة للشيخ . وسمعته يذكر تلك الكرامة التي ذكرت في بعض كتب مناقبه وملخصها ان مريدا له مات فحمل أهله الشيخ على احيائه فطار في الجو ليدرك ملك الموت فيستعيد منه روح المريد فامتنع عليه ملك الموت قائلا لا يمكن أن أعيد روحا قبضتها باذن الله الا باذن من الله فغضب الشيخ واجتذب الوعاء الذي أودع ملك الموت فيه الأرواح التي قبضها في ذلك اليوم فوقعت وانكبت الأرواح منها فطارت كل روح الى جسدها فحيي جميع من مات في ذلك اليوم كرامة للشيخ ولا نجرأ على ذكر ما قيل في شكوى ملك لربه وما أجيب به

السواد الأعظم من مسلمي الهند يسلمون بمثل هذه الاقوال ومن ينكرها منهم في نفسه لا ينكرها بلسانه وانما ينكر الأكثرون كل دعوة الى الاصلاح بالعلم الصحيح والتربية القويمة كما هاج أرباب العمائم في بمباي على خطيب المسجد ذي المنارات أن قال في خطبته «اخواننا الشيعة» وكادت تكون فتنة لولا عناية بعض العقلاء . وانهم ليبذلون في مولد الشيخ من النفقات ما لو بذلوه في تعميم التعليم لوفى به

في الهند حركة اسلامية جديدة يرجى خيرها ولكنها ضعيفة المنة بطيئة السير لا يقارب أصحابها أحداً من أهل الملل الاخرى في سعيهم وجدهم فماذا جرى للمسلمين ، وما الذي دفع بهم من عليين الى أسفل سافلين ؟؟

بينا غير مرة أن بلاء المسلمين قد جاءهم من ناحية دينهم فمثاره غرورهم بدينهم أو ابتداعهم في دينهم أوجهلهم بدينهم أو لبسهم لدينهم كما يلبس الفرو مقلوبا . قبلوا كل داهية عرضها عليهم رؤساءهم المفسدون بشكل ديني وان كانت ناكسة له على راسه ، أو ناسفة له من أساسه ، وأعرضوا عن كل علم وعمل وخير ونعمة وفائدة لم يلونها لهم رؤساؤهم الجاهلون بلون ديني وان كانت من لباب الدين وصميم الدين أومن سياج الدين الذي يتوقف عليه حفظ الدين أو بقاء الدين .

والمدنية ، أرقى منهم في العلوم والفنون ، أرقى منهم في الصنائع والأعمال ، أرقى منهم في الآداب والاجتماع ، ولك ان تستغني عن ذلك كله بأن تقول انهم أرقى منهم في جميع شؤون الحياة . وان تعجب فأعجب من هذا ان يكون النصارى الذين لا يزالون تحت سلطة هذه الدولة أرقى من مسلميها في جميع شؤون الحياة على أنهم أقل منهم عددا ومالا وحقوقا في مناصب الدولة . فماذا تقول اذا قابلت بين مسلمي تركيا ونصارى فرنسا وألمانيا وانكلترا وسائر دول أوربا اللواتي أصبحن مسيطرات على تركيا حتى في كثير من شؤونها الداخلية وقد كن منذ قرنين أو ثلاث قرون يرتعدن من مهابتها والخوف منها

ماذا فعل مسلمو مصر بعد الاشتغال بالتربية والتعليم على الطريقة الأوربية قرنا كاملا ؟ انه لم يوجد فيهم فلاسفة ولا مخترعون ولا مكتشفون ولا محررون لشيء من العلوم بل لم تسم هممهم الى انشاء مدرسة كلية بل لا يكاد يوجد في عشرة آلاف ألف منهم عشرة رجال مستقلين في الرأي والارادة لا يهابون في الحق حاكما ، ولا يخافون فيه لائما ، قد خرج حكم بلادهم من أيديهم وهذه رقبتها تكاد تخرج أيضا بما يمتلك أفراد الاجانب وشركاتهم من أطيانها في كل عام وما يبتزون من أموالها في كل يوم . ولا نطيل في وصف حالهم فجرائدهم اليومية تغنينا عن ذلك بما تسهب فيه آنا بعد آن ، فكيف يكون حكما عليهم اذا قسناهم بنصارى أوربا أو وثنيي اليابان

وهؤلاء مسلمو الهند يعيشون بين أمم من الوثنيين البوذيين والبراهمة ومن المجوس والافرنج وكانت لهم في تلك البلاد السيادة العليا فى العلم والحكم قد أمسوا وراء هذه الشعوب كلها فى العلم والعمل والتربية والثروة فلم تسم هممهم لمسابقة من هم أكثر منهم عددا كالهندوس ، ولم يخجلوا أن يسبقهم من هم أقل منهم كالمجوس ،

حدثني سائح مسلم جال في بلاد الهند جولان مختبر قال رأيت المجوس أرقى شعوب الهند علما وعملا وأخلاقا وآدابا وأكثرهم برا واحسانا لانفسهم ولجميع من يعيش معهم . رأيتهم في بعض البلاد قد زادت مدارسهم عن حاجتهم فكانوا يبنون المدارس لتعليم سائر الطوائف من المسلمين والوثنيين ، سمعت خطيباً منهم يخطب في محفل حافل فأدهشني بسمو أفكاره ، وسعة عرفانه ، فقارنت بينه و بين شيخ مسلم سمعته يخطب الناس في مجتمع عام في بومباي يشبه ميدان

أولي الأمر لتدعم الشورى التي هي أساس الحكم الاسلامي. ولكن المسلمين قد فعلوا بهذا الاساس شرا مما فعلوا بالاساس الأول لان نزعات الوثنية التي زلزلت التوحيد لم تكن عامة لجميع المسلمين ولكن الرضى بحكم الافراد الاستبدادي وهدم ما بناه القرآن وأجمع عليه الصحابة من حكم الشورى قد رضي به جميع المسلمين في بلاد لهم فيها سلطة الا ما لا يخلو عنه الزمان من أفراد ينكرون هذه السلطة بألسنتهم دون أن يؤلفوا جمعيات تقوضها. على ان الانكار باللسان، لم يتيسر لهم في كل زمان، ولذلك اكتفوا بانكار القلب الذي سماه الرسول أضعف الايمان،

للاسلام أصول وفروع فمن حفظ الاصول وقصر في بعض الفروع لا يقطع رجاؤه من مغفرة الله تعالى ومن ترك الاصول كان تاركا للدين بالمرة غير معدود من أهله ولا رجاء له مع تركها. وأهم أصول الاسلام ما ذكرنا من التوحيد في القسم الروحاني وحكم الشورى في القسم الجسماني فمتى يرجو النجاة في دينه من ترك الاصل الأول فجهل سنن الله تعالى وعلق قلبه ببعض عبيده الذين لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا كما قال القرآن في شأن خير الخلق من النبيين والمرسلين. وكيف يرجو النجاة في دنياه من رضي بحكم الافراد الاستبدادي وجعل لنفسه رئيسا من البشر مقدسا غير مسؤل أي ان له في ملكه ما أثبت الله تعالى لنفسه خاصة بقوله (٢١:٢٣ لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون) بل كيف ينجو في آخرته من خالف نص القرآن وإجماع المسلمين في الصدر الاول وهو يسلم بقول الفقهاء عامة ان من ترك أو رضي بترك نص القرآن ومخالفة الاجماع المعلوم من الدين بالضرورة فهو كافر خالد في النار كعباد الاصنام

طال الزمان على اهمال القرآن وترك الاجماع حتى صار أكثر المسلمين يجهلون حقيقة السلطة في الاسلام بل صار الكثيرون من عامتهم يعتقدون ان السلطان ان يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد بتفويض من الشرع كأن الشرع جعل له سلطانا على الشرع ينسخ منه ما يشاء ويحكم ما يشاء وينفذ من أحكامه ما يشاء ويلغي منها ما يشاء فله من التصرف فيه ما لم يكن لمن جاء به إذ قال صلى الله عليه وسلم «لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها» رواه البخاري. بل منهم من يعتقد أنه غير مساو لسائر المسلمين في الاحكام الشرعية ومما امتاز به عند بعضهم انه اذا نظر الى امرأة

ولكن هؤلاء الذين قبلوا كل شر باسم الدين ، وقد يرفضون كل خير بشبهة الدين قد خربت قلوبهم من الدين حتى لا تجد في الالوف منهم واحدا يحكم ما يعتقد من الدين في أهوائه وعاداته فالعادات والتقاليد المتبعة هي المحكمة دون ما يعتقد بالبرهان، أو يعترف به لانه منصوص في القرآن ،

لا نطيل في شرح هذه المسألة ولا ندع التمثيل لها بما فعل المسلمون بأساسيها الديني والدنيوي أو الروحاني والجثماني — أساس الاسلام الروحاني توحيد الله تعالى وإسلام الوجه اليه وحده فجميع العبادات انما شرعت للتذكير بهذا الاصل والامداد له والمحافظة عليه ومن معناه أن لا يلتمس الانسان شيئا ما الا من الله تعالى أي من السنن العامة التي ربط بها الاسباب بالمسببات ومن الشرك بالله أن يطلب الانسان شيئا ما من غير سببه العام ، المبذول من مقام الرحمة والاحسان لجميع الانام ، فان جهل السبب أو تعذر عليه توجه الى الله وحده لعله يهديه الى سبب آخر أو يسهل له الحزن ويذلل له الصعب . ولكنك ترى جماهير المسلمين قد صاروا أبعد الامم عن استعراف سنن الله تعالى في خلقه والاعتماد عليها دون الاسباب الوهمية ، وما نحلوه لبعض الناس من السلطة لالآهية الغيبية ، وبهذا صار غيرهم أقرب من جماهيرهم الى حقيقة التوحيد الخالص في الاعتقاد والعمل، وإن كانوا هم أصحاب القول والدعوى

وأساس الاسلام الدنيوي جعل أمر المسلمين في حكومتهم شورى بينهم لا يستبد بها الآحاد منهم كما يستبد الملوك والامراء في الحكم عادة ومن ثم أجمع الصحابة على ان الاسلام لا ملك فيه ولا سلطان لغير الله تعالى على أهله وان أحكامه شورى بين أولي الأمر وهم أهل العلم بالمصلحة العامة والرأي الذين تحترمهم الأمة وتثق بهم وكان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يرجع الى رأيهم في زمنه في الشؤون الدنيوية تربية للمسلمين بالعمل على ما أرشد اليه الكتاب العزيز وكان خلفاؤه من بعده يعملون برأيهم أيضا . فهذا الاساس في القسم الدنيوي من الاسلام كالتوحيد في القسم الديني الروحاني منه فكما شرعت العبادات لتدعم التوحيد وتحفظه شرعت الاحكام المدنية والقضائية وفوض غير المنصوص منها الى جماعة

تفعل في هذه الدولة التي يتمنى الجميع صلاح حالها مالا تفعله الثورات التي تجري فيها أنهار الدماء طلبا للاصلاح وإزالة الاستبداد في سائر الممالك

علماء مصر أبعد عن فهم السياسة والوقوف على المسائل العامة من علماء الهند ولم يتعودوا من الاجتماع للمشاورة فى مصالح المسلمين ما تعوده علماء الهند الذين أسسوا جمعية (ندوة العلماء) وغيرهم فعلماء الهند أولى بأن يبدءوا بهذه النصيحة وعليهم ان يعجلوا بها فان نذر الدول الأوربية تنذر الدولة العثمانية بجعل سائر ولاياتها تحت مراقبة دول أوربا الكبرى على الطريقة التي جرين عليها فى كريت ومكدونية واذا تحقق ذلك — والعياذ بالله — فقد زالت سلطة المسلمين اذلا يعقل أن يقضين على تركيا ويبقين على إيران، ومراكش كادت تكون منذ الآن في خبر كان،

اذا كانت آفة المسلمين من جهة دينهم قدجاءت من رؤسائهم - وكان إفساد رؤساء الدنيا لم يتم الا بمساعدة بعض رؤساء الدين وسكوت الآخرين — وكان طول الامد على هذا الافساد قدأضعف في نفوس المسلمين الاستعداد للاستقلال الذاتي — وكانت عزة الأمم في هذا العصر رهينة بهذا الاستقلال — وكانت الملوك لاتترك استبدادها مختارة - وكانت الشعوب الاسلامية لم تسم للنهوض باكراه حكامهم على العدل والشورى كانهضت الشعوب المسيحية واحدا بعدآخر كما أنبأنا تاريخ من فازوا في الماضي وكما نشاهد اليوم فيمن يستقبلون الفوز في روسيا — وكان الذي مكن لحكام المسلمين سلطان الاستبداد هو اعتقاد رعاياهم ان الدين يوجب طاعتهم على الاطلاق— وكان الحق المجمع عليه انه لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق — إذا كان ماذكر كما ذكر فالواجب على العلماء الأحرار في مثل الهند ومصر ان يبينوا الملوك المسلمين ولعامتهم الحق في ذلك مادام فى القوس منزع — أن يطالبوا الملوك بالعدل والاصلاح في الارض بحكم الشورى فان لم يستجيبوا لهم فليستعينوا عليهم بالعامة والجرائد بعد أن يبينوا للعامة فى الجرائد حكم الله في حكومة الاسلام والفرق بين الخليفة أو السلطان أو الأمير المقيد بالشريعة والشورى المسئول لدى الامة فى الدنيا وعند الله في الآخرة وبين الإله الذي يفعل مايشاء ويحكم مايريد الذي لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون

متزوجة واشتهاها فانها تحرم على زوجها وتحل له !! وهذا كفر صريح

وحدثني محمود باشا داماد ان الفلاحين فى الاناطول يعتقدون أن السلطان مخالف للبشر في صورته ومن ذلك ان شعر لحيته أخضر

أما أهل العلم والفهم فهم يدعون أنهم أخذوا بالقهر وغلبوا على أمرهم فاذا نطقوا بالحق عمل سيف الباطل عمله في رقابهم فلم يبق لهم الا الرضى بأضعف الايمان وهو الانكار بقلوبهم . هل يصدق بهذه الدعوى — دعوى أضعف الايمان — من يمدح المستبدين و يدهن لهم و يدافع عنهم ؟ هل يصدق بها من يعمل لهم و يقبل وظائفهم ورتبهم وشارات الشرف التي ابتدعوها لأعوانهم ؟

هل يصدق بها من لم يبذل جهده في دعوة أمثاله الى الاجتماع سراً، لتأليف جمعية تطالبهم بحكم الشورى جهراً، وتقسرهم عليه بقوة الأمة قسرا ، فان الله تعالى ما فرض القيام بالدعوة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر على أمة أي جمعية تكوّن من الامة الا لتكون بمأمن من المستبدين، مسيطرة عليهم باسم الدين ، فماذا فعل هؤلاء العلماء بقوله تعالى (٣: ١٠٤ ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير و يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) و بقوله عليه الصلاة والسلام «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان»

اذا ادّعى هؤلاء العجز عن ذلك فماذا يقول العلماء الذين لا يمنعهم مانع من الاستبداد ولا من غيره عن دعوة الخير والامر بالمعروف والنهي عن المنكر للحكام في غير بلادهم . اذا كان علماء كل بلاد يخافون بأس حكامهم فماذا يمنعهم ان يطالبوا حكام سائر بلاد المسلمين باقامة العدل على أساسه الذي وضعه القرآن (٤٢: ٣٨ وأمرهم شورى بينهم) ؟ اذا كتب علماء الازهر أو علماء الهند بذلك الى سلطاني الترك والفرس وسلطان المغرب وأعلنوا نصيحتهم فى الجرائد فهل يخشون ان يقتلوا أو يصلبوا أو ينفوا من الارض ؟ أيحسبون ان كتابتهم لا تفيد ولا تنفع ؟ كيف وهم يعلمون ان بعض السلاطين يهتم لكلمة يقولها في ذلك أحد أصحاب الطرابيش الذين لا قيمة لأقوالهم عند السواد الاعظم من المسلمين؟: ادعوه فأرضوه، أوخذوه فغلوه،:

لا شك عندنا ان كتابة علماء مصر وعلماء الهند الى السلطان العثماني بطلب الاصلاح

ولأئمة المسلمين وعامتهم: (رواه مسلم) فإلى لجنة (ندوة العلماء) نوجه هذا التذكير ثم ندعو من يقرأه من سائر العلماء ان يذكر به إخوانه . ومن أحب منهم ان يراجعنا في موضوع النصيحة بالتفصيل وفي كيفية الاجتماع لها وطريق أدائها فانا مستعدون لبيان ما نسئل عنه ونضرع الى الله تعالى أن يجعل انقاذ هذه الأمة على أيدي علمائها وان يصلح الراعي والرعية بارشادهم والسلام على من أجاب داعي الله في كل مكان وزمان

باب المراسلة والمناظرة

﴿ دفاع الشيخ محمد بخيت عن رسالتيه والرد عليه ﴾

كتب الشيخ محمد بخيت رسالة سماها (إزاحة الوهم والاشتباه ، عن رسالتي الفونوغراف والسوكورتاه) أورد فيها ما انتقدناه عليه في الجزء الثاني من المنار ورد عليه . وقد اطلعنا على الرد فكنا كلما قرأنا جملة من أوائله ورأينا ما فيها من المكابرة والتناقض والتهافت نقول في نفسنا ان الرجل ما كتب هذا الا ليغالط الناس لاعتقاده بأنهم لا يفهمون ما يقال وإنما يأخذون من جملة الاقوال أنه قد دافع عن نفسه وفند كلام المعترض عليه ولما أوغلنا في القراءة ترجح عندنا أنه هو نفسه لم يفهم ما كتب إذ لو فهمه لكرّم نفسه أن ينسب ذلك اليها وكنا اعتقدنا فيه مثل هذا الاعتقاد عندما نشر رده الأول في بعض الجرائد الساقطة منسوبا اليها وانا نبين بعض تهافته بما فيه العبرة للقارئين

﴿ أدب الشيخ بخيت في رده ﴾

قال الشيخ في أواخر (ص٢٩) من رسالتيه « وانما نقلنا عبارة المعترض بطولها ليعلم الناظر فيها مقدار ما عليه من الأدب والاخلاق ويلبسه المطلع عليها برودا من نسيج خيوطها » اهـ بنصه البليغ !!

أقول انني أعترف بأن في عبارة نقد المنار لرسالتيه يبوسة وأشرت الى السبب العامّ لذلك . ذلك انني كتبت تلك العبارة وانا متألم الروح لقوله بجواز كون إمام المسلمين كافرا واستدلاله على ذلك بحديث لا يصح الاحتجاج به مع عدم الحاجة الى ذلك في

لعل علماء الهند لا يعرفون كنه الخطر القريب الذي تتهافت عليه الدولة العثمانية لان أكثر جرائدهم كجرائد مسلمي مصر تكتم عنهم ما تعرف من مساويها – على أنها لا تعرف الا النزر اليسير – وتحليها بالفضائل والفواضل المنتحلة التي ترى أنها تشد أواخي الآمال بها وتمثل عدوان أوربا عليها بأقبح المثل وأشنع الصور فتخلق لها من ذلك كهيئة الاعذار عن اصلاح أمورها الداخلية، وتجذب به اليها قلوب الشعوب الاسلامية، وهي تظن أنها لا تفعل بذلك الاخيرا

والحق الذي عرفناه بعد البحث الدقيق والنظر الطويل ان ضرر هذه الخطة يرجح بجميع حسنات الجرائد واذا كان أكثر الناس يجهل هذا الضرر فان بعض أصحاب الجرائد المصرية يعرفه ولا يتسع هذا المقال لبيانه ولكننا نلفت الأفكار الى البحث في مسألتين منه (إحداهما خارجية) وهي أن دعوة المسلمين في البلاد التي وقعت تحت نفوذ أوربا الى الاعتصام بعروة الدولة العلية هي التي كادت تجمع كلمة الدول العظمى على الايقاع بها والقضاء عليها من غير فائدة لها ولا لهم وهذا ما أعني بالخطر القريب وقد رأينا بوادره ونعوذ بالله من أواخره (والثانية داخلية) وهي مناصبة الدولة للعلم والتعليم والكتب والاجتماع والتعاون لاسيما في سوريا وفلسطين وكثرة المكوس والضرائب والمظالم مع قلة وسائل العمران . فلينظر المحب المنصف في عاقبة أمة تعد حكومتها اقتناء أحسن كتب العلم الدينية والدنيوية من أكبر الجرائم والجنايات وتشدد في العقوبة عليها مالا تشدد على إزهاق الأرواح وسلب الاموال حتى صار الناس يحرقون كتبهم الموروثة !!

اذا سلمنا ما يقوله بعض أصحاب الجرائد وما يعتقده بعض المخلصين من مسلمي مصر وغيرهم ان انتقاد جرائد المسلمين لادارة الدولة ومطالبتها بالاصلاح تشهير ضار فهل يمكن أن يسلم عاقل لجاهل يقول بلا فهم ان نصيحة يكتب بها علماء المسلمين للسلطان قياما بما أوجبه الله تعالى تعد تشهيرا ضاراً ؟ ما أظن ان الجاهل الغبي الذي يخطر له مثل هذا قد خلق ولئن كان مثله مخلوقا فهو من الديدان التي لا صوت لها

أيها العلماء الاعلام اذا كان الدين عندكم كل شيء فلن تقيموه حتى تعملوا بقول من جاءكم به (عليه الصلاة والسلام): الدين النصيحة لله ولرسوله ولكتابه

في البادية: فهي مسألة خلافية بين الله تعالى وبين هذا المعترض ونحن ممن يقول بقول الله تعالى ولا نقول بقول هذا المعترض المخالف لكتاب الله : فانظر الى أدب هذا الاستاذ مع الله تعالى ويعني بمخالفة كتاب الله ان كتاب الله ذكر ان من الاعراب المؤمن والكافر والمنافق واستنبط هو باجتهاده الجديد ان هذا التقسيم ينافي كون الاعراب هم سكان البادية ويا ليته راجع كتب اللغة وكتب التفسير قبل كتابة ما كتب لعله يعلم ان المعترض عليه لم يقل الا بما به قال اللغويون والمفسرون أجمعون ولكنه اذا علم ذلك ولم يعلم انه لا ينافي التقسيم المبين في كتاب الله فانه لا يستفيد ما يمنعه من القول بأن المسألة خلافية بين ٠٠٠٠ تعالى الله عما قال هذا الشيخ علوا كبيرا ٠ وقال عن قول المعترض ان حديث جابر منكر أو موضوع انه جرأة على الاحاديث لا فرق بينها وبين الكذب على الرسول صلى الله عليه وسلم وستعلم مكان علمه بهذا كما علمت مكان أدبه فيه ٠ وقد دعا على المعترض في آخر (ص٥٧) ونسبه الى الاختلاق والافتراء في أول (٥٨) وعرض بعد ذلك بما عرض به ٠ وقال في أوائل ص (٦٠): وأما قول المعترض أن المرأة والأعرابي المقيم بالبادية وراء انعامه ليسا مظنة (الخلافة) الخ فهو قول من لم يؤته الله فهما ، ولم يذق للكلام طعما ،: وله كثير من مثل هذا التعبير الذي يعد في الذروة العليا من النزاهة والادب فلا نستقصيه ٠ وقال في أواخر الرسالة ما قال من قبل في انتقاد المعترض وأمثاله حسدا له وتمثل بقول الشاعر

ان يحسدوني فاني غير لائمهم قبلي من الناس أهل الفضل قد حسدوا
فدام لي ولهم مابي وما بهم ومات أكثرهم غيظا بما يجد
انا الذي يجدوني في صدورهم لا ارتقي صدرا منها ولا أرد

وقال بعد ذلك في خاتمة الرسالة « وأما ما قاله المعترض من سوء الأدب في العبارة فاننا نسامحه فيه ونرجو الله أن يسامحه حيث كان من نفسه الامارة ومع ذلك إن عادت عدنا لها مع عدم مجاراته في السوء الذي هو غاية ما يبغيه ونقف عند رد ما يبديه من الشبهات بالحجج والبراهين وان لم يكن من فرسان ميدان المناظرة » فياليت شعري لو لم تكن أريحية الحلم والكرم والنزاهة والادب هزت الاستاذ الفاضل للعفو والسماح عن المعترض ماذا كان يقول فيه ، ولو لم يلذ بالتواضع والخشوع والاعتصام والتوكل ماذا كان يقول عن نفسه ٠ هذا نموذج حلمه وأدبه وتواضعه وهضم نفسه وسيرد على القارئين نموذج علمه واجتهاده في الجزء الآتي ان شاء الله تعالى

موضوع الرسالة · وقد تلمست له عذرا في نشر هذه المسألة في رسالة طبعها في وقت اشتد فيه الخلاف بين الدولة العثمانية ودولة غير مسلمة فأعوزني العذر ولم أجد في قاله ولا حاله منفذا لنور الاخلاص فكتبت «تحت عامل التأثير» كما تقول الافرنج فجاءت العبارة شديدة اللهجة كما يقول كتابنا ولكنها بحمد الله سالمة من مثل ما في كلام الشيخ من النبز بالالقاب ، ومجاوزة حدود الآداب ، والتشدق بالفخر والاعجاب ، واليك نموذج ذلك من كلامه

قال بعد ان ذكر ان مستفيدا كتب يسأله عن عبارات أشكلت عليه في الرسالة «وقد رأينا أيضا بعض الناس قد اعترض على الرسالتين معا ونشر اعتراضه في إحدى المجلات التي تطبع في مصر فوجدناه كلاما عليه صبغة الحقد (١) والحسد (٢) وملؤه نفثات النفثات (كذا) في العقد (٣) نستعيذ منه برب الفلق (٤) كما نستعيذ برب الفلق من شر ما خلق (٥) ولا نجاري هذا المعترض على مثل هذا القول !! بل نستعين عليه بذي القوة والحول ، ونفوض أمرنا اليه ، ونتوكل في جميع شؤوننا عليه ، فانه سبحانه وحده هو الذي يهب لمن يشاء من عباده من العلم والحلم ما يشاء ، ويمنعهما أو يسلبهما عمن يشاء (٦) ويبتليه ببغض العلم والعلماء ، (٧) فيختلق ماشاء ان يختلق عليهم (٨) وينسب كذبا ماشاء ان ينسب اليهم (٩) وان لم يكن منهم في شيء (١٠) ولا شخص له فيهم ولا فيء (١١) فرأيت من الحكمة والصواب ، ان أجيب عما جاء في الخطاب ، وعما اعترض به ذلك السباب (١٢) اه بنصه النزيه

فأنت ترى أنه لم يخل سطر من هذه الاسطر من السب والشتم والنبز واللمز والعجب والفخر وانه ليس فيها وراء الشتائم والسباب التي دخلت في جمع الكثرة غير دعوى العلم والحلم والتوكل على الله وعلو الآداب ، والترفع عن مجاراة المعترض عليه بالسباب ، «هذا وما فكيف لو »

ووصف المعترض عند ابتداء الرد عليه في (ص٢٥) بالمتعنت العنيد وقال في (ص٣٦) إنه عاب الكلام لانه لم يفهمه وتمثل ببيت (وكم من عائب) الخ ونقص منه لفظ (صحيحا) و(السقيم) نزاهة وتفننا في البديع ولا يتنزه عما رأيت وسترى من ألقابه في سبابه · وقال في (ص٢٩) : جرت عادة المعترض وأمثاله ممن كادوا يتميزون من الغيظ حسدا على أن يخترعوا علينا الأباطيل :ثم ادعى انه في رفعة مقامه لايخطر أحد من هؤلاء الحاسدين على جنانه ، ولا يجري ذكره على لسانه ، قال : ولكن الحسد يعمي ويصم · وقال في (ص٥٢) عند قول المعترض أن الاعراب هم المقيمون

البرهان القويم
في
الحاجة الى عد آي القرآن الكريم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وآله وصحبه والتابعين وجميع المرسلين (و بعد) فان لنا معشر المسلمين كتابا كريما ارغمت لفصاحتــه أنوف الفصحاء وخرت لمعانيــه سجدا أرباب المعاني وذلك الكتاب هو القرآن الكريم الذي حاولت أساطين العلم ومصابيح الهدى علماء الأمة الاسلامية فى كل عصر ان تلبس بخدمتــه تاج الشرف فأمضوا فى ذلك اعواما من آجالهم وانضوا في تحرير أعمالهم مرهفات أقلامهم حتى أشرفت على التمام ثم اختفت تلك الاشــباح وعليها ذلك التاج الفاخر و بقيت تلك الكنوز الثمينة تذكرنا بلسان حالها قولهم :

تلك آثارنا تدل علينــا   فانظروا بعدنا الى الا ثار

من أهم ماقام به ذلك السلف الصالح خدمة القرآن الكريم بتفسيره وجمع أوجه قراآته وعدّ آياته وحصرها وعمل المعجمات المتنوعة للاهتـداء به . ثم تلاهم فى الوجود ذلك الخلف فبرهن بجملته على امتزاجه بنوع من الوهن والضعف عن انتهاج مسالك الآباء وتغذية النفوس بما تغذت به أرواحهم فقلّـت قيمة ماورثوه فى انظارهم ومقتوا المذاكرة في شأنه مقتا إلاّ بقيةً لاتزيد على عدّ الاصابع في هذا المجمع الحافل أردتُ أن أمدّ يدي مع أيديهم وأحشر نفسي فى زمرتهــم بعمل خدمة للقرآن الكريم وهي (دليل للاهتداء به) فأعددت للعمل عدتي وشمرت عن ساعد

﴿ الاختلاف في عد آي القرآن ﴾

كتب من مدينة بانجهانبور الهند في ٢٧ - ٥ - ١٩٠٦ بالانكليزية ما ترجمته

سيدي العزيز

أكتب اليك أسطرا قليلة راجيا ان تعيرها التفاتك وان تتكرم بالكلام أو باحاطتي علما برأيك فيما يأتي

اني أرى اختلافا عظيما في عدد آيات القرآن الاقدس وانه عند مراجعة مواضيع هذا الكتاب الكريم قد تنالنا مشقة عظيمة وقد يكون الامر شاقا عليكم أيضاً

وقد اختلف قراء الكوفة والبصرة والشام ومكة والمدينة اختلافا مماثلا لذلك في (را كواز) (*) فانهم يختلفون اختلافا عظيما في عدد الآيات التي تشتمل عليها

أليس من الممكن عقد اجتماع سرى يحضره مسلمون من مصر وتركيا ومراكش و بلاد العرب والهند لاجل تمحيص المسألة

وأرى ان يكون مكان الاجتماع مكة أو المدينة في أيام الحج ومع أن هذا الاختلاف لا يترتب عليه شيء في الكتاب الاقدس نفسه الا انه مما يوجب الاسف ان لا يتفق المسلمون في الآيات والسور لكتاب صغير الحجم

واني لآسف على اني لا أتحصل على مناركم كما اني آسف على عدم قدرتي على توضيح أفكاري باللغة العربية حتى أستطيع ان أكتب في جريدتكم ولكنني أرجو ان توفق لخدمة نافعة بواسطة جريدتكم الدينية كما أرجو ان تكون ممتعا بالصحة والعافية

صديقك المخلص

م . كريم بكلش

(المنار) من آيات الحياة في الأمة ان يوجد فيها أفراد يهتمون بالكماليات والتحسينيات من كل شيء تتلاقى فيها أفكارهم على بعد ديارهم فبينا كان اخونا الهندي يفكر في مسألة ضبط عدد الآي كان اخونا أحمد أفندي أمين الديك المصري يكتب فيها رسالته (البرهان القويم) التي تراها في الأوراق التالية وقد جاءنا بها قبل مجيء رسالة الاقتراح من الهند فرأينا أن ننشرها برمتها ثم نعقب عليها بجملة وجيزة

(*) يقول مترجم الكتاب أنه لم يجد في المعجمات الانكليزية معنى لهذه الكلمة

والسبعين من أبوابه (باب قدوم الاشعريين) وهو حديث عن علقمة قال فيه (كنا جلوسا مع ابن مسعود فجاء خبّاب فقال ياأبا عبد الرحمن أيستطيع هؤلاء الشبان ان يقرؤا كما تقرأ ؟ قال أما إنك لوشئت أمرت بعضهم فقرأ عليك قال أجل . قال اقرأ ياعلقمة . فقال زيد بن حدير أخو زياد بن حدير أتأمر علقمة وليس باقرئنا أما إنك ان شئت أخبرتك بما قال النبي في قومك وقومه فقرأت خمسين آية من سورة مريم فقال عبد الله كيف ترى قال قد أحسن . . . الخ) والشاهد فيه تقدير علقمة ماقرأه من السورة بما فيه من الآيات . وثانيا ماجاء في الكتاب الثامن والسبعين من صحيح البخاري أيضاً (كتاب التفسير) بالباب السابع والخمسين من أبوابه (باب ربنا إننا سمعنا مناديا ينادي للايمان . . الخ) وهو حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن مبيت النبي صلى الله عليه وسلم عند خالته ميمونة وقد كرره الامام مؤلف الصحيح في كثير من المواضع وجاء في هذا الموضع زيادة قوله (ثم قرأ العشر الآيات الخواتم من سورة آل عمران ثم قام الى شن . . . الخ) وفيه الاشارة الى عدد الآيات الخاصة بحالة معينة مع تعيين السورة التى اشتملت عليها وعدد أول آية فيها وكذلك الاخيرة . ومن قبيله ماينقله المفسرون فى أسباب نزول أوائل آل عمران عن الربيع بن أنس من قوله (نزلت أوائل السورة الى نيف وثمانين آية في وفد نجران . . . الخ) وكذلك ماذكره صاحب لباب النقول في أسباب النزول عن المسور بن مخرمة من قوله (قلت لعبد الرحمن بن عوف أخبرني عن قصتكم يوم أحد فقال اقرأ بعد العشرين ومائة من سورة آل عمران تجد قصتنا يوم أحد «واذ غدوت من أهلك» . . . الخ) .

**

-٣- جاء بعد ذلك الزمن الذي رأيت فيه من عناية الصحابة بالقرآن ما أسمعناك به زمن بدت فيه ظواهر قضت على الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه بنسخ المصاحف وارسالها الى الامصار الاسلامية المشهورة اتقاء الخلاف فى ذلك الكتاب الكريم وعلى أثر ذلك قام حفاظ كل مصر من الصحابة والتابعين تبث معارفها عن آياته بتقدير آيات كل سورة من سوره وتعيين حدود كل آية صيانة

الجد فسرت بالعمل شوطا بعيدا قاربت معه الوصول الى ما أرتضيه من الغاية ثم وقفت مفكرا في طريق تعميم النفع بتلك الخدمة فوجدته عدّ آيات السور فى جميع المصاحف والتفاسير التي تتبادلها الايدي عدّا خاليا من المباينة والخلاف ولاجل تنبيه فكرة اخوانى من المسلمين وأهل العلم لتلك النقطة أخذت اشتغل لها بنفسي مع تحقيق وتدقيق حتى وصلت بها الى ما شاء الله ان أصل من الثقة بالنتيجة وعلى أثر الفراغ من ذلك دعتني عوامل الاخلاص الى وضع هذه الاسطر اليسيرة أبدى بها لاصحاب الرأي من رجال الدين وأولياء الحل والعقد وأرباب الاقلام نموذجا من عملي فى تحقيق عدّ الآيات وبيان ماهو الأولى بالاختيار لتعميم العد بموجبه مؤملا من حضراتهم تقدير الفكرة حق قدرها والمناقشة فى الموضوع ونقده وتنقيحه بما تمس الحاجة اليه ثم المساعدة فى تنفيذ المقترح بالاشارة الى وجوب عد آيات المصاحف والتفاسير بالعدّ الذي يقر عليه الرأي ويشار اليه بالاختيار طلبا لتوحيده ومنعا من تعدد العدود رغبة في افراد طريقة الاستهداء بآيات كتاب الله الكريم في مشارق الارض ومغاربها والله الهادي الى سواء السبيل

***

١ـ القرآن الكريم ١١٤ سورة الاولى منها سورة الفاتحة والثانية سورة البقره والاخيرة سورة الناس والسورة عبارة عن عدد محدود من الآيات والآية عبارة عن مقدار معين من الكلمات الشريفة كان النبي عليه الصلاة والسلام يوقف الحفظة والصحابة عليه عند التبليغ ويسمى أول كلمة في الآية رأس الآية وآخر كلمة فيها بالفاصلة

٢ـ كانت الحفظة من الصحابة تجيد مع حفظ القرآن معرفة عدد آياته وعدد آيات كل سورة من سوره وعدد كل آية من سورتها وبذلك كان اذا قرأ القارئ منهم بعضا من سورة قدّر ما قرأه بما فيه من الآيات . وكان اذا أراد أحد ان يستفيد منهم ما نزل من القرآن في قوم أو حادثة عينوا له السورة التي ذكرت الحادثة فيها ومقدار الآيات الخاصة بذلك وأشاروا الى أول تلك الآيات بعددها الخاص بها والى الأخيرة منها كذلك ومما يشهد لهم بهذا أولا ما جاء فى الكتاب السابع والستين من صحيح البخاري (كتاب المغازي) بالباب السادس

السلف من الصحابة والتابعين في استهدائهم من الكتاب الكريم بالاشارة الى آياته بعددها كما بينا منه شطرا فيما تقدم برقم -٢- وأخيرا قامت من احتياجات المفكرين داعية الرجوع الى الاستهداء من الكتاب العزيز بما يشبه أساليب السلف في ذلك فعدت آيات السور أواخر القرن الثالث عشر من الهجرة الموافق للقرن التاسع عشر من الميلاد في مصحفين أحدهما طبع في الأستانة سنة ١٢٩٨ هجرية ويعرف بالمصحف العثماني والثاني عده باوروبا مستشرق الماني اسمه (فلوجل) وطبع بالمانيا وعمل عليه فلوجل نفسه مؤلفا سماه (نجوم الفرقان في أطراف القرآن) جمع فيه ألفاظ الكتاب العزيز كلمة كلمة وأشار الى جميع مواضع كل كلمة في جميع السور بالأرقام التي وضعها على رؤس الآي في المصحف المذكور وبذلك استفاد من قرآننا الكريم مهرة الغربيين في البحث والتنقيب عن المعارف العربية مالم يحصل عليه أكثر المتعلمين من ابناء اللغة العربية وأتباع ذلك الكتاب العزيز

وبالتأمل في عد المصحفين المذكورين وجدتهما يتفقان في عد ٣٤ سورة ويختلفان في عد الباقي وباحصاء الآيات في كل منهما تبينت ان جملة آيات المصحف العثماني ٦٣٤٤ وجملة آيات المصحف الالماني ٦٢٣٨ ولم يطابق أحد العددين المذكورين واحدا من الاعداد المنقولة عن السلف ولاجل استكشاف ما به نتج ذلك الخلاف أخذت أتحقق أولا من صحة كل قول ما نقل عن السلف في جملة آيات القرآن وجملة آيات كل سورة من سوره وبعد الفراغ من ذلك راجعت ما وثقت به على كل من المصحفين فوجدت اغلاطا في كل منهما فاحصيتها مشيرا بالصواب امام كل غلطة مؤملا نجاحي في تصحيحها وفي توحيد عد آيات المصاحف والتفاسير لتقريب وتوحيد وسيلة الاستهداء من ذلك الكتاب والله المعين واليك بيان النتائج التي وصلت اليها

-٥- جاء اختلاف عد السلف لجملة آيات القرآن من نقطة واحدة وهي ان بعضهم اعتمد في عده من الفواصل مالم يعتمدها الآخر فواصل في عده وعلى هذا يكون من بين فواصل الكتاب الكريم مالم يختلف فيها أحد من السلف ومنها ما وقع فيها اختلافهم وتسمي الفواصل التي من الصنف الاول بالفواصل المتفق عليها والتي من

للتوقيف الذي لقنه النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه ولما جاء عصر تدوين العلوم جُمع ما قيل عن ذلك في كل مصر واذا به ستة أقوال دونت جملة وتفصيلا فى مؤلفات جعل اسم موضوعها علم فواصل الآي وبواسطة هذا العلم تبين ان اثنين من تلك الاقوال الستة نقلا عن أهل المدينة عن الامامين الجليلين أبي جعفر يزيد بن القعقاع وشيبة بن نصاح و يعرف أولهما بالمدني الاول وجملة الآيات فيه ٦٢١٠ مع خلاف فيه بين الامامين في ستة مواضع . ويعرف الثاني بالمدني الأخير وجملة الآيات فيه ٦٢١٤ بلا خلاف فيه بينهما رحمهما الله ورضى عنهما . والقول الثالث من الستة منقول عن أهل مكة و يعرف بالمكي وفيه روايتان احداهما عن أبيّ بن كعب وجملة الآيات فيها ٦٢١٠ والثانية عن غير أبيّ بلا تعيين وجملة الآيات فيها ٦٢١٩ . والقول الرابع منقول عن أهل الشام عن أبي الدرداء وقيل عن عثمان بن عفان و يعرف بالشامي وجملة الآيات فيه ٦٢٢٦ وفي رواية ٦٢٢٥ والأولى أرجح . والخامس منقول عن أهل الكوفة عن علي كرم الله وجهه و يعرف بالكوفى وجملة الآيات فيه ٦٢٣٦ . والسادس منقول عن أهل البصرة عن عطاء بن يسار وعاصم الجحدري و يعرف بالبصري وجملة الآيات فيه ٦٢٠٤ واليك بيانها ملخصة

اسم القول	عدد	ملحوظات
المدني الأول	٦٢١٠	وفيه خلاف بين قائليه فى ستة مواضع
المدني الاخير	٦٢١٤	ولا خلاف فيه
المكى	٦٢١٠	قول أبي في ذلك
	٦٢١٩	قول غير أبيّ ممن عد الايات بمكة ولم يعين من هو
الشامي	٦٢٢٦	الرواية الراجحة
الكوفي	٦٢٣٦	لا خلاف فيها
البصرى	٦٢٠٤	لا خلاف فيها

— ٤ — مضت أجيال وأعوام وتلك المؤلفات في زوايا الاهمال كما أهملت أساليب

المفروز منها الى الفواصل المتفق عليها فتحصل جملة الآيات في ذلك القول · وباجراء الفرز والحصر بالفعل ينتج البيان الآتى

	مدنى أول	مدنى أخير	مكى	شامي	كوفي	صري
	عـدد	عـدد	عـدد	عـدد	عـدد	عـدد
فواصل متفق عليها	٦١٠١	٦١٠١	٦١٠١	٦١٠١	٦١٠١	٦١٠١
جملة الفواصل الافرادية في كل قول من الخلافات	٣	٤	٠٥	١٨	٤٣	٨
جملة الفواصل المشتركة في كل قول من الخلافيات	١١٤	١٠٩	١١٥	١٠٧	٩٢	٩٥
جملة الآيات فى كل قول	٦٢١٨	٦٢١٤	٦٢٢١	٦٢٣٦	٦٢٢٦	٦٢٠٤
الوارد بالرواية في كتب الفواصل	٦٢١٠	٦٢١٤	٦٢١٩	٦٢٣٦	٦٢٢٦	٦٢٠٤
	٠٠٠٨	٠٠٠٠	٠٠٠٢	٠٠٠٠	٠٠٠٠	٠٠٠٠

وبالتأمل في هذا البيان نجد خلافا بين ماحققناه وماجاءت به النقول عن المدنى الاول والمكى ومنشأ ذلك وجود خـلاف للمدنى الاول في ستة مواضع وورود اضطراب في مواضع محصورة من فواصله الخلافية لم نعتمد اسقاطها وأما في المكى فلسبب ورود روايتين في جملة الآيات فيه ولاهمال الراوين نسبة الاضطراب في المواضع المضطر بة الى احدى الراويتين · (انظر الى قول الثالث من رقم —٣—

—٨— توصلنا الى البيان الاجمالي المذكور في رقم —٧— بعمل تفصيلي مثله لكل سورة من السور التي جاء خـلاف في فواصلها وذلك بارشاد الكتب المؤلفة في الفواصل و بعض التفاسير ولنأت هنا بمثال لسورة يوضح ذلك وليكن لسورة آل عمران فنقول:

جاء في الكتب المؤلفة في الفواصل ان سورة آل عمران مدنية وآياتها مائتان باتفاق في الاجمال (أي في جملة الآيات) وخلافها سبعة مواضع (أي فواصلها الخلافية سـبع) وقـد بينت كل ما يختص بكل موضع خلافي نحو قولها «(الم) عده الكوفي (الانجيل) الأولى عده ماعدا الشامي ··· الخ» ثم سردت الفواصل المتفق عليها · فلما فهمنامنها ذلك قمنا باحصاء المواضع المتفق عليها أولا واذا بها في هذه السورة ١٩٧ موضعا ثم عملنا جدولا على الصورة الآتية للمواضع الخلافية

الصنف الثاني بالفواصل الخلافية وهذه الفواصل الخلافية نوعان نوع لم يرد عده الا في قول واحد من الستة والثانى جاء عده في قولين فأكثر وأسمي فواصل النوع الاول بالفواصل الافرادية وفواصل النوع الثاني بالفواصل المشتركه

-٦- في القرآن الكريم من الفواصل المتفق عليها ٦١٠١ ومن الفواصل الخلافية ٢٤٨ منها ٨١ فاصلة افرادية واليك جدولا فى تقسيم السور الى طوائف بحسب ما فيها من الفواصل الخلافية وجملة مافي كل طائفة من الفواصل المتفق عليها والمختلف فيها

جملة المتفق عليه عدد	جملة المختلف فيه عدد	عدد السور عدد	نمره مسلسله للطوائف	جنس الطائفة من السور
١١٧٦	٠٠	٣٩	١	سور لاخلاف في فواصلها بين العادّين
٨١٨	٢٢	٢٢	٢	» الخلاف فى فواصل كل منها في موضع واحد
١١٣٧	٤٠	٣٠	٣	» » » » » » » » موضعين
٨٤٩	٣٦	١٢	٤	» » » » » » » » ثلاثة مواضع
٥٧٤	٢٨	٧	٥	» » » » » » » » أربعة مواضع
٣٩٤	٢٠	٤	٦	» » » » » » » » خمسة »
٤٧٥	٣٥	٥	٧	» » » » » » » » سبعة »
٠٨٠	٠٩	١	٨	» » » » » » » » تسعة »
١٠١	١١	١	٩	» » » » » » » » احدعشر موضعا
٢٨١	١٢	١	١٠	» » » » » » » » اثنى عشر »
٩٠	١٤	١	١١	» » » » » » » » أربعة عشر »
١٢٦	٢١	١	١٢	» » » » » » » » احدوعشرين »
٦١٠١	٢٤٨	١١٤		

ولأجل معرفة جملة الآيات في كل قول من أقوال السلف ينبغي فرز الفواصل الخلافية التي جاء عدها في كل قول من تلك الأقوال على حدتها واضافة

فيه المطابقة وتمت به الثقة على عد المصحف العثماني والمصحف الذي عده (فلوجل) فكانت النتيجة ما سأذكره والله المعين

—٩— قد علمنا مما ذكر برقم —٦— أن جملة الفواصل المتفق عليها بين السلف ٦١٠١ و بالتامل فى المصحف العثماني وجدناه أهمل منها سبعة ووافقهم فى عد ٦٠٩٤ فاصله ثم وجدناه عد من مواضع الخلاف البالغة ٢٤٨ (راجع رقم—٦) ١٤٥ موضعا وانفرد بعد خمسة مواضع لم يقل بكونها فواصل أحد من السلف وبمراجعة دقيقة مثل هذه المراجعة في المصحف الذي عده (فلوجل) وجدناه أهمل من الفواصل المتفق عليها ٨٩ موضعا ووافقهم في الباقي ومقداره ٦٠١٢ موضعا ورأيناه عد من الفواصل الخلافية ١٠٨ مواضع وعد ١١٨ موضعا لم يقل بكونها فواصل أحد من السلف و بذلك بلغت جملة الآيات في الأول ٦٢٤٤ وفي الثاني ٦٢٣٨

واليك بيان اجمالى لذلك في الجدول الآتي جدول —١—

المصحف العثمانى عدد	المصحف عد فلوجل عدد	
٦١٠١	٦١٠١	الفواصل المتفق عليها بين السلف
٧	٨٩	ما أهمله كل منهما من الفواصل المتفق عليها عند العد
٦٠٩٤	٦٠١٢	الباقي الذي عد في كل منهما من الفواصل المتفق عليها
١٤٥	١٠٨	ما عده كل منهما من الفواصل الخلافية
٥	١١٨	ما انفرد بعده كلاهما ولم يكن من الفواصل بل عد خطأ
٦٢٤٤	٦٢٣٨	جملة آيات القرآن في كل منهما

والنتائج المذكورة انما حصلت من عمل تفصيلي لكل سورة مما فيها خلاف على النسق الآتى وليكن التمثيل بسورة آل عمران أيضا

جدول —ا—

نمره مسلسله	اسماء المواضع الخلافيه	مدني أول	مدني أخير	مكي	شامي	كوفي	بصري
١	الم	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠١	٠٠
٢	الإنجيل الاولى	٠١	٠١	٠١	٠٠	٠١	٠١
٣	الفرقان	٠١	٠١	٠١	٠١	٠٠	٠١
٤	الإنجيل الثانية	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠١	٠٠
٥	اسرائيل	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠١
٦	مما تحبون	٠١	٠١	٠١	٠١	٠٠	٠٠
٧	مقام ابراهيم	٠٠	٠٠	٠٠	٠١	٠٠	٠٠
		٣	٣	٣	٣	٣	٣

و به تتبين ان كل قول من أقوال السلف عد من الفواصل الخلافية ثلاثة مواضع بلغت معها جملة الآيات في كل منها مائتي آية وعلى أثر مطابقة ما يعطيه هذا البيان من جملة الآيات للمذكور عن جملة آيات السورة في كتب الفواصل نضع للسورة الجدول الآتي مجملا

جدول —ب—

نمرة السورة في المصحف	اسم السورة	الفواصل المتفق عليها	مواضع الخلاف
٣	آل عمران	١٩٧	٧

ما عد من مواضع الخلاف في كل قول					
مدني أول	مدني أخير	مكي	شامي	كوفي	بصري
٣	٣	٣	٣	٣	٣

وذلك لاجل أن يعرف منه جملة آيات السورة في أي قول بضم المعدود فيه من الفواصل الخلافية الى الفواصل المتفق عليها . وبعد الفراغ من العمل على هذا النمط للثقة بالمنقول عن السلف في كتب الفواصل أخذت في مراجعة ما تحققت

فانظر أعانني الله واياك وراجع هـذا التحري ان استطعت وسمحت لك الفرص ونبهني على ما تتبينه موجبا للتنبيه بداعية الاخلاص الاخوى

* * *

—١٠— رأيتني أيها القارىء الكريم أقترح في فاتحة هذه الاسطر وجوب عد آيات القرآن في المصاحف والتفاسير عدا موحدا خاليا من الخلاف والخطأ . ووجدتني بينت لك فيما نقدم (برقم —٣—) ان للسلف ستة أقوال في حصر جملة آيات الكتاب العزيز ولكنها غير متطابقة وكأني بك الآن تطالبني بما أجيب به اذا سئلت عن تعيين ذلك العد وتحديده ولذلك أراني ملزما بمكاشفة القارىء الكريم عن رأيي في ذلك وعرضه على محك النظر لاختباره والحكم عليه بما يؤدي اليه النقد فأقول: قد جعلت أول الفكرة اختيار عد من عدود السلف الستة للغرض الذي نتكلم في شأنه ولأجل فرزه من بينها استخرجت من مجموع الصفات التي تبينت لي فى تلك الاقوال الستة خمس مرجحات قلت اذا توفرت كلها أوأ كثرها في واحد منها وقع الاختيار عليه أو صار ذلك القول أحق بالاختيار من غيره وتلك المرجحات الخمس هي مايأتي

الاول — ترجيح الاقوال المنقولة عن أهل الاماكن التي نزل الوحي بها على غيرها لصيانة التوقيف فيها بكثرة الحفاظ والملقنين منهم في غيرها من البقاع

الثاني — ترجيح مالم تضطرب الروايات فى عد مواضعه على غيره لان الاضطراب في موضع يؤدي الى الشك فيه (والاضطراب شك يقع من الراوي بسبب النسيان أوضعف الذاكرة أوماشا كل ذلك)

الثالث — ترجيح ما قلّت فيه المعدودات الافرادية من الفواصل الخلافية على غيره لان الموضع الذي يأتي عده في قولين فأكثر أقرب الى الثقة بعده مما لم يجىء عده الا فى قول واحد

الرابع — ترجيح العد الذي يجزم في جملة آياته وتفصيلها برواية واحدة مقطوع بها على غيره مما ليس كذلك وسببه بيّن

الخامس — ترجيح ما انعدمت منه مواضع الخلف على غيره لان الخلف في موضع

جدول ب -٣- سورة آل عمران (أي السورة الثالثة من سور القرآن)

المصحف العثماني	المصحف عد فلوجل	
عدد	عدد	
١٩٧	١٩٧	الفواصل المتفق عليها بين السلف في السورة
١	١٢	ما أهمله كل منهما من تلك الفواصل عند العد خطأ
١٩٦	١٨٥	الباقي الذي عده كل منهما من الفواصل المتفق عليها
٣	١	ماعـــده « « « « المختلف فيها
١	١٤	ما انفرد كل منهما بعده ولم يكن من الفواصل بل عده خطأ
٢٠٠	٢٠٠	جملة آيات السورة في كل منهما

تفصيل لهذا الاجمال

أما المصحف العثماني فالفاصلة التي أهملها من الفواصل المتفق عليها هي فاصلة (ليعلم المؤمنين) ضمن الآية رقم ١٦٦ وأما ماعده من مواضع الخلاف فثلاث هي الم * الفرقان* الانجيل*—الثانية—أواخر الآيات ١ و٣ و٤٨ وأما ماانفرد بعده خطأ فهو آخر آية ١٦٦ ولفظه (للايمان)

وأما المصحف الذي عده فلوجل فالمواضع الاثنى عشر التي أهملها من الفواصل المتفق عليها هي السماء . المصير . رحيم . العالمين . العليم . الدعاء . وأطيعون . الحكيم . الكافرين . الكافرين (الثانية) . المؤمنين . البلاد* وهي على الترتيب في الآيات الموضوع على رءوسها الارقام الآتية من المصحف المذكور بالسورة المذكورة ٤ و ٢٧ و٢٩ و٣٠ و ٣١ و٣٣ و٤٤ و١٢٢ و١٢٦ و١٤١ و١٦٠ و ١٩٦ وأما ماعده من فواصل الخلاف فهو فاصلة الفرقان* آخر آية ٢ وأما ما انفرد بعده خطأ ولم يكن من الفواصل فهو أواخر الآيات الموضوع على رؤوسها الارقام الآتية وهي ١٨ و٣٣ و ٦٨ و ٩١ و ٩٨ و١٤٥ و١٦٠ و ١٧٣ و ١٧٥ و ١٧٩ و١٩٠ و ١٩٣ و ١٩٤ و ١٩٨ وألفاظها على الترتيب . ومن اتبعني . المحراب . قائما . سبيلا . اخوانا . مما تحبون . للايمان . الطيب . شر لهم . النار . فآمنا . من بعض . الأنهار . قليلا

-١١- ﴿بيان الحاجة الى عد آيات القرآن الكريم بالارقام﴾
﴿ومن ألف في ذلك﴾

من يقف على أن آيات القرآن غير معدودة في المصاحف والتفاسير بالأرقام وأن طلاب العلم بمعاني ذلك الكتاب المحكم من المسلمين غير قليلين . وان كان عددهم بالنسبة الى المجموع أقل من الواجب بكثير وأن أكثرهم ممن لا يحفظون القرآن يعرف الاسباب التي دعت أرباب الفكر الى تأليف (دليل الحيران في الكشف عن آيات القرآن)*(١) و (نجوم الفرقان في أطراف القرآن)*(٢) و (مفتاح كنوز القرآن)*(٣) و (مرآة القرآن)*(٤) و (تحليل القرآن)*(٥) ومن ينظر في هذه المؤلفات وفي طريقة الانتفاع بها يتضح له في كل منها تقصير عما يجب من جهة و يتبين فوق ذلك اسبابا خارجية تمنع من تعميم الانتفاع بها ولبيان ذلك في كل منها أقول

(١) دليل الحيران — هذا المؤلف أعده مؤلفه للبحث عن مواضع الآيات في سور القرآن متى علمت أوائلها ويشير الى الآية بعددها من السورة التي هي منها ويمنع من تعميم الانتفاع به ان من لم يعرف أول الآية لا يمكنه الكشف بواسطته وأن المصاحف والتفاسير المتداولة لم تكن معدودة الآيات وما كان منها معدودا فأرقامه لا تتفق مع أرقامها

(٢) نجوم الفرقان — يشير هذا المؤلف الى مواضع كل كلمة من كلمات القرآن في جميع آياته بوضع أرقام أفرنكية كبيرة لترتيب السور في المصحف وأرقام أفرنكية صغيرة لترتيب الآيات في السور وعوائق تعميم الانتفاع به هي أن أرقامه أفرنكية وجمهور المسلمين لا يعرفون تلك الارقام لوجود أرقام خاصة لهم وأن أرقامه لا تتفق الا مع المصحف الذي عده (فلوجل) المطبوع بالمانيا وأغلب مصاحف المسلمين

---

(١) تأليف الحاج صالح ناظم وطبع بمطبعة التمدن بمصر (٢) تأليف (جوستافوس فلوجل) طبع بألمانيا (٣) تأليف كاظم بك طبع أولا بمدينة بترسبورج من روسيا على الحجر ثم بالحروف في مصر (٤) تأليف عاكف أفندي تشريفاتي وهو خط بالكتبخانة الخديوية المصرية (٥) تأليف الموسيو (لابوم) وطبع بباريس من فرانسا

موجب للشك فيه كالاضطراب بل أكثر والخلف فى موضع معين من قول معين هو انقسام عادّى ذلك القول فى عد ذلك الموضع الى قسمين أحدهما يقول بعدّه والاخر لا يقول به (الخلف يقع من العادّين أنفسهم وأما الاضطراب فانه يقع من الرواة فتأمل)

و بعرض هذه المرجحات الخمس على كل قول من أقوال السلف الستة وجدت المدنى الاخير قد فاز منها بحظ لم يكمل مثله لغيره كما تبينه من الجدول الآتي ولذلك وقع عليه اختياري فهذا ما أجيب به ولك أيها القارىء الكريم الشأن فيما تبين فيه الاولوية والارجحية لاني ماقلت الاما وصل اليه مبلغ علمي والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

وها هو الجدول الذي أشرت اليك بالنظر فيه قريبا

اسم البقعة التي نقل القول عن اهاها	عدد المواضع المضطربة	معدوداته الافرادية	جنس الرواية	مواضع الخلف	اعداد مسلسله	اسم القول
المدينة المنورة	١	٣	١ مجزوم بها	٦	١	المدني الاول
» »	٠٠	٤	١ » »	٠٠	٢	» الاخير
مكة المكرمة	٤	٥	٢ لم يجزم بواحدة منهما	لم تتحدد	٣	المكي
بلاد الشام	١	١٨	٢ مجزوم بكلتيهما	١	٤	الشامي
الكوفة	٠٠	٤٣	١ مجزوم بها	٠٠	٥	الكوفى
البصرة	٠٠	٠٨	٢ مجزوم بكلتيهما	١	٦	البصري

ولست تجد في هذا الجدول قولا أجرى في بقعة نزل الوحي بها مع خلوه من المواضع المضطربة وقلة المعدودات الافرادية عن غيره مع التثبت فى روايته والخلو من الخلف الا المدني الأخير كما ذكرت لك فيما تقدم

اللغة فمنفعته اذن خاصة بمن يعرفها وأرقام آياته تتفق مع المصحف عدد (فلوجل) المطبوع بالمانيا وهو في وضعه لم يكن دقيقا وإنما يوجب الثناء على واضعه الاجنبي عن العربية وأهلها

تنبيه — مما رأيناه في مؤلفات العرب من قبيل تحليل الآيات القرآنية كتاب (حجج القرآن) وهو قاصر على سرد الادلة القرآنية التي يستدل بها كل فريق من الفرق الاسلامية على مذهبه وبما أن أغلب المستنيرين من المسلمين لا يحفظون القرآن كما قلنا فى أول هذا الفصل فهم اذن في حاجة الى دليل يعين على الكشف في المصاحف والتفاسير بمجرد معرفة لفظ معين من الآية المطلوب معرفة موضعها والى مصنف يضم الآيات بحسب المعاني وإلى معجم لغوى ينقسم إلى قسمين يذكر في الاول منهما الالفاظ اللغوية بحسب ترتيبها في السور وفي الثاني تلك الالفاظ مرتبة بحسب أوائلها وبما أننا تحققنا في المؤلفات التي وضعت لهذه الاغراض قبل زماننا هذا تقصيرا يمنع تعميم الانتفاع بها بسهولة كما بيناه فيما تقدم وتيقنا بما ذكرناه آنفا ان أساس ذلك التقصير اهمال اختيار عد موحد تعد به الآيات في المصاحف والتفاسير التي تتبادلها الايدى أصبحنا من غير شك في حاجة الى تعميم عد الآيات فى المصاحف والتفاسير قبل عمل كل شيء

وبما أن السلف الصالح عد آيات القرآن قبلنا ونُقل عنهم فى ذلك ستة أقوال ذكرناها برقم ٣ — أصبح من الضروري اختيار واحد منها

هذا ما أوقفني عن تهذيب دليلي لتبييضه ودعاني الى عرض هذا الفكر على السادة العلماء والاخوان الكرام أرباب الآراء الصائبة والافكار الثاقبة ليروا فيه رأيهم

وفى الختام أقدم شكري لكل من يأتي الى هذا الموضع بالمطالعة من القراء الكرام ويشاركني في الاهتمام بهذا الغرض السامي فيُمعن فيه نظره ويسرح فيه فكرته ويدقق في تأمله ثم يعرض بعد ذلك على الاخوان المسلمين ماعنّ له ويشير بما يتراءى له قاصدا فى ذلك وجه الله الكريم الذي لا يضيع أجر المحسنين

(أحمد أمين الديك)

غير معــدودة والمعدود منها لا تتفق أرقامه مع أرقامها وأن سرد مواضع الكلمة الواحدة من كلمات القرآن بالارقام جملة واحدة لا يسمح لطالب الكشف بالعثور على مطلوبه دفعة واحدة وهو سبب ربما يقضي باهمال المؤلف

(٣) مفتاح كنوز القرآن — وضع هذا المؤلف على شكل منتزع إما من نجوم الفرقان مع نوع من التحسين وإما على مثال (مرآة القرآن) الآتي وصفه فيما يلي فتكفل بذكر مواضع كل كلمة من كلمات القرآن فيه بحيث يذكر الكلمة بين ما يسبقها وما يلحقها من الالفاظ القرآنية وهو شكل يتم به تمييز الموضع المراد البحث عنه غير أنه لا يحدد الموضع تماما ولكنه يحصره في عشر آيات فقوله مثلا «٢٦ .. بقره - الله لا آله الا هو (الحي) القيوم» معناه ان كلمة (الحي) التي يسبقها (الله لا آله الا هو) ويلحقها (القيوم) توجد في العشرة السادسة والعشرين من آيات البقرة أي بين الآية رقم ٢٥١ والآية رقم ٢٦٠ وبما ان المصاحف والتفاسير غير معدودة بالعشرات ولا بغيرها صار من العسر تعميم الانتفاع بهذا المؤلف في الكشف بواسطته

تنبيه — اذا عدت آيات المصاحف والتفاسير بعد موحد بالأرقام يكون مفتاح كنوز القرآن المثال الصالح لأدلة الكشف . لكن تستبدل الأرقام الدالة على عدد الآيات بنفس أرقام العشرات ويهذب وضع الالفاظ على ترتيبها الطبيعي ويزاد فيه قسم الحروف التي من قبيل إن الشرطية وما ولا .. الخ

(٤) مرآة القرآن — يشير هذا المؤلف الى موضع الكلمة من السورة بعدد ترتيب أحزاب القرآن بعد ان يحصرها بين ما يسبقها وما يلحقها من الكلمات الشريفة ويقرب مكان الموضع من الحزب باستعماله حرف (الالف) للاشارة الى أول الحزب وحرف (الواو) للاشارة الى وسطه وحرف (الراء) للاشارة الى آخره . وبما ان تقسيم القرآن الى أحزاب غير مألوف كان قصور تعميم الانتفاع به للكشف واضحا

(٥) تحليل الآيات القرآنية — أعد هذا المؤلف لجمع الآيات بحسب المعاني ففيه مثلا آيات الميراث مجموعة تحت عنوان الميراث والآيات التي تذكر أخبار سيدنا موسى عليه السلام تحت عنوان موسى عليه السلام ولكون هذا المؤلف ترجمة للآيات بالفرنسية تعبر عن معاني القــرآن بقدر الامكان وأكثر المسلمين لا يعرفون هذه

قزان مشحونة بالكذب والافتراء على المدرسة المحمدية التي خرج منها من طلبتها من غير إخراج انتصاراً على من أخرج منها من سيئي الخلق ، وهم أربعة ، وترجمة الكتاب المفتوح كذلك . فاضطررنا الى ان نرسل اليكم بروجرام المدرسة المحمدية المتبع اليه في التدريس بها لتعرفوا بالمقايسة اليه كذبهم وافتراءهم

المدرسة المحمدية أقسام : الابتدائية -- والرشدية -- والإعدادية -- والعالية .

ومدة التحصيل في الابتدائية ثلاث سنوات ، وفي الرشدية أربع ، وفي الاعدادية أربع أيضا ، وفي العالية ثلاث سنوات أيضا

فالملتزم في القسم الابتدائي من الدروس : القراءة والكتابة على لسان الامهات مطابقا على قواعد اللسان -- وصحيح الاملاء -- وحسن الخط -- وقراءة القرآن الشريف مع التطبيق على قواعد التجويد -- والضروريات الدينية من الاعتقاديات والعبادات والمعاملات والاخلاق -- وتوسيع الفكر بالمعلومات المختلفة من أحوال الطبيعيات والامثال الحكمية ، ومن الحساب قواعد الجمع والطرح والضرب والتقسيم ، وحفظ الاذكار الصلاتية وبعض السور القرآنية التي لا بد منها للصلاة وشيء قليل من التاريخ .

ويلتزم في القسم الرشدي : القراءة العربية مع التطبيق على قواعد الصرف والنحو والمطالعة الصحيحة مهما أمكن وتقرير ما فهم باللغة العربية وصحيح الاملاء والانشاء ، وقراءة القرآن في الاسبوع مرة أو مرتين ، وبقية قواعد لسان الامهات من صرفها ونحوها ، وتمرين القراءة التركية العثمانية ، ومن الحساب تمرين القواعد (الأربع) بعملياتها ، وشيء من الجغرافيا العمومية والوطنية ، وشيء من تاريخ الاسلام والملة ، واللغة الفارسية بقراءتها وقواعدها وتقريرها وتوسيع الافكار بالمعلومات المختلفة أيضا . وتحسين الخط . وتخطيط الاشكال الهندسية لتعليم الرسم . وكتاب من (الفقه) الحنفية ، وكتاب من الحديث ،

ويلتزم في القسم الاعدادي المنطق (الرسالة الشمسية) ، والمعاني والبيان والبديع ، والعروض ، وأصول الفقه ، وسيرة النبي (نور اليقين) ، والمسائل الاعتقادية حسبما اكتفى به السلف (عقائد الطحاوي) ، والاخلاق النظري والعملي (الطريقة

(المنار) ان علماء السلف قد عدوا آي القرآن وكلماته وحروفه وكتبوا في ذلك صفات، ونظموا فيه المنظومات، كما بينوا مواضع الوقف في أثناء الآيات، وفي الاحاديث والآثار كثير من ذكر الآيات بعددها وقد أشار الى ذلك أحمد أفندي وتقدم فى التفسير من هذا الجزء شاهد منه. وفى الاتقان أن سبب اختلاف السلف، في عدد الآي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقف على رؤوس الآي للتوقيف فاذا علم محلها وصل للتمام فيحسب السامع حينئذ أنها ليست فاصلة والخلاف مع هذا قليل وليس بضارنا شيئا. وأيّ عدد من الأعداد اعتمدنا وضبطناه بالأرقام حصل المقصود الذي نحتاج اليه فى هذا العصر لسهولة المراجعة ولم يكن علماء السلف يحسون بهذه الحاجة لحسن حفظهم للقرآن واستحضارهم للآي عند إرادتها وانني لأراجع الآية بمفتاح كنوز القرآن في دقيقة واحدة أو فيما هو أقل من دقيقة فأستخرجها من المصحف المبين عدد آياته بالأرقام. والسبب فى عناية أحمد أفندي أمين بتحرير الخلاف فى العدد والعمل بما يظهر انه أقرب للصواب هو استعداده الفطري للامور التحسينية وان كان في أمة لم تتقن الامور الضرورية والحاجية. ولذلك رأيناه أول من ألف فى عصرنا في الموسيقى العربية والافرنجية وأول من اجتهد في مراجعة عد الآي وضبطها وعد أحاديث البخاري وعمل جدول لابوابه ولا غرو فقد كان والده ميالا لمثل ذلك اذ كان هو الساعي بطبع لسان العرب فكان خير خلف له فلازال موفقا

﴿ المدرسة المحمدية بقزان (روسيا) ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

روسيا ١٤ ربيع الآخر سنة ١٣٢٤ هـ

من أحمد جان بن محمد رحيم المصطفوي المدرس الثاني فى المدرسة المحمدية بقزان الى صاحب مجلة المنار حضرة الاستاذ السيد رشيد رضا أرشده الله الى ما يرضى

سيدي أبدي اليك العذر لعدم مكاتبتي بعد مفارقتكم مع مرور سبع سنين من تشرفي بمجالسكم لعذر يطول بيانه والعذر عند كرام الناس مقبول

أما بعد فياسيدي؛ انَّا قرأنا في العدد الثالث من المنار رسالة مكتوبة من

الدين ومعتمدين على أهله والمدارس الدينية . ويستخرجون من هذا وذاك ان تمدن المسلمين في روسيا (بل وفي غيرها) موقوف على حل هذه العقدة أعني تفرق المسلمين من العلماء والمدارس الدينية، ولوصول هذا المقصود طريق واحد وهي (كذا) إلقاء العداوة والبغضاء فيما بين العوام والعلماء وتشتيت المدارس الحاضرة أيدي سبا ثم جمعها على الاساس الصحيح كمدارس أوروبا . فصاروا يتخذون لهذا الإلقاء والتشتيت واسطة كل ما يتيسر لهم من الاقوال والافعال . منها اغواء الطلبة بان حالهم ليست حالة مرضية لا من جهة الدروس ولا من جهة المدرسة ولا من جهة المدرسين ولا من جهة الادارة والقوانين المدرسية ولا من جهة المعيشة ولا من جهة الحال ولا من جهة المآل . وليدرس في المدارس الدينية الفنون العصرية واللغة الروسية وما يتعلق بها أصلا والعلوم الدينية تبعاً وليحوِّل المدارس الدينية مدارس دنياوية وهكذا . لانهم لا يحسون الاحتياج الى المدارس الدينية كاكثر أهل فرانسا ويقولون : ان هذه المدارس مهما تكمل يلزم ان تندرس وتفنى بنفسها بعد ما تتأسس المدارس الدنياوية بين الامة، فيلزم عليكم أن تعجلوا الامر ولو بسنة.

ونحن نقول : لا تمسوا مدارسنا الحاضرة ولنصلحها بالتدريج ، لئلا يكون حالنا كحال حنين ، وابنوا أنتم وأسسوا المدارس المحتاج إليها لامة بجميع أنواعها من متوسطها وعاليها ولينْدرس المدارس بعدها بنفسها (على ما تزعمون) ، ونحن لا ننكر احتياج الامة لمثل تلك المدارس والى تعلم اللغة الروسية والعلوم الرسمية، بل نحن نحس هذا الاحتياج كاحساسكم بل أشد، وندعو الناس اليها ومع ذلك نحس الاحتياج الى المدارس الدينية ولا نرضى انقراضها ولا نخيل كما تخيلون وسندخل اللغة الروسية الى المدارس الدينية أيضا بشرط ان يتخذ العلوم الدينية أساساً لما يتعلم فيها ولكن هذا يقتضي شيئا من التأني ولا يستتم بالعجلة ولا نصدق انقراض الدينية عند انتشار المعارف ، ويؤيد هذا قيام المدارس الدينية في الممالك الغربية والاميريكية مع ارتقاء المعارف فيها غايته

ثم بعد برهة من الزمان وضعنا قبح هذه الحركة على علم الطلبة من الصنوف العالية فانتبه المتبصرون منهم ولم يساعدوهم بعده في حركاتهم فتفرقوا فرقتين

المحمديه) ، والادبيات العربية والعثمانية، والجغرافيا العمومية، والتاريخ العمومي، والتفسير (للجلالين) والحديث (للامام البخاري)، والهداية (في الفقه الحنفية)، ومن الطبيعيات الكمياء. ومسائل الحساب كالكسور الاربعة المتناسبة والفائض وغيرها

ويلتزم في القسم العالي: التفسير — والحديث — وفقه أبي حنيفة — والادبيات العربية. والعقائد المدونة مطابقا لحالة الامة الحاضرة (كذا)، والتاريخ مع التمهيد ، والجغرافيا مع تاريخها ، والطبيعيات ، والبيداجوجيا (لحضرة الشيخ حسن توفيق المرحوم)

هذا . وليحكم أهل الانصاف بما يحصل لهم في تطبيق أقوال السفهاء لهذا البروجرام من الصحة والفساد والصدق والكذب والحق والاختلاق . أعني هل يصح بعد هذا قولهم : ان مدارسنا لا يدرس فيها الا ما بقي من خيالات اليونان والتفتازاني . وقولهم: ولا يدرس فيها غير ماذكر لا من التفسير ولا من الحديث وغيره . وقولهم فأخرج من مدرسة عالمجان اثنان وثمانون طالبا من ذوي النهى وابقوا (أو بقي) من لا يهتم بشيء من الاصلاح (والمترعرعين الذين خرجوا من المدرسة جلهم من الصنف الرشدي وغيرهم من طلبة السنة الاولى للصنف الإعدادي ، وهل يمكن لهم ان يكونوا من أهل النهى دون الباقين مع ان طريق التعليم فيها وخيم (كما قالوا). وهل يصح أيضا قولهم : والعلوم التي نحصلها في مدارسنا لا تكفي للامامة والخطابة أيضا . وقولهم : ولا يعلموننا فيها من الاخلاق والتربية. وقولهم : نحن لا نكون بما تعلمنا فيها الا مصيبة للعوام وعلماء السوء. وقولهم : اما اساتذتنا فيملؤن أدمغتنا بالخرافات والاسرائيليات ، ويشوشون عقائدنا باليونانيات والتفتازانيات، ويسوموننا حفظ الحواشي والتعليقات. وقولهم وقولهم.

فنرجو من جنابكم أن تنشروا هذا البروجرام فى المنار وان لا تدنسوا وجه المنار بمثل هذه الاقوال السافلة والمختلقات الباطلة .

ثم يسألنا قراء المنار ، فما سبب انتصار هؤلاء الرعاع على الباطل ؟ والجواب : ان ناساً من الذين يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وان لم يقروا بألسنتهم يظنون أن التدين والعلوم الدينيـة مانع من الترقي والتمدن الحقيقي(كما يظنه أمثالهم من أهل الغرب) ويرون جل المسلمين فى روسيا متمسكين على

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متأخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا . ولمن يمضي على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

﴿ اشتراط القبول في الوقف عقب الايجاب وعدم جواز بيعه ﴾

(س ٢٦) أرسل الينا أحد العلماء في بمباي (الهند) ما يأتي

الحمد لله وحده

سيدي متع الله الانام بطول بقائكم

وقعت عندنا مسئلة يظهر لفضيلتكم أهميتها من سياق عبارة السؤال الآتي الذي نقدمه الى حضرتكم راجين من فضلكم أن تبينوا فيه الحكم على مذهب الامام الشافعي والله يديمكم ويتولاكم

رجل وقف وقفا مؤبدا على أولاده وهم أبناؤه الثلاثة وبنته وعلى زوجته وأخته بأنه لا يباع ولا يرهن ولا يوهب ولا يتصرف فيه تصرف الملكية وشرط لهذا الوقف شروطا منها ان يكون النظر لنفسه مادام حيا ثم من بعد موته يكون النظر لولده فلان ثم لاكبر أولاد بنيه وهلم جرا فان لم يوجد من شرط له النظر أو وجد ولكن فقد فيه الرشد فالنظر لمن شرط له بعده فان لم يبق أحد من المشروط لهم النظر فالنظر لناظر مسجد فلان (أي وان كان ابن الواقف الذي لم يشرط له النظر موجودا مثلا) ومنها ان يأخذ الناظر الواقف من غلة الوقف كل شهر قدرا معينا في مقابلة نظره مادام حيا . ومنها ان يصرف من غلة الوقف على ما لا بد منه لمصلحة الوقف الحالية وان يحفظ كل شهر من الغلة قدرا معلوما لما يحتاج اليه صرفه لمصلحة الوقف في المستقبل كالبناء وغيره ثم يقسم باقي الغلة على الموقوف عليهم المذكورين للذكر مثل حظ الانثيين . ومنها انه اذا ماتت أخت الواقف أو زوجته فسهم كل منهما يرجع الى أصل الغلة وكذا ما يأخذه

فصاروا يسبون الطلبة الذين لا يتحركون بتحريكهم فعجزوا .

ثم أخذوا طريقاً آخر يخفون فيها مرادهم من تحريكهم . وصاروا يدعون أن مرادهم من التحريك اصلاح هذه المدارس مدارس دينية وهم أيضا يهتمون للعلوم الدينية كما نهتم بل أشد ، ولكن العلوم الدينية ليس ما نسميها علوماً دينية بل غيرها وهكذا . اه بنصه وفيه غلط قليل أشرنا الى بعضه ولعله لم يراجعه

(المنار) نشرنا رسالة هذا الاستاذ برمتها لأن الوقوف على حقيقة حال مسلمي روسيا في التعليم والتربية يهمنا جدا لما فيهم من الرجاء وحسن الظن وصاحبنا الاستاذ كاتب الرسالة أدرى بتلك الحال . وماذكره من ترتيب التعليم في المدرسة المحمدية لا ينطبق على ما كتب الينا بعض التلاميذ ولا يخلو على إجماله من انتقاد وحاجة الى الاصلاح و ياليته يتفضل فيرسل الينا نسخة من البروغرام لنبدي رأينا في ذلك على بصيرة تامة وقد اطلعنا على ما كتب رضاء الدين أفندي الشهير في إصلاح التعليم في المدرسة الحسينية في أورنبورغ وودنا نشر خلاصته في هذا الجزء وإلقاء دلونا مع دلوه لولا أن بيانات هذه الرسالة حالت دون ذلك وفتحت لنا بابا جديدا من التروي في الحكم على تعليم مسلمي روسيا .

علمنا من هذه الرسالة أنهم يتعلمون لغة الأمهات ويظهر لنا انها اللغة التترية ويتعلمون اللغة العثمانية واللغة الفارسية واللغة العربية وهم في أشد الحاجة الى اللغة الروسية ولا يستغني أهل التعليم العالي عن لغة أوربية عامة كالفرنسية أو الانكليزية وهذا عبء ثقيل فاين صديقي كاتب الرسالة يعرفني وجه الحاجة الى تعلم لغة الامهات في المدارس وليست لغة علم ولا دين ووجه الحاجة الى اللغة الفارسية والتركية أي جعل تعلم ذلك إلزاميا عاما . وعلمنا أنهم يقرأون معاملات الفقه فى كل قسم من الابتدائي الى العالي ولم يذكر مصطلح الحديث . وذكر من المنطق الشمسية فقط وكل ذلك منتقد كما سنبينه بعد

واما ماذكره فى سبب انتقاد المدارس الاسلامية فإلصاقه ببعض المبتدئين من المدرسة المحمدية محل نظر واعتبار ، ويهمنا ان نعرف مثار هذه الأفكار ، وكيف السبيل الى تلافيها ، وما يجب على العلماء فيها ، وسنعود الى البحث في ذلك

الوقف على الوقفية واجراؤه بحسب شروطه لا يعيده وقفا واكراهنا على الامضاء ما لا فائدة فيه. فلم يسمع قول هذا القائل. وجرى الناظر الواقف بشروط الوقف وجعل يسلم سهم الموقوف عليهم بعد كل ثلاثة أشهر و يأخذ منهم امضاءهم على ورقة التسليم وجعل الكرى على من سكنوا فى البيت المعتد للسكنى وجعل يقطع من سهامهم قدر الكرى عند تسليم سهومهم اليهم واستمر هذا الحال مدة وفي خلالها توفي أحد أبناء الواقف وكان من الذين لم يقبلوا الوقف ثم توفيت أخت الواقف فجعل يعطي سهم الاول لاخوته الموجودين للذكر مثل حظ الانثيين وجعل سهم الاخت فى أصل الغلة ثم توفي الواقف وانتقل النظر بحسب شرطه لولده فلان المذكور فجعل يحذو حذو والده فى اجراء هذا الوقف فسأله باقي الموقوف عليهم أن يسلم لهم من عين هذا الوقف قدر سهمهم ليتصرفوا فيه مطلقا لكون الوقف قد بطل بردهم كما علم فابى هذا الناظر وامتنع عن تسليم ما طلبوه من سهمهم في عين هذا الوقف اليهم وقال الوقف لازم على الموقوف عليهم كلهم وليس لاحد في عين الموقوف حق ما

فأقام بعض الموقوف عليهم الدعوى على الناظر الموجود عندحاكم البلد الذي يرى ابطال مثل هذا الوقف مطلقا بحسب قوانينه الجارية والحكم منتظر وباقي الموقوف عليهم كذلك تبعوا الاول فى الدعوى على الناظر المذكور

ثم ان هذا الناظر احتج في جوابه دفعا للدعوى عليه (حسب ما يقتضيه قانون المحكمة وذلك ان المدعي يقدم دعواه مكتوبة في ورقة ويحلف أن ما كتبه فيها هو دعواه ثم يجيب المدعى عليه كذلك بتقديم ورقة مكتوبة و يرد الدعوى عليه و يحلف ان ما كتبه فيها هو جواب الدعوى) ان الموقوف عليهم قد ابطلوا حقهم في عين هذا الوقف لكونهم كتبوا امضاءهم في ورقة التقسيم

هذه هي الحالة والمسئول من فضيلتكم ان تبينوا حكم المسئلة على مذهب الامام الشافعي

أولا — هل يلزم هذا الوقف الموقوف عليهم المعينين الذين ردوه عند ما علموا به من غير تراخ

الواقف في مقابلة نظره يرجع الى الغلة بعد موته . ومنها ان هذا الوقف يبقى دائما وأبدا في ابناء أولاده ماتناسلوا للذكر مثل حظ الانثيين وليس لاولاد البنات شيء في هذا الوقف وان سهم كل بنت بعد موتها يرجع الى اخوتها للذكر مثل حظ الانثيين . ومنها انه اذا كان ولد الابن فى درجة لا يرث من قبل جده وفق فرائض الله ليس له سهم فى الوقف وانما يتبرع له الناظر بجزء يسير ومقدار معين قليل لا يزاد عليه . ومنها أنه اذا مات أحد الموقوف عليهم ولم يترك ولدا صلبيا فانه ينتقل سهمه الى اخوته للذكر مثل حظ الانثيين فان لم تكن له اخوة فالى أقرب عصباته وهلم جرا حتى اذا انقرضوا عن آخرهم تصرف الغلة فى جهة البر وقد بينها وحينئذ يكون النظر لناظر ومتولي مسجد فلان . وشرط أيضا شروطا أخر منها ان تقسم الغلة في آخر الشهر الثالث . ومنها انه اذا أراد أحد الموقوف عليهم السكنى في بيت معتد للسكنى من بيوت الوقف فانه يسلم الكرى كل شهر قدر ما يعين عليه الناظر وان للناظر ان يقطع قدر الكرى من سهم من يسكن في هذا البيت قبل ان يسلم له سهمه فإن لم يستوف الكرى من سهمه يطالبه به وان للناظر ان يأمر كل من أراد ممن سكن في هذا البيت بتخليته ولو من غير تقصير منه . ومنها انه ليس لاحد من الموقوف عليهم ان يطالب الناظر في حساب ماحصل من الغلة بل يقبل كلما يقدمه له الناظر . ومن أمثالها شروط كثيرة مما لا حاجة الى ذكرها الا شرطا واحدا هو ان رقبة الوقف اذا جرى عليها شيء سماوي من الحرق والانهدام ولم يستطع بناؤه ثانيا فللناظر أن يقترض لأجل البناء فإن لم يقرض بضمانه فليبع رقبة الوقف وليشتر بثمنها عوضا عنها

فلما بلغ الخبر الى الموقوف عليهم الذين هم البطن الاول ردوه ولم يقبلوه الا أن الولد الذي شرط له النظر بعد الواقف قبله ثم أكره الذين لم يقبلوه على امضائهم في ورقة التسليم ليستلموا مايستحقونه من الوقف فقال أحد الرادين ان هذا الوقف بعد ردنا إياه صار منقطع الاول و بطل لما في المنهاج وشروحه وغيرها من كتب الشافعية حيث صرحوا بما معناه ان الوقف يرتد برد الموقوف عليهم المعينين فان كانوا البطن الاول يبطل بردهم ومن قبل بعد الرد لم يعد له فعلى هذا ابقاء هذا

أي فان تأخر بطل في حقه

واما جواب الثاني فالظاهر انه يصح مع النية اذا لم يترتب عليه التراخي كأن يعرض عليه كتاب الوقف قبل العلم به فيكتب عليه فورا انه قبله وأما الامضاء على أوراق تقسيم الغلة فهو ليس من القبول على الفور وان استلزم الرضا بالوقف مع القرينة

واما جواب الثالث فهو أن القبول بعد الرد لا تأثير له قال في نهاية المحتاج «فان رد الأول بطل الوقف ولو رجع بعد الرد لم يعد له» وقال ابن حجر في شرحه للمنهاج (التحفة) انه لا تأثير للرد بعد القبول كعكسه فلو رجع الراد وقبل لم يستحق شيئا ولكنه قيده بحكم الحاكم على وجه وتعقبه ابن القاسم في حاشيته وذكر عبارته في شرح الروض وهي: فلو رجع بعد الرد لم يعد له وقول الروياني يعود له ان رجع قبل حكم الحاكم به لغيره مردود كما بينه الاذرعي اه

واما جواب الرابع فهو انه اذا رد بعض الموقوف عليهم بطل حقهم منه خاصة دون سائرهم كما صرحوا به وفي حاشية الشبراملسي على النهاية « فلو وقف على جمع فقبل بعضهم دون البعض بطل فيما يخص من لم يقبل عملا بتفريق الصفقة» أقول وفي القول بتفريق الصفقة مقال سيأتي على ان الاصل فيه ان يكون في البيع أو ما هو بمعناه كالصلح والوقف ليس كذلك إذ لا معاوضة فيه. ويترتب على تفريق الصفقة هنا ان يرث من قبل الوقف من الباقي فيكون حظه من تركة المورث أكثر. فاذا قيل ببطلان الوقف كله برد من رده فهو أقرب للمذهب والعدل معا

واما جواب الخامس فهو ان ما يبطل وقفه يكون ملكا للواقف بل هو لم يخرج عن ملكه كالوصية التى لم تقبل

واما الجواب عن السادس فهو ان من أقام الدعوى لإبطال الوقف لاعتقاده انه باطل في نفسه لاشتماله على الشرط الفاسد فلا إثم عليه لانه توسل بذلك الى إعطاء كل ذي حق حقه وكذلك اذا اعتقد بطلانه برد البعض ترجيحا للقول الثاني في تفريق الصفقة فالأصل في المذهب أن صحة الوقف تتوقف على الايجاب والقبول على الفور وان رد جميع الموقوف عليهم يبطله لانه يكون منقطع الاول ورد بعضهم يأتي فيه تفريق الصفقة عندهم والذي جروا عليه القول بجوازه وقال في المنهاج انه الاظهر أي من قولي الشافعي ولكن قال الرملي في شرحه «ومقابل الاظهر البطلان في الجميع تغليبا للحرام على الحلال قال

ثانياً - هل يكفي في القبول امضاء الرادين في ورقة التقسيم من غير ان يتلفظوا بالقبول مع ان التلفظ بالصيغة شرط في العقود

ثالثاً - هل يؤثر القبول بعد الرد ان قلتم بكفاية الامضاء في ورقة التقسيم

رابعاً - ان قلتم ببطلان الوقف بالرد فهل يبطل كله أو بعضه فان قلتم بالثاني فماذا يبقى وقفاً

خامساً - ماذا حكم الذي بطل هل هو ملك للواقف على ما كان قبل الوقف أم ملك للموقوف عليهم نظرا الى ان الواقف أخرج الملك عن نفسه وكان يملكهم المنفعة مدة حياته أم لا يتملكه أحد وعلى هذا فما معنى بطلان الوقف بالرد المستفاد من صريح عباراتهم

سادساً - هل يأثم الذي أقام الدعوى ومن تبعه عند من يرى بالقانون بطلان كل وقف على المعينين فيحكم ببطلان هذا الوقف بأسره وبجعله من تركة الواقف وتقسيمه بين الورثة الموجودين وفق فرائض الله أم لا اثم عليهم لان الناظر الموجود أبى ان يسلم لهم حقهم الذي طلبوا منه من عين هذا الوقف ولانه لم يقم الدعوى من أقامها الا بدليل ان الوقف قد بطل في حقه حينما رده اذ دخول عين أو منفعة في ملكه قهرا بغير الارث بعيد كما هو ظاهر وذكره الرملي في نهاية المحتاج بشرح المنهاج أفتونا مأجورين

(ج) هذا الوقف باطل عند الشافعية لاشتماله على بعض الشروط الفاسدة وهو تفويض بيع الموقوف الى الناظر على الوجه المذكور في السؤال قال في المنهاج وشرحه لشمس الرملي ما نصه: (ولو وقف) شيئا (بشرط الخيار) له في الرجوع عنه أو في بيعه أو في تغيير شيء منه بوصف أو زيادة أو نقص أو نحو ذلك (بطل الوقف (على الصحيح) اه ولا فرق بين تفويض البيع اليه متى شاء وبين تفويضه اليه بشرط كالمذكور في السؤال اذ لا يجوز ذلك بيعه بحال. واذا كان الوقف باطلا من أصله سقطت تلك الاسئلة الا اننا نجيب عنها بالايجاز

اما جواب السؤال الأول فهو ان الوقف على معين يشترط فيه قبوله كما صرح به في المنهاج وصرح الرملي في شرحه باشتراط القبول عقب الايجاب أو بلوغ الخبر

الحكومة الروسية وغرائب الكيد لها من جمعية النهلست السرية ما يرغب كل قارئ في الاطلاع عليه ولكن لا يعتبر به الا الأحياء الفضلاء ولا حياة لأمة مظلومة ليس فيها جمعيات سرية لمقاومة الظلم والتنكيل بزعمائه المستبدين فجمعية النهلست هي التي دبرت أمر الثورة الروسية التي ستكون منشأ سعادة الأمة وارتقاء الدولة كما تراه مفصلا في هذه القصة وعبارة القصة فصيحة، وثمنها خمسة قروش صحيحة

(وقاية الاسنان) لو علم الناس أن الاسنان يمكن ان تبقى سليمة الى سن الشيخوخة اذا وقيت من أسباب التلف والفساد لبذلوا جهدهم في وقايتها لأنها ركن من أركان الصحة وركن من أركان اللذة وركن من أركان الجمال وهذه الثلاثة أهم ما يهم الناس في هذه الحياة ولكن أكثرهم لا يعلمون انه يمكن وقايتها فهل للقارئين منهم ان يقرؤوا كتاب (وقاية الاسنان) للدكتور علي بك البقلي ويعملوا بنصيحته

﴿نيل المراد في تشطير الهمزية والبردة وبانت سعاد﴾ هذه القصائد أشهر ما مدح به النبي صلى الله عليه وسلم وقد شطرها الشيخ عبد القادر سعيد الرافعي الطرابلسي فصار شريكا لنا ظميها في المدح و بيان السيرة النبوية والشمائل القدسية وهو جدير بذلك في مكانه من بيت العلم والأدب وقد طبعها مع تفسير ما قد يخفى من كلماتها وهي تطلب من مكتبة نجله الشيخ محمد سعيد بالسكة الجديدة

﴿ المجلة العثمانية ﴾ مجلة أدبية علمية يصدرها في القاهرة فتحي أفندي عزمي كل شهر مرتين والعدد منها مؤلف من ١٦ صفحة وقيمة الاشتراك فيها ٥٠ قرشا في القطر المصري و٦٥ في سائر الاقطار . وقد صدر منها بضعة أعداد

﴿الأقلام﴾ مجلة شهرية عمومية تبحث في كل فن ومطلب أنشأها في القاهرة جورج أفندي طنوس أحد المحررين لجريدة الوطن ومحمود أفندي أبو حسين وكتب عليها «ويشترك في تحريرها خيرة الشعراء والمنشئين» والعدد مؤلف من ٤٨ صفحة وقيمة الاشتراك فيها ٤٠ قرشا في القطر المصري و١٥ فرنكا في غيره تدفع عند الاشتراك وقد ظهر الجزء الاول حافلا بالمقالات الادبية والقصائد العصرية

الربيع واليه رجع الشافعي آخرا» ثم رد الرملي قول الربيع باحتمال كون الرجوع في الذكر لا في الفتوى وهو الذي جروا عليه وهو احتمال بعيد فمن لم يطمئن له واعتقد ان الحق في تفريق الصفقة البطلان في الجميع فلا حرج عليه اذا سعى في ابطال الباطل

وأما من اعتقد أن هذا الوقف صحيح في حق بعض الموقوف عليهم دون بعض وأن هذه الاعيان التي وقفت بعضها ملك للورثة و بعضها وقف على من قبل ففي الاقدام على دعوى تبطل الوقف منها وتجعلها كلها ملكا نظر وترجيح أحد الأمرين فيه دقيق فقد يقال ان لصاحب الملك ان يطلب ملكه وان أدى ذلك الى ابطال حق غيره من الوقف وابطال ما يؤل اليه من جهة البر الدائمة لان هذا غير مقصود له وانما يجيء بالتبع وهو الاقيس. وقد يقال ليس له ترجيح نفسه وابطال جهة البر الدائمة لاجل منفعته العاجلة وهو الاورع. والمسألة دينية يستفتى فيها القلب والله أعلم

﴿ التقريظ من باب الآثار العلمية الادبية ﴾

(الوقاية من السل الرئوي وطرق علاجه)

السل الرئوي أقتل الأدواء للبشر حتى قال أهل الاحصاء انه يقتل في كل عام نحو ستة آلاف ألف (٦ ملايين) منهم وهو باجماع الاطباء ينتقل بالعدوى ولا أعون لهذا الداء وفتكه بالمصابين به من الجهل بحقيقته وطرق انتقاله وكيفية توقيه ومعالجته وقد ألف الدكتور خليل بك سعادة كتابا حافلا فيما يجب ان يعرفه الجمهور من ذلك سماه (الوقاية من السل) الخ بدأه بمقدمة في خطر هذا الداء وتاريخ طبه ثم جاء بفصول في حده وأسباب حدوثه وطرق العدوى والوقاية وأعراض المصاب به وتشخيصه ودرجاته وأنواعه وكيفيات معالجته بالهواء والرياضة والعقاقير والادوية وختمه بالكلام في زواج المسلولين. وعندي انه ينبغي لكل قارئ وقارئة الاطلاع على هذا الكتاب وهو سهل العبارة فصيحها يستفيد منه كل قارئ. وقد طبع طبعا متقنا بمطبعة المعارف ويطلب من مكتبتها بالفجالة ومن مكتبة المنار وثمنه ١٠ قروش وأجرة البريد ١٥ ماليا

(اسرار الثورة الروسية) ذكرنا كتاب السل بهذه القصة لمؤلفه وهي قصة تاريخية عصرية تمثل للقارئ كيف يقوم الظلم الفاحش مع الدهاء والنظام وكيف يقاوم من الجمعيات السرية بالدهاء والنظام فان في القصة من غرائب القسوة في الظلم من

كان مما سرنا من مواد قانون النادي حظر الخمر والميسر على أهله فيه وإن قرن ذلك بحظر المباحثات الدينية والسياسية . ولكننا لم نلبث أن رأينا ان مجلس إدارة النادي قد نسخ حظر المنكر وهو الخمر فأباحه وأحكم حظر المعروف وهو المباحث الدينية والسياسية وأصر على تحريمه فساءنا ذلك وأحزننا اذ صار النادي شراً من بيوت اللهو المعروفة بالقهاوي والبير (البير كهالل والبارات مواضع شرب البيرا وغيرها من الخمور) لأن هـذه البيوت لا يحظر فيها المعروف من المباحث الدينية والسياسية التي هي أرقى المباحث وأعلاها . ومما زاد في أسفنا وغمنا تعليلهم إباحة الخمر بكون أكثر المشتركين لا يصبرون عنها وما نتوقعه من إفساد التلاميذ المشتركين في النادي بسوء القدوة فإنهم اذا رأوا من يعدونهـم أرقى الأمة علما وأدبا يأتون في ناديهم المنكر فإنهم يقتدون بهم في ذلك طبعا فما كان أغنى التلاميذ عن هذا النادي لو تبصر أولياؤهم

بينا نحن في ألم خيبة الأمل في النادي واذا بمجلة المجلات العربية قد وافتنا باثنتين وعشرين صفحة عن النادي فيها من الاغراق في الإطراء ما كان حاملا لنا على كتابة هذا الفصل، وإنه لقول فصل وما هو بالهزل ،

قالت مجلة المجلات في فاتحة كلامها : « اذا ذكرنا الأعوام الاخيرة فأننا نذكرها بهجين جذلانين لاننا شاهدنا فيها قبسا ما عتم أن بات أخيراً نار هدى ونعني بذلك هذه النهضة العلمية الأدبية التي بدت مطالعها منـذ اعوام وظهرت اليوم في كبد سماء المجد بدرا كاملا يرسل ضياءه اللامع الى جميع الأنحاء فتسر به النواظر ، وتقر له الخواطر ، وإننا لا نريد اليوم ان نشرح للقارئين تفاصيل هذه النهضة السامية فليس هنا مقامها الآن ولكننا بدأنا بها تمهيدا لما سنورده من الكلام عن الناشئة العصرية التي يتألف منها شبان اليوم وزهرة مصر في هذا العصر

« لقد قام شبان اليوم بأعمال جمة دلت على ذكائهم واقتدارهم ، أعمال يؤخذ من مجموعها أن في سويداء وادي النيل رجالا أكفاء لكل عمل مجيد وان سماء مصر يستظل بها كثيرون من الذين نبغوا في العلم والفضل والذكاء »

ثم ذكر مسألة انشاء الاندية وقال انها « إحدى كبريات المسائل » وذكر



نادي المدارس العليا — مثال لطفولية الامة

نبهنا القراء فى بعض السنين السالفة الى أمثلة من طفولية الأمة في حياتها لاجتماعية التي ولدت فيها الامة ولادة جديدة ، بعد أن أماتها الاستبداد قرونا عديدة،وهي لاتزال في طور الطفولية، بما تقلد فيه الشواب والكهول من الامم الحية ، ومما تلحزت له القاهرة من لذائذ التقليد إنشاء الأندية ، أنشأ قوم ناديا فما قام الاوسقط ثم قويت الرغبة فكتب في ذلك الكاتبون، وأظهر الرغبة فيه الراغبون ، حتى كان منذ سنين ، أن جمعت أموال ووضعت قوانين ، ولكن أعيد المال الى أربابه ، قبل ان يخرج الامر من اهابه،وقد أعيدت الكرة في العام الماضي فكان الاستعداد أتم ، والداعون أنهض بالعمل وأعلم ، وما الداعون الا بعض المتخرجين في المدارس العالية بمصر وأوربا وما المدعون الا أمثالهم بالفعل أو بالقوة .

تمخضت الدعوة فولدت (نادي المدارس العليا) وخصوا العليا بالطب والحقوق والهندسة وقسم المعلمين العالي أي الافرنجي وأخرجوا منها قسم المعلمين العربي « دار العلوم » والأزهر . وقد دارت المناظرة في هذا الإخراج بين الباحثين وفهم مما سمع وكتب في الجرائد أن المؤسسين يرون المتخرجين فى هاتين المدرستين دون المتخرجين فى تلك المدارس الأربع وأدنى منهم ! !

قرأنا وسمعنا كثيرا من المقالات التي كتبت والمباحثات التي دارت في الدعوة الى تأسيس النادي ومايتصل بالدعوة ككونه خاصا بالمسلمين لأن لكل الطوائف الأخرى أندية في مصر خاصة بهم حتى القبط ونصارى سوريا أو عاما لكل أهل الملل فرارا من التعصب ، وكحظر الخوض في المباحث الدينية والمسائل السياسية على أهل النادي ما كانوا في النادي : قرأنا وسمعنا ولكننا لم نكتب في ذلك كلمة واحدة لا ننا رأينا التيار مندفعا الى قرارة لا بد أن يصل اليها وكذلك كان

هذا التفخيم ، وجملته البرهان القاطع ، والدليل الساطع ، على قوة كبرى؛ وهمة علیا ، قد ذللت بهما نابتتنا كل صعب، واستهانت بكل خطب ،وانتاشت الأمة من أسفل السافلين ، فعرجت بها الى أعلى عليين ، حتى سامت الامم العزيزة أو سمتها ، فان لم تكن سمتها فقد ساوتها ، ا كان هذا النادي فتحا مبينا ، أم كان استقلالا للبلاد عزيزا ، أم رأى صاحب المجلة أن النادي أصبح مهجورا ، وخشي أن يأتي عليه حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا ، فأراد أن يجذب اليه الهاجرين له بإعلاء ذكره، وتعظيم قدرهم بقدره ، اذلا يجهل مثله أنه ناد قد خلت من قبله الاندية تماملأ منشئوها مواضعهم فخرا ، ولاادعوا أنهم تجاوزوا السماكين عزا وقدرا ، ولعلّ هذا هو الأقرب فاننا لم نكد نتم قراءة ما كتبه في مجلته حتى وافانا المؤيد الصادر في ٢٦ ربيع الآخر وفيه ما يأتي مؤيد لما سمعنا من بعض المشتركين

(الى صفوة الشبيبة المصرية)

جاءنا هذا الكتاب يوجه كاتبه الفاضل فيه الخطاب الى حضرات أعضاء نادي المدارس العليا وهو بعد الديباجة

قامت قيامة الصحف والكتاب وغيرهم قبل انشاء نادي المدارس العليا وقد انشيء بعدا كتتاب المكتتبين واشتراك المشتركين لكن يظهر ان القوم لم يألفوا الاجتماع بعد . فهم مشتتون على القهاوي والبارات ولا يعرج على النادي من المتخرجين ما يزيد عددهم على أصابع اليد الواحدة ومن الطلبة ما يزيد على أصابع اليدين ويحتج بعضهم ببعد المكان عن وسط البلدة والبعض بحرارته . والبعض الآخر بوجود أصحاب معهم لا يسمح قانونه بوجودهم فيه

وقد قال بعضهم ان الاشتراك السنوي كبير . وبما أن فوائد الاجتماع عديدة جئت أستلفت أنظار حضرات القائمين بادارة النادي لتلافي ذلك على قدر الامكان خصوصا فيما يتعلق ببعد الشقة وقيمة الاشتراك وأرجو من سعادتكم نشر هذا بالجريدة　　(دكتور . ر)　　مصر في ١٦ يونيو سنة ٩٠٦

ناديا أنشيء وكان عمره قصيرا وما كان من حركة الفكر في ذلك بعد وقل

«وقد أيدت الناشئة المصرية هذا الأمر الطبيعي ونفت من الأذهان ذلك الاعتقاد الذي يعده الكثيرون حجة مسلمة لاجدال فيها وهي أن المصريين شعب مكسال لاحياة أدبية له وأنهم قوم صدق فيهم قول القائلين « قد اتفقوا على ان لايتفقوا واتحدوا على انلايتحدوا » ولكننا نحمد الله لأن شباننا قد ضربوا ذلك الاعتقاد ضربة جعلته هباء منثورا وأثرا بعد عين

«ولقد يتساءل الناس عن العمل الذي قام به شباننا حتى صح ان يقال فيهم ما قلناه اليوم . سؤال لانرى جوابا عليه أبلغ من القول ليقصد كل امرىء نادي المدارس العليا ليشاهد بعينه اتحاد الكلمة وقوة الاتحاد والزهرة اليانعة التي تملأ القلوب غبطة وسرورا . ذلك النادي الكائن في أعظم احياء العاصمة بجوار فندق (سافوا) والذي يحق اليوم لكل واحد من المصريين أن يفاخر به ويترنم بذكره ذلك النادي الذي خصصنا للكتابة عنه غالب صفحات هذا العدد . ولا بدع في ذلك لأنه غرس أيدي شبان في مقتبل العمر في حين أنه كان المنظور أن لايقوم به الا الكبراء وسراة الاغنياء ولكن ناشئتنا برهنت على أنها قوة عظمى تحطم في سبيل ارادتها كل عقبة كؤود ، وتدوس بقدمها الشوك الذي يعترض وصولها الى زاهي الورود ،»

ثم أفاض في الكلام عن كيفية تأسيس النادي وفوائده وذكر ما كان من مساعدة الحكومة وكبار المحتلين له ومن ارتياح الامير له اذ جعل ولي عهده مشتركا فيه ونشر قانونه برمته وقال في خاتمة الفصل

« ومسك الختام لهذه الجملة المطولة اليوم هو الاستبشار بظهور هذا النادي الى عالم الوجود لأن ظهوره جاء حجة دامغة ودليلا قاطعا على أن المصريين ليسوا بذلك الشعب المكسال كما يصفهم البعض من الناس بل اننا أمة حية لاينقصنا للقيام بكبير الأعمال الا الارادة وطرح الضعف جانبا فمتى اعتمدنا على عزيمتنا تمكنا من الوصول الى كل غاية نطلبها بلغنا الله مانشتهيه من طيب الآمال بمنه وكرمه » اه

الله أكبر . ماهذا النادي الذي كبرته مجلة المجلات هذا التكبير ، وفخمته

[illegible] الشعر بتاتاً ويمنع سقوطه ويصب[illegible]

[illegible] الرأس من قشرة [illegible] أو أي مرض آخر في الرأس ويلطف

ولا يستعمله إلا مرة أو مرتين [illegible] الأصلي

وهو يزيل [illegible] سواء كان [illegible] عارض ناتج عن ضعف أو

[illegible] مثل التيفوئيد والحميات ويرجع [illegible] الشعر المتساقط

ويمنع الحكة والأكلان في جميع منابت الشعر ويزيل القشور من الرأس ويمنع الصداع

والدوار ويذهب بما قد يحدث في الرأس وغيره من دمامل وحرارة ونحوها . ويزيل

الألم الذي يوجد في جذور الشعر وقت تمشيطه أو حكه ويستعمل لا يضر أبداً إذا لاقى الفم

والجلد لأنه خالٍ من جميع المواد السمية • ولا فرق في استعماله عند الرجال أو النساء

طريقة الاستعمال مبينة بالإعلان الملتف بالزجاجة

ويباع زيت لطيف وماء لطيف

(١) بالمستودع العمومي بإدارة جريدة المؤيد بمصر عند حضرة علي أفندي

(٢) بدكان حضرة مصطفى أفندي صبري تاجر من فاتوره بالموسكي (٣)

بإسكندرية عند حضرة محمود أفندي الباجوري وكيل جريدة المؤيد (٤) وبالزقازيق

بأجزاخانة جالينوس ملك حضرة الدكتور محمد أفندي أمين حرب ومن يشتري من

غير هذه المحلات فلا يلوم إلا نفسه وكل زجاجة لم يكن عليها ورقتان الأولى بها العلامة المسجلة

والثانية ختم المخترع وفرمة التجارية والإفرنكية تكون مقلدة والأثمان كما يأتي

زيت لطيف ٣ قرش صاغ ماء لطيف ٤ قرش صاغ زجاجة كبيرة لمن يحب استعمال

زيت وزيت لطيف المركب ١٦ قرش صاغ وأجرة البريد قرشين صاغ وعلى الله الاتكال

(المنار) علم مما تقدم انا ننتقد من هذا النادي بعدة أمور

(١) وجود التلاميذ فيه ولا يسع هذا الفصل بيان ذلك بدلائله

(٢) أنهم لم يعتبروا مدرسة المعلمين العربية (دار العلوم) كمدرسة المعلمين الافرنجية ولم يدعوا المتخرجين فيها الى الاشتراك في النادي فان هذا غمص للغة العربية وما من متخرج في مدرسة من المدارس العليا الا هو تلميذ للاساتذة المتخرجين في دار العلوم وان قوما يغمصون لغتهم وأساتذتها لا يرجى للامة خير في اجتماعهم بل أقول انه كان ينبغي لهم دعوة علماء الازهر الى هذا النادي لان اكبر فوائد الاجتماع في الاندية تقريب طبقات الامة بعضها من بعض لاسيما الطبقات العالية المحترمة وعلماء الازهر في مقدمتهم ولا محل هنا لشرح ذلك ولا شك ان علماء الازهر وأساتذة دار العلوم أبعد في مجموعهم عن المنكر وأقرب من الاستقامة والأدب من مجموع المتخرجين في المدارس العليا فوجودهم في النادي مزيد كمال في آدابه

(٣) منع المباحث الدينية والسياسية من النادي وكان ينبغي منع البحث في الطعن بالأديان وكل ما يلقي العداوة بين أهلها والبحث في مسألة الاحتلال أومقاومة المحتلين أو الحكومة وإباحة البحث في فلسفة الدين وآدابه وفي فلسفة السياسة ومسائلها العامة والخاصة بغير مقاومة الحكومة المحلية

(٤) اباحة الخمر بعدم منعها وهذا كبر عار على النادي من وجهين ظاهرين

(٥) سرعة ملل المشتركين من الاجتماع فيه وتفرقهم في القهاوي والبارات المؤذن بقلة الثبات ، — فهذه الامور كلها من دلائل طفو ليتنا في الحياة الاجتماعية ولا ينافي هذا ان في النادي أفرادا نحترم مزاياهم الفاضلة ونرجو ثباتهم ومن هؤلاء نرجو تلافي كل خلل والاستعانة على ذلك بنقد الناقدين ، وإطراء المادحين ، واننا لا نريد بهذا الا النصح والاصلاح والله الموفق والمعين

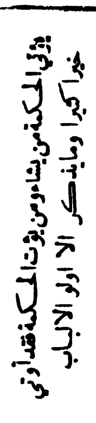
(خطبة الامير على العلماء في الاسكندرية)

ظفرنا بنص هذه الخطبة التي نوهت بها الجرائد في وقتها وقد ضاق هذا الجزء عن نشرها مع فوائد أخرى منها مقالة من أميل القرن التاسع عشر وقصيدة أبي طالب مشروحة ونبذة في الثورة الروسية وتقاريظ متعددة وموعدنا الجزء السادس



فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب




يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا أولو الالباب

١٣١٥

قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و«منارا» كمنار الطريق ا

﴿ مصر — رمضان سنة ١٣٢٤ — أوله الجمعة ١٩ اكتوبر (ايلول) سنة ١٩٠٦ ﴾

باب تفسير القرآن الحكيم

(مقتبس من الدروس التي كان يلقيها في الازهر الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه)

«فان قيل فأكثر السلف على أن الراسخين في العلم لا يعلمون التأويل وكذلك أكثر أهل اللغة يروى هذا عن ابن مسعود وأبيّ بن كعب وابن عباس وعروة وقتادة وعمر بن عبد العزيز والفراء وأبي عبيد وثعلب وابن الانباري قال ابن الانباري في قراءة عبد الله ان تأويله الا عند الله والراسخون في العلم وفي قراءة أبيّ وابن عباس «ويقول الراسخون في العلم» قال وقد أنزل الله في كتابه أشياء فأستأثر بعلمها كقوله تعالى (قل إنما علمها عند الله) وقوله (وقرونا بين ذلك كثيراً) فأنزل المحكم ليؤمن به المؤمن فيسعد ويكفر به الكافر فيشقى قال ابن الانباري والذي يروي القول الآخر عن مجاهد هو ابن أبي نجيح ولا تصح روايته التفسير عن مجاهد فيقال قول القائل إن أكثر السلف على هذا قول بلا علم فانه لم يثبت عن أحد من الصحابة انه قال ان الراسخين في العلم لا يعلمون تأويل المتشابه بل الثابت عن الصحابة أن المتشابه يعلمه الراسخون وما ذكر من قراءة ابن مسعود وأبيّ بن كعب ليس لها اسناد يعرف حتى يحتج بها والمعروف عن

من أصح التفاسير بل ليس بأيدي أهل التفسير كتاب في التفسير أصح من تفسير ابن أبي نجيح عن مجاهد الا أن يكون نظيره في الصحة ثم معه ما يصدقه وهو قوله عرضت المصحف على ابن عباس أقفه عند كل آية وأسأله عنها وأيضا فأبيّ بن كعب رضي الله عنه قد عرف أنه كان يفسر ما تشابه من القرآن كما فسر قوله (فأرسلنا اليها روحنا) وفسر قوله (الله نور السموات والارض) وقوله (واذ أخذ ربك) ونقل ذلك معروف عنه بالاسناد أثبت من نقل هذه القراءة التي لا يعرف لها اسناد وقد كان يسئل عن المتشابه من معنى القرآن فيجيب عنه كما سأله عمر وسئل عن ليلة القدر (كذا)

وأما قوله: إن الله أنزل المجمل ليؤمن به المؤمن فيقال هذا حق لكن هل في الكتاب والسنة أو قول أحد من السلف أن الانبياء والملائكة والصحابة لا يفهمون ذلك الكلام المجمل أم العلماء متفقون على أن المجمل في القرآن يفهم معناه ويعرف ما فيه من الاجمال كما مثل به من وقت الساعة فقد علم المسلمون كلهم معنى الكلام الذي أخبر الله به عن الساعة وأنها آتية لا محالة وأن الله انفرد بعلم وقتها فلم يطلع على ذلك أحد ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم لما سأله السائل عن الساعة وهو في الظاهر أعرابي لا يعرف قال له متى الساعة قال «ما المسؤول عنها بأعلم من السائل» ولم يقل إن الكلام الذي نزل في ذكرها لا يفهمه أحد بل هذا خلاف إجماع المسلمين بل والعقلاء فان اخبار الله عن الساعة واشراطها كلام بين واضح يفهم معناه وكذلك قوله (وقرونا بين ذلك كثيرا) قد علم المراد بهذا الخطاب وأن الله خلق قرونا كثيرة لا يعلم عددهم الا الله كما قال (وما يعلم جنود ربك الا هو) فأي شيء من هذا مما يدل على أن ما أخبر الله به من أمر الايمان بالله واليوم الآخر لا يفهم معناه أحد لا من الملائكة والانبياء ولا الصحابة ولا غيرهم. وأما ماذكر عن عروة فعروة قد عرف من طريقه أنه كان لا يفسر عامة آي القرآن الا آيات قليلة رواها عن عائشة ومعلوم أنه اذا لم يعرف عروة التفسير لم يلزم أنه لا يعرفه غيره من الخلفاء الراشدين وعلماء الصحابة كابن مسعود وأبيّ بن كعب وابن عباس وغيرهم

وأما الغلطون الذين يقولون ان الراسخين لا يعلمون معنى المتشابه فهم

ابن مسعود أنه كان يقول مافي كتاب الله آية الا وأنا أعلم فيماذا أنزلت وقال أبو عبد الرحمن السلمي حدثنا الذين كانوا يقرؤننا القرآن عثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما أنهم كانوا اذا تعلموا من النبي صلى الله عليه وسلم عشر آيات لم يجاوزوها حتى يعلموا مافيها من العلم والعمل وهذا أمر مشهور رواه الناس عامة أهل الحديث والتفسير وله اسناد معروف بخلاف ماذكر من قراءتهما وكذلك ابن عباس قد عرف عنه أنه كان يقول أنا من الراسخين الذين يعلمون تأويله وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه دعا له بعلم تأويل الكتاب فكيف لا يعلم التأويل مع أن قراءة عبد الله «إن تأويله الا عند الله» لا تناقض هذا القول فان نفس التأويل لا يأتي به الا الله كما قال تعالى (هل ينظرون الا تأويله) وقال (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله) وقد اشتهر عن عامة السلف أن الوعد والوعيد من المتشابه وتأويل ذلك هو مجيء الموعود به وذلك عند الله لا يأتي به الا هو وليس في القرآن أن علم تأويله الا عند الله كما قال في الساعة (يسئلونك عن الساعة أيان مرساها قل انما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها الا هو ثقلت في السموات والارض لا تأتيكم الا بغتة يسئلونك كأنك حفي عنها قل انما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴿ قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ماشاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير ومامسني السوء) وكذلك لما قال فرعون لموسى (فما بال القرون الاولى ، قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى) فلو كانت قراءة ابن مسعود نفي العلم عن الراسخين لكانت إن علم تأويله الا عند الله لم يقرأ إن تأويله الا عند الله فان هذا حق بلا نزاع

وأما القراءة الاخرى المروية عن أبي وابن عباس فقد نقل عن ابن عباس ماينافضه وأخص أصحابه بالتفسير مجاهد وعلى تفسير مجاهد يعتمد أكثر الأئمة كالثوري والشافعي وأحمد بن حنبل والبخاري قال الثوري اذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به والشافعي في كتبه أكثر الذي ينقله عن ابن عيينة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وكذلك البخاري في صحيحه يعتمد على هذا التفسير وقول القائل لا تصح رواية ابن أبي نجيح عن مجاهد جوابه أن تفسير ابن أبي نجيح عن مجاهد

هذه التأويلات الفاسدة كما قال الامام أحمد في ما كتبه في الرد على الزنادقة والجهمية فيما شكت فيه من متشابه القرآن وتأولته على غير تأويله

فهذا الذي أنكره السلف والائمة من التأويل فجاء بعدهم قوم انتسبوا الى السنة بغير خبرة تامة بها وبما يخالفها وظنوا أن المتشابه لا يعلم معناه الا الله فظنوا أن معنى التأويل هو معناه في اصطلاح المتأخرين وهو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح الى المرجوح فصاروا فى موضع يقولون وينصرون أن المتشابه لا يعلم معناه الا الله ثم يتناقضون في ذلك من وجوه (أحدها) أنهم يقولون النصوص تجري على ظواهرها ولا يزيدون على المعنى الظاهر منها ولهذا يبطلون كل تأويل يخالف الظاهر ويقررون المعنى الظاهر ويقولون مع هذا إن له تأويلا لا يعلمه الا الله والتأويل عندهم ما يناقض الظاهر فكيف يكون له تأويل يخالف الظاهر وقد قرر معناه الظاهر وهذا مما أنكره عليهم مناظروهم حتى أنكر ابن عقيل على شيخه القاضي أبي يعلى (ومنها) أنا وجدنا هؤلاء كلهم لا يحتج عليهم بنص يخالف قولهم لا في مسئلة أصلية ولا فرعية الا تأولوا ذلك النص بتأويلات متكلفة مستخرجة من جنس تحريف الكلم عن مواضعه من جنس تأويلات الجهمية والقدرية التي تخالفهم فأين هذا من قولهم لا يعلم معاني النصوص المتشابهة الا الله واعتبر هذا مما تجده في كتبهم من مناظرتهم للمعتزلة على قولهم بالآيات التي تناقض قول هؤلاء مثل أن يحتجوا بقوله (والله لا يحب الفساد) (ولا يرضى لعباده الكفر) (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) (لا تدركه الابصار) (انما أمره اذا أراد شيأ أن يقول له كن فيكون) (واذ قال ربك للملائكة) ونحو ذلك كيف تجدهم يتأولون هذه النصوص بتأويلات غالبها فاسد وان كان في بعضها حق فان كان ما تأولوه حقا دل على أن الراسخين في العلم يعلمون تأويل المتشابه فظهر تناقضهم وان كان باطلا فذلك أبعدلهم

وهذا أحمد بن حنبل امام أهل السنة الصابر في المحنة الذي قد صار للمسلمين معيارا يفرقون به بين أهل السنة والبدعة لما صنف كتابه في الرد على الزنادقة والجهمية فيما شكت فيه من متشابه القرآن وتأولته على غير تأويله تكلم في معاني المتشابه الذي اتبعه الزائغون ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله آية آية وبين معناها

متناقضون في ذلك فان هؤلاء كلهم يتكلمون في تفسير كل شيء في القرآن ويتوسعون في القول في ذلك حتى ما منهم أحد لا وقد قال في ذلك أقوالا لم يسبق اليها وهي خطأ وابن الأنباري الذي بالغ في نصر ذلك القول هو من أكثر الناس كلاما في معاني الآي المتشابهات يذكر فيها من الاقوال مالم ينقل عن أحد من السلف ويحتج لما يقوله في القرآن بالشاذ من اللغة وهو قصده بذلك الانكار على ابن قتيبة وليس هو أعلم بمعاني القرآن والحديث واتبع للسنة من ابن قتيبة ولا أفقه في ذلك وان كان ابن الانباري من أحفظ الناس للغة لكن باب فقه النصوص غير باب حفظ ألفاظ اللغة وقد نقم هو وغيره على ابن قتيبة كونه رد على أبي عبيد أشياء من تفسير غريب الحديث وابن قتيبة قد اعتذر عن ذلك وسلك في ذلك مسلك أمثاله من أهل العلم وهو وأمثاله يصيبون تارة ويخطئون أخرى فإن كان المتشابه لا يعلم معناه الا الله فهم كلهم يجترئون على الله يتكلمون في شيء لا سبيل الى معرفته وان كان ما بينوه من معاني المتشابه قد أصابوا فيه ولو في كلمة واحدة ظهر خطأهم في قولهم ان المتشابه لا يعلم معناه الا الله ولا يعلمه أحد من المخلوقين فليختر من ينصر قولهم هذا أو هذا ومعلوم أنهم أصابوا في شيء كثير مما يفسرون به المتشابه وأخطؤا في بعض ذلك فيكون تفسيرهم لهذه الآية مما أخطأوا فيه العلم اليقيني فانهم أصابوا في كثير من تفسير المتشابه وكذلك ما نقل عن قتادة من أن الراسخين في العلم لا يعلمون تأويل المتشابه فكتابه في التفسير من أشهر الكتب ونقله ثابت عنه من رواية معمر عنه و رواية سعيد بن أبي عروبة عنه ولهذا كان المصنفون في التفسير عامتهم يذكرون قوله لصحة النقل ومع هذا يفسر القرآن كله محكمه ومتشابهه

والذي اقتضى شهرة القول عن أهل السنة بأن المتشابه لا يعلم تأويله الا الله ظهور التأويلات الباطلة من أهل البدع والجهمية والقدرية من المعتزلة وغيرهم فصار أولئك يتكلمون في تأويل القرآن برأيهم الفاسد وهذا أصل معروف لأهل البدع أنهم يفسرون القرآن برأيهم العقلي وتأويلهم اللغوي فتفاسير المعتزلة مملوءة بتأويل النصوص المثبتة للصفات والقدر على غير ما أراد الله ورسوله فانكار السلف والائمة

أراد شيأً أن يقول له كن فيكون) وامثال ذلك من النصوص فان غاية ماعندهم يحتمل أن يراد به كذا ويجوز كذا ونحو ذلك وليس هذا علما بالتأويل وكذلك كل من ذكر في نص أقوالا واحتمالات ولم يعرف المراد فانه لم يعرف تفسير ذلك وتأويله وانما يعرف ذلك من عرف المراد

ومن زعم من الملاحدة أن الادلة السمعية لاتفيد العلم فمضمون مذهبه لولانه لا يعلم أحد تفسير المحكم ولا تفسير المتشابه ولا تأويل ذلك وهذا اقرار منه على نفسه بأنه ليس من الراسخين في العلم الذين يعلمون تأويل المتشابه فضلاعن تأويل المحكم فاذا انضم الى ذلك أن يكون كلامهم في العقليات فيه من السفسطة والتلبيس مالا يكون معه دليل على الحق لم يكن عند هؤلاء لا معرفة بالسميعات ولا بالعقليات وقد أخبر الله عن أهل النار أنهم قالوا (لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير)ومدح الذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا والذين يفقهون ويعقلون وذم الذين لا يفهمون ولا يعقلون في غير موضع من كتابه وأهل البدع المخالفون للكتاب والسنة يدعون العلم والعرفان والتحقيق وهم من أجهل الناس بالسمعيات والعقليات وهم يجعلون ألفاظهم مجملة متشابهة تتضمن حقاو باطلا يجعلونها هي الاصول المحكمة ويجعلون ماعارضها من نصوص الكتاب والسنة من المتشابه الذي لايعلم معناه عندهم الا الله وما يتأولونه بالاحتمالات لا يفيد فيجعلون البراهين شبهات والشبهات براهين كما قد بسط ذلك في موضع آخر

وقد نقل القاضي أبو يعلى عن الامام أحمد انه قال المحكم مااستقل بنفسه ولم يحتج الى بيان والمتشابه مااحتاج الى بيان وكذلك قال الامام أحمد في رواية وعن الشافعي قال المحكم مالا يحتمل من التأويل الا وجها واحدا والمتشابه مااحتمل من التأويل وجوها وكذلك قال الامام أحمد وكذلك قال ابن الانباري المحكم مالم يحتمل من التأويل الا وجها واحدا والمتشابه الذي تعتوره التأويلات فيقال حينئذ فجميع الامة سلفها وخلفها يتكلمون في معاني القرآن التي تحتمل التأويلات وهؤلاء الذين يفسرون ان الراسخين في العلم لا يعلمون معنى المتشابه هم من أكثر الناس كلاما فيه والأئمة كالشافعي وأحمد ومن قبلهم كلهم يتكلمون فيما يحتمل معاني

وفسرها ليبين فساد تأويل الزائغين واحتج على أن الله يرى وأن القرآن غير مخلوق وان الله فوق العرش بالحجج العقلية والسمعية ورد ما احتج به النفاة من الحجج العقلية والسمعية و بين معاني الآيات التي سماها هو متشابهة وفسرها آية آية وكذلك لما ناظروه واحتجوا عليه بالنصوص جعل يفسرها آية آية وحديثا حديثا ويبين فساد ما تأولها عليه الزائغون ويبين هو معناها ولم يقل أحمد ان هذه الآيات والاحاديث لا يفهم معناها الا الله ولا قال أحد له ذلك بل الطوائف كلها مجتمعة على امكان معرفة معناها لكن يتنازعون فى المراد كما يتنازعون في آيات الامر والنهي وكذلك تفسير المتشابه من الآيات والأحاديث التي يحتج بها الزائغون من الخوارج وغيرهم كقوله «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الشارب الخمر حين يشرب وهو مؤمن» وأمثال ذلك ويبطل قول المرجئة والجهمية وقول الخوارج والمعتزلة وكل هذه الطوائف تحتج بنصوص المتشابه على قولها ولم يقل أحد لا من أهل السنة ولا من هؤلاء لما يستدل به هو أو يستدل به عليه منازعه هذه آيات وأحاديث لا يعلم معناها أحد من البشر فأمسكوا عن الاستدلال بها وكان الامام أحمد ينكر طريقة أهل البدع الذين يفسرون القرآن برأيهم وتأويلهم من غير استدلال بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقوال الصحابة والتابعين الذين بلغهم الصحابة معاني القرآن كما بلغوهم ألفاظه ونقلوا هذا كما نقلوا هذا لكن أهل البدع يتأولون النصوص بتأويلات تخالف مراد الله ورسوله ويدعون أن هذا هو التأويل الذي يعلمه الراسخون وهم مبطلون في ذلك، لاسيما تأويلات القرامطة والباطنية الملاحدة وكذلك أهل الكلام المحدث من الجهمية والقدرية وغيرهم ولكن هؤلاء يعترفون بأنهم لا يعلمون التأويل وانما غايتهم أن يقولوا ظاهر هذه الآية غير مراد ولكن يحتمل أن يراد كذا وأن يراد كذا ولو تأولها الواحد منهم بتأويل معين فهو لا يعلم أنه مراد الله ورسوله بل يجوز أن يكون مراد الله ورسوله عندهم غير ذلك كالتأويلات التي يذكرونها في نصوص الكتاب كما يذكرونه في قوله (وجاء ربك والملك صفا صفا) و(ينزل ربنا) و(الرحمن على العرش استوى —وكلم الله موسى تكليما— —غضب الله عليهم—و—انما أمره اذا

هذا القول يناقض الايمان بالله ورسوله من وجوه كثيرة ويوجب القدح في الرسالة ولا ريب أن الذي قالوه لم يتدبروا لوازمه وحقيقة ما أطلقوه وكان أكبر قصدهم دفع تأويلات أهل البدع المتشابهة وهذا الذي قصدوه حق وكل مسلم يوافقهم عليه لكن لا ندفع باطلا بباطل آخر ولا نرد بدعة ببدعة ولا يرد تفسير أهل الباطل للقرآن بأن يقال الرسول والصحابة كانوا لا يعرفون تفسير ما تشابه من القرآن ففي هذا من الظن في الرسول وسلف الامة ما قد يكون أعظم من خطأ طائفة في تفسير بعض الآيات والعاقل لا يبني قصرا ويهدم مصرا

والقول الثالث أن المتشابه الحروف المقطعة في أوائل السور يروى هذا عن ابن عباس وعلى هذا القول فالحروف المقطعة ليست كلاما تاما من الجمل الاسمية والفعلية وانما هي أسماء موقوفة ولهذا لم تعرب فان الاعراب انما يكون بعد العقد والتركيب وانما نطق بها موقوفة كما يقال ابت ولهذا تكتب بصورة الحرف لا بصورة الاسم الذي ينطق به فانها في النطق أسماء ولهذا لما سأل الخليل أصحابه عن النطق بالزاي من زيد قالوا زا قال نطقتم بالاسم وانما النطق بالحرف زه فهي في اللفظ أسماء وفي الخط حروف مقطعة الم لا تكتب ألف لام ميم كما يكتب قول النبي صلى الله عليه وسلم «من قرأ القرآن فأعربه فله بكل حرف عشر حسنات أما إني لا أقول ألم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف» والحرف في لغة الرسول وأصحابه يتناول الذي يسميه النحاة اسما وفعلا وحرفا لهذا قال سيبويه في تقسيم الكلام اسم وفعل وحرف جاء لمعنى ليس باسم ولا بفعل فانه لما كان معروفا من اللغة أن الاسم حرف والفعل حرف خص هذا القسم الثالث الذي يطلق النحاة عليه الحرف أنه جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل وهذه حروف المعاني التي يتألف منها الكلام وأما حروف الهجاء فتلك انما تكتب في صورة الحرف المجرد وينطق بها غير معربة ولا يقال فيها معرب ولا مبني لان ذلك انما يقال في المؤلف واذا كان على هذا القول كل ما سوى هذه محكم حصل المقصود فانه ليس المقصود الا معرفة كلام الله وكلام رسوله ثم يقال هذه الحروف قد تكلم في معناها أكثر الناس فان كان معناها معروفا فقد عرف معنى المتشابه وان لم يكن

ويرجحون بعضها على بعض بالأدلة في جميع مسائل العلم الاصولية والفروعية لا يعرف عن عالم من علماء المسلمين انه قال عن نص احتج به محتج في مسئلة ان هذا لا يعرف أحد معناه فلا يحتج به ولو قال أحد ذلك لقيل له مثل ذلك واذا ادعى في مسائل النزاع المشهورة بين الائمة أن نصه محكم يعلم معناه وان النص الآخر متشابه لا يعلم أحد معناه قوبل بمثل هذه الدعوى

وهذا بخلاف قول القائل ان من منصوص ما معناه جلي واضح ظاهر لا يحتمل الا وجها واحدا لا يقع فيه اشتباه ومنها ما فيه خفاء واشتباه يعرف معناه الراسخون في العلم فان هذا مستقيم صحيح وحينئذ فالخلاف في المتشابه يدل على أنه كله يعرف معناه فمن قال انه يعرف معناه يبين حجة على ذلك وأيضا فما ذكره السلف والخلف في المتشابه يدل على أنه كله يعرف معناه فمن قال ان المتشابه هو المنسوخ فمعنى المنسوخ معروف وهذا القول مأثور عن ابن مسعود وابن عباس وقتادة والسدي وغيرهم وابن مسعود وابن عباس وقتادة هم الذين نقل عنهم ان الراسخين في العلم لا يعلمون تأويله ومعلوم قطعا باتفاق المسلمين ان الراسخين يعلمون معنى المنسوخ فكان هذا النقل عنهم يناقض ذلك النقل ويدل على أنه كذب ان كان هذا صدقا والا تعارض النقلان عنهم والمتواتر عنهم ان الراسخين يعلمون معنى المتشابه

القول الثاني مأثور عن جابر بن عبد الله أنه قال المحكم ما علم العلماء تأويله والمتشابه مالم يكن للعلماء الى معرفته سبيل كقيام الساعة ومعلوم أن وقت قيام الساعة مما اتفق المسلمون على أنه لا يعلمه الا الله فاذا أريد بلفظ التأويل هذا كان المراد به لا يعلم وقت تأويله الا الله وهذا حق ولا يدل ذلك على أنه لا يعرف معنى الخطاب بذلك وكذلك أن أريد بالتأويل حقائق ما يوجد وقيل لا يعلم كيفية ذلك الا الله فهذا قد قدمناه وذكر أنه على قول هؤلاء من وقف عند قوله (وما يعلم تأويله الا الله) هو الذي يجب أن يراد بالتأويل وأما أن يراد بالتأويل التفسير ومعرفة المعنى ويقف على قوله الا الله فهذا خطأ قطعا مخالف للكتاب والسنة واجماع المسلمين ومن قال ذلك من المتأخرين فانه متناقض يقول ذلك ويقول ما يناقضه

وجوها فعلم يقينا أن المسلمين متفقون على أن جميع القرآن مما يمكن العلماء معرفة معانيه

واعلم أن من قال ان من القرآن كلاما لا يفهم أحد معناه ولا يعرف معناه الا الله فانه مخالف لاجماع الامة مع مخالفته للكتاب والسنة

والثامن أن المتشابه هو القصص والامثال وهذا أيضا يعرف معناه

والتاسع أنه مايؤمن به ولا يعمل به وهذا أيضا مما يعرف معناه

والعاشر قول بعض المتأخرين ان المتشابه آيات الصفات وأحاديث الصفات وهذا أيضا مما يعلم معناه فان أكثر آيات الصفات اتفق المسلمون على أنه يعرف معناها والبعض الذي تنازع الناس في معناه انما ذم السلف منه تأويلات الجهمية ونفوا علم الناس بكيفيته كقول مالك الاستواء معلوم والكيف مجهول وكذلك قال سائر أئمة السنة وحينئذ ففرق بين المعنى المعلوم وبين الكيف المجهول فان سمي الكيف تأويلا ساغ أ. يقال هذا التأويل لا يعلمه الا الله كما قدمناه أولا وأما اذا جعل معرفة المعنى وتفسيره تأويلا كما يجعل معرفة سائر آيات القران تأويلا وقيل أن النبي صلى الله عليه وسلم وجبريل والصحابة والتابعين ما كانوا يعرفون معنى قوله (الرحمن على العرش استوى) ولا يعرفون معنى قوله (ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي) ولا معنى قوله (غضب الله عليهم) بل هذا عندهم بمنزلة الكلام العجمي الذي لا يفهمه العربي وكذلك اذا قيل كان عندهم قوله تعالى (وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه) وقوله (لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار) وقوله (وكان سميعا بصيرا) وقوله (رضي الله عنهم ورضوا عنه) وقوله (ذلك بانهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه) وقوله (وأحسنوا ان الله يحب المحسنين) وقوله (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون) وقوله (انا جعلناه قرآنا عربيا) وقوله (فأجره حتى يسمع كلام الله) وقوله (فلما أتاها نودي أن بورك من في النار ومن حولها) وقوله (هل ينظرون الا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة) وقوله (وجاء ربك والملك صفا صفا - هل ينظرون الا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك - ثم استوى الى السماء وهي دخان - انما أمره اذا أراد شيأ أن يقول له كن فيكون) الى امثال هذه الآيات فمن قال

معروفا وهو المتشابه كان ماسواها معلوم المعنى وهذا المطلوب وأيضا فان الله تعالى قال (منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات) وهذه الحروف ليست آيات عند جمهور العلماء وانما يعدها آيات الكوفيون وسبب نزول هذه الآية الصحيح يدل على أن غيرها أيضا متشابه ولكن هذا القول يوافق ما نقل عن اليهود من طلب علم المدد من حروف الهجاء

والرابع أن المتشابه ما اشتبهت معانيه قاله مجاهد وهذا يوافق قول أكثر العلماء وكلهم يتكلم في تفسير هذا المتشابه ويبين معناه

والخامس أن المتشابه ما تكررت ألفاظه قاله عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال المحكم ماذكر الله في كتابه من قصص الانبياء ففصله وبينه والمتشابه هو ما اختلفت ألفاظه في قصصهم عند التكرير كما قال في موضع من قصة نوح (احمل فيها) وقال في موضع آخر (اسلك فيها) وقال في عصا موسى (فاذا هي حية تسعى) وفي موضع (فاذا هي ثعبان مبين) وصاحب هذا القول جعل المتشابه اختلاف اللفظ مع اتفاق المعنى كما يشتبه على حافظ القرآن هذا اللفظ بذاك اللفظ وقد صنف بعضهم في هذا المتشابه لان القصة الواحدة يتشابه معناها في الموضعين فاشتبه على القارىء أحد اللفظين بالآخر وهذا المتشابه لاينفي معرفة المعاني بلا ريب ولا يقال في مثل هذا أن الراسخين يختصون بعلم تأويله فهذا القول ان كان صحيحا كان حجة لنا وان كان ضعيفا لم يضرنا

السادس أنه ما احتاج الى بيان كما نقل عن أحمد

والسابع أنه ما احتمل وجوها كما نقل عن الشافعي وأحمد وقد نقل عن أبي الدرداء رضي الله عنه أنه قال انك لا تفقه كل الفقه حتى ترى للقرآن وجوها وقد صنف الناس كتب الوجوه والنظائر فالنظائر اللفظ الذي اتفق معناه في الموضعين وأكثر والوجوه الذي اختلف معناه كما يقال الاسماء المتواطئة والمشتركة وان كان بينهما فرق لبسطه موضع آخر وقد قيل هي نظائر في اللفظ ومعانيها مختلفة فتكون كالمشتركة وليس كذلك بل الصواب أن المراد بالوجوه والنظائر هو الأول وقد تكلم المسلمون سلفهم وخلفهم في معاني الوجوه وفيما يحتاج الى بيان وما يحتمل

فيعرف أن الكعبة المشاهدة هي المذكورة في قوله (ولله على الناس حج البيت) وكذلك أرض عرفات هي المذكورة في قوله (فاذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله) وكذلك المشعر الحرام هي المزدلفة التي بين مأزمي عرفة ووادي محسر يعرف أنها المذكورة في قوله (فاذكروا الله عند المشعر الحرام) وكذلك الرؤيا يراها الرجل ويذكرها العابر تأويلها فيفهمه ويتصوره مثل أن يقول هذا يدل على أنه كان كذا ويكون كذا وكذا ثم اذا كان ذلك فهو تأويل الرؤيا ليس تأويلها نفس علمه وتصوره وكلامه ولهذا قال يوسف الصديق (هذا تأويل رؤياي من قبل) وقال (لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما) فقد أنبأهما بالتأويل قبل أن يأتي التأويل وان كان التأويل لم يقع بعد وان كان لا يعرف متى يقع فنحن نعلم تأويل ما ذكر الله في القرآن من الوعد والوعيد وان كنا لا نعرف متى يقع هذا التأويل المذكور في قوله سبحانه وتعالى (هل ينظرون الا تأويله يوم يأتي تأويله) الآية

(أقول) ثم أنه رحمه الله أطال في البيان والشواهد واحتج بالآيات الكثيرة التي تحث على فهم القرآن وتدبره وعلى العلم والعقل والفقه فيه وذكر أن بعضهم استدل بان الله تعالى لم ينف عن غيره علم شيء الا إذا كان منفردا به وذكر الآيات الشاهدة بذلك ومنه علم الساعة والغيب فمن أراد التفصيل فليرجع اليه

آيات وأحاديث الصفات

اعلم ان ما تلقيناه في كتب العقائد التي تقرأ للمبتدئين من طلاب العلم في ديار مصر والشام كالجوهرة والسنوسية الصغرى وما كتب عليهما من شروح وحواش هو أن للمسلمين في الآيات والأحاديث المتشابهات في الصفات مذهبين مذهب السلف وهو الإيمان بظاهرها مع تنزيه الله تعالى عما يوهمه ذلك الظاهر وتفويض الأمر فيه الى الله تعالى — ومذهب الخلف وهو تأويل ما ورد من النصوص في ذلك بحمله على المجاز أو الكناية ليتفق النقل مع العقل . وقالوا ان مذهب السلف أسلم لجواز أن يكون ما حمل عليه اللفظ المتشابه غير مراد الله تعالى ومذهب الخلف أعلم لأنه يفسر النصوص جميعها ويحمل بعضها على بعض فلا

(١)عن جبريل ومحمد صلوات الله عليهما وعن الصحابة والتابعين لهم باحسان وأئمة المسلمين والجماعة أنهم كانوا لا يعرفون شيأ من معاني هذه الآيات بل استأثر الله بعلم معناها كما استأثر بعلم وقت الساعة وانما كانوا يقرؤن ألفاظا لا يفهمون لها معنى كما يقرأ الانسان كلاما لا يفهم منه شيأ فقد كذب على القوم والنقول المتواترة عنهم تدل على نقيض هذا وأنهم كانوا يفهمون هذا كما يفهمون غيره من القرآن وان كان كنه الرب عز وجل لا يحيط به العباد ولا يحصون ثناء عليه فذلك لا يمنع أن يعلموا من أسمائه وصفاته ماعلمهم سبحانه وتعالى كما أنهم اذا علموا أنه بكل شيء عليم وأنه على كل شيء قدير لم يلزم أن يعرفوا كيفية علمه وقدرته واذا عرفوا أنه حق موجود لم يلزم أن يعرفوا كيفية ذاته وهذا مما يستدل به على أن الراسخين يعلمون التأويل فان الناس متفقون على أنهم يعرفون تأويل المحكم ومعلوم أنهم لا يعرفون كيفية ماأخبر الله به عن نفسه في الآيات المحكمات فدل ذلك على أن عدم العلم بالكيفية لا ينفي العلم بالتأويل الذي هو تفسير الكلام وبيان معناه بل يعلمون تأويل المحكم والمتشابه ولا يعرفون كيفية الرب لا في هذا ولا في هذا

فان قيل هذا يقدح فيما ذكرتم من الفرق بين التأويل الذي يراد به التفسير وبين التأويل الذي في كتاب الله تعالى قيل لا يقدح في ذلك فان معرفة تفسير اللفظ ومعناه وتصور ذلك في القلب غير معرفة الحقيقة الموجودة في الخارج المرادة بذلك الكلام فان الشيء له وجود في الاعيان ووجود في الاذهان ووجود في اللسان ووجود في البيان فالكلام لفظ له معنى في القلب ويكتب ذلك اللفظ بالخط فاذا عرف الكلام وتصور معناه في القلب وعبر عنه باللسان فهذا غير الحقيقة الموجودة في الخارج وليس كل من عرف الاول عرف عين الثاني مثال ذلك أن أهل الكتاب يعلمون ما في كتبهم من صفة محمد صلى الله عليه وسلم وخبره ونعته وهذا معرفة الكلام ومعناه وتفسيره وتأويل ذلك هو نفس محمد المبعوث فالمعرفة بعينه معرفة تأويل ذلك الكلام وكذلك الانسان قد يعرف الحج والمشاعر كالبيت والمساجد ومنى وعرفة ومزدلفة ويفهم معنى ذلك ولا يعرف الأمكنة حتى يشاهدها

(١) جملة فمن قال الخ هي جواب قوله « وأما اذا جعل معرفة المعنى وتفسيره تأويلا » الخ

جملة المكونات مخلوقة بقدرة الله تعالى فما وجه تخصيص خلق آدم صلى الله عليه وسلم سيما بلفظ المثنى وما وجه الجمع فى قوله (بأعيننا) أجيب بانه أريد كمال القدرة وتخصيص آدم تشريف له وتكريم . ومعنى (تجري بأعيننا) انها تجري بالمكان المحوط بالكلاءة والحفظ والرعاية يقال فلان بمرأى من الملك ومسمع اذا كان بحيث تحوطه عنايته ، وتكتنفه رعايته ، وقيل المراد الاعين التي انفجرت من الارض وهو بعيد . وفي كلام المحققين من علماء البيان أن قولنا الاستواء مجاز عن الاستيلاء واليد واليمين عن القدرة والعين عن البصر ونحو ذلك إنما هو لنفي وهم التشبيه والتجسيم بسرعة وإلا فهي تمثيلات وتصويرات للمعاني العقلية بابرازها فى الصور الحسيه وقد بينا ذلك في شرح التلخيص » اه كلام السعد ونحوه في المواقف وشرحه

ومثل هذه الصفات التي هي في الحادث أعضاء وحركات أعضاء الصفات التي هي في الحادث انفعالات نفسية كالمحبة والرحمة والرضا والغضب والكراهة فالسلف يمرونها على ظاهرها مع تنزيه الله تعالى عن انفعالات المخلوقين فيقولون ان لله تعالى محبة تليق بشأنه ليست انفعالا نفسيا كمحبة الناس . والخلف يؤولون ماورد من النصوص في ذلك فيرجعونه الى القدرة أو الارادة فيقولون الرحمة هي الاحسان بالفعل أو ارادة الاحسان ومنهم من لا يسمي هذا تأويلا بل يقولون إن الرحمة تدل على الانفعال الذي هو رقة القلب المخصوصة على الفعل الذي يترتب على ذلك الانفعال وقالوا ان هذه الالفاظ اذا أطلقت على الباري تعالى يراد بها غاياتها التي هي أفعال دون مباديها التي هي انفعالات

وانما يردون هذه الصفات الى القدرة والارادة بناء على أن إطلاق لفظ القدرة والارادة وكذا العلم على صفات الله إطلاق حقيقي لا مجازي والحق أن جميع ما أطلق على الله تعالى فهو منقول مما أطلق على البشر ولما كان العقل والنقل متفقين على تنزيه الله تعالى عن مشابهة البشر تعين أن نجمع بين النصوص فنقول إن لله تعالى قدرة حقيقية ولكنها ليست كقدرة البشر وان له رحمة ليست كرحمة البشر وهكذا نقول في جميع ما أطلق عليه تعالى جمعا بين النصوص ولا ندعي

يكون صاحبه مضطرباً في شيء من دينه. وقالوا ان الخلاف في التأويل والتفويض مبني على الخلاف في قوله تعالى (والراسخون في العلم) هل هو معطوف على ماقبله أم الواو للاستئناف والراسخون مبتدأ خبره (يقولون آمنا به) الخ هذا ملخص ما يلقن الطلاب فى هذا العصر كتبناه من غير مراجعة لهذه الكتب القاصرة التي اعتمد عليها الازهريون ومن على شاكلتهم فليراجعها من شاء في حاشية الجوهرة للباجوري عند قول المتن

وكل نص أوهم التشبيها أوّله أو فوّض ورم تنزيها

وكنا نظن في أوائل الطلب ان مذهب السلف ضعيف وأنهم لم يؤولوا كما أوّل الخلف لأنهم لم يبلغوا مبلغهم من العلم والفهم لاسيما الحنابلة كلهم أو بعضهم . ولما تغلغلنا في علم الكلام وظفرنا بعد النظر في الكتب التي هي منتهى فلسفة الاشاعرة في الكلام بالكتب التي تبين مذهب السلف حق البيان لاسيما كتب ابن تيمية علمنا علم اليقين أن مذهب السلف هو الحق الذي ليس وراءه غاية ولا مطلب وان كل ماخالفه فهو ظنون وأوهام لا تغني من الحق شيئاً

وذهب بعض العلماء الى مذهب بين المذهبين ففرق بين النص المتشابه الذي اذا صرف عن ظاهره يتعين فيه معنى واحد من المجاز وبين ما يحتمل أكثر من معنى فأوجب تأويل الاول دون الثاني . والمشهور أن الناس قسمان مثبتون للصفات ونافون لها وأكثر المحدثين وأهل الأثر مثبتون مفوضون وأكثر المتكلمين نفاة مؤولون . قال السعد التفتازاني فى مبحث الصفات المختلف فيها من شرح المقاصد : « ومنها ما ورد به ظاهر الشرع وامتنع حملها على معانيها الحقيقية مثل الاستواء في قوله تعالى (الرحمن على العرش استوى) واليد في قوله تعالى (يد الله فوق أيديهم : وما منعك ان تسجد لما خلقت بيديّ) والوجه فى قوله تعالى (ويبقى وجه ربك) والعين في قوله (ولتصنع على عيني : و : تجري بأعيننا) فعن الشيخ أن كلا منها صفة زائدة وعن الجمهور وهو أحد قولي الشيخ إنها مجازات فالاستواء مجاز عن الاستيلاء أو تمثيل وتصوير لعظمة الله تعالى واليد مجاز عن القدرة والوجه عن الوجود والعين عن البصر . فان قيل

واضع اللغة حتى يعبر عنها بعبارة تدل على كنه جلالها وخصوص حقيقتها فلم يكن لها في العالم عبارة لعلو شأنها وانحطاط رتبة واضعي اللغات عن أن يمتد فهمهم الى مبادي اشراقها فانخفضت عن ذروتها أبصارهم كما تنخفض أبصار الخفافيش عن نور الشمس لا لغموض في نور الشمس ولكن لضعف في أبصار الخفافيش فاضطر الذين فتحت أبصارهم لملاحظة جلالها الى أن يستعيروا من حضيض عالم المتناطقين باللغات عبارة تفهم من مبادي حقائقها شيئاً ضعيفاً جداً فاستعاروا لها اسم القدرة فتجاسرنا بسبب استعارتهم على النطق فقلنا الله تعالى صفة هي القدرة عنها يصدر الخلق والاختراع .

« ثم الخلق ينقسم في الوجود الى أقسام وخصوص صفات ومصدر انقسام هذه الاقسام واختصاصها بخصوص صفاتها صفة أخرى استعير لها بمثل الضرورة التي سبقت عبارة «المشيئة» فهي توهم منها أمراً مجملا عند المتناطقين باللغات التي هي حروف وأصوات للمتفاهمين بها وقصور لفظ المشيئة عن الدلالة على كنه تلك الصفة وحقيقتها كقصور لفظ القدرة

« ثم انقسمت الافعال الصادرة من القدرة الى ما ينساق إلى المنتهى الذي هو غاية حكمتها والى ما يقف دون الغاية وكان لكل واحد نسبة الى صفة المشيئة لرجوعها الى الاختصاصات التي بها تم القسمة والاختلافات فاستعير لنسبة البالغ غايته عبارة «المحبة» واستعير لنسبة الواقف دون غايته عبارة «الكراهة» وقيل انهما داخلان في وصف المشيئة ولكن لكل واحد خاصية أخرى في النسبة يوهم لفظ المحبة والكراهة منهما أمراً مجملا عند طالبي الفهم من الالفاظ واللغات» اه المراد . ثم ذكر نحو ذلك في الرضا والغضب والكفر والشكر و بين ان المرضي عنه من كان في عمله متمما لحكمة الله تعالى في عباده أي بالقيام بسننه الكونية والشرعية وهو الشاكر لله أو الشكور والمغضوب عليه ضده وهو الكافر أو الكفور . وليس في هذا البيان العجيب من منازع المتكلمين الا جعل المحبة والكراهة والرضا والغضب داخلة في وصف المشيئة على تردد في ذلك والاشبه بمذهب السلف ان يقال انها شؤون خاصة لله تعالى ظهر أثرها في خلقه بما ذكر .

وقال في كتابه (المقصد الاسنى في شرح أسماء الله الحسنى): وكأنا اذا عرفنا

ان إطلاق بعضها حقيقي واطلاق البعض الآخر مجازي فكما أن القدرة شأن من شؤونه لا يعرف كنهه ولا يجهل أثره كذلك الرحمة شأن من شؤونه لا يعرف كنهه ولا يخفى أثره وهذا هو مذهب السلف فهم لا يقولون ان هذه الالفاظ لا يفهم لها معنى بالمرة ولا يقولون انها على ظاهرها بمعنى أن رحمة الله كرحمة الانسان و يده كيده وان ظن ذلك في الحنابلة بعض الجاهلين . ومحققو الصوفية لا يفرقون بين صفات الله تعالى ولا يجعلون بعضها محكما اطلاق اللفظ عليه حقيقي و بعضها متشابها اطلاقه عليه مجازي بل كل ما أطلق عليه تعالى فهو مجاز

قال الامام أبو حامد الغزالي في بيان معنى محبة الله للعبد من الاحياء بعد كلام : «وقد ذكرنا ان محبة الله تعالى حقيقة وليست بمجاز اذ المحبة في وضع اللسان عبارة عن ميل النفس الى الشيء الموافق والعشق عبارة عن الميل الغالب المفرط وقد بينا أن الاحسان موافق للنفس والجمال موافق أيضا وان الجمال والاحسان تارة يدرك بالبصر وتارة يدرك بالبصيرة والحب يتبع كل واحد منهما فلا يخص بالبصر . فأما حب الله للعبد فلا يمكن أن يكون بهذا المعنى أصلا حتى ان اسم الوجود الذي هو أعم الاسماء اشتراكا لا يشمل الخالق والخلق على وجه واحد بل كل ماسوى الله تعالى فوجوده مستفاد من وجود الله تعالى فالوجود التابع لا يكون مساويا للوجود المتبوع وانما الاستواء في اطلاق الاسم نظير اشتراك الفرس والشجر في اسم الجسم اذ معنى الجسمية وحقيقتها متشابه فيهما من غير استحقاق أحدهما لانه يكون فيه أصلا فليست الجسمية لاحدهما مستفادة من الآخر وليس كذلك اسم الوجود لله ولا لخلقه . وهذا التباعد في سائر الاسامي أظهر كالعلم والارادة والقدرة وغيرها فكل ذلك لا يشبه فيه الخالق الخلق وواضع اللغة انما وضع هذه الاسامي أولا للخلق فان الخلق أسبق الى العقول والافهام من الخالق فكان استعمالها في حق الخالق بطريق الاستعارة والتجوز والنقل » اهما نريده ثم فسر محبة الله للعبد بكلام طويل فيه مجال للبحث والنظر

وقال في كتاب الشكر من الاحياء : « ان لله عز وجل في جلاله وكبريائه صفة عنها يصدر الخلق والاختراع وتلك الصفة أعلى وأجل من أن تلمحها عين

يجب ارجاعه اليها ولا نعده صفة زائدة والسلف الأثريون يقولون لا نفرق بين صفات الله تعالى التي أثبتها لنفسه في كتابه وعلى لسان رسوله . وانما هذا خلاف صوري اذ لا خلاف في التنزيه وفي كون كل ماجاء عن الله في ذلك حق ولولا ان المسلمين انقسموا الى مذاهب عني أهل كل مذهب منها باثبات مذهبهم وتأييده ، وابطال مخالفه وتفنيده ، لزال هذا الخلاف وعرف الأكثرون الحق صورة ومعنى حتى لا يشنع أشعري على حنبلي ولا أثري على نظري ولذلك ترى محققي المتكلمين رجعوا في آخر عهدهم الى مذهب السلف وبذلك صرح الشيخ أبو الحسن الاشعري في الابانة وأبو حامد الغزالي في (إلجام العوام عن علم الكلام) وغيره من كتبه التي ألفها في آخر حياته

هذا ولا ننكر أن الاثريين من الحنابلة وغيرهم قد وقع لبعضهم مايكاد يكون نصاً في التجسيم ، أو جعل كل ماورد في صفات الله وأفعاله صفات لانهم وانما تؤخذ بالتسليم ، وانما العبرة بما كتبه علماؤهم المحققون كابن تيمية وابن القيم وقد قال ابن تيمية ان خطأ المتكلمين في نفي الصفات أكثر وخطأ الاثريين في الاثبات أكثر .
أقول ومن عجيب صنع بعضهم انهم ذكروا السمع والبصر والكلام وعدوها من الصفات التي عليها مدار الايمان بالالوهية على انهم سموها صفات سمعية ولم يذكروا الحكمة والرحمة والمحبة مع ان السمع ورد بها والدلائل العقلية عليها أظهر اذ العقل يجيز أن يقال ان صفة العلم الالهي محيطة بالمسموعات والمبصرات وبذلك يسمى سميعاً بصيرا ولا حاجة الى القول بان السمع والبصر صفتان زائدتان من صفات الالوهية ولا يظهر مثل هذا القول في ادراج الحكمة والرحمة والمحبة ونحوها في صفتي الارادة والقدرة

وانني انقل في هذا المقام جملة من كلام أهل الاثر وتابعي السلف في معنى ماتقدم من عدم التفرقة بين صفات الله تعالى ليعلم الجامدون على مافي كتب الكلام والتفسير التي ألفها الاشاعرة انهم كتبوا بعقل، وهم أجود الناس فهما للنقل، . جاء في شرح عقيدة السفاريني الحنبلي في هذا المبحث ما نصه :

« قال شيخ الاسلام في التدمرية القول في بعض الصفات كالقول في بعض فان كان المخاطب ممن يقر بأن الله تعالى حي بحياة عليم بعلم قدير بقدرة سميع بسمع بصير ببصر متكلم بكلام مريد بارادة ويجعل ذلك كله حقيقة وينازع

ان الله تعالى حي قادر عالم فلم نعرف أولا الا أنفسنا ولم نعرفه الا بأنفسنا اذ الاصم لا يتصور معنى قولنا ان الله سميع والأكمه لا يعرف معنى قولنا انه بصير وكذلك اذا قال القائل كيف يكون الله تعالى عالما بالاشياء فنقول له كما تعلم أنت أشياء فاذا قال كيف يكون قادرا فنقول كما تقدر أنت فلا يمكنه ان يفهم شيئا الا اذا كان فيه ما يناسبه فيعلم أولا ما هو متصف به ثم يعلم غيره بالمناسبة اليه فاذا كان لله وصف وخاصية ليس فينا ما يناسبه ويشاركه ولو في الاسم لم يتصور فهمه ألبتة فما عرف أحد الا نفسه ثم قايس بين صفات الله تعالى و بين صفات نفسه وتعالى صفات الله تعالى وتتقدس عن ان تشبه صفاتنا » اه

فحاصل ما تقدم أن جميع ما أطلق على الله تعالى من الاسماء والصفات هو مما أطلق قبل ذلك على الخلق اذ لو وضع لصفات الله تعالى ألفاظ خاصة وخوطب بها الناس لما فهموا منها شيئا قال تعالى (١٤: ٤ وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم) وقد جاء الرسل عليهم الصلاة والسلام بما دل عليه العقل من تنزيهه تعالى عن صفات المخلوقين وكونه لا يماثل شيئا ولا يماثله شيء فعلم ان جميع ما أطلقوه عليه من الألفاظ الدالة على الصفات كالقدرة والرحمة وعلى الافعال والحركات كالخلق والرزق والاستواء على العرش وعلى الاضافة ككونه فوق عباده لا ينافي أصل التنزيه بل يجب الايمان بها و بما يدل عليه مع التنزيه فنقول انه له قدرة ليست كقدرتنا ورحمة ليست كرحمتنا وخلقا ليس كخلقنا فان الخلق في اللغة التقدير المعروف من الناس للاشياء وهو تعالى أحسن الخالقين لا يخلق كخلقه أحد كما قال (١٣: ١٦ أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار) وليس استواؤه على عرشه كاستواء الملوك على عروشهم كما ان عرشه ليس كعروشهم ولا علوه على خلقه كعلو بعض الاجسام على بعض كما انه تعالى ليس جسما مماثلا لهم . والسلف والخلف أو الأثريون والمتكلمون كلهم متفقون على تنزيه الله تعالى عن مماثلة خلقه وعلى أن جميع ما جاء على ألسنة الرسل في وصفه تعالى والحكاية عنه حق إلا أن المتكلمين يقولون ان العقل دل على أن لهذا العالم خالقا عالما مريدا قادرا فهذه الصفات ثابتة له عقلا وعليها مدار اثبات الالوهية بالبرهان لان جميع الكائنات دالة عليها فما يرد من الصفات السمعية

أوليائه وعقاب أعدائه والغايات الموجودة في مفعولاته ومأموراته وهي ماتنتهي اليه مفعولاته ومأموراته من العواقب الحميدة تدل على حكمته البالغة كما يدل التخصيص على الادارة وأولى لقوة العلة الغائية ولهذا كان مافى القرآن من بيان مخلوقاته من النعم والحكم أعظم مما فى القرآن من بيان مافيها من الدلالة علي محض المشيئة

« قال شيخ الاسلام طيب الله مضجعه ومما يوضح ذلك أن وجوب تصديق كل مسلم بما أخبر به الله ورسوله من صفاته تعالى ليس موقوفا على أن يقوم دليل عقلي على تلك الصفة بعينها فان مما يعلم بالاضطرار من دين الاسلام أن الرسول اذا أخبرنا بشيء من صفات الله تعالى وجب علينا التصديق به وان لم نعلم ثبوته بعقولنا ومن لم يقر بما جاء به الرسول حتى يعلمه بعقله فقد أشبه الذين قال الله عنهم (وقالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله الله أعلم حيث يجعل رسالاته) ومن سلك هذا السبيل فليس فى الحقيقة مؤمنا بالرسول ولا متلقيا عنه الاخبار بشأن الربوبية ولا فرق عنده بين أن يخبر الرسول بشيء من ذلك أو لم يخبر به فان ما أخبر به اذا لم يعلمه بعقله لا يصدق به بل يتأوله أو يفوضه ومالم يخبر به ان علمه بعقله آمن به فلا فرق عند من سلك هذه السبيل بين وجود الرسول واخباره و بين عدم الرسول واخباره وكان مايذكر من القرآن والحديث والاجماع عديم الاثر عنده.

قال شيخ الاسلام فى شرح الاصفهانية وقد صرح بهذا أئمة هذا الطريق قال ثم أهل الطريق الثبوتية فيهم من يحيل على الكشف وكل من الطريقين فيها من الاضطراب والاختلاف ما لا ينضبط وليست واحدة منها تحصل المقصود بدون الطريق النبوية والطريق النبوية بها يحصل الايمان النافع في الآخرة ثم ان حصل قياس أو كشف يوافق ماأخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم كان حسنا مع أن القرآن قد نبه على الطريق الاعتبارية التي بها يستدل على مثل مافي القرآن كما قال تعالى (سنريهم آياتنا فى الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق) فاخبر أنه يري عباده من الآيات المشهودة التي هي أدلة عقلية ما يبين أن القرآن حق وليس لقائل أن يقول انما خصت هذه الصفات بالذكر لان السمع موقوف عليها دون غيرها فان الامر ليس كذلك لان التصديق بالسمعيات ليس موقوفا علي اثبات السمع والبصر ونحو ذلك ثم قال شيخ

في محبته تعالى ورضاه وغضبه وكراهته فيجعل ذلك مجازا ويفسره اما بالارادة واما ببعض المخلوقات من النعم والعقوبات قيل له لا فرق بين ما نفيته وبين ما أثبته بل القول في أحدهما كالقول في الآخر فان قلت ان ارادته مثل ارادة المخلوقين فكذلك محبته ورضاه وغضبه وهذا هو التمثيل وان قلت له ارادة تليق به كما أن للمخلوق ارادة تليق به قيل لك وكذلك له محبة تليق به وللمخلوق محبة تليق به وله تعالى رضى وغضب يليق به كما للمخلوق رضى وغضب يليق به فان قال الغضب غليان دم القلب لطلب الانتقام قيل له والارادة ميل النفس الى جلب منفعة أو دفع مضرة فان قلت هذه ارادة المخلوق قيل لك وهذا غضب المخلوق وكذلك يلزم بالقول في علمه وسمعه وبصره وقدرته ونحو ذلك فهذا الفرق بين بعض الصفات وبعض يقال له فيما نفاه كما يقوله هو لمنازعه فيما أثبته فان قال تلك الصفات أثبتها بالعقل لان الفعل دل على القدرة والتخصيص دل على الادارة والإحكام دل على العلم وهذه الصفات مستلزمة للحياة والحي لا يخلو عن السمع والبصر والكلام أوضد ذلك قال له سائر أهل الاثبات لك جوابان (أحدهما) أن يقال عدم الدليل المعين لا يستلزم عدم المدلول المعين فهب ان ماسلكته من الدليل العقلي لا يثبت ذلك فانه لا ينفيه وليس لك أن تنفيه من غير دليل لان النافي عليه الدليل كما على المثبت والسمع قد دل عليه ولم يعارض ذلك معارض عقلي ولا سمعي فيجب اثبات ما أثبته الدليل السالم عن المعارض المقاوم (الثاني) أن يقال يمكن اثبات هذه الصفات بنظير ما أثبت به تلك من العقليات فيقال نفع العباد بالاحسان اليهم وما يوجد في المخلوقات من المنافع للمحتاجين وكشف الضر عن المضرورين وأنواع الرزق والهدى والمسرات دليل على رحمة الخالق كدلالة التخصيص على الارادة والمشيئة والقرآن يثبت دلائل الربوبية بهذه الطريق تارة يدلهم بالآيات المخلوقة على وجود الخالق ويثبت علمه وقدرته وحياته وتارة يدلهم بالنعم والآيات على وجود بره واحسانه المستلزم رحمته وهذا كثير في القرآن وان لم يكن مثل الاول أو أكثر منه لم يكن أقل منه بكثير واكرام الطائعين يدل على محبتهم وعقاب الكفار يدل على بغضهم كما قد ثبت بالشاهد والخبر من اكرام

حكم العظمة لربوبية أن يكون فوق ملكه وأن تكون المملكة تحته باعتبار الحدوث من الكون لا باعتبار القدم المكون فاذا أشير اليه بشيء يستحيل أن يشار اليه من جهة التحتية أو من جهة اليمنة أو من جهة اليسرة بل لا يليق أن يشار اليه الا من جهة العلو والفوقية ثم الاشارة هي بحسب الكون وحدوثه وأسفله فالاشارة تقع على اعلا جزء من الكون حقيقة وتقع على عظمة الله تعالى كما يليق به لا كما يقع على الحقيقة المحسوسة عندنا فى أعلا جزء من الكون فانها اشارة الى جسم وتلك الى اثبات . اذا علم ذلك فالاستواء صفة كانت له سبحانه وتعالى فى قدمه لكن لم يظهر حكمها إلا خلق العرش كما أن الحساب صفة قديمة لا يظهر حكمها الا في الآخرة وكذلك التجلي في الاخرة لا يظهر حكمه الا في محله قال واذا علم ذلك فالامر الذى تهرب المتأولة منه حيث أولوا الفوقية بفوقية المرتبة والاستواء بالاستيلاء فنحن أشد الناس هربا من ذلك وتنزيها للباري تعالى عن الحد الذي لا يحصره فلا يحد بحد يحصره بل بحد تتميز به عظمة ذاته عن مخلوقاته والاشارة الى الجهة انما هو بحسب الكون وسفله اذ لا تمكن الاشارة اليه الا هكذا وهو فى قدسه سبحانه منزه عن صفات الحدث وليس القدم فوقية ولا تحتية وانما من هو محصور في التحت لا يمكنه معرفة بارئه الا من فوقه فتقع الاشارة الى العرش حقيقة اشارة معقولة وتنتهي الجهات عند العرش و يبقى ما وراءه لا يدركه العقل ولا يكفيه الوهم فتقع الاشارة عليه كما يليق به مجملا مثبتا مكيفا لا ممثلا (قال) فاذا علمنا ذلك واعتقدناه تخلصنا من شبهة التأويل وعماوة التعطيل وحماقة التشبيه والتمثيل وأثبتنا علو ربنا وفوقيته واستواءه على عرشه كما يليق بجلاله وعظمته والحق واضح في ذلك والصدر ينشرح له فان التحريف تأباه العقول الصحيحة مثل تحريف الاستواء بالاستيلاء وغيره والوقوف في ذلك جهل وغي مع كون الرب وصف نفسه بهذه الصفات لنعرفه بها فوقوفنا عن اثباتها ونفيها عدول عن المقصود منه في تعريفنا اياها فما وصف لنا نفسه بها الا لنثبت ما وصف به نفسه ولا نقف فى ذلك قال وكذلك التشبيه والتمثيل حماقة وجهالة فمن وفقه الله للاثبات فلا تحريف ولا تكييف ولا وقوف فقد وقع على الامر المطلوب منه ان شاء الله تعالى والله أعلم اه

الاسلام قدس الله روحه والمقصود هنا التنبيه على أن ما يجب اثباته لله تعالى من الصفات ليس مقصورا على ما ذكره هؤلاء مع اثباتهم بعض صفاته بالعقل و بعضها بالسمع فان من عرف حقائق أقوال الناس بطرقهم التي دعتهم الى تلك الاقوال حصل له العلم والرحمة فعلم الحق ورحم الخلق وكان مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وهذه خاصة أهل السنة المتبعين للرسول صلى الله عليه وسلم فانهم يتبعون الحق و يرحمون من خالفهم باجتهاده حيث عذره الله ورسوله وأما أهل البدع فيبتدعون بدعة باطلة ويكفرون من خالفهم فيها انتهى وبالله التوفيق

أقول وقد اشتهر عن الحنابلة وغيرهم من أهل الاثر اثبات صفة العلو لله تعالى حتى رماهم بعض المتكلمين بالقول بالتجسيم لان ذلك قول بالجهة وهو يستلزم الحد والجسمية فآخذوهم بلازم المذاهب وهم يجهلون مذهبهم وهم لم يقولوا الا بالنقل الموافق للعقل وهاك كلام واحد منهم نقلا عن شرح عقيدة السفاريني وهو:

«ذكر الامام أبو العباس عماد الدين أحمد الواسطي الصوفي المحقق العارف تلميذ شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله سرهما الذي قال فيه شيخ الاسلام انه جنيد زمانه في رسالته نصيحة الاخوان ما حاصله في مسئلة العلو والفوقية والاستواء هو أن الله عز وجل كان ولا مكان ولا عرش ولا ماء ولا فضاء ولا هواء ولا خلاء ولا ملاء وأنه كان منفردا في قدمه وأزليته متوحدا في فردانيتـه لا يوصف بانه فوق كذا اذ لا شيء غـيره هو تعـالى بسـابق التحت والفوق اللذين هما جهتا العالم وهو لا زمان له تعالى وهو تعالى في تلك الفردانية منزه عن لوازم الحدث وصفاته فلما اقتضت الارادة أن يكون الكون له جهات من العلو والسفل وهو سبحانه منزه عن صفات الحدث فكوّن الاكوان وجعل جهتي العـلو والسفل واقتضت الحـكمة الإلهية أن يكون الكون في جهة التحت لكونه مربوبا مخلوقا واقتضت العظمة الربانية أن يكون هو تعالى فوق الكون باعتبار الكون لا باعتبار فردانيته اذ لا فوق فيها ولا تحت والرب سبحانه وتعالى كما كان في قدمه وأزليته وفردانيته لم يحدث له في ذاته ولا في صفاته مالم يكن له في قدمه وأزليتـه فهو الآن كما كان. لما أحدث المربوب المخلوق ذا الجهات والحدود والملا ذا الفوقية والتحتية كان مقتضي

توفير خيرهم من تنمية رزقه وكأنه بهذه الغيبة في سبات يخيله الناظر اليه صحوا وذبول يظنه المغرور زهوا وأخذ القنوط بآمال اولئك المدهوشين فأبادها وحدثت فيهم قناعة البهم والرضا بكل حال ولئن تنبه خاطر للحق في خيال احدهم او استفزه داع من قلبه الى ما يكسب ملته شرفا او يعيد لها مجدا عده هوسا وهذيانا اصيب به من ضعف في المزاج او خلل في البنية اوحسب أنه لو أجاب داعي الذمة لعاد عليه بالو بال واورده موارد الهلكة او لصار من اقرب الاسباب لزوال نعمته ونكد معيشته ويحكم لنفسه سلاسل من الجبن وأغلالا من اليأس فتغل يداه عن العمل وتقف قدماه عن السعي ويحس بعد ذلك بغاية العجز عن كل ما فيه خيره وصلاحه ويقصر نظره عن درك ما اتى اسلافه من قبله وتجمد قريحته عن فهم ما قام به أولئك الآباء الذين تركوه خليفة على ما كسبوا وقيما على ما أورثوه لاعقابهم ويبلغ هذا المرض من الامة حدا يشرف بها على الهلاك ويطرحها على فراش الموت فريسة لكل عاد وطعمة لكل طاعم .

نعم رأيت كثيرا من الامم لم تكن ثم كانت، وارتفعت ثم انحطت، وقويت ثم ضعفت، وعزت ثم ذلت، وصحت ثم مرضت، ولكن أليس لكل علة دواء ؟ بلى وا أسفا ما أصعب الداء وما اعز الدواء . وما اقل العارفين بطرق العلاج كيف يمكن جمع الكلمة بعد افتراقها وهي لم تفترق الا لأن كلا عكف على شأنه ... استغفر الله ، لو كان له شأن يعكف عليه لما انفصل عن اخيه وهو أشد اعضائه اتصالا به ولكنه صرف لشؤون غيره وهو يظنها من شؤون نفسه نعم ربما التفت كل الى ما هو في فطرة كل حي من ملاحظة حفظ حياته بمادة غذائه وهو لا يدري من أي وجه يحصلها ولا بأية طريقة يكون في أمن عليها . كيف تبعث الهمم بعد موتها وما ماتت الا بعد ما سكنت زمانا غير قصير الى ما ليس من معاليها ؟ هل من السهل رد التائه الى الصراط المستقيم وهو يعتقد ان الفوز في سلوك سواه خصوصا بعد ما استدبر المقصد وفي كل خطوة يظن انه على مقربة من الحظوة ؟ كيف يمكن تنبيه المستغرق في منامه المبتهج بأحلامه وفي اذنه وقر وفي ملامسه خدر؟ هل من صيحة تقرع قلوب الآحاد المتفرقة من أمة عظيمة

باب المقالات

ماضي الامة وحاضرها وعلاج عللها

(نشرت في العدد الثالث من العروة الوثقى بالعنوان الآتي) (١)

سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا

أرأيت أمة من الامم لم تكن شيئاً مذكوراً ثم انشق عنها عماء العدم فاذا هي بحمية كل واحد منها كون بديع النظام قوي الاركان شديد البنيان عليها سياج من شدة البأس ويحيطها سور من منعة الهمم تخمد في ساحاتها عاصفات النوازل وتنحل بأيدي مدبريها عقد المشاكل نمت فيها افنان العزة بعد ما ثبتت أصولها ورسخت جذورها وامتد لها السلطان على البعيد عنها والداني اليها ونفذت منها الشوكة وعلت لها الكلمة وكملت القوة فاستعلت آدابها على الآداب وسادت أخلاقها وعاداتها على ما كان من ذلك لسابقيها ومعاصريها وأحست مشاعر سواها من الامم بان لا سعادة الا في انتهاج منهجها وورود شريعتها وصارت وهي قليلة العدد كثيرة الساحات كأنها للعالم روح مدبر وهو لها بدن عامل

وبعد هذا كله وهي بناؤها وانتثر منظومها وتفرقت فيها الاهواء وانشقت العصا وتبدد ما كان مجتمعاً وانحل ما كان منعقدا وانفصمت عرى التعاون وانقطعت روابط التعاضد وانصرفت عزائم أفرادها عما يحفظ وجودها ودار كل في محيط شخصه المحدود بنهايات بدنه لا يلمح في مناظره بارقة من حقوقها الكلية والجزئية وهو في غيبة عن ان ضروريات حاجاته لا تنال الا على أيدي الملتحمين معه بلحمة الامة وأنه أحوج الى شد عضدهم من تقوية ساعده والى

(١) نشرنا هذه المقالة في المجلد الأول من المنار ونعيد نشرها الآن لما فيها من التذكير الذي يجب أن لا ينسى والعنوان لنا

ظن أقوام في هذه الازمان ان أمراض الامم تعالج بنشر الجرائد وأنها تكفل انهاض الهمم وتنبيه الافكار وتقويم الاخلاق كيف يصدق هذا الظن وإنا لو فرضنا أن كتاب الجرائد لا يقصدون بما يكتبون الانجاح الامم مع التنزه عن الاغراض فبعد ماعم الذهول واستولت الدهشة على العقول وقل القارئون والكاتبون لاتجد لها قارئ ولئن وجدت القارئ فقلما تجد الفاهم والفاهم قد يحمل مايجده على غير مايراد منه لضيق في التصور أو ميل مع الهوى فلا يكون منه الا سوء التأثير فيشبه غذاء لا يلائم الطبع فيزيد الضرر اضعافاً . على ان الهمة اذا كانت في درك الهبوط فمن يستطيع تفهيمها فائدة الجرائد حتى تتجه منها الرغبات لاستطلاع مافيها مع قصر المدة وتدفق سيول الحوادث؟ ان هذا وحقك لعزيز.

ويظن أقوام آخرون ان الامة المنبثة في أقطار واسعة من الارض مع تفرق أهوائها واخلادها الى مادون رتبتها بدرجات لاتحصر ورضاها بالدون من العيش والتماس الشرف بالانتماء لمن ليس من جنسها ولا مشربها بل لمن كان خاضعاً لسيادتها راضخاً لاحكامها مع هذا كله يتم شفاؤها من هذه الامراض القاتلة بانشاء المدارس العمومية دفعة واحدة في كل بقعة من بقاعها وتكون على الطرز الجديد المعروف بأوربا حتى تعم المعارف جميع الافراد في زمن قريب ومتى عمت المعارف كملت الاخلاق واتحدت الكلمة واجتمعت القوة . وما أبعد ما يظنون فان هذا العمل العظيم انما يقوم به سلطان قوي قاهر يحمل الامة على ماتكره ازمانا حتى تذوق لذته وتجني ثمرته ثم يكون ميلها الصادق من بعد نائبا عن سلطته في تنفيذ ماأراد من خيرها ويلزم له ثروة وافرة تفي بنفقات تلك المدارس وهي كثيرة وموضوع كلامنا في الضعف ودواءه فهل مع الضعف سلطة تقهر وثروة تغني ولو كان للأمة هذان لما عدت من الساقطين . فان قالوا يمكن التدريج مع الاستمرار والثبات وافقناهم على الامكان لولا مايكون من طمع الاقوياء حتى لا يدعون لهم سبيلا لان يستنشقوا نسيم القوة فأين الزمان لنجاح تلك الوسائل البطيئة الاثر . . على أنا لو فرضنا مسالمة الدهر ومنحت الامة مدة من الزمان

تتباعد انحاؤها وتتناءى أطرافها وتتباين عاداتها وطباعها؟ هل من نبأة تجمع أهواءها المتفرقة وتوحد آراءها المتخالفة بعد ما ترا كم جهل وران غين وخيل للعقول ان كل قريب بعيد وكل سهل وعر؟ أيم الله انه لشيء عسير يعيا في علاجه النطاسي ويحار فيه الحكيم البصير . هل يمكن تعيين الدواء الا بعد الوقوف على أصل الداء وأسبابه الأولى والعوارض التى طرأت عليه؟ ان كان المرض في أمة فكيف يمكن الوصول الى علله وأسبابه الا بعد معرفة عمرها وما اعتراها فيه من تنقل الاحوال وتنوع الاطوار؟ أيمكن لطبيب يعالج شخصا بعينه أن يختار له نوعا من العلاج قبل ان يعرف ما عرض له من قبل في حياته ليكون على بينة من حقيقة المرض؟ والا فان كثيرا من الامراض تتولد جراثيمها في طور من أطوار العمر ثم لا تظهر الا في طور آخر لتغلب قوة الطبيعة على مادة المرض فلا يبدو أثرها .

كلا انه ليصعب على الطبيب الماهر تشخيص علة لشخص واحد سنو عمره محدودة وعوارض حياته محصورة فكيف بمن يريد مداواة ملة طويلة الأجل وافرة العدد؟ لهذا يندر في أجيال وجود بعض رجال يقومون باحياء أمة أو ارجاع شرفها ومجدها اليها وان كان المتشبهون بهم كثيرين . وكما ان المتطبب القاصر في الامراض البدنية لا يزيد علاجه المرض الا شدة لولا مساعدة الاتفاق والصدفة بل ربما يفضي بالمريض الى الموت كذلك يكون حال الذين يقومون بتعديل أخلاق الامم على غير خبرة تامة بشأنها وموجب اعتلالها ووجوه العلة فيها وأنواعها وما يكتنف ذلك من العادات وما يوجد في أفرادها من المذاهب والاعتقادات وحوادثها المتتابعة على اختلاف مواقعها من الارض ومكانتها الاولى من الرفعة ودرجتها الحالية من الضعة وتدرجها فيما بين المنزلتين فان أخطأ طالب اصلاحها في اكتناه شيء مما ذكرنا تحول الدواء داء والوجود فناء . فمن له حظ من الكمال الانساني ولم يطمس من قلبه موضع الالهام الالهي لا يجرأ على القيام بما يسمونه تربية الامم واصلاح ما فسد منها وهو يحس من نفسه أدنى قصور فى أداء هذا الامر العظيم علما أو عملا . نعم يكون ذلك من محبي الفخفخة الباطلة وطلاب العيش في ظل وظائف ليسوا من حقوقها في شيء

فهؤلاء المغرورون يغشونهم بما يذهلهم عنها وما قصدوا الاخيرا ان كانوا مخلصين ويوسعون بذلك الخصاص (الخرق فى باب ونحوه) حتى تعود أبوابا ويباعدون ما بين الضفاف حتى تصير ميادين لتداخل الاجانب تحت اسم النصحاء وعنوان المصلحين ويذهبون بأمتهم الى الفناء والاضمحلال وبئس المصير .

شيد العثمانيون والمصريون عددا من المدارس على النمط الجديد وبعثوا بطوائف منهم إلى البلاد الغربية ليحملوا اليهم مايحتاجون له من العلوم والمعارف والصنائع والآداب وكل مايسمونه تمدناً وهو في الحقيقة تمدن للبلاد التي نشأ فيها على نظام الطبيعة وسير الاجتماع الانساني . هل انتفع المصريون والعثمانيون بما قدموا لأنفسهم من ذلك وقد مضت عليهم ازمان غير قصيرة . هل صاروا أحسن حالا مما كانوا عليه قبل التمسك بهذا الحبل الجديد . هل استنقذوا أنفسهم من أنياب الفقر والفاقة هل نجوا بها من ورطات ما يلجئهم اليه الاجانب بتصرفاتهم . هل أحكموا الحصون وسدوا الثغور؟ هل نالوا بها من المنعة مايدفع عنهم غارة الأعداء عليهم ؟ هل بلغوا من البصر بالعواقب والتصرف في الافكار حدا يفل عزائم الطامعين عنهم ؟ هل وجدت فيهم قلوب مازجتها روح الحياة الوطنية فهي تؤثر مصلحة البلاد على كل مصلحة وتطلبها وان تجاوزت محيط الحياة الدنيا وان بادت في سبيلها خلفها وراث على شاكلتها كما كان في كثير من الامم؟

نعم ربما يوجد بينهم افراد يتفيهقون بألفاظ الحرية والوطنية والجنسية وما شاكلها ويصوغونها في عبارات متقطعة بتراء لانعرف غايتها ولا نعلم بدايتها ووسموا أنفسهم بزعماء الحرية أو بسمة أخرى على حسب ما يختارون ووقفوا عند هذا الحد ومنهم آخرون عمدوا الى العمل بما وصل اليهم من العلم فقلبوا أوضاع المباني والمساكن وبدلوا هيئات المآكل والملابس والفرش والآنية وسائر الماعون وتنافسوا في تطبيقها على أجود ما يكون منها في الممالك الاجنبية وعدوها من مفاخرهم وعرضوها معرض المباهاة فنسفوا بذلك ثروتهم الى غير بلادهم واعتاضوا عنها أعراض الزينة مما يروق منظره ولا يحمد أثره فأماتوا أرباب الصنائع من قومهم وأهلكوا العاملين في المهن لعدم اقتدارهم ان يقوموا بكل ماتستدعيه تلك العلوم

تكفي لبث تلك العلوم في بعض الافراد والاستزادة منها شيأ فشيأ فهل يصح الحكم بأن هـذا التدرج يفيدها فائدة جوهرية وان مايصيبه البعض منها يهيؤه للكمال اللائق به ويمكنه من القيام بارشاد الباقي من أبناء امته واعجبا كيف يكون هذا وان الامة فى بعد عن معرفة تلك العلوم الغريبة عنها وكيف بذرت بذورها وكيف نبتت واستوت على سوقها وأينعت وأثمرت و بأي ماء سقيت و بأي تربة غذيت ولا وقوف لها على الغاية التي قصدت منها في مناشئها ولا خبرة لها بما يترتب عليها من الثمرات وان وصل اليها طرف من ذلك فانما يكون ظاهرا من القول لانبأ عن الحقيقة فهل مع هذا يصيب الظن بأن مفاجأة بعض الافراد بها وسوقها الى اذهانهم المشحونة بغيرها يقوّم من أفكارهم ويعدل من اخلاقهم ويهديهم طرق الرشاد في افادة اخوانهم . لعل الاقرب ان ناقلي تلك العلوم وهم من امة هذا شأنها مع ماينعكس اليهم من الاوهـام المألوفة فيها وما رسخ في نفوسهم على عهد الصبا وما يعظمونه من أمر الامة التي تلقوا عنها علومهم يكونون بين أمتهم كخلط غريب لايزيد طباعها الا فسادا .

ماذا يكون من أولئك الناشئين فى علوم لم تكن ينابيعها من صدورهم ولو صدقوا في خدمة أوطانهم ؟ يكون منهم ما تعطيه حالهم يؤدون ما تعلموه كما سمعوه لا يراعون فيه النسبة بينه وبين مشارب الامة وطباعها وما مرنت عليه من عاداتها فيستعملونه على غير وضعه ولبعدهم عن أصله ولهوهم بحاضره عن ماضيه وغفلتهم عن آتيه يظنونه على مابلغهم هو الكمال لكل نفس والحياة لكل روح فيرومون من الصغير مالا يرام الا من الكبير و بالعكس غير ناظرين الا الى صور ماتعلموه ولا مفكرين في استعداد من يعرض عليهم وهل يكون له من طباعهم مكان محمد أو يزيدها على مابها أضعافا وما هذا الا لكونهم ليسوا أربابها وانما هم لهـا نقلة وحملة . فهؤلاء الصادقون الا من وفقه الله منهم بعنايته الالهية يكون مثلهم كمثل والدة حنون يلذ لها غذاء فتفيض منه على ولدها وهو رضيع ليساهمها في اللذة وسنه سن اللبان لا يقبل سواه فيسرع اليه المرض وينتهي به الى التلف فتكون منزلتهم من الامة منزلة الآلة المحللة يشتتون بقية الجمع و يبددون أخريات الالتئام ان كان الفساد أبقى للقوم بعض الروابط

الأرواح في أجسادها ، وتحشرها الى مواقف صلاحها وفلاحها ؟ الاقطار فسيحة الجوانب ، بعيدة المناكب . المواصلات عسرة بين الشرقي والغربي والجنوبي والشمالي ، الرؤوس مطرقة الى ماتحت القدم أو منخفضة الى مافوق السماء ، ليس للابصار جولان الى الأمام والخلف واليمين والشمال ولا للأسماع إصغاء ولا للنفوس رغبات والاهواء تحكم وللوساوس سلطان . . . . ما ذا يصنع المشفقون على الأمة والزمن قصير ؟ ماذا يحاولون ولا خطار محدقة بهم ؟ بأي سبب يتمسكون ورسل المنايا على أبوابهم ؟

لا أطيل عليك بحثاً ولا أذهب بك في مجالات بعيدة من البيان ولكني أستلفت نظرك الى سبب يجمع الاسباب ووسيلة تحيط بالوسائل . أرسل طرفك الى نشأة الأمة التي خملت بعد النباهة وضعفت بعد القوة واسترقت بعد السيادة وضيمت بعد المنعة وتبين أسباب نهوضها الأول حتى تتبين مضارب الخلل وجراثيم العلل فقد يكون ما جمع كلمتها وأنهض همم آحادها ولحم ما بين أفرادها وصعد بها الى مكانة تشرف منها على رؤوس الأمم وتسوسهم وهي في مقامها بدقيق حكمتها انما هو دين قويم الأصول محكم القواعد شامل لأنواع الحكم باعث على الألفة داع الى المحبة مزك للنفوس مطهر للقلوب من أدران الخسائس منور للعقول باشراق الحق من مطالع قضاياه كافل لكل مايحتاج اليه الانسان من مباني الاجتماعات البشرية وحافظ وجودها وينادي بمعتقديه الى جميع فروع المدنية . فان كانت هذه شرعتها ولها وردت وعنها صدرت فما تراه من عارض خللها وهبوطها عن مكانتها انما يكون من طرح تلك الأصول ونبذها ظهرياً وحدوث بدع ليست منها في شيء اقامها المعتقدون مقام الاصول الثابتة وأعرضوا عما يرشد اليه الدين وعما أتى لأجله وما أعدته الحكمة الإلهية له حتى لم يبق منه الا أسماء تذكر وعبارات تقرأ فتكون هذه المحدثات حجاباً بين الامة وبين الحق الذي تشعر بنداءه أحياناً بين جوانحها . . فعلاجها الناجع انما يكون برجوعها الى قواعد دينها والاخذ بأحكامه على ما كان في بدايته وإرشاد العامة بمواعظه الوافية بتطهير القلوب وتهذيب الاخلاق وايقاد نيران

الجديدة والكماليات الجديدة لأن مصانعهم لم تتحول الى الطرز الجديد وأيديهم لم تتعود على الصنع الجديد وثروتهم لا تسع جلب الآلات الجديدة من البلاد البعيدة وهذا جدع لأنف الأمة يشوه وجهها ويحط بشأنها وما كان هذا الا لأن تلك العلوم وضعت فيهم على غير أساسها وفجأتهم قبل أوانها . . .

علمتنا التجارب ونطقت مواضي الحوادث بأن المقلدين من كل أمة المنتحلين اطوار غيرها يكونون فيها منافذ وكوى لتطرق الاعداء اليها وتكون مداركهم مهابط الوساوس ومخازن الدسائس بل يكونون بما أفعمت أفئدتهم من تعظيم الذين قلدوهم واحتقار من لم يكن على مثالهم شؤما على أبناء أمتهم يذلونهم ويحقرون أمرهم ويستهينون بجميع أعمالهم وان جلت وان بقي في بعض رجال الأمة بقية من الشمم أونزوع الى معالي الهمم انصبوا عليه وأرغموا من أنفه حتى يمحى أثر الشهامة وتخمد حرارة الغيرة ويصير اولئك المقلدون طلائع لجيوش الغالبين وأرباب الغارات يمهدون لهم السبيل ويفتحون الأبواب ثم يثبتون أقدامهم ويمكنون سلطتهم ذلك بأنهم لا يعلمون فضلا لغيرهم ولا يظنون ان قوة تغالب قواهم .

أقول ولا أخشى لو ما لو كان في البلاد الافغانية عدد قليل من تلك الطلائع عند ما تغلب على بعض أراضيها الانكليز لما بارحوها أبد الآبدين . فان نتيجة العلم عند هؤلاء ليست الا توطيد المسالك والركون الى قوة مقلديهم واستقبال مشارق فنونهم فيبالغون في تطمين النفوس وتسكين القلوب حتى يزيلون الوحشة التي قد يصون بها الناس حقوقهم ويحفظون بها استقلالهم ولهذا لو طرق الاجانب أرضا لأية أمة ترى هؤلاء المتعلمين فيها يقبلون عليهم ويعرضون أنفسهم لخدمتهم بعد الاستبشار بقدومهم ويكونون بطانة لهم ومواضع لثقتهم كأنما هم منهم ويعدون الغلبة الاجنبية في بلادهم مباركة عليهم وعلى أعقابهم .

فما الحيلة وما الوسيلة والجرائد بعيدة الفائدة ضعيفة الأثر لو صحت الضمائر فيها والعلوم الجديدة لسوء استعمالها رأينا ما رأينا من آثارها والوقت ضيق والخطب شديد ؟ أي جهوري من الاصوات يوقظ الراقدين على حشايا الغفلات ؟ أي عاصفة تزعج الطباع الجامدة وتحرك الافكار الخامدة ؟ أي نفخة تبعث هذه

﴿ سيرة السلف الصالحين، في نصيحة السلاطين ﴾

﴿ تابع لما في الجزء السابع وما قبله ﴾

قال في الاحياء وعن ابي عمران الجوني قال لما ولي هارون الرشيد الخلافة زاره العلماء فهنؤه بما صار اليه من أمر الخلافة ففتح بيوت الاموال وأقبل يجيزهم بالجوائز السنية وكان قبل ذلك يجالس العلماء والزهاد وكان يظهر النسك والتقشف وكان مواخيا لسفيان بن سعيد بن المنذر الثوري قديماً فهجره سفيان ولم يزره فاشتاق هارون الى زيارته ليخلو به ويحدثه فلم يزره ولم يعبأ بموضعه ولا بما صار اليه فاشتد ذلك على هارون فكتب اليه كتاباً يقول فيه « بسم الله الرحمن الرحيم — من عبد الله هارون الرشيد أمير المؤمنين الى أخيه سفيان بن سعيد بن المنذر أما بعد يا أخي قد علمت ان الله تبارك وتعالى واخى بين المؤمنين وجعل ذلك فيه وله واعلم أني قد واخيتك مواخاة لم أصرم بها حبك ولم اقطع منها ودك واني منطو لك على أفضل المحبة والارادة ولولا هذه القلادة التي قلدنيها الله لأتيتك ولو حبوا لما أجد لك في قلبي من المحبة واعلم يا ابا عبد الله أنه ما بقي من اخواني وأخوانك أحد الا وقد زارني وهنأني بما صرت اليه وقد فتحت بيوت الأموال وأعطيتهم من الجوائز السنية ما فرحت به نفسي وقرت به عيني واني استبطأتك فلم تأتني وقد كتبت اليك كتابا شوقا مني اليك شديدا وقد علمت يا أبا عبد الله ما جاء في فضل المؤمن وزيارته ومواصلته فاذا ورد عليك كتابي فالعجل العجل »

فلما كتب الكتاب التفت الى من عنده فاذا كلهم يعرفون سفيان الثوري وخشونته فقال علي برجل من الباب فأدخل عليه رجل يقال له عباد الطالقاني فقال يا عباد خذ كتابي هذا فانطلق به الى الكوفة فاذا دخلتها فسل عن قبيلة بني ثور ثم سل عن سفيان الثوري فاذا رأيته فألق كتابي هذا اليه وع بسمعك وقلبك جميع ما يقول فأحص عليه دقيق أمره وجليله لتخبرني به فاخذ عباد الكتاب وانطلق به حتى ورد الكوفة فسأل عن القبيلة فأرشد اليها ثم سأل عن سفيان فقيل له هو في المسجد قال فاقبلت الى المسجد فلما رآني قام قائماً وقال أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وأعوذ بك اللهم من طارق يطرق الا بخير قال عباد

الغيرة وجمع الكلمة و بيع الارواح لشرف الامة ولأن جرثومة الدين متأصلة في النفوس بالوراثة من أحقاب طويلة والقلوب مطمئنة اليه وفي زواياها نور خفي من محبته فلا يحتاج القائم باحياء الامة الا الى نفخة واحدة يسري نفثها في جميع الارواح لأقرب وقت فاذا قاموا لشؤمهم ووضعوا اقدامهم على طريق نجاحهم وجعلوا أصول دينهم الحقة نصب أعينهم فلا يعجزهم بعد ان يبلغوا بسيرهم منتهى الكمال الانساني .... ومن طاب اصلاح أمة شأنها ما ذكرنا بوسيلة سوى هذه فقد ركب بها شططاً وجعل النهاية بداية وانعكست التربية وخالف فيها نظام الوجود فينعكس عليه القصد ولا يزيد الامة الا نحساً، ولا يكسبها الا تعساً ، هل تعجب أيها القارىء من قولي ان الاصول الدينية الحقة المبرأة عن محدثات البدع تنشىء للأمم قوة الاتحاد وائتلاف الشمل وتفضيل الشرف على لذة الحياة وتبعثها على اقتناء الفضائل وتوسيع دائرة المعارف وتنتهي بها الى أقصى غاية في المدنية ؟ ان عجبت فان عجبي من عجبك أشد . هل نسيت تاريخ الامة العربية وما كانت عليه قبل بعثة لدين من الهمجية والشتات واتيان الدنايا والمنكرات حتى اذا جاءها الدين فوحدها وقواها وهذبها ونور عقولها وقوم أخلاقها وسدد أحكامها فسادت على العالم وساست من تولته بسياسة العدل والانصاف و بعد ان كانت عقول أبنائها في غفلة عن لوازم المدنية ومقتضياتها نبهتها شريعتها وآيات دينها الى طلب الفنون المتنوعة والتبحر فيها ونقلوا الى بلادهم طب بقراط وجالينوس وهندسة أقليدس وهيئة بطليموس وحكمة أفلاطون وأرسطو وما كانوا قبل الدين في شيء من هذا وكل أمة سادت تحت هذا اللواء انما كانت قوتها ومدنيتها في التمسك بأصول دينها ....

وقد تكون نشأة الأمة قائمة بدعوة الملك وافتتاح الاقطار وطلب السيادة على الأمصار وتلك الدعوة لما تستدعيه من عظم الهمم وارتفاع النفوس عن الدنايا و بعد الغايات وعلو المقاصد هي التي هذبت أخلاقهم وقومت أفكارهم وكفتهم عن معاطاة الرذائل وخسائس الامور وسوافلها ثم بعد مامضى زمان من نشأتها أصابها من الانحطاط ماأصابها . فبيان أسباب الخلل فيها وعلاته نفرد له فصلا مستقلا في عدد آخر ان شاء الله وهو الموفق للصواب

وأهل العلم والارامل والايتام ام هل رضي بذلك خلق من رعيتك فشد يا هارون مئزرك وأعد للمسئلة جوابا ، وللبلاء جلبابا ، واعلم أنك ستقف بين يدي الحكم العدل فقد رزئت في نفسك اذ سلبت حلاوة العلم والزهد ولذيذ القرآن ومجالسة الاخيار ورضيت لنفسك أن تكون ظالما وللظالمين اماما ياهارون قعدت على السرير ، ولبست الحرير ، وأسبلت سترا دون بابك وتشبهت بالحجبة برب العالمين ثم أقعدت أجنادك الظلمة دون بابك وسترك يظلمون الناس ولا ينصفون يشربون الخمور ويضربون من يشربها ويزنون ويحدون الزاني ويسرقون ويقطعون السارق أفلا كانت هذه الاحكام عليك وعليهم قبل ان تحكم بها على الناس فكيف بك يا هارون غداً اذا نادى المنادي من قبل الله تعالى (احشروا الذين ظلموا وأزواجهم) أين الظلمة وأعوان الظلمة فقدمت بين يدي الله تعالى ويداك مغلولتان الى عنقك لا يفكهما الا عدلك وانصافك والظالمون حولك وأنت لهم سابق وامام الى النار كاني بك يا هارون وقد أخذت بضيق الخناق ووردت المشاق وأنت ترى حسناتك في ميزان غيرك وسيآت غيرك في ميزانك زيادة على سيئاتك بلاء على بلاء وظلمة فوق ظلمة فاحتفظ بوصيتي واتعظ بموعظتي التي وعظتك بها واعلم أني قد نصحتك وما أبقيت لك في النصح غاية فاتق الله يا هارون واحفظ محمدا صلى الله عليه وسلم في أمته وأحسن الخلافة عليهم واعلم ان هذا الامر لو بقي لغيرك لم يصل اليك وهو صائر الى غيرك وكذا الدنيا تنتقل بأهلها واحدا بعد واحد فمنهم من تزود زادا نفعه ومنهم من خسر دنياه وآخرته واني أحسبك يا هارون ممن خسر دنياه وآخرته فاياك اياك أن تكتب لي كتابا بعد هذا فلا أجيبك عنه والسلام »

قال عباد فألقى الي الكتاب منشوراً غير مطوي ولا مختوم فأخذته وأقبلت الى سوق الكوفة وقد وقعت الموعظة من قلبي فناديت يا أهل الكوفة فأجابوني فقلت لهم يا قوم من يشتري رجلا هرب من الله الى الله فأقبلوا الي بالدنانير والدراهم فقلت لا حاجة لي في المال ولكن جبة صوف خشنة وعباءة قطوانية قال فأتيت بذلك ونزعت ما كان علي من اللباس الذي كنت ألبسه مع أمير المؤمنين

فوقعت الكلمة في قلبي فخرجت فلما رآني نزلت بباب المسجد قام يصلي ولم يكن وقت صلاة فربطت فرسي بباب المسجد ودخلت فاذا جلساؤه قعود قد نكسوا رؤوسهم كأنهم لصوص قد ورد عليهم السلطان فهم خائفون من عقوبته فسلمت فما رفع أحد الي رأسه وردوا السلام علي برؤس الأصابع فبقيت واقفا فما منهم أحد يعرض علي الجلوس وقد علاني من هيبتهم الرعدة ومددت عيني اليهم فقلت ان المصلي هو سفيان فرميت بالكتاب اليه فلما رأى الكتاب ارتعد وتباعد منه كأنه حية عرضت له في محرابه فركع وسجد وسلم وأدخل يده في كمه ولفها بعباءته وأخذه فقلبه بيده ثم رماه الى من كان خلفه وقال يأخذه بعضكم يقرؤه فاني أستغفر الله أن أمس شيئا مسه ظالم بيده قال عباد فأخذه بعضهم فحله كأنه خائف من فم حية تنهشه ثم فضه وقرأه وأقبل سفيان يتبسم تبسم المتعجب فلما فرغ من قراءته قال اقلبوه واكتبوا الى الظالم في ظهر كتابه فقيل له يا أبا عبد الله انه خليفة فلو كتبت اليه في قرطاس نقي فقال اكتبوا إلى الظالم في ظهر كتابه فان كان اكتسبه من حلال فسوف يجزى به وان كان اكتسبه من حرام فسوف يصلى به ولا يبقى شيء مسه ظالم عندنا فيفسد علينا ديننا فقيل له ما نكتب فقال اكتبوا

« بسم الله الرحمن الرحيم — من العبد المذنب سفيان بن سعيد بن المنذر الثوري الى العبد المغرور بالآمال هارون الرشيد لذي سلب حلاوة الايمان أما بعد فاني قد كتبت اليك أعرفك أني قد صرمت حبلك وقطعت ودك وقليت موضعك فانك قد جعلتني شاهدا عليك باقرارك على نفسك في كتابك بما هجمت به على بيت مال المسلمين فأنفقته في غير حقه وأنفذته في غير حكمه ثم لم ترض بما فعلته وأنت ناء عني حتى كتبت الي تشهدني على نفسك أما اني قد شهدت عليك أنا واخواني الذين شهدوا قراءة كتابك وسنؤدي الشهادة عليك غدا بين يدي الله تعالى يا هارون هجمت على بيت مال المسلمين بغير رضاهم هل رضي بفعلك المؤلفة قلوبهم والعاملون عليها في أرض الله تعالى والمجاهدون في سبيل الله وابن السبيل ام رضي بذلك حملة القرآن

لا يجوز قال يا بهلول فنجري عليك مايقوتك أو يقيمك قال فرفع بهلول رأسه الى السماء ثم قال يا أمير المؤمنين أنا وأنت من عيال الله فمحال أن يذكرك وينساني قال فأسبل هارون السجاف ومضى: (ثم قال في الاحياء بعد نصيحة للمأمون)

وعن أحمد بن ابراهيم المقري قال كان أبو الحسن النوري رجلا قليل الفضول لا يسأل عما لا يعنيه، ولا يفتش عما لا يحتاج اليه، وكان اذا رأى منكراً غيره ولو كان فيه تلفه فنزل ذات يوم الى مشرعة (١) تعرف بشرعة الفحامين يتطهر للصلاة اذ رأى زورقا فيه ثلاثون دنا مكتوب عليها بالقار. «لطف» . فقرأه وأنكره لأنه لم يعرف في التجارات ولا في البيوع شيئاً يعبر عنه بلطف فقال للملاح ايش في هذه الدنان ؟قال وايش عليك امض في شغلك فلما سمع النوري من الملاح هذا القول ازداد تعطشا الى معرفته فقال له أحب أن تخبرني ايش في هذه الدنان قال وايش عليك ، أنت والله صوفي فضولي هذا خمر للمعتضد يريد ان يتمم به مجلسه فقال النوري وهذا خمر؟ قال نعم قال أحب أن تعطيني ذلك المدرى فاغتاظ الملاح عليه وقال لغلامه أعطه حتى أنظر ما يصنع فلما صارت المدرى في يده صعد الى الزورق ولم يزل يكسرها دنا دنا حتى أتى على آخرها الا دنا واحدا والملاح يستغيث الى ان ركب صاحب الجسر (٢) وهو يومئذ ابن بشر أفلح فقبض على النوري وأشخصه الى حضرة المعتضد وكان المعتضد سيفه قبل كلامه ولم يشك الناس في أنه سيقتله قال أبو الحسين فأدخلت عليه وهو جالس على كرسي حديد و بيده عمود يقلبه فلما رآني قال من أنت قلت محتسب (٣) قال ومن ولاك الحسبة قلت الذي ولاك الامامة ولاني الحسبة يا أمير المؤمنين قال فأطرق الى الارض ساعة ثم رفع رأسه الي وقال ما الذي حملك على ماصنعت فقلت شفقة مني عليك اذ بسطت يدي الى صرف مكروه عنك قد قصرت عنه قال فأطرق مفكرا في كلامي ثم رفع رأسه الي وقال : كيف تخلص هذا الدن الواحد من جملة الدنان؟ فقلت في تخلصه علة أخبر بها أمير المؤمنين ان أذن فقال هات اخبرني فقلت يا أمير المؤمنين اني أقدمت على

(١) مورد ماء (٢) أي الحاكم المولى من الخليفة وهو كالمحافظ في مصر (٣) المحتسب هو من يزيل المنكرات كالبوليس

وأقبلت أقود البرذون وعليه السلاح الذي كنت أحمله حتى أتيت باب أمير المؤمنين هارون حافيا راجلا فهزأبي من كان على باب الخليفة ثم استوءذن لي فلما دخلت عليه و بصر بي على تلك الحالة قام وقعد ثم قام قائما وجعل يلطم رأسه ووجهه و يدعو بالويل والحزن و يقول انتفع الرسول وخاب المرسل مالي وللدنيا مالي وللملك يزول عني سريعا ثم ألقيت الكتاب اليه منشورا كما دفع الي فأقبل هارون يقرؤه ودموعه تحدر من عينيه و يقرأ و يشهق فقال بعض جلسائه يا أمير المؤمنين لقد اجترأ عليك سفيان فلو وجهت اليه فأثقلته بالحديد وضيقت عليه السجن كنت تجعله عبرة لغيره فقال هارون اتركونا يا عبيد الدنيا ، المغرور من غررتموه ، والشقي من أهلكتموه ، وان سفيان أمة وحده فاتركوا سفيان وشأنه ثم لم يزل كتاب سفيان الى جنب هارون يقرأه عند كل صلاة حتى توفي رحمه الله فرحم الله عبدا نظر لنفسه واتقى الله في ما يقدم عليه غدا من عمله فأنه عليه يحاسب و به يجازى والله ولي التوفيق ٠

وعن عبد الله بن مهران قال حج الرشيد فوافى الكوفة فأقام بها أياما ثم ضرب بالرحيل فخرج الناس وخرج بهلول المجنون فيمن خرج فجلس بالكناسة والصبيان يؤذونه و يولعون به اذ أقبلت هوادج هارون فكف الصبيان عن الولوع به فلما جاء هارون نادى بأعلى صوته يا أمير المومنين فكشف هارون السجاف بيده عن وجهه فقال لبيك يا بهلول فقال يا أمير المومنين حدثنا أيمن بن نائل عن قدامة بن عبد الله العامري قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم منصرفا عن عرفة على ناقة له صهباء لا ضرب ولا طرد ولا اليك اليك وتواضعك في سفرك هذا يا أمير المومنين خير لك من تكبرك وتجبرك : قال فبكى هارون حتى سقطت دموعه على الارض ثم قال يا بهلول زدنا رحمك الله قال نعم يا أمير المؤمنين رجل آتاه الله مالا وجمالا فانفق من ماله ، وعف في جماله ، كتب في خالص ديوان الله تعالى مع الأبرار: قال أحسنت يا بهلول ودفع له جائزة فقال اردد الجائزة الى من أخذتها منه فلاحاجة لي فيها قال يا بهلول فان كان عليك دين قضيناه قال يا أمير المؤمنين هؤلاء أهل العلم بالكوفة متوافرون قد اجتمعت آراؤهم ان قضاء الدين بالدين

الجامع الازهر - مشيخته وادارته

كتبنا في الجزء الثاني من منار السنة الماضية (ص ٧٦ م ٨) ما نصه :

ما كانت مشيخة الازهر في زمن من الأزمان عرضة للتغيير والتبديل من الحكام كما نراها في هذه السنين فقد تناول العزل والابدال شيوخ هذا الجامع عدة مرات في بضع سنين - عزل الشيخ حسونه باتفاق الحكومة مع الأمير وولي بعده الشيخ عبد الرحمن القطب فلم يلبث أن عزله حكم المنون فاختار الامير للمشيخة الشيخ سليما البشري ثم عزله بمحض اراداته وولى مكانه السيد عليا البيلاوي بالاتفاق مع الحكومة أو مع أولي الأمر كما يقال . وفي هذا الشهر (أي صفر) استقال هذا الشيخ ونصب بدله الشيخ عبد الرحمن الشربيني باتفاق الحكومة » ثم ذكرنا استقالة الاستاذ الامام و بعض أعضاء مجلس الادارة

وكتبنا في نبذة أخرى أن الامير قد اتفق مع حكومته على أن كل ما يهم الحكومة من الازهر شيئان الأول أن يكون أهله في أمان والثاني تخريج القضاة الشرعيين وأن التعليم فيه لما كان غير كاف لتخريج القضاة عزمت الحكومة على انشاء مدرسة لتخريج القضاة خاصة . ثم قلنا أنه كثر التساؤل بين الناس عن سبب استقالة الشيخ محمد عبده من ادارة الازهر مع حرصه على اصلاحه وأجبنا عن ذلك بالاشارة الى الشغب الذي بلغ في ذلك العهد غايته في ذلك المكان فان بعض الشيوخ الذين يترددون على قصر الامير كانوا يحرضون مدرسي الازهر على الشكوى من شيخ الازهر ومجلس الادارة وعدم الخضوع لما يراد تنفيذه من قانونه وعلى ما هو أعظم من ذلك وقد اشتهر عند الاكثرين أن الغرض من ذلك أن يستقيل شيخ الازهر والمفتى « رحمها الله » وأن الامير هو الذي يريد ذلك . وأكد ذلك ما نشر لذلك العهد في الجوائب المصرية والمؤيد وغيرهما من الجرائد التي تخدم « المعية » وأهم ذلك مقال في حديث قال صاحب الجوائب أنه جرى بينه و بين شيخ من كبار علماء الازهر وصفه بأوصاف فهم الناس منها أنه الشيخ عبد الرحمن الشربيني الذي كان بعض بطانة الامير يحاولون اقناعه

الدنان بمطالبة الحق سبحانه لي بذلك وغمر قلبي شاهد الاجلال للحق وخوف المطالبة فغابت هيبة الخلق عني فأقدمت عليها بهذه الحالة الى أن صرت الى هذا الدن فاستشعرت نفسي كبرا على اني أقدمت على مثلك فمنعت ولو أقدمت عليه بالحال الاول وكانت ملء الدنيا دنان لكسرتها ولم أبال فقال المعتضد اذهب فقد أطلقنا يدك غير ما احببت أن تغيره من المنكر قال أبو الحسين فقلت ياأمير المؤمنين بغض الي التغيير لاني كنت أغير عن الله تعالى وأنا الآن أغير عن شرطي فقال المعتضد ماحاجتك فقلت ياأمير المؤمنين تأمر باخراجي سالما فامر له بذلك وخرج الى البصرة فكان أكثر أيامه بها خوفا من أن يسأله أحد حاجة يسألها المعتضد فأقام بالبصرة الى أن توفي المعتضد ثم رجع الى بغداد

فهذه كانت حالة العلماء وعادتهم في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وقلة مبالاتهم بسطو السلاطين لكنهم اتكلوا على فضل الله تعالى أن يحرسهم و رضوا بحكم الله تعالى أن يرزقهم الشهادة فلما أخلصوا لله النية أثر كلامهم في القلوب القاسية فلينها وأزال قساوتها وأما الآن فقيدت الاطماع ألسن العلماء فسكتوا وان تكلموا لم تساعد أقوالهم أحوالهم فلم ينجحوا ولو صدقوا وقصدوا حق العلم لافلحوا ففساد الرعايا بفساد الملوك وفساد الملوك بفساد العلماء وفساد العلماء باستيلاء حب المال والجاه ومن استولى عليه حب الدنيا لم يقدر على الحسبة على الاراذل فكيف على الملوك والاكابر والله المستعان على كل حال اهـ

(المنار) هذا كلام الامام الغزالي في ملوك عصره وعلمائه وهم الذين يفتخر اهل هذا العصر بهم فكيف حال ملوك عصرنا وعلمائه الذين اضاعوا الدنيا والدين وجعلوا المسلمين بظلمهم وفسادهم فى اسفل سافلين • ولا نطيل هنا في وصفهم فحسبك ماتقرأ في المقال الآتي ولكننا نقول ان الزمان لايخلو من العلماء المخلصين وهؤلاء هم الذين ندعوهم الى نصيحة ملوكنا وامرائنا قبل ان يضيعوا هذه البقية القليلة التي بقيت لنا فالخطر قريب ان لم يتداركوه نزل والعياذ بالله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم ـ واياه نعبد واياه نستعين

سعادة الفاضل الحكيم العلامة دمتم بالعز والكرامة

سلام عليكم فاني أحمد اليك الله الذي لا اله الا هو وأصلي على نبيه النبي الكريم . وعلى آله وصحبه السادة اللها ميم . و بعد فانا قدسر رناوتنشطنابحسن صنيعكم الينا من نشر رسالتنا المشبعة الطويلة التي كتبناها اليكم في قضية علماء الازهر واستقالة الاستاذ الامام الكبير محمد بن عبده في مجلتكم الباهرةالغراءالتي صدرت في السادس عشر من شهر ربيع الاول الماضي وقد سرني أيضا ما قد استتبعتم ذلك بانتقادكم الحافل البديع عقيب هذه الرسالة تحامون فيه عن علماء الازهر واستفراغكم الوسع بذلك في دفع ما وقع من الغلط والخطأ في الآراء التي ارتآها الناس فيهم ولكن الذي آمل من طيب خلقكم وطهارة سر يرتكم هو ان تعفوا عني مما قد تجاسرت في الانتقاد على هذا الانتقاد فانه يا اخي ليس فيما أحسب مما ليطمئن به بال احد او ان يفندبه ما قد رآه اكثر أهل النظر في هؤلاء العلماء من انهم لا يحبون اشاعة العلوم الحديثة ولا يجوزون لها السبيل والتطريق في المدارس والكليات ولا واحـد عندي بمقلع عن رأيه ذلك فيهم فيما احسب فقد علمت ياسيدي ان تعسف علماء الأزهر وتعصبهم للعلوم الخلقة البالية وخلافهم للاصلاح في شؤون التعليم والأخذ بالعلوم الحديثة ليس مما يرتاب فيه احد فقد شحنت بذلك الجرائد المصرية كلها لا سيما مجلتكم الباهرة التي نصت على انهم لا يجوزون العدول بيسير عن المنوال العتيق الذي يجري عليه نصاب التدريس في الجامع الازهر ويتحرجون في تشكيل صناعة التاريخ والجغرافيا في نصاب الدرس الحاضر فما ظنك بالعلوم العالية الافرنجية وما هي فيه من المنهاج الجديد في أرض أوروبا أفحسبت يا سيدي ان الذين لا يزالون يقرءون ويتلون الجرائد المصرية ولا يفترون عن مطالعة جريدتكم الغراء ليلا ونهارا أفتراهم يقلعون عن رأيهم في شأن هؤلاء العلماء أم ترى ان اعتقادهم في هؤلاء فيما أفديتم بنفسكم بأنهم يعتقدون بأن العلوم الدنيوية تقوض بناء الدين وتفسد العقائد في قلوب

بقبول المشيخة التي أيقنوا أن البلاوي مستقيل منها لما اتخذ لذلك من الاسباب الملجئة . ولما استقال السيد البلاوي وعين الشيخ الشربيني شيخاللازهرواحتفل بالباسه الخلعة بحضرة الامير ألقى الامير ذلك الخطاب على الشيوخ وكان مؤيداً لروح ما كانت تنشره تلك الجرائد

كان مدار ذلك الكلام على أن كل ما يهم الامير وحكومته من الازهر أن يكون في أمان وهدو و بعد عن الشغب والقلاقل وأن يظل مدرسة دينية كما كان وربما كانوا يظنون أن سكون الازهر وراحة أهله ورضا كبار شيوخه عن الامير واخلاصهم له هو مما يتتجه جعل الشربيني شيخا للازهر لانه في مقدمة العلماء الازهر بين الذين يرون وجوب بقاء الازهر على حاله التي كان عليها في زمن تعلمهم فيه وترك الشيخ محمد عبده له وهو هو الذي يريد تغيير نظام التعليم وزيادة العلوم والفنون فيه ولكن جاء الامر على نقيض ما كان يظن أولئك الظانون فاستاء محبو الاصلاح من أهل الازهر لترك الاستاذ الامام لادارته كما استاء عقلاء المسلمين في كل مكان . وأما المحافظون على الحالة العتيقة فقد رأيناهم على عهد الشيخ الشربيني اشتد استياء من ادارة الازهر منهم على عهد من سبقه كما أشرنا الى ذلك في العدد الماضي وكثر في هذا كلام الناس وكتابة الجرائد بالشكوى من حال الازهر والطعن في علمائه حتى ان بعض الافندية كتب في بعض الجرائد اليومية يقول في بيان جهل علماء الازهر بالدين وفقد الثقة بهم ما معناه ان الناس لا يقصدون في حل مشكلات الدين والدفاع عنه الا الى بعض حملة الطرابيش وفي ذلك هضم لغير الازهر يين من حملة العمائم كاساتذة المدارس الاميرية وغيرهم

هذا ما ذكرنا برسالة كان أرسلها الينا زعيم النهضة الاسلامية في الهند السيد النواب محسن الملك خان الشهير بعلمه وفضله يرد بها على ما كنا اعتذرنا به عن علماء الازهر تعقيبا على رسالته التي نشرناها في الجزء السادس من السنة الماضية وهي التي أظهر فيها استياءه واستياء مسلمي الهند من ترك الاستاذ الامام للازهر وطعن فيها بعلمائه طعنا شديداً فلم ننشرها في ذلك الوقت لمانع زال فنحن ننشرها الان وهذه هي

التي يسمونها موالد على مافيها من المنكرات التى نهى عنها أئمتهم في الفقه ثم انهم يقرءون في شمائل نبيهم انه كان يسدل شعره الشريف و يفرقه وهم ينكرون على من يفعل ذلك من اهل العلم والدين وقد امرني بذلك بعضهم وكان شيخا للازهر قائلا انك من اهل العلم لايليق بك ان ترسل شعرك فاحلقه فحججته بالسنة فحاجني بأن ذلك شعار العلماء الآن » وقد صرحتم قبل ذلك بشيء في قولكم ص ٢٢١ من هذه النمرة الحاضرة « وانما صرح العلماء بكراهة حلق الرأس وكونه مخالفا للسنة لانه كان في الصدر الاول شعار الخوارج فاما اذا اخذنا باطلاقهم كان اللوم في ترك هذه السنة موجها في هذا العصر الى علماء الدين فانهم يحلقون بل ينكرون على من لم يحلق وهم مخطئون »

هذا ام كيف يوافقكم احد في قولكم « ظلم والف ظلم لعلماء الازهر ان يقال فيهم انهم يعدون علوم الدنيا خطرا على الدين أو عائقا عن علومه وانهم يجهلون ان الاسلام جمع بين مصالح الدارين » الى آخره

وقد سلف منا مرارا انا قد رأينا في الجوائب المصرية انها قالت في شأن رجل عظيم من العلماء « انه محترم المقام بين علماء المسلمين يجله كبيرهم وصغيرهم لعلمه وفضله و يعدونه حجة وقته وامام زمانه في علوم الدين وأصول الشريعة » فهذا العالم الجليل الذي ترأس العلماء في عصره ومن رأيه مايقول لمدير الجوائب ماتلك ألفاظه « غرض السلف من تأسيس الازهر اقامة بيت لله يعبد فيه ويطلب فيه شرعه و يؤخذ الدين كما تركه لنا الأئمة الاربعة رضوان الله عليهم ..... وما سوى ذلك من أمور الدنيا وعلوم الاعصر فلا علاقة للازهر به ولا ينبغي له » ولما راجعه المدير واستحفاه بالسؤال قائلا « هل حدث يامولاي ما يقف للازهر في الخدمة المطلوبة منه فتبسم الاستاذ ثم قال بل ان الذي من شأنه أن يهدم معالم التعليم الديني و يحول هذا المسجد العظيم الى مدرسة فلسفة وآداب تحارب الدين وتطفيء نوره في هذا البلد وغيره من البلاد الاسلامية الى آخره » وتجاهر في آخر كلامه متظاهرا قائلا « ان الازهر انما وجد لحفظ لدين ونشر علومه ليس الا وليتركوه كما هو حصن للدين وان أرادوا به اصلاحاً فليكن الاصلاح

المسلمين وان اصلاح طريقة التعليم خروج عن صراط السلف المستقيم أفترى أن هذا الاعتقاد منهم يزول أو يحول أو يضمحل بشيء عن قلوبهم مما كان عندهم من قبل أما تراهم يوافقونك في قولك وكل هذه الظنون فيهم باطلة كلا ولا كرامة وخاشاهم عن ذلك

فأما أنتم فلعمري لم تألوا جهدا في المحاماة عن هؤلاء العلماء وأتيتم في بيان ذلك بحجتين وكلتاهما ننتقد عليهما وننظر في وزنهما ورجحهما على منهاج أصحاب النظر أما الحجة الاولى فقولكم ان من أصحاب الدرجة العلمية الاولى فيهم من يعلمون أولادهم العلوم الدنيوية في المدارس الاميرية وغيرها الخ وأما الاخرى فقولكم ولا يطعنون بدين أكابر أمرائهم وهم قد تعلموا هذه العلوم في مدارس مصر واوروبا الخ ولكن هذا الكلام منكم لا يجديهم نفعا ولا يحامي أو يذب عنهم بشيء . فقد عرفتم ما هو من ديدن علماء هذا العصر انهم يقولون مالا يفعلون و يفعلون مالا يقولون وهم الذين قال فيهم الشاعر العارف الحكيم مصلح الدين السعدي الشيرازي وهو من معاريف الشعراء ومشاهير أهل النظم ـ قال :

ترك دنيا بمردم آموزند   خويشتن سم وغله اندوزند

يعني بذلك انهم يعلمون الناس ويحملونهم على رفض الدنيا وترك زخارفها وهم بأنفسهم يكنزون الفضـة ويحتكرون الطعام لانفسهم(*) ومن ديدنهم أيضا ان لا يطعنوا بشيء على الامراء والولاة كيلا يحرموا من صلاتهم ولا ييأسوا من استجلاب خيرهم ومبراتهم بل وانا نراهم يوافقون العامة في بدعهم ولا يشنعون بشيء على افاعيلهم ويشاركونهم في الاحداث الفظيعة التي يأتون بها في الدين فنراهم لا ينكرون عليها بل يعاضدونهم بموافقتهم ومشاركتهم فيها وشاهد ذلك قولكم في هذه النمرة التي صدرت في السادس عشر من شهر ربيع الاول الماضي « فمشايخ الازهر يقرءون في كتب الحديث نهي الشارع عن بناء القبور واتخاذ المساجد عليها واتخاذها أعيادا وتعظيمها ثم أنهم يشاركون العامة في هذه الاعياد

(*) قال الشاعر العربي (وذموا لنا الدنيا وهم يرضعونها   افاويق حتى ما يدر لها ثعل)

ينسع بها فضاء علمهم ومعرفتهم بل يتركز بها التقليد في تخوم قلوبهم وقد امتلأ القرآن العزيز بذمه وشحن الكتاب المجيد برده وجل همتهم في ان يحمل الناس على منهاج يعتقدون به ان الاسلام بدع هذه البدع ونفس هذه الاحاديث التي ليست بأدون من احاديث خرافة بل عين الشرك الجلي فضلا عن الشرك الخفي وانما جهدهم في المنع عن تعليم صنعة تنفعهم بشيء اما في الدنيا أو في الدين هذا شيء من حالهم في تعليم العلوم فأما سبل التعليم ومنهاج تدريسهم ونظم الامور فيه فامره اشهر من ان يذكر وابين من ان يوضح ولقد تفجع له بعض فضلاء الهند الذي كان حلا بالقاهرة وكتب في ذلك كتابا الى حيدراباد عاصمة دكن ولقد نشرتموه في الجزء العاشر من المجلد الخامس من مجلتكم المنار وبعد ذلك فهل تحسبون انا نحسن الظن بهؤلاء العلماء ونضعهم في ميزان علمائنا السلف الذين مضوا الى رضوان الله كالامام الغزالي وابن رشد الاندلسي والامام ابن الخطيب الرازي وغيرهم فقد كانوا يعتقدون ان العلوم الكونية والعقلية عين هذه العلوم الدينية وكانوا يحضون المسلمين ويحثونهم ويحرضونهم على تحصليها في تآليفهم وكتبهم واسفارهم وزبرهم التي كانوا يعملونها لنشر تلك العلوم ويخاطبون فيها اخوانهم المسلمين قائلين « معاشر الخلان اني آنست نارا في وادي هذه الفنون آتيكم منها بخبر أو قبس لعلكم تصطلون » أوليس هؤلاء العلماء قد عثروا على قضية عمر بن حسام فيما اخرج الخبر به الامام الرازي في التفسير الكبير من ان عمر بن حسام كان يقرء كتاب المجسطي على عمر الابهري فقال بعض الفقهاء يوما ما الذي تقرؤنه فقال افسر آية من القرآن وهي قوله تعالى « افلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها » فانا افسر كيفية بنائها ولقد صدق الابهري فيما قال فان كل من كان اكثر توغلا في بحار مخلوقات الله تعالى كان اكثر علما بجلال الله وعظمته انتهى كلام الرازي بعيون الفاظه

اولم يعثر علماء الازهر على فصل المقال للحكيم الفيلسوف القاضي ابي الوليد بن رشد (الذي) نص فيه على وجوب معرفة الموجودات والعلم بحقائقها من جهة الشرع وان القرآن العزيز قد امرنا بذلك امرا اكيداً في كثير من الآيات وكتب في

منحصرا في حفظ صحة الطلبة والسهر على راحتهم وتقديم الغذاء الصالح لهم وما سوى ذلك من مبادئ الفلسفة والعلوم الحديثة العالية فلتدخله الحكومة ان شاءت على مدارسها الكثيرة التي هي في حاجة ماسة اليه

أم كيف نصدقكم في قولكم هذا وانا نرى هؤلاء العلماء قد ثاروا وشغبوا الناس وأثاروا في اصلاح الازهر بما اضطر الخديوي الي اخماد الفتنة وخاطب شيخ الجامع الازهر قائلا « ان الجامع الازهر قد أسس وشيد على أن يكون مدرسة دينية اسلامية تنشر فيها علوم الدين الحيفية في مصر وجميع الاقطار الاسلامية. .

ولقد كنت أود أن يكون هذا شأن الازهر والازهريين دائما » ولما كان يخال ان هؤلاء الرهط الذين يرومون الاصلاح كلهم مفسدون قال فيهم « أول شيء أطلب أنا وحكومتي أن يكون الهدوء سائدا في الازهر الشريف والشغب بعيدا عنه فلا يشغل علماؤه وطلبته ألا بتلقي العلوم الدينية النافعة البعيدة عن زيغ العقائد وشغب الافكار لانه هو مدرسة دينية قبل كل شيء ومن كان يحاول بث الشغب بالوساوس والاوهام أو الابهام بالاقوال أو بواسطة الجرائد والاخذ والرد فيها فليكن بعيدا عن الازهر ومن كان أجنبيا من هؤلاء فأولى به أن يرجع الى بلده و يبث فيها مايريد من الاقوال والآراء المغايرة للدين ولمصلحة الازهر والازهريين »(١)

فهل في الوجود أحد يقف على هذه الاحوال و يعرفها حق المعرفة ثم يرتاب في أن هولاء العلماء اكثرهم لا يجوزون الاصلاح في النهج القديم للتعليم ويحسبون أن العلوم الحديثة بأسرها مطفئة لنور الاسلام ولعمري أن هولاء العلماء هم الذين اتخذوا جامع الازهر الذي كان من حقه أن يكون رحمة و بركة للمسلمين مركزا للنكبة وموطنا للمذلة ومعقلا للمتربة وموضعا للمسغبة ولو نظرت الى العلوم التى تدرس فيها لوجدتها بأسرها علوما بالية عتيقة اتخذها المقلدة من العلماء علوما دينية ولا تجد فيها الا تلقين نبذ من المسائل التى تشمئز منها العقول وتمج قبولها احلام الفحول وذلك من اجل مخالفتها لقواعد الحكمة واصول الفطرة ولا يوجد فيها غير تعليم ماعداها من المطالب التي لا تستنير بها ادمغة الرجال ولا

(١) المنار: قالت جريدة اللواء يومئذ ان المراد بالاجنبي هنا صاحب المنار

عن عقر داره ومحله وقراره ،

او ليس ان الحال التي انتهت اليها هيئة المسلمين مما يتضاحك بها الاعداء ويتصارخ لها الاولياء بالعويل والبكاء ، وتسكاب الدماء ، اوليس قد تراكمت على المسلمين سحائب الذل والهوان ، وجللتهم غياهب العدم من كل جانب ومكان ، اي نقطة في الوجود من نقاط الارض يكون فيها من حال المسلمين مالا يتصدع لها القلوب وتتفطر بها الاكباد وتجود لها المحاجر والاماق بانهار الدماء السائلات ، وتنسكب لها قاني الامطار من المقل الغائرات ، خرجت الممالك من ايمانهم ، واضمحلت الدول التي بقيت في ايديهم كانهم لا حراك بهم وصاروا في العالم كانهم العبة تتداولها ايدي الاجانب وتتلاعب بها اكف الاباعد، بما خرجوا عن امتلاك الاقارب لا يحس فيهم شيء من آثار الثروة، ولا عندهم ميل الى التجارة والصنعة بل هم زاهدون فيها ، وراغبون عنها، يستقبحون شكلها ومنظرها ويستفظعون محلها ومصدرها ، ورضوا بالافتقار في تحصل كل شيء حقير وجلب كل ماعون يسير ، من أرض أروبا يستجلبون الفرش والسرج للمساجد والصوامع من ارض الافرنج ولا يتخذون من ذلك شيئا بانفسهم وايديهم . لم يبق لهم عزة ولا صولة ، وما بقي عندهم امرة ولا دولة ، واما عددهم فهم وان كانوا يبلغون الى الف مليون نفس في العالم فهم بعد ليسوا في قطر من اقطار الدنيا ممن يفتخر هنالك بوجودهم ولا ممن يتفاخر بهم على لسان وليهم وودودهم او ليفرح الرجل بالنظر الى عيونهم واشخاصهم او يسير اخوهم اذا كان يرمق الى عددهم وافرادهم ـ فماذا يكون من السبب الاصيل في ذلك وبيد من رهنت ذمة هذه الامور والذي احسب ان جل السبب في ذلك ليس الا نفارهم عن العلوم الحديثة وتعاميهم عنها واثم ذلك كله على عاتق هؤلاء العلماء الذين يذرون تلك الاوزار ويجوزون للمسلمين ان يخرجوا عن غمار الذل والصغار ومن ثم تراهم يرعوون عن التعاليم النافعة ويردعون الناس عنها لفتاوى التكفير لمن ولع بهذه العلوم الحديثة ويحولون بينهم وبيننا وعلى ابصارهم غشاوة فهم لا يبصرون ولا يشعرون ان ارتقاء الاوربيين الذي يضرب به المثل اليوم ليس الا من جهة توغلهم في العلوم الجديدة ونبوغهم في الحكم الحديثة وكل دولتهم وقوتهم منسوبة في

آخر ذلك ماتلك عيون الفاظه » وقد تبين من هذا ان النظر في كتب القدماء واجب بالشرع وان من نهى عن النظر فيها فقد صد الناس عن الباب الذي دعا الشرع منه الناس الى معرفة الله وهو باب النظر المؤدي الى معرفته حق المعرفة وذلك غاية البعد عن الله تعالى ... » او لم يدر هؤلاء العلماء ان الامام الغزالي كان من قوله فى علم الهيئة فيما نقل عنه الفاضل عصمة الله في التصريح شرح التشريح - للشيخ العلامة بهاء الدين العاملي من انه من لم يعرف الهيئة والتشريح فهو عنين في معرفة الله واعظم من ذلك كله الاثر المأثور المشهور عن سيدنا علي فيما اشار به على سيدنا عمر رضي الله عنه بعدم احراق خزانة الكتب بالاسكندرية قال انها علوم ليست تخالف القرآن العزيز بل تعاضده وتفسره حق التفسير لاسراره الغامضة الدقيقة وهو قول معروف عنه وقد اخرج الخبر به مفصلا الحكيم المؤرخ الاسلامي القاضي الصاعد الاندلسي في طبقات الامم فيما نقل عنه العلامة المحدث ابن عيش القرشي التيمي في بعض مقاطيع القسم الاول من الجزء الاول من كتاب الكشف عن الغثاثة فليرجع اليه

هذا وانه لن يذهب عنا الاسف والكمد الذى نجده في انفسنا من جهة قضية الخديوي وآرائه ومن جهة الحال التي نحس في علماء الازهر ونحن بهذا العصر في حاجة الى مثل الرازي والغزالي وابن رشد الاندلسي وامثالهم من العلماء ومن كانوا في ميزانهم في الدهر الحاضر مثل الاستاذ الكبير محمد بن عبده واضرابه الذين يضيئون العالم بنور الدين وضياء الاسلام ويبينون للناس ومن في قلوبهم مرض وزيغ عن الحق ان الديانة الاسلامية كلها تطابق العقل والفطرة حذو القذة بالقذة وان العلوم العقلية والكونية بأسرها في الاصل علوم دينية يجب على المسلمين تعليمها والاخذ بها وتعلمها فيخرجوا بذلك عن قعر الذل وغيابة الهوان والصغار التي ألقوا فيها وهم صاغرون وقد لزم الاسلام بهم عار قبح به منظره وساءت بذلك هيئته وهم يظنون من أجل ذلك ان الاسلام هو الرادع للناس عن التمدن والارتقاء في معارج العز والاعتلاء فأما نحن فلسنا في حاجة الى امثال هؤلاء الذين يقولون ان العلوم الحديثة مطفئة لنور الاسلام ومخمدة لناره ، ومطمسة لآثاره ، ومجلية له

باسرها . ولو كان علماء الازهر مشاركين في آرائهم لمثلكم ومثل محمد بن عبده وينظرون بنظر الامعان في امضا آتكم البديعة الرشيقة التي علمت الدنيا ان الاسلام من بين سائر المذاهب هو المذهب الواحد الذي يرغب الناس ويشوقهم في تحصيل الفوائد الدنيوية والعوائد الملية والقومية وهو الذي اتخذ العلم والعقل عين الايمان والدين ونفسهما في الاصل ولولم يكن الازهريون يظنون ظنا باطلا ان العلوم الدينية بأسرها منحصرة في الفقه ومقصورة على جزئيات المسائل الفرعية التي لا يعتد ولا يعبأ بها واو كثر هذه المطالب ليست بجديرة للعمل في هذه الاعصر والدهور ولوعرفوا ما في تعليمها من ضياع العمر وتضييع الوقت ذلك ماهو معلوم عند كل ذي حجى وهم يزعمون ان الولوع بها انما يشيد بناء الدين لما روي الطلبة الازهريون كما هم اليوم في غايتهم من الذل والهوان ونهايتهم من الصغار والخذلان ولو كانوا يعلمون ان العلوم العقلية والكونية عين العلوم الدينية لكانت كلية كيمبردج وآكسفورد تحسد الازهر وتغبطها غبطه ما كان يجحدها احد ولتخرج منها في عرض عدة سنين رجال كانوا يصعدون بالبلاد الاسلامية ويحلقون بها الى أعلى ذرى الارتقاء التي وصلت اليها أمة جابان في هذه الاعصر والازمان

هذا رأيي ورأي سائر الافراد الذين لهم خبرة باحوال الدنيا ووقوف على اخبارها والمام بتوار يخها واني لقاطع بصحة هذا الرأي ورأي هؤلاء ممن عداني ان العلماء هم العلة الاصيلة لكل هذا الصغار والهوان وتمام تلك النكبة والخذلان وهم موقوفون غدا بين يدي الرحمن ومسئولون من لدنه فليستعدوا للجواب لانهم الاصل الاصيل لجل هذه المفاسد وكل تلك الشنائع وانت يااخي لا تستطيع وان جهدت كل جهدك للمحاماة عن علماء الازهر أن تغسل هذا العار عنهم وتدفع هذه التبعة والنقيصة منهم فانك لا تستطيع ان تكذب الحس والعيان ولا ان تدفع الوقائع التي حدثت في الادهر والازمان افهذه الكلية التي مضت لبنائها الف سنة وتخرج منها مليون بل اضعاف مليون طلبة ولا يزال يخرج منها كل عام آلاف من هؤلاء الطلبة أفيحق ان يكون نهج التعليم في هذه الكلية بحيث يتخرج منها طائفة من صعاليك الناس وسائلين في الرقاب يتخذون غداءهم بالذلة وعشاءهم بالمسكنة و يبيتون وهم مخذولون بالمسغبة أو يجدر بها أن ينفر فيها عن طريق التعليم التي يتخرج

الاصل الى تجارتهم وحرفهم وهي في نوبتها منسوبة الي تناغيهم في هذه العلوم الجديدة النافعة

دع عنك اروبا وانظر الي هذه الامة الحقيرة التي يقال لها أمة جابان افلا يرونها كيف ارتقت في مدة لا تنيف على عدة سنين ولا تعد الا على انامل الآدميين ارتقاء مبهرا ابهرت الانظار، وخطفت لها النواظر والابصار، افليس انها لم تستكمل لنفسها مدة خمسين سنة وكانت تعد من قبل ذلك في الاقوام المتوحشة وتستحقرها الامم المتمدنة وهي اليوم في كل شأن على أعلى مراتب الصعود والارتقاء وقد ادهشت الدنيا بأسرها باعمالها البديعة التي صدرت منها في هذه الازمان وكل واحد يحترمها كل الاحترام وحرمتها مركوزة في طبع كل انسان فماذا الذي قلبها عن حالها القديم، وانعكس أمرها عن شأنها الفاسد الرميم؟ ماذلك الامن اجل تناغيها في العلوم والحكم والازهريون على خبرة من حالها ومنهاج ارتقائها ومنوالها وانما الاسف عليهم من اجل انهم لا يقيسون أنفسهم بهؤلاء، ولا ينظرون في علل تلك الاشياء، ولا يفكرون في اسبابها التي أورثتهم الارتفاع واورثتنا الانحطاط والانخفاض ولوكان عندهم صواب في الرأي وحزم في الرواية ومعرفة صحيحة بالقرآن والاسلام لكانوا يستحيون مماهم فيه ولكان كل واحد منهم مثلكم ومثل الاستاذ الكبير محمد بن عبده يخرج نفسه من شرك التقليد الذي أضل الناس كثيرا ولكان يسلك في منهاج التحقيق الذي هو الصراط المستقيم ويضيء فضاء الارض برحبها وينور العالم الاسلامي بسعته كلها بشعلة الاسلام ونبراس كلام الله الملك العلام

وليت شعري ماذا الذي علمنا القرآن والاسلام ؟ هل هو بعض هذه الحركات البدنية ام نبذ من تلك المراسم الظاهرية أو مطالب عديدة من مسائل النفاس والحيض يعنون بها التعليم الديني لا غير لا مادون ذلك ؟ كلا ولا كرامة وحاشاهما عن ذلك بل وقد دلانا على ما فيه جل الخير وتمام النفع في الدين والدنيا وكمال الربح في الاخلاق والمدنية وعلمانا الاصول التي بها نهتدي الى تحصيل تلك العوائد الثمينة والفوائد الغالية واوجبا علينا اكتساب العلوم الكونية والعقلية

باب المناظرة والمراسلة

الرد على الشيخ بخيت — تابع لما في الجزء السادس

المسائل الدينية

﴿المسألة الأولى متن الحديث﴾ نص حديث جابر عند ابن ماجه أورده الشيخ بخيت محرفاً فأشرنا الى ذلك في تلك الجملة الوجيزة وكان غرضنا من تلك الاشارة الفرق بين عبارة الحديث عنده وهي «الا أن يقهره سلطان يخاف سيفه أو سوطه» وعبارته عند روايه (ابن ماجه) وهي « إلا أن يقهره بسلطان يخاف سيفه وسوطه» فقوله بسلطان معناه بسلطة فيشمل كل سلطة لكل قوي . وقد اكتفينا بالاشارة لأنه لم يكن من غرضنا تفصيل خطأ المستنبط الجديد بل عدم الثقة باستنباطه فلما أراد أن يرد علينا كل ماقلناه وإن كان حقا رجع الى الكتب التي من شأنها ان تذكر هذا الحديث وكتب بعد ذكر عبارتنا في تصحيح الرواية مانصه (ص ٣٢)

« ونقول في الرد عليه قد ذكر في البرق الوميض حديث جابر باللفظ الذي ذكرنا وعزوناه في الرسالة اليه وقد ذكره في كنز العمال مطولا ونسبه للبيهقي وفيه ألفاظ لاتوجد في البرق وجاء في آخره : ألا لاتؤمن امرأة رجلا ولا يؤمن أعرابي مهاجرا ولا يؤمن فاجر مؤمنا الا أن يقهره سلطان يخاف سيفه وسوطه اه وقد ذكره في منتقى الاخبار باللفظ الذي ذكره المعترض ولعله لقصوره قصر الرواية عليه » اه

ثم ذكر بعد هذه الجملة ان الحديث ذكر في المهذب وشرح الاقناع قال « وذكره ابن ماجه في سننه مطولا » وذكر آخره عنه وفيه « الا أن يقهره بسلطان » ثم ذكر أسماء بعض الفقهاء الذين أوردوه في كتبهم واستنبط من ذلك أن « كل من احتج به في موضع اقتصر منه على موضع حاجته في الاحتجاج وكل ذلك جائز لم يقل بمنعه أحد ولا ضرر في اختلاف الالفاظ مع اتحاد المعنى

منها أناس يرتفع بهم منار الدين و يتقد به نار الاسلام و يعلو قدر المسلمين، ويهتدي بها المسلمون الي لو احب الصعود والارتقاء ويزيدهم عزة و بهاء و يهيئ لهم ذرائع الاصطعاد والاعتلاء وانما يحزننا أولا انا نجد المسلمين في أي مصر واية نقطة من نقاط الارض كانوا بأسرهم ذاهلين عن استجلاب العلم واكتساب الحكمة غافلين عنها غير مكترثين بها وثانيا انه حيث ما نجد لهم وسائل التحصيل حاضرة ولواحب الاكتساب متسعة ومناهج التدريس مطروقة متفتحة وحيثما يوجد لهم كلية قديمة مثل هذه الكلية التي هي أقدم كليات العالم يكون فيها مثل هذا التعليم الفاسد الضار الذي تضيع فيه الاعمار و يضاع فيها الفضة والنضار ، و يصطلح الناس فيه على أن يسموا مثل هذا النهج الباطل العاطل العتيق الذي لاينبعث المسلمون به للنهضة و ينسلب من أجلها مادة التحقيق عن قلوبهم الخاوية و يبغض اليهم النظر في العلوم النافعة اصطلحوا على أن يسموه تعليما دينيا—وعلى أن يسموا الرجل العارف بمسائل شتى من الطلاق والرقية والنفاس والحيض رجلا عالما ولا غير

هذا واني لست بمسهب مقالي في هذا الشان ولا بمطنب في شكايتي من علماء الزمان نظرا الى ما حوت مجلتكم الباهرة الغراء من أحوال هؤلاء العلماء وشؤنهم واخبارهم فنحن في غنى عن اطالة الكلام عليها و بمعزل عن إسهاب المقال فيها وعلى كل حال فان الاحوال الحاضرة للعلماء ومدارسهم ومكاتبهم مما قد تبين واتضح للناس ضررها وفقدان نفعها للمسلمين وضوح الشمس فى كبد السماء وانما بثي وحزني على ذلك من جهة ان الازهر كان هو المدرس الواحد فى الدنيا من قديم الاعصر والاعوام الذي كان يرجى فيه اصلاح جميع المفاسد الملية والمدنية فى الاسلام ولا غير ولو تقبل الناس آراء المفتي محمد بن عبده و بادروها بالقبول لكنا نأمل منه خروج المسلمين عن غيابة الذل والنكبة ونترقب صعودهم الى أعلى قنن الفوز والسعادة ولكن عليكم بمدان لا تيأسوا من روح الله وتجدوا كل الجد في اصلاح المسلمين، وأحسنوا ان الله لا يضيع أجر المحسنين ،

وكتب يوم الخميس ١٥ خلون من شهر ربيع الآخر وأنا مخلصكم الصفى الوفي

(محسن الملك)

يعزه الى مخرجه الذي عزاه هو اليه وهو ابن ماجه والصواب انه عزاه الى ابن ماجه فالبيهقي ولا نقول ان الشيخ بخيتا لا يعرف انهم يرمزون الى ابن ماجه بحرف «ه»

(خامسها) ذكره ابن ماجه في جملة من رووا الحديث — والكلام في روايته خاصة — تحصيل حاصل لا يصدر من محصل

(سادسها) ان الذين احتج باختلافهم في إيراد الحديث ليسوا كلهم رواة له وإنما هم ناقلون فالراوي للحديث هو ابن ماجه وكذلك البيهقي كما في كنز العمال وليس صاحب كنز العمال من أهل التخريج وانما هو ناقل وكذلك الفقهاء الذين ذكرهم فلا يحتج بنقل أحد منهم وانما يجب الرجوع الى كتب أهل التخريج وقد علمت نص ابن ماجه وأما البيهقي فهذا نصه كما في السنن الكبرى له:

«أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الله بن بشران ببغداد أخبرنا أبو جعفر محمد بن عمر بن البختري أخبرنا محمد بن عبد الملك الدقيقي انا يزيد ابن هرون أخبرنا فضيل بن مرزوق حدثني الوليد بن بكير أخبرنا عبد الله بن محمد عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب عن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يا أيها الناس توبوا الى الله عز وجل قبل ان تموتوا وبادروا بالاعمال الصالحة وصلوا الذي بينكم وبين ربكم بكثرة ذكركم له وكثرة الصدقة في السر والعلانية تؤجروا وتحمدوا وترزقوا واعلموا أن الله عز وجل افترض عليكم الجمعة فريضة مكتوبة في مقامي هذا في شهري هذا في عامي هذا الى يوم القيامة من وجد اليها سبيلا فمن تركها في حياتي أو بعدي جحودا بها واستخفافا بها وله إمام جائر أو عادل فلا جمع الله شمله ولا بارك له في أمره الا ولا صلاة له الا ولا وضوء له الا ولا زكاة له ألا ولا حج له الا ولا بر له حتى يتوب فان تاب تاب الله عليه . الا ولا تؤمن امرأة رجلا الا ولا يؤمن أعرابي مهاجرا الا ولا يؤمن فاجر مؤمنا الا لمن يقهره بسلطان يخاف سطوته » عبد الله بن محمد هو العدوي منكر الحديث لا يتابع في حديثه قاله محمد بن اسماعيل البخاري : اهـ قول البيهقي

أقول ومنه نعلم ان طريقه هو عين طريق ابن ماجه لا طريق آخر كما زعم

ألا ترى ان ابن ماجه قد ذكره في سننه بلفظ والبيهقي قد ذكره بلفظ ومنتقى الاخبار قد ذكره بلفظ ولكن حب الاعتراض على الناس يعمي ويصم نعوذ بالله من ذلك » اه

أقول قد أخطأ الشيخ بخيت في هذا المقام من وجوه (أحدها) ان كلامه في رسالة السكورتاه كان في رواية ابن ماجه لحديث جابر لافى الحديث على الاطلاق ورواية ابن ماجه ليس فيها اختلاف وليست كما أورده فهو قد نسب الى ابن ماجه تحريف الحديث أو نسب اليه مالم يروه ولا يخرجه من هذه الورطة كون غير ابن ماجه قد رواه باللفظ الذي ذكره ان صح ذلك

(ثانيها) قوله انه عزا حديث جابر الى البرق الوميض غير صحيح فان المتبادر من عبارته فى رسالة السكورتاه انه نقل الحديث عن سنن ابن ماجه نفسها فانه قال مانصه : « ومما يدل على انه لا يشترط للسلطان الذي يقلد القضاة ويأذن بالجمعة ان يكون مسلما بل يجوز ذلك من السلطان الكافر ما أخرجه ابن ماجه وغيره عن جابر بن عبد الله قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال » وساق الحديث وذكر في آخره (اه) ثم قال فى ابتداء كلام هكذا

« ولذا قال في النهاية وغيرها ويجوز التقلد من السلطان الجائر كما يجوز من العادل وذكر فى الملتقط والاسلام ليس بشرط فيه أي في السلطان الذي يقلد اه كلامها»

ثم ابتدأ كلاماً جديداً هو حكاية قال في آخرها اه من البرق الوميض : فهل يفهم أحد من ذلك انه نقل حديث ابن ماجه من البرق الوميض ؟ ؟ كلا بل هو يغالط أو يكتب مالا يريد ثم لا يفهم مايكتب

(ثالثها) ان البرق الوميض ليس من كتب الحديث التي يعتمد عليها ويوثق بها فاحتجاجه بنقله لحديث ابن ماجه لا قيمة له . ولعل اقتصاره على نقل الحديث عنه أدلُّ على قلة الاطلاع — ولا نقول على الجهل بالحديث وكتبه — من اقتصارنا على عبارة منتقى الاخبار الذي هو من كتب الحديث المشهورة المعروفة بالضبط وصحة النقل

(رابعها) قوله ان كنز العمال نسب حديثه المطول الى البيهقي يفهم منه انه لم

من الكتاب والسنة الصحيحة والاجماع مايشهد بصحة معناه ويؤيده كما يأتي وكون الراوي منكر الحديث لايقتضي ان متن الحديث الذي رواه منكر فان المنكر قد اختلفوا فيه فقال في التنقيح هو مالم يروه أصحاب السنن والمسانيد والصحيح ولا يوجد له أثر في كتاب من كتب الامهات كمسند أحمد ومعجم الطبراني ومصنف ابن أبي شيبة وغيرها مع شدة حاجتهم اليه اهـ »

ثم ذكر أقوالا أخرى في الحديث المنكر لمتأخري المحدثين واعتمد قول التقريب بالتفصيل فيه كالشاذ قال « وقد علمت ان من الشاذ مايكون صحيحا وما يكون حسنا فيكون المنكر كذلك » الخ

أقول كلام الشيخ بخيت هنا يدل على أحد أمرين إما انه لا يعرف علم الحديث ولا بوجه الالمام وانما يراجع الكتب عند الحاجة فيكتب عنها مايلوح له ان يوافق غرضه واما انه يحرف الكلم عن مواضعه و يدلس و . . و . . عامدا عالما والاول هو الأظهر ومن الدلائل على ذلك من كلامه هذا ماترى من أنواع الخطأ وهي

« ١ » جعل الوليد بن بكير كمحمد بن عبد الله بن نمير عدلا لاطعن فيه وقد قال الذهبي في الميزان ما رأيت أحدا وثقه غير ابن حبان وقد نسب بعضهم ابن حبان الى التساهل في التعديل وقالوا انه واسع الخطو في باب التوثيق يوثق كثيرا ممن يستحق الجرح وفي تدريب الراوي للسيوطي وفتح المغيث للسخاوي تفصيل في ذلك محصله ان له اصطلاحا خالف فيه غيره منه ان كان يجعل الحسن صحيحا وانه كان يوثق من لم يطعن فيه أحد . ولم يعتد الذهبي قول أبي حاتم فيه (شيخ) توثيقا وكلمة شيخ عند أبي حاتم في المرتبة الثالثة قال في صاحبها « يكتب حديثه وينظر فيه » أي يكتب لأجل البحث عنه فهل يقال في مثل هذا انه ثقة كمحمد ابن عبد الله بن نمير الذي روى عنه الشيخان ؟ ؟

« ٢ » قوله ان الطعن في عبد الملك بن حبيب غير مسلم هو حكاية لقول المقري المؤرخ صاحب نفح الطيب وهو ليس من أهل الجرح والتعديل وقوله هذا لا يعتد به فان الجرح المفسر مقدم على التعديل لاسيما اذا أيد بعض أهل الجرح فيه بعضا . وألفاظ الجرح فيه كثيرة منها مانقله الشيخ بخيت عن الشوكاني

الشيخ بخيت وأنه أورد الحديث و بين جرح راويه ليعلم انه لا يحتج به · ومن نص سنن البيهقي الموافق لنص سنن ابن ماجه في قوله « الا أن يقهره بسلطان » تعلم أن ما في كنز العمال من النقل عنهما محرف

وأما الطبراني فلم يخرج هذا الحديث وانما حديثه خاص بفرضية الجمعة ليس فيها ذكر الامامة ولا القهر بالسلطان فهو لا يعد طريقا ليقوى به الحديث فما هذا الغش والتلبيس

—﴿ المسألة الثالثة — سند الحديث ﴾—

ذكر الشيخ بخيت عبارتنا في تلك العجالة في كون الحديث منكرا أو موضوعاً لقول البخاري في راويه التميمي منكر الحديث وقول وكيع فيه يضع الحديث ثم اننا أخذنا ذلك عن الشوكاني ونقل هو عبارة الشوكاني وفيها ما ذكر عن البخاري وعن وكيع ثم قال (ص ٣٤) « ولم يقل الشوكاني ان الحديث منكر أو موضوع كما اجترأ عليه المعترض من نفسه ولا يلزم من الطعن في رجال الحديث الطعن في نفس متن الحديث على ما سيأتي بيانه ونذكر لك ما قيل في رجاله لتقف على حقيقة الحال ثم نتبعه بما يتعلق بحال المتن » ثم ساق سند ابن ماجه ونقل بعض ما قيل في رجاله واحدا واحدا ثم قال (ص ٣٨)

« ومما أوضحنا لك في الرجال تعلم ان كلا من محمد بن عبد الله بن نمير والوليد بن بكير ثقة عدل لا طعن فيه وقد روى الوليد وهو ثقة هذا الحديث عن عبد الله بن محمد العدوي ورواه محمد بن عبد الله بن نمير وهو ثقة عن الوليد وقد تابع محمد بن عبد الله العدوي في هذا الحديث عبد الملك بن حبيب وان الطعن فيه غير مسلم ولم يتفقوا عليه وان علي بن زيد قد روى عنه قتادة والسفيانان والحمادان وخلق وكفى بذلك توثيقاً وتعديلا وقد خرج له الاربعة والبخاري في الأدب ومسلم في صحيحه وان قرن معه غيره و بالجملة فلم يطعن على أحد من رجال هذا الحديث بالفسق وعدم العدالة وعلى فرض تسليم الطعن فغاية ما يقتضيه ضعف هذا الراوي المطعون فيه · وضعف الرواة لا يسقط الاحتجاج بالحديث الا اذا عارضه ما هو أقوى فيقدم عليه ولم يوجد ما يعارض هذا الحديث بل وجد

فيها شيء من قبيل ألقاب السباب الا لفظ الكذب هو يذكره الجمهور للضرورة ومنهم من يتنزه عنه كالبخاري وقلما يصرحون بفسق الفاسق وكل ما نقلنا عنهم من ألفاظ الجرح في رواة هذا الحديث معناه ان المجروح ليس عدلا اذ الجرح يقابل التعديل ولا حاجة الى التصريح بكلمة «غير عدل» وما في معناه . فليبحث في كتب هذا الفن عن مراتب الجرح يتبين له ذلك ويعلم أن قوله لم يطعن على أحد من رجال هذا الحديث الخ لا يفيده شيئا في تقوية سنده وجعله مما يحتج به . وقد علم القراء ما قيل في غير محمد بن عبد الله بن نمير منهم وحسبهم أن البخاري قال في راوي الحديث أنه منكر الحديث ومن اصطلاحه أن من قال فيه ذلك لا تحل الرواية عنه فهل يقول الشيخ بخيت إن من لا تحل الرواية عنه ثقة عدل يحتج بحديثه ؟

(٥) قوله ضعف الرواة لا يسقط الاحتجاج بالحديث الخ خطأ يأتي بيانه بعد

(٦) قوله انهم لم يتفقوا على الطعن بعبد الملك لا يفيد على تقدير صحته الا اذا كان يشترط في الاعتداد بالجرح والاتفاق عليه وليس الامر كذلك بل الجرح مقدم على التعديل مطلقا أو بشرط كونه مفسرا

(٧) قوله : وكون الراوي منكر الحديث لا يقتضي أن متن الحديث منكر : لا يفيده بل يقوي الحجة عليه الا اذا صح قوله إن ضعف الرواة لحديث لا يسقط الاحتجاج به ولن يصح فان كون الراواي منكر الحديث جرح له يمنع الاحتجاج بحديثه عند البخاري وقد يكون الحديث منكرا وهو مما يحتج به على القول بأنه بمعنى الشاذ وهو ما اعتمده وان كان غير معتمد في نفسه وانما المعتمد من أقوال كثيرة ان بين المنكر والشاذ عموما وخصوصا من وجه يجتمعان في كون الراوي قد انفرد برواية كل منهما وينفرد الشاذ بكون راويه ثقة والمنكر بكون راويه ضعيفا (انظر كشاف اصطلاحات الفنون) وانما توهم من توهم ان الشاذ والمنكر واحد من اختلاف القوم في الاصطلاحات . وانما قلنا في تلك العجالة ان الحديث منكر أو موضوع بناء على انفراد محمد بن عبد الله التميمي به وعدم الاعتداد بمتابعة عبد الملك بن حبيب له لأنه ليس من أهل الرواية وقد نصوا على أن التميمي هذا

وعن ابن لباب ومنها ما ذكره الذهبي في الميزان عن ابن حزم انه قال فيه ليس بثقة وقال روايته ساقطة مطروحة . وعن الحافظ أبي بكر بن سيد الناس انه قال فيه انه صحفي لا يدري الحديث ، وضعفه غير واحد ثم قال — وبعضهم اتهمه بالكذب وقال ابن حزم روايته ساقطة مطروحة أقول فاذا أجللناه عن الكذب فهل نجله عن القول بالجهل بالحديث الذي أيد كلام ابن لباب فيه قول الحافظ أبي بكر انه صحفي لا يدري الحديث ، والحافظ الذهبي نفسه قد وصفه بذلك مع اعترافه بعلمه فانه قال فيه « كثير الوهم صحفي » ويؤيد هذا ما نقله بخيت من مسألة الغرارة والجواب الذي نقله عن المقري فيها ليس بشيء ، فان الذين يقولون بالاجازة لا يعدون من أجيز بغرارة من الكتب (أي جولق) لم يقرأها ولم تقرأ عليه راويا لها ضابطا لما فيها بحيث يحتج بمتابعته في تقوية منكر الحديث . فليت شعري هل فهم الشيخ بخيت هذا فأغمض فيه أم لم يفهمه

(٣) قوله ان علي بن زيد قد روى عنه فلان وفلان وكفى بذلك توثيقاً مردود بأن رواية من ذكر عنه لا تدل على عدم الطعن فيه بل الطعن فيه منقول فقد قال الامام أحمد فيه هو ضعيف وقال البخاري وأبو حاتم لا يحتج به ولا ينافي ذلك رواية البخاري عنه في الادب المفرد فانه يروي فيه عن الضعفاء ولو لم يكن ضعيفا عنده لروى عنه في صحيحه . وكان ابن عيينة يضعفه وقال حماد بن زيد أخبرنا علي بن زيد وكان يقلب الاحاديث وقال الفلاس كان يحيى القطان يتقي الحديث عن علي بن زيد . وطعن آخرون فيه فراجع مع هذا سائر ما قيل فيه في ميزان الاعتدال

(٤) قوله : وبالجملة فلم يطعن على أحد من رجال هذا الحديث بالفسق وعدم العدالة : مما يتعجب منه فان الطعن بالفسق ليس من ألفاظ جرح الرواة الدال على عدم الاحتجاج بروايتهم وكأن الشيخ بخيتا ظن ان شأن المحدثين في الرواة كقضاة المحكمة الشرعية في الشهود بل كشأن نحوت العامة في طعن بعضهم ببعض فان كان هذا ظنه فهو إثم فانهم رضي الله عنهم ما كانوا يقولون ان فلانا لا تقبل روايته لانه فاسق أو زان أو مرتش بل جعلوا للجرح مراتب ليس

الاحتجاج به معناه أنه غير عدل فعبارة ابن حبان بمعنى قول البخاري منكر الحديث أي لا تحل الرواية عنه أو هذه أشد واما قولهم ان فلانا لم يقل كذا فلا معنى له الا أن القائل لم يعلم بأنه قال لعدم استقرائه

وهل علمت أيها القارئ من هو الحافظ عبد الحي الكتاني الفاسي الذى يقتبس الشيخ بخيت من علمه بالحديث و يحتج بقوله ورأيه ؟ هو الشيخ الكتاني المغربي الذى مر على القاهرة في العام الماضي والرحمة المرسلة رسالة له حاول فيها تحسين حديث البسملة « كل أمر ذي بال » وقد جعله الشيخ بخيت حافظا ليحتج بكلامه ولا فخر له في ذلك فان الذي جعله من الحفاظ لا يعرف علوم الحديث

وجملة القول في سند هذا الحديث أن الشيخ بخيتا ادعى انه لم يطعن أحد في رجال سنده عند ابن ماجه بما يسقط عدالتها وانه مروي من عدة طرق يقوي بعضها بعضا وان الاعلام رواه وسكتوا عليه وان متابعة عبد الملك بن حبيب للتميمي عليه معتبرة وكل هذه الدعاوي باطلة كما علم مما تقدم على اختصاره

اصول الاسلام

﴿ الكتاب، السنة، الاجماع، القياس ﴾

جاءنا من الشيخ طه البشري الاستاذ المدرس بالجامع الازهر تحت هذا العنوان ما يأتي الى الدكتور النطاسي محمد توفيق أفندي صدقي

بعد انه نحمد الله اليك ونصلي ونسلم على نبيه المجتبى ورسوله المصطفى وآله وصحبه فلقد قرأنا قالتك التي ذهبت فيها الى ان الاسلام هو القرآن وحده ونشدت من العلماء من يساجلك القول ويبادلك الحجة حتى ينتهي البحث الى الحق الذى لا شبهة فيه فاذا كنت مصيبا تابعك وأيدك أو مخطئا خالفك وأرشدك واني مناظرك ان شاء الله تعالى بما لا ترى فيه حرجا عليك من الزامك بما قال زيد ورأى خالد لكن بالكتاب نفسه أو بما رأيت فيه حجة لنفسك من غيره ملتزما جهد المستطيع حد المناظرة الصحيحة حتى تبلغ منزلة الحق الذى ننشده جميعا فاما تهديا الى وفاق، والا فقد بلغ أحدنا من مناظره عذرا، وكثيرا ما ابتدأت

لا يتابع واذا تفرد منكر الحديث أو من يضعه بحديث كان متن الحديث منكرا أو موضوعا . فاذا أثبت الشيخ بخيت أن لهذا الحديث روايات أخرى يكون قولنا ذاك خطأ سببه عدم اطلاعنا على تلك الروايات وأين هي ومن هم رجالها؟

آية من آيات دقة الشيخ بخيت في علم الحديث

قال في آخر (ص٠ ٤) بعد ما تقدم «وقول ابن حبان لا يجوز الاحتجاج به شهادة نفي قال في الرحمة المرسلة للحافظ عبد الحي الكتاني الفاسي وقد قال الحافظ ابن حجر في القول المسدد في الذب عن مسند أحمد في حديث قال ابن حبان فيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقله ولا عمر ولا سعيد ولا الزهري ما نصه قول ابن حبان شهادة نفي صدرت من غير استقراء تام على ما سنبينه فهي مردودة اه وقال الذهبي الكلام في الرجال لا يجوز الا لتام المعرفة تام الورع اه فقول الشوكاني تالف لا يقبل وقول وكيع يضع الحديث لا يقتضي ان هذا المتن موضوع ولو كان موضوعا ما رواه أولئك الاعلام ويسكتون عليه ولا يبينون ذلك وقد علمت متابعة عبد الملك بن حبيب وعدم تسليم الطعن فيه وقول ابن حجر واهي الحديث وقول ابن عبد البر هذا الحديث واهي الاسناد وقول البيهقي لا يتابع في حديثه كل ذلك لا يقتضي كون هذا المتن واهيا قال الحافظ عبد الحي الفاسي في الرحمة المرسلة لان تعدد الطرق مانع من كون الحديث واهيا شديد الضعف لان الضعف اذا حصل له أدنى انتعاش واستئناس أحدث فيه قوة ومعلوم أن ضعيفين يغلبان قويا »اه

أقول قد علم القراء ان هذا الحديث لم يروالا من طريق محمد بن عبد الله العدوي التميمي الذي تكرر ذكره والشيخ بخيت ينقل كل هذه المطاعن فيه وهي أشد ألفاظ الجرح عند المحدثين ثم لا يراها جارحة له مسقطة لعدالته مانعة من الاحتجاج بحديثه . ومن دقيق علمه انه يفرق بين قولهم فلان لم يحتج به وقولهم فلان لم يقل كذا اذ جعل الاول كالثاني شهادة نفي ولعله عند ما يعود الى عبارته هذه يستحي منها واذا علم ان تلاميذه رأوها وفهموها يستحي أن يظهر بينهم بصفة المعلم اذ لا أظن انه يخفى عليهم أن قول أهل الجرح والتعديل فلان لا يجوز

وتعالى على الناس في طاعة الرسول وشدد في مواضع كثيرة من القرآن العظيم بالترغيب في اتباعه ، ووعد العاملين بامره بعد ان قرن طاعته بطاعته في قوله تعالى (ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيماً) و بتخويف المخالفين لامره ، والمتجافين عن حكمه بقوله تعالى (فليحذر الذين يخالفون عن أمره ان تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب يوم أليم) فمخالفة الرسول ولا ريب مخالفة صريحة لامر الكتاب الصريح

وقد استدللت على أن الاسلام هو القرآن وحده بقوله تعالى (ما فرطنا في الكتاب من شئ) وعلى تسليم ان المراد بالكتاب هنا هو القرآن ، فان أردت ان القرآن لم يفرط في شئ من مسائل الشريعة بطريق النص فلا نستطيع ان نوافقك على هذا احتراما لمكان الكتاب الكريم من الثقة والصدق ، فان القرآن لم يتناول بطريق النص من مسائل الشريعة الا يسيرا ، وان أردت ان الكتاب لم يفرط في شئ من الدين على سبيل الاجمال قلنا نعم فان القرآن لم يفرط في شئ من كليات الشريعة وأنت خبير بان ذكرها مجملة ليس كافيا في استنباط المجتهد ما يقوم به العبادة و يحرر المعاملة ، على اننا نقول ان القرآن لم يفرط فى شئ من كليات الشريعة وجزئياتها فان مالم ينص عليه الكتاب منها أمر باتباع الرسول فيه ، فكل مسائل الشريعة على هذا من الكتاب اما مباشرة ، واما باتباع ما بينه الرسول الامين

﴿ عصمة السنة الصحيحة و نها من الله قطعاً ﴾

لايحسبك تخالف في ان الرسول معصوم ، وان كل مايجري على لسانه أو أو يبدو من عمله انما هو باوحي السماوي أو الالهام الآلهى الصادق ، وما كان للرسول أن يشرع شرعا يتعبد الناس به من عند نفسه (وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى) فامر الرسول لا يختلف عن أمر القرآن وكلاهما معصوم ، فلا مجال ثمت للسؤال بانه – هل يفرض علينا الرسول فرضا لم يفرضه الكتاب فان الكتاب والرسول لا يفرضان شيئاً (ليس لك من الامر شئ) وانما الذي يفرض هو الله الحكيم ومظهر هذا الفرض اما ان يجري على لسان النبي العظيم ، أو يتجلى

المناظرة بالمهاترة وانتهت بتــلاح ،والحق ذاهب بينهما ادراج الرياح، ولاحول ولا قوة الا بالله ، نسأل الله تعالى ان يعافينا واياك من هذا البلاء

اعلم وفقنا الله واياك ان أصول الاســلام الاربعــة الكتاب والســنة والاجماع والقياس

اما الكـتاب فلا تنازع فيه بل نراك اتخذته وحده التكأة التى تستند فى أمر دينك اليها والحجة التي تنافح عن نفسك فيماذهبت بها

واما السنة فلانا نثبتها بالكتاب نفسه فهي منه تستمد، وعليه تستند،وعنه تصدر،واليه ترجع،قال الله تعالى (وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس مانزل اليهم) وليس هناك من معنى لتبيين الكتاب غـير تفصيل مجمله،وتفسير مشكله ،وغير ذلك من مسائل الدين التي لم يتناولهـا الكتاب بالنص، ولم ينبسط لها بالبيان ، ومثله (وماأرسلنا من رسول الابلسان قومه ليبين لهم) وقال تعالى(كماأرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة) الآية فقال ويعلمكم الكـتاب ولوكان المراد مجرد تبليغه لاكتفى بقول يتلو عليكم آياتنا ولا يذهب عنــك ان التعليم غير الاداء والتبليغ،ثم عطف عليه بالحكمة ،وعطفها على الكتاب يقتضي انها هنا شئ آخر،وليس هناك غير السنة وقال تعــالى في مواضع كثيرة (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول)وطاعة الله لاشك بالرجوع الى كتابه، وطاعة الرسول بالرجوع الى سنته ،ولو كان المراد الكتاب وحده لما كان ثمت داع للتكرار ، وقال تعالى(الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجـدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يحل لهم الطيبات ويحرم عليه الخبائث) الآية فنص في هذه الآية الكريمة على الاخذ بما يحل الرسول والتحرج عما يحظر مطلقا ، وقد ثبت ان السنة اباحت كثيرا وحظرت كثيرا بدون أيّ نص أوإشارة خاصة من الكتاب ومع ذلك يجب الاخذ بكل ماجاءت به لقوله تعــالى (وما آتاكم الرسول فخــذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) وقــد صرح الكتاب العزيز بان كل ماأوجب الرسول وأمر ،أو نهى وحظر،انما هو من الله تعالى يجب اتباعه ولا يجوز اجتنابه ، لقوله تعــالى (من يطع الرسول فقــد أطاع الله) وقد أكد سبحانه

فمنهم من استنفد السنين الطوال في حفظ اللغات والتسميات الموضوعة على لسان العرب حتى قرروا لغات الشريعة الغراء من القرآن والحديث ، وهذا الباب الاول من أبواب فقه الشريعة التي أوحاها الله الى رسوله على لسان العرب ، ومنهم من جد في البحث عن تصاريف هذه اللغات في النطق بها رفعا ونصبا وابدالا وقلبا واتباعا وقطعا وافرادا وجمعا الى غير ذلك من وجوه تصاريفها الافراد والتركيب ، ومنهم من قصر عمره — وهو طويل — على البحث عن الصحيح من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أهل الثقة والعدالة من النقلة حتى ميزوا الصحيح من السقيم ، وتعرفوا التواريخ وصحة الدعاوي في أخذ فلان عن فلان حتى استقر الثابت المعمول به من الحديث الشريف فلا محل لدعوى «حصول التلاعب والفساد» في حديث الرسول الكريم ، كيف وقد علمت ان السنة شطر الدين ، والدين قد جاء الينا بطريق التواتر القطعي ؟ واذ كان نقلة الكتاب العزيز هم العدول الضباط الحفاظ الامناء فان نقلة الحديث ورواته ان لم يكونوا هم باعيانهم فانهم لا يقلون عنهم في العدالة والحفظ والضبط والثقة والامانة فمن طعن في صحة السنة فقد طعن في صحة الكتاب أيضاً

وقد عللت صحة الكتاب وفساد سند السنة بتعاليل نرى من الحتم علينا الالمام بها جملة ، ونعقبها بما يكفي لدفعها

(١) كون متن القرآن مقطوعا به لانه منقول عن النبي باللفظ بدون زيادة ولا نقصان (٢) كتابة القرآن في عصر النبي عليه السلام بأمر منه (٣) عدم كتابة شيء من الاحاديث الا بعد عهده بمدة كافية في حصول التلاعب والفساد الذي حصل (٤) عدم ارادة النبي لان يبلغ عنه للعالمين شيء بالكتابة سوى القرآن المتكفل بحفظه في قوله تعالى (انا نحن نزلنا الذكر الآية) ولو كان غير القرآن ضروريا في الدين لامر النبي بتقييده كتابة ، ولتكفل الله بحفظه ، ولما جاز لاحد روايته على حسب ما أداه اليه فهمه ،

ونقول — (١) اما القطع بالقرآن كله فلا شك فيه ، ولكن ليس بما ادعيت

في لفظ الكتاب الكريم ، وليس الامر بطاعتهما الا أمرا بطاعة الله (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) الآية (من يطع الرسول فقد أطاع الله) فالرسول عليه السلام هو الواسطة الذي في نقل حكم الله العظيم قرآنا كان أو غير قرآن ، والقول «نعوذ بالله» بعدم حجية الرسول قول بالاولى بعدم حجية الكتاب فاننا لم نأخذ الكتاب الامنه ، ولم نلقفه الا عنه ، وهو أمين الله على وحيه ، وبعيثه الى خلقه ، وحجته على عباده

السنة اجمالا مقطوع بها كالكتاب — لاشك في أن الكتاب مقطوع به ولم يكن هذا القطع الا من طريقه الذي اتصل بنا منه وهو التواتر ، والسنة بالجملة جاءتنا من هذا الطريق بعينه ، لان اجماع الامة من المبدإ الى الآن منعقد على صحة السنة اجمالا عن رسول الله ، وانها أصل من أصول الدين كالكتاب واذا كان طريق السنة هو بعينه طريق الكتاب لاجرم كان مقطوعا بها اجمالا كالقطع بالكتاب تفصيلا، قلنا السنة بحسب الاجمال أما هي الشخص فسيأتي عنها بعض التفصيل في مراتب السنة الصحيحة

عصمة الشريعة كلها

لنا في اثبات هذه الدعوى وجهان الاول الدلائل الدالة على ذلك من الكتاب مثل قوله تعالى (يريدون ليطفؤا نور الله بافواههم ويأبى الله الا ان يتم نوره) ونور الله شرعه وقوله تعالى (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) ولو فسرنا الذكر بالشريعة كلها كتابها وسنتها لكان الامر ظاهرا ، ولو قصرناه تفسيره على الكتاب لجاءت السنة بطريق اللزوم لما علمت من انها كتابة لتفصيل مجمله ، وتفسير مشكله ، ولا معنى لحفظ كليات الشريعة ومجملاتها دون جزئياتها ومفصلاتها ، التي هي مناط التكاليف وعليها تدور الاحكام

— والثاني الاعتبار الوجودي الواقع من زمن الرسول صلى الله عليه وسلم الى الآن فان الله سبحانه كما قيض للكتاب العدد الجم من ثقاة الحفظة بحيث لو زيد فيه حرف واحد لصرفه الآلاف من القارئين ، كذلك أقام لكل علم يتوقف عليه فهم الشريعة من الناس من تأدى بعملهم هذا الفرض أحسن الأداء

التلاعب والفساد ، بل ربما كان عدم الكتابة مما يبالغ بالنفس في تأكيد صحة أسانيد السنة ، اذ رواية الحديث الواحد بطرق متعددة ، وبأسانيد مختلفة مع حفظ وسطه وطرفيه أكبر مدفع لدعوى التلاعب والفساد ، ثم انك قلت «من التلاعب والفساد ماقد حصل» اترمي بذلك السنة الصحيحة المعتد بها، والمعتمد عليها ، المسطورة في مثل صحيح مسلم والبخاري وموطأ مالك وأمثالها ما أجمعت الامة على صحته ، أو غير ذلك مما نص على ضعفه أو وضعه ، ان كان الاول فقد طعنت فيما القوم اجماع على صحته في الجملة ومنه القرآن ولا تقول بهذا ، وان كان الثاني فأنا لا نعول منه على شيء

(٤) وأما دعوى «عدم ارادة النبي عليه السلام لان يبلغ عنه للعالمين شيء بالكتابة سوى القرآن» ففي هذه المقدمة — أو شبه المقدمة — نظر ، على اننا لو تنزلنا بتسليمها لما انتجت النتيجة التي تريدها ، وهي انه لم يرد ان يبلغ عنه شيء أصلا سوى القرآن (طبعا) والنبي عليه الصلاة السلام أرسل كثيرا من الرسل الى الجهات المختلفة ولم نسمع بل ولا تستطيع ان تثبت أنه كان يقتطع لهم من صحف الكتاب ما يكون (الحجة) في دعوتهم الى الاسلام أولا، ويعلمهم أحكامه ثانيا ، ولو كان الامر كما رأيت ما صح تبليغ أولئك السفراء الى الدعوة، ولا اعتد باقامتهم بين الناس أحكام الشريعة، نعم يقال انه كان يكتفي بمحفوظهم من الكتاب، ونقول انه كان كذلك يكتفي بمحفوظهم من السنة ، وان قيل ان النبي صلى الله عليه وسلم أصحب وفوده الى الملوك بكتابات مرقومة، ورسائل مسطورة، قلنا ان ذلك لم يخرج عن الايذان بصحة بعثة أولئك الرسل عن النبي عليه السلام وكل ما فيها لا يجاوز الالماع الى الغرض الذي سرحهم اليه ، واما كونه لم يترك أثرا من الدين مسطورا الا الكتاب العزيز فقد علمت ان لا يترتب عليه شيء مما نحن فيه ولو كان الامر كما ترى فبم كان يتعلم الناس كيفيات الصلاة مثلا وهي القاعدة الثانية من قواعد الاسلام ؟ .

ترى اننا بعد هذا في غنى من التماس العلل لكتابة القرآن دون السنة فنحن نقيلك من أصل العلة التي أوردتها لذلك وتكلفت مؤونة ردها ولكننا

من نقله عن النبي باللفظ بدون زيادة ولا نقصان فان هذا ليس كافيا في القطع بل هو انما تحقق بالتواتر اللفظي ، وهو الذي استفيد منه عدم الزيادة والنقصان، على انك ان عددت مثل ذلك موجبا للقطع يلزمك ان تعد السنة الصحيحة مقطوعا بها - بحسب الشخص - كلها لانها جاءتنا أيضا بلا زيادة ولا نقصان. بل ولعد كل خبر ورد من أي طريق بلا زيادة ولا نقصان مقطوعا به وهو غير مسلم

(٢) وأما كتابة القرآن بأمر النبي عليه السلام فى عصره فلا نزاع فيها أيضا ، ولكن العمدة في القطع به انما هي بالتواتر كما قدمنا بحفظه في صدور جماعة من الصحابة غير ممكن تواطؤهم على الكذب والذين يلونهم كذلك ثم الذين يلونهم الى عصرنا هذا ، على اننا لانهمل ما للكتابة من التوكيد وفوائد أخرى كثيرة مثل ترتيب الآيات بعضها الى بعض باشارة جبريل عليه السلام، فان القرآن نزل نجوما على حسب مقتضيات الوقائع لا بهذا الترتيب ، ولا يعزب عنك ان ماسطره كتاب الوحي من القرآن ليس بين أيدينا شيء منه الآن ؛ بل نحن لم نقطع بحصول الكتابة في عصر النبي عليه السلام الا بالتواتر اللفظي المسلسل الى ذلك العهد الشريف ، وهناك تستوي الكتابة وعدمها في صحة النقل ما دام مصدرها موجودا وهو النبي الكريم المبلغ لآيات الكتاب الحكيم ، فاذا كنت تعد الكتابة التي سجلت في عهده عليه السلام هى الحجة وحدها فى القطع بالقرآن، فقد شككت في القرآن المتلوّ طول هذا الزمان فى كل بلاد الاسلام، فاننا ومن قبلنا الى قريب من ذلك العهد الشريف لم نحظ برؤية شيء من هذا الاثر الكريم !!! واذا اعتبرت القطع بالنقل عن ذاك الاثر قلنا لانسلم ان هذا موجب للقطع بصحة القرآن اذ ان الكتابة نفسها لادليل موجب للقطع بانها من الرسول، بل هي فى اثبات صحتها ذاتها محتاجة الى التواتر اللفظي المؤيد يقينا لصحة العزو، فعلمت ان المدار في القطع بالقرآن هو التواتر اللفظي لاغيره وقد نقلت الينا السنة اجمالا من هذا الطريق ، ولا يذهب عنك ان العرب كانت أمة أمية أكبر اعتمادها في حفظ مأثورها كان على الصدور لا السطور

(٣) وأما عدم كتابة شيء من الحديث في عهده فهو لا يفيد دعوى

بلغة المهتدي وكفاية الطالب، كأن يرى ثمت لفظا يتبادل افرادا مختلفة الحدود على سبيل البدل لغة كالقرء في قوله تعالى (والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء) فانه مشترك لغة بين معنيين متناقضين (الحيض والطهر) وهنا لا يسعه الا ترجيح أحدهما بمرجح خارجي والا لزم اما التوقف أو التعسف بالترجيح بلا مرجح ، وقد رجح الحيض أبو حنيفة بما صح عنده من قوله عليه السلام (طلاق الامة ثنتان وعدتها حيضتان) فانه يدل على ان عدة الحرة ثلاث حيض لا ثلاثة اطهار . وكأن يرى المجتهد أيضا من لفظ الكتاب ما ازدحمت فيه المعاني واشتبه المراد به اشتباها لا يدرك بنفس العبارة بل بالرجوع الى شيء آخر كقوله تعالى (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) فان الصلاة في اللغة الدعاء . والزكاة النماء . فأي دعاء وأي نماء أريد في الكتاب ؟ لا بد من تعيين المراد بشيء آخر ولقد عينه النبي وبينه بيانا شافيا تصديقا لقوله تعالى (وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم) فالمستنبط من الكتاب لما ذكر فيه نفسه من الاحكام (الا ما كان نصا) لم يسعه تبيين المراد منه الا بالسنة وهذا فوق الكثير، فكيف بما لم نؤمر به في الكتاب مما انعقد الاجماع على وجوبه كواجبات الاحرام ونحوها ! ! ! بهذا تعلم ان الاستنباط من الكتاب وحده . والتغني به في كل أحكام الدين مستحيل

﴿ مراتب السنة الصحيحة ﴾

أثبتنا ان السنة بالجملة أصل من أصول الدين كالكتاب وانها بهذا الوصف نقلت الينا نقلا متواترا لا شبهة فيه ، أما هي بحسب الشخص فمنها المتواتر وهو (مارواه جماعة لا يتوهم تواطؤهم على الكذب ويدوم هذا الحد فيكون آخره كأوله وأوسطه كطرفيه) وهو موجب لليقين كالعيان علما ضروريا فهو كالكتاب فى صحة متنه، وصدق عزوه، بحيث يكفر منكره قطعا لانه جحود للمستيقن بأنه من الله — وفيها المشهور (وهو ما كان آحاديا في الاصل ثم اشتهر شهرة مستفيضة) ومنها الصحيح وهو (ماروه العدول الضباط الحفاظ من غير شذوذ ولا علة) وغير ذلك من أقسام السنة الصحيحة كثير . واذا كان القاتل يقاد منه بسفك دمه فى عرف الشرائع وما أدراك بحرمة الدم) بمجرد شهادة عدلين الا يجب العمل

نناقشك في هذا الرد

قلت «فان قيل ان النبي لم يأمر بكتابة كلامه لئلا يلتبس بكلام الله قلت وكيف ذلك والقرآن معجز بنظمه ولا يمكن لبشر الاتيان بمثله» ونقول ان اعجاز نظمه لا يتحقق بقدر الآية الصغيرة مثلا : فلا مانع اذن بأن يلتبس هذا القدر من الكتاب بالسنة ، أو مثله من السنة بالكتاب ، وأنت أوعى وأرشد من ان ننبه الى المصاب بخروج آية بل آيات متفرقات من القرآن عنه ، ودخول أمثالها فيه وليست منه ، على ان عدم التباس القرآن بغيره انما يتحقق في حق العربي الخبير باسرار البلاغة ودلائل الاعجاز ، ولكنه غير متحقق أصلا في جانب غيره أعجميا كان أو من هؤلاء المستعربين

على اننا نرجع الى أصل الموضوع فنقول ان وظيفة النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الباب انما هي التبليغ من أي طريق كان وقد قال (الا فليبلغ الشاهد الغائب) وذلك غير مخصوص بالكتاب بل بكل ما سمع منه قرآنا كان أو سنة وقد قال تخصيصا لهذه (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ)

أما جواز رواية الحديث بحسب ما يؤديه الفهم فما لم نسمعه الا منك ، فان المقرر المعروف ان فهم الحديث في ذاته تابع لروايته ، لا ان روايته تابعة لفهمه ، واذا كانت روايات الحديث مسوقة حسبما تبلغ الافهام فاحر بها ان لا تساق أصلا . وكيف يجول الفكر ويضطرب الفهم في شيء قبل وروده وتقرره أولا ؟ واذا أردت بذلك وقوع اختلاف الافهام في بعض الاحاديث فذلك ضروري كاختلافها في بعض آيات الكتاب سواء بسواء . أما رواية الحديث بمعناه اذا غاب عن الراوي لفظه فجائز لان المراد منه هو حكمه لا التحدي بنظمه . أو التعبد بلفظه . فلا بأس إذن بروايته بأي لفظ يؤدي معناه المراد

فساد دعوى الاستنباط من الكتاب وحده

ان المستنبط من الكتاب مهما صح فهمه . وغزر علمه . لا بد وان تعترضه مواضع لا يرى الكتاب مستغنيا في تقرير الحكم فيها بنفسه ، ولا مفصحا بما يكون

الكريم فان الحديث كله في حق سامعه منه عليه السلام صحيح مقطوع المتن كالقرآن واما غير هؤلاء ممن لم يتلق الحديث الكريم الا بالواسطة وهذه الواسطة اما ان تكون موجبة لليقين كما اذا كانت التواتر أو الظن بالخبر كما اذا كانت غيره من الطرق المعتبر التي أقلها موجب أيضا للعمل وان لم يكن موجبا لليقين اذ التكليف باليقين تكليف بما لا يطاق أو موجب للحرج على الاول وهو مدفوع بقوله تعالى (ماجعل عليكم في الدين من حرج) بل المجتهد ليس مكلفا فيما اذا كانت الاحكام غير مقطوعة المتون - كما في الاخبار الآحادية - الا بالبحث والتنقيب للعمل بالاقرب الى يقينه وهو الارجح في ظنه والاخبار الآحادية الصحيحة تبلغ ولا شك هذا المقدار فالعمل بها على هذا واجب وأيضا كون بعض أحكام الاحاديث ظنية -- لان سندها ليس الا موجبا للظن - لا يقدح في وجوب العمل بها كما لا يقدح في وجوب العمل ببعض أحكام الكتاب نفسه التي دلائلها ظنية - وان كانت مقطوعة المتن - كل مجتهد يحملها على الوجه الذي يؤديه اليه مبلغ علمه وفهمه ، فالقول بان المجتهدين كلهم على حق ليس « قولا باجتماع النقيضين » بل المراد ان الحق على فرض كونه واحدا دائر بينهم ، وتعيينه في جانب واحد دون الباقين تعسف، بل المراد ان كل مجتهد بحث عن الحق بما في وسعه حتى اهتدى الى النقطة التي يلزمه اتباعها دون غيرها ، وهي التي يقال انها الحق بالنسبة له ، والذي لا يجوز له التحول عنه ، بل الذي خرج ببلوغه من عهدة التكليف ، فلا بأس اذن بالقول بانهم جميعا على الحق من هذا الوجه

وليس ثمت تعارض في السنة الصحيحة - كما قلنا - لا للكتاب ولا لبعضها البعض . فان الوارد فيها اما مفصل لما أجمل في الكتاب أو مظهر لما خفي أو غير ذلك مما يحويه معنى التفصيل والبيان . واما مايخالف ظاهره منها الكتاب فكما يرد في كثير من الآيات يخالف بعضه ظاهر بعض فمؤول فيه حتى يطابق النص الكريم وسواء أخذنا بقول القائلين بنسخ السنة الصحيحة للكتاب اذا صح التعارض وامتنع التطابق أو ذهبنا مع الذاهبين الى انه لاشيء من السنة بناسخ الكتاب لانه لا يقع بينهما التعارض بالفعل أصلا ، فلا تعارض هناك مطلقا

في حكم شرعي بشهادة اثنين أو أكثر من العدول الثقاة الاوفياء من صحابة رسول الله وتابعيهم . بل لو شئت لأوردنا لك ما قال الشافعي حجة لنفسه في العمل بخبر الواحد، بل لأوردنا ما قال الله تعالى حجة علينا في ذلك حكم الله بين السنة والكتاب — حيث قد ثبت أن السنة الصحيحة شرع من الله تعالى ، متعبد بها فيما كان عبادة ومعتد بحكمها فيما كان معاملة فهي لا تناقض الكتاب مطلقا ولا دليل هناك على دعوى «وقوع التضارب والاختلاف» بين ماورد من الاحاديث الصحيحة المعمول بها فى شرع الله القويم . لأن منشأ هذا التضارب المدعى لا يخلو اما ان يكون من الاصل أو النقل أما من الاصل فمستحيل لأنك ولا شك تعترف معنا بوجوب الصدق والفطنة والعصمة لجميع الانبياء وليس بشيء من هذه الواجبات ان يحدث النبي في شرع الله بالمتضارب المتناقض بل هذا والعياذ بالله تعالى كذب لايجوز لمسلم ان يرمي به نبيا معصوما وأما من حيث النقل فقد بينا لك منه وجه الحجة وقلنا ان نقلة السنة هم العدول الثقاة الخ . وليس «ولوع المتقدمين بجمع روايات الحديث مدعاة الى وقوع التضارب والاختلاف فيها» بل هو أدعى الى حفظها وصيانها . ولعلك لم يفتك قراءة شيء من تاريخ أولئك الاخيار العاملين الذين تصرمت أعمارهم فى هذا السبيل اذ كان يمضي الواحد منهم الشهر والشهرين والاكثر متنقلا بين الاقطار والاصقاع تنقل البدر بين منازله التماسا لتحقيق حديث واحد من أفواه الثقاة الامناء ، ولو انه ظفر به من طريقه بعد طول الجهد ثم اختلج في نفسه أقل شبهة من أحد رواته نفض يديه منه ، وانقلب الى أهله خاويا من ذاك الحديث وفاضه . واليك كثيرا من هؤلاء كالبخاري ومسلم ومالك والشافعي واضرابهم الذين هم الحجة في نقل الحديث الصحيح المعتد به ، والمعول عليه ، وقولك بعد « ان المجتهدين تحققوا ان أكثر الاحاديث موضوعات » هو حجة لنا أيضا لان تمييزهم الموضوع والضعيف تمييز — ولو بطريق اللزوم — لغيره وهو الصحيح . قلت «المجتهدون» وهم اما الصحابة الذين تلقوا الاحاديث بآذانهم عن فمه الشريف بلا واسطة والحديث فى حق هؤلاء لايختلف الى صحيح وموضوع وضعيف لان هذه الفروق انما هي راجعة الى قوة السند وضعفه ولا يكون هذا في حال تسمعه من الرسول

ولا بهذا الحديث الذي أوردته على فرض صحته وكذلك خبر «لوكان — أي الوضوء من القيء — واجبا لوجدته في كتاب الله فغير صحيح أيضا ولو بما أثبت ظاهره بالمعنى الذي فهمته ماأسرعنا الى رده في الخبر المتقدم ولو صح ماعيينا بتفسيره على مايوافق اجماع المسلمين على انه قدوردت السنة الصحيحة الصريحة في ذاك نكتفي منها الآن بخبر واحد معناه انه سألت سائلة ابن مسعود ومكانه من العلم والدين والثقة مكانه — اني امرأة أصل الشعر فهل يحل ذلك لي فقال لايحل فقالت كيف وليس هذا في كتاب الله فقال لوقرأت كتاب الله لوجدته فيه فقالت اني قرأت مابين الدفتين فلم أجده قال ألم تقرأي (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) فهذا في كتاب الله فقالت بلى

الاجماع

وحجته من الكتاب العزيز أيضا لقوله تعالى (ومن يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ماتولى ونصله جهنم وساءت مصيرا) (* وليس هناك من سبيل للمؤمنين غير اتفقوا عليه من قضايا الدين ككون فرض الظهر أربعا والمغرب ثلاثا وكون نصاب الضأن أربعين والبقر ثلاثين ونحو ذلك ، وأين وليت وجهك الى أي فريق شئت في تعريف هذا الاجماع وأهله فهو حجة عليك في كل المسائل التي خالفت اجماع المؤمنين قاطبة عليها

القياس

— أثبت القياس فكفيتنا مؤونة اثباته غير انك انكرت السنة ومنكرها منكر للقياس بطريق الاولى ، على انا نثبتها جميعا

(المنار) لهذه المقالة تتمة عنوانها (العقل والدين) ويليها بقية الرد وقد نشرنا عبارته برمتها على طولها التزاهتها واستيفائها للمقصد

---

*) نص الآية الكريمة «ومن يشاقق الرسول من بعد ماتبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين» الخ

بين السنة والكتاب . اما على الثاني فظاهر واما على الاول ففرق ما بين النسخ وهو الغاء حكم بآخر كما في آيتي العدة ، والتعارض ببقاء الحكمين المتناقضين جميعاً ، ولا قائل به من هؤلاء أو أولئك

وكذلك يقال فيما يرد من الاحاديث مخالفا بعضه لظاهر بعض أي انه يتأول في أحدهما حتى يطابق الآخر، أو يكون بعضه ناسخا للبعض اذا تعارضا ولم يمكن التطابق . فاختلاف المجتهدين راجع اما الى الاختلاف في الفهم وذلك فيما كانت دلالته على الحكم ظنية وهذا يستوي فيه الاستنباط من الكتاب والسنة واما الى الاختلاف في العلم بأن يتلقى الواحد منهم حديثا لم يصح عند الآخر — مع طول البحث وفرط الجهد — أو لم يصل الى علمه أصلا . وقد يكون أحدهما ناسخا أو مطلقا ، والثاني منسوخا أو مقيدا مثلا، ولا يقال ان أحدهما على الباطل بعد اذ علمت ما قلنا في هذا السبيل من ان المجتهد مكلف بما يؤديه اليه اجتهاده والا لزم الحرج وهو مدفوع على ان هذا ليس خاصا بالاجتهاد من السنة بل ومن الكتاب أيضا كما بينا

اما خبر (اذا روي لكم عني حديث فاعرضوه على كتاب الله فان وافق فاقبلوه وان خالف فردوه) فغير صحيح على اننا لو سلمنا صحته فلا يمكن ان يكون معناه اذا حدثت حديثا فخالف الكتاب فردوه فان الرسول معصوم باتفاق عن ان يحدث بما يخالف حكم الله في كتابه، وكيف وهو فوق عصمته أبلغ الناس للكتاب حفظا ، وأعظمهم لآياته تدبرا ، وأكثرهم لها ذكرا ، فتعين المعنى اذا صح الخبر « اذا روي لكم عن حديث فاشتبه عليكم وجه الحق فيه فاعرضوه على كتاب الله فاذا خالف فردوه فانه ليس من مقولي » والله أعلم ، أما الوارد من الطريق الصحيح فقد عرفت مبلغ القول فيه، وسواء صح هذا الخبر أو لم يصح فقد سقط الاستدلال به في هذا المقام، وأيضا لو كان الامر كما رأيت من ان هذا الخبر دليل على كفاية القرآن والامر بعدم قبول شيء من السنة الا ما دافقه منها نصا (طبعا) لكان كل ما جاءنا من السنة وهو بمجموعه متواتر لا شبهة فيه عبثا تصان عنه أفعال العقلاء، فضلا عن الانبياء، مادام هو بينة الذي نص عليه صريح الكتاب، ولكان الاليق بمقام الرسول الكريم ان لا يحدث بحديث مطلقا حتى

هذا السلطان المعصوم الذي لم يكد يبقى للانسان جراءة على ادعائه للاشخاص في وجه عبر التجربة الزاجرة لايزال يدعى للاوضاع البشرية فلا تكاد اي حكومة من الحكومات تستقر حتى تدعي أنها حلت محل المحكومين في أفكارهم وعزائمهم

ولا يخفى ان البلاد التي وضعت حكومتها على هذا النمط يكون من عادة شيوخ بيوتها لفرط حزمهم و بلوغهم فيه حد الجبن أن يعظوا شبانها بأن لا يشتغلوا بالسياسة

تسمع الاب منهم يقول لابنه : « يابني ان لك أن تغتني وتتزوج وتجعل لنفسك في الناس ذكرا وليس من حقك الاشتغال بما وراء ذلك لوجود رجال عهد اليهم الحاكم بمحض ارادته أن يفصلوا في جميع المسائل ويوزعوا المثوبات والعقوبات على الناس فهم كما تقول التوراة انفاس منخرية التي تحرق أموال المعاندين للنظام المقرر كما تحرق السموم نبات المزارع فالاحزم لك أن تخلي بين الحكومة وعلمها واذا كان لابد لك من رأي فلا بأس من أن تختار لنفسك مايلائمها من الآراء على شرط أن تقصره عليها لأنه لا فائدة للمرء من الاشتغال بمصالح غيره « والعاقل من يتوقى ادخال أصبعه بين الشجرة ولحائها » (١)

وأما الامم الحرة فالامور فيها تجري على ما يخالف ذلك كل المخالفة فلا يكاد طالب العلم فيها يملك اليسير من فصاحة المنطق حتى يمارس المناظرة في المصالح العامة وكل فرد من أفرادها اذا أراد أن يكون شريفا وجب عليه أن ينتمي الى حزب من الاحزاب وهم يعيدون كل البعد أن يعتقدوا ان في مجاهدات المعيشة

الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب » وما يزعم من قضاء العقل على المذاهب السياسية المأخوذة من القوانين الالهية ليس صحيحا على اطلاقه فان القوانين الالهية المحفوظة من التحريف هي أس العدل والحرية واستشهاده بسقوط الملوك من عروشهم وعدم نصر الله لهم وسوء تعبيره عن ذلك لا يدل الا على أنه جهل ان الله لا ينصر الا من نصره باتباع اوامره وحسن السيرة في خلقه وانه تنزه ان يحتاج في النصرة الى الاستعانة بعدة أو سلاح

(١) المثل العربي «لا تدخل بين العصا ولحائها»

باب التربية والتعليم

المكتوب العاشر (*)

من أراسم الى ولده

عن لوندرة في ١٥ فبراير سنة ١٨٦٠

لا حق لك ياعزيزي «اميل» في أن تكون بلا رأي سياسي فايما رجل يعيش في قوم و يظهر معتزلا لما يتعارض بينهم من المصالح غافلا عما يتقاسم عقولهم من المذاهب فهو غاية في الحقارة والخسة وكان حقه أن ينشأ بين المتوحشين بل المتوحشون يشتغلون بمصالح قبيلتهم بغيرة وحمية

نعم قد كان رؤساء الحكومات أكدوا للناس فى الازمان الغابرة أنهم مرسلون من عند الله لسياستهم وتدبير شؤنهم وكان عمل الرعايا على هذا الغرض قد قصر على الطاعة المطلقة لأوامرهم فكانوا ملكا لولاتهم وخاصتهم كما تملك الارض ولا حق للارض في أن تثور على اليد العاملة فيها وأما الآن فلم يبق فى البلاد المهتدية بهدي العلم من أنصار هذا الحق الالهي الذي يزعمه الملوك الا النزر اليسير وقد قضى العقل على بعض المذاهب السياسية المأخوذة من القوانين الالهية ثم دل التاريخ على أن السلاطين كانوا يسقطون من عروشهم ولم تكن عناية الله تأخذ سلاحها لنصرهم وانه كان من الميسور للامم كل اليسر أن يستغنوا عنهم (١)

(*) مترجم من كتاب أميل القرن التاسع عشر في التربية

(١) ما ادعاه الكاتب من تاكيد الملوك لرعاياهم انهم مرسلون من عند الله أمر ثابت فى التاريخ بل قد بلغ الغلو بهذه الدعوى ببعضهم ان ادعى الألوهية والصحيح المعروف لذوي العقول المطهرة من رجس مذهب الماديين انهم عبيد استخلفهم الله في الارض بمقتضى طبيعة أهلها لحفظ نظامهم فان أحسنوا الخلافة سعدوا وسعد بهم رعاياهم وان أساؤها شقوا وشقوا بهم «ياداود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل

يكون الناشئون أسعد منهم حظا وأوفر غبطة ولكن ينبغي لهم ان يستفيدوا من زلاتنا وتجاربنا

انا قد غلونا فيما رجوناه من تصاريف الزمان وكلما سألت نفسي عن سبب مصائبنا خلتني أجده في عيوب تربيتنا السياسية فاشدنا بعداً عن الايمان يؤمن بالمعجزة ذلك أنه يعتمد في تغيير أحوال الامة بأمر من أوامر حاكم مطلق موقت الحكومة أو — على الأقل — بأمر مجلس حاكم ولقد شهدت فرنسا غير مرة تلاشي بيوت حاكمة كانت تعتقد متانة دعائمها وزوال مقاصد لبعض الطامعين من رجالها الذين كانوا يدعون المستقبل لانفسهم ثم انها لما انتصرت انتصارها العقيم القصير المدة كان اشتغالها بتحرير نفسها واستخلاص مصايرها أقل بكثير من اشتغالها باختيار الرجال الذين القى اليهم الاتفاق زمام سياستها نعم ان شكل الحكومة واختيار الرجال الذين يصرفون زمامها ليس مما لا يعبأ به ولكن ينبغي ان تكون الامة هي المنشئة لحريتها على اختلاف ضروبها . قد مضى زمن السحاء فلن يرى بعد الآن لا في شكل حكومة منجية ولا في صورة حكومة تأتي الى الدنيا بالنور والهدى فعلينا أن نخلص أنفسنا من خداع الناس ونطهرها من وثنية الاوهام لأن الامم لا تنال حريتها باتفاق ولا بسلطة غيبية فوقية للطبيعة(١) ولا بالبخت فلتنظر فرنسا في نفسها تجد أن بختها هو عزيمتها .

أنت حدث ومغترب عن بلادك فوسيلتك الى خدمتها هي أن تنفي عن عقلك الجهل والاوهام والاضاليل التي تبذر في الدنيا بذور الطغاة الغاشمين اذا فعلت ذلك كنت قد أديت في سعيك الى الحرية شيأ من العمل . التعلم اثمار بالشر لاستئصاله فلو لم يكن نظام تربيتنا برمته من شأنه تحرير أبناء الوطن من ملكة الاستقلال بالفكر والارادة لكانت فرنسا قد اهتدت الطريق الى الحرية من زمان بعيد فإما أن يكون هذا هو ينبوع ما أصابنا من ضروب العجز وإما أن أكون مخطئا خطأ فاحشا . لا حق لنا ان نعيب على الاتراك اعتقادهم بالقضاء والقدر فنحن

---

(١) انكار الكاتب تأثير السلطة الغيبية يعني الله جل شأنه في حرية الامم أثر من آثار المذهب المادي القائل بأن لا وجود لهذه السلطة نزه الله عقولنا من لوثه

السياسية ضررا بالمعيشة البيتية بل هم يجلون الفضائل الخاصة على نسبة اتساعها وامتدادها في ميدان الفروض العامة ولو ان وجدان العدل كان قاصراً على المعاملات الخاصة لعد من الظلم في حق عامة الناس

اذا تقرر هذا قلت إن جميع الامم خلقت لتكون احرارًا ومن العبث ان يزعم زاعم ان منها من هي مفرطة في الطيش وفيها من هي غالية في التحمس ومنها من هي غاية فى الجهل ومنها من هي متنطعة في التأنق فقد نسي أن الوسيلة الى ترقية أخلاق الامم انما هي ترقية أوضاعها وقوانينها ولامراء في أن هذه الاوضاع المؤسسة على الحرية لن تنزل من السماء وانه من الحمق والجنون أن تنتظرها أمة من حكامها لان جميع الحكومات المستبدة مبنية على قاعدة ان الناس عاجزون عن سياسة أنفسهم فكيف يرضي الحكام حينئذ أن يكذبوا أنفسهم بالتخلي عنها وقد يرخون زمامها أحيانا حذقا منهم في تصريفها وحزما ولكنهم يعرفون عند الحاجة كيف يرجعون تصريف شكيمتها الى أيديهم . ليست الحرية بجميع أنواعها مما يعطى ويوهب بل هي مما يغنم بالجهاد والمكافحة فشدة كفاح العقول والعزائم وجملة اخلاص المخلصين الخاملين وتصلب من لا يستخذون للذل من افراد الامة هي التي بضرورة الاحوال نفسها تكره غاصبي حق الحرية على ارجاعه الى نصابه ورده الى أربابه وما يحصل من التعذير في أثناء الجهاد لا يلبث أن يزول وما يعقبه من الرقي دائم لا فناء له فان القاطع يبلى بعمله في المقطوع

ليس من قصدي مطلقا أن أبعث في نفسك كراهة الامة التي خلقت للمعيشة فيها فأنت صاحب الحكم على أهل زمانك ولكن حذار من الاحتقار لغيرك والاستخفاف به فان عصرنا سيشتهر في التاريخ بخطوبه ومصائبه لاننا قد عملنا في الحكومات التي تعاقبت على البلاد وهي حكومة الاصلاح والحكومة المقيدة والجمهورية وحكومة نابوليون وليست العصور التي تغمني وتؤلمني هي التي تسعى فيها أمة عظيمة للحصول على الحرية من خلال الحوادث وانما هي التي تخلد فيها الى الدعة من غير أن تنال حريتها

ان لداتي من جيل بذل نفسه فى سبيل الحرية وانا اشتهي بمجامع قلبي ان

آثار علمية ادبية

﴿ حواء الجديدة — أو — ايفون موزار ﴾

ألف نقولا أفندي الحداد قصة صور فيها كيف يغوي الرجل المرأة حتى ينتهك عرضها ثم يتركها فتقع في الشقاء وتضطر الى البغاء فيحتقرها الناس من دونه وهم ظالمون و بالغ في لوم الناس على ذلك حتى عذر الفواجر أو كاد ووعد بكتابة القصص في المسائل الاجتماعية . وقد كتب الي كتابا أرسله مع نسخة من القصة قبل نشرها يقول فيه انه يرغب الوقوف على رأي (علمائنا) في القصة وتأثيرها فيهم فأجبته بالكتاب الآتي

عزيزي الفاضل

رغبت الي أن أقرأ قصتك الجديدة « حواء الجديدة » وأكتب اليك برأيي فيها وأثرها في بعد القراءة . أراك أحسنت في التصوير والتخييل . واعتصمت بحبوة النزاهة والادب في التعبير . وأراني استعبرت لغير ماعبارة في القصة . اما الموضوع الاجتماعي الذي نفخت فيها من روحه فليس طريفا عندي قرأت وسمعت فيه شيئا عن الافرنج وفكرت فيه كثيرا ولعل ما قرأته لك فيه خير من قليل ماعلمته عنهم وأبشرك بمستقبل حسن في خدمة أدب النفس والاجتماع بما توجهت اليه من وضع مثال لهذه القصة في غايتها دون خصوص موضوعها

كل بغي شقية في هذه الحياة قبل الحياة الآخرة ولكن يعز أن يوجد في بلادنا بغي لها من مكارم الاخلاق وشرف النفس وجودة الذهن بعض ماروبت عن «ايفون موزار» ويوشك أن يوجد لها ند في بلاد الافرنج لمكان التربية الدينية والادبية عندهم كما وصفت من تربيتها فاكثرهن—ان لم نقل كلهن—قوارير أقذار ، وقرارات وقاحة وصغار ، لا فائدة من تصغير جرائرهن ، وعطف القلوب عليهن ، الاجذب من بقي عندنا سليم الفطرة اليهن ، أقول هذا وأنا على تعجبي من فساد فطرة من يستطيع الدنو منهن ممن يحزن لشقائهن ويصدق أن أكثرهن مكرهات على الفجور كارهات للبغاء لو وجدن مخرجا منه لهرعن اليه حتى أنه سبق لي بحث مع بعض أهل

أثبت منهم فيه ألف مرة ذلك أننا تابعون لبخت يومنا خاضعون لمقدور سياستنا مؤدون ميثاق الطاعة لحكومتنا حتى لو انتقلت الى أيدي الكفار وقد أصبح خمود الهمم وانحلال العزائم ملاذا يلوذ به أشدنا أنفة وإباء تراهم لما حل بهم من الكآبة وكسوف البال يحولون وجوههم عما يجري بين أيديهم من الامور كما لو كان لأي واحد من الناس أن يقنط من أهل زمانه ومن بلاده. اذا ظهر الشر والفساد في الامة كان حقا على الانسان ومن مقتضى عظمته أن يجاهد في ازالة سببه وليس يكفي الرجل الصالح افتخاره أحيانا بأن يتخيل في نفسه عالما آخر يطوي فيه معتقداته ويشرف من أعاليه على أمور دهره فيحتقرها بل عليه أيضا أن لا يدخر سلاحا في مكافحة ليست أمة من الامم من هذا العجز في شيء فأنت تعرف كلمة جوفينال(١) فكن خيرا منهم وأنور فكرا

ان ما يشكو منه جميع الناس في أزمان التدلي من خمود النفوس وأثرة التواكل وبله الاستسلام لضرورة الاحوال منشؤه الناس كلهم أيضا فما منهم الا شريك في الهلاك العام إما بسكوته وإما بامتناعه اختيارا عن العمل على أن تلك الازمان هي التي يأتي فيها للنفوس الأبية أن تشتد وتثبت في تيار الدمار فعلينا ان لم نأنس من نفوسنا كفاية في القوة أن نستعين من سبقت لهم الشهادة في سبيل الحق ومن ماتوا من الكتاب وهم يجاهدون الاستبداد ويعالجون عمى البصائر قبل أن يجنوا ثمار كدهم ومن خروا من منابرهم من الخطباء مخضبين بدمائهم ومن حكم عليهم من العقلاء بشاق الاعمال وشكلوا خلال القرون الماضية في سلاسل العبودية المعنوية ولنتأمل في ماضينا فانا نجد فيه من السجون المظلمة والمنافي وأنواع العذاب والنكال ما يشهد لنا بنزاهة مقصدنا نزاهة لا تدافع . ألا ان لواء الحرية يظل جميع المقاومين والمكروبين والمهيضين في سبيل تأدية ما فرض عليهم وبهذا اللواء سيكون لنا الفوز والظفر وعلى هذا الاعتقاد أقبلك قبلة الوداع اه

---

(١) جوفينال كاتب لاتيني هجائي شهير كان يعيش في آخر القرن الأول من الميلاد ومات في عهد الانطونيين ايت من ...وت الملا في رومـا)

التعليم والارشاد

كتاب جديد « تأليف السيد محمد بدر الدين الحلبي . القسم الأول منه في التعليم وفيه الكلام على العلوم والمؤلفات وبيان الجيد منها من غيره وشرح أسباب انحطاط العلوم الشرعية وذكر الطرق النافعة في التعليم »

هذا ما كتب على ظهر الكتاب ونقول أما المؤلف فهو من أذكياء المجاورين في الأزهر وقد اشتغل بتصحيح كثير من الكتب التي طبعت حديثا وفيها كثير من مصنفات المصلح العظيم شيخ الاسلام أحمد بن تيمية وتلميذه ووارث علومه ابن القيم وبعض كتب الأدب النفيسة فاستفاد بذلك وبالاسفار وقراءة الصحف ما امتاز به على كثير من أقرانه وحرك همته للبحث في الكتب النافعة والتعليم . وأما الكتاب فقد عرف من اسمه وما كتب عليه من بيان موضوعه وهو من أهم الموضوعات لهذه الأمة التي لا ترجى لها الحياة الطيبة إلا باصلاح التعليم والارشاد . وقد اهدى المؤلف كتابه الى الجرائد والمجلات فشكرا له على عمله وشكرا له على هديته . ومن الشكر ان بادرنا الى التنويه به قبل مطالعته كله وقدمناه على مطبوعات كثيرة أهديت الينا من قبل .

قرأنا من الكتاب جملا متفرقة من فصوله فعرفنا منه وأنكرنا عرفنا منه مسائل كثيرة جاء بعضها مؤيدا لما ندعو اليه منذ أنشئ المنار كبيان سوء طريقة التعليم في مثل الازهر وما اختير لها من الكتب وأنكرنا منه مسائل كثيرة واختلافا كثيرا منه ماهو من قبيل الرأي ومنه ماهو من قبيل الحكاية والنقل . وفائدته الاجمالية تأييد ما كتب كثير الزلزال الثقة بالكتب التي تدرس في المدارس الدينية وبمدرسيها وهذا تمهيد للاصلاح سبق اليه كثيرون من المصلحين ومقلديهم . وحسبنا هذا التنبيه على فائدته الآن ونرجئ بيان ما أنكرنا منه وما ننتقده به عليه الى ان يتاح لنا مطالعته كله بالتدقيق وعسى ان يبادر بعض من اطلع عليه من المدققين الى انتقاده عناية بهذا الموضوع ومسابقة للأغرار الذين يحكمون على الاشياء بادي الرأي فيظلمونها ويظلمون الناس ويغشونهم وهم لا يشعرون

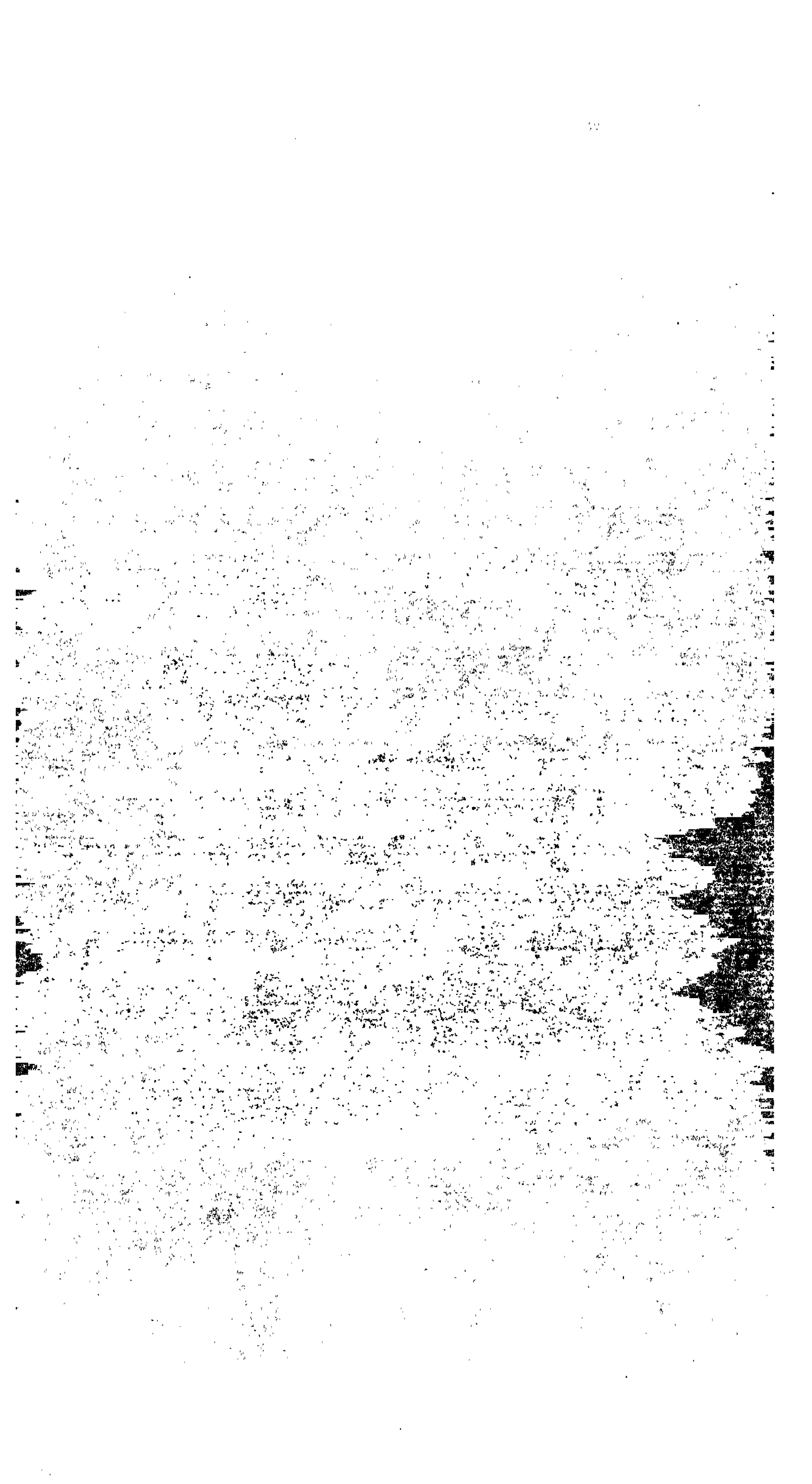
الفضل في وجوب السعي لانشاء ملجاء يؤوي من يريد التوبة منهن ويغنيهن عن طلب الرزق بأعراضهن ولووجد من يسعى الآن في مثل هذا لكان يكون للاعتذار عنهن والاستعطاف عليهن فائدة

لك أن تصف من شقائهن بما شئت من اسباب، لتنذر المعرّضات لمثل فعلهن أن يتدهورن في هاويتهن ،ولك أن تصف من فساد الفاسقين وتشوه من سيرتهم بما استطعت من إطناب، لتنفر عن مثل عملهم، وتحذر الفتاة الغرّ من تغريرهم، فتكون على بصيرة من عاقبة فجورهم ،وما يتوسلون به من بهتانهم وزورهم، وليس لك في رأيي أن تجعل ماتكتب منظارا يكبر مخازي الفساق من جهة ليصغر فضائح الفواسق من الجهة الأخرى

اذا انتقدت عليك تصغير فاحشة المسافحات فى مقابلة تكبير فاحشة المسافحين مرة فانني أنتقد الاحتجاج على تصغيرها بشيوع الفاحشة في ربات البيوت ذوات البعول سبعين مرة الآن ذنب لمسافحات أشد ضررا من ذنب ذوات الاخدان بل لان إظهار ذلك وبيان ان الناس يتسامحون مع ذوات الاخدان وهم يعلمون بخياناتهن لازواجهن يضر نشره فى قصص يقرأها النساء من العذارى والايامى اذ لاتتصور التي تلين للفاسق أن بذل عرضها يفضي الى أن تكون بغيا مسافحة وانما يغلب على ظنها أنها تصادف زوجا يستر فضيحتها بغفلته، أوقلة غيرته

قرأت ماكتبت ايفون عن خداع ذلك الشرير لها وعن اجتهادها في استرداد شرفها بالسيرة الحسنة وعن عجزها وإعواز ماتروم فتمنيت لو تقرأ ذلك العذارى اللواتي أصبحن عرضة لمثل ذلك البذل لاعراضهن باطلاق أهليهن العنان لهن مع كثرة مايحول الفساق من مخادعتهن ، وقرأت كتبت أنت من شيوع الفاحشة في ربات البيوت واغضاء الناس عنهن فتمنيت لولم تطلع عليه قارئة لاسيما اذا كانت عذراء

هذا ماكان من أثر القصة في نفسي استحسان لما عدا الامرين المنتقدين من ناحية ماتنتظر من تأثيرهما وأرجو أن تتوخى فيما تكتب الغاية والفائدة أكثر مما تتوخى من حسن الوضع ولطف التعبير وقوة التأثير وأجدر بمن يعرض عمله النقد الرجال أن يبلغ منه غاية الكمال



باب الاخبار والآراء

تعيين سعد باشا زغلول ناظرا للمعارف

رأى اللورد كرومر أن يعين هذا النابغة ناظراً للمعارف العمومية فصدر الامر العالي بذلك فاتفقت الجرائد الوطنية والاجنبية في البلاد على استحسان هذا التعيين ووصف الناظر الجديد بالعرفان واستقلال الفكر وقوة الارادة والاستقامة ــ وهي صفات الكمال في الرجال ـ وكان ينبغي ان يتفقوا على شكر اللورد كرومر ولكن الذين جعلوا من مذهبهم ذم المحتلين على كل عمل وإن كان نافعاً في نفسه وفي عرفهم قد ذموا نية اللورد في هذا التعيين وما ذموا الا النية التي اخترعوها له وانتقل بعضهم بسبب الثناء على الناظر الجديد الى القدح بسائر النظار تصريحاً أو تلويحاً وما كان ذلك من الذوق في شيء وقال أشدهم إسرافاً انه لا خير في هذا التعيين الا اذا جعل الناظر الجديد آمراً والمستشار الانكليزي مأموراً ولفظ المستشار يمنع ان يكون مسماه عبداً مأموراً وان لم يكن من دولة محتلة بقوتها في بلاد أسلمها ضعفها وجهلها. فدع كلام المسرفين، واشكر هذا العمل لادارة المحتلين: فالشكر مدعاة المزيد من الاحسان: عند كل إنسان. ومما قيل وكتب ما يؤيده حتى في جريدة التيمس إن في تعيين سعد باشا ناظراً للمعارف قصداً الى ترقية حزب المرحوم الشيخ محمد عبده الذي شهد له اللورد في تقريره بالاعتدال وقالت إحدى الجرائد الاوربية اذا كانت الأرواح تشعر بما يكون في الدنيا فان روح الشيخ محمد عبده مسرورة الآن بتعيين فلان ناظر المعارف، وقد صدق صاحب القول وسعد باشا جدير بخدمة المعارف واسعاد أهل الاعتدال والاستقامة من مريدي أستاذه وأستاذهم الامام جعله الله خير خلف له في عمله للبلاد وخدمته، واستقلاله وحكمته:

الجامع الازهر ــ مشيخته وإدارته

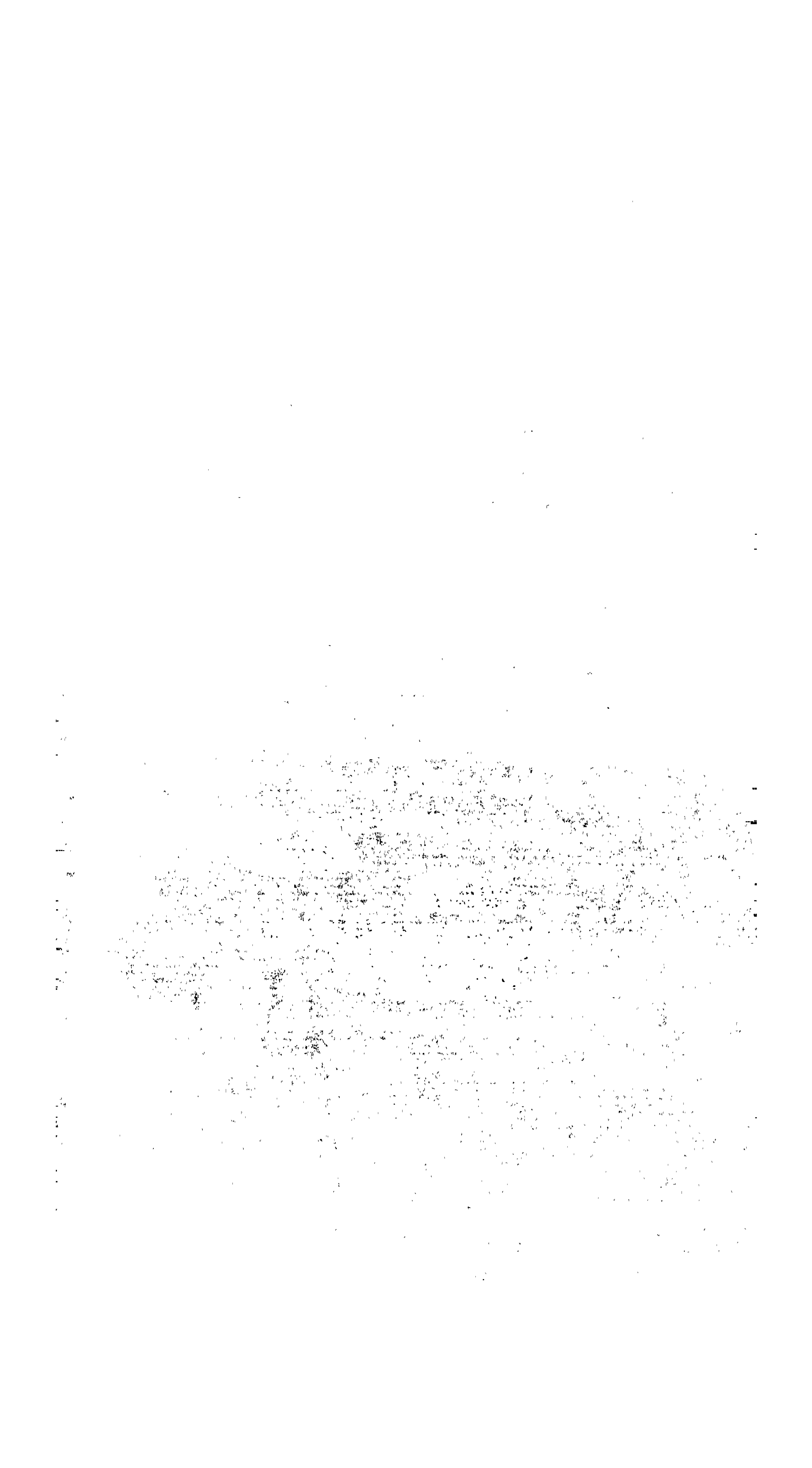
ذكرنا في الجزء الماضي ما كان بلغنا عن استقالة شيخ الازهر وعزم الأمير على تعيين الشيخ محمد شاكر وكيلا للأزهر تمهيداً لجعله أصيلا وقد تحقق ذلك ولكن استقالة شيخ الأزهر حفظت وحمل على طلب إجازة ثلاثة أشهر وعين الشيخ محمد شاكر وكيلا لمشيخة الازهر فعظم ذلك على أهل الازهر واستنكره كبراء الشيوخ واستكبروا أن يكونوا مرؤسين له على حداثته في السن والعلم وانتهى الامر الى الحكومة أو الى أولي الامر فخاطبوا الامير في ذلك وتقرر ان الشيخ شاكراً لا يكون شيخا للازهر ولا وكيلا وقد سمي الآن نائبا وقد زاد الشغب والاضطراب في الازهر في أيام نيابته على امداد الامير اياه بنفوذه ويتوقع ان ينتهي هذا التلاعب في الازهر بجعله تحت مراقبة نظارة المعارف اذ لا قرار الا مع السلطة الثابتة المنتظمة. ولعلنا نتكلم عن اصلاحه في جزء آخر

سبيل الله فمنكم من يبخل، ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه والله الغني وأنتم الفقراء وان تتولوا يستبدل قوما غيركم، ثم لا يكونوا أمثالكم

(٢٥٥) اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الأَرْضِ ، مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ ، يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ ، وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمٰوٰتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَؤُدُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ *

بعد أن أمرنا تعالى بالانفاق في سبيله قبل ان يأتي يوم لا مال فيه ولا كسب، ولا ينجي من عقابه فيه شفاعة ولا فداء، انتقل كدأب القرآن الى تقرير أصول التوحيد والتنزيه التي تشعر متدبرها بعظيم سلطانه تعالى ووجوب الشكر له والاذعان لأمره والوقوف عند حدوده وبذل المال في سبيله وتحول بينه وبين الغرور والاتكال على الشفاعات والمكفرات التي جرأت الناس على نبذ كتاب الله وراء ظهورهم فقال

﴿ الله لا آله الا هو الحي القيوم ﴾ فسر الجلال الاله بالمعبود بحق والحي بالدائم البقاء والقيوم بالمبالغ بالقيام بتدبير خلقه وقد استحسن الاستاذ الامام قوله في تفسير كلمة التوحيد وقال ان تفسيره لكلمة اله هو الشائع وهو انما يصح اذا حملنا العبادة على معناها الحقيقي وهو استعباد الروح واخضاعها لسلطان غيبي لا تحيط به علما، ولا تعرف له كنها، فهذا هو معنى التأليه في نفسه وكل ما أله البشر من جماد ونبات وحيوان وانسان فقد اعتقدوا فيه هذا السلطان الغيبي بالاستقلال أو بالتبع لاله آخر أقوى منه سلطانا، ومن ثم تعددت الآلهة المنتحلة وكل تعظيم واحترام ودعاء ونداء يصدر عن هذا الاعتقاد فهو عبادة حقيقية وان كان المعبود غير اله حقيقة أي ليس له هذا السلطان الذي اعتقده العابد له لا بالذات ولا بالتوسط الى ماهو أعظم منه . فالاله الحق هو الذي يعبد بحق وهو واحد والالهة التي تعبد بغير حق كثيرة جدا وهي غير آلهة في الحقيقة ولكن في الدعوى الباطلة التي يثيرها الوهم . ذلك ان الانسان اذا رأى أوسمع أو توهم ان شيئا غريبا



« معنى الوجود وان كان بديهيا عند العقل ولكنه يتمثل له بالظهور ثم الثبات والاستقرار وكمال الوجود وقوته بكمال هذا المعنى وقوته بالبداهة

« كل مرتبة من مراتب الوجود تستتبع بالضرورة من الصفات الوجودية ماهو كمال لتلك المرتبة في المعنى السابق ذكره والا كان الوجود لمرتبة سواها وقد فرض لها . مايتجلى للنفس من مُثُل الوجود لاينحصر وأكمل مثال في أي مرتبة ماكان مقرونا بالنظام والكون على وجه ليس فيه خلل ولا تشويش فان كان ذلك النظام بحيث يستتبع وجودا مستمرا وان في النوع كان أدلّ على كمال المعنى الوجودي في صاحب المثال

« فان تجلت للنفس مرتبة من مراتب الوجود على ان تكون مصدراً لكل نظام كان ذلك عنوانا على انها أكمل المراتب وأعلاها وأرفعها وأقواها

« وجود الواجب هو مصدر كل وجود ممكن كما قلنا وظهر بالبرهان القاطع فهو بحكم ذلك أقوى الوجودات وأعلاها فهو يستتبع من الصفات الوجودية مايلائم تلك المرتبة العلية وكل ما تصوره العقل كمالا في الوجود من حيث مايحيط به من معنى الثبات والاستقرار والظهور وأمكن ان يكون له وجب ان يثبت له وكونه مصدرا للنظام وتصريف الأعمال على وجه لااضطراب فيه يعدّ من كمال الوجود كما ذكرنا فيجب ان يكون ذلك ثابتا له فالوجود الواجب يستتبع من الصفات الوجودية التي تقتضيها هذه المرتبة مايمكن أن يكون له

« فما يجب ان يكون له صفة الحياة وهي صفة تستتبع العلم والارادة وذلك ان الحياة مما يعتبر كمالا للوجود بداهة فان الحياة مع مايتبعها مصدر النظام وناموس الحكمة وهي في أي مراتبها مبدأ الظهور والاستقرار في تلك المرتبة فهي كمال وجوديّ ويمكن ان يتصف بها الواجب وكل كمال وجودي يمكن ان يتصف به وجب ان يثبت له فواجب الوجود حيّ وان باينَتْ حياته حياة الممكنات فان ماهو كمال للوجود انما هو مبدأ العلم والارادة ولولم تثبت له هذه الصفة لكان في الممكنات ماهو أكمل منه وجودا وقد تقدم انه أعلى الوجودات وأكملها فيه

« والواجب هو واهب الوجود ومايتبعه فكيف لو كان فاقدا للحياة يعطيها؟

صدر عن موجود بغير علة معروفة ولا سبب مألوف يتوهم أنه او لم تكن له تلك السلطة العليا والقوة الغيبية لما صدر عنه ذلك . حتى ان الذين يعتقدون النفع ببعض الشجر والجماد كشجرة الحنفي ونعل الكاشني يعدون عابدين لهما حقيقة . (١)

والحاصل ان معنى «لا آله الا هو» ليس في الوجود صاحب سلطة حقيقية على النفوس يبعثها على تعظيمه والخضوع له قهرا منها معتقدة ان بيده منح الخير ورفع الضر بتسخير الاسباب أو بابطال السنن الكونية الا الله تعالى وحده

قال الاستاذ الامام وأما الحي فهو ذو الحياة وهي مبدأ الشعور والادراك والحركة والنموّ ومثل لذلك بالنبات والحيوان فان كلا منهما حي وان تفاوتت الحياة فيهما فكانت في النبات أكمل منها في الحيوان . قال والحياة بهذا المعنى مما ينزه الله تعالى عنه لأنه محال عليه ولذلك فسر مفسرنا « الحيّ » بالدائم البقاء وهو بعيد جدا لا يفهم من اللفظ مطلقا وانما معنى الحياة بالنسبة اليه سبحانه مبدأ العلم والقدرة. أي الوصف يعقل معه الاتصاف بالعلم والارادة والقدرة . وهذا الوصف يبطل قول الماديين الذين يزعمون ان مبدأ الكون علة تتحرك بطبعها ولا شعور لها بنفسها ولا بحركتها وما ينشأ عنها من الافعال والآثار. أي ان هذا النظام والإحكام في الخلق من آثار المادة الميتة التي لا شعور لها ولا علم

اختصر الاستاذ الامام في الدرس فلم يزد في الدرس على نحو ماذكرنا في حياة الله تعالى شيئا والمتكلمون يستدلون على حياة الله تعالى بالعقل من وجهين أحدهما انه تعالى عليم مريد قدير وهذه الصفات لا تعقل الا للحي وفيه أنه من قياس الغائب على الشاهد كما يقولون أو من قياس الواجب على الممكن . وثانيهما أن الحياة كمال وجودي وكل كمال لا يستلزم نقصا يستحيل على الواجب فهو واجب له . وهذا ماقدمه الاستاذ الامام في رسالة التوحيد وقد قدم له مقدمة نفيسة في صفات الواجب قال رحمه الله تعالى :

---

(١) شجرة الحنفي شجرة عند جامع السلطان الحنفي المعروف بمصر تزار وتلتمس منها المنافع ودفع المضار. ونعل الكاشني نعل قديمة في تكية الشيخ الكاشني بمصر يتبرك بها و يقال ان الماء الذي يشرب عنها ينفع للتداوي من العشق

والماس والفحم الحجري من عنصر واحد

الشيخ : ان النبات لاحياة فيه ولو كان يعمل عمله الذي ذكرت في معنى النمو وكيفيته بما تقتضيه صفة الحياة التي أثبتها له لكان عالما بعمله ومختارا فيه ولم يرد بهذا نقل، ولا أثبته عقل ، فنموّ النبات انما يكون بمحض قدرة الله تعالى

الشاب : لادليل على أن للنبات علما ولا على أنه لاعلم له فهو في عمله كأعضاء الانسان وغيره من الحيوان التي تعمل أعمالا منتظمة لاشعور للانسان بها ولا هي صادرة عن علمه وتدبيره كأعمال المعدة والكبد في هضم الطعام فليس عندنا دليل على أن للمعدة علما خاصا ولا على انه لاعلم لها ولكننا نعلم أنها عضو حي بحياة صاحبه فاذا أبين منه ثم وضع فيه الطعام فانه لايعمل ذلك العمل . وكون كل شيء بقدرة الله لايمنع أن يكون لكل شيء سبب فالله تعالى حكيم لا يعمل شيئا الا بنظام (٦٧ : ٣ ماترى في خلق الرحمن من تفاوت)

التلميذ : من أين تكون هذه الحياة النباتية للنبات والحياة الحيوانية للحيوان في هل المادة التى يتغذى بها النبات حية فيأخذ منها حياته ؟

الشاب : كلا إن مواد التغذية ليست حية بنفسها ألا ترى ان الانسان لا يأكل شيئا من الحيوان الا بعد إماتته بنحو الذبح والطبخ ولا يأكل نباتا الا بعد ازالة حياته النباتية ولو بالقطع والمضغ فقط ؟ وكذلك النبات . ولكن في النواة التي تتولد منها الشجرة والبيضة التى يتولد منها الحيوان حياة كامنة مستعدة للنموّ بالتغذية على ما نشاهد في الكون . وهذه الحياة مجهولة الكنه والمبدإ حتى اليوم وأمرها أخفى من أمر المادة في كنهها ومبدئها

الشيخ : اذا كنتم في علمكم هذا أرجعتم جميع العناصر التى تألفت منها مادة الكون الى شيء واحد عرف أثره ولم تعرف حقيقته - كما قلت في مبحث الوحدانية - فما بالكم تقفون في حياة بعض المواد كالنبات والحيوان وتقولون لانعرف مبدأ حياته وحقيقتها وتقفون عند هذا الحد ولا تقولون ان الذي صدرت عن ذاته جميع الذوات هو الحي القيوم الذي صدرت عن حياته كل حياة ؟

الشاب : لاشك ان الوجود الواجب القديم هو حي كما انه قيوم فاذا كان

فالحياة له كما أنه مصدرها » اه

أقول وهذا تحقيق دقيق لاتجد مثله لغيرهذا الامام العارف والحكيم المحقق ولا يعقله الا أولو الالباب وقد كنت كتبت في كتاب العقائد الذي ألفته باقتراحه رحمه الله تعالى على وجه يليق بمعارف هـذا العصر و يفيد طلاب علومه كلاما في حياة الله تعالى قريبا من الافهام واطلع عليـه فاعجبـه وإنني أحب ايراده هنا لأنني لم أر في كتب التفسير ولا في كتب الكلام كلاما ممتعا في هذا المقام. وهو وارد بأسلوب السؤال من تلميذ مبتدىء في المدارس والجواب من أخيه وهو عالم عصري طبيب نعبر عنـه بالشاب ومن أبيه وهو عالم صوفي نعبر عنـه بالشيخ وهذا نصه باختصار ما.

قال التلميذ : تنبت الشجرة صغيرة ثم تنمو حتى تكون في زمن قريب أضعاف ما كانت فمن أين تجـيء هذه الزيادة و كيف تدخل فى بنيتها وتتفرق فتأخذ الساق منها حظا والفروع حظا وكذلك الورق والثمر

الشاب : ان هـذه الزيادة التي تدخـل في بنية النبات بعضها من الارض وبعضها من الهواء . والنبات جسم حيّ فهو بصفة الحياة يأخذ من عناصر الأرض والهواء ما يصلح لغذائه فيتغذى به كما يتغذى الحيوان بما يأ كله ويشربه وينمو بذلك كما ينمو الحيوان

التلميذ : اننا لانرى في الأرض ولا في الهواء شيئا من مادة النبات ولا من صفاته كاللون والطعم والرائحة

الشاب: انه يأخذ منها العناصر البسيطة فيأخذ من الهواء الاكسجين والنيتروجين (الازوت)وكذلك الكربون وبعض الاملاح التي توجـد في الهواء عادة وان لم تكن جزءا منه . ويأخذ من الأرض ما يناسبه من عناصرها الكثيرة كالبوتاسا والفصفور والحـديد والجير والاملاح و يكوّن مما يأخذه من ذلك غـذاءه بعمل كيماوي منتظم يعجز عن مثله أعلم علماء الكيمياء . وقد علمت أن جميع هذه الصور المختلفة الاشكال والصفات انما اختلف بعضها عن بعض باختـلاف التركيب الكيماوي وعمل الطبيعية حتى ان مادّة السكر هي عين المادة التي يتكون منها الحنظل،

الحياة التي تشعر بكمال الوجود وكمال الايجاد بافاضة الحياة على الاحياء والقيومية وهي كونه قائما بنفسه أي ثابتا بذاته وكون غيره قائما به أي ثابتا وموجودا بايجاده اياه وحفظه لوجوده بامداده بما يحفظ به الوجود من الاسباب . ومن معاني هذه القيومية القيام بالقسط كما قال تعالى (٣: ١٨ شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط) والقسط هنا هو العدل العام في سننه الكونية وشرائعه . ومنها القيام على كل نفس بما كسبت كما قال (١٣: ٣٣ أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت) .

وقد قصر المفسرون في بيان معنى (الحيّ) وقاربوا في معنى (القيوم) قال مجاهد هو القائم على كل شيء وقال الربيع هو قيّم كل شيء يكلؤه ويرزقه ويحفظه وقال قتادة القائم على خلقه بآجالهم وأعمالهم وأرزاقهم . وقال ابن الأعرابي من رواة اللغة معناه المدبر وقال الزجاج نحو قول قتادة . قال في شرح القاموس بعد نقل قول قتادة وقال غيره هو القائم بنفسه مطلقا لا بغيره وهو مع ذلك يقوم به كل موجود حتى لا يتصور وجود شيء ولا دوام وجوده الا به . قلت ولذا قالوا فيه انه اسم الله الأعظم اه والمادة تعطي هذه المعاني كلها . والغزالي يبدئ هذا المعنى في الاحياء ويعيده لاسيما في كتاب الشكر وكتاب التوكل ومما قاله في الأول وقد قسم الناس الى أقسام في شهودهم نعم الله وشكره قال :

« النظر الثاني نظر من لم يبلغ الى مقام الفناء عن نفسه وهؤلاء قسمان قسم لم يثبتوا الا وجود أنفسهم وأنكروا أن يكون لهم رب يعبد وهؤلاء هم العميان المنكوسون وعماهم في كلتا العينين لأنهم نفوا ماهو الثابت تحقيقا وهو القيوم الذي هو قائم بنفسه وقائم على كل نفس بما كسبت وكل قائم فهو قائم به . ولم يقتصروا على هذا حتى أثبتوا أنفسهم ولو عرفوا لعلموا أنهم من حيث هم هم لا ثبات لهم ولا وجود لهم وانما وجودهم من حيث أوجدوا لا من حيث وجدوا وفرق بين الموجود وبين الموجَد . وليس فى الموجود الا موجود واحد وموجد فالموجود حق والموجد باطل من حيث هو هو ، والموجود قائم وقيوم والموجد هالك فان . واذا كان كل من عليها فان فلا يبقى الا وجه ربك ذي الجلال والاكرام » اه

﴿لا تأخذه سنة ولا نوم﴾ السنة النعاس وهو فتور يتقدم النوم قال ابن الرقاع :

معنى قيوميته انه قائم بنفسه وكل شيء قائم به فكذلك هو حيّ بذاته وكل ماعداه من الأحياء فهو حي به أي انه يستمد حياته منه لأن هذه الأحياء كلها من نبات وحيوان هي حادثة والحادث هو ماكان وجوده من غيره لا من ذاته. فالحياة أمر وجودي بل هي أعلى مراتب الوجود فهل يقول عاقل: ان تلك الذات الأزلية قد صدرت عنها الاشياء كلها بلا حياة ثم ان بعضها أحدث لنفسه حياة ؟ هذه سخافة لاتخطر في بال عاقل فالإنسان أرقى الأحياء على هذه الأرض لأن من أثر حياته العلم بالكليات والإرادة والتدبير والنظام وهو عاجز عن هبة الحياة لنفسه ولغيره فغيره من الاحياء أحق بالعجز

التلميذ : اذا كانت الحياة التي أثرها العلم والارادة والتدبير والنظام هي أرقى مراتب الحياة وهي حياة الانسان ألا يلزم من ذلك مشابهة حياة الانسان لحياة الله تعالى لأن هذه الخصائص هي لحياة الله تعالى أيضاً

الشيخ : اعلم يابني أن ذات الله تعالى لاتشبه الذوات ، وصفاته لاتشبه الصفات ، فاذا طرأت عليك الشبهة في أثر الحياة فقط لأن حقيقتها مجهولة فتأمل الفرق بين الحياتين — ان حياة الله تعالى ذاتية وحياة الانسان من الله تعالى ، إن حياة الله تعالى أزلية وحياة الانسان حادثة ، ان حياة الله تعالى لاتفارقه وحياة الانسان تفارقه حين يموت . ان حياة الله تعالى هي التي تفيض الحياة على كل حيّ وحياة الانسان خاصة به . وكذلك العلم والتدبير والارادة والنظام كل ذلك ناقص في الانسان والله تعالى منزه عن النقص واليه ينتهي الكمال المطلق في ذاته وصفاته : اه المراد نقله من تلك العقيدة

وهذا الذي قلناه في بيان معنى «الحي القيوم» يجلي لمن وعاه ماروي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان هذا هو اسم الله الاعظم أو قال: أعظم أسماء الله الحي القيوم وقد أخرج أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه عن أسماء بنت يزيد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «اسم الله الاعظم في هاتين الآيتين (٢: ١٦٣ وإلهكم إله واحد لا إله الا هو الرحمن الرحيم * وفاتحة آل عمران ٣: ١ الم الله لا إله الا هو الحي القيوم) فالآية الأولى تثبت له تعالى وحدانية الالوهية مع الرحمة الشاملة والثانية تثبت له مع الوحدانية

وأفسد في الارض ، وأعرض عن السنة والفرض ، من ذا الذي يقدم على هذا من عبيده ﴿ الا بإذنه ﴾ والأمر كله له صورة وحقيقة . وليس هـذا الاستثناء نصا في ان الإذن سيقع وإنما هو كقوله (١١ : ١٠٥ يوم يأتي لا تـكلـم نفس الا باذنه) فهو تمثيل لانفراده بالسلطان والملك في ذلك اليوم (٨١ : ١٩ يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله) ولهذ قال البيضاوي في تفسير الجملة : « بيان لكبرياء شأنه وأنه لا أحد يساويه أو يدانيه ويستقل بأن يدفع ما يريده شفاعة واستكانة فضلا عن ان يعاوقه عنادا أو مناصبة » . وقال الاستاذ الامام ما محصله ان في هذا الاستثناء قطعا لأمل الشافعين والمتكلين على الشفاعة المعروفة الـتي كان يقول بها المشركون وأهل الكتاب عامـة ببيان انفراده تعالى بالسلطان والملك وعدم جراءة أحد من عبيده على الشفاعة أو التـكلم بدون اذنه وأذنه غير معروف لأحد من خلقه ثم قال

﴿ يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ﴾ أي ما قبلهم وما بعدهم أو بالعكس أو أمور الدنيا التي خلفوها وأمور الآخرة التي يستقبلونها أو ما يدركون وما يجهلون . وهذا دليل على نفي الشفاعة بالمعنى المعروف وبيان ذلك انه لما كان عالما بكل شيء فعله العباد في الماضي وما هو حاضر بين أيديهم وما يستقبلهم وكان ما يجازيهم به مبنيا على هـذا العلم كانت الشفاعة المعهودة مما يستحيل عليه تعالى لأنها لا تتحقق الا باعلام الشفيع المشفوع عنده من أمر المشفوع له وما يستحقه مالم يكن يعلم . مثال ذلك اذا اراد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان ينفي رجلا من المدينة ولا يمكن ان يريد ذلك وهو عادل الا اذا كان يعتقد المصلحة فيه بأن يكون الرجل مفسدا ضارًّا بالناس . فاذا شفع له شافع ولم يبين لعمر مالم يكن يعلم من أن المصلحـة في بقائه دون نفيه فانه لا يقبل شفاعته . هذا اذا كانت الشفاعة عند سلطان عادل كعمر واما اذا كانت عنـد سلطان جائر فيجوزان تقبل ويترك نفي المفسد الضارّ بالناس لاجل مرضاة الشفيع كأن يكون من أعوان السلطان وبطانته الذين يؤثر مرضاتهم على المصلحة العامة لأنهم يؤثرون هواه على المصلحة الحقيقية . وفي هذه الحال يظن الغافل ان الشفاعة ليس فيها اعـلام المشفوع عنده بما لم يكن يعلم ولو

وسنان أقصده النعاس فرنقت في عينه سنة وليس بنائم

والنوم معروف لكل أحد وان اختلف تعريفه من جهة بيان سببه قال البيضاوي «والنوم حال يعرض للحيوان من استرخاء أعصاب الدماغ من رطوبات الابخرة المتصاعدة بحيث تقف الحواس الظاهرة عن الاحساس رأسا» وهو قول الاطباء المتقدمين وللمتأخرين أقوال أخرى مختلفة سنشير الى بعضها . قيل كان الظاهر ان ينفي النوم أولا والسنة بعده على طريق الترقي واجيب بأن ما في النظم جاء على حسب الترتيب الطبيعي في الوجود فنفى ما يعرض أولا ثم ما يتبعه . وقد قال : لا تأخذه : دون لا تعرض له أو لا تطرأ عليه مراعاة للواقع في الوجود فان السنة والنوم يأخذان الحيوان عن نفسه أخذا ويستوليان عليه استيلاء . وقال الاستاذ الامام: ان ماذكر في النظم الكريم ترق في نفي هذا النقص ومن قال بعدم الترقي فقد غفل عن معنى الاخذ وهو الغلب والاستيلاء ومن لا تغلبه السنة قد يغلبه النوم لأنه أقوى فذكر النوم بعد السنة ترق من نفي الاضعف الى نفي الاقوى : والجملة تأكيد لما قبلها مقررة لمعنى الحياة والقيومية على أكمل وجه فان من تأخذه السنة والنوم يكون ضعيف الحياة وضعيف القيام بنفسه أو على غيره أقول ويظهر هذا على رأي المتأخرين في سبب أكمل الظهور وإن كان بديهيا في نفسه فانهم يقولون ان النوم عبارة عن بطلان عمل المخ بسبب ما تولده الحركة من السموم الغازية المؤثرة في العصب وقيل بسبب ما تفرزه الحويصلات العصبية من الماء الكثير بالفعل الكيماوي وقت العمل فكثرة هذا الماء تضعف قابلية التأثر فيها فتحدث فيها الفتور فيكون النوم و يستمر الى ان يتبخر ذلك الماء وعند ذلك تنبه الاعصاب وزجع اليها تأثرها وادراكها . فسبب النوم أمر جسماني محض والله تعالى منزه عن صفات الاجسام وعوارضها

﴿ له ما في السموات وما في الأرض﴾ فهم ملكه وعبيده مقهورون لسنته خاضعون لمشيئته وهو وحده المصرّف لشؤنهم والحافظ لوجودهم ﴿ من ذا الذي يشفع عنده﴾ منهم فيحمله على ترك مقتضى ما مضت به سنته ، وقضت به حكمته ، وأوعدت به شريعته ، من تعذيب من دسى نفسه بالعقائد الباطلة ، ودنسها بالأخلاق السافلة ،

هـذه وقلنا ان ماورد فى الحديث يأتي فيـه الخلاف بين السلف والخلف فى المتشابهات فنفوض معـنى ذلك اليه تعالى أو نحمله على الدعاء الذي يفعل الله تعالى عقبه ماسبق فى علمه الازلي ان سيفعله مع القطع بان الشافع لم يغير شيئا من علمه ولم يحـدث تأثيرا ما في إرادته تعالى وبذلك تظهر كرامة الله لعبده بماأوقع الفعل عقب دعائه أقول وبهـذا فسرالشـفاعة شيخ الاسلام ابن تيمية (رح) (وراجع تفسير آية ٤٨ واتقوا يوما الخ)

﴿ وسع كرسيه السموات والارض ﴾ قال الاستاذ الامام السياق يدل على أن الكرسي هو العـلم الإلهي وبذلك قال بعض المفسرين وأهل اللغة — ويقال كرس الرجل كفرح أي كثر علمه وازدحم على قلبه — أي ان علمه تعالى محيط بمايعملون مما عبر عنه بقوله « يعـلم مابين أيديهم وماخلفهـم » وبما لا يعلمون من شؤون سائر الكائنات فماذا يمكن ان يعلمه الشفعاء . وقيل هو العرش واختاره مفسرنا (الجلال) وهو انمـا يثبت بخبر المعصوم وقيـل انه تمثيل لملك الله تعالى واختاره القفال والزمخشري والآية تدل على انه شيء يضبط السماوات والأرض ولا يتوقف التسليم بها على تعيينه والقول بأنه عـلم أو ملك أو جسم كثيف أو لطيف أي فان كان هو العلم الالهي فالأمر ظاهر وان كان خلقا آخر فهو من عالم الغيب الذي نؤمن به ولا نبحث عن حقيقتهولا نتكلم فيـه بالرأي كما قال كثيرون انه هـو الفلك الثامن المكوكب من الافلاك التسعة التي كان يقول بها فلاسفة اليونان ومقلدوهم فذلك من القول على الله بدون علم وهومن أمهات الكبائر

﴿ ولايؤده حفظهما ﴾ أي لا يثقله حفظ هـذه العوالم بما فيها ولا يشق عليـه ﴿ وهو العليّ العظيم ﴾ فيتعالى بذاته ان يكون شأنه كشأن البشر في حفظ أموالهم، ويتنزه بعظمته عن الاحتياج الى من يعلمه بحقيقة أحوالهـم ، أو يستنزله الى مالم يكن يريد من مجازاتهم على أعمالهم، وأقول ان جملة الآية تملأ القلب بعظمة الله وجلاله وكماله حتى لا يبقى فيـه موضع للغرور بالشفعاء الذين يعظمهم المغرورون تعظيما خياليا غير معقول حتى ينسون انهـم بالنسبة الى الله تعالى عبيد مربوبون ، أو عباد مكرمون ، (٢١ : ٢٧ لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ٢٨ يعلم مابين

رجع نظر البصيرة لرأى ان الشفيع قد أعلم السلطان ان هذا الرجل الجاني ممن يلوذ به ويهمه شأنه و يرضيه بقاؤه ولم يكن يعلم ذلك . فالشفاعة المعروفة التي يغتر بها الكافرون والفاسقون ويظنون أن الله تعالى يرجع عن تعذيب من استحق العذاب منهم لأجل أشخاص ينتظرون شفاعتهم هي مما يستحيل على الله تعالى لأنها وهي من شأن أهل الظلم والبغي تستلزم الجهل وهو ذو العلم المحيط ﴿ ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء ﴾ ومن علم شيئا منك فلا سبيل له الى التصدي لإعلامك به فما ذا عسى ان يقول من يريد الشفاعة عنده بالمعنى الذي يعهده الناس ويغتر به الحمقى الذين يرجون النجاة بها في الآخرة بدون مرضاة الله تعالى في الدنيا . قال الاستاذ الامام معناه ان الشفاعة تتوقف على اذنه واذنه لا يعلم الا بوحي منه تعالى يريد ان ذلك ترقٍّ في نفيها من دليل الى آخر أي اذا أمكن ان تكون هناك شفاعة بمعنى آخر يليق بجلال الله تعالى كالدعاء المحض فانه لا يجرأ عليها أحد في ذلك اليوم العصيب الا باذن الله تعالى واذنه تعالى مما استأثر بعلمه فلا يعلمه غيره الا اذا شاء إعلامه به ثم قال وانما يعرف اذنه تعالى بما حدده من الاحكام في كتابه أي فمن بين انه مستحق لعقابه فهو مستحق له لا يجرأ أحد ان يدعو له بالنجاة ومن بين أنه مستحق لرضوانه على هفوات ألمّ بها لم تحوّل وجهه عن الله تعالى الى الباطل والفساد الذي يطبع على الروح فتسترسل في الخطايا حتى تحيط بها وتملك عليها أمرها فذلك مستحق له منته اليه بوعد الله في كتابه وفضله على عباده كما سبق في علمه الأزلي

ثم قال الاستاذ الامام قالوا ان للاستثناء في قوله تعالى « الا باذنه » واقعا وهو ان نبينا عليه الصلاة والسلام يشفع فى فصل القضاء فيفتح باب الشفاعة فيدخل فيه غيره من الشفعاء كالانبياء والأصفياء كما ثبت في الأحاديث وهي مسألة أنكرها المعتزلة وأثبتها أهل السنة . والله تعالى يأذن لمن يشاء ، و يطلع على علمه باستحقاق الشفاعة من يشاء ، كما علم من الاستثناء ،ونقول أجمع كل من أهل السنة والمعتزلة وسائر فرق المسلمين على كمال علم الله تعالى واحاطته وذلك يستلزم استحالة الشفاعة عنده بالمعنى المعهود كما سبق القول وقلنا هناك ان مثل هذا الاستثناء ورد في القرآن لتأكيد النفي و بذلك نجمع بين الآيات التي تنفي الشفاعة بدون الاستثناء وبين

تضيفها الى الدين، و يرتضيه لها رؤساؤه الرسميين ، الا كلمة الشفاعة التي تزعم انها تعظم بها النبيين والصديقين ، وان جعلتها بمعنى وثني يخلّ بعظمة رب العالمين ، وكل من اغترّ بذلك فشيطانه هو الذي يوسوس له ويمدّه في الغي ، وانها لنفوس ما عرفت عظمة الله ولا شعرت بالحياء منه في حياتها ولاظهر في أعمالها أثر محبته، ولا احترام دينه وشريعته ، وما أثر الايمان به والحب له والرجاء بفضله الا أخذ دينه بقوة وجد وآيته بذل المال والروح في إعلاء كلمته ، وتأييد شريعته ، لا الامتنان عليه وعلى رسوله بقبول اقب الاسلام، وتعظيمه بالقول والخيال ، دون القلوب والأعمال، والقرآن شاهد عدل،(٣:٨٦ انه لقول فصل ١٤ وماهو بالهزل)

باب العقائد

﴿ مسألة القدر وفعل العبد بقدرته ﴾

جاء في شرح عقيدة السفاريني بعد إبطال مذهب القدرية والجبرية وهم الضالون في الافراط والتفريط ما نصه

وأما المتوسطون فهم أهل السنة والجماعة فلم يفرطوا تفريط القدرية النفاه، ولم يفرطوا افراط الجبرية المحتجين بالقدر على معاصي الله، وهؤلاء على مذهبين مذهب الاشعري ومن وافقه من الخلف ومذهب سلف الأمة وأئمة السنة فمذهب أهل السنة كافة ان جميع أنواع الطاعات والمعاصي والكفر والفساد واقعة بقضاء الله وقدره لاخالق سواه فافعال العباد مخلوقة لله تعالى خيرها وشرها حسنها وقبيحها والعبد غير مجبور على أفعاله بل هو قادر عليها هذا القدر باتفاق أهل السنة ثم ان الاشعري ومن وافقه منهم أثبت للعبد كسبا ومعناه انه قادر على فعله وان كانت قدرته لا تأثير لها في ذلك كما مر قال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه هذا قول الاشعري ومن وافقه من المثبتة للقدر من الفقهاء وطوائف من أهل السنة من أصحاب مالك والشافعي وأحمد حيث لا يثبتون في المخلوقات قوى ولا طبائع و يقولون ان الله تعالى فعل عندها لا بها و يقولون ان قدرة العبد لا تأثير لها في الفعل و يقول الاشعري ان الله

أيديهم وماخلفهم ولا يشفعون الالمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون *) فمن تدبر هـذه الآيات وأمثالها ممـا ورد في علم الله وعظمته وانفراده بالسلطة لاسيا في ذلك اليوم وهو يوم الدين فان عظمته تعالى لاتدع في نفسه غرورا بل يوقن بان لاسبيل الى السعادة في الآخرة الابمرضاة الله تعالى في الدنيا فمن لم يكن مرضيا لله تعالى لا يتجرأ أحد على الشفاعةله كما تلوت في الآية الكريمة آنفا. واتل أيضاً قوله تعالى عن ذلك اليوم (٢٠ : ١٠٨ يومئذ يتبعون الداعي لاعوج له وخشعت الاصوات للرحمن فلا تسمع الا همسا ١٠٩ يومئذ لاتنفع الشفاعـة الامن أذن له الرحمن ورضي له قولا ١١٠ يعلم ما بين أيديهم وماخلفهم ولا يحيطون به علما ١١١ وعنت الوجوه للحي القيوم وقد خاب من حمل ظلما ١١٢ ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فـلا يخاف ظلما ولا هضما ١١٣ وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا وصرّفنا فيه من الوعيد لعلهـم يتقون أو يحدث لهم ذكرا *) وأنك لتجد المسلمين يترنمون بهذه الآيات وقلما تحدث لأحد منهم ذكرا يصرفه عن حمل الظلم لنفسه ولغيره والاعتماد في النجاة على وعد الله لمن يعمل الصالحات وهو مؤمن بل ترى الجماهير يعرضون عن هـذا الذكر ويرجون النجاة والسعادة في الدنيا والآخرة بالشفاعات فقط

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها ان السفينة لاتجري على اليبس

قال الاستاذ الامام مامثاله مبسوطا: جملة الآية ومافي معناها إنذار للمسلمين ان يكونوا كأهل الكتاب الذين يتكلون في نجاتهم على شفاعة سلفهم فأوقعهم ذلك في ترك المبالاة بالدين ولكن المسلمين اتبعوا بعد ذلك سننهم شبرا بشبر وذراعا بذراع وسبقوهم في الاتكال على الشفاعة وما يترتب عليـه من التهاون بالدين كما نرى. — هذه القلوب التي خويت من ذكر الله وخلت من خشيته للجهل بما يجب من معرفته وهي على خطر الهلاك الأبدي - وهـذه النفوس المنغمسة في أقذار الشهوات ، المسترسلة في فعل المنكرات ، وهي تشعر بأنها على شفير جهنم — تريد ان تتلهى بما يصمها عن سماع نذير الشريعـة للفطرة التي أفسدتها الجهالات والأهواء لكيلا تتألم بما ينغص عليها لذاتها، أو يحتم عليها طاعة ربها ، فلا ترى أُلهية

من ان الله تعالى يخلق السحاب بالرياح و ينزل الماء بالسحاب و ينبت النبات بالماء ولا يقولون القوى والطبائع الموجودة في المخلوقات لا تأثير لها بل يقرون بأن لها أثرا لفظا ومعنى لكن يقولون هذا التأثير هو تأثير الاسباب في مسبباتها والله تعالى خالق السبب والمسبب ومع انه خالق السبب فلابد للسبب من سبب آخر يشاركه ولابد له من معارض يمانعه فلا يتم أثره الا مع خلق الله له بأن يخلق الله السبب الآخر ويزيل الموانع وقال شيخ الاسلام في موضع آخر الاعمال والاقوال والطاعات والمعاصي هي من العبد بمعنى أنها قائمة به وحاصلة بمشيئته وقدرته وهو المتصف بها والمتحرك بها الذي يعود حكمها عليه وهي من الله بمعنى انه خلقها قائمة بالعبد وجعلها عملا له وكسبا كما يخلق المسببات باسبابها فهي من الله مخلوقة له ومن العبد صفة قائمة به واقعة بقدرته وكسبه كما اذا قلنا هذه الثمرة من الشجرة وهذا الزرع من الارض بمعنى انه حدث منها ومن الله بمعنى انه خلقه منها لم يكن بينهما تناقض قال فالحوادث تضاف الى خالقها باعتبار والى أسبابها باعتبار كما قال تعالى (٢٨:١٥ هذا من عمل الشيطان) وقال (١٨:٦٣ وما انسانيه الا الشيطان) مع قوله (٤:٧٨ كل من عند الله) وأخبر أن العباد يفعلون و يصنعون و يعملون ويؤمنون و يكفرون و يفسقون و يتقون و يصدقون ويكذبون وقال في موضع آخر ان ائمة أهل السنة يقولون ان الله خالق افعال العباد كما ان الله خالق كل شيء وانه تعالى خالق الاشياء بالاسباب وانه تعالى خلق للعبد قدرة بها يكون فعله وان العبد فاعل لفعله حقيقة فقولهم في خلق فعل العبد بارادته وقدرته كقولهم في خلق سائر الحوادث باسبابها وقد دلت الدلائل اليقينية على ان كل حادث فالله خالقه وفعل العبد من جملة الحوادث وكل ممكن يقبل الوجود والعدم فان شاء الله كان وان لم يشأ لم يكن وفعل العبد من جملة الممكنات قال وجمهور المسلمين وجمهور طوائفهم على هذا القول الوسط الذي ليس هو قول المعتزلة ولا قول جهم بن صفوان واتباعه الجبرية فمن قال ان شيأ من الحوادث أفعال الملائكة والجن والأنس لم يخلقها الله تعالى فقد خالف الكتاب والسنة وإجماع السلف والادلة العقلية ولهذا قال بعض السلف من قال ان كلام الآدميين وأفعال العباد غير مخلوقة فهو بمنزلة من يقول

فاعل فعل العبد وان عمل العبد ليس فعلا للعبد بل كسبا له قال شيخ الاسلام وهذا قول من ينكر الاسباب والقوى التي في الاجسام وينكر تأثير القدرة التي للعبد التي يكون بها الفعل ويقول انه لاأثر لقدرة العبد أصلا في فعله لكن الاشعري يثبت للعبد قدرة محدثة واختيارا ويقول ان الفعل كسب للعبد لكنه يقول لاتأثير لقدرة العبد في ايجاد المقدور وهو مقام دقيق حتى قال بعضهم ان هذا الكسب الذي أثبته الاشعري غير معقول قال حتى قال جمهور العقلاء ثلاثة أشياء لاحقيقة لها طفرة النظام وأحوال أبي هاشم وكسب الاشعري وذلك انه يلزم ان لايكون فرق بين القادر والعاجز اذ مجرد الاقتران لا اختصاص له بالقدرة فان فعل العبد يقارن حياته وعلمه وارادته وغير ذلك من صفاته فاذا لم يكن للقدرة تأثير الا مجرد الاقتران فلافرق بين القدرة وغيرها ومن هذه الطائفة من يقول ان قدرة العبد موثرة في صفة الفعل لافي أصله كما يقوله القاضي أبو بكر الباقلاني من أئمة متكلمة الاشعرية ومن وافقه فانه أثبت تأثيرا بدون خلق الرب فلزم ان يكون بعض الحوادث لم يخلقه الله وان جعل ذلك معلقا بخلق الرب فلا فرق بين الاصل والصفة قيل ومذهب الاشعري يقرب في هذه المسئلة من مذهب الجبرية الجهمية فانه يحكى عن الجهم بن صفوان وغلاة اتباعه انهم سلبوا العبد قدرته واختياره حتى قال بعضهم ان حركته كحركة الاشجار بالرياح كما تقدم قال شيخ الاسلام ابن تيمية ان الجهم كان يقول لا أثر لحركة العبد أصلا في فعله وكان يثبت مشيئة الله تعالى وينكر أن يكون له حكمة ورحمة وينكر ان يكون للعبد فعل أو قدرة موثرة قال وقد حكي عنه انه كان يخرج الى الجذمى ويقول أرحم الراحمين يفعل هذا ؟ انكارا لأن يكون له تعالى رحمة يتصف بها سبحانه زعما منه انه ليس الامشيئة محضة لااختصاص لها بحكمة بل يرجح أحد المتماثلين بلا مرجح

ومذهب سلف الأمة وائمتها وجمهور أهل السنة المثبتة للقدر من جميع الطوائف يقولون ان العبد فاعل لفعله حقيقة وان له قدرة حقيقة واستطاعة حقيقة ولا ينكرون تأثير الاسباب الطبيعية بل يقرون بما دل عليه الشرع والعقل

الشيخ محمد المقدسي القشاشي مانصه : مذهب الشيخ امام الحرمين الذي تفرد به فيما قيل عن الاصحاب يعني الاشعرية من ان أصل فعل العبد واقع منه بتأثير قدرته باذن الله قال وهو مذكور في غير الارشاد وهو آخر قوليه كما نقله عنه البقي فلا يقدح مخالفته ما في الارشاد وبقية كتبه التي وصلت الى التفتازاني وغيره لما هو المنقول عنه في غير الارشاد وبقية كتبه في هذا الفن المرجوع عنها في هذه المسئلة قال الكوراني وهذا الكتاب الذي ذكر فيه آخر قوليه هو كتابه المترجم بالنظامية فيما وقفت على كلامه منقولا عنه بلفظه في كتاب (شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل) للعلامة شمس الدين ابن القيم في الباب السابع عشر منه ولفظه : اضطربت آراء اتباع الاشعري في الكسب اضطرابا عظيما واختلفت عباراتهم فيه اختلافا كثيرا وقد ذكر ذلك كله أبو القاسم سلمان بن ناصر الانصاري في شرح الارشاد ثم ساق عن تلميذ امام الحرمين شارح الارشاد هذا الانصاري كلاما فيه ان إمام الحرمين ذكر لنفسه مذهبا ذكره في الكتاب المترجم بالنظامية وانفرد به عن الاصحاب ثم قال صاحب كتاب شفاء العليل في آخر كلام شارح كتاب الارشاد المذكور

قلت الذي قاله الامام في النظامية أقرب الى الحق مما قاله الاشعري وابن الباقلاني ومن تابعهما ونحن نذكر كلامه بلفظه قال يعني امام الحرمين : قد تقرر عند كل حاظ بعقله مترق عن مراتب التقليد في قواعد التوحيد ان الرب سبحانه وتعالى مطالب عباده بأعمالهم وداعيهم اليها ومثيبهم ومعاقبهم عليها وتبين بالنصوص التي لا تتعرض بالتأويلات انه أقدرهم على الوفاء بما طالبهم ومكنهم من التوصل الى امتثال الامر والانكفاف عن مواقع الزجر ولو ذهبت أتلو الآي المتضمنة لهذه المعاني لطال المرام ولا حاجة الى ذلك مع قطع اللبيب المنصف به ومن نظر في كليات الشرائع وما فيها من الاستحثاث والزواجر عن المعاصي الموبقات وما نيط ببعضها من الحدود والعقوبات ثم تلفت على الوعد والوعيد وما يجب عقده من تصديق المرسلين في الانباء وقول الله لهم لم تعديتم وعصيتم وأبيتم وقد أرخيت لكم الطول وفسحت لكم المهل وأرسلت الرسل وأوضحت المحجة لئلا يكون للناس

ان سماء الله وارضه غير مخلوقة والحاصل ان مذهب السلف ومحققي أهل السنة ان الله تعالى خلق قدرة العبد وارادته وفعله وان العبد فاعل لفعله حقيقة ومحدث لفعله والله سبحانه جعله فاعلا له محدثا له قال تعالى (وما تشاؤن الا أن يشاء الله) فأثبت مشيئة العبد وأخبر انها لا تكون الا بمشيئة الله تعالى وهذا صريح قول أهل السنة في اثبات مشيئة العبد وانها لا تكون الا بمشيئة الرب قال شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله روحه وهذا قول جمهور أهل السنة من جميع الطوائف وهو قول كثير من أصحاب الاشعري كأبي اسحق الاسفرايني وامام الحرمين وغيرهما فيقولون العبد فاعل لفعله حقيقة وله قدرة واختيار وقدرته مؤثرة في مقدورها كما تؤثر القوى والطبائع والاسباب كما دل على ذلك الشرع والعقل قال تعالى (فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات) وقال (فأحيا به الارض بعد موتها) وقال (ويهدي به كثيراً) وهذا كثير في الكتاب والسنة يخبر تعالى انه يحدث الحوادث بالاسباب وكذلك دل الكتاب والسنة على اثبات القوى والطبائع للحيوان وغيره كما قال تعالى (فاتقوا الله ما استطعتم) وقال (هو أشد منهم قوة) وقال في الجمادات (واخرجت الارض أثقالها) وقال (واهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج) وقال (تدمّر كل شيء بأمر ربها) وقال (وأرسلنا الرياح لواقح ـ وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله ـ وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء وقضي الامر واستوت على الجودي) وقال تعالى (كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه) وهذا في القرآن كثير جدا

وقال السعد التفتازاني في شرح المقاصد بعد ما نقل الخلاف ملخصا ما نصه: ثم المشهور فيما بين القوم المذكور في كتبهم ان مذهب امام الحرمين ان فعل العبد واقع بقدرته وارادته ايجابا كما هو رأي الحكماء مع قول الامام في الارشاد اتفق ائمة السلف قبل ظهور البدع والاهواء على ان الخالق هو الله ولا خالق سواه وان الحوادث كلها حدثت بقدرة الله من غير فرق بين ما يتعلق قدرة العبد به وبين ما لا يتعلق: قال العلامة ابراهيم الكوراني في شرح منظومة شيخه

قدرة العبد مخلوقة لله تعالى باتفاق القائلين بالصانع والفعل المقدور بالقدرة الحادثة واقع بها قطعا لكنه يضاف الى الله سبحانه تقديرا وخلقا فانه وقع بفعل الله وهو القدرة وليست القدرة فعلا للعبد وانما هي صفة له وهي ملك له تعالى وخلق له فاذا كان موقع الفعل خلقا لله فالواقع به مضاف خلقا الى الله تعالى وتقديرا وقد ملك الله العبد اختياراً يصرف به القدرة فاذا أوقع بالقدرة شيأ آل الواقع الى حكم الله من حيث أنه وقع بفعل الله ولو اهتدت الى هذا الفرقة الضالة لم يكن بيننا وبينهم خلاف ولكنهم ادعوا استبدادا بالاختراع وانفرادا بالخلق والابتداع فضلوا وأضلوا (قال) ونبين تميزنا عنهم بتفريع المذهبين فانا لما أضفنا فعل العبد الى تقدير الإله قلنا أحدث الله القدرة في العبد على أقدار أحاط بها علمه وهيأ اسباب الفعل وسلب العبد العلم بالتفاصيل وأراد من العبد ان يفعل فأحدث فيه دواعي مستحثة وخيرة وإرادة وعلم ان الافعال ستقع على قدر معلوم فوقعت بالقدرة التي اخترعها للعبد على ما علم وأراد فاختيارهم واتصافهم بالاقدار والقدرة خلق الله ابتداء ومقدورها مضاف اليه مشيئة وعلما وقضاء وخلقا وفعلا من حيث انه نتيجة ما انفرد بخلقه وهو القدرة ولو لم يُرد وقوع مقدورها لما أقدره عليه ولما هيأ أسباب وقوعه ومن هدي لهذا استمر له الحق المبين فالعبد فاعل مختار مطالب مأمور منهي وفعله تقدير لله مراد له خلق مقضي (قال) ونحن نضرب في ذلك مثلا شرعيا يستروح اليه الناظر في ذلك فنقول العبد لا يملك أن يتصرف في مال سيده ولو استبد بالتصرف فيه لم ينفذ تصرفه فان أذنه في بيع ماله فباعه نفذ والبيع في التحقيق معزو الى السيد من حيث ان سببه اذنه ولولا اذنه لم ينفذ التصرف ولكن العبد يؤمر بالتصرف وينهى ويوبخ على المخالفة ويعاقب فهذا والله الحق الذي لا غطاء دونه ولا مراء فيه لمن وعاه حق وعيه (وأما الفرقة الضالة) فانهم اعتقدوا انفراد العبد بالخلق ثم صاروا اذا انه عصى فقد انفرد بخلق فعله والرب كاره أفكان العبد على هذا الرأي الفاسد مزاحما للرب في التدبير موقعا ما أراد إيقاعه شاء الرب أو كره؟.

الى هنا كلام امام الحرمين في النظامية بلفظه فيما نقله عنه كذلك الامام المحقق ابن القيم في شفاء العليل ونقله العلامة ابراهيم الكوراني الأشعري في شرح منظومة شيخه

على الله حجة وأحاط بذلك كله ثم استراب فى ان أفعال العباد واقعة على حسب ايثارهم واختيارهم واقتدارهم فهو مصاب في عقله أو مستقر على تقليده مصمم على جهله ففي المصير الى انه لا أثر لقدرة العبد في فعله قطع طلبات الشرائع والتكذيب بما جاء به المرسلون فان زعم من لم يوفق لمنهج الرشاد انه لا أثر لقدرة العبد في مقدوره أصلا واذا طولب بمتعلق طلب الله بفعل العبد تحريما وفرضا ذهب في الجواب طولا وعرضا وقال لله ان يفعل مايشاء ولا يتعرض للاعتراض عليه المتعرضون «لا يسأل عما يفعل وهم يسئلون» قيل له ليس لما جئت به حاصل كلمة حق أريد بها باطل نعم يفعل الله مايشاء ويحكم مايريد ولكن يتقدس عن الخلف ونقيض الصدق وقد فهمنا بضرورات المعقول من الشرع المنقول انه عزت قدرته طالب عباده بما أخبر انهم ممكنون من الوفاء به فلم يكلفهم الا مبلغ الطاقة والوسع فى موارد الشرع ومن زعم انه لا أثر للقدرة الحادثة في مقدورها كما لا أثر للعلم في معلومه فوجه مطالبة العبد بأفعاله عنده كوجه مطالبته بان يثبت في نفسه ألوانا وادراكات وهذا خروج عن حد الاعتدال الى التزام الباطل والمحال وفيه ابطال الشرائع ورد ماجاء به النبيون عليهم الصلاة والسلام فاذا لزم المصير الى القول بأن العبد خالق أعماله فانه فيه الخروج عما درج عليه السلف الائمة واقتحام ورطات الضلال ولا سبيل الى المصير الى الوقوع في ان فعل العبد بقدرته الحادثة والقدرة القديمة فان الفعل الواحد يستحيل حدوثه بقادرين اذ الواحد لا ينقسم فان وقع بقدرة الله استقل بها و يسقط أثر القدرة الحادثة ويستحيل ان يقع بعضه بقدرة الله فان الفعل الواحد لا بعض له وهذه مهواة لا يسلم من غوائلها الا مرشد موفق اذ المرء بين ان يدعي الاستبداد و بين ان يخرج نفسه عن كونه مطالبا بالشرائع وفيه ابطال دعوة المرسلين وبين ان يثبت نفسه شريكا لله في ايجاد الفعل الواحد وهذه الاقسام بجملتها باطلة ولا ينجي من هذا الملتطم ذكر اسم محض ولقب مجرد من غير تحصيل معنى وذلك ان قائلا لو قال ان العبد يكتسب وأثر قدرته الاكتساب والرب تعالى مخترع خالق لما العبد مكتسب له قيل له فما الكسب وما معناه وأديرت الاقسام المذكورة على هذا القائل فلا يجد عنه مهربا — ثم قال يعني امام الحرمين — فنقول

الكسب عند الاشعري تحصيل العبد بقدرته المؤثرة باذن الله ماتعلقت به مشيئته الموافقة لمشيئة الله وتقرير كلامه على هذا الوجه موافق لما قال امام الحرمين من التوسط الذي يتحصل به مؤدى الامر والنهي من المكلف بلا تكلف قال الكوراني ثم رأيت من نصوص الشيخ الاشعري رحمه الله في كتابه الابانة الذي هو آخر تصانيفه كما ذكره الامام شيخ الاسلام ابن تيمية وهو أي كتاب الابانة المعول عليه في المعتقد من بين كتبه كما دل عليه كلام الحافظ ابن عساكر مايدل على انه أي الاشعري انما نفى الاستقلال لا أصل التأثير باذن الله وتمكينه وحينئذ يكون امام الحرمين موافقا للاشعري في التحقيق المعتمد عنده في الابانة ثم قال الكوراني وهذا قول أبي اسحق الاسفرايني قال وهو الموافق لظاهر الكتاب والسنة قال وقول أبي اسحق الاسفرايني وامام الحرمين هو الذي اختاره حجة الاسلام الغزالي فانه قال في كتاب الشكر من الاحياء ولا قادر الا الملك الجبار وقال في جواهر القرآن في باب المحبة لا قدس ولا قدرة ولا علم الا للواحد الحق وانما لغيره القدرة التي أعطاه الخ وقال في الاحياء وما هو قادر عليه يعني الانسان من نفسه أو غيره فليست قدرته من نفسه و بنفسه بل الله خالقه وخالق قدرته وأسبابه والممكن له من ذلك ولو سلط بعوضة على أعظم ملك وأقوى شخص من الحيوانات لاهلكه فليس للعبد قدرة الا بتمكين مولاه قال الكوراني فهو قائل ان للعبد قدرة مؤثرة بتمكين الله لا مستقلا وهذا التمكين هو المعبر عنه بالاذن في قوله تعالى «وماهم بضارين به من أحد الا باذن الله» انتهى ملخصا وانما ذكرت لك أقاويل هؤلاء مع ان عمدة المعتقد عندنا الغير المنتقد فى عقدنا مذهب السلف المقرر على الوجه المرضي المحرر لتعلم ان محققي الاشاعرة لهم موافقة على حقيقة مذهب السلف والاغضاء عما ينمقه الخلف و بالله التوفيق اه

(المنار)

أوردنا هذا الكلام هنا للذين لا يعرفون من كتب العقائد الا كتب متأخري الاشعرية القائلة بأن لا تأثير للاسباب في مسبباتها ولا لقدرة الانسان فى عمله وأن الله يخلق المسبب عند السبب لا به وأن العبد كاسب لعمله في الظاهر مجبور عليه فى الحقيقة

القشاشي ولا يخفى على من نظر في كلامه تصريحه في غير موضع بان العبد له تأثير في فعله بالاختيار ومراده ان العبد ليس مستقلا في ايقاع أفعاله بمجرد مشيئته وان لم توافق مشيئة الحق بل انما تؤثر قدرته اذا شاء الله ذلك ومكنه منه وهو المعبر عنه بالاذن قال الكوراني اختار هذا شيخنا والف فيه سابقا رسالة سماها الانتصار لامام الحرمين فيما شنع فيه عليه بعض النظار ثم اختصرها وزاد فيها نقولا وقف عليها فيما بعد وسماه اختصار الانتصار ثم وقفنا على كتاب شفاء العليل لابن القيم المنقول فيه كلام إمام الحرمين في النظامية فأعجبه ذلك وأمر بإلحاقه بآخر اختصار الانتصار ليعلم الواقف عليه ان النقل عنه بالتأثير بالاذن صحيح خلافا لمن أنكر ثبوته عنه من المتأخرين قال الكوراني وقال شيخنا في شرح المواهب اللدنية على قوله تعالى « ومارميت اذ رميت ولكن الله رمى » من غزوة بدر واعتقاد جماعة ان المراد بالآية سلب فعل النبي صلى الله عليه وسلم عنه واضافته الى الله وجعلهم ذلك أصلا في الجبر وابطال نسبة الافعال الى العباد فبسط الكلام في اثبات الكسب على طريقة امام الحرمين وتأييده بدلائل الكتاب والسنة الى ان نقل عنه كلامه المذكور في النظامية ثم قال وفي شفاء العليل قال الأشعري رحمه الله وابن الباقلاني الواقع بالقدرة الحادثة هو كون الفعل كسبا دون كونه موجودا أو محدثا فكونه كسبا وصف للوجود بمثابة كونه معلوما انتهى وفهموا من ذلك ان لا تأثير لقدرة العبد يعني عند الاشعري في مقدوره كما لا تأثير للعلم في معلومه فقالوا في قدرة العبد انها مصاحبة غير مؤثرة قصدا الى التوسط قال وتفسير كلام الاشعري بهذا ميل عن التوسط الذي هو الحق وانما التوسط المحصل للكسب النافي لطرفي الافراط والتفريط من الاستقلال والجبر هو القول بان لقدرة العبد تأثيرا ولكن باذن الله لا على الاستقلال فاللائق ان يفسر كلام الاشعري بما يتنزل على هذا التوسط وكلامه قابل للتأويل لانه ليس نصا في عدم التأثير فان أوله يدل على ان الكسب واقع بالقدرة الحادثة والوقوع فرع التأثير نعم آخر كلامه يعطي ان لا تأثير لها حيث شبهه بتعلق العلم بالمعلوم على ان الاشعري نص في عامة كتبه على ما يدل على التأثير على ما نقله عنه صاحب شفاء العليل ثم حط القشاشي كلامه على ان

وسلم وقد قال الله تعالى « مانسخ من آية أوننسها» :

ولو كانت هذه المسألة من العقائد الاسلامية الواجبة لما أنكرها بعض أئمة المسلمين المتقدمين والمتأخرين كأبي مسلم الاصفهاني وغيره . على أن المتمسكين بها ليس عندهم دليل يعتد به على صحة مذهبهم وسنفسر ان شاء الله الآيات التي توهموا أنها تفيدهم في تأييد رأيهم وحسبنا أن القرآن لم يقل في موضع مّا أن هذه الآية ناسخة أو منسوخة بأخرى .ولا يحل لنا أن نترك العمل بشيء من كتاب الله تعالى لفهم فاهم أولوهم واهم وأيضا فليس عندهم دليل قطعي على تقدم المنسوخ وتأخر الناسخ في كثير من المواضع بل ان بعض الآيات التي ادعوا أنها منسوخة تجدها في القرآن متأخرة عن الناسخة كآية العدة في سورة البقرة مثلا ولما وجدوا ذلك زعموا ولا دليل لهم أن الآية المشار اليها نزلت أولا ولم يبالوا بأن ذلك ينافي حسن ترتيب الآيات في سورها وان كان هذا الترتيب توقيفيا بالاجماع . اننا لا ندري لِمَ كانت بعض الآيات منسوخة عندهم ولم تكن ناسخة أي كيف يمكنهم تمييز ما يجب العمل به وما يجب تركه مع أنه لم يرد في الكتاب ما يرشدهم الى ذلك . وهل يعقل أن الله يترك عباده يتخبطون فى أمور دينهم مع أنه يقول في شأن القرآن (٤٣: ٥٢ جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا). فاذا كان مذهب النسخ صحيحا أفليس من الابهام وعدم البيان أن يكون القرآن خاليا من التنبيه على مانسخ وعلى مالم ينسخ ؟ أو ليس من أعجب العجب أن لا يوجد عند القائلين به حديث واحد متفق عليه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتبر نصا قاطعا صريحا على أن الآية أو الآيات الفلانية نسخت بالآيات الفلانية!!! وما بالهم لم يتفقوا على عدد مخصوص من الآيات؟ ولِمَ يتركون دعواهم النسخ في آية اذا تحققوا أن لاتعارض بينها وبين غيرها ؟!

غلاَ الناس في هذه المسئلة غلوًّا حتى انهم أرادوا أن يجعلوها فنا من الفنون التي تؤلف فيها الكتب ولاجل أن يجعلوا أبواب هذا الفن كاملة زعموا أن النسخ على ثلاثة أضرب(١) مانسخ لفظه وحكمه معا (٢) مانسخ لفظه فقط(٣) مانسخ حكمه فقط. ثم التمسوا لكل ضرب شواهد ولو بالتمحل البعيد والخروج عن أساليب البلاغة بل اللغة حتى ليخيل للناظر اليها أن القرآن ضاع منه شيء ففتح باب واسع

وتعزوا هذا الى الاشعري وكبار انصاره ليعلموا أن كلام الاشعري ليس نصا في ذلك وأن اكبر أنصار مذهبه وهم امام الحرمين والاسفرايني والغزالي قالوا بخلاف ذلك فلم يبق الا الباقلاني عليه فهل تحصر السنة فيه دون السلف وسائر أئمة الاشعرية

باب أصول الفقه

الناسخ والمنسوخ

للدكتور محمد توفيق أفندي صدقي الطبيب بسجن طره

أجملت الكلام في هذا الموضوع حينما كتبت مقالات (الدين في نظر العقل الصحيح) لضيق الوقت وكثرة الاشغال وقد رأيت الآن أن أعود اليه بايضاح يزيل ما هذر به السفهاء من الناس الطاعنين في الاسلام . الذين يعدون النسخ في القرآن دليلا على كونه من عند غير الله وكونه لم يحفظ كاملا كما نعتقد وليعلم هؤلاء المساكين أن ما يقذفونه به ليس إلا حصى لا تزحزح طودا من مكانه. ولولا غفلة المنتمين الى هذا الدين لما وجد القوم حصاة واحدة يرمونه بها ظنا منهم أنها تؤلمه.

القول بالنسخ في القرآن ليس من عقائد الاسلام البتة وإنما هو مذهب في التفسير نشأ غالبا في العصر الأول ان صحت الروايات الآحادية الواردة في هذا الباب. والذين قالوا به منهم انما أخذوه من ظاهر قوله تعالى ٢:١٠٥ «ما ننسخ من آية أو ننسها» لا آية فكان اذا عرض لواحد منهم اشتباه في فهم بعض آيات القرآن التي بينها شبه خلاف تمسك بهذا القول لرفع ما عرض له . وليس فهم بعض الصحابة حجة في التفسير والا لما خالف جمهور المفسرين ابن عباس وهو أعلمهم بالتفسير في كثير من المسائل ولما خالف بعضهم بعضا في نفس هذه المسألة حتى كان بعضهم كأبيّ مثلا يقول اني لا أدع شيئا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد بذلك أنه لا يترك حكما ما بدعوى أنه منسوخ وكان عمر ينكر عليه ذلك كما ورد في صحيح البخاري عن ابن عباس أن عمر قال: أقرؤنا أبيّ وأقضانا علي وانا لندع من قول أبيّ وذاك أن أبيا يقول لا أدع شيئا سمعته من رسول الله صلى الله عليه

السطور وبعد أن سمعوها منه مرات عديدة في الصلوات والخطب وغيرها وسمعها هو ايضا منهم . ارتقت الاحوال بعد وفاته وتيسر لهم كتابة جميعه على الورق ففعلوا ذلك ونسخوا منه مصاحف بلهجات العرب المختلفة . ولما وُلّيَ عثمان الخلافة أمر بالاقتصار على لغة قريش خوفا من وقوع الاختلاف في القرآن فكتبت المصاحف بهذه اللغة الواحدة بعد التحري والتدقيق فيما كتب قبل ذلك وبعد السماع من الحفاظ وكان ذلك بعد وفاة النبي بسنين قليلة ثم أرسلت المصاحف الى الآفاق التي استعمرتها الصحابة رضوان الله عليهم وفيهم الحافظون للقرآن فى صدورهم وفي صحفهم فوافقوا جميعا على استعمال هذه المصاحف. هذا ومن عرف طباع العرب وشدتها تحقق أنه لو وجد في مصاحف عثمان عيب لرفضوها ولأثيرت حروب وأهرقت دماء ولقتل عثمان لهذا السبب ولوجدت مصاحف مختلفة بين المسلمين اليوم ولكن لم يحصل شيء من ذلك مطلقا . فدل ذلك على أن هذه المصاحف هي عين ماتلقوه عن النبي صلى الله عليه وسلم ثم أخذت طرق كتابتها تتحسن شيئا فشيئا حتى وصلت الى الحالة الحاضرة من النقط والشكل ولا يوجد بينها اختلاف مطلقا قديمها وحديثها شرقيها وغربيها الا ما كان خطأ مطبعيا أو سهو ناسخ . ويهيمن على هذه المصاحف آلاف الألوف من الحفظة في جميع الاقطار وفي جميع الازمنة . هذا هو تاريخ القرآن كما تواترت به الاخبار وما خالف ذلك من الاخبار الآحادية يجب رفضه ولا يعبأ به . وهذا هو الكتاب الذي نؤمن به ونعتقد أنه لا ناسخ فيه ولا منسوخ بل جميع آياته محكمة يجب العمل بها جميعها . ومن شاء أن يعارض فى ذلك فعليه بالدليل . فليس هو ككتب الأديان الاخرى حرمت قراءتها على العامة ولم يحفظها الخاصة في صدورهم فلعبت بها الاهواء ، وتعددت فى شأنها الآراء ،

لو كان الاسلام دين عجائب وغرائب كغيره مما بني على حكايات رويت بالروايات اللسانية ولم تكتب الا بعد زمن وقوعها بمدة تكفي لضياعها أو الخلط فيها أو ادخال الدخلاء فيها ماليس منها ولما كتبت لم يكن عند أهلها فن تحقيق الأسانيد وتحريها الذي لم يعرف الا عند المسلمين — لو كان الاسلام كهذه الأديان لحق لأهله الخوف من الطعن في أمثال هذه الروايات . ولكن

لكل شيطان يريد أن يؤيد دعوى باطلة له لا يوافقه عليها القرآن فيختلق ما شاء أن يختلق ويزعم أنه كان قرآنا ونسخ ثم يلبس لباس الصالحين والرواة الثقاة ليقبل المحدثون روايته . وقد اعترف بعض من تاب بذلك ولولا اعترافه ما عرف . فما يدرينا أن بعض الملحدين أو بعض الفرق الغلاة ظهر بالمظهر الذي غر الناس حتى صدقوه في دعاويه . فهل بعد ذلك نثق بأي رواية لم تتواتر في مثل هذه المسائل حتى يجرنا ذلك الى الطعن في المتواتر نفسه . فالخطة المثلى في تحقيق الحق وازهاق الباطل عند العقلاء أن لا يعتمدوا الا على ما تواتر ويرفضوا كل ما خالفه والا لفقدوا التمييز ولما أمكنهم التصديق بشيء مما الا اذا أدركوه بحواسهم مع أننا مضطرون للتصديق بأشياء كثيرة لم نحسها .

اضطرب مبدأ القائلين بالنسخ كثيرا . فبعد أن قالوا لا نسخ الا في الامر والنهي تجدهم يسلمون بالروايات الدالة على نسخ اللفظ مع أن جلها ليس الا أخبارا كما في رواية (لو كان لابن آدم واديا لاحب أن يكون له الثاني) الى آخره . ولو عقل هؤلاء القوم لوجدوا أن لا مناسبة بين أسلوبها وأسلوب القرآن مطلقا بحيث لو عرضت والقرآن على ذي ذوق وهو أجنبي عن المسلمين لحكم أن قائلهما لا يمكن ان يكون واحدا بدون تردد اللهم الا فيما كان مسروقا منه كرواية « ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ألا أبشروا أنتم المفلحون » على أنها لا تخلو من تكلف وتنافر بين الجملتين يدل على ان التأليف مصنوع

لهذا كله ذهب جميع المحققين من أئمة المسلمين الى أن أمثال هذه الروايات الآحادية لا يثبت بها قرآن ولا ينفي بها ولذلك لا يعتد أحد بالروايات الدالة على أن الفاتحة والمعوذتين ليست من كتاب الله ولو سلمنا جدلا أن أحد الصحابة أنكرها فلا يعتد بشذوذه ومخالفته جميع من عداه منهم

نزل القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم فبلغه للناس وحفظوه عنه وأمر بكتابته دون سواه فكتبه له كتبة الوحي وكتبه غيرهم لأنفسهم على ما تيسر لهم في ذلك الوقت من جلد أو ورق أو عظم أو جريد أو خشب الى غير ذلك مما أمكنهم الحصول عليه . ولم يمت عليه السلام الا بعد أن كانت جميع السور مرتبة الآيات محفوظة فى صدور الجماهير مكتوبة في

الاختبار ان الصفح والاحسان لا يجدي مع العدو نفعا ولا يزيده الا طغيانا واسترسالا في الاذى الى درجة أن يسفك دماءهم ويغتصب أموالهم وأعراضهم ويخرجهم من ديارهم ولا يراعي لهم عهدا ولا يرقب فيهم إلاً ولا ذمة . لما تحققوا ذلك وقووا أمروا أن يردوه عن غيه ويكسروا شوكته وينتقموا منه مع مراعاة العدل في كل ذلك . والخلاصة أن الصبر على الاذى والاحسان الى المسيء مأمور بهما في القرآن كثيرا ولكن لا في كل وقت ولا الى غير حد ويفضلان على الأخذ بالمثل الا اذا جرا الى الوبال وسوء الحال . ومن فهم ذلك علم أن لا تعارض بين آيات القرآن في هذا الشأن فان لكل مقام مقالا . وعليه فلا معنى للقول بالناسخ والمنسوخ هنا لاختلاف الحالين وقد أدرك ذلك كثير من علماء المسلمين كالسيوطي وغيره . هذا ولما كان الواجب علينا اقتفاء أثر النبي في كل شيء وجب علينا أن تكون خطته خطتنا فنجرب أولا اللين فان لم ينجع فالشدة . الا اذا خفنا أن يضيع اللين مركزنا ويمكن العدو منا . فقد وصانا الله تعالى بالخوف من العدو كثيرا فقال (يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم - وقال - وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة) ولذلك لم يهمل النبي صلى الله عليه وسلم ولا خلفاؤه الراشدون أحدا ممن ناصبهم العداوة وتربص بهم الفرص حتى يسلبهم ما حصلوا عليه من القوة ويتمكن من الفتك بهم

(الثانية) مسألة القبلة — لا يخفى على ناظر في الكتاب العزيز أن هذه المسألة ليس فيها نسخ للقرآن وانما هي نسخ لحكم لا ندري هل فعله النبي عليه السلام باجتهاده أم بأمر من الله تعالى غير القرآن فان الوحي غير محصور في القرآن فقد قال الله تعالى ٥٣ : ١٠ (فأوحى الى عبده ما أوحى) أي في ليلة المعراج ولا ندري جميع ما أوحاه الله اليه في تلك الليلة سوى ما بلغنا اياه من أمر فرض الصلوات الخمس . وأيضا فقد يوحى اليه بشيء في منامه كرؤياه دخول المسجد الحرام المذكورة في قوله تعالى ٤٨ : ٢٧ (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام) الآية فقد كانت هذه الرؤيا وحيا إليه قبل أن ينزل فيها القرآن وهى تشبه رؤيا ابراهيم أن يذبح ابنه فقد كانت وحيا له أيضاً في منامه . اذاً ليس كل وحي قرآنا وانما القرآن ما يمكن

الاسلام — ولله الحمد — دين عقل وعلم أسس على كتاب كتب في عهد نبيه وحفظ في الصدور . فما بال أهله قلدوا غيرهم وخافوا من رفض أمثال هذه الأحاديث الآحادية مع أنه لو رفضت جميعها بما فيها الاحاديث الدالة على صحة الاسلام كاحاديث المعجزات الكثيرة وغيرها لا الموجبة للطعن فيه فقط لما ضرنا ذلك شيئا . فما بالنا اليوم أخذنا نسب كل من فتح هذا الباب ونكفره مع أنه لم ينكر أصلا من أصول الدين . فليتق الله عقلاء المسلمين .

كم من دخيل دخل في رواة أحاديث جميع الاديان والملل ؟ كم من حق ضاع بين باطل ؟ كم من موضوعات رفضها المحققون ؟ ألم يخرج البخاري رضي الله عنه أحاديثه وهي أربعة آلاف من ست مئة ألف حديث ؟ وهو شخص واحد يجوز عليه الخطأ لانه ليس معصوما . فما هذا الجمود يا أمة محمد (ص) ودينكم أرقى من ذلك . ولولا أنتم لما وجد سفيه قشا يضربنا به .

ولنرجع الى تتميم موضوعنا فنقول أما ما تمسك به هؤلاء الجامدون من القرآن الشريف على صحة مذهبهم فهو لا يفيدهم شيئا ولذلك أذكرهنا أشهر الآيات التى تمسكوا بها وأتكلم عليها واحدة فواحدة بما يشفي العليل ويروي الغليل :

(الآية الأولى) آية السيف وهي فى سورة التوبة ٩:٥ (فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم الآية) فقالوا انها نسخت جميع الآيات الامرة بالعفو والصبر والصفح ولو تأملوا قليلا لوجدوا أن أكثر هذه الايات مشعرا بالتوقيت والغاية الى أجل كقوله تعالى (فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره . فتول عنهم حتى حين . واصبر حتي يحكم الله . فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون) الى غير ذلك من الايات التى تشعر بأن ترك المدافعة والمقاتلة كان موقتا . ومن القواعد الاصولية المعروفة أنه اذا ورد حكم مطلق وآخر مقيد في موضوع واحد حمل المطلق على المقيد . وعليه فالآيات المطلقة الواردة في هذا الموضوع يجب أن تقيد بالتوقيت مثلا قوله تعالى (فاصفح الصفح الجميل . وقوله فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين) كل منهما موقت أي ان الأمر بالصفح والاعراض لا الى غير أجل ولم يكن دائما فلما تحقق المسلمون بعد طول

(الآن) للدلالة على القصر فكأنه قال (الآن فقط) يتساهل معكم ولا يوجب
هذا الأمر الشاق عليكم ولكنه في المستقبل يحتم عليكم الاستماته فى القتال .

(الرابعة) قوله تعالى ٥٨ : ١٢ ياأيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا
بين يدي نجواكم صدقة ذلك خير لكم وأطهر فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم *
١٣ أأشفقتم أن تقدموا بين يدى نجواكم صدقات فاذلم تفعلوا وتاب الله عليكم
فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الله ورسوله والله خبير بما تعملون *) والمعنى
أن الله ندبهم الى تقديم الصدقات للفقراء قبل مناجاة الرسول في شأن من شؤونهم
والدليل على أن ذلك ندب قوله (ذلك خير لكم وأطهر) وكذا ماسيأتي بعد
ثم قال (فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم) أي ان من كان هذا شأنهم لا يؤاخذهم
على ترك هذا الأمر إذا لم يجدوا ما يتصدقون به أما من تركه بلا عذر فالله يلومه ويوبخه
ثم قال (أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات) أي أخفتم وهو استفهام
بمعنى النهي كقوله (أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه) أي لا تخافوا الفقر من
تقديم الصدقات فان الله يخلفها ويجازيكم عليها بالخير في الآخرة (فاذلم تفعلوا
وتاب الله عليكم فأقيموا الصلاة) أي ان تهاونتم ولم تفعلوها والحال أن الله تاب
عليكم بان لم يجعلها أمرا محتما واجبا يعاقبكم عليه ان تركتموه فلا تتهاونوا في
الواجبات كاقامة الصلاة وإيتاء الزكاة واطاعة الله والرسول فان الله لا يسامحكم
في ذلك . وأيضا فان قيامكم بهذه الواجبات يكفر عنكم تهاونكم في المندوبات
فلا يلومكم الله على تركها على حد قوله في آية أخرى ٤ : ٣١ (ان تجتنبوا كبائر
ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم)

(الخامسة) قوله تعالى (٢:١٠٦ ماننسخ من آية أوننسها نأت بخير منها أو مثلها
ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير ١٠٧ ألم تعلم أن الله له ملك السموات
والارض وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير ١٠٨ أم تريدون أن تسألوا رسولكم
كما سئل موسى من قبل ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل) الآية
هنا هي ما يؤيد الله تعالى به الانبياء من الدلائل على نبوتهم والمعنى ماننسخ من
اية نقيمها دليلا على نبوة نبي من الانبياء أي نزيلها ونترك تأييد نبي آخر بها

تشبيهه بما يسمى عندنا الآن بالأوامر الرسمية التحريرية وغيره بالشفهية غير الرسمية . وبناء على ذلك لم يحصل في القرآن نسخ في هذه المسألة مطلقا

(الثالثة) قوله تعالى (٨ : ٦٥ ياأيها النبي حرض المؤمنين على القتال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مئتين وان يكن منكم مئة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون * ٦٦ الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فإن يكن منكم مئة صابرة يغلبوا مئتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله والله مع الصابرين * » قال أهل النسخ إن الآية الثانية ناسخة للاولى وفاتهم أن ذلك يوجب القول بأن الحكمين الواردين في سياق واحد متناقضان ولا مخلص لهما من ذلك بدعوى أنهما نزلا في وقتين مختلفين لأن القرآن لم يقل ذلك ولم يفصل بينهما . وأيضاً يلزم على قولهم أن المسلمين في أول أمرهم كانوا أقوياء جدا حتى أن الواحد منهم يغلب عشرة ولما كثروا وانتصروا مرات عديدة ضعفوا وصار الواحد منهم باثنين فقط . فواعجبا ماهذا القلب ؟ ويلزم أيضاً أن الله على قولهم لم يكن يعلم أن الواحد منهم لا يمكنه أن يغلب العشرة إلا بعد أن جرب ذلك ولما تحقق أبطل هذا الحكم وأبدله بالآخر . وجوابهم عن هذه المسألة ركيك

واعلم أن المعنى الصحيح هو أن الآية الأولى وعد من الله لهم بنصر الواحد على العشرة ولما كان هذا الوعد يتضمن الأمر بالثبات أمام العدو ولو بلغ عدده عشرة أمثالهم فكأن واحدا منهم شق عليه ذلك فسأل : هل نمتثل هذا الأمر الآن ؟ فأجاب تعالى على سبيل الاستئناف البياني (الآن خفف الله عنكم) أي لم يرد الآن أن يوجب عليكم امتثاله ثم قال (وعلم أن فيكم ضعفاً) وهذا كالتعليل لعدم ايجاب الثبات المذكور في الوقت الحاضر لعلمه أنكم ضعفاء لا تقوون عليه ثم أمرهم بالثبات أمام مثليهم فقط موقتا الى أن يقووا . فكأنه قال يعدكم الله بالنصر على عدوكم الآن وان كان مثلكم مرتين ويعدكم بالنصر في الاستقبال ولو كان عدده عشرة أمثالكم وانما قدم الوعد الاخير على الأول لأنه أبلغ في الحض على القتال فأتى به بعد قوله (حرض المؤمنين) وقدم لفظ

أن فيها تناقضا وتضاربا وقالوا انما أنت مفتر كذاب والا لما خالفت نفسك في عباراتك مرات عديدة وذلك ناشيء عن جهلهم وعدم تدبرهم في آياته (قل نزله روح القدس من ربك بالحق) فلا تناقض فيه ولا اختلاف (ليثبت الذين آمنوا) بما فيه من العبر والحكم التي ان كررت واختلفت عباراتها فلا اختلاف في معانيها وهذا يشبه قوله تعالى (وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك) ثم قال (وهدى وبشرى للمسلمين) أي هدى لهم بارشاداته المتضمنة في عباراته المختلفة وبشرى لهم بأن الله سينصرهم على عدوهم كما نصر أهل الحق من الأمم السابقة. فعلى هذين التفسيرين السابقين لا يبقى لمدعي النسخ حجة مّا في القرآن

ومن تأمل في هذه الآية وجد أنها لا تنطبق على رأيهم . فما معنى قوله (ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين) فهل في النسخ الذي يدعونه تثبيت أم زعزعة وفي أي موضع من القرآن نصّ على ما نسخ وبين حكمته ؟ وما معنى الهداية والبشرى للمسلمين هنا مع أن دعواهم توجب الحيرة والضلال كما قلنا وليس فيها شيء من البشرى لنا. وما مناسبة هذا الكلام هنا؟

فهذه أعظم حجج القائلين بالنسخ وقد علمت مما كتبناه انه لم ينهض لهم شيء منها فبأي شيء بعد ذلك يتمسكون ؟ فيا قوم كفاكم كفاكم ما حملتم هذا الدين المتين فقد نفرتم الناس منه وصرتم أكبر الصادين عنه، . هداكم الله سواء الصراط . انتهى

(المنار) أن مسألة النسخ مثار لشبهات كثيرة يوردها قسوس النصارى ومجادلوهم على القران وقد أطال اللغو فيها مؤلف كتاب الهداية طعنا في الاسلام والغرض الاول للدكتور محمد توفيق أفندي صدقي من هذه المقالة ردّ هذه الشبهات على أنه يعتقد صحة ماذهب اليه مانعو النسخ في القرآن كأبي مسلم المفسر الشهير. وان لنا كلاما آخر في هذه المسألة سننشره في جزء آخر وانه ليسرنا ان نرى من المتخرجين في المدارس العالية من يبحث في أصول الدين ويعنى بفهم القرآن والاهتداء به وان خالف جمهور الفقهاء والاصوليين في بعض المسائل التي لا يعد أحد من المتخالفين فيها كافرا ونعتقد اعتقادا مؤيدا بالاختبار أن اقتناع المتخرجين في تلك المدارس بالدين لا يكون الا بهذه الطريقة لذلك نقبل منهم مباحثهم واسئلتهم مع الاغتباط والسرور، ولله عاقبة الامور

أو ننسها الناس لطول العهد بمن جاء بها فاننا بما لنا من القدرة الكاملة والتصرف في الملك نأتي بخير منها في قوة الاقناع واثبات النبوة أو مثلها في ذلك . ومن كان هذا شأنه في قدرته وسعة ملكه فلا يتقيد بآية مخصوصة يمنحها جميع أنبيائه. وهو رد على من يقترح معجزات مخصوصة . وهذا التفسير هو المناسب لقوله (إن الله على كل شيء قدير) الى قوله (أم تريدون أم تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل) الآية

(السادسة) قوله تعالى (١٦: ١٠١ واذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا انما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون ١٠٢ قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين) والمعنى أننا اذا بدلنا حكم آية من آيات كتب الله السابقة بحكم آخر والله أعلم بما يفعل وبما له من الحكم العظيمة قالوا انما أنت كذاب لأن الله لا ينسخ شرائعنا وذلك لجهلهم ما يترتب عليه من المنافع (قل نزله) أي القرآن (روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا) بتبيين حكم ما نسخ من الشرائع السابقة (وهدى) لهم في أعمالهم (وبشرى للمسلمين) بأنهم على الحق الثابت وأنهم مقيمون شرائع الله وحملة دينه للخلق جميعا. وقد سميت شرائع التوراة في القرآن بالآيات في قوله ٥: ٢٤ انا نزلنا التوراة — الى قوله — ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) والذي يدلك على صحة تفسيرنا ورود بعض الاحكام الموسوية وبيان أنها منسوخة بعد الآية التي نحن بصدد تفسيرها بقليل حيث قال ١٦: ١١٤ (فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واشكروا نعمة الله ان كنتم اياه تعبدون ١١٥ إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم ١١٦ وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون *) الى أن قال (١٢٣ انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه وان ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون)

هذا واذا سلمنا أن المراد بقوله (واذا بدلنا آية مكان آية) آيات القرآن نفسه فلم لا يكون المراد: اننا اذا بدلنا آية في موضوع مّا باية أخرى عند تكرر هذا الموضوع في سور مختلفة كقصص القرآن ومحاجته للعرب وغيرهم توهموا أن

كثرة بحثه عنها وعنايته بمعالجتها ولذلك يقل في الناس من يصل الى نهاية العمر الطبيعي ويقل فيهم من يعيش سليما من الامراض والاسقام كالشجر والحيوان الأعجم

ان لحياة الانسان الاجتماعيـــة امراضا كما أن لحياته الشخصية أمراضا وان معالجة الامراض الاجتماعية أعسر ، والتحقق بشروطها أندر ، ففي كل جيل من الاجيال ، ينبغ في الامم المشتغلة بالعلوم والفنون كثير من العلماء الإخصائيين ، والصناع الماهرين ، وقد تمر قرون وتنطوي اجيال ، تخلق فيها أحوال وتتجدد أحوال ، ولا يبعث طبيب اجتماعي في الأمة ، يرفعها من الحضيض الى القمة ،

ان حياة الامة التي ليس فيها أطباء اجتماعيون ، وهداة روحانيون ، تكون دون حياة الخلايا في الدوح ، وحياة النجم والشجر في الروض ، لأن حياة النبات قلما يعوزها شيء وراء الطبيعـــة وسننها في بلوغها غاية ما اعدتها حكمة التكـــوين له من النظام والكمال الشخصي والنوعي وحياة الانسان لا بد فيها من المربي لتصل الى كماليها فاذا فقد المربي كان الناس فوضى لا يصلح لهم شأن ولا يستقيم لهم أمر . وافراده حينئذ يشبهون خلايا الاجسام من حيث جهل كل واحد منهم بنسبة حياته الى حياة غيره وتأثيرها فى الاجتماع وغايتها في الوجود على أن أفراد الانسان تشعر بعملها الجزئي ولكن يقل فيهـــم من يشعر بتأثير عمله في الامة فيتحرى فيه مصلحتها و يعرف اندماج مصلحته فيها

اذا تمهد هذا فاسمع ما ألقيه عليك بشأن الامة الاسلامية في حياتها الاجتماعية . إشارة الى بدايتها وعبارة عما صارت اليه في هذا العصر يكون مثالا لانتقال الامم من طور الى طور من غير تصور ولا شعور

أطوار الامة الاسلامية

كانت هـــذه الأمة في نشأتها الأولى تنفذ الرجـــل من أبنائها الى المملكة فاتحا فيكون خير قائد في إبان الحرب ، وخير حاكم في زمان السلم ، يقيم العـــدل ، ويعمر الأرض ، ويؤمن الرعية ، ويستبدل الحرية بالعبودية ، فيرى أقل رعيته ولو من غير أهل دينه وجنسه أنه مساوله في الحقوق والحرية بحيث لو نال منه نيلا فشكاه الى الخليفة الذي أنفذه لأقاده منه كما حاول عمر أن يقيد ذلك الصعلوك من جبلة

باب المقالات

تطور الامم وانتقالها

من حال الى حال

ان للاجسام الحية خلايا تتغذى وتزدوج وتلد وتموت فيخلفها نسلها فيكون بها الجسم حافظا لحياته فاذا ضعفت الحياة في الجسم قلّ توالد الخلايا وكثر فيها الموت حتى يهلك الجسم فتتصل أجزاؤه بجسم آخر قوي الحياة فتكون غذاء له كما ترى في النبات والحيوان

ان الحياة مصدر النظام فهي بعمل خلايا الجسم الجزئية تكوّن خلقا كليا منتظما وان كان لا شعور لكل خلية في ازدواجها بمثلها وإنتاجها بأن عملها ينضم الى عمل أمثالها فيكون خلقا كبيرا له في الوجود مظهر عظيم وعمل حيوي منتظم

ان مدار حياة الاحياء الصغرى كالخلايا والكبرى كالشجر والبقر على الخليقة وما فيها من سنن النظام وقلما يحتاج شيء منها الى عناية مدبر مختار من جنسها الا الانسان فانه في افراده وجمعياته لا يستغني بالطبيعة عن تعاهد بعض افراده لبعض بالعناية والتربية الشخصية والاجتماعية

ان لهذه الاحياء الصغرى التي تتكون منها العوالم الكبرى أمراضا ولهذه العوالم نفسها أمراضا وان لكل مرض علاجا ودواء وان العلاج اذا صح يحول دون انهاكه لقوة الحياة أو الذهاب بها مادام الجسم الحيّ مستعداً للحياة أي ما بقي من عمره الطبيعي بقية

ان معالجة مرض ما تتوقف على العلم بحال ما عرض له المرض من حيث هو حيّ له مزاج يصح باعتداله الفطري ويمرض باعراض تخرجه عن الاعتدال والعلم بما سبق عروضه له قبل المرض الاخير الذي يحاول علاجه وبحقيقة هذا المرض واسبابه والعلم بالدواء و بالطريقة المثلى في المعالجة

ان الانسان أغرب الأحياء على هذه الأرض والعوارض التي تعرض لحياة أفراده فتمرضهم أو تقتلهم هي أخفى مما يعرض لغيره من الاحياء النباتية والحيوانية على

المظلومين وبكاء الباكين ، (١٤ : ١٣ فأوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين *)
بما جاءهم على لسان النبيين ،

عمّ الظلم فأفسد الأخلاق وأضعف النفوس وطبع على قلوب الامة بطابع القهر والعبودية حتى لا أمر بمعروف، ولا نهي عن منكر ، ولا تعاون على بر ، ولا تناصر على رفع ضر ، فذهبت ريح الدولة وقوة الامة واستعد الفريقان بعملهم لنقمة الله تعالى بدلا من سابق نعمته فكان تقلص ظلّ الحاكمين الظالمين عن رؤوس المظلومين الخاضعين بأيدي الاجانب لا بأيد الامة وبهذا كان الانتقام عاما ولو كانت الامة هي التي هبت لإزالة الظلم بأيدها وأخذ صولجان الحكم بيدها لكان الانتقام خاصا بالظالمين ولبقي للامة عزها ومجدها

دبّ الفساد الاجتماعي في جسم الامة فلم تشعر به فتعالجه فكان أفرادها بفقدهم الشعور بما يحلّ بهم وبما يكون من عاقبته في مجموعهم كخلايا الشجرة أو الثمرة يعرض الفساد بجانب منها ولا تدري حتى تفسد جميعها . ذلك أن الظالمين بدأوا بإزهاق روح التكافل الذي يربط بعض الافراد ببعض فيكون سببا لسريان شعور المجموع بما يطرأ على الافراد وانفعال المزاج الكلي بذلك واندفاعه الى دفع العرض الطارىء قبل سريانه واستشرائه فإن من طبيعة الجسم الحيّ أن ينفعل مزاجه بما يعرض لاي عضو من أعضائه فيوجه قوته لدفع العرض باعانة ذلك العضو عليه ألا ترى أن الدم يكثر وروده على الدماغ عند انهماكه في الفكر والى المعدة عند اشتغالها بالهضم والى نحو اليد يصيبها برد أو ضرب . والامة الحية كالجسم الحي توجه قوتها الى إعانة كل فرد من أفرادها يصيبه ضر أو يرهقه ظلم حتى تدفعه عنه أو تعجز فتكون من الهالكين كما اذا عجز المزاج الصحيح في جسم الحيوان عن دفع عوارض الفساد بنفسه أو بمساعدة الطبيب فان الفساد يغلب حينئذ على الجسم فيفسده

كيف أزهق الرؤساء المفسدون روح التكافل في جسم هذه الأمة ؟ حولوا السلطة من الشورى الشرعية الى الاثرة الاستبدادية ، وفرقوا بين المسلمين في الجنسية، فقالوا عربي وعجمي ، وفارسي وتركي ، وفي اللغة، فقالوا لغة رسمية ولغة

بن الأيهم ملك غسان لولا انه فر هاربا

بهذا اتسع ملك الأمة وانبثت حياتها العالية في أمم كثيرة فأحيتها وجددت للناس مدنية لم يسبق لهم عهد بمثلها بل لم يكتحل ناظر الزمان بنظيرها حتى هذا اليوم الذي نرى فيه من آثار العلم والاجتماع ما لم نر من قبل فان انكلترا وهي أعدل دول أوربا لا تساوي بين آحاد أبنائها و بين أمراء الهند فضلا عن ان تساوي بين لورداتها وسلائل ملوكها وبين صعاليك مستعمراتها ، وان الخلفاء الراشدين ما كانوا يجيزون لأبنائهم ان ينفقوا ألوف الألوف من بيت المال في سياحتهم لأجل ان ينفخوا في الرعية روح عظمتهم ويشعروا سكان مستعمراتهم بمكان بأسهم وقهرهم كما أجازت بريطانيا العظمى للبرنس أوف ويلس وليّ عهدها في سياحته الاخيرة . فمثل هذا العمل تقرير لاستعلاء المالكين واستذلال المحكومين فهو جناية على البشر الذين لا يصلون الى الكمال الاجتماعي الا بكمال المساواة التي لا يفضل فيها أحد أحدا الا بفضائله وأعماله كما قرر الاسلام

هذا الروح الذي نفخه الاسلام في المعتصمين به حتى كان الرجل الاميّ أو شبه الامي منهم يعمل في سياسة الممالك ما يعجز عنه الفلاسفة والحكماء قد كان من شأنه أن يستولي على العالم كله فيصلحه لولا أن الملوك الظالمين وأعوانهم من الفقهاء الجامدين قد أفسدوا جسم هذه الأمة فلم يعد مستعدا لحمل هذا الروح والحياة به . فاذا كان عمرو بن العاص قد فتح مصر بجيش صغير فأحياها بالعدل وحسن الادارة حتى وصل النيل بالبحر الاحمر وآخى بين هذا القطر و بين الحجاز (وهو ممن لم يدخل المدرسة الحربية ولا مدرسة الحقوق ولا مدرسة المهندسخانه) فقد صار القطر الاسلامي العظيم يستعبده عدد قليل من الاجانب وصار المسلم المتعلم الحامل للشهادات العالية التي يظن انه يفضل بها عظماء سلفه كعمرو وعمر ينفذ الى قطر إسلامي كاليمن اليوم وكالسودان بالامس فيبغي في الارض ، ويجني على العَرَض والعِرْض ، فيترك الارض موطوءة ، والاموال مسلوبة ، والدماء مسفوكة، والاعراض مهتوكة ، حتى أنّت الارض من حكم كل مسلم عليها ، واستغاثت السماء من سلطة كل مسلم تحتها ، وسمع رب العزة أنين

تغتال ، ويجد فيها الحرية فكره ولو بعض المجال ، والا نفوه الى بلد قفر ، أوجزيرة في البحر ، حتى لا ينتشر له فكر ، ولا يسمع له ذكر ،

وجملة القول ان المسلمين كانوا أحياء بالاسلام نفسه على بصيرة وبينة ولما عرض لهم حلم الفساد اضطرب مزاجهم فتداعوا الى ازالته فحال دون ذلك تحول السلطة الاسلامية عن صراطها ثم ضعف الشعور بفعل هذا الحلم بجسم الأمة لقوة مزاجها وضعف سائر الأمم دونها ثم خدر المرض أعصابها فكان الحلم يفعل فعله وهي لا تشعر حتى عمّ الفساد كل عضو من أعضائها - ونعني بالأعضاء الشعوب والفرق التي انقسمت اليها وحدة الأمة — فلا يوجد شعب إسلاميّ حيّ ولا حكومة إسلامية الا وهي تعفو ما بقي من رسوم الاسلام وتجدّ في إبسال أهله الا ما يقال عن حكومة الأفغان من عنايتها بحفظ استقلالها بالقوة العسكرية الحديثة وهذا ضروري ولكنه غير كاف كما نرى في تركيا فلا بد من نشر علوم الكون في الأمة واعدادها للحكومة المقيدة بالشورى والا كانت من الهالكين

أما ذلك الشعور الذي تجدد لأفراد من المسلمين فهو لا عمل له في مملكة من ممالكهم الا إعدادا بطيئا للانتقال الى طور آخر مجهول لعامتهم ، ومشكوك فيه عند خاصتهم ، لا يدرون أيكون مرضا مضنياً ، أم موتا مرديا ، أم يكون حياة سعيدة ، وسيادة جديدة ، أساسها العلم والعدل ، وغايتها العمران والفضل ، فمنهم اليائس يزيد في الافساد ، ومنهم الراجي يدعو الى سبيل الرشاد ، وهكذا شأن الامم في طور الانتقال ، لا تستقر من الاضطراب على حال ،

من أسباب يأس اليائسين أن المسلمين قد خرجوا بتقسيم رؤسائهم اياهم الى شعوب وأجناس ومذاهب عن كونهم أمة واحدة فلا فائدة في كثرتهم ، ولا رجاء في وحدتهم ، وانما يجب الحكم عليهم بحسب حكوماتهم سواء كانت منهم أومن غيرهم فقد أعدهم الظلم والاستبداد لان يكونوا عبيدا لمن يحكمهم . واذا نظرنا في حال حكوماتهم وجدنا الاسلامية منها أسرع في الاجهاز عليهم من الأجنبية (ونعني بالاسلامية المنسوبة الى المسلمين لا ما كانت على قواعد الاسلام فان هذه لا وجود لها في الأرض) فاذا كان من الغرور أن نرجو حياة الشعب الجاوي

دينية ، وفي المذاهب فقالوا سني وشيعي ، وحنفي وشافعي ، وفي الوطن فقالوا مصري وشامي، ومغربي وحجازي، واذا كنت تظن ان هذا الضرب الاخير من التفريق اهون ضرو به شرا فانا اذكرلك كلمتين لرئيس ديني ورئيس دنيوي تعرف بهما مبلغ تسمم جسم الامة الاسلامية بسم الوطنية . رأى عالم من علماء الدرجة الاولى بل شيخ من مشايخ الازهر السابقين يلقب بشيخ الاسلام خطيبا شاميا في جامع بمصر فقال ان هذا الجامع حسن وموقعه عظيم «ولكن من الاسف حشوه بالشوام» وقال رئيس كبير من رؤساء الدنيا في معهد من معاهد العلم الديني — وقد رأى فيه حجرات كثيرة للطلاب من قطر غير قطره — : ماذا فعل لنا هؤلاء ... حتى نعطيهم كل هذه الحجرات وأهل البلد أحق بها منهم : أوما هذا معناه . على انه لم يكن هو الذي أعطاهم وانما تلك أماكن وقفها عليهم أناس آخرون من غير قوم القائل ومن غير وطنه

هنالك إفساد آخر هو أشد من كل إفساد وهو الحيلولة بين المسلمين وبين هداية القرآن الذي جعل أمر المسلمين شورى بينهم لافي ايدي أفراد يستبدون فيهم وفرض عليهم مقاومة الظلم والافساد في الارض بقوة الامة وغير ذلك مما يحفظ حياة الامم بل ينميها حتى تبلغ كمالها ولولا هذا الافساد لما تم لظالم ولا لمفسد ما أراد

سرت كل هذه الامراض في جسم الامة الاسلامية من حيث لا يدري الافراد ولا يشعرون كما علمت من التمثيل السابق وكان من عواقبها ان أكثر الممالك الاسلامية خرجت من أيدي المسلمين وما بقي لهم فهو في طور النزع ولكن هذا العصر يمتاز على ماقبله بشعور كثير من أفراده بأن الأمة في مرض ، ودولها في حرض ، فاذا لم تبادر بالعلاج ، تم فساد المزاج ، وأجهز عليها الظالم ، فهلك المحكوم في أثر الحاكم ،

بهؤلاء الافراد على قلتهم وضعفهم أنشأ المسلمون يستعدون لاستعادة مافقدوا من مزايا الانسانية ولكن المفسدين لم يغفلوا عن مراقبتهم فهم يجتهدون في إماتة شعورهم بالضغط والاضطهاد تارة وبالرتب والرواتب تارة أخرى ومن ثبت على نار الفتنتين اضطر الى الفرار من ديارهم الى ديار أخرى يأمن فيها على نفسه أن

من الوجود زوالا أبديا كما زال استقلال بني اسرائيل الا ان يحدث في العمران انقلاب كبير لا دليل عليه الآن

وأما أهل الرجاء — ونحن منهم — فانهم يعرفون مايحتج به أهل اليأس ولا ينكرونه ولهم نظر آخر أبعد، ورأي أسد — ان شاء الله — وأرشد، يؤيدونه بآيات الوحي، ويستدلون عليه بطبيعة العمران وشؤون الاجتماع، ولا يتسع هذا المقال لشرح مايجوز نشره منه، وانا نوجز القول فيما لا مندوحة عنه ·

ان المسلمين — وان اختلفوا في اللغات والمذاهب والأوطان والحكومات — يتفقون في أمر واحد تتبعه أمور جوهرية من ناحيتها يدعون الى مايحييهم ويجعلهم أمة عزيزة تشعرها وحدة الاعتقاد بأن لها مصلحة واحدة يجب على شعوبها الاتحاد والتكافل في سبيلها وإن ظلوا على اختلافهم في تلك الأمور العظيمة حتى اذا ماانتشرت الدعوة الى الأمر المتفق عليه (وهو القرآن) استتبعت الوحدة في اللغة والوحدة فى المذهب أو انتفى الافتراق في المذاهب وصار كل شعب من شعوب المسلمين قوة للآخر وعونا له وظهيرا على بعد الدار وقربها واختلاف الحكومات والاجناس ولا تسألني عما يكون بعد ذلك وأنت لما تعلم مايكون قبله

الدعوة الى القرآن تستتبع الدعوة به الى جميع العلوم الكونية من طبيعية واجتماعية لأجل تكميل النفس بعرفان حكم الله في صنعه وإبداعه ولأجل تعزيز دينه بآثار تلك العلوم وتستتبع طلب المزيد من نعم الله ومساهمة الأغنياء والاقوياء للفقراء والضعفاء في هذه النعم بأداء الزكاة وغيرها من الصدقات التي تقوم بها المصالح العامة والخاصة وتستتبع حكم الشورى واقامة العدل وغير ذلك من أركان السعادة. فاذا وفق الدعاة لإقناعهم بهذا وحملوهم عليه فقل قد نفخت فيهم روح الحياة التي لاموت بعدها. نعم ان هذا الإجمال لا يقنع القارئ بهذه الدعوى وإن التفصيل مع بيان الدليل لامحل له هنا على أن شرح ذلك انما يفيد أهله الذين استعدوا للقيام به دون من يقرأ لأجل التسلي أو الانتقاد كما هو شأن أكثر الناس

بينا في مقالة الحياة الملية من المجلد الثامن شيئا من حقيقة هذه الحياة التي هي محل رجائنا وذكرنا هناك العلوم التي نحتاج اليها وكيفية تمهيد العقبات التي

تحت سلطة هولندا والمغربي تحت سلطة فرنسا مثلا فمن الجنون أن نرجو حياة الشعوب العثمانية المتمزقة تحت سلطة تركيا والشعب الفارسي تحت سلطة حكامه ومجتهديه . ذلك بأن حكومات الأجانب على منعها النور الحقيقي ان ينفذ الى عقول المسلمين فيحييهم بحرارته وهدايته لاسلطة لها الابقوتها الحسية على الاجسام وأما الحكام المسلمون فان لهم سلطتين — القوة الحسية على الاجسام والقوة المعنوية في الأرواح لان المسلمين توارثوا الاعتقاد بوجوب الخضوع لهم على أنه من الدين وقلما يوجد فيهم من يعلم أن من أعظم قواعد الدين انه لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق ولاحكم الالله ومن استحل الحكم بما يخالف القواعد الشرعية المنصوصة كان مارقاً من الاسلام (٥:٢٤ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) وهؤلاء العارفون على قلتهم لا يسمح لهم الاستبداد بنشر علمهم في الأمة لئلا تنبعث لاقامة الشريعة على أساس الشورى فتبطل سلطتهم الاستبدادية التي تنطوي في باطنها نزعة الألوهية .

ويقول هؤلاء اليائسون أيضاً ان الأوربيين الذين استولوا على أكثر بلاد المسلمين يتربصون بباقيها الدوائر وحكامها يمهدون لهم السبل بالظلم والقضاء بالجهل على العلم وباقتراض الاموال منهم ومنحهم «الامتيازات» في بلادهم وهم يجتهدون دائماً في الاتفاق على قسمتها بينهم فلايمر عقد من السنين الا ونراهم قد اكتسبوا حقاً جديدا فيها أو قلصوا ظل نفوذنا عن ولاية منها ثم هم أقدر البشر على سياسة الأمم والتصرف في الشعوب فاذا دخلوا ولاية قبض أفراد منهم على قواها المالية والعسكرية والعلمية والأدبية وذللوا الأمة لسلطانهم فهم يسخروننا لخدمتهم بقوتنا ، حتى لايدعون لنا سبيلا الى استعمالها في منفعتنا ، وأعظم مظهر لسياستهم العليا فينا أن سلطتهم تكون أقوى وأرسخ وربحهم يكون أكثر وأسهل في البلاد التي يبقون فيها لنا اسم السلطة ويرضون بمعناها لأنفسهم فهم يستعبدوننا بواسطة استعبادهم لحكامنا الذين أنسنا بالعبودية لهم . فأين موضع الرجاء لهذه الشعوب الجاهلة المتفرقة المستعبدة مع هذه الامم العالمة المستقلة المتحدة ؟؟

هذا مجمل احتجاج اليائسين من أهل الشعور بما ينذر المسلمين من الخطر فرأيهم ان طور الانتقال الذي هم فيه سينتهي بطور دخولهم تحت سلطة الاجانب وزوال استقلالهم

في جهلهم بعاقبة علمهم وعملهم في الامة فكل واحد منهم يفكر في خويصة نفسه فهو يتعلم لغاية يجعلها نصب عينيه وهي رزق مضمون يتمتع به كما يتمتع خواص قومه. يعذر التلميذ في هذا ولا يعاب لأنه لا يتوجه الا حيث يوجهه معلمه ومربيه فمن لم يكن له أم ولا أب ولا معلم ينفخ فيه روح حب الأمة والملة لا يرجى ان يهتم بجعل حياته الشخصية ركنا من أركان حياة أمته الملية ببذل شيء من وقته وشيء من فضل ماله في خدمتها وإعلاء شأنها .

اذا كان الكمال الشخصي يتوقف على حسن تربية الشخص البدنية والنفسية فهل يمكن ان يكون الكمال الاجتماعي بالمصادفة والاتفاق أو بترك معظم نشء الامة فوضى والقذف بمن يراد تعليمهم من الذكران والاناث الى الاجانب حتى الجزويت والفرير ينقشون ألواح نفوسهم بما يشاءون ؟؟

هذه الحال التي نرى عليها أكثر الذين تعلموا العلوم العصرية والتي يظن أن سيكون عليها أو على ما هو دونها من يتعلمون الآن تصلح ان تكون حججا لليائسين من اصلاح حال المسلمين ولكن أهل الرجاء يرون في اثناء هذه الظلمات المتكاثفة بصيصا من النور يوشك ان يتألق فيقشع كل ظلمة ويظهر صراط الحق للسارين. يرى البصير في مصر والهند نابتة على شيء من استقلال الفكر ويرى في روسيا نابتة لم يعمل في أرواحها سم الاجانب عمله في غيرها وهي مع ذلك تطلب العلوم والتربية لاجل الحياة، ويرى في الاستانة نفسها على شدة الهيمنة فيها على الافكار والمراقبة على العلم نابتة تلتهب غيرة وتشعر من معنى الاستقلال بما لا يشعر به سائر المسلمين ويرى في ايران هزة جديدة، وحركة يرجى ان تكون مفيدة ، ويري في تونس حركة أخرى حيوية، تعوزها نفحة من نفحات الحرية، وليس استقلال الفكر هو كل ما استفادت نابتتنا من الاجانب بل أصابتهم نفحة من نفحات الحياة الاجتماعية . فهذا الخير يتنازع مع تلك الشرور في هذه النفوس الضعيفة ولا يعوز الامة الآن الا الاطباء الروحانيون والزعماء الاجتماعيون الذين يشرفون على الأودية والترع والسواقي التي تجري فيها سيول الحوادث الجديدة بالامة ويقدرون على تحويلها الى حيث تكون محيية لأرض الأمة

ما رأيت لكاتب في هذه البلاد كتابة ولا علمت لعامل عملا ينبيء بمراقبته

تعترض في سبيلها ونحن الآن في حاجة الى بيان ان المسلمين في طور انتقال من حال الى حال وأن هذا الطور شبيه بطور النقه من مرض تخشى عاقبته، ولاتؤمن نكسته، وانهم محتاجون فيه الى الأطباء الروحانيين العالمين بأدواء الاجتماع وطرق معالجتها والا سبقهم الأجانب لتحويل الأمة في هـذا الطور الى حياة مذبذبة ينقطع كل رجاء للاسلام فيها

ثبت بالتجربة والاختبار أن المتعلمين للعلوم الكونية هم الذين يسودون أممهم كما ان الامم السابقة في مضمار هذه العلوم تسود المتخلفة فيه فالناس تبع لهؤلاء المتعلمين صلحوا أم فسدوا فهم التيار الجديد الذي يحول الأمة من حال الى حال وعقول هؤلاء المتعلمين وقلوبهم بين أيدي الاجانب فهم الذين يودعون فيها و ينقشون في ألواحها المستعدة مايريدون على علم منهم بغايته وأثره . ومما نشاهد من أثره أن اكثر المتعلمين لاقيمة للدين الذي هو الرابطة العامة للمسلمين في نفوس أكثرهم فهم لا يصلون ولا يصومون ولا يحلون ولا يحرمون وإنما هم أكثرهم التمتع باللذات الحسية ولو بذلوا في سبيلها جميع المصالح العامة . ثم هم مع هذا مغرورون بأنفسهم يحسبون أنهم أرقى من سلفهم الصالح عقولا وأرجح أحلاما وأوسع علوما وأفضل آدابا وأقدر على الأعمال الاجتماعية، فلا الدين عرفوا، ولا حب الأمة أشربوا، وكيف وهم على جهلهم بشريعتها يجهلون تاريخها الذي لم يتفضل عليهم ساداتهم الاجانب بشيء حقيقي منه الا بعض المسائل المنتقدة التي صوروها بغير صورتها وألبسوها غير لباسها واستنبطوا منها مالا تدل عليه من العيوب والمساوي . وغفل متعلمونا الاذكياء عما اعترف به المنصفون من فلاسفة اساتذتهم المتصرفين في عقولهم وقلوبهم من حيث لا يشعرون من تعظيم شأن مدنية المسلمين الاولين الذي أقاموا ميزان العدل بعد ميله وأحيوا موات العلم بعد موته كما غفلوا عن أنفسهم التي لم يوجد لها في الارض أثر يحمد فلا رفعوا أمة من سقطتها ولا أحيوا دولة بعد موتتها ، ومالي لاأذكرهم بتعصب أساتذتهم لدينهم والسعي في نشره بما يبذلون من الملايين ، لجمعيات الرهبان والقسيسين ،

كلا ان القصد الى بيان حال المتعلمين في مثل مصر والاستانة وانهم كالعلامة

العلوم والمعارف والاعمال حتى صارت الآن خلوا من كل ما يطلق عليه اسم (مجد) بل لا يبعد ان قلنا ان من فيها من الخلف ضد لسلفهم وقد أهملوا كل شيء من المجد اتكالاً على مجد من سلف حتى اذا ماعرا حادث اتكلوا في دفعه على سكان الاضرحة فتراهم يعتقدون في صالحي أمواتهم انهم مطلعون على أي حادث عرا وانهم ان شاؤا دفعه عنهم دفعوه وان رأوا في ابقائه صالحاً أبقوه وتراهم يقدسون تلك البقاع التي لم يرد في الشرع تقديسها ويرون في مطلق الاقامة بها شرفاً وفضلا وان كان المقيم بها خلوا عن كل فضل وشرف

فهل أنزل الله بهذا من سلطان ؟ وهل فيما يعتقدونه شيء ورد به الكتاب والسنة؟ وهل فيما اذا ورد عن سلفهم شيء ولم نجد له دليلا من الكتاب والسنة فعلى ماذا يكون حمله؟ وهل يجب على أحد التصديق بالولاية لشخص معين؟ وماذا يكون حكم من رد شيئاً من كلامهم في نحو ماذكر اعلاه ولم يعترف بولاية أحد معين ؟ وقد جاء من نحو هذا في بعض اعداد المنار السالفة ماجاء والأمل في حضرة الاستاذ الرشيد المرشد ان لا يحيلنا على ماسبق ويبسط لنا في جوابه على ماذكرناه فضلا وليكن في معلومكم سيدي ان هذا الداء قد أزمن في كثير من بلدان المسلمين فيحتاج الى معالجته بدواء فيه قوة لاستئصاله — فلعل ان يكون دعاء المنار الى الحق بالحق مقبولا عند أولئك كما أنه قبل دعاء المنار كثير ممن ضلوا فأضلوا ثم اهتدوا فهدوا —

(المنار) ترجع هذه الاسئلة الى أربع مسائل (١) الدليل على دعاء الموتى أي التماس دفع الشر وجلب الخير منهم (٢) مايرد عن العلماء ولا يعلم له دليل (٣) حكم من رد كلام العلماء الذي لا دليل عليه (٤) الاعتقاد بولاية شخص معين من الناس أي ان له مكانة عند الله خاصة به في الدنيا والآخرة . وان كثيرا من قراء المنار قد سئموا كثرة الكلام في مسألة التوسل بالموتى الى قضاء الحاجات ولكن فتنة الناس بها وتجدد قراء كثيرين للمنار في كل عام لم يطلعوا على ما سبق نشره في ذلك مع حاجتهم اليه يوجب علينا مع تجدد السؤال عنها ان نبين الحق فيها فنقول

﴿ مسألة دعاء الموتى والتوسل بهم ﴾

(ج ٦) لو كان الكلام مع أناس من أهل العلم والبصيرة لكان يكفينا في بيان

للتغيير الاجتماعي الذي ينتقل بالامة المصرية من حال الى حال (وحاشا من فقدنا بالامس) الاما يكتبه اللورد كرومر في تقاريره السنوية ، ومايدبر به أمور الحكومة الكلية، هو الذي ينظر في عاقبة الاعمال المالية الكبرى و يسيرها كما يرى ، هو الذي قال في المحا كم الشرعية انها ستمد اليها يد لا تعرف للقديم حرمة، هو الذي توقع من زيادة الاقبال على تعليم البنات ما توقع وأشار بالنظر فى مغبته، هو الذي فهم مايرمي اليه اعتصاب تلاميذ المدارس فاهتم به اهتماما لم يفهم سره الا الاقلون فمن لنا بمرشدين ينظرون فى أمورنا الكلية بتلك العين ، ويرجحون لسير نابتتنا خير النجدين ؟ هذا ما نحن فى أشد الحاجة اليه لاصلاح شؤوننا فى هذا الطور الذي نحن فيه فالزعماء المصلحون هم الذين يحولون مجاري الحوادث التي تعمل في استعداد الامة وتغييرها الى ما فيه خيرها وسنفرد لهم مقالا خاصا بهم

فتاوى المنار

فتحنا هـذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذلا يسع الناس عامة، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متأخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا . ولمن يمضي على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

﴿ أسئلة من سنغافوره ورأي عالم في المنار والمسلمين ﴾

(س ٦-٩) من خ . م . س في سنغافوره

تشرفت بلقاء بعض الفضلاء من علماء المسلمين فانجرّ بنا الحديث الى ذكر الاحوال الحاضرة فيما للاسلام والمسلمين فيه وعليه فجرى ذكر المنار المنير فأثنى عليه بما هو أهله ثم شافهني بقوله: تنبه كثير من المسلمين بدعاء المنار الى الله تعالى وتمحيصه للحقائق وإني أرفع اليك هذا لترفعه الى المنار الأغر لينشره على صفحاته مؤملا منه ان يبسط لنا في الجواب على ماسألناه وما ضالتنا المنشودة الا الارشاد الى الحق — وهذا ما قاله ذلك الحكيم —

ضرب الجهل أطناب خيامه في بعض البلاد الاسلامية التي كان لسلفها القدح المعلى في

على أن هذه المسألة — مسألة التماس دفع الضر أو جلب النفع من غير الله استقلالا أو بالوساطة والشفاعة — لم تكن لتترك فلا يبين حكمها في القرآن وهي أصل الوثنية وأساسها في جميع الامم ولذلك فتن بها أهل الكتاب فاتخذوا وسطاء وشفعاء بينهم و بين الله تعالى غير وسطاء أجدادهم أوخلطائهم من الوثنيين فهم لم يخالفوا الوثنيين في أصل هذه العقيدة وحقيقتها ، وإنما خالفوهم في مظهرها وصورتها ، إذ اعتقدوا الوساطة والشفاعة مثلهم وجعلوا لهم شفعاء ووسطاء من أنفسهم غير وسطاء أولئك وشفعائهم . أفرأيت دين التوحيد الخالص يسكت عن هذه المسألة و يدعها للفقهاء يحكمون فيها بقياسهم وهي تتعلق بأساس الدين وركنه الركين وهو التوحيد؟؟

قال تعالى (١٠:١٨ و يعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم و يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ، قل اتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون *) أي أنهم باتخاذ الشفعاء يعبدون غير الله لأن هذا عين العبادة ولكنهم يقولون ان هذه شفاعة عنده فهي لاتخل بتعظيمه بل هي تعظيم له كما تعظم الملوك اذ لا يتجرأ الحقير على دعائهم الا بواسطة المقربين عندهم . وقد نفي سبحانه هذه الشفاعة في آيات كثيرة قال تعالى في سورة البقرة (٢:٤٨ ولا يقبل منها شفاعة — ١٢٣ ولا تنفعها شفاعة — ٢٥٤ ولا خلة ولا شفاعة) وقال في سورة المدثر (٧٤:٤٨ فما تنفعهم شفاعة الشافعين*) وقال في سورة الانعام (٦:٥١ وأنذر به الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لعلهم يتقون * — ٧ وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وذكر به أن تُبْسَلَ نَفْسٌ بما كَسَبَتْ ليس لها من دون الله وليٌّ ولا شفيع) الآية ومعنى تبسل تسلم الى الهلاك أي ان الذين تدفعهم أعمالهم الى الهلاك لا تنجيهم من عاقبتها شفاعة أحد . والآيات في هذا كثيرة وارجع الى التفسير من هذا الجزء تجد الكلام في معناها مفصلا

وكانوا يطلقون على هؤلاء الشفعاء لقب الاولياء كما تلوت في آيتي الانعام آنفا ومثلهما آية ألم السجدة (٣٢:٤ مالكم من دونه من ولي ولا شفيع أفلا تتذكرون)

بدعتهم في ذلك أن نقول إن ماتأتونه لم يأذن به الله في كتابه ولا على لسان رسوله ولم يأت بمثله صالحو المؤمنين من الصحابة والتابعين وهو أمر ديني محض لامجال للرأي فيه فمن يقول به يكون منازعا لله تعالى في شرع الدين كما قال تعالى في سورة الشورى (٤٢: ٢١ أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله) الآية · فان ادعوا ان أحدا من السلف دعا ميتا أوطلب منه حاجة أوصلى عند قبره أوتمسح به أوقصده للدعاء أوقال إن الدعاء عنده أرجى للاجابة طالبناه بالنقل ولن يجده · وانما قصارى احتجاجهم ان بعض مشايخ التصوف الذين اشتهروا بالصلاح كانوا يتبركون بالقبور · والجواب عنه سهل لمن يعرف ما هو الاسلام فان علماء أصول الدين حصروا الحجج الشرعية في الكتاب والسنة والاجماع والقياس · ولا ينهض شيء من ذلك هنا اما الكتاب والسنة والاجماع فان طريقها النقل ولم ينقل ذلك أحد واما القياس فانه لا يأتي في الأمور التعبدية ولا فيما يتعلق بشأن عالم الغيب والمسألة من هذا القبيل لأن المفتونين بها فريقان — غلاة يزعمون ان الموتى يقضون حاجاتهم بأنفسهم لأن أرواحهم مأذونة بذلك وقال بعضهم بل هي تعود الى أجسادها التي لا تفنى وتقضي الحاجة كما كان شأنها في الحياة الدنيا : وأنت ترى أن هذا نبأ عن عالم الغيب وهو لا يعرف الا بالوحي كما قال تعالى (٧٢ : ٢٦ عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا الامن ارتضى من رسول) الآيات وفيها ان الرسول يطلعه الله تعالى على مايريد ان يبلغه عنه من أمر عالم الغيب كالجنة والنار والملائكة والجن ·

واما الآخرون فيقولون ان الله تعالى يقضي حاجة من يدعوهم كرامة لهم · وهذا حكم على الله تعالى وهو أعلى أحكام عالم الغيب ولا قياس فيه فهو يتوقف على نص من الوحي وإلا كان من القول على الله بدون علم وهو من كبائر الإثم المقرونة بالكفر وهي أصول المحرمات في كل دين شرعه الله كما بينه تعالى في قوله بسورة الاعراف

(٧: ٣٢ قل إنما حرّم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله مالا تعلمون)

الله صلى الله عليه وسلم شيئا فرخص فيه فتنزه عنه قوم فبلغه ذلك فخطب فحمد الله واثنى عليه ثم قال « مابال أقوام يتنزهون من الشيء أصنعه فوالله إني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية »

ثم ان مايطلب من أصحاب القبور وغيرهم يعبر عنه بالدعاء كما قال في الآية السابقة « أولئك الذين يدعون » الخ وقد احتج القرآن على بطلان هذا الدعاء بقوله (١٣:٣٥ والذين تدعون من دونه لا يملكون من قطمير * ١٤ إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير *) ومثلها آيات كثيرة . وقوله في نهي المؤمنين ان يكونوا مثل هؤلاء الوثنيين في طلب شيء أعوزهم نيله بسببه من غير الله تعالى (١٨:٨٢ وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا*)

هذا ولما كان أكثر الوثنيين قد فتنوا برجال من صالحيهم حتى اعتقدوا أنهم بعد موتهم ينفعون و يضرون وكانت هذه الفتنة قد سرت الى أهل الكتاب فاتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله وصاروا يبنون عليهم الكنائس أو ينسبونها اليهم و يتوسلون بهم الى الله تعالى و يعتقدون ان الله يقضي حاجاتهم بجاههم أو انه أعطاهم قوة قضائها بأنفسهم نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن بناء المساجد على القبور وعن عمارة القبور نفسها وعن وضع السرج عليها بل ونهى عن زيارتها في أول الاسلام ولما تمكن التوحيد رخص في زيارتها بقصد الاعتبار بالموت وتذكر الآخرة ففعل المسلمون في هذه الأزمنة كل ما نهى عنه ولعن فاعله ومن ذكرهم ونهاهم عن هذه البدع انكروا عليه بأنه هو المبتدع لأنه منكر لزيارة القبور كأن زيارة القبور تحمي كل تلك البدع التي هي شعار الوثنيين مع ان الصحيح في الأصول عند الجمهور ان الأمر بالشيء بعد النهي عنه انما يدل على اباحته لا وجوبه أو ندبه وهب ان الأمر بالزيارة بعد حظرها للندب أو الاستحباب أليس قد عللت بعلة تذكر الآخرة فاذا فعلت لعلة أخرى كدعاء الميت وطلب الاستفادة منه أو به تكون قد خرجت عن دائرة الإذن ودخلت في باب المحظور الذي لم يأذن به الله ؟

ومن عجائب تلاعب الاهواء بالمتبدعين ان كل ما ورد من التشديد في بناء

وقال تعالى في سورة الزمر (٣:٣٩) والذين اتخذوا من دونه أولياء مانعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ان الله يحكم بينهم في ماهم فيه يختلفون ، ان الله لا يهدي من هو كاذب كفار * لو أراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق مايشاء سبحانه هو الله الواحد القهار *) فدلت الآية الثانية على أن من جملة هؤلاء الاولياء المسيح عليه الصلاة والسلام والملائكة أي ان الناس يتقربون بأشخاصهم وذواتهم الى الله تعالى زلفى وهذا باطل اذ لا يتقرب أحد الى الله تعالى بأحد انما يتقرب اليه تعالى بالعمل الصالح واخلاص القلب مع الايمان الصحيح . وأنت تعلم أن كل مايعتقده المبتدعون في أصحاب القبور الصالحين هو من هذا القبيل أي ان التوسل باشخاصهم يقرب من الله تعالى ويكون وسيلة لقضائه سبحانه وتعالى حاجة من يدعوهم ويتقرب بهم. ولذلك قال تعالى في سورة الاسراء (٥٦:١٧ قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا * ٥٧ أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا *) أي ان أولئك الاولياء الذين يدعونهم لكشف الضر عنهم أو تحويله توسلا بهم كالمسيح هم أنفسهم يطلبون الوسيلة الى الله تعالى بعبادته ويرجون رحمته باتباع سنته والعمل بشريعته ويخافون عذابه اذا قصروا ، حتى ان أقربهم من مرضاته هو أخوفهم منه وارجاهم له . ذلك بأن عذاب الله في الدنيا والآخرة مخوف ومحذور في نفسه لأن لله فيه سننا لا تتبدل يوشك ان يخالفها المرء من حيث يدري أو من حيث لا يدري وأن القلوب تتقلب وأنه لا يجب لأحد من خلقه عليه شيء ولذلك قال (١٧:٥ قل فمن يملك من الله شيئا ان أراد ان يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعا ولله ملك السموات والأرض وما بينهما يخلق مايشاء والله على كل شيء قدير *) فبمثل هذه الآية يهدينا سبحانه الى أن ملائكته وأنبياءه وأولياءه ما كانوا ليرجون رحمته الا بفضله عليهم اذ جعلهم محلا لطاعته وإرشاد عباده فلا نغلو في تعظيمهم حتى ننسى كونهم عبيدا له ان شاء أن يهلكهم فعل لئلا نطلب منهم نفعا أو ضرا . ومن ثم قرن الله خشيته بالعلم وجعله من أسبابها كما قال (٢٧:٣٥ انما يخشى الله من عباده العلماء) وفي حديث الصحيحين عن عائشة قالت صنع رسول

كما يطاف بالكعبة والتمسح به التماسا للبركة وللشفاء وتقبيله . فان من نهى صلى الله عليه وسلم عن مثل فعلهم كانوا يفعلون ذلك . وفي مسند أحمد وسنن أبي داود والترمذي والنسائي عن ابن عباس انه قال « لعن الله زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج » وفي اسناده أبو صالح باذام تكلم فيه ويعضده ما تقدم .

واما آثار الصحابة في ذلك فكثيرة . ذكر شيخ الاسلام ابن تيمية في تفسير سورة الاخلاص وغيره أنه ثبت عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كان في سفر فرأى قوماً ينتابون مكانا للصلاة فسأل عن ذلك فقالوا هذا مكان صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إنما هلك من كان قبلكم بهذا إنهم اتخذوا آثار أنبيائهم مساجد، من أدركته الصلاة فليصل والا فليمض : وبلغه ان قوما يذهبون الى الشجرة التي بايع النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه تحتها فأمر بقطعها . وأرسل اليه أبو موسى يذكر له أنه ظهر بتستر قبر دانيال وعنده مصحف (أي كتاب) فيه أخبار ماسيكون وأنهم اذا أجدبوا كشفوا عن القبر فمطروا فأرسل اليه عمر يأمره ان يحفر بالنهار ثلاثة عشر قبرا يدفنه بالليل في واحد منها لئلا يعرفه الناس لئلا يفتتنوا به

(قال شيخ الاسلام) فاتخاذ القبور مساجد مما حرمه الله ورسوله وان لم يبن عليها مسجدا ولكن بناء المساجد عليها أعظم . وكذلك قال العلماء يحرم بناء المساجد على القبور ويجب هدم كل مسجد بني على قبر وإن كان الميت قد قبر في مسجد وقد طال مكثه سوّي القبر حتى لا تظهر صورته فان الشرك انما يظهر اذا ظهرت صورته . واستدل على هذا الاخير بأن المسجد النبوي كان مقبرة فنبشت وسويت . وما ذكره في هدم المسجد المبني على قبر نقل نحوه ابن حجر فى الزواجر وقد نقلنا عبارته في المنار من قبل

وجملة القول أن الله تعالى لم يأذن بأن يدعى غيره لدفع ضرّ أو جلب نفع لا على أنه مستقل بذلك ولا على أنه واسطة بينه وبين عباده في الخلق والتقدير وانما حصر الوساطة بينه و بين عباده بتبليغ دينه وشرعه اليهم على لسان رسله وقد حصر خصوصيتهم بهذا التبليغ في آيات كثيرة و بين أنهم لا يمتازون عن سائر الناس

القبور وتشريفها والبناء عليها ووضع السرج عندها واتخاذها مواسم واعيادا لم يقصد به الا سد باب الاعتقاد بأن صالحي الموتى ينفعون الأحياء ويضرونهم كما ان النهي عن التصوير وعن اتخاذ الصور بصفة تشعر بالتعظيم لم يقصد به الا المنع من تصوير من يعظمون تعظيما دينيا كما هو شأن الوثنيين ومن تبعهم من أهل الكتاب الأمران من باب واحد ولكن علماء المسلمين سكتوا للعوام على ضلالهم في القبور حتى لا تكاد ترى في مثل هذه البلاد مسجدا ليس فيه قبر مبني مشرف يقصد للتوسل به وطلب دفع الضر وجلب الخير منه ولكنهم يشددون في التصوير واتخاذ الصور وان لم تكن فيها شائبة الدين ولا الشبهة على الاعتقاد أو التعظيم . واننا نختم هذا الجواب بشيء مما ورد في القبور

قال صلى الله عليه وسلم : قاتل الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد: يحذر ما فعلوا رواه أحمد والبخاري ومسلم من حديث أبي هريرة . زاد مسلم والنصارى . قالت عائشة ولولا هذا لأبرز قبره فالسبب في حجب قبره صلى الله عليه وسلم عن أعين الناس منعهم من تعظيمه أو التماس المنفعة منه مع أنه هو الذي خاطبه الله تعالى بقوله (١٨٨:٧ قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ان أنا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون) ومثلها آيات . وفي صحيح مسلم انه قال قبل ان يموت بخمس « ان من قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد فاني أنهاكم عن ذلك » وفي الصحيحين أنه ذكر له كنيسة بأرض الحبشة وذكر من حسنها وتصاوير فيها فقال « أولئك اذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور أولئك هم شرار الخلق عند الله يوم القيامة » وفي مسند أحمد وصحيح أبي حاتم عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ان من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء والذين يتخذون القبور مساجد» وفي سنن أبي داود وغيره عنه (ص) انه قال «لا تتخذوا قبري عيدا » وفي موطأ مالك عنه (ص) انه قال « اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » وما عبادة القبر الا تعظيمه وطلب الحوائج ممن دفن فيه ومن التعظيم الذي هو عبادة الطواف به

كل أحد يؤخذ من كلامه و يرد عليه الا صاحب هذا القبر: و يشير الى الروضة الشريفة

وقال الامام الشافعي في كتابه الأم في أثناء كلام « وهـذا يدل على أنه ليس لأحد دون رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقول الا بالاستدلال » وله أقوال في هذا المعنى كثيرة يكفينا منها هذا النص الصريح فيما نحن فيه وأتباعه من أكثر الناس أقوالا في ذلك وكذلك الحنابلة ولذلك كثر المجتهدون ممن تفقه في هذين المذهبين

وأما الامام أحمد فهو أشد الناس براءة من القول بغير دليل وقد سأله أبو داود عن الأوزاعي ومالك أيهما أتبع : فقال لا تقلد دينك أحداً من هؤلاء ماجاء عن النبي وأصحابه فخذه : وقال « لا تقلدني ولا تقلد مالكا ولا الشافعي ولا الأوزاعي ولا الثوري وخذ من حيث أخذوا » أي من الدليل . وما قاله هؤلاء الأئمة المهتدون هو ما أجمع عليه السلف ولكن الغلو في تعظيم الانسان لشيوخه وشيوخهم وثقته بهم من أسباب ترك الدليل الى أقوالهم بل من أسباب اتباعهم في أقوالهم وأفعالهم و كم من رجل جهول قلده الجاهلون لانهم اعتقدوا صلاحه فقالوا ما كان لمثله في تقواه وورعه ان يقول أو يعمل الا ما يعلم انه حق . وهذا قول مردود بلا نزاع فالصالح غير معصوم فقد يخطئ جهلا وقد يخطئ سهوا وعمداً

﴿ حكم من رد كلام العلماء الذي لا دليل عليه ﴾

(ج٨) حكم من رد كلام العلماء لأنه لا دليل عليه انه اتبع الحق واهتدى بالقرآن وسار على طريقة السلف الصالحين والائمة المرضيين كما علمت

﴿ الاعتقاد بولاية شخص معين ﴾

(ج ٩) إن ما يعتقده عوام المسلمين في الولاية والأولياء في هذه الأزمنة لم يكن معروفا في صدر الاسلام بالمرة فلم يكن الصحابة يدعون بعض عبادهم بالاولياء . والولي في اللغة الناصر والصديق ومتولي الأمر وجاء في القرآن ان لله أولياء وللشيطان أولياء وان المؤمنين بعضهم أولياء بعض والكفار والمنافقين بعضهم أولياء بعض . فولي الله من ينصر دينه و يقيم سننه وشريعته وولاية المؤمنين بعضهم لبعض عبارة عن

بشيء وراء الوحي وما يستلزمه من الصفات كالصدق والامانة وأنهم لا يقدرون على نفع أحد ولا ضره بالفعل حتى بالهداية والرشد ومن حكمته أن كان بعض آبائهم وابنائهم وأقاربهم كفارا ليعلم الناس أنه لو كان لهم من الامر شيء لهدوا جميع أقاربهم وأنقذوهم من عذاب الدنيا والآخرة . أفبعد هذا كله يكون لمدعي الاسلام وجه مّا لدعوى أن الاموات الصالحين يملكون كشف الضر أو تحويله عن الناس وجلب المنافع لهم وذلك من الوثنية الصريحة « سبحانك هذا بهتان عظيم * يعظكم الله ان تعودوا لمثله أبدا ان كنتم مؤمنين * ويبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم * »(١)

﴿ أقوال العلماء بغير دليل ﴾

(ج٧) لاحجة في قول أحد بالدين دون قول الشارع ويجب رد كل قول لم يؤيد بدليل للحديث المتفق عليه «من أحدث في أمرنا هذا ماليس منه فهو ردّ» أي مردود وبذلك صرح الأئمة المشهورون قال أبو الليث السمرقندي حدثنا ابراهيم بن يوسف عن أبي حنيفة انه قال «لا يحل لأحد أن يفتي بقولنا مالم يعلم من أين قلنا» وروي عن أصحابه مثل ذلك وفي رواية « مالم يعرف دليلنا» وممن نقل عنهم ذلك الشعراني وولي الله الدهلوي . وفي روضة العلماء من كتبهم : قيل لأبي حنيفة اذا قلت قولا وكتاب الله يخالفه ؟ قال اتركوا قولي لكتاب الله . فقيل اذا كان خبر الرسول صلى الله عليه وسلم يخالفه ؟ قال اتركوا قولي لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : فقيل اذا كان قول الصحابة يخالفه قال اتركوا قولي لقول الصحابة

وروى الحافظ ابن عبد البر بسنده الى معن بن عيسى قال سمعت مالك بن أنس يقول: إنما أنا بشر أخطئ وأصيب فانظروا في رأيي فكل ماوافق الكتاب والسنة فخذوه وكل مالم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه : ورواه غيره أيضا . ومن المشهور عن مالك انه كان يقول عند التحديث في الحرم النبوي الشريف :

(١) لا نلتزم بيان عدد الآيات التي تذكر بطريق الاقتباس لا لبيان معناها في الاصل ولا للاحتجاج بها كهذه الآيات

﴿خلق آدم وعيسى﴾

لم يكتف الشيخ قاسم محمد أبو غدير بما ذكرنا في هذه المسألة التي سأل عنها فكتب الينا في ١٤ المحرم يطلب نشر أسئلته التي كان أرسلها الينا بنصها والجواب عنها بالتفصيل في أول جزء يصدر بعد كتابته هذه «لأهمية الموضوع» واننا لانرى الموضوع بالعين التي رآها به وانما يصح ان يعتنى به هذا الاعتناء اذا ثبت مذهب دارون بطريق القطع الذي لايحتمل الشك والارتياب فعند ذلك يجب علينا نحن المسلمين ان نبذل جهدنا في تأويل الآيات الواردة في خلق آدم بمثل ماتقدمت الاشارة اليه أو بغيره فان لم نقدر انتصر دارون على القرآن وأثبت بطلانه (حاش لله). أما الآن فاننا نعتقد في المسألة مايدل عليه ظاهر الآيات من غير تأويل وأما ماذكره الدكتور محمد توفيق أفندي صدقي من التأويل فهو في باب دفع الشبهات والرد على المعترضين ولا يكلف السائل ولا غيره ان يتخذه عقيدة له لهذا نرى أن لاحاجة الى التطويل الذي يطلبه إذ لا فائدة له فالمسلم لا يترك الظاهر ويلجأ الى التأويل الا اذا عرضت له الشبهة أو أوردت عليه وما كان لنا ان نجتهد في ابطال تأويل يراد به تثبيت عقيدة مشتبه أو رد شبهة معترض فليتدبر. هـذا وإن أسئلته قد جعلت في اللقا من الورق بعد ذلك الجواب المجمل وقد أردنا مراجعتها عند كتابة هذه الكلمات فلم نظفر بها

﴿تتمة أجوبة الاسئلة الجاوية في السماع﴾

(تنبيه) رأى بعض فضلاء المصريين أننا أطلنا في هذه الاسئلة أكثر مما تستحق وذلك انه يندر ان يوجد في مصر من يتحامى السماع ولكن الجمود في كثير من البلاد على تقليد المفسرين لا يلين الا بأكثر من هذا والمنار ليس خاصا بالمصريين

﴿البحث في السماع من جهة القياس الفقهي﴾

يرى القارىء المنصف ان ماقاله الشوكاني (ونشرناه في الجزء الماضي) هو صفوة التحقيق الا أن في إدخاله السماع على الاطلاق باب الشبهات نظرا فان ماثبت في الصحيح من سماع النبي (ص) وأكابر أصحابه يدفعه فانهم أبعد الناس عن الشبهات وقد سمعوا مع تسميتهم ذلك بمزمار الشيطان وباللهو . والذي يظهر من

تناصرهم في إعلاء كلمته وإقامة دينه وشريعته . والله وليّ الذين آمنوا بمعنى أنه هو الذي يتولى أمورهم وليس لهم من دونه ولي ولا نصير . فمن اتخذ وليا يعتقد أنه يتولى بعض أموره في غير ما يتعاون به الناس بعضهم مع بعض فقد اتخذه شريكا كما علمت من آية الزمر التي مرت في جواب السؤال السادس . ومثلها آيات كثيرة

ليس لمؤمن ان يعتقد جزما ان أحداً من الناس بعينه قدمات وهو وليّ لله تعالى مرضي عنده له في دار رضوانه ما وعد به أولياءه ، لأن ذلك تعدٍّ على علم الغيب وقول على الله بغير علم . وقد أجمع العلماء على أن الخاتمة مجهولة وانه لا يقطع لأحد بالموت على الايمان وبكرامة الله له بالجنة إلا بخبر عن الشارع وانما يحسن الظن بجميع المؤمنين ومن عرفنا استقامته على الشرع كان ظننا فيه أحسن ورجاؤنا له بفضل الله أكبر . أخرج البخاري في صحيحه عن أم العلاء — امرأة من الانصار — أنهم . اقتسموا المهاجرين أول ما قدموا عليهم بالقرعة قالت فطار لنا — أي وقع في سهمنا — عثمان بن مظعون من أفضل المهاجرين وأكابرهم ومتعبديهم وممن شهد بدراً فاشتكى فمرضناه حتى اذا توفي وجعلناه في ثيابه دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت رحمة الله عليك أبا السائب فشهادتي عليك لقد أكرمك الله تعالى: فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم «وما يدريك ان الله أكرمه» فقلت لا أدري بأبي أنت وأمي يارسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أما عثمان فقد جاءه اليقين والله إني لأرجو له الخير . ما أدري وانا رسول الله ما يفعل بي» قالت فوالله لا أزكي أحداً بعده أبداً : فهذا الحديث الصحيح يكفي في قطع ألسنة المفتاتين على الله الذين يجزمون بأن فلانا وفلانا ممن يعرف وممن لا يعرف من أولياء الله المكرمين عنـده قطعا وأن لهم فوق ذلك السلطان في عالم الغيب وعالم الشهادة وما أجهلهم بالله وكتابه وبهدي رسوله وسيرة سلف الأمة الذين نقل عنهم في الخوف وعدم الجزم بأمر الآخرة ما فيـه عبرة للجاهلين لو كانوا يوعظون به حتى ان المبشرين بالجنة من الصحابة ما كانوا يأمنون مكر الله وكانوا يقولون ما يدرينا ان النبي صـلى الله عليه وسلم بشرنا بشرط الاستقامة على ما كنا عليه معه وأننا فتنّا من حيث لا ندري

آخر » اه كلام الغزالي وتكلم في مكان آخر عن العوارض

فهذا القول هو أحسن ماقيل في القياس كما أن القول السابق هو أحسن ما قيل في السنة وأجمعه . وأنت تعلم ان التشبه بأهل السكر والخلاعة انما حرم لما فيه من مهانة المؤمن وضعته فاذا سمع المؤمن الأوتار في مجلس لا يعد فيه متشبها بأهل السكر والفسق كأن يسمعه في بيته أو بيت آخر بصفة لا تشبه فيها فلا مجال للقول بالتحريم فالأمر في الأوتار كالأمر في لبس القباء (هو القفطان في عرف المصريين والغنباز في عرف الشاميين) فقد حرمه الغزالي في بلاد وأباحه في أخرى لعلة التشبه وعدمها وما قاله في إباحة سائر الآلات يدخل فيه آلات الموسيقى العسكرية وأمثالها فتبين بهذا انه لا وجه في القياس الصحيح لتحريم سماع المعازف على الإطلاق كما انه لا وجه لها في كتاب ولا سنة بل الوجه ما تقدم . ومن العوارض التي لا بد من التنبيه اليها كون السماع يهيج السامع فيدفعه الى المعاصي فمن علم من نفسه ذلك حرم عليه . هذا ما يليق بدين الفطرة الذي جمع لمتبعيه بين سعادة الدنيا والآخرة والله أعلم وأحكم

﴿ الكلام على عبارات الاسئلة ﴾

أما قول السائل في السؤال الاول إن الغزالي حرم ما هو شعار أهل الشرب الخ فيقال فيه ان ما صرح به الغزالي هو أن الأصل في سماع الغناء والمعازف الحل كما تقدم وتحريم سماع الأوتار لعلة التشبه بالفساق يزول بزوال هذه العلة كما قال في لبس القباء . وما ذكره فيه عن ابن حجر من العلة الأخرى وهي كون اللذة بالسماع تدعو الى الفساد فهو محل نظر اذ السماع كما قال بعض العلماء انما يحرك الساكن ويستخرج الكامن فمن لم يكن من أهل الفساد لا يدعوه الى الفساد وأشد السماع تأثيرا في النفس سماع ألحان النساء وقد سمعها الشارع وكبار أصحابه وقد أطال الغزالي في بيان اختلاف الحكم باختلاف أحوال الاشخاص وان ذلك لا يمنع ان الاصل فيه وفي جميع اللذات الاباحة . والحديث الذي أورده فيه عن كتاب النصائح وهو « اذا فعلت أمتي خمس عشرة خصلة حلّ بها البلاء » وذكر منها اتخاذ القينات والمعازف وفسرها بالملاهي من الاوتار والمزامير لم نذكره في أحاديث

أحاديث الاباحة التي تقدمت أن قول من قال باستحباب السماع أوندبه ينبغي أن يحمل على ما يكون في الاوقات والحالات التي يستحب فيها تحري السرور كالعرس والعيد وقدوم الغائب . وأن السماع فيما عدا هذه الاوقات والحالات مباح لذاته بشرط عدم الاسراف فيه فان الإسراف ضارّ بالأخلاق مسقط للمروءة وهذا هو مراد الامام الشافعي رضي الله عنه بقوله في الام ان الغناء لهو مكروه يشبه الباطل ومن استكثر منه فهو سفيه ترد شهادته وقوله ان صاحب الجارية اذا جمع الناس لسماعها فهو سفيه ترد شهادته : وقد يقال انه يقرب أن يكون ديوثا لأنه اذا لم يغر على جاريته أن تطرب الناس بصوتها فربما كان لا يغار عليها مطلقا

وقولنا مباح لذاته يتفق مع قول الغزالي ومن وافقه بمنع ما كان فيه تشبه بأهل الفسق في شعارهم الخاص بهم قال في الاحياء « ولهذه العلة نقول لو اجتمع جماعة وزينوا مجلسا وأحضروا آلات الشرب وأقداحه وصبوا فيها السكنجبين ونصبوا ساقيا يدور عليهم ويسقيهم فيأخذون من الساقي ويشربون ويحيي بعضهم بعضا بكلماتهم المعتادة بينهم حرم ذلك عليهم وان كان المشروب مباحا في نفسه لأن في هذا تشبها بأهل الفساد بل لهذا ينهى عن لبس القباء وعن ترك الشعر قزعا على الرأس في بلاد صار القباء فيها من لباس أهل الفساد ولا ينهى عن ذلك فيما وراء النهر لاعتياد اهل الصلاح ذلك فيهم . فلهذه المعاني حرم المزمار العراقي والاوتار كلها كالعود والصنج والرباب والبربط وغيرها وما عدا ذلك فليس في معناها كشاهين الرعاة والحجيج وشاهين الطبالين وكالطبل والقضيب وكل آلة يستخرج منها صوت مستطاب موزون سوى ما يعتاده أهل الشرب لأن كل ذلك لا يتعلق بالخمر ولا يذكر بها ولا يشوّق اليها ولا يوجب التشبه بأربابها فلم يكن في معناها فبقي على أصل الإباحة قياسا على أصوات الطيور وغيرها . بل أقول سماع الأوتار ممن يضربها على غير وزن متناسب مستلذ حرام أيضا . وبهذا تبين أنه ليست العلة في تحريمها مجرد اللذة الطيبة بل القياس تحليل الطيبات كلها الا ما في تحليله فساد قال الله تعالى (٣٢:٧ قل من حرّم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق) فهذه الأصوات لا تحرم من حيث هي أصوات موزونة وانما تحرم بعارض

أحمد كان ابن حزم أجمع أهل الاندلس قاطبة لعلوم الاسلام وأوسعهم معرفة مع توسعه في علم اللسان ووفور حظه من البلاغة والشعر ومعرفته بالسنن والآثار . أخبرني ولده الفضل انه اجتمع عنده بخط أبيه أبي محمد من تواليفه أربع مئة مجلد تحتوي على نحو من ثمانين ألف ورقة . قال الحميدي كان أبو محمد حافظا للحديث وفقهه مستنبطا للاحكام من الكتاب والسنة متقنا في علوم جمة عاملا بعلمه مارأينا مثله فيما اجتمع له من الذكاء وسرعة الحفظ وكرم النفس والتدين ، وكان له في الادب والشعر نفس واسع وباع طويل مارأيت من يقول الشعر على البديهة أسرع منه الخ ثم نقل الحافظ ابن حجر عن شيخ الاسلام العز بن عبد السلام امام الشافعية في عصره انه قال مارأيت في كتب الاسلام في العلم مثل المحلى لابن حزم والمغني للشيخ الموفق : ثم قال الحافظ في أواخر ترجمته قلت ابن حزم رجل من العلماء الكبار فيه أدوات الاجتهاد كاملة الخ

واما ابن طاهر فقد ذكره في طبقات الحفاظ أيضاً وبين أصل هذه الكلمة (إباحي) التي قالها فيه ابن حجر الهيتمي الفقيه مع ألفاظ أخرى تعد من السباب لم يقل بمثلها أحد . قال الحافظ في ترجمته : وقد ذكره الدقاق في رسالة فحط عليه وقال كان صوفيا ملامتيا سكن الري ثم همذان له كتاب صفوة التصوف وله أدنى معرفة بالحديث : قلت هو أحفظ منك بكثير ياهذا . ثم قال ذكر عنه الاباحة قلت بل الرجل مسلم معظم للآثار وانما كان يرى اباحة السماع لاالاباحة المطلقة التي هي ضرب من الزندقة اه فهل يسلم مسلم بعد قول الحافظ ابن حجر العسقلاني صاحب القول الفصل والحكم العدل في الرجال ما قاله ابن حجر الفقيه الهيتمي من انه مجازف اباحي كذاب رجس العقيدة نجسها ؟ اللهم ألهم هؤلاء الائمة الذين يسبهم ابن حجر الهيتمي المتعصب لتقليده العفو عنه يوم الدين .

واما حكاية الحافظ ابن طاهر عن الشيخ أبي اسحق الشيرازي إباحته العود فاذا لم تصح عنه فقد صحت عمن هم أعظم منه . قال الزبيدي في شرح الاحياء بعد نقل تحريمه عن المذاهب الأربعة : وذهبت طائفة الى جوازه وحكي سماعه عن عبد الله بن جعفر وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير ومعاوية بن أبي سفيان وعمرو

الخطر لشدة ضعفه ولأجل الكلام عليه هنا فنقول قد رواه الترمذي عن صالح بن عبد الله عن الفرج بن فضالة الشامي عن يحيى بن سعيد عن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب مرفوعا

« اذا فعلت أمتي خمس عشرة خصلة حل بها البلاء » قيل وما هي يارسول الله قال « اذا كان المغنم دولا والامانة مغنما والزكاة مغرما وأطاع الرجل زوجته وعق أمه وبر صديقه وجفا أباه وارتفعت الاصوات في المساجد وكان زعيم القوم ارذلهم وأكرم الرجل مخافة شره وشربت الخمور ولبس الحرير واتخذت القيان والمعازف ولعن آخر هذه الامة أولها فارتقبوا عند ذلك ريحا حمراء وخسفا أومسخا »

والفرج بن فضالة قد تكلم فيه سئل الدارقطني عنه فقال ضعيف فقيل له نكتب عنه حديثه عن يحيى بن سعيد « اذا فعلت أمتي خمس عشرة خصلة » الخ ؟ فقال هذا باطل : فقيل من جهة الفرج قال نعم . وقال أبو داود سمعت أحمد يقول : اذا حدث عن الشاميين فليس به بأس ولكنه عن يحيى بن سعيد عنده مناكير: وقال أبو حاتم لايحل الاحتجاج به وقال مسلم انه منكر الحديث : ثم ان الحديث لايدل على تحريم سماع الأوتار لأن الخصال التي ذكرت فيه منها ماهو فضيلة كبر الصديق ولكن مجموعها سبب للهلاك وان لم يصح الحديث لأنها من السرف في الترف وفساد الاخلاق واضاعة المصالح العامة والخاصة

﴿ ابن حزم وابن طاهر الحافظان ﴾

واما ما ذكر في السؤال الثاني عن ابن حجر الهيتمي من الطعن في ابن حزم وفي ابن طاهر فهو مما اعتاد ابن حجر مثله وهو معدود عليه من غلوه في التعصب لاقوال علماء مذهبه وابن حجر ليس من طبقة ابن حزم الحافظ الامام المجتهد ولا من طبقة ابن طاهر وانما يعرف قدر مثل ابن حزم الحافظ ابن حجر العسقلاني امام المحدثين في زمنه وبعد زمنه . وقد ذكر له ترجمة طويلة في طبقات الحفاظ قال فيها: وكان اليه المنتهى في الذكاء والحفظ وسعة الدائرة في العلوم وكان شافعيا ثم انتقل الى القول بالظاهر ونفي القول بالقياس وتمسك بالعموم والبراءة الاصلية وكان صاحب فنون فيه دين وتورع وتزهد وتحر للصدق — ثم قال — وقال صاعد بن

انهم لا يقتدى بفعلهم في شيء مطلقا وانما يؤخذ بنقلهم ورواياتهم في بيان حكم الله ان كانوا ثقات صادقين . كذلك يقال في الصوفية الذين ذكرهم في السؤال الخامس من عرفت استقامته وتقواه منهم فلا يجوز الطعن في دينه لسماعه العود من غير ان يتشبه بأهل الفسق والفجور فيما هو من شؤون فسقهم بحيث يظن انه منهم فمن فعل هذا فقد جنى على نفسه وأهانها فلا يلومن من أساء الظن به

﴿ خلاصة القول في السماع ﴾

(١) لم يرد نص في الكتاب ولا في السنة في تحريم سماع الغناء أو آلات اللهو يحتج به (٢) ورد في الصحيح ان الشارع وكبار أصحابه سمعوا أصوات الجواري والدفوف بلا نكير (٣) إن الاصل في الاشياء الاباحة (٤) ورد نص القرآن بإحلال الطيبات والزينة وتحريم الخبائث (٥) لم يرد نص عن الأئمة الأربعة في تحريم سماع الآلات (٦) كل ضارّ في الدين أو العقل أو النفس أو المال أو العرض فهو من المحرم ولا محرم غير ضار (٧) من يعلم أو يظن ان السماع يغريه بمحرم حرم عليه (٨) ان الله يحب ان تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه (٩) ان تتبع الرخص والاسراف فيها مذموم شرعا وعقلا (١٠) اذا وصل الاسراف في اللهو المباح الى حد التشبه بالفساق كان مكروها أو محرما

آثار علمية أدبية

﴿ نقد شرح ديوان أبي تمام — تابع لما في الجزء الاول ﴾

(ص١٠٤)   أظن دموعها سنن الفريد   وهي سلكاه من نحر وجيد

(سنن الفريد وجه العقد) يقال امض على سننك أي على وجهك وتنح عن سنن الجبل أي وجهه ولا يقصد الشاعر الى هذا هنا وانما قصد الى تشبيه قطرات الدموع بحبات العقد الفريد التي عبر عنها بالسِنَن وهي جمع سنة كحِبر جمع حبرة . والسنة الحبة من رأس الثوم وهي بيضاء مدملكة ملساء فيحسن تشبيه حبات

بن العاص وحسان بن ثابت رضي الله عنهم وعن عبد الرحمن بن حسان وخارجة بن زيد ونقله الاستاذ أبو منصور عن الزهري وسعيد بن المسيب وعطاء بن أبي رباح والشعبي وعبد الله ابن أبي عبيد وأكثر فقهاء المدينة . وحكاه الخليلي عن عبد العزيز بن الماجشون وقدمنا ذلك عن ابراهيم وابنه سعد وحكاه الاستاذ أبو منصور أيضا عن مالك وكذلك حكاه الفوراني في كتابه العمد . وحكى الروياني عن القفال انه حكي عن مالك انه كان يبيح الغناء على المعازف وحكاه الماوردي في الحاوي عن بعض الشافعية ومال اليه الاستاذ أبو منصور . ونقل الحافظ ابن طاهر عن الشيخ أبي اسحق الشيرازي انه كان مذهبه وانه كان مشهورا عنه وانه لم ينكره عليه أحد من علماء عصره . وابن طاهر عاصر الشيخ واجتمع به وهو ثقة وحكاه عن أهل المدينة وادعى انه لاخلاف فيه بينهم واليه ذهب الظاهرية حكاه ابن حزم وغيره . قال صاحب الامتاع ولم أرمن تعرض لكراهة ولا لغيرها الا ما أطلقه الشافعي في الأم حيث قال : وأكره اللعب بالنرد للخبر اكثر مما أكره اللعب بشيء من الملاهي : فاطلاقه يشمل الملاهي كلها ويندرج فيه العود وغيره وقد تمسك بهذا النص من أتباعه من جعل النرد مكروها غير محرم ، وما حكاه المازري في شرح التلقين عن ابن عبد الحكم انه قال إنه مكروه ، ونقل عن العز بن عبد السلام انه سئل عنه فقال انه مباح وهذا هو الذي يقتضيه سياق المصنف هنا (يعني الغزالي في الإحياء) اه كلام الزبيدي ومنه ومما سبق عن نيل الأوطار يعلم أن النقل عن الصحابة والتابعين وغيرهم من العلماء لم ينفرد به ابن حزم وابن طاهر ولو انفردا لاحتج بنقلهما الإثبات وهما من الأثبات مالا يحتج بنفي ابن حجر الهيتمي وهو ليس من الحفاظ ولم يطعن في أسانيدهما لينظر في طعنه . وسقط بهذه النقول ماجاء في الاسئلة من ذكر الاتفاق على تحريم العود ونحوه وتفسيق من يسمعه

واما سؤاله عن جواز نسبة ذلك الى العلويين الاتقياء فجوابه ان النقل لا يكون بالرأي فان نقل ذلك ثقة صدقناه وحملنا سماعهم على اعتقادهم الحل كما نقل ذلك عمن هم خير منهم وان كان غير ثقة لم نصدقه

واما سؤاله عن بعض علماء الرسوم هل يقتدى بهم اذا سمعوا العود فنقول

الغبار وتكون اضافة النقع الى القسطل الذي معناه الغبار أيضا من قبيل الاضافة البيانية

(ص١٤٨) واذا القسي العوج طارت نبلها	سوم الجراد يشيح حين يطار

(السوم العلامة) السوم هنا مصدر سامت الطير على الشيء سوما حامت وهو مفعول مطلق لطارت من غير لفظه يقول اذا انتثرت النبال واشبه انتثارها حومان رَجل الجراد الذي هيج فجدّ في الطيران. وجواب الشطر البيت بعده

(١٥٠) لولا أحاديث أبقتها أوائلنا	من السدى والندى لم يعرف السمر

(السدى ندى الليل) كما يطلق كل من السدى والندى على مايسقط في الليل يطلق أيضا على المعروف والجود ومنه اسدى اليه أحسن اليه والمراد منهما هنا المعنيان الاخيران قطعا ولا يمكن ان يراد بالسدى ندى الليل.

(ص ١٥٨)	مصفرة محمرة فكأنها	عصب تيمن في الوغى وتمضر

(العصب صبغ ينبت في اليمن) العصب ضرب من برود اليمن ذو وشي ونقوش وقد أراد الشاعر ان الربيع أفرغ على الارض من أزاهيره حللا ملونة تحاكي تلك البرود اليمانية المسماة بالعصب لا لأنها تحاكي الصبغ نفسه

(ص١٥٨) بالثامن المتخلف اتسق الهدى	حتى تحير رشده المتحير

(اتسق سار على طريقة نظام عام) اتسق واستوسق الامر أو الهدى مثلا اجتمع وانتظم واستوى. واتساق القمر اكتماله واستواؤه. وقولهم وسق البعير أي ساقه لا يقتضي جواز مجيء اتسق بمعنى سار مطاوعا له.

(ص ١٦٨)	للمجد مستشرف وللادب المجفوّ ترب وللندى حلس

(الحلس الكبير من الناس): نعم هو من جملة معانيه لكن أريد به هنا معنى آخر أصل الحلس مسح يبسط في البيت وتجلل به الدابة أو يكون تحت رحلها ثم استعير لمن يلازم الشيء ويعود نفسه عليه وفي الحديث كن حلس بيتك أي ملازما له وهم أحلاس خيل أي من أصحابها الآلفين لركوبها وفلان ليس من احلاسها فاستعملت استعمال حلف وترب في مثل قولهم زيد حلف فقر وعمرو ترب ادب. وقرنها بترب يؤيد كون المراد بها ماذكرناه.

(ص١٦٩) قالت وعيُّ النساء كالخرس	وقد يصبنَ الفصوص في الخلس

العقد بها واطلاق اسماعليها . ولا يضر التشبيه خبث رائحة السن لانه لا يلاحظ فيه جميع عوارض المشبه به وهذا طلع النخل تشبه به الثنايا ورائحته رائحته

(ص١٠٤) رآنا مشعري أرق وحزن وبغيته لدى الركب الهجود

(الهجود من هجد اذا أناخ) هجد نام والركب الهجود النائم وهو ما أراده الشاعر فهو يقول ان الطيف تحامى زيارته لكونه حليف ارق وحزن والطيف انما يأوي الى الركب النائم . وقد ينيخ الركب ولا ينام

(ص١٠٩) اخو الحرب العوان اذا أدارت رحاها بالجنود على الجنود

(العوان التي قوتل فيها مرة) صوابه مرتين أي مرة بعد أخرى . وفسر الشارح العوان أيضا في ص١٤٣ كما فسرها به هنا .

(ص١٠٥) بنصر ابن منصور بن بسام آنفري لنا شظف الايام في عيشة رغد

(انفرى انصلح) انفرى هنا بمعنى انكشف وتقلص واضمحل وزال راجع ما قلناه عن هذه الكلمة في قول الشاعر *به انكشف عنا الغيابة الخ

(ص١٣٨) فعلوت هامته فطار فراشها بشهاب موت في اليدين مجرد

(الفراش موقع اللسان في قعر الفم) أراد الشارح ان الفراش مفرد على وزان كتاب وان معناه ما ذكره وليس كذلك فان شاعرنا أراد بقوله ما يريده أهل اللغة في قولهم أطار فراش رأسه وفراش الرأس بفتح الفاء جمع فراشة بفتحها أيضا عظام رقيقة تبلغ القحف ويقال لها فراش الدماغ والفراش أيضا كل رقيق من عظم أو حديد.

(ص١٣٩) نفسوك فالتمسوا مداك فحاولوا جبلا يزل صفيحه بالمصعد

(بالمصعد أي وقت الطلوع) لا معنى لكون وجه الجبل وسطحه يزلق بوقت الطلوع وإنما المعنى ان من أراد بلوغ المنزلة التي بلغها الممدوح كان كمن يحاول الرقي في جبل يزلق سطحه بالمصعد فيه فهو لا يزال في عناء وخيبة. فالمصعد اسم فاعل من أصعد اذا استقبل أرضا أرفع من الاخرى . ونظير قول شاعرنا قول الآخر « كما زلت الصفواء بالمتنزل » أي كما يزل النازل على الصخرة الملساء

(ص١٤٥) حتى التوى من نقع قسطلها على حيطان قسطنطينة إعصار

(النقع رفع الصوت) القسطل ليس له صوت مرتفع وانما المراد بالنقع هنا

(الخلة الشق) الخلة هنا الحاجة والفقر والخصاصة أي قد يتنوق المرء في لباسه ويبالغ في تزيينها ويكون تحتها حاجة وعدم ولا كذلك الممدوح

(ص٢٢٨) ضنك اذا خرست أبطاله نطقت   فيه الصوارم والخطية الذبُل

(الذبل الصلبة) مادة الذبول تفيد معنى الدقة والضمور كقولهم ذبل الفرس ضمر وهزل بل ربما كان من معناها أيضاً اللين والفتور كقولهم ذبل النبات ذوى ولان وتذبل في مشيه تفتر فيه ثم أجروا المادّة على الرماح تجوزاً فقالوا قنا ذابل أي دقيق لاصق بالليط والليط جمع ليطة القشرة التي تكون على القصب وربما كان اللين مرادا أيضاً في ذلك الاستعمال المجازي لأن الرمح اذا لم يكن لينا لدنا تقصف ولم يصلح للطعن فالدقة واللين هما المفهومان من تلك المادة والمقصودان من ذبول الرماح . واذا أريد وصف الرماح بالصلابة قيل كما قال الحماسي

ولنا قناة من ردينة صدقة   زوراء حاملها كذلك أزور

فقوله صدقة أي صلبة مستوية لا خائرة هشة .

﴿ سماع لبعض كبار التابعين من باب الادبيات ﴾

قال شارح الاحياء عند نقل الغزالي السماع عن جماعة من الصحابة والتابعين: وحسبك منهم سعيد بن المسيب وبه يضرب المثل في الورع وهو أفضل التابعين بعد أويس وأحد الفقهاء السبعة وقد سمع الغناء واستلذ سماعه : ثم ذكر عن ابن عبد البر بسنده ان سعيداً مرّ ببعض أزقة مكة فسمع الأخضر يغني في دار العاص بن وائل وهو يقول

تضوّع مسكا بطن نعمان اذ مشت   به زينب في نسوة خفرات

فضرب سعيد برجله الأرض فقال هذا والله مما يلذ استماعه ثم قال سعيد

وليست كأخرى أوسعت جيب درعها   وأبدت بنان الكف في الجمرات

وعلت بنان المسك وصفا مرجلا   على مثل بدر لاح في ظلمات

وفاضت تراءى يوم جمع فأفتنت   برؤيتها من راح من عرفات

وأثبت الحافظ ابن عبد البر أن هذه الابيات لسعيد لا للنميري . أقول وقابل ماعاب سعيد من توسيع جيوب النساء وابداء بنانهن بحال نسائنا اليوم . ويوم

(الفصوص احداق العيون) نعم لكن ليس المراد بها هنا هـذا المعنى : اصل الفص خجر الخاتم وتجوزوا فيه فقالوا انا آتيك بالامر من فصه أي أصله وحقيقته ومخرجه الذي خرج منه وقالوا أيضاً فلان حزاز الفصوص اذا كان مصيباً في رأيه وجوابه . وهذا المعنى هو الذي قصد اليه الشاعر يقول ان النساء على عيهن قد يقعن على الصواب و يصبن الرأي عرضاً ثم استشهد على قوله بما قالته المرأةله . فالفصوص في البيت بالنصب مفعول به

(ص ١٨١) واقاح منور في بطاح هذه في الصباح روض أريض

(البطاح الصحارى) البطاح جمع بطحاء وهي مسيل واسع فيه دقاق الحصى كالأبطح والبطيحة . والبطاح غير الصحارى فان الصحراء الارض المستوية الواسعة وزاد بعضهم لانبات فيها

(ص١٨٣)لا تكن لي ولن تكون كقوم عودهم حين يعجمون رضيض

(يعجمون يعصرون) العجم ان تعض العود بسنك لتعرف صلابته ثم قالوا عجمت عود فلان أي بلوت أمره وخبرت حاله وفلان عوده صليب لا تحيك فيه العواجم أي لا تؤثر فيه الاسنان وقالوا في ضدّه فلان عوده رضيض فالعجم في البيت متجوز فيه عن الامتحان والاختبار .

(ص٢١٤) يؤوب الى شمائل منه ميث قليلات الاماعز والبراق

(الاماعز الغزلان والبراق الحملان من الضأن) فاعل يؤوب يرجع الى السلام الذي أرسله الشاعر الى الممدوح يعني أن سلامه يرجع الي شمائل ممدوحه التي وصفها بقوله ميث اي لينة واصل الميث وصف للارض يقال أرض ميثاء واراض ميث . ولما وصف الشاعر شمائل ممدوحه بصفة الارض الحسنة ناسب ان ينفي عنها صفة الارض الرديئة فقال قليلات الاماعز والبراق الاول جمع أمعز وهي الارض الصلبة الكثيرة الحصى والثاني جمع برقة وهي الارض الغليظة ذات الحجارة والطين والرمل ومعنى القلة هنا العدم كما لا يخفى فهو يقول إن شمائل الممدوح وطباعه لينة وليست بخشنة ولا جافية

(ص ٢١٤) وتخط بزته فربت خلة في درج ثوب اللابس المتنوّق

﴿ رسالتان في قراءة الفونغراف والسكورتاه ﴾

اطلعنا على هاتين الرسالتين اللتين كتبهما وطبعهما في هذه الايام الشيخ محمد بخيت الأزهري المشهور بمصر وقال انه استنبطهما استنباطاً وقد رأينا فيهما الغريب من العلم في الكلام والطبيعة وتقويم البلدان والحديث والفقه . ذكر في الكلام من أمشاج المسائل مالا محل لذكره هنا ووصف الفونغراف وصف من لم يره ولم يعرف شيئا من علم مخترعيه . وقال في أول الرسالة الثانية مانصه : «وقد ورد علينا خطاب من بعض العلماء المقيمين بالاناضول بالروملي الشرقي بولاية سلانيك يتضمن السؤال عما يأتي و يطلب الإجابة عنه فأجبناه لطلبه وقلت وبالله التوفيق » اه و ياليت الاستاذ أطلع أحد أولاده الذين يتعلمون في المدارس على استنباطه قبل الطبع لعله ينبهه الى ان استنباط سائل مقيم في الاناضول وهو عدة ولايات في آسيا — في الروملي الشرقية من ولايات أوربا التي دخلت في إمارة بلغاريا — في ولاية سلانيك من مقدونيا — استنباط يرده كل من يعلم ان إقامة الرجل في ولايات مختلفة في قارتين مختلفتين ضرب من المحال ويتهم الشيخ المستنبط بأنه أراد استنباط حيلة تدل على انه مشهور في البلاد بالعلم مقصود بالاستفتاء فلم ينجح لعدم إلمامه بالجغرافيا التي مابرح يذمها و ينفر عنها حتى انتقمت منه لنفسها وعلمته ان الاجتهاد لا يتم اليوم بدونها

ومن غريب العلم بالحديث والفقه في الرسالة الثانية قول المستنبط ان الإمامة الكبرى يجوز أن يكون فيها الامام كافرا أي يجوز أن يكون خليفة المسلمين الذي يقلد القضاء و يأذن بصلاة الجمعة كافرا واستدل على ذلك بحديث جابر بن عبد الله عند ابن ماجه « ألا لا يؤمنّ امرأة رجلا ولا يؤم أعرابي مهاجرا ولا يؤم فاجر مؤمنا الا أن يقهره سلطان يخاف سيفه أو سوطه »

نقول الرواية هكذا « لا تؤمنّ امرأة رجلاً ولا أعرابي مهاجراً ولا يؤمنّ فاجر مؤمنا الا أن يقهره بسلطان يخاف سيفه أو سوطه » والحديث منكر أو موضوع فان في اسناده عبد الله بن محمد التميمي قال البخاري منكر الحديث وقال ابن حبان لا يجوز الاحتجاج به وقال وكيع يضع الحديث وقد تابعه عبد الملك بن

جمع يوم عرفة ثم ذكر شارح الاحياء عن الحافظ ابن طاهر بسنده أن عبد العزيز بن عبد المطلب قاضي المدينة كان يتغنى بهذه الابيات في مسجد الاحزاب

فما روضة بالحزن طيبة الثرى يمج الندى جثجاثها وعَرارها (١)
بأطيب من أردان عزة موهنا وقد أوقدت بالمندل الرطب نارها (٢)
من الخفرات البيض لم تلق شقرة و بالحسب المكنون صاف نجارها
فان برزت كانت لعينيك قرة وان غبت عنها لم يغمك عارها

فقيل له أصلحك الله أتغني بهذه الابيات في جلالك وشرفك أما والله لأحدثن بها ركبان نجد. قال الراوي فوالله ما اكترث بي وعاد يتغنى بهذه الابيات

فما ظبية أدماء حفافة الحشا تجوب بظلفيها بطون الخمائل (٣)
بأحسن منها اذ تقول تدللا وأدمعها تذرين حشو المكاحل
تمتع بذا اليوم القصير فانه رهين بأيام الشهور الأطاول

قال فندمت على قولي له وقلت أصلحك الله اتحدثني في هذا بشيء؟ فقال نعم حدثني أبي قال دخلت على سالم بن عبد الله بن عمر (رضي الله عنهم) وأشعب يغنيه بهذا الشعر:

مغيرية كالبدر سنة وجهها مطهرة الاثواب والعرض وافر
لها حسب ذاك وعرض مهذب وعن كل مكروه من الامر زاجر
من الخفرات البيض لم تلق ريبة ولم يستملها عن تقى الله شاعر

فقال له سالم زدني فقال:

ألمت بنا والليل داج كأنه جناح غراب عنه قد نفض القطرا
فقلت أعطار ثوى في رحالنا وما احتملت ليلى سوى ريحها عطرا

فقلت سالم أما والله لولا أن تداوله الرواة لاجزلت جائزتك فلك من هذا الامر مكان اه

---

(١) الجثجاث نبت واللفظ ثقيل والعرار بهار أصفر قيل هو النرجس البري
(٢) موهنا وقت وهن الليل وهو حين يدبر اوما بعد نصفه أو بعد ساعة منه (٣) حفافة الحشا لينته والحفاف اللحم اللين تحت اللهاة

القيمة . وكل ما يأتي من ربح المجلة — ان وجد بأريحية محبي الخير — فهو لمساعدة الايتام والفقراء والعجزة في تلك الملاجئ فعسى ان تصادف من الاقبال في حياتها الجديدة ما يبشر أعضاء الجمعية الفضلاء بأن داعية الخير والبر في المسلمين تقوى وتنمو عاما بعد عام بل يوما بعد يوم . ومكاتبات المجلة والجمعية تكون مع صاحب السعادة خليل حمدي باشا حماده رئيس الجمعية في الاسكندرية

(مجلة الشتاء)

صدر الجزء الرابع من هذه المجلة قبل صدور هذا الجزء من المنار وبه تمت سنتها الأولى مؤلفة صفحاتها من ٢٤٠ صفحة . وفي هذا الجزء من المقالات والمباحث الأدبية والمقاطيع الشعرية والنكات الفكاهية ما يكون لقراء المجلة في هجير الصيف الذي تحتجب فيه كبرد الشتاء في مصر — برداوسلاما — يتنعمون به فلا ينسون لذته حتى تسفر عليهم حين تحتجب الشمس في أول الشتاء الآتي، اطال الله خدمة منشئها لفنون الآداب، ولقي ما هو أهله من تعضيد أولي الألباب،

(لفظ الملاحظة وانتقاد المنار تقرير الشيخ شاكر)

ذكرنا في انتقادنا عبارة تقرير مشيخة الاسكندرية ان لفظ «لاحظ» لا يتعدى بعلى وصاحب التقرير يكثر من قول «لاحظ عليه» فهو خطأ: كذا قلنا ففهم بعض الادباء ان انتقادنا هذا خاص بقوله « وقد يلاحظ المطلع على احصائية العام المقبل » لأن هذه العبارة هي التي ذكرت في المنار عند الانتقاد فقال هذا الاديب ان « على » في هذه العبارة متعلق بلفظ المطلع وهو صحيح . وأقول ان عبارة المنار المشار اليها كانت موجهة بالمناسبة الى ما قلنا انه يكثر في كلامه ولكن سقط من الاصل شيء عند الطبع وأصل العبارة هكذا :« ولاحظ مفاعلة من لحظ للمشاركة وهو النظر بمؤخر العين وتستعمل الملاحظة مجازا بمعنى المراعاة ولا يظهر هنا المعنى الحقيقي ولا المجازي . ولاحظ لا يتعدى بعلى» الخ فسقط ما بين لاحظ الاولى والثانية ومنه يعلم ان الانتقاد على تعدية لاحظ بعلى ذكر في السياق ولم يكن هو المقصود بالذات فينبغي تصحيح العبارة وموضعها س٢١ ص٩١٨ م٩

حبيب في الواضحة وهو متهم بسرقة الحديث وتخليط الأسانيد وقال الحافظ ابن عبد البر انه أفسد اسناد هذا الحديث . وفيه أيضاً علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف .

وكما لا يصح الاحتجاج به والاستنباط منه لفساد سنده لا يصح من جهة معناه فانه وارد في امامة الصلاة لا في الامامة الكبرى وهي الخلافة كما زعم المستنبط الجديد فان المرأة والأعرابي المقيم في البادية وراء أنعامه ليسا مظنة لتقلد الامامة الكبرى فينهى عن تقليدهما والمراد بالفاجر العاصي الفاسق لا الكافر ولذلك تكلم السلف في الصلاة وراء الظالمين كالحجاج وغيره ولا محل لبسط ذلك الآن .

وقد سرنا ان الشيخ سمى رأيه استنباطا وقال في أول الرسالة الثانية:

«الحمد لله الذي وفق من شاء من عباده لاستنباط الاحكام من صحيح الأدلة ، ولم يخص ذلك بزمان دون زمان بل جعل ذلك دائما مستمرا باستمرار الأهلة ،»

فقد أثبت أن الاجتهاد جائز في هذا الزمان خلافا لما في كتب مذهبه من القول باقفال بابه، وانقراض أربابه . وظاهر انه لا يعني الاجتهاد في المذهب والاستنباط منه فقد استنبط هو ماعلمت من الحديث ولكنه أخطأ اذ لم يبذل شيئا من جهده في معرفة سنده ولا في فهمه وقد علمت انه منكر أو موضوع وانه لا يدل على ما قال فعسى ان يتروى في مثل ذلك عند محاولة استنباط آخر . ور بما عدنا الى انتقاد الرسالتين

(مجلة جمعية الملاجىء العباسية . ومكارم الاخلاق الاسلامية)

كان لمجلة مكارم الاخلاق الاسلامية عند ابتداء ظهورها رواج عظيم وشهرة أكبر منها حتى كان يطبع منها في السنة الأولى والثانية بضعة آلاف ثم لم يلبث الناس ان انفضوا من حولها وأعرضوا عن قراءتها حتى خفت صوتها وكاد يخفى ذكرها لولا أن بادرت جمعية المكارم في الاسكندرية الى كفالتها ولكن عنايتها بها كانت ضعيفة حتى اتحدت بجمعية الملاجىء العباسية ففي فاتحة هذا العام صدرت المجلة بالاسم الذي رأيت في العنوان مطبوعة طبعا متقنا على ورق جيد وقد تنوعت مباحثها ومسائلها المفيدة بعد ان كان أكثر ما ينشر فيها منقولا من الكتب والجرائد وجعلت هدية للمشتركين في جمعية الملاجىء العباسية وأما قيمة الاشتراك السنوي لغيرهم فثلاثون قرشا في مصر و ١٠ فرنكات في سائر الاقطار . ويقبل من طلاب العلم نصف

ومن غريب جهلنا ان نعد أنفسنا ظافرين كما طلبوا منا تجديد نفوذهم في بلادنا وازالة نفوذ لنا منها فنالوا بعضه كما جرى لنا في مسألتي كريت ومكدونية وكما سيجري في مراكش بعد هذا المؤتمر الذي يجعل لهم حقا رسميا في القبض على ادارة البلاد وأموالها ·

اذا أرجعت المسببات الى أسبابها تبين لك ان الذي حال بين أهل مراكش وبين الانتفاع بما ذكرناه وذكرهم به غيرنا هو الجمود على التقاليد والاتكال على أصحاب القبور فهاتان العلتان هما المانعتان من فهم الحق ومن كل تغيير يدعى اليه المقلد للآباء، المفوض أموره الى من اتخذهم اولياء ،

﴿ مسألة العقبة ﴾

كان أهل الرأي في الدولة وأصحاب النفوذ في المابين يرون منذ شرع في سكة الحجاز الحديدية أن من الضروري احداث ناشط لها ينتهي بفرضة العقبة في البحر الاحمر وقال بعضهم اذا عجزنا عن ايصال السكة الى الحرمين فان ربحنا من السكة لا يكون قليلا اذا استعضنا عن ذلك بايصالها الى العقبة · وقد اجتهد الصدر الاعظم ومختار باشا الغازي وعزت باشا العابد وصادق باشا العظم اجتهادا عظيما في اقناع السلطان بوجوب انشاء هذا الناشط منذ سنين فكان يأبى ذلك ويحتج بأن هذا يكون وسيلة لتداخل الانكليز في بلاد العرب فلما أعياه أمر ثورة اليمن اقتنع بأن اخضاع تلك الولاية وتمكين السلطة فيها من بعض فوائد ناشط العقبة من سكة الحديد فأمر به وأرسلت الجنود العثمانية الى العقبة لتمهيد العمل · فلما رأت انكلترا ذلك خافت من الدولة على مصر أضعاف ما كان يخاف منها السلطان على بلاد العرب · واعتقدت أنه ما دفع السلطان على هذا العمل الا ألمانيا الدائبة في مناهضة انكلترا وأنه لا يبعد ان يتفق السلطان مع عاهل الألمان على الزحف على مصر بعد وصول الناشط الى العقبة فأرادت بناء معاقل عسكرية هناك باسم مصر فكانت الدولة بالمرصاد فمنعت الجنود المصرية من البناء بالتهديد فأنشأت انكلترا تعارض الدولة بأن جنودها احتلت نقطة مما كانت سمحت به لمصر من أرض سيناء واشتدت في ذلك بلسانها وبلسان الحكومة الخديوية التي تنطق بوحيها. على ان انكلترا قد غيرت حدود مصر في شبه جزيرة سيناء في الخرائط الجغرافية التي جددتها للمدارس المصرية منذ بضع سنين ،

باب الأخبار والآراء

﴿مملكة مراكش ومؤتمر الجزيرة﴾

كتبنا في العدد الخامس عشر من سنة المنار الاولى الذي صدر في ٩ صفر سنة ١٣١٦ أي منذ ثمان سنين كاملة انذارا لسلطان مراكش بأن طوفان اوربا لا بد ان يفيض على بلاده فيغمرها اذا هولم يبادر الى اصلاح شأنها بالتربية والتعليم اللذين تقتضيهما حالة العصر لاسيما تعليم الفنون العسكرية والمدنية والاقتصادية ونصحنا له بأن يستعين على ذلك بسلطان الدولة العثمانية . ثم أعدنا النذر والنصائح ولكن القوم في غمرة ساهون ، لا يتوبون ولاهم يذّكرون ، وانما يعتمدون على أهل القبور في دفع الضرّ أو تحويله عنهم . كما علمت من التجائهم الى قبر سيدي ادريس عندما أرادت فرنسا الافتيات عليهم وجؤارهم عنده بكلمة (يالطيف) مئة ألف مرة . وقد كان من أسباب استدراجهم في اعتقادهم ما كان من عاهل الالمان يومئذ وايعازه الى السلطان عبد العزيز بطلب عرض اصلاح مراكش على مؤتمر أوربي فانعقد المؤتمر في الجزيرة من حواضر أسبانيا فاتفق أعضاؤه على وجوب انشاء مصرف (بنك) لتلك المملكة وانشاء شرطة (بوليس) يدير أمرها ضباط أوربيون. أما المصرف فلابتلاع أموال الحكومة وأما الشرطة فلتأمين تجارة أوربا التي يبتلعون بها أموال الاهالي ويتمكنون بها من ادارة البلاد ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون

وقد طال التنازع بين فرنسا وألمانيا في شأن حصص كل دولة في المصرف وفي كون ضباط الشرطة من الفرنسيس والاسبانيين أم من سائر الدول وفي رئيس هؤلاء الضباط ونحو ذلك مما لا غرض لنا في بيان جزئياته لأننا لا نكتب لأجل احصاء وقائع التاريخ ولا لأجل تفكيه القراء ان نكتب الا لأجل بيان طرق العبرة للمسلمين

مهما اختلف القوم وتنازعوا فهم اقرب الى الاتفاق على التوفيق بين مصالحهم المتعارضة منا على مصالحنا المتحدة . وكل ما يتفقون عليه فهو إضعاف لسلطتنا بل تقليص لظلها عن بلادنا ولو بالتدريج الذي هو خير لهم اذ لا يحتاجون فيه الى بذل دمائهم واموالهم .

ارسل عدة رجال مهمين يدعون المعرفة فاجتهد الشيخ ابراهيم الطوبي الكتبي واستحضر جملة من المغاربة والسودانية فلم تحصل فائدة وكذلك حضر الشيخ محمد الرفاعي وقرأ وكتب ولكن ما أفاد وكذلك المغربي الذي في الخرنفش فلم تحصل فائدة حتى يئس حضرة الاستاذ وصمم على بيع المنزل أو هجره حتى يحكم الله واخيراً حضر بعض الاعيان واخبر الاستاذ بانه يوجد رجل ٠٠٠٠ ساح في الارض وفي بلاد الهند والسودان وصاحب علوم واسرار بل هو الولي في هذا الزمان واسم هذا الشخص ٠٠٠ فتقابل معه الشيخ وقص عليه ما وقع فتوجه الى منزل الشيخ وطلب سجادة وكان موجوداً وقت ذلك ٣٠٠ نفر وفرشها وسط المنزل وطلب طشت نحاس وكتب عليه وقرأ وقال احضر يا من هو موكل بالاذى وبعد ساعة رفعت الناس الطشت فخرج من تحته طيرة تشبه النسر سوداء وصوتت بصوت رفيع وتكلم معها واشار اليها فطارت والناس تنظر اليها وكل ذلك العمل كان بعد العصر ولما جاء الليل احضر جماعة من الجن وكل من حضر سمع كلامهم بالحرف الواحد واخبراهم ٠٠٠ بصرف الاذى عن المنزل فانصرف وكانت فقدت أشياء من المنزل ذات قيمة فردتها الجن كما كانت واخيراً سئل ٠٠٠ عن هذا الاذى فقال معناه ان هذا الامر يجب عليّ أن أضع له سور من حديد على انه لا يمكنني ان اطلع احداً عليه مهما كان ميله اليّ وقربه من فؤادي»

اه المراد منه وليس بعد ما ذكرنا الا الغلوّ في شهرة صاحب الاسم المراد اشهاره بالكذب لمخادعة النساء والعوام بدعوى ان بيته مكتظ بالأمراء والافرنج ٠٠٠

قد ادعى هذا الدجال عدة دعاوي باطلة يعلم بها انه يتعمد الكذب . (أولاها) أن الاستاذ الإمام اتخذ لنفسه أدحية في الأزهر كان يقرأ فيها دروسه يعني مكانا صغيرا كأخوص القطاة والناس يعلمون انه كان يقرأ في أعظم رواق في الازهر (ثانيها) انه أنكر وجود الجن في دروسه جهرا . وهذا كذب و بهتان بل اعترف في دروسه وكتبه بوجود الجن كما يعلم من حضر دروسه معنا ومن قرأ تفسير جزء عم من تآليفه أو تفسير المنار الذي نقتبس فيه دروسه التي كان يلقيها في الازهر (ثالثها) ان العلماء حاجوه في ذلك (رابعها) ان المؤيد واللواء والظاهر خاضت معه في هذا الموضوع وكل ذلك كذب مبني على كذب (خامسها) ان أكثر الناس وافقوه على إنكار

البدع والخرافات والتقاليد والعادات

﴿ سلطان الشياطين على عالم أزهري · ومخادعة دجال غوي ﴾

نشر في مصر (إعلان) مطبوع عنوانه « أشهر الحوادث وأعظم الرجال — حادثة في الأزهر» يريد ناشره ان يشهر به نفسه بالولاية والقدرة على اخراج الشياطين من الاجسام والبيوت ورأى ان إعلانه لا يقرأ الا اذا افتتحه بذكر الاستاذ الامام رضي الله عنه ولو بالكذب عليه لعلمه بأن الامة تقرأ كل ما يكتب عنه. ومن العجائب أن بعض الجرائد نشرت هذا الإعلان الضار وأقرته وانا ننشره وننكره وهو باختصار

«لا ريب ان الجامعة المصرية قد حضرت دروس حكيم الشرق وفيلسوف الاسلام الشيخ محمد عبده اذ كان يتخذ ادحية في الازهر ويقرأ فيها جهاراً والناس من حوله من ترك وعرب وعجم فضلا عما يخالط ذلك من دان وشاسع وكان اذ ذاك يصيح باعلى صوته بان لا وجود للجن وكثيراً ما جاهر بهذا الانكار على رؤوس الاشهاد والعلماء يحاجونه بالكتب المنزلة فما استطاعوا رده رداً وكان ينسب ذلك الى الخيال والتصورات والاوهام وضرب لذلك جملة امثال ولكن لكل شرب وله شرب معلوم وكثيرما كان صاحب المؤيد واللواء والظاهر خاضوا معه في هذا الموضوع وأكثر الناس وافقه على هذا الأمر على انه يوجد أكبر شاهد على وجود الجن وهو من خيرة العلماء الافاضل وعضو في ادارة الازهر ومن رجال الدشريفة وامين الكتبخانه وهو الشيخ محمد حسنين وتحرير الخبر ان هذا الشيخ اشترى من منذ سنتين منزل بأم الغلام بجوار سيدنا الحسين فاعجبه ولكن رأى فيه في هذه الايام رجم أحجار فظن انه من الجيران فصنع صورمن خشب على السطوح فزاد الحال وعظم حتى ظهرت الجن في شكل قردة وخنازير وكلاب وقطط وصاروا ينقلون الكتب والملابس والفرش والمفاتيح من جيبه ويلقونها في الشارع على ان هذا الشيخ ترك أشغاله واشتغل بهذا الحادث حتى كان لا ينام من الليل دقيقة فشاع الخبر وذاع في مصر وضواحيها وأرسلت اليه جميع الاخوان جوابات بفوائد ووصفات وكثيرمن أعاظم مصر

الجزء [illegible] المجلد [illegible]

[illegible]

تفسير القرآن الحكيم

﴿ عنوانها (مصر — ادارة المنار) والمراسلات [illegible] ﴾

(يجب أن يكون [illegible] الاشتراك [illegible])

﴿ فهرس الجزء السابع من المجلد [illegible] ﴾

الجن وهذا طعن بأكثر المسلمين وقذف لهم بالكفر والردة . وقد بلغنا عن الشيخ محمد حسنين أنه يقول ان الحكاية أصلا ولكن ما نشر في الاعلان كله كذب وبهتان

صرح الاستاذ الامام في تفسير سورة الناس بأن الجن خلق خفي وقد قال الله تعالى في أبيهم إبليس (إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم) وما ورد من رؤية النبي صلى الله عليه وسلم للجن كما في حديث ابن مسعود في استماعهم القرآن قالوا إنه لا يعارض الآية لانه من الخوارق وهي تأتي على خلاف سنة الله تعالى فهي من قبيل ما يسميه الحكام بالاستثناء . وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه صلى الله عليه وسلم لم ير الجن عند ما استمعوا القرآن لأنه تعالى يقول له في أول سورة الجن (قل أوحي الي انه استمع نفر من الجن) فقد علم ذلك بالوحي لا بالرؤية . ولكن ما اختلف فيه عالمان من أعلم الصحابة — ابن مسعود وابن عباس — هل كان معجزة للنبي (ص) أم لا قد صار عند أولياء الشيطان من الأمور المعتادة بزعمهم فهم يرون الجن ويتصرفون فيهم كما شاؤا متى شاؤا ، وما كانوا الا خادعين وما كان الاستاذ الامام الا منكرا دجلهم تأييدا للقرآن ونصحا للعوام

استدل الجاهل ناشر «الاعلان» على وجود الجن بحكاية الشيخ محمد حسنين وما هذه الحكاية الا كأمثالها من الحكايات التي لا تحصى عند أهل الخرافات وعبدة الأوهام فكم من بيت كادله شياطين الإنس من أهله أو من غير أهله فعبثوا فيه وعاثوا في حنادس الظلمات أو من وراء الحجب والاستار فتوهم السخفاء ان عيثهم من عمل الجن و بلغوا من الكيد لمن أرادوا ما أرادوا

وقد انكشف لبعض أصحاب الذكاء والدهاء كثيرا من هذه الحيل الشيطانية فعلم ان منها ما كان من الجيران لسبب غرامي أو لسبب مالي وهو الطمع في شراء البيت رخيصا اذا خاف الناس من عفاريته ومنها ما كان من بعض نساء الدار وخوادمها ابتغاء تركها وسكنى غيرها أو احتيالا على الرجل الشرود ليأوي اليها . وقد كان من علماء الازهر من يحكى عنهم إخضاع الجن أو جعلهم تلاميذ لهم فهل صار للعفاريت والشياطين من السلطان على علماء الازهر أن يسلبوا راحتهم في بيوتهم في زمن قل فيه ظهور العفاريت لتحوت العوام، اذ قلت الخرافات والاوهام؟

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب



يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا اولو الالباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق

(مصر رجب سنة ١٣٢٥ — آخره الاحد ٨ سبتمبر (ايلول) سنة ١٩٠٧)

باب تفسير القرآن الحكيم

(مقتبس فيه الدروس التي كان يلقيها في الازهر الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه)

(٩٣ : ٨٧) كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاً لِبَنِي إِسْرَٰءِيلَ إِلاَّ مَا حَرَّمَ إِسْرَٰءِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَٰنةُ ، قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَٰنةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَٰدِقِينَ (٩٤ : ٨٨) فَمَنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّٰلِمُونَ (٩٥ : ٨٩) قُلْ صَدَقَ اللهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٩٦ : ٩٠) إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَٰرَكاً وَهُدًى لِلْعَٰلَمِينَ (٩٧ : ٩١) فِيهِ آيَٰتٌ بَيِّنَٰتٌ — مَقَامُ إِبْرَٰهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِناً ، وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ، وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَٰلَمِينَ *

فاتلوها ان كنتم صادقين ﴾ في قولكم لا تخافون ان تكذبكم نصوصها . أقول كأنه يقول أما انكم ان جئتم بما عندكم منها لما كان الاموُيدا للقرآن فيما جاء به من أنها هي حرمت عليكم ماحرمت وعللت جملة التكاليف بأنكم شعب غليظ الرقبة متمرد يقاوم الرب كما قال موسى عند أخذ العهد عليه بحفظ الشريعة (اقرأ الفصل ٣١ من سفر التثنية) وفي غير ذلك من فصول التوراة

قال الاستاذ الامام أما قول الجلال) وغيره ان يعقوب كان به عرق النسا — بالفتح والقصر — فنذر ان شفي لا يأكل لحم الابل فهو دسيسة من اليهود . وقيل انه نذر ان لا يأكل هذا العرق وفي التوراة أن يعقوب التقى ببعض أسفاره بالرب في الطريق فتصارعا الى الصباح وكاد يعقوب يغلبه ولكن اعتراه عرق النسا الخ ماحرفوه . أقول وتتمة العبارة كما في سفر التكوين « ٣٢ : ٢٥ ولما رأى انه لا يقدر عليه ضرب حق فخذه فانخلع حق فخذ يعقوب في مصارعته معه ٢٦ وقال أطلقني لأنه قد طلع الفجر فقال لا أطلقك ان لم تباركني ٢٧ فقال له ما اسمك فقال يعقوب ٢٨ فقال لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل اسرائيل لانك جاهدت مع الله والناس وقدرت ٢٩ وسأل يعقوبُ وقال أخبرني باسمك فقال لماذا تسأل عن اسمي وباركه هناك ٣٠ فدعا يعقوب اسم المكان فنيئيل (قائلا) لأني نظرت الله وجها لوجه ونجيت نفسي ١- وأشرقت له الشمس اذعبر فنوئيل وهو يخمع على فخذه ٣٢ لذلك لا يأكل بنو اسرائيل عرق النسا الذي على حق الفخذ الى هذا اليوم لأنه ضرب حق فخذ يعقوب على عرق النسا » اه وليس فيه أنه نذر شيئًا ولا حرم شيئًا وقيل ان ماحرمه يعقوب هو زائدتا الكبد والكليتين والشحم الا ما كان على الظهر وقال مجاهد حرم لحوم الانعام كلها . وكل ذلك من الاسرائيليات وصحة السند في بعضها عن ابن عباس أو غيره كما زعم الحاكم لا يمنع أن يكون مصدرها اسرائيلي والصواب ما قاله الاستاذ الامام لأنه هو الذي تقوم به الحجة لا سيما عند المطلع على التوراة . ولو أريد باسرائيل يعقوب نفسه لما كان هناك حاجة الى قوله « من قبل أن تنزل التوراة » لأن زمن يعقوب سابق على زمن نزول التوراة سبقا لا يشتبه فيه فيحترس عنه . والمتبادر عندي أن المراد بماحرمه

كان الكلام من أول السورة الى هنا في اثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم مع اثبات التوحيد واستتبع ذلك محاجة أهل الكتاب في ذلك وفي بعض بدعهم وما استحدثوا في دينهم . أما هذه الآيات ففي دفع شبهتين عظيمتين من شبهات اليهود على الاسلام قررهما الاستاذ الامام هكذا

قالوا اذا كنت يا محمد على ملة ابراهيم والنبيين من بعده كما تدعي فكيف تستحل ما كان محرما عليه وعليهم كلحم الابل؟ أما وقد استبحت ما كان محرما عليهم فلا ينبغي لك أن تدعي انك مصدق لهم وموافق في الدين ولا تخص ابراهيم بالذكر وتقول إنك أولى الناس به . هذه هي الشبهة الأولى . وأما الثانية فهي أنهم قالوا ان الله وعد ابراهيم بأن تكون البركة في نسل ولده إسحاق، وجميع الانبياء من ذرية اسحاق كانوا يعظمون بيت المقدس ويصلون اليه فلو كنت على ما كانوا عليه لعظمت ما عظموا ولما تحولت عن بيت المقدس وعظمت مكانا آخر اتخذته مصلى وقبلة وهو الكعبة فخالفت الجميع

فقوله تعالى ﴿ كل الطعام كان حلا لبني إسرائيل الا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة ﴾ هو جواب عن الشبهة الأولى قال الاستاذ الامام ولكن الجلال وكثيراً من المفسرين يقررون الشبهة ولا يبينون وجه دفعها بيانا متقناً اذ يعترفون بأن بعض الطيبات كانت محرمة على إسرائيل والصواب ما قصه الله تعالى علينا في هذه الآية وغيرها من الآيات التي توضحها وهي أن كل الطعام كان حلالا لبني إسرائيل ولابراهيم من قبل بالاولى ثم حرم الله عليهم بعض الطيبات في التوراة عقوبة لهم وتأديبا كما قال (٤ : ١٦٠ فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم) الآية فالمراد باسرائيل شعب اسرائيل كما هو مستعمل عندهم لا يعقوب نفسه ومعنى تحريم الشعب ذلك على نفسه انه ارتكب الظلم واجترح السيئات التي كانت سبب التحريم كما صرحت الآية فكأنه يقول اذا كان الاصل في الاطعمة الحل وكان تحريم ما حرم على اسرائيل تأديبا على جرائم أصابوها وكان النبي وأمته لم يجترحوا تلك السيئات ، فلم تحرم عليهم الطيبات ، ؟ ثم قال تعالى مبينا تقرير الدفع وسنده ﴿ قل فأتوا بالتوراة

أن أعرف صدقكم من كذبكم فيما تحدثون به عن أنبيائكم . واذ كان الأمر كذلك ﴿ فاتبعوا ملة ابراهيم ﴾ التي أدعوكم اليها حال كونه ﴿ حنيفا ﴾ لاغلو فيما كان عليه ولا تقصير ولا افراط ولا تفريط بل هو الفطرة القويمة والحنيفية السمحة المبنية على الاخلاص لله واسلام الوجه له وحده ﴿ وما كان من المشركين ﴾ الذين يبتغون الخير من غيره تعالى أو يخافون الضر من غير أسبابه التي مضت بها سنته

أما قوله عز وجل ﴿ ان أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين ﴾ فهو جواب الشبهة الثانية . وتقريره ان البيت الحرام الذي نستقبله في صلاتنا هو أول بيت وضع معبدا للناس بناه ابراهيم وولده اسماعيل عليهما السلام لأجل العبادة خاصة ثم بنى المسجد الاقصى ببيت المقدس بعده بعدة قرون بناه سليمان بن داود عليهما السلام فصح أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم على ملة ابراهيم و يتوجه بعبادته الى حيث كان يتوجه ابراهيم وولده اسماعيل . وهذا هو المعنى الظاهر المتبادر من الآية الذى قرره الاستاذ الامام وهو كاف في ابطال شبهة اليهود على النبي عليه الصلاة والسلام من غير حاجة الى البحث في هذه الأولية هل هي أولية الشرف أم أولية الزمان . أقول والمتبادر انها أولية الزمان بالنسبة الى بيوت العبادة الصحيحة التي بناها الانبياء فليس في الارض موضع بناه الانبياء أقدم منه فيما يعرف من تاريخهم ومايؤثر عنهم . وهذا يستلزم الاولية في الشرف

وذهب بعض المفسرين الى أن الأولية زمانية بالنسبة الى وضع البيوت مطلقا فقالوا ان الملائكة بنته قبل خلق آدم وان بيت المقدس بنى بعده بأربعين عاما . قال الاستاذ الامام رحمه الله تعالى اذا صح الحديث فلا شيء في العقل يحيله ولكن الآية لاتدل عليه ولا يتوقف الاحتجاج بها على ثبوته و بيت المقدس المعروف الذي ينصرف اليه الاطلاق قد بناه سليمان بالاتفاق وذلك قبل ميلاد المسيح بنحو ٨٠٠ سنة : كذا قال رحمه الله تعالى في الدرس والمعروف في كتب القوم انه تم بناؤه سنة ١٠٠٥ قبل الميلاد . والحديث الذي ذكرآنفا في بناء المسجدين رواه الشيخان من حديث أبي ذر بلفظ الوضع لاالبناء قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أول بيت وضع للناس فقال « المسجد الحرام ثم بيت

اسرائيل على نفسه ما امتنعوا عن أكله وحرموه على أنفسهم بحكم العادة والتقليد لا بحكم من الله كما يعهد في جميع الامم ومنه تحريم العرب البحائر والسوائب وغير ذلك مما حكاه القرآن عنهم في سورتي المائدة والانعام وقيل ان شبهتهم التي دفعتها الآية هي انكار النسخ فألزمهم بأن التوراة نفسها نسخت بعض ما كان عليه ابراهيم واسرائيل وهو إلزام لا يمكنهم التفصي منه لانه ثابت عندهم في التوراة وهو يدل على نبوة النبي على كل حال اذ أخبرهم بما عندهم ولم يطلع عليه . وبهذا يسقط بحثهم في كون التحليل والتحريم لا يكونان الا من الله

ومن مباحث اللفظ في الآية أن الطعام ما يطعم أن يتناول لأجل الغذاء كما قال الراغب وقد يقال أيضا طعم الماء (بكسر العين) وكان يطلق غالبا على الخبز ومنه قولهم : أكل الطعام مأدوما : وعلى البر ومنه حديث أبي سعيد : كنا نخرج زكاة الفطر صاعا من طعام أوصاعا من شعير : الخ متفق عليه . ومن اطلاقه على غيره حتما قوله تعالى (٥ : ٩٦ أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم وللسيارة) وعلى الذبائح أو العموم قوله (٥:٥ وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم) الآية . بالكسر مصدر حل الشيء ضد حرم وهو مستعار من حل العقدة كما قال الراغب . واسرائيل لقب نبي الله يعقوب عليه السلام ومعناه « الامير المجاهد مع الله » وقد علمت ما عندهم في سبب اطلاقه عليه من عبارة سفر التكوين التي ذكرناها آنفا . ثم أطلق على جميع ذريته كما هو شائع في كتب القوم من الأسفار المنسوبة الى موسى فما دونها

﴿ فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك ﴾ البيان وإلزام الكاذبين على ابراهيم والأنبياء بالتوراة ودعوتهم الى الاتيان بها وتلاوتها على الملأ وامتناعهم عن ذلك لئلا يظهر ان الله لم يحرم عليهم شيئا من الطعام قبل التوراة . والاصل في الاشياء الحل حتى يرد النص بالتحريم ﴿ فأولئك هم الظالمون ﴾ بنحو بلهم الحق في المسألة عن وجهه ووضع حكم الله بتحريم بعض الطيبات عليهم في غير موضعه

﴿ قل صدق الله ﴾ فيما أنبأني به من عدم تحريم شيء على اسرائيل قبل التوراة وقامت الحجة عليكم بذلك فثبت أنني مبلغ عنه اذ ما كان لي لولا وحيه

وقيل بكة اسم المسجد نفسه أو حيث الطواف من التباك أي الازدحام وقيل هو اسم بطن مكة حيث الحرم

﴿ فيه آيات بينات مقام ابراهيم ﴾ أي فيه دلائل أو علامات ظاهرة لا تخفى على أحد أحدها أو منها مقام ابراهيم أي موضع قيامه فيه للصلاة والعبادة تعرف ذلك العرب بالنقل المتواتر . فأي دليل أبين من هذا على كون هذا البيت أول بيت من بيوت العبادة الصحيحة المعروفة في ذلك العهد وضع ليعبد الناس فيه ربهم — وابراهيم أبو الانبياء الذين بقي في الارض أثرهم بجعل النبوة والملك فيهم لا يعرف لنبي قبله أثر ولا يحفظ له نسب

وقوله ﴿ ومن دخله كان آمنا ﴾ آية ثانية بينة لا يمتري فيها أحد وهي اتفاق قبائل العرب كلها على احترام هذا البيت وتعظيمه لنسبته الى الله حتى ان من دخله يأمن على نفسه لا من الاعتداء عليه وايذائه فقط بل يأمن أن يثأر منه من سفك هو دماءهم واستباح حرماتهم مادام فيه . مضى على هذا عمل الجاهلية على اختلافها في المنازع والأهواء والمعبودات وكثرة ما بينها من الأحقاد والأضغان وأقره الاسلام .

ويرد على إقرار الاسلام لحرمة البيت فتح مكة بالسيف وأجيب عنه بأنها حلت للنبي صلى الله عليه وسلم ساعة من نهار لم تحل لأحد قبله ولن تحل لأحد بعده كما ورد في الحديث وذلك لضرورة تطهير البيت من الشرك وتخصيصه لما وضع له وأقول إن حرمة مكة كلها وما يتبعها من ضواحيها وحلها للنبي (ص) ساعة من نهار أمر زائد على ما نحن فيه وهو أمن من دخل البيت والنبي لم يستحل البيت ساعة ولا بعض ساعة وإنما كان مناديه ينادي بأمره : من دخل داره وأغلق بابه فهو آمن ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن : ولما أخبر أبو سفيان النبي صلى الله عليه وسلم بقول سعد بن عبادة حامل لواء الأنصار له في الطريق: اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الكعبة : قال صلى الله عليه وسلم « كذب سعد ولكن هذا يوم يعظم الله فيه الكعبة ويوم تكسى فيه الكعبة » (راجع السير)

وأما فعل الحجاج أخزاه الله فقد قال الاستاذ الامام انه كان من الشذوذ الذي لا ينافي الاتفاق على احترام البيت وتعظيمه وتأمين من دخله : وهذا الجبروا

المقدس » فقيل كم بينهما فقال « أربعون سنة » وأجابوا عما فيه من الاشكال بوجوه منها أن الوضع غير البناء وهو ضعيف لأنه سماه بيتا ولو جعل المكان مسجدا ولم يبن فيه لما سمي بيتا بل مسجدا أوقبلة ومنها أن ذلك مبني على القول بأن ابراهيم هو الذي بنى أول مسجد للعبادة في أرض بيت المقدس وذلك معقول وان لم يكن عندنا فيه نص صحيح وقال ابن القيم ان الذي أسس بيت المقدس يعقوب وانما كان سليمان مجددا له. هذا وان أخبار التاريخ ليست مما يبلغ على أنه دين يتبع والموضوعات المروية في بناء الكعبة كثيرة ولا حاجة الى اضاعة الوقت في ذكرها وبيان وضعها

أما قوله تعالى في البيت ﴿ مباركا وهدى للعالمين ﴾ فهو بيان لحاله الحسنة الحسية وحاله الشريفة المعنوية. أما الأولى فهي ما أفيض عليه من بركات الارض وثمرات كل شيء على كونه بواد غير ذي زرع فترى الاقوات والثمار في مكة أكثر وأجود وأقل ثمنا منها في مثل مصر وكثير من بلاد الشام. وأما الثانية فهي هوي أفئدة الناس اليه واتيانه للحج والعمرة مشاة وركبانا من كل فج وتولية وجوههم شطره في الصلاة ولعله لا تمر ساعة ولا دقيقة من ليل أو نهار وليس فيها أناس متوجهون الى ذلك البيت الحرام يصلون فأي هداية للعالمين أظهر من هذه الهداية. تلك دعوة ابراهيم (١٤ : ٣٧ ربنا اني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم، ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون) وقد أشير الى الوصفين في قوله تعالى حكاية عن المشركين (٢٨ : ٥٧ وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا : أولم نمكن لهم حرما أمنا تجبى اليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنا ولكن أكثرهم لا يعلمون) وقال بعضهم ان « مباركا » يشمل البركات الحسية والمعنوية وما اخترناه هو المتبادر

ومن مباحث اللفظ في الآية ان (بكة) اسم لمكة كما روي عن مجاهد قيل وعليه الاكثرون وجعلوه من ابدال الميم باء وهو كثير في كلامهم كسمد رأسه وسبده، وضربة لازم وضربة لازب، وراتم وراتب، ونميط ونبيط،

أما قوله تعالى ﴿ ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ﴾ فهو بيان آية ثالثة من آيات هذا البيت جاءت بصيغة الايجاب والفرضية في معرض ذكر مزاياه ودلائل كونه أول بيوت العبادة المعروفة للمعترضين من اليهود على استقباله فهو يفيد بمقتضى السياق معنى خبريا وبمقتضى الصيغة معنى انشائيا وهو وجوب الحج على المستطيع من هذه الأمة . اشار الى ذلك الاستاذ الامام بقوله : هذه الجملة وان جاءت بصيغة الايجاب هي واردة في معرض تعظيم البيت وأي تعظيم أكبر من افتراض حج الناس اليه وما زالوا يحجونه من عهد ابراهيم الى عهد محمد صلى الله عليهما وعلى آلهما وسلم ولم يمنع العرب عن ذلك شركها وانما كانوا يحجون عملا بسنة ابراهيم : يعني أن الحج عمل عام جروا عليه جيلا بعد جيل على انه من دين ابراهيم وهذه آية متواترة على نسبة هذا البيت الى ابراهيم فهي أصح من نقول المؤرخين التي تحتمل الصدق والكذب . وبهذا وبما سبقه بطل اعتراض أهل الكتاب وثبت أن النبي على ملة ابراهيم دونهم

أما الحج فمعناه في أصل اللغة القصد وهو بكسر الحاء وبه قرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم وفتحها وبه قرأ الباقون وقيل الفتح لغة الحجاز والكسر لغة نجد . وقد تقدم تفصيل أعماله في تفسير آيات سورة البقرة . وأما استطاعة السبيل فهي عبارة عن القدرة على الوصول اليه وهي تختلف باختلاف الناس في أنفسهم وفي بعدهم عن البيت وقربهم منه وكل مكلف أعلم بنفسه وان كان عاميا من غيره وان كان عالما نحريرا وما زاد الناس اختلاف العلماء في تفسير الاستطاعة الا بعدا عن حقيقتها الواضحة من الآية أتم الوضوح . اذ قال بعضهم ان الاستطاعة صحة البدن والقدرة على المشي وقال بعضهم انها القدرة على الزاد والراحلة واشترطوا فيها أمن الطريق ولم يشترطوا الأمن في أرض الحرم لأنها كانت آمنة قطعا وأما في هذا الزمان فما كل أحد يأمن فيها لا سيما اذا كان متهما بالاشتغال بالسياسة وكيف وقد ألقي بعض علمائها في ظلمة السجن مكبلا بالسلاسل والاغلال ولا ذنب له الا انه ألف كتابا أيد فيه التوحيد وبين فساد ما طرأ على

مبني على أن أمن من دخل البيت ليس معناه أن البشر يعجزون عن الايقاع به عجزا طبيعيا على سبيل خرق العادة وإنما معناه انه تعالى ألهمهم احترامه لاعتقادهم نسبته اليه عز وجل وحرم الإلحاد والاعتداء فيه ولم يكن الحجاج وجنده يعتقدون حل ما فعلوا من رمي الكعبة بالمنجنيق ولكنها السياسة تحمل صاحبها على مخالفة الاعتقاد ، وتوقعه في الظلم والالحاد ، وان ما يفعل الآن في الحرم من الظلم والالحاد المستمر لم يسبق له نظير في جاهلية ولا اسلام . ولا ضرورة ملجئة اليه وانما هي السياسة السوءى قضت بتنفير الناس من أمراء مكة وشرفائها وابعاد عقلاء المسلمين عنها حتى لا يكون للمسلمين فيها قوة في الدين ولا في العلم والرأي !! وماذا يكون من ضرر هذه القوة ؟ يوسوس لهم شيطان السياسة : ان عمران الحجاز وثقة الناس بامرائه وشرفائه وأمن العقلاء والسروات فيه ربما يكون سبباً في انشاء خلافة عربية فيه . ان كثيرًا من أمراء المسلمين ونابغيهم يعلمون أن دون أدائهم لفريضة الحج عقبات سياسية لا يسهل اقتحامها وقد جاء في صحف الاخبار ان أمير مصر استأذن السلطان في حج والدته وبعض أمراء أسرته فلم يأذن . وقد كان الاستاذ الامام يعتقد اعتقادا جازما فيه أنه اذا حج يلقي بيديه الى التهلكة وأنه لا أمان له في الحرم الذي كان يرى الجاهلي فيه قاتل أبيه فلا يعرض له بسوء وان كاتب هذه السطور يعتقد مثل هذا الاعتقاد . فنسأل الله تعالى أن يحقق لنا ثانية مضمون قوله « ومن دخله كان آمنا » لنمتثل ما فرضه علينا من حج هذا البيت كما يأتي في تتمة الآية فلا ملجأ الى تأويل الأمان بمثل ما أوله به من قال ان المراد به الأمن من العذاب يوم القيامة وقد رد الاستاذ الامام هذا التأويل وقال ما معناه انه هدم للدين كله فان الأمن هنالك انما يكون لأهل التوحيد الخالص والعمل الصالح الذين أقاموا الدين في الدنيا كما امر الله تعالى وما دخول البيت الا بعض أعمال الايمان اذا أخلص صاحبه فيه . أقول ولا تنس في هذا المقام مثل قوله تعالى (٦ : ٨٢ الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون) وما رووه في ذلك من الآثار لا ينافي المتبادر المختار ، وما أظن ان ذلك يصح عن الامام جعفر الصادق كما قيل

بلفظ : من ملك زادا وراحلة تبلغه الى بيت الله ولم يحج فلا عليه أن يموت يهوديا أو نصرانيا وذلك لأن الله تعالى قال في كتابه « ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا » الآية رواه الترمذي وقال غريب في اسناده مقال والحارث يضعف وهلال بن عبد الله الراوي له عن أبي اسحاق مجهول : وقد قال بعضهم ان تعدد طرق الحديث ترتقي به الى درجة الحسن لغيره كما يقولون فى مثله ولا يقدح في ذلك قول العقيلي والدارقطني : لا يصح في هذا الباب شيء : اذ لا ندعي أن هنا شيئا صحيحا . وأشد من ذلك أثر عمر عند سعيد بن منصور في سننه قال : لقد هممت ان أبعث رجالا الى هذه الامصار فينظروا كل من كان له جدة ولم يحج فيضربوا عليهم الجزية ماهم بمسلمين ماهم بمسلمين » واستدل بهذه الروايات على أن الحج واجب على الفور وبه قال كثير من أهل الفقه والأثر والآخرون يقولون انه على التراخي . والاحتياط أن لا يؤخر المستطيع الحج بغير عذر صحيح لئلا يفاجئه الموت قبل ذلك

أقول ان الآية تشتمل على مزايا وآيات لبيت الله الحرام فالمزايا كونه أول مسجد وضع للناس وكونه مباركا وكونه هدى للعالمين ، والآيات مقام ابراهيم وأمن داخله والحج اليه على ما بينا . ويذكر المفسرون هنا خصائص ومزايا أخرى يعدونها من الآيات على تقدير « منها مقام ابراهيم » . ومنهم من قال انها هي الآيات وان قوله « مقام ابراهيم » كلام مستقل قال الرازي : فكأنه قال فيه آيات بينات ومع ذلك هو مقام إبراهيم ومقره والموضع الذي اختاره وعبد الله فيه : اه ولعل الداعي لهم الى هذا فهمهم أن « مقام ابراهيم » تفسير للآيات وهو مفرد وقد علمت ان ما بعده تابع له في ذلك . ومما يؤيد ذلك محاولة الآخرين أن يجعلوا مقام ابراهيم بمنزلة عدة آيات قال الرازي إن مقام ابراهيم اشتمل على الآيات لأن أثر القدم في الصخرة الصماء آية وغوصه فيها الى الكعبين آية والانة بعض الصخرة دون بعض آية لأنه لان من الصخرة ما تحت قدميه فقط ، وابقاؤه دون سائر آيات الأنبياء عليهم السلام آية خاصة لابراهيم عليه السلام ، وحفظه مع كثرة أعدائه من اليهود والنصارى والمشركين ألوف السنين آية فثبت

الناس من نزغات الوثنية التي يعبرون عنها بالتوسل بالأولياء . فياليت شعري لو كان مثل الاستاذ أبو اسحق الاسفرايني الذي كان ينكر كرامات الأولياء حيا أكان يأمن على نفسه اذا أراد الحج وهو المعدود في عصر العلم من أئمة علماء السنة في أصول الدين ؟ وقل مثل هذا في الامام أبي بكر الباقلاني الذي كان يقول في الأرواح بمثل ما يقول جمهور علماء أوربا اليوم من ماديين وغيرهم دع الفرق التي وسمت بالابتداع كالمعتزلة والخوارج والشيعة ولم يكن أهل السنة يكفرون أحدا منهم ولا يعاقبونه على مخالفة الجمهور في بعض الآراء أيام كان قرب جمهور المسلمين من العلم والدين كبعده عنه اليوم

وقال الاستاذ الامام في قوله تعالى « من استطاع اليه سبيلا » انه بيان لموقع الايجاب ومحله واعلام بأن الفرضية موجهة أولا وبالذات الى هذا العمل ولكن الله رحم من لا يستطيع اليه سبيلا والاستطاعة تختلف باختلاف الاشخاص : ولم يزد على ذلك

وقوله تعالى ﴿ ومن كفر فان الله غني عن العالمين ﴾ تأكيد لما سبق ووعيد على جحوده وبيان لتنزيه الله تعالى بازالة ما عساه يسبق الى أوهام الضعفاء عند سماع نسبة البيت الى الله والعلم بفرضه على الناس أن يحجوه من كونه محتاجا الى ذلك . فالمراد بالكفر جحود كون هذا البيت أول بيت وضعه ابراهيم للعبادة الصحيحة بعد اقامة الحجج على ذلك وعدم الاذعان لما فرض الله من حجه والتوجه اليه بالعبادة . هذا هو المتبادر وحمله بعضهم على الكفر مطلقا على انه كلام مستقل لا متمم لما قبله وهو بعيد جدا ، وبعضهم على ترك الحج وهو بعيد أيضا وان دعموه بحديث أبي هريرة مرفوعا « من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا أو نصرانيا » رواه ابن عدي وحديث أبي أمامة عند الدارمي والبيهقي « من لم يمنعه من الحج حاجة ظاهرة أو سلطان جائر او مرض حابس فمات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا أو نصرانيا » ورواه غيرهم باختلاف في اللفظ والروايات كلها ضعيفة الا ماقيل في رواية موقوفة بل عده ابن الجوزي من الموضوعات واعترض عليه لكثرة طرقه وأمثل طرقه المرفوعة ماروي عن علي كرم الله وجهه

نباته) ولا ينفر صيده ولا تملك لقطته وكون قصده مكفرا للذنوب ماحيا للخطايا، وكون العبادة التي تؤدي فيه لا تؤدى في غيره وكون استلام الحجر الاسود فيه رمزا الى مبايعة الله تعالى على اقامة دينه والاخلاص له فيه وكون الصلاة فيه بمئة ألف ضعف في غيره . والاحاديث الواردة في ذلك تطلب من الصحيحين وكتب السنن

{ ٩٨ : ٩٣ } قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ (٩٩ : ٩٤) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ ، وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ *

أقول لما أقام سبحانه الحجة على أهل الكتاب وبين بطلان شبهاتهم على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وكونه على ملة ابراهيم عليه الصلاة والسلام أمره أن يبكتهم على كفرهم وصدهم على سبيل الايمان وابتغائه عوجا وضلالهم بذلك على علم فقال { قل ياأهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله } في بيته الدالة على كونه أول بيت وضع لعبادته وعلى بناء ابراهيم له وتعبده فيه قبل وجود بني اسرائيل و بيت المقدس ، أو بآياته على صحة نبوة محمد واحيائه لملة ابراهيم الذى تعترفون بنبوته وفضله ومنها ماذكر عن البيت — { والله شهيد على ما تعملون } أي والحال ان الله تعالى مطلع على عملكم هذا وسائر أعمالكم محيط به أفلا تخافون أن يأخذكم به ويجازيكم عليه أشد الجزاء

{ قل ياأهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن } أي لأي شيء تصرفون من آمن بمحمد (ص) واتبعه عن الايمان وهو سبيل الله الموصلة الى رضوانه ورحمته بما ترقي من عقل المؤمن بالعقائد الصحيحة ومن نفسه بالاخلاق الكريمة والاعمال الصالحة . تصدون عنها بالتكذيب كبرا وحسدا والقاء الشبهات الباطلة مكابرة وبغيا والكيد للنبي والمؤمنين بغيا وعدوانا { تبغونها عوجا } أي تصدون عنها قاصدين بصدكم أن تكون معوجة في نظر من يؤمن لكم ويغتر

أن مقام ابراهيم عليه السلام آيات كثيرة : اه

أقول وقد تقدم في تفسير (٢ :١٢٥ واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى) أن بعضهم يقول ان مقامه عبارة عن موقفه حيث ذلك الأثر للقدمين وان هذا ضعيف. والكلام هنا في ان مقام ابراهيم مشتمل على ماذكر من الأثر وهذا هو الصحيح أما الأثر نفسه فقد كانت العرب تعتقد أنه أثر قدمي ابراهيم كما قال أبو طالب في لاميته

وموطئ ابراهيم في الصخر رطبة على قدميه حافيا غير ناعل

وقد يؤخذ من قوله رطبة ان الصخرة كانت عند ما وطئ عليها رطبة لم تتحجر ثم تحجرت بعد ذلك وبقي أثر قدميه فيها وعلى هذا لا يظهر معنى كونه آية الا على الوجه الذي جرينا عليه في تفسير « آيات بينات » دون ماجرى عليه الجمهور من كون الآيات بمعنى الخوارق الكونية . وقد يكون مراده انها كانت رطبة كرامة له (وهو ماجرينا عليه في تفسير القصيدة في المنار — ص ٤٦٥ م٩) وقال بعضهم ان «مقام» مصدر بمعنى الجمع والمراد مقامات ابراهيم أي ماقام به من المناسك وأعمال الحج . والمتبادر ماذكرناه في موضعه

ومما عدوه من الآيات قصم من يقصده من الجبابرة بسوء كأصحاب الفيل ويرد عليهم ما كان من الحجاج ومن هم شر من الحجاج في هذا الزمان ، وعدم تعرض ضواري السباع للصيود فيه وهذا القول ظاهر الضعف اذ ليس ذلك آية، وعدم نفرة الطير من الناس هناك ويرد عليه ان الطير تألف الناس لعدم تعرضهم لها ولذلك نظائر في الارض ، وانحراف الطير عن موازاته وليس بمتحقق، وكون وقوع الغيث فيه دليلا على الخصب فاذا عمه كان الخصب عاما واذا وقع في جهة من جهاته كان الخصب في تلك الجهة من الأرض ، وهي آية وهمية

ولعمري أن بيت الله غني عن اختراع الآيات وإلصاقها به مع براءته منها فحسبه شرفا كونه حرما آمنا ومثابة للناس وأمنا ومباركا وهدى للعالمين ومافيه من الآيات التي ذكرها الله واقسامه تعالى به وماورد عن رسوله في حرمته وتحريمه وفضله ككونه لا يسفك فيه دم ولا يعضد شجره ولا يختلى خلاه (أي لا يقطع

نموذج من انجيل برنابا

(الهوامش التي علاماتها حروف مأخوذة من النسخة الطليانية يظهر ان واضعها يزعم انها لما وافق هذا الانجيل فيه القرآن والهوامش التي علاماتها أرقام بين أقواس ، فهي لما وافق فيها العهد العتيق والعهد الجديد وهي من النسخة الانكليزية)

الفصل السادس عشر (ب)

(التعاليم العجيبة التي علمها لتلاميذه بخصوص الارتداد عن الحياة الشريرة)

١ وجمع يسوع ذات يوم « تلاميذه وصعد الى الجبل [(١)] ٢ فلما جلس هناك دنا منه التلاميذ ففتح فاه وعلمهم قائلا ٣ « عظيمة هي النعم التي أنعم بها الله [(ت)] علينا فترتب علينا من ثم ان نعبده باخلاص قلب ٤ وكما ان الخمر الجديدة توضع في أوعية جديدة. [(٢)] هكذا يترتب عليكم ان تكونوا رجالا جدداً اذا أردتم ان تعوا التعاليم الجديدة التي ستخرج من فمي ٥ الحق أقول لكم كما انه لا يتأتى للانسان ان ينظر بعينه السماء والارض معاً في وقت واحد فكذلك يستحيل عليه ان يحب الله والعالم [(ث)]

٦ لا يقدر رجل أبداً ان يخدم سيدين [(٣)] أحدهما عدو للآخر [(ج)] لأنه اذا أحبك أحدهما ابغضك الآخر ٧ فكذلك أقول لكم حقاً انكم لا تقدرون ان تخدموا الله والعالم ٨ لان العالم موضوع في النفاق والجشع والخبث [(٤)] ٩ لذلك لا تجدون راحة في العالم بل تجدون بدلا

(ا) الحمد لله (ب) سورة ترك الدنيا (ت) نعمة الله كبر (ث) مثلا في بني آدم عينان لكن لا يمكن ان ينظر الى السماء والارض في حالة واحدة وكذلك لا يمكن ان تجمع محبة الله ومحبة الدنيا في حالة واحدة منه (ج) لا يمكن العبد ان يخدم سيدين عدوين أحدهما لآخر وكذلك لا يمكن ان يخدم العبد الدنيا والله تعالى منه

(١) ت ٥: ١ (٢) مت ٩ : ١٧ (٣) مت ٦ : ٢٤ ولو ١٦: ١٣ (٤) ١ يو ٥: ١٩

بكيدكم ﴿ وأنتم شهداء ﴾ بأنها سبيل الله المستقيمة لاترون فيها عوجا ولاأمتا عارفون بما ورد فيها من البشارات عن الانبياء ويلزم من ذلك أن من صد عنها ضال مضل . وقيل الشهداء في قومكم توصفون فيهم بالعدل وتستشهدون في القضايا . ومن كان كذلك كان أقدر على الصد . وقال الاستاذ الامام المعنى وأنتم شهداء على بقايا الكتاب ومايؤثر عن النبيين فكان من حقكم أن تكونوا أقرب الناس الى معرفة هذه السبيل سبيل الحق والسبق اليها بالايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم

﴿ وما الله بغافل عما تعملون ﴾ من هذا الصد وغيره فهو يجازيكم عليه . فالتذييل تهديد لهم ووعيد وقد جاء بنفي الغفلة لأن صدهم عن الاسلام كان بضروب من المكايد والحيل الخفية التي لاتروج الا على الغافل . كما ختم الآية السابقة بكونه شهيدا على عملهم لأن العمل الذي ذكر فيها هو الكفر وهو ظاهر مشهود ، فذكر في كل آية مايناسب المقام

تهنان[١] بيد ان رحمته لا تهن للذين يتقونه[أ] ٢٧ أغنياء العالم هم على رخائهم جياع وسيهلكون[٢] ٢٨ كان غني ازدادت[٣] ثروته فقال ماذا أفعل يا نفسي؟ ٢٩ اني اهدم اهرائي لانها صغيرة وأبني أخرى جديدة أكبر منها فتظفرين بمناك يا نفسي » ٣٠ انه لخاسر لانه في تلك الليلة توفي ٣١ ولقد كان يجب عليه العطف على المسكين وان يجعل لنفسه اصدقاء من صدقات أموال الظلم في هذا العالم لانها تأتي بكنوز في عالم السماء ٣٢ وقولوا لي من فضلكم اذا وضعتم دراهمكم في مصرف عشار فاعطاكم عشرة اضعاف وعشرين ضعفا أفلا تعطون رجلا كهذا كل ما لكم ٣٣ ولكن الحق أقول لكم انكم مهما أعطيتم وتركتم لاجل محبة الله فستسردونه مئة ضعف مع الحياة الابدية[٤][ب] ٣٤ فانظروا اذاً كم يجب عليكم ان تكونوا مسرورين في خدمة الله

الفصل السابع عشر (ت)

(عدم ايمان التلاميذ ودين « المؤمن » الصحيح)

١ ولما قال يسوع ذلك اجاب فيلبس اننا لراغبون في خدمة الله ولكننا نرغب أيضاً ان نعرف الله[٥] لان اشعيا النبي قال « حقاً انك لإله[ث] محتجب[٦] ٣ وقال الله لموسى عبده « أنا الذي هو أنا[٧] »

(أ) أقول لك هذا الكلام حق ينهدم السماء والارض واما من يخاف الله لا ينقطع رحمة الله عليه أبداً منه (ب) أقول لكم الحق ما أعطيتم في سبيل الله من الاشياء اعطى كم الله في مقابلته ماءة خيرا منه (ت) هذا سورة إخلاص (ث) الله خفي

(١) مر ١٣: ٣١ (٢) يع ٥: ١ (٣) لو ١٢: ١٦ — ٢٠ (٤) مت ١٩: ٢٩
(٥) يو ١٤: ٦ (٦) اش ٤٥: ١٥ (٧) خر ٣: ١٤

منها اضطهاداً وخسارة ١٠ اذاً فاعبـدوا الله واحتقروا العالم ١١ إذ مني تجدون راحة لنفوسكم [١] ١٢ اصيخوا السمع لـكلامي لاني أكلمكم بالحق

١٣ طوبى للذين ينوحون على هذه الحياة لانهم يتعزون [٢]

١٤ طوبى للمساكين [٣] الذين يعرضون حقاً عن ملاذ العالم لانهم سيتنعمون بملاذ ملكوت الله

١٥ طوبى للذين يأكلون على مائدة الله [٤] لان الملائكة ستقوم على خدمتهم

١٦ أنتم مسافرون كسياح ١٧ أيتخذ السائح لنفسه على الطريق قصوراً وحقولا وغيرها من حطام العالم ١٨ كلاّ ثمّ كلاّ ولـكنه يحمل أشياء خفيفة ذات فائدة وجدوى في الطريق ١٩ فليكن هذا مثلا لـكم ٢٠ واذا أحببتم مثلا آخر فاني أضربه لكم لـكي تفعلوا كلّ ما أقوله لكم

٢١ « لا تثقلوا قلوبكم بالرغائب العالمية قائلين من يكسونا [٥] أو من يطعمنا ٢٢ بل انظروا الزهور والاشجار مع الطيور التي كساها وغذّاها الله (ا) ربنا بمجد أعظم من كل مجد سليمان ٢٣ والله (ب) الذي خلقـكم ودعاكم الى خـدمته هو قادر ان يغذّيكم ٢٤ الذي أنزل المن [٦] من السماء (ت) على شعبه اسرائيل في البرية أربعين سنة و حفظ أثوابهم من ان تعتق أو تبلى [٧] ٢٥ أولئك الذين كانوا ستمئة وأربعين ألف رجل [٨] خلا النساء والاطفال ٢٦ الحق أقول لـكم ان السماء والارض

(ا) (الله رازق وخالق الله سلطان (ب) الله قدير الله رازق (ت) منوا وسلوان ذكر منه

(١) مت ١١ : ٢٩ (٢) مت ٥ : ٤ (٣) مت ٥ : ٣ (٤) مت ٥ : ٦ (٥) مت ٦ : ٢٥

(٦) تث ٨ : ٣ ــ ١٦ (٧) تث ٨ : ٤ (٨) خر ١٢ : ٣٧ عدد ١ : ٤٦ و ١١ : ٢١

تأخذها بالحرف بل بالمعنى ٢١ لأن كل الانبياء البالغين مئة وأربعة وأربعين ألفا الذين أرسلهم (أ) الله الى العالم قد تكلموا بالمعميات بظلام ٢٢ ولكن سيأتي بعدي بهاء (١) كل الانبياء والاطهار (ب) فيشرق نورا على ظلمات سائر ما قال الانبياء ٢٣ لانه رسول الله (ت) ٢٤ ولما قال هذا تنهد يسوع وقال ٢٥ ارأف بإسرائيل أيها الرب الاله (ث) وانظر بشفقة على ابراهيم وعلى ذريته لكي يخدموك باخلاص قلب

٢٦ فأجاب تلاميذه ليكن كذلك أيها الرب الاله (ج)

٢٧ وقال يسوع الحق أقول لكم ان الكتبة والعلماء قد أبطلوا شريعة (٢) الله بنبواتهم (ح) الكاذبة المخالفة لنبوات أنبياء الله (خ) الصادقين ٢٨ لذلك غضب الله على بيت اسرائيل وعلى هذا الجيل القليل الايمان ٢٩ فبكى تلاميذه لهذه الكلمات وقالوا أرحمنا يا الله (٣)(د) ارأف على الهيكل والمدينة المقدسة ولا تدفعها الى احتقار الامم لكي لا يحتقروا عهدك

٣٠ فأجاب يسوع وليكن كذلك أيها الرب اله آبائنا (ذ)

(ا) الله مرسل (ب) قال عيسى بن مريم سيجيء من بعدي نور الانبياء والاولياء منه (ت) رسول الله (ث) الله الرحمن الله كريم (ج) الله سلطان (ح) الله قهار (خ) اليهود ويحرفون الكلم من بعد مواضعه منه هذا وبعده النصار هذا انا شهيد وهذا الكتاب يحرفون اكلم في الانجيل (د) الله الرحمن (ذ) سلطان لها آبائنا

؟ (١) مر ٧ : ١٣ (٢) مر ٧ :١٣ (٣) دا ٩ : ١٦

٤ أجاب يسوع يا فيلبس ان الله صلاح بدونه لا صلاح ٥ ان الله موجود بدونه لا وجود ٦ ان الله حياة بدونها لا أحياء(ا) ٧ هو عظيم حتى انه يملأ الجميع وهو في كل مكان ٨ هو وحده لا ند له ٩ لا بداية ولا نهاية له(ب) ولكنه جعل لكل شيء بداية وسيجعل لكل شيء نهاية(ت) ١٠ لا أب ولا أم له ١١ لا ابناء ولا إخوة ولا عشراء(ث) له ١٢ ولما كان ليس لله جسم فهو لا يأكل ولا ينام ولا يموت ولا يمشي ولا يتحرك ١٣ ولكنه يدوم الى الابد بدون شبيه (ج) بشري ١٤ لانه غير ذي جسد وغير مركب وغير مادي وابسط البسائط(ح) ١٥ وهو جواد لا يحب الا الجود ١٦ وهو مقسط حتى اذا هو قاص أو صفح فلا مرد له ١٧ وبالاختصار أقول لك يا فيلبس انه لا يمكنك ان تراه وتعرفه على الارض تمام المعرفة ١٨ ولكنك ستراه في مملكته الى الابد حيث يكون قوام سعادتنا ومجدنا

١٩ أجاب فيلبس ماذا تقول يا سيد حقاً لقد كتب في أشعيا ان الله أبونا (١) فكيف لا يكون له بنون ؟

٢٠ أجاب يسوع انه في الانبياء مكتوب امثال كثيرة لا يجب ان

(ا) الله واحد لا كفء له حق سبحانه وتعالى خيرا لا خير الا هو وكذلك حيوته وذاته منه (ب) الله أكبر الله قديم وباق (ت) لا أول لله « لا أول لله » ولا آخر له اما خلق لكل شيء أولا وآخرا (ث) الله تعالى لا أبا له ولا أم له ولا ولد له ولا أخ له ولا شريك له ولا بدن له لاجل هذا لا يشكل ولا ينام ولا يموت ولا يذهب ولا يتحرك لكن قائم ابداً منزه من كل مخلقات ولا مركب له ولا يتركب من الاشياء لكن لطيف بالذاة منه (ج) الله قائم وباق وسبحان ولطيف وخير ذو انتقام وغفور منه (ح) الله لا تدركه الابصار منه

(١) أش ٦٣ : ١٦ و ٦٤ : ٨

ولذلك يبغضكم ويضطهدكم [أ] ١٦ فاذا رأيتم العالم يستهين بكلامكم فلا تحزنوا بل تأملوا كيف ان الله وهو أعظم منكم قد استهان به أيضاً العالم حتى حسبت حكمته جهالة ١٧ فاذا كان الله يحتمل [ب] العالم بصبر فلماذا تحزنون أنتم يا تراب وطين الارض ١٨ فبصبركم تملكون أنفسكم [١] ١٩ فاذا لطمكم أحد على خد فحولوا له الآخر ليلطمه [٢] ٢٠ لا تجازوا شرا بشر [٣] لان ذلك ما تفعله شر الحيوانات كلها ٢١ ولكن جازوا الشر بالخير [ت] وصلوا لله لاجل الذين يبغضونكم [٤] ٢٢ النار لا تطفأ بالنار بل بالماء لذلك أقول لكم لا تغلبوا الشر بالشر بل بالخير [٥] ٢٣ انظروا الله [ث] الذي جعل شمسه تطلع على الصالحين والطالحين [٦] وكذلك المطر ٢٤ فكذلك يجب عليكم ان تفعلوا الخير مع الجميع لانه مكتوب في الناموس كونوا قديسين لاني انا الهكم قدوس [ج] [٧] كونوا أنقياء لاني أنا نقي وكونوا كاملين لاني أنا كامل [ح] [٨] ٢٥ الحق أقول لكم ان الخادم يحاول ارضاء سيده فلا يلبس ثوبا ينفر منه سيده ٢٦ وأثوابكم هي ارادتكم ومحبتكم ٢٧ احذروا اذاً من ان تريدوا أو تحبوا شيئاً غير مرضي لله [خ] ربنا ٢٨ ايقنوا ان الله يبغض بهرجة وشهوات العالم لذلك ابغضوا أنتم العالم

« ا » الدنيا لا تحب عباد الله الاخيار لانها خافت ان يكشف واوشاقبها (يكشفوا شقاوتها ؟) وتقصد للعباد ان تصيب البلاء والضرر منه «ب» الله صبر «صبور [illegible]» الله عليم «ت» مثلا لا يدفع النار « بالنار» كذلك لا يدفع الشر « بالشر» منه «ث» الله رازق «ج» الله ولي وقدوس وكامل «ح» يقول الله تعلى في التورية يا بني إسرائيل كنوا ولياً فاني ولي وكنوا طاهرا فانيّ طاهر وكنوا كاميلا فاني كاميل منه « خ » الله سلطان

«١» لو ٢١ : ١٩ «٢» مت ٥: ٣٩ «٣» ١ بط ٣: ٩ «٤» مت ٥: ٤٤ ولو ٦: ٢٨ «٥» رو ١٢: ٢١ «٦» مت ٥: ٤٨ «٧» لا ١٩: ٢ «٨» مت ٥ : ٤٨

الفصل الثامن عشر (ا)

(يوضح هنا اضطهاد العالم لخدمة الله وان حماية الله تقيهم)

١ وبعد ان قال يسوع هذا قال : « لستم أنتم الذين اخترتموني [(١)] بل أنا اخترتكم لتكونوا تلاميذي ٢ فاذا أبغضكم العالم تكونون حقاً تلاميذي [(٢)] ٣ لان العالم كان دائماً عدو عبيد خدمة الله ٤ تذكروا الانبياء الاطهار الذين قتلهم العالم ٥ كما حدث في أيام ايليا [(ب)] اذ قتلت ايزابل عشرة آلاف نبي حتى بالجهد نجا ايليا المسكين وسبعة آلاف من أبناء الانبياء [(٣)] الذين خبأهم رئيس جيش أخاب ٦ أواه من العالم الفاجر الذي لا يعرف الله ٧ اذاً لا تخافوا أنتم [(٤)] لان شعور رؤسكم محصاة كي لا تهلك ٨ انظروا العصفور الدروي والطيور الاخرى التي لا تسقط منها ريشة بدون ارادة الله ٩ أيعتني [(ت)] الله بالطيور أكثر من اعتنائه بالانسان الذي لاجله خلق كل شيء ؟ ١٠ ايتفق وجود انسان أشد اعتناء بحذائه منه بابنه ١١ كلا ثم كلا (١٢) أفلا [(ث)] يجب عليكم بالأولى ان تظنوا ان الله لا يهملكم وهو المعتني بالطيور ١٣ ولكن لماذا اتكلم عن الطيور بل لا تسقط ورقة شجرة بدون ارادة الله [(ج)]

١٤ « صدقوني لاني أقول لكم الحق ان العالم يرهبكم اذا حفظتم كلامي ١٥ لانه لو لم يخش فضيحة فجوره لما أبغضكم ولكنه يخشى فضيحته

(ا) سورة توكيل (ب) في زمان الياس يقتل اليهود عشرة الاف أنبياء بغير الحق منه (ت) الله وكيل وحافيظ (ث) الله رب (ج) لا يسقط ورق من الشجر الا بارادة الله تعالى منه

(١) يو ١٥ : ١٦ (٢) يو ١٥ : ١٩ (٣) ١ مل ١٨ : ٤ و١٣ (العدد هناك مئة ولعل ماهنا هو المراد بما في و ١ مل ١٩ : ١٨ (٤) مت ١٠ : ٢٨ ــ ٣٠ ولو ١٢ : ٥١ ــ ٥٧

العلم من بلاغته مع قلة ممارسته للفنون العربية

اما ماينسب اليه الغزالي فقد اختلف فيه وفي ضبطه هل هو بالتخفيف أو التشديد وقد جاء فى ترجمة أبي حامد لشارح الاحياء فى ذلك مانصه :

«قال صاحب تحفة الارشاد نقلا عن الامام النووي في دقائق الروضة التشديد في الغزالي هو المعروف الذي ذكره ابن الأثير و بلغنا أنه قال منسوب الى غزالة بتخفيف الزاي قرية من قرى طوس : قلت وهكذا ذكره النووي أيضاً فى التبيان . وقال الذهبي فى العبر وابن خلكان في التاريخ عادة أهل خوارزم وجرجان يقولون القصاري والجباري بالياء فيهما فنسبوه للغزل وقالوا الغزالي ومثل ذلك الشحامي وأشار لذلك ابن السمعاني أيضاً وأنكر التخفيف وقال سألت أهل طوس عن هذه القرية فأنكروها وزيادة هذه الياء قالوا للتأكيد وفى تقرير بعض شيوخنا للتمييز بين المنسوب الى نفس الصنعة وبين المنسوب الى من كانت صنعته كذلك وهذا ظاهر فى الغزالي فانه لم يكن ممن يغزل الصوف و يبيعه وانما هي صنعة والده وجده . ولكن فى المصباح للفيومي مايؤيد التخفيف وان غزالة قرية بطوس واليها نسب الامام أبو حامد . قال أخبرني بذلك الشيخ مجد الدين بن محمد بن أبي الطاهر شروان شاه بن أبي الفضائل فخراور ابن عبيدالله بن ست المنا بنت أبي حامد الغزالي ببغداد سنة عشر وسبعمائة وقال لي أخطأ الناس فى تثقيل جدنا وانما هو مخفف . وقال الشهاب الخفاجي فى آخر شرح الشفا : و يقال انه منسوب الى غزاله ابنة كعب الاحبار وهذا ان صح فلا محيد عنه : والمعتمد الآن عند المتأخرين من أئمة التاريخ والانساب أن القول قول ابن الأثير أنه بالتشديد»

ولد أبو حامد في مدينة طوس من عمل خراسان سنة ٤٥٠ قال ابن السبكي في طبقات الشافعية الكبرى : وكان والده يغزل الصوف و يبيعه في دكانه بطوس فلما حضرته الوفاة وصى به و بأخيه أحمد الى صديق له متصوف من أهل الخير وقال له ان لي لتأسفا عظيما على تعلم الخط وأشتهي استدراك مافاتني في ولديّ هذين فعلمهما ولا عليك أن تنفد في ذلك جميع ماأخلفه لهما . فلما مات أقبل

حجة الاسلام أبو حامد الغزالي

ان سيرة عظماء الرجال، انبر عون على تربية الاجيال، وقد كان الامام أبو حامد محمد الغزالي من علماء الاسلام المصلحين في أصول الاسلام وفروعه وآدابه اعترف له بذلك العلماء وعدوه من المجددين المشار اليهم بحديث « ان الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مئة سنة من يجدد لها دينها » رواه أبو داود والحاكم في المستدرك والبيهقي في المعرفة من حديث أبي هريرة وعلم عليه في الجامع الصغير بالصحة . وسيأتي ذكر شيء من أقوال الفقهاء والمورخين والصوفية فيه . لذلك هممت منذ سنين بأن أكتب في المنار شيئاً عن الرجال العظام ابدأ فيه بملخص سيرته في المنار ولم أوفق إلى ذلك قبل اليوم . وارجو أن يكون فيما أكتبه الآن عبرة لأولي الالباب

﴿ أصله ومنشؤه ﴾

هو محمد بن محمد بن محمد بن أحمد لم أر احدا ذكر له أكثر من ثلاثة آباء وأسماؤهم عربية ولكن نسبه لا يعرف منها فهو اما من العرب الذين تغلغلوا في بلاد الفرس من أول الفتح الاسلامي واما من الفرس الذين غلبت عليهم الاسماء العربية لعراقتهم في الاسلام . وانك لتجد كثيرا ممن يتكلمون في التاريخ يجزمون بنسب العلماء الذين نشؤا ببلاد الفرس في الاسلام فيقولون انهم من الفرس وان فلانا فارسي الاصل والمنشأ حتى ان منهم من يعد أصحاب الانساب العربية المعروفة من الفرس كصاحب القاموس وصاحب الأغاني واضرابهم . ومن أسباب هذا الغلط فيما أرى اشتهار قول ابن خلدون ان أكثر علماء الملة من العجم وهو مخطيء في هذا الحكم ومخطيء فيما علله به . والصواب أن علماء الاسلام الذين نبغوا في بلاد الفرس وغيرها من بلاد الاعاجم منهم العربي كمن ذكرنا آنفا ومنهم العجمي كسيبويه ومنهم المجهول نسبه كأبي حامد الغزالي فيتوقف في مثله حتى يظهر الدليل وقد يستدل على انه من سلالة عربية بما يأتي في فصل اشتغاله

أقول وفيها من العبرة لمثل طلاب الأزهر ان هذا الإمام العظيم ماوصل الى ماوصل اليه الا بعد أن جعل قصده في طلب العلم أن يكون العلم صفة من صفاته لاأن يفهم مايأخذه عن العلماء اذا هو قرأه فقط فينبغي لكل طالب علم أن يتلقى العلم لاجل ان يكون له فيه حكم ورأي ولا يكتفي بأن يكون راويا لأقوال العلماء ولو مع الفهم لأن من يفهم علم غيره لايعد هو عالما الا اذا هو أشرب العلم وصار له فيه فهم خاص يقدر على الاستدلال عليه ودفع معارضة المخالفين عنه، وصار بحيث لو رجع عنه من نقل عنه لايرجع هو

قال السبكي ثم ان الغزالي قدم نيسابور ولازم إمام الحرمين وجد واجتهد حتى برع على يديه في مذهب الشافعي والخلاف والجدل والأصلين والمنطق وقرأ الحكمة والفلسفة وأحكم كل ذلك وفهم كلام أرباب هذه العلوم وتصدى للرد عليهم وإبطال دعاويهم وصنف في كل فن من هذه العلوم كتبا أحسن تأليفها ، وأجاد وضعها وترصيفها ، كذا نقل النقلة عنه وأنا لم أر له مصنفاً في أصول الدين بعد شدة الفحص الا أن يكون قواعد العقائد وعقائد صغرى (كذا)

أقول وفاته كتاب الاقتصاد في الاعتقاد . وظاهر قوله « وقرأ الحكمة والفلسفة » انه لم يقرأها على إمام الحرمين وهو كذلك كما يعلم من كتابه (المنقذ من الضلال) وفيه انه صنف كتبا في الكلام وستأتي عبارته فيه

وقال الزبيدي في ترجمته بعد ان ذكر من مشايخه بطوس أحمد بن محمد الراذكاني وفي جرجان أبا نصر الاسماعيلي وفي نيسابور امام الحرمين وشيخه في التصوف « ومن مشايخه أيضا يوسف السجاج وفي الحديث أبوسهل محمد بن أحمد بن عبيد الله الحفصي المروزي والحاكم أبو الفتح نصر بن علي بن أحمد الحاكمي الطوسي وأبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد الخواري خوار طبران ومحمد بن يحيي بن محمد السجاعي الزوزني والحافظ أبو الفتيان عمر بن أبي الحسن الرواسي الدهستاني ونصر بن ابراهيم المقدسي على قول الذهبي وقال غيره لم يدركه فهؤلاء شيوخه في العلوم الثلاثة :– يعني الفقه والتصوف والحديث – أقول وهؤلاء الكثيرون الذين سمع منهم الحديث انما سمعه منهم في آخر أمره بعد ان رجع من سياحاته –

الصوفي على تعليمهما الى أن فني ذلك النزر اليسير الذي خلفه لهما أبوهما وتعذر على الصوفي القيام بقوتهما فقال لهما: اعلما اني قد أنفقت عليكما ما كان لكما وأنا رجل من الفقر والتجريد بحيث لا مال لي فأواسيكما به، وأصلح ما أرى لكما أن تلجأ الى مدرسة فانكما من طلبة العلم فيحصل لكما قوت يعينكما على وقتكما: ففعلا ذلك وكان هو السبب في سعادتهما وعلو درجتهما. وكان الغزالي يحكي ذلك ويقول «طلبنا العلم لغير الله فأبى أن يكون الا لله» اه

فأنت ترى أن الغزالي نشأ فقيرا وكذلك أكثر النابغين في الأمم والعصور التي لا إلزام فيها بالتعليم والتربية يخرجون من بيوت الفقراء أو من هم على مقربة منهم. والأغنياء يشغلهم الترف والنعيم عن الجد والاجتهاد في العلم لا سيما في تلك الأزمنة التي كان فيها طلب العلم لا يتم الا بالرحلة الى العلماء المشهورين كما ترى فيما يلي وناهيك بما كان في طي المسافات من المشاق

﴿ طلب الغزالي للعلم ﴾

قرأ في صباه طرفا من فقه الشافعية على أحمد بن محمد الراذكاني في بلده (طوس) ثم سافر الى الامام أبي نصر الاسماعيلي في جرجان وعلق عنه كتاب التعليقة وعاد الى طوس. قال الامام أسعد الميهني فسمعته يقول قطعت علينا الطريق وأخذ العيارون جميع ما معي ومضوا فتبعتهم فالتفت الي مقدمهم وقال ارجع ويحك والا هلكت فقلت له أسألك بالذي ترجو السلامة منه أن ترد علي تعليقتي فقط فما هي بشيء تنتفعون به. فقال لي وما هي تعليقتك؟ فقلت كتب في تلك المخلاة هاجرت لسماعها وكتابتها ومعرفة علمها. فضحك وقال كيف تدعي انك عرفت علمها وقد أخذناها منك فتجردت من معرفتها وبقيت بلا علم؟؟ ثم أمر بعض أصحابه فسلم الي المخلاة (قال الغزالي) هذا مستنطق أنطقه الله ليرشدني به في أمري فلما وافيت طوس أقبلت على الاشتغال ثلاث سنين حتى حفظت جميع ما علقته وصرت بحيث لو قطع علي الطريق لم أتجرد من علمي. قال التاج السبكي وقد روى هذه الحكاية عن الغزالي أيضا الوزير نظام الملك

فان كاتب هذه السطور قرأ كثيرا من هذه الكتب قبل طلب العلم ومنها كتاب إحياء علوم الدين لصاحب السيرة . ولكن هذا لا يتيسر للأعاجم . وقد يستدل بهذا على ان الغزالي من عشيرة عربية بقيت محافظة على أصل لغتها الا مالا تخلو عنه طبيعة المخالطة للأعاجم من التحريف والدخيل الا أن يقال لغة الفرس كافة كانت قد تحولت عربية في ذلك العهد وصار العارف بالفارسية يتلقاها بالتعلم وهذا ما ينكره كثير من العارفين منهم صاحبنا الدكتور محمد مهدي خان فانه يقول ان لغة العامة هناك في القرن الرابع والخامس كانت الفارسية . وقد كان الغزالي يعرف الفارسية وألف فيها ولو كان فارسي الاصل وهو من العامة لكانت لغته الأصلية ومثله لا يصير بليغا بالعربية الا بعد اشتغال بالفنون طويل فبلاغته وفصاحته وسلامة عبارته من العجمة على كونه من العامة يرجح كونه عربي الاصل فهذا ما رأينا أن نبينه من سيرة حجة الاسلام فى تلقي العلم والعبرة فيها للطالبين

﴿ تخرجه وتصدّيه للافادة ﴾

قلنا انه اشتغل أولا بطوس وكانت مدينة آهلة بالعلم والعلماء في الجملة وكان يومئذ مراهقا ثم فى جرجان وكانت فوق طوس فى العلم والعمران ثم فى المدرسة النظامية بنيسابور أعظم معاهد العلم فى خراسان ومازال فيها يختلف الى دروس امام الحرمين علامة ذلك العصر الزاهر حتى تخرج به واشتهر وقد قيل ان شيخه كان يجد منه شيئا فى نفسه وان كان يفتخر به فى الملأ كما سيأتي . ولما توفي امام الحرمين سنة ٤٧٨ خرج الغزالي الى العسكر وهي محلة بالقرب نيسابور كان يقيم فيها نظام الملك الوزير نصير العلم وكعبة العلماء فحل من مجلس الوزير محل القبول . قال معاصره أبو الحسن عبد الغافر بن اسماعيل الفارسي خطيب نيسابور فى ذلك : محمد بن محمد بن محمد أبو حامد الغزالي حجة الاسلام والمسلمين ، امام أئمة الدين ، لم تر العيون مثله لسانا وبيانا ونطقا وخاطرا ، وذكاء وطبعا ، أخذ طرفا فى صباه بطوس من الفقه على الامام أحمد الراذكاني ثم قدم نيسابور مختلفا الى درس امام الحرمين فى طائفة من الشبان من طوس وجد واجتهد حتى تخرج فى مدة قريبة و بزّ الأقران، وحمل القرآن ، وصار أنظر أهل زمانه ، وأوحد أقرانه في أيام امام الحرمين .

ثم قال الزبيدي: ولم أطلع على أسماء شيوخه الذين قرأ عليهم في الكلام أو الجدل فان عثرت على شيء بعد ذلك ألحقت به ان شاء الله تعالى . واما علوم الفلسفة فلا شيخ له فيها كما صرح بذلك في كتابه المنقذ من الضلال : اه

أقول انه أخذ الكلام والخلاف عن إمام الحرمين لأنه كان من المبرزين فيهما وما كان الزبيدي أن يغفل عن ذلك . ولم يذكروا شيوخه في الفنون العربية كالنحو والصرف والبيان والأدب ويحتمل انه أخذ عن الراذكاني مع الفقه شيئاً من مباديها واعتمد بعد ذلك فيها على اشتغاله بنفسه فقد قال عبد الغافر الفارسي خطيب نيسابور وكان من معاصريه انه كان مما يعترض به عليه وقوع خلل من جهة النحو يقع في أثناء كلامه وروجع فيه فأنصف من نفسه واعترف بأنه ما مارس ذلك الفن واكتفى منه بما يحتاج اليه في كلامه مع انه كان يؤلف الخطب ويشرح الكتب بالعبارات التي تعجز الأدباء والفصحاء عن أمثالها ، وأذن للذين يطالعون كتبه فيعثرون على خلل فيها من جهة اللفظ أن يصلحوه ويعذروه فما كان قصده الا المعاني وتحقيقها ، دون الألفاظ وتلفيقها ، اه كلام عبد الغافر

ونحن نرى أن كلامه في كتبه أعلى من كلام أقرانه أسلوبا وأحسن بيانا وأشد تأثيرا كما نجد فهمه للكلام العربي أدق من أفهامهم وذلك منتهى المقصد من الفنون العربية كلها فاذا كان الوصول الى هذا المقصد ممكنا مع الاقلال من الاشتغال بالنحو فلماذا يضيع العاقل الوقت الطويل في قراءة الكفراوي والشيخ خالد والأزهرية والقطر والشذور وابن عقيل والاشموني وحواشي هذه الكتب على ان كتابا منها يكفي الطالب ما لا بد منه من النحو ولعل من فهم الشذور أو ابن عقيل يكون أعلم من الغزالي بنفس النحو فعليه أن يفكر في الطريقة التي يكون بها مع ذلك مثل الغزالي أو على مقربة منه في فهم الكلام العربي الذي وضع النحو لضبطه وللاتيان بالكلام البليغ منه قولا وكتابة ولذلك طريق غير كثرة مزاولة كتب النحو التي يضعف مثلها ملكة اللسان كما قال ابن خلدون فليفكر في ذلك طلاب الأزهر الاذكياء لاسيما من كان منهم عربي اللسان يسهل عليه فهم الكتب البليغة في الأدب والتاريخ وغير ذلك بالممارسة قبل تلقي الفنون .

إمام الحرمين في مدة قليلة وقد توفي امام الحرمين سنة ٤٧٨ وكانت سن الغزالي ٢٨ سنة أي انه كان متخرجا قبل ذلك

غرضنا من هذا التحقيق تنبيه طلاب العلم الى مسألة أرجو انتفاع أذكيائهم بها وهي أن طول مدة الاشتغال بالتلقي والتحصيل قلما تأتي بفائدة بل هي عنوان البلادة وخمود الذهن وخمول النفس ودليل على فساد التعليم وأكثر النابغين من العلماء والحكماء لم يقيموا في معاهد التعليم والتلقي زمنا طويلا . وقد قرر هذه الحقيقة الفيلسوف سبنسر. وقد كان الاستاذ الامام بعد سنوات قليلة يحضر دروس بعض العلماء في علم و بيده كتاب في علم آخر يطالع فيه

﴿ تربية الغزالي لنفسه وتفلسفه وتصوفه ﴾

العلوم والفنون في نفسها صناعات وآلات يستعان بها على اصلاح اللسان والعمل والنفس والعقل فمن طلب فنا منها كان له في طلبه ثلاثة مقاصد — أحدها أن يعرف الفن بحسب ما قاله الواضعون له والمصنفون فيه اتباعا لهم وتقليدا . ثانيها أن يعرفه كما عرفه الواضعون بمآخذه ودلائله بحيث يكون له فيه رأي وحكم لا يبالي فيه وافق الواضعين أو خالفهم وانما يتحرى فيه مايراه صوابا . ثالثها أن يعرفه ليستعمله فيما وضع له ويجعله وسيلة العمل . وهذا الأخير يجتمع مع كل من الأول والثاني وقد يوجدان بدونه و يوجد ألوف من الصنف المعروف عندنا بصنف العلماء قرؤا الفنون العربية والشرعية و بعض العقلية بالقصد الأول ووجد كثيرون قرأوها بالقصد الثاني وما كان المحصلون لثمراتها من الآخرين فضلا عن الأولين الا الأقلين فكم من عالم بمسائل النحو البلاغة واسع الاطلاع لم يصلح لسانه ولا قلمه فهو عاجز عن الاتيان بالكلام الصحيح ، بله البليغ الفصيح ، وكم من عالم بأحكام الحلال والحرام ، والفضائل والرذائل ، فاسد الاخلاق ، مرتكب للمحرمات ، وكم من عالم بقوانين المنطق يعجز عن تحديد حقيقية ، واقامة البرهان على عقيدة ، وكم من بارع بصناعة الحجة ، نحرير في علم الكلام ، وهو فاسد الاعتقاد ، أومنطو على الالحاد ، وان لنا في سيرة حجة الاسلام ، أكبر حجة على هؤلاء الاقوام ،

وكان الطلبة يستفيدون منه ويدرس لهم ويرشدهم ويجتهد في نفسه .
وبلغ الأمر به الى أن أخذ في التصنيف . وكان الامام مع علو درجته وسمو عبارته وسرعة جريه في النطق والكلام لا يصفي نظره الى الغزالي سرًّا لإبراز ربائه عليه في سرعة العبارة وقوة الطبع ، ولا يطيب له تصديه للتصانيف وان كان متخرجا به منتسبا اليه كما لا يخفي من طبع البشر ولكنه يظهر التبجح به والاعتداد بمكانه ظاهرا خلاف ما يضمره .

« ثم بقي كذلك الى انقضاء أيام الامام فخرج من نيسابور وصار الى العسكر واحتل من مجلس نظام الملك محل القبول وأقبل عليه الصاحب لعلو درجته ، وظهور اسمه وحسن مناظرته ، وجري عبارته ، وكانت تلك الحضرة محط رحال العلماء ، ومقصد الأئمة والفصحاء ، فوقعت للغزالي اتفاقات حسنة من الاحتكاك بالأئمة وملاقاة الخصوم اللد ، ومناظرة الفحول ، ومناقدة الكبار ، وظهر اسمه في الآفاق ، وارتفق بذلك أكمل الارتفاق ، حتى أدت الحال به الى أن رسم للمصير الى بغداد للقيام بتدريس المدرسة الميمونة النظامية بها فصار اليها وأعجب الكل تدريسه ومناظرته وما لقي مثل نفسه وصار بعد إمامة خراسان إمام العراق

« ثم نظر في علم الأصول وكان قد أحكمها فصنف فيه تصانيف ، وجدد المذهب في الفقه فصنف فيه تصانيف ، وسبك الخلاف فجدد فيه أيضا تصانيف ، وعلت حشمته ودرجته في بغداد حتى كانت تغلب حشمة الأكابر والأمراء ودار الخلافة فانقلب الأمر من وجه الى آخر » اه المراد من كلام عبد الغافر هنا ومنه تعلم أن رياسة العلوم الظاهرة قد انتهت اليه في سن الشباب حتى كان يوصف بحجة الاسلام وإمام أئمة العصر وهو لم يشتغل بالتلقي عن العلماء الا بضع سنين

أقول إنه تخرج في بضع سنين أخذا مما مر من انه لم يطلب العلم من أول سن التمييز بل بعد عجز الوصي عليه وعلى أخيه من النفقة عليهما ، ومن قوله في أول كتابه المنقذ من الضلال « ولم أزل منذ راهقت البلوغ قبل بلوغ العشرين الى الآن — وقد أنافت السن على الخمسين — اقتحم لجة هذا البحر » الخ ما سيأتي . وقد علم من كلام معاصره عبد الغافر ومن كلام غيره من المؤرخين أنه تخرج في عهد أستاذه

المدة » فابتدرت لاجابتك الى مطلبك ، بعد الوقوف على صدق رغبتك ، وقلت مستعينا بالله ومتوكلا عليه ، ومستوفقا منه وملتجئا اليه ،

« اعلموا أحسن الله ارشادكم ، وألان للحق قيادكم ، أن اختلاف الخلق في الأديان والملل ، ثم اختلاف الأمة في المذاهب على كثرة الفرق ، وتباين الطرق ، بحر عميق غرق فيه الأكثرون ، وما نجا منه الا الأقلون ، وكل فريق يزعم انه الناجي و « كل حزب بما لديهم فرحون » وهو الذي وعدنا به سيد المرسلين وهو الصادق المصدوق حيث قال « ستفترق أمتي ثلاثا وسبعين فرقة الناجية منها واحدة » (١) فقد كاد ما وعد أن يكون ،

« ولم أزل من عنفوان شبابي وقد أنافت السن على الخمسين أقتحم لجة هذا البحر العميق اقتحام الجسور ، لاخوض الجبان الحذور ، وأتوغل في كل مظلمة ، وأتهجم على كل مشكلة ، وأتقحم كل ورطه ، وأتفحص عن عقيدة كل فرقة ، وأستكشف أسرار مذهب كل طائفة ، لا ميز بين محق ومبطل ، ومتسنن ومبتدع ، لأغادر باطنيا الا وأحب ان أطلع على بطانته ، ولاظاهريا الاوأريد أن أعلم حاصل ظهارته ، ولا فلسفيا الا وأقصد الوقوف على كنه فلسفته ، ولامتكلما الا وأجتهد في الاطلاع على غاية كلامه ومجادلته ، ولاصوفيا الا وأحرص على العثور على سر صفوته ، ولا متعبدا الا وأترصد مايرجع اليه حاصل عبادته ، ولا زنديقا معطلا الا وأتجسس وراءه للتنبه لاسباب جرأته ، في تعطيله وزندقته ،

« وقد كان التعطش الى حقائق الأمور دأبي وديدني ، من أول أمري ، وريعان عمري ، غريزة وفطرة من الله وضعتا في جبلتي ، لا باختياري وحيلتي ، حتى انحلت عني رابطة التقليد ، وانكسرت على (كذا) العقائد الموروثة ، على قرب عهد بسن الصبا ، اذ رأيت صبيان النصارى لا يكون لهم نشوء الا على التنصر ، وصبيان اليهود لا نشوء لهم الا على التهود ، وصبيان المسلمين لا نشوء لهم الا على الاسلام ، وسمعت الحديث المروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال « كل مولود يولد على فطرة الاسلام فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه »

(١) رواه أحمد وأبو داود والترمذي والحاكم بألفاظ مختلفة

شرع أبو حامد في طلب العلم على طريقة أهل المقصد الأول أعني المقلدين فأرشده رئيس العيارين الذين نهبوه منصَرفَه من جرجان الى الطريقة الثانية طريقة الاستقلال فلم يلبث أن صار اماما في زمن قصير لأن المستقل بنظاره يحصل في سنة ما لا يحصله المقلد الذي يأخذ كل ما يلقي اليه بالتسليم في سنين كثيرة. وما كل أحد كالغزالي ترشده كلمة يلفظها قاطع الطريق الى مثل هذه الحقيقة التي يجهلها أكثر المشتغلين بالعلم. وانما يسترشد الناس بالحكمة على قدر استعدادهم وكان استعداد الغزالي في الذروة العليا وقد يقرأ سيرته هذه بطولها وتفاصيلها كثيرون من طلاب العلم في الأزهر وغيره ثم لا يخرجون من ظلمات التقليد الى نور الاستقلال لضعف استعدادهم

لم يرض أبو حامد من العلم بالمقصد الثاني الذي لا يعلو به صاحبه عن مرتبة الصناع بل حاول في كل علم قرأه الوصول الى غايته، والتحقق بحقيقته، فكما كان بالعلوم العربية كاتبا بليغا وخطيبا مفوها وبعلوم الكلام والفقه والخلاف حجة على الخصم وركنا للمذهب، أراد أن يكون هو في نفسه على يقين من كل مايعتقد وان يكون عمله ثمرة علمه، فربى نفسه لذلك تربية خاصة ومثل هذا لا يأتي بمعرفة المسائل والدلائل فقط بل لا بد فيه من التربية والمجاهدة وهاك ما كتبه عن نفسه في ذلك ملخصا من كتابه (المنقذ من الضلال) قال بعد البسملة والحمدلة والتصلية

« أما بعد فقد سألتني أيها الأخ في الدين أن أبث اليك غاية العلوم وأسرارها، وغائلة المذاهب وأغوارها، وأحكي لك ما قاسيته في استخلاص الحق من بين اضطراب الفرق، مع تباين المذاهب والطرق، وما استجرأت عليه من الارتفاع عن حضيض التقليد الى يفاع الاستبصار، وما استفدته أولا من علم الكلام، وما احتويته ثانيا من طرق أهل التعليم القاصرين لدرك الحق على تقليد الامام وما ازدريته ثالثا من طرق التفلسف، وما ارتضيته آخرا من طريقة التصوف، وما انجلى لي في تضاعيف تفتيشي عن أقاويل الخلق، من لباب الحق، وما صرفني عن نشر العلم ببغداد مع كثرة الطلبة، وما دعاني الى معاودتي بنيسابور بعد طول

أنه يتحرك وانه لم يتحرك بغتة ودفعة بل على التدريج ذرة ذرة حتى لم تكن له حالة وقوف . وتنظر الى الكوكب فتراه صغيرا في مقدار دينار ثم الأدلة الهندسية تدل على أنه أكبر من الأرض في المقدار

« هذا وأمثاله من المحسوسات يحكم فيها حاكم الحس بأحكامه ويكذبه حاكم العقل ويخونه تكذيباً لاسبيل الى مدافعته . فقلت قد بطلت الثقة بالمحسوسات أيضا فلعله لاثقة الا بالعقليات التي هي من الأوليات كقولنا العشرة أكثر من الثلاثة ، والنفي والاثبات لا يجتمعان في الشيء الواحد ، والشيء الواحد لا يكون حادثا وقديما موجودا معدوما واجبا محالا

« فقالت المحسوسات : بم تأمن أن تكون ثقتك بالعقليات كثقتك بالمحسوسات وقد كنت واثقا بي فجاء حاكم العقل فكذبني ولولا حاكم العقل لكنت تستمر على تصديقي ، فلعل وراء ادراك العقل حاكما آخر اذا تجلى كذب العقل في حكمه كما تجلى حاكم العقل فكذب الحس في حكمه ، وعدم تجلي ذلك الادراك لا يدل على استحالته : فتوقفت النفس في جواب ذلك قليلا وأيدت اشكالها بالمنام وقالت: اما تراك تعتقد في النوم أمورا وتتخيل أحوالا وتعتقد لها ثباتا واستقرارا ولا تشك في تلك الحالة فيها ثم تستيقظ فتعلم انه لم يكن لجميع متخيلاتك ومعتقداتك أصل وطائل فبم تأمن أن يكون جميع ما تعتقده في يقظتك بحس أو عقل هو حق بالاضافة الى حالتك . لكن يمكن أن تطرأ عليك حالة تكون نسبتها الى يقظتك كنسبة يقظتك الى منامك وتكون يقظتك نوما بالاضافة اليها فاذا وردت تلك الحالة تيقنت أن جميع ما توهمت بعقلك خيالات لاحاصل لها أولعل تلك الحالة ما يدعيها الصوفية انها حالتهم اذ يزعمون أنهم يشاهدون في أحوالهم اذا غاصوا في أنفسهم وغابوا عن حواسهم أحوالا لا توافق هذه المعقولات ولعل تلك الحالة هي الموت إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا » (*) فلعل الحياة الدنيا نوم بالاضافة الى الآخرة فاذا مات المرء ظهرت له الأشياء

(*) قال في الدرر المنتثرة هو من كلام علي رضي الله عنه

فتحرك باطني الى طلب حقيقة الفطرة الاصلية ، وحقيقة العقائد العارضة بتقليد الوالدين والاستاذين ، والتمييز بين هذه التقليدات ، وأوائلها تلقينات ، وفي تمييز الحق منها عن الباطل اختلافات »

« فقلت في نفسي أولا انما مطلوبي العلم بحقائق الأمور فلا بد من طلب العلم بحقائق الأمور فلا بد من طلب حقيقة العلم ماهي فظهر لي ان العلم اليقيني هو الذي ينكشف فيه المعلوم انكشافا لا يبقى معه ريب ولا يقارنه امكان الغلط والوهم ولا يتسع القلب لتقدير ذلك بل الامان من الخطأ ينبغي أن يكون مقارنا لليقين مقارنة لو تحدى باظهار بطلانه مثلا من يقلب الحجر ذهبا والحية ثعبانا ، لم يورث ذلك شكا وإنكارا ، فاني اذا علمت أن العشرة أكثر من الثلاثة فقال لي قائل « لا بل الثلاثة أكثر بدليل أني أقلب هذه العصا ثعبانا » وشاهدت ذلك منه لم أشك بسببه في معرفتي ولم يحصل لي منه الا التعجب من كيفية قدرته عليه فأما الشك فيما علمته فلا . ثم علمت أن كل مالا أعلمه على هذا الوجه ، ولا أتيقنه هذا النوع من اليقين ، فهو علم لا ثقة به ولا أمان معه ، فليس لعلم يقيني

(القول في مداخل السفسطة وجحد العلوم)

« ثم فتشت عن علومي فوجدت نفسي عاطلا من علم موصوف بهذه الصفة الا في الحسيات والضروريات فقلت الآن بعد حصول اليأس لا مطمع في اقتباس المشكلات الا من الجليات وهي الحسيات والضروريات فلا بد من إحكامها أولا لأتبين أن ثقتي بالمحسوسات وأماني من الغلط في الضروريات من جنس أماني الذي كان من قبل في التقليديات ومن جنس أمان أكثر الخلق في النظريات أم هو أمان محقق لا غدر فيه ولا غاية له ؟ فأقبلت بجد بليغ أتأمل في المحسوسات والضروريات وأنظر هل يمكنني ان أشكك نفسي فيها فانتهى بي طول التشكك الى أن لم تسمح نفسي بتسليم الامان في المحسوسات أيضا وأخذ يتسع هذا الشك فيها ويقول من أين الثقة بالمحسوسات وأقواها حاسة البصر وهي تنظر الى الظل فتراه واقفا غير متحرك وتحكم بنفي الحركة ثم بالتجربة والمشاهدة بعد ساعة تعرف

الى طلب مالا يطلب فان الاوليات ليست مطلوبة فانها حاضرة والحاضر اذا طلب فقد واختفى ومن طلب مالا يطلب فلايتهم بالتقصير في طلب مايطلب

(القول في أصناف الطالبين)

« ولما شفاني الله تعالى من هذا المرض (أي مرض السفسطة) بفضله وسعة جوده انحصرت أصناف الطالبين (أي للحق في الاعتقاد) في أربع فرق المتكلمون وهم يدعون انهم أهل الرأي والنظر ، والباطنية وهم يزعمون انهم أصحاب التعليم والمخصوصون بالاقتباس من الامام المعصوم ، والفلاسفة وهم يزعمون انهم أصحاب المنطق والبرهان ، والصوفية وهم يدعون أنهم خواص الحضرة وأهل المشاهدة والمكاشفة . فقلت في نفسي الحق لا يعدو أصحاب هذه الأصناف الاربعة فهؤلاء هم السالكون سبل طلب الحق فان شذ الحق عنهم فلا يبقى في درك الحق مطمع اذلا مطمع في الرجوع الى التقليد بعد مفارقته إذ من شرط المقلد أن لايعلم أنه مقلد فاذا علم ذلك انكسرت زجاجة تقليده وهو شعب لايرأب وشعث لايلم بالتلفيق والتأليف إلا أن يذاب بالنار ويستأنف لها صنعة أخرى مستجدة . فابتدرت لسلوك هذه الطرق ، واستقصاء ماعند هذه الفرق ، مبتدئا بعلم الكلام ، ومثنياً بطريق الفلسفة ، ومثلثا بتعليمات الباطنية ، ومربعا بطريق الصوفية ، »

هذا ما كتبه الامام الغزالي عن نفسه بعد ان تلقى ما شاء الله من العلم بطريق التقليد زمنا وبطريق الاستقلال زمنا آخر . وقد ذكر بعد ماتقدم فصلا في مقصود علم الكلام وانه حصله وعقله وطالع كتب المحققين فيه وصنف فيه ماشاء أن يصنف قال فصادفته علما وافيا بمقصوده غير واف بمقصودي : وبين أن مقصود علم الكلام حفظ عقيدة أهل السنة وحراستها عن تشويش أهل البدعة وان المتكلمين اعتمدوا على مقدمات تسلموها من خصومهم والجؤهم الى التسليم بها وهي التقليد أو الاجماع أو مجرد القبول من القرآن أو الاخبار . قال « وكان أكثر خوضهم في استخراج مناقضات الخصوم ومؤاخذتهم بلوازم مسلماتهم وهذا

على خلاف ما شاهده الآن و يقال له عند ذلك (٥٠: ٢٢ فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد)

« فلما خطرت هذه الخواطر انقدحت في النفس تحاولت لذلك علاجا فلم يتيسر اذ لم يكن دفعه الا بالدليل ولم يمكن نصب دليل الا من تركيب العلوم الأولية فاذا لم تكن مسلمة لم يمكن تركيب الدليل فأعضل هذا الداء ودام قريبا من شهرين أنا فيهما على مذهب السفسطة بحكم الحال، لا بحكم النطق والمقال، حتى شفى الله تعالى من ذلك المرض وعادت النفس الى الصحة والاعتدال و رجعت الضروريات العقلية مقبولة موثوقا بها على أمن و يقين ولم يكن ذلك بنظم دليل وترتيب كلام بل بنور قذفه الله تعالى في الصدر وذلك النور (١) هو مفتاح أكثر المعارف فمن ظن أن الكشف موقوف على الأدلة المجردة فقد ضيق رحمة الله الواسعة ولما سئل رسول الله عليه السلام عن الشرح ومعناه في قوله تعالى (٣٩: ٢٢ أفمن شرح الله صدره للاسلام) قال « هو نور يقذفه الله تعالى في القلب » فقيل وما علامته فقال « التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود » (٢) وهو الذي قال عليه السلام فيه « ان الله تعالى خلق الخلق في ظلمة ثم رش عليهم من نوره » (٣) فمن ذلك النور ينبجس من الجود الالهي في بعض الأحايين ويجب الترصد له كما قال عليه السلام « ان لربكم في أيام دهركم نفحات الا فتعرضوا لها » (٤)

« والمقصود من هذه الحكايات أن يعمل كمال الجد في الطلب حتى ينتهي

---

(١) سنتكلم عن هذا النور في موضع آخر بما يزيده تألقا (٢) رواه الحاكم والبيهقي في الشعب وابن مردويه من حديث ابن مسعود بلفظ آخر في أوله وهو انهم سألوه (ص) عند تلاوة الآية كيف انشراح الصدر فقال « اذا دخل النور القلب انشرح له وانفسح » قالوا فما علامة ذلك يارسول الله فقال « الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور » وهو في الظاهر خلاف الآية فافهم

(٣) رواه احمد والترمذي والحاكم من حديث عبد الله بن عمرو وعلم له في الجامع الصغير بالصحة وتتمته « فمن أصابه ذلك النور يومئذ اهتدى ومن أخطأه ضل »

(٤) رواه الطبراني عن ابن عباس بسند ضعيف

وأردده واتفقد غوائله وأغواره حتى اطلعت على ما فيه من خداع وتلبيس وتحقيق وتخييل اطلاعا لم أشك فيه »

ثم ذكر أصناف الفلاسفة وأنواع علومهم من رياضيات ومنطقيات وطبيعيات والهيات وسياسيات وخلقيات وبين رأيه فيها وسنذكره . وانتقل من ذلك الى الكلام في مذهب الباطنية

مذهب التعليم وغائلته

قال « ثم اني لما فرغت من علم الفلسفة وتحصيله وتفهيمه وتزييف ما زيف منه علمت ان ذلك أيضاً غير واف بكمال الغرض وان العقل ليس مستقلا بالاحاطة بجميع المطالب ولا كاشفا للغطاء عن جميع المعضلات وكان قد نبغت نابتة التعليمية وشاع بين الخلق تحديثهم بمعرفة معنى الأمور من جهة الامام المعصوم القائم بالحق، عن لي أن أبحث عن مقالتهم لأطلع على ما في كتبهم . ثم اتفق أن ورد علي أمر جازم من حضرة الخلافة بتصنيف كتاب يكشف عن حقيقة مذهبهم فلم يسعني مدافعته وصار ذلك مستحثا من خارج ضميمة للباعث الأصلي من الباطن

« فابتدأت بطلب كتبهم وجمع مقالاتهم وكان قد بلغني كلماتهم المستحدثة التي ولدتها خواطر أهل العصر لا على المنهاج المعهود من سلفهم فجمعت تلك الكلمات ورتبتها ترتيبا محكما مقارنا للتحقيق واستوفيت الجواب عنها حتى أنكر بعض أهل الحق مني مبالغتي في تقرير حجتهم وقال: هذا سعي لهم فانهم كانوا يعجزون عن نصرة مذهبهم لمثل هذه الشبهات لولا تحقيقك لها وترتيبك إياها : وهذا الانكار من وجه حق فلقد أنكر أحمد بن حنبل على الحارث المحاسبي تصنيفه في الرد على المعتزلة فقال الحارث الرد على البدعة فرض: فقال أحمد نعم ولكن حكيت شبهتهم أولا ثم أجبت عنها فلم تأمن ان يطالع الشبهة من تعلق بفهمه ولا يلتفت الى الجواب ولا يفهم كنهه : وما ذكره أحمد حق ولكن في شبهة لم تنتشر ولم تشتهر . اما اذا انتشرت فالجواب عنها واجب ولا يمكن الجواب الا بعد الحكاية . نعم ينبغي أن لا يتكلف لهم شبهة لم تتكلف . ولم أتكلف انا ذلك بل كنت قد سمعت

قليل النفع في جنب من لا يسلم سوى الضروريات شيئاً أصلا فلم يكن الكلام في حقي كافيا ، ولا لدائي الذي كنت أشكوه شافيا ، نعم لما نشأت صنعة الكلام وكثر الخوض فيه وطالت المدة تشوف المتكلمون الى مجاوزة الذب عن السنة بالبحث عن حقائق الأمور وخاضوا في البحث عن الجواهر والاعراض وأحكامها ولكن لما لم يكن ذلك مقصود علمهم لم يبلغ كلامهم فيه الغاية القصوى فلم يحصل منه ما يمحو بالكلية ظلمات الحيرة في اختلافات الخلق ولا أبعد أن يكون حصل ذلك لغيري بل لست أشك في حصول ذلك لطائفة ولكن حصولا مشوبا بالتقليد في بعض الأمور التي ليست من الاوليات . والغرض الآن حكاية حالي لا الانكار على من استشفى به فان أدوية الشفاء تختلف باختلاف الداء وكم من دواء ينتفع به مريض ويستضر به آخر » اه

القول في الفلسفة

ثم تكلم عن الفلسفة وما يذم منها ويكفر منتحله وما ليس كذلك قال « ثم إني ابتدأت بعد الفراغ من علم الكلام بعلم الفلسفة وعلمت يقيناً انه لا يقف على فساد نوع من العلوم من لا يقف على منتهى ذلك العلم حتى يساوي أعلمهم في أصل العلم ثم يزيد عليه ويجاوز درجته فيطلع على ما لم يطلع عليه صاحب العلم من غور وغائلة فاذ ذاك يمكن أن يكون ما يدعيه من فساده حقاً ولم أر أحداً من علماء الاسلام صرف عنايته وهمته الى ذلك ولم يكن في كتب المتكلمين من كلامهم حيث اشتغلوا بالرد عليهم الا كلمات معقدة مبددة ظاهرة التناقض والفساد لا يظن الاغترار بها بغافل عامي فضلا عمن يدعي دقائق العلوم فعلمت أن رد المذهب قبل فهمه والاطلاع على كنهه رمي في عماية

« فشمرت عن ساق الجد في تحصيل ذلك العلم من الكتب بمجرد المطالعة من غير استعانة باستاذ وأقبلت على ذلك في أوقات فراغي من التصنيف والتدريس في العلوم الشرعية وأنا ممنو بالتدريس والافادة لثلاث مئة نفر من الطلبة ببغداد فأطلعني الله سبحانه بمجرد المطالعة في هذه الاوقات المختلسة على منتهى علومهم في أقل من سنتين ثم لم أزل أواظب على التفكر فيه بعد فهمه قريباً من سنة أعاوده

الا ما لا سبيل اليه بالسماع والتعلم بل بالذوق والسلوك وكان قد حصل معي من العلوم التي مارستها والمسالك التي سلكتها فى التفتيش عن صنفي العلوم الشرعية والعقلية ايمان يقيني بالله تعالى و بالنبوة و باليوم الآخر فهذه الاصول الثلاثة من الايمان كانت رسخت في نفسي لا بدليل معين مجرد بل بأسباب وقرائن وتجاريب لا تدخل تحت الحصر تفاصيلها وكان قد ظهر عندي انه لا مطمع لي في سعادة الآخرة الا بالتقوى وكف النفس عن الهوى وان رأس ذلك كله قطع علاقة القلب عن الدنيا بالتجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاقبال بكنه الهمة على الله تعالى وان ذلك لا يتم الا بالاعراض عن الجاه والمال والهرب عن الشواغل والعلائق

ثم لاحظت أحوالي فاذا أنا منغمس فى العلائق وقد أحدقت بي من الجوانب ولاحظت أعمالي وأحسنها التدريس والتعليم فاذا أنا فيها مقبل على علوم غير مهمة ولا نافعة فى طريق الآخرة ثم تفكرت في نيتي في التدريس فاذا هي غير خالصة لوجه الله تعالى بل باعثها ومحركها طلب الجاه وانتشار الصيت فتيقنت اني على شفا جرف هار واني قد أشفيت على النار ان لم اشتغل بتلافي الاحوال فلم أزل أتفكر فيه مدة وأنا بعد على مقام الاختيار أصمم العزم على الخروج من بغداد ومفارقة تلك الأحوال يوما وأحل العزم يوما وأقدم فيه رجلا وأؤخر عنه أخرى لا تصدق لي رغبة في طلب الآخرة بكرة الا ويحمل عليها جند الشهوة حملة فيفترها عشية فصارت شهوات الدنيا تجاذبني بسلاسلها الى المقام ومنادي الايمان ينادي: الرحيل الرحيل، فلم يبق من العمر الا قليل، و بين يديك السفر الطويل، وجميع ما أنت فيه من العمل والعلم رياء وتخييل، فان لم تستعد الآن للآخرة فمتى تستعد، وان لم تقطع الآن فمتى تقطع: فبعد ذلك تنبعث الداعية وينجزم العزم على الهرب والفرار ثم يعود الشيطان و يقول هذه حالة عارضة واياك ان تطاوعها فانها سريعة الزوال وان أذعنت لها وتركت هذا الجاه العريض والشان المنظوم الخالي عن التكدير والتنغيص والامر المسلم الصافي عن منازعة الخصوم ربما ألفت اليه نفسك ولا يتيسر لك المعاودة فلم أزل أتردد بين تجاذب شهوات الدنيا ودواعي الآخرة قريبا من ستة أشهر أولها رجب سنة ثمان وثمانين

تلك الشبهة من واحد من أصحابي المختلفين الي بعد ان كان قد التحق بهم وانتحل مذهبهم وحكى انهم يضحكون على تصانيف المصنفين في الرد عليهم فانهم لم يفهموا بعد حجتهم فلذلك أوردتها لئلا يظن بي أني وإن سمعتها لم أفهمها فلذلك قررتها ». والمقصود اني قررت شبهتهم الى أقصى الامكان ثم أظهرت فسادها » ثم بين ذلك ملخصاً في عدة صفحات وليس بيان ذلك من مقصدنا انما المقصد سيرة هذا الإمام وبيان كيفية تربيته لنفسه وثمرة ذلك فيها وفيما قصد اليه من الإصلاح

القول في طريق الصوفية

«ثم اني لما فرغت من هذه العلوم أقبلت بهمتي على طريق الصوفية وعلمت أن طريقتهم انما تتم بعلم وعمل وكان حاصل علمهم قطع عقبات النفس والتنزه عن اخلاقها المذمومة وصفاتها الخبيثة حتى يتوصل بها الى تخلية القلب عن غير الله تعالى وتحليته بذكر الله وكان العلم أيسر علي من العمل فابتدأت بتحصيل علمهم من مطالعة كتبهم مثل قوت القلوب لأبي طالب المكي رحمه الله وكتب الحارث المحاسبي والمتفرقات المأثورة عن الجنيد والشبلي وأبي يزيد البسطامي وغير ذلك من كلام مشايخهم حتى اطلعت على كنه مقاصدهم العلمية وحصلت ما يمكن أن يحصل من طريقتهم بالتعلم والسماع وظهرلي ان أخص خواصهم مالم يمكن الوصول اليه بالتعلم بل بالذوق والحال وتبدل الصفات فكم من الفرق بين أن يعلم حد الصحة وحد الشبع وأسبابهما وشروطهما وبين أن يكون صحيحاً وشبعان وبين أن يعرف حد السكر وانه عبارة عن حالة تحصل من استيلاء أبخرة تتصاعد من المعدة على معادن الفكر وبين أن يكون سكران بل السكران لا يعرف حد السكر وعلمه وهو سكران وما معه من علمه شيء والصاحي يعرف حد السكر وأركانه وما معه من السكر شيء والطبيب في حالة المرض يعرف حد الصحة وأسبابها وأدويتها وهو فاقد الصحة فكذلك فرق بين أن تعرف حقيقة الزهد وشروطها وأسبابها وبين أن يكون حالك الزهد وعزوف النفس عن الدنيا فعلمت يقيناً انهم أرباب أحوال لا اصحاب أقوال وان ما يمكن تحصيله بطريق العلم قد حصلته ولم يبق

بابها على نفسي ثم تحركت فيّ داعية فريضة الحج والاستمداد من بركات مكة والمدينة وزيارة رسول الله تعالى عليه السلام بعد الفراغ من زيارة الخليل صلوات الله عليه فسرت الى الحجاز

« ثم جذبتني الهمم ودعوات الاطفال الى الوطن فعاودته بعد ان كنت أبعد الخلق عن الرجوع اليه وآثرت العزلة أيضاً حرصاعلى الخلوة وتصفية القلب للذكر وكانت حوادث الزمان ومهمات العيال وضرورات المعاش تغير في وجه المراد وتشوش صفوة الخلوة وكان لا يصفو الحال الا في أوقات متفرقة لكني مع ذلك لا أقطع طمعي منها فتدفعني عنها العوائق وأعود اليها »

ودمت على ذلك مقدار عشر سنين وانكشف لي في أثناء هذه الخلوات أمور لا يمكن إحصاؤها واستقصاؤها والقدر الذي أذكره لينتفع به اني علمت يقيناً أن الصوفية هم السالكون لطريق الله تعالى خاصة وان سيرتهم أحسن السير وطريقهم أصوب الطرق وأخلاقهم أزكى الاخلاق بل لو جمع عقل العقلاء وحكم الحكماء وعلم الواقفين على أسرار الشرع من العلماء ليغيروا شيئاً من سيرهم وأخلاقهم ويبدلوه بما هو خير منه لم يجدوا اليه سبيلا وان جميع حركاتهم وسكناتهم في ظاهرهم وباطنهم مقتبسة من نور مشكاة النبوة وليس وراء نور النبوة على وجه الارض نور يستضاء به وبالجملة فماذا يقول القائلون في طريقة طهارتها وهي أول شروطها تطهير القلب بالكلية عما سوى الله تعالى ومفتاحها الجاري منها مجرى التحريم من الصلاة استغراق القلب بالكلية بذكر الله وآخرها الفناء بالكلية في الله وهذا آخرها بالاضافة الى ما يكاد يدخل تحت الاختيار والكسب من أوائلها وهي على التحقيق أول الطريقة وماقبل ذلك كالدهليز للسالك اليه ومن أول الطريقة تبتدئ المكاشفات والمشاهدات حتى انهم في يقظتهم يشاهدون الملائكة وأرواح الانبياء ويسمعون منهم أصواتا ويقتبسون منهم فوائد ثم يترقى الحال من مشاهدة الصور والامثال الى درجات يضيق عنها نطاق النطق ولا يحاول معبر أن يعبر عنها الا اشتمل لفظه على خطأ صريح لا يمكنه الاحتراز عنه وعلى الجملة ينتهي الامر الى قرب يكاد يتخيل منه طائفة الحلول وطائفة الاتحاد وطائفة الوصول وكل

وأربع مئة وفي هذا الشهر جاوز الامر حد الاختيار الى الاضطرار اذ قفل الله على لساني حتى اعتقل عن التدريس فكنت أجاهد نفسي أن أدرس يوما واحدا تطييباً لقلوب المختلفة وكان لا ينطق لساني بكلمة ولا أستطيعها ألبتة ثم أورثت هذه العقلة في اللسان حزنا في القلب بطل معه قوة الهضم ومرء الطعام والشراب فكان لا ينساغ لي شربة ولا تنهضم لقمة وتعدى الى ضعف القوى حتى قطع الاطباء طمعهم عن العلاج وقالوا: هذا أمر نزل بالقلب ومنه سرى الى المزاج فلا سبيل اليه بالعلاج الا بأن يتروح السر عن الهم الملم: ثم لما أحسست بعجزي وسقط بالكلية اختياري التجأت الى الله تعالى التجاء المضطر الذي لا حيلة له فأجابني الذي يجيب المضطر اذا دعاه وسهل على قلبي الاعراض عن الجاه والمال والاهل والولد والأصحاب وأظهرت عزم الخروج الى مكة وأنا أوري في نفسي سفر الشام حذرا من أن يطلع الخليفة وجملة الأصحاب على عزمي في المقام بالشام فتلطفت بلطائف الحيل في الخروج من بغداد على عزم أن لا أعاودها أبدا واستهدفت لأئمة أهل العراق كافة اذ لم يكن فيهم من يجوز أن يكون الاعراض عما كنت فيه سببا دينيا اذ ظنوا أن ذلك هو المنصب الاعلى في الدين وكان ذلك مبلغهم من العلم ثم ارتبك الناس في الاستنباطات وظن من بعد عن العراق ان ذلك كان لاستشعار من جهة الولاة وأما من قرب من الولاة فكان يشاهد إلحاحهم في التعلق بي والانكار علي واعراضي عنهم وعن الالتفات الى قولهم فيقولون هذا أمر سماوي وليس له سبب الا عين أصابت أهل الاسلام وزمرة العلم

« ففارقت بغداد وفرقت ما كان معي من المال ولم أدخر الا قدر الكفاف وقوت الأطفال ترخصا بأن مال العراق مرصد للمصالح لكونه وقفاً على المسلمين فلم أر في العالم ما يأخذه العالم لعياله أصلح منه ثم دخلت الشام وأقمت به قريباً من سنتين لا شغل لي الا العزلة والخلوة والرياضة والمجاهدة اشتغالا بتزكية النفس وتهذيب الاخلاق وتصفية القلب لذكر الله تعالى كما كنت حصلته من علم الصوفية فكنت أعتكف مدة في مسجد دمشق اصعد منارة المسجد طول النهار واغلق بابها على نفسي ثم دخلت منها الى بيت المقدس ادخل كل يوم الصخرة وأغلق

آثارة من التاريخ

﴿ بغداد في القرن السادس ﴾

﴿ ومجلس شيخا الشافعية والحنابلة رضي الدين القزويني وابن الجوزي ﴾

قال الكاتب الأديب أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير الكناني الاندلسي البلنسي في رحلته الشهيرة في الفصل الذي أنشأه للكلام عن بغداد :

« هذه المدينة العتيقة وان لم تزل حضرة الخلافة العباسية ، ومثابة الدعوة الامامية القرشية الهاشمية ، قد ذهب أكثر رسمها ، ولم يبق منها الا شهير اسمها ، وهي بالاضافة الى ما كانت عليه قبل إنحاء الحوادث عليها ، والتفات أعين النوائب اليها ، كالطلل الدارس ، والأثر الطامس ، أو تمثال الخيال الشاخص ، فلاحسن فيها يستوقف البصر ، ويستدعي من المستوفز الغفلة والنظر ، الا دجلتها التي هي بين شرقيها وغربيها منها كالمرآة المجلوّة بين صفحتين ، أو العقد المنتظم بين لبتين ، فهي تردها ولا تظمأ ، وتتطلع منها في مرآة صقيلة لا تصدأ ، والحسن الحريمي بين هوائها ومائها ينشأ ، هي من ذلك على شهرة في البلاد معروفة موصوفة ، ففتن لهوى منها الا أن يعصم الله مخوفة ،

« وأما أهلها فلا تكاد تلقى منهم الامن يتصنع بالتواضع رياء ، ويذهب بنفسه عجباً وكبرياء ، يزدرون الغرباء ، ويظهرون لمن دونهم الانفة والاباء ، ويستصغرون عمن سواهم الأحاديث والانباء ، قد تصور كل منهم في معتقده وخلده ، ان الوجود كله يصغر بالاضافة لبلده ، فهم لا يستكرمون في معمور البسيطة مثوى غير مثواهم ، كأنهم لا يعتقدون أن لله بلادا أوعبادا سواهم ، يسحبون أذيالهم أشرا وبطرا ، ولا يغيرون في ذات الله منكرا ، يظنون أن أسنى الفخار ، في سحب الازار ، ولا يعلمون أن فضله بمقتضي الحديث المأثور في النار ، يتبايعون بينهم بالذهب قرضا ، وما منهم من يحسن لله فرضا ، فلا نفقة فيها الا من دينار تقرضه ، وعلى يدي مخسر الميزان تعرضه ، لا تكاد تظفر من خواص أهلها بالورع العفيف ، ولا تقع من أهل موازينها ومكاييلها الاعلى من ثبت له

ذلك خطاء وقد بينا وجه الخطأ فيه في كتاب المقصد الاقصى بل الذي لابسته تلك الحالة لا ينبغي أن يزيد على أن يقول (شعر)

وكان ما كان مما است أذكره * فظن خيرا ولا تسأل عن الخبر

و بالجملة فمن لم يرزق منه شيئا بالذوق فليس يدرك من حقيقة النبوة الا الاسم وكرامات الأولياء على التحقيق بدايات الانبياء وكان ذلك أول حال رسول الله عليه السلام حين أقبل الى جبل حراء حين كان يخلو فيه بربه و يتعبد حتى قالت العرب أن محمدا عشق ربه وهذه حالة يتحققها بالذوق من يسلك سبيلها فمن لم يرزق الذوق فيتيقنها بالتجربة والتسامع إن أكثر معهم الصحبة حتى يفهم ذلك بقرائن الأحوال يقينا فمن جالسهم استفاد منهم هذا الايمان فهم القوم لا يشقى جليسهم ومن لم يرزق صحبتهم فيعلم امكان ذلك يقينا بشواهد البراهين على ماذكرناه في كتاب عجائب القلب من كتب احياء علوم الدين والتحقيق بالبرهان علم وملابسة عين تلك الحالة ذوق والقبول من التسامع والتجربة بحسن الظن ايمان فهذه ثلاث درجات (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) ووراء هؤلاء قوم جهال هم المنكرون لاصل ذلك المتعجبون من هذا الكلام يستمعون و يسخرون و يقولون العجب انهم كيف يهذون وفيهم قال الله تعالى (٤٧ :١٦ ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفا أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم) اه المراد من كلامه

أقول هذا ما رأينا أن نبين به كيفية نشأة هذا الامام وطلبه للعلم وتربيته لنفسه واننا نحكي فيما يلي ذلك أثر هذا التعليم والتربية وما استقر عليه رأي الرجل في العلم والدين (لها بقية)

إرسال عبرتها فيه النفس المستكينه ، ولا سيما آخر مجلسه فانه سرت حميا وعظه الى النفوس حتى أطارتها خشوعا ، وفجرتها دموعا ، و بادر التائبون اليه سقوطا على يده ووقوعا ، فكم من ناصية جز ، (١) وكم مفصل من مفاصل التائبين طبق بالموعظة وحز ، فبمثل مقام هذا الشيخ المبارك ترحم العصاة ، وتتغمد الجناة ، وتستدام العصمة والنجاه ، والله تعالى يجازي كل ذي مقام عن مقامه ، و يتغمد ببركة العلماء الأولياء عباده العاصين من سخطه وانتقامه ، برحمته وكرمه انه المنعم الكريم لارب سواه ، ولا معبود إلا إياه ،

« وشهدنا له مجلساً ثانيا إثر صلاة العصر من يوم الجمعة الثاني عشر من الشهر المذكور وحضر مجلسه ذلك اليوم سيد العلماء الخراسانية ، ورئيس الأئمة الشافعية ، ودخل المدرسة النظامية بهز عظيم وتطريف آماق (٢) تشوقت له النفوس فأخذ الامام المتقدم الذكر في وعظه مسرورا بحضوره ومتجملا به فأتي بأفانين من العلوم على حسب مجلسه المتقدم الذكر . ورئيس العلماء المذكور هو صدر الدين الخجندي المتقدم الذكر في هذا التقييد (٣) المشتهر المآثر والمكارم ، المقدم بين الأكابر والأعاظم ،

« ثم شاهدنا صبيحة يوم السبت بعده مجلس الشيخ الفقيه الامام الاوحد جمال الدين أبي الفضائل بن علي الجوزي بإزاء داره على الشط بالجانب الشرقي وفي آخره على اتصال من قصور الخليفة وبمقربة من باب البصلية آخر أبواب الجانب الشرقي وهو يجلس به كل يوم سبت فشاهدنا مجلس رجل ليس من عمرو ولا زيد ، وفي جوف الفرا كل الصيد ، آية الزمان ، وقرة عين الايمان ، رئيس الحنبلية ، والمخصوص في العلوم بالرتب العلية ، إمام الجماعة ، وفارس حلبة هذه الصناعة ، والمشهور له بالسبق الكريم في البلاغة والبراعه ، مالك أزمة الكلام

---

(١) كان التائب في ذلك العصر يجز ناصيته . وأما حز المفصل الذي بعده فهو مجاز (٢) العبارة غير مفهومة ولعل فيها تحريفًا أو تصحيفا ولا يبعد أن يكون أصل « تطريف » تطريق بالقاف وأن يكون استعملها بمعنى الإطراق . والجخندي بضم الجيم وفتح الخاء (٣) يريد بهذا التقييد كتاب الرحلة

الويل في سورة التطفيف ، لا يبالون في ذلك بعيب ، كأنهم من بقايا مدين قوم النبي شعيب ، فالغريب فيهم معدوم الارفاق ، متضاعف الانفاق ، لا يجد من أهلها الامن يعامله بنفاق ، أو يهش اليه هشاشة انتفع واسترفاق ، كأنهم من التزام هذه الخلة القبيحة على شرط اصطلاح بينهم واتفاق ، فسوء معاشرة أبنائها يغلب على طبع هوائها ومائها ، ويعلل حسن المسموع من أحاديثها وأنبائها

« أستغفر الله الا فقهاءهم المحدثين ، ووعاظهم المذكرين ، لاجرم إن لهم في طريقة الوعظ والتذكير ، ومداومة التنبيه والتبصير ، والمثابرة على الانذار المخوف والتحذير ، مقامات تستنزل لهم من رحمة الله تعالى مايحط كثيرا من أوزارهم ، ويسحب ذيل العفو على سوء آثارهم ، ويمنع القارعة الصماء أن تحل بديارهم ، لكنهم معهم يضربون في حديد بارد ، ويرومون تفجير الجلامد ، فلا يكاد يخلو يوم من أيام جمعاتهم من واعظ يتكلم فيه فالموفق منهم لا يزال في مجالس ذكر أيامه كلها لهم فى ذلك طريقة مباركة ملتزمة

« فأول من شاهدنا مجلسه منهم الشيخ الامام رضي الدين القزويني رئيس الشافعية ، وفقيه المدرسة النظامية ، والمشار اليه بالتقديم في العلوم الأصولية ، حضرنا مجلسه بالمدرسة المذكورة إثر صلاة العصر من يوم الجمعة الخامس لصفر المذكور فصعد المنبر وأخذ القراء أمامه بالقراءة على كراسي موضوعة فتوقوا وشوقوا وأتوا بتلاحين معجبة ، ونغمات محرجة مطربة ، ثم اندفع الشيخ الامام المذكور فخطب خطبة سكون ووقار وتصرف فى أفانين من العلوم من تفسير كتاب الله عزوجل وايراد حديث رسوله صلى الله عليه وسلم والتكلم على معانيه ، ثم رشقته شآبيب المسائل من كل جانب فأجاب وماقصر ، وتقدم وماتأخر ، ودفعت اليه عدة رقاع فيها (١) فجمعها جملة في يده وجعل يجاوب على كل واحدة منها وينبذ بها الى أن فرغ منها وحان المساء فنزل وافترق الجمع . فكان مجلسه مجلس علم ووعظ ووقار هيناً ليناً ظهرت فيها البركة والسكينة ، ولم تقصر عن

(١) كذا في الأصل وفي نسخة الاخرى « منها » ولعل الاصل « فيها مسائل — أو — أسئلة » فسقط لفظ مسائل من الناسخ

«ثم شاهدنا مجلسا له ثانيا له بكرة يوم الخميس الحادي عشر لصفر بباب بدر في ساحة قصور الخليفة ومناظره مشرفة عليه وهذا الموضع المذكور هو من حرم الخليفة وخص بالوصول اليه والتكلم فيه ليسمعه من تلك المناظر الخليفة ووالدته ومن حضر من الحرم . ويفتح الباب للعامة فيدخلون الى ذلك الموضع وقد بسط بالحصر . وجلوسه بهذا الموضع كل (يوم) خميس . فبكرنا لمشاهدته بهذا المجلس المذكور وقعدنا الى أن وصل هذا الحبر المتكلم فصعد المنبر وأرخى طيلسانه عن رأسه تواضعا لحرمة المكان وقد تسطر القراء امامه على كراسي موضوعة فابتدروا القراءة على الترتيب وشوقوا ماشاؤا ، وأطربوا ماأرادوا ، وبادرت العيون بإرسال الدموع، فلما فرغوا من القراءة وقد أحصينا لهم تسع آيات من سور مختلفات، صدع بخطبته الزهراء الغراء وأتى بأوائل الآيات في أثنائها منتظمات ، ومشى الخطبة على فقرة آخر آية منها في الترتيب الى أن أكملها وكانت الآية (٤٠: ٦١ الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا ان الله لذو فضل على الناس) فمادى على هذا السين ، وحسن أي تحسين ، فكان يومه أعجب من أمسه، ثم أخذ في الثناء على الخليفة والدعاء له ولوالدته وكنى عنها بالستر الأشرف ، والجناب الأرأف، ثم سلك سبيله في الوعظ كل ذلك بديهة لاروية . ويصل كلامه في ذلك بالآيات المقروات على النسق مرة أخرى . فأرسلت وابلها العيون، وأبدت النفوس سر شرفها المكنون ، وتطارح الناس عليه بذنوبهم معترفين، وبالتوبة معلنين، وطاشت الالباب والعقول ، وكثر الوله والذهول ، وصارت النفوس لاتملك تحصيلا، ولا تميز معقولا، ولاتجد للصبر سبيلا »

«ثم في أثناء مجلسه ينشد بأشعار من النسيب مبرحة التشويق ، بديعة الترقيق، تشعل القلوب وجدا ، ويعود موضوعها النسيبي زهدا، وكان آخر ماأنشده من ذلك وقد أخذ المجلس مأخذه من الاحترام ، وأصابت المقاتل سهام ذلك الكلام

أين فؤادي اذابه الوجد وأين قلبي فما صحا بعد

ياسعد زدني جوى بذكرهم بالله قل لي فديت ياسعد

ولم يزل يرددها والانفعال قد أثر فيه ، والمدامع تكاد تمنع خروج الكلام

في النظم والنثر، والغائص في بحر فكره على نفائس الدر، فأما نظمه فرضي الطباع، مهياري الانطباع، وأما نثره فيصدع بسحر البيان، ويعطل المثل بقس وسحبان،

«ومن أكبر آياته، وأكبر معجزاته، أنه يصعد المنبر ويبتدئ القراء بالقراءة وعددهم نيف على العشرين قارئا فينتزع الاثنان أو الثلاثة آية من القرآن يتلونها على نسق بتطريب وتشويق فاذا فرغوا تلت طائفة أخرى على عددهم آية ثانية ولا يزالون يتناوبون آيات من سور مختلفات الى أن يتكاملوا قراءة وقد أتوا بآيات متشابهات لا يكاد المتقد الخاطر يحصيها عددا أو يسميها نسقا. فاذا فرغوا أخذ هذا الامام الغريب الشأن في إيراد خطبته عجلا مبتدرا، وأفرغ في أصداف الاسماع من ألفاظه دررا، وانتظم أوائل الآيات المقروآت في أثناء خطبته نقرا، وأتى بها على نسق القراءة لا مقدما ولا مؤخرا، ثم أكمل الخطبة على قافية آخر آية منها. فلو أن أبدع من في مجلسه تكلف تسمية ما قرأ القراء به آية آية على الترتيب لعجز عن ذلك فكيف بمن ينتظمها مرتجلا، ويورد الخطبة الغراء بها عجلا، (أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون * ان هذا لهو الفضل المبين) فحدث ولا حرج عن البحر، وهيهات ليس الخبر عنه كالخبر،

«ثم انه أتى بعد ان فرغ من خطبته برقائق من الوعظ وآيات بينات من الذكر طارت لها القلوب اشتياقا، وذابت بها الانفس احتراقا، الى أن علا الضجيج، وتردد بشهقاته النشيج، وأعلن التائبون بالصياح، وتساقطوا عليه تساقط الفراش على المصباح، كل يلقي ناصيته بيده فيجزها ويمسح على رأسه داعيا له. ومنهم من يغشى عليه، فيرفع في الاذرع اليه، فشاهدنا هولا يملأ النفوس إنابة وندامة، ويذكرها هول يوم القيامة، فلو لم نركب ثبج البحر، ونعتسف مفازات القفر، الا لمشاهدة مجلس من مجالس هذا الرجل لكانت الصفقة الرابحة، والوجهة المفلحة الناجحة، والحمد لله على ان منّ بلقاء من تشهد الجمادات بفضله، ويضيق الوجود عن مثله،

«وفي أثناء مجالسه ذلك يبتدرون المسائل وتطير اليه الرقاع فيجاوب أسرع من طرفة عين. وربما كان أكثر مجلسه الرائق من نتائج تلك المسائل والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء لا إله سواه

النفسي لأتقن ذلك كثيرون

رابعها — أن وعاظ ذلك العصر كانوا يعظون الناس بالكلام الفصيح المشتمل على الاشارات الى الآيات والأحاديث ووقائع التاريخ (وسننشر في المنار نموذجا من وعظ ابن الجوزي) وكان العوام يفهمون كلامهم ويتعظون به وقد سمعت خبر كثرة التائبين في مجالس الوعظ . أما الآن فقد جهلت اللغة حتى انك لتجد أكثر المتعلمين لا يفهمون الكلام البليغ والاساليب العالية حق الفهم فما بالك بالاميين. فوالهفي على تلك القلوب الرقيقة ، والفطر السليمة ، والسير القويمة ، على أن ضعف الفاعل ، قد صار أشد من ضعف القابل ، فالعوام لا يزالون يفهمون بالاجمال من الواعظ المحسن الذي يتحرى السهولة ويراعي درجة استعدادهم ما يتعظون به ويتذكرون ولكن لا نكاد نجد هذا الواعظ في الخاصة لا لسبب الا عدم اهتمامهم بأمر العامة وغيرتهم على الدين . وقد جربنا وعظ العامة وتذكيرها فرأينا من الاستعداد ما نجزم معه بأن إحياء سنة الوعظ تحيي الدنيا وتصلح الاخلاق في زمن قليل

خامسها — ان الخليفة ونساءه كانوا في ذلك العصر يعنون بسماع الوعظ الذي يلقى على العامة مع شدة ما أحدثوا من التحجب الذي كان من أسباب زوال سلطتهم واختلال أمر الامة بكثرة السلاطين المستبدين فأين ذلك من ملوكنا وأمرائنا اليوم وسلطان المغرب الاقصى يعتقد كما يعتقد الجمهور من خاصته انه اذا قرئ تفسير القرآن في بلادهم يموت السلطان !! أفيرجى بقاء مملكة يعتقد خواصها هذه الخرافة وما هي الا واحدة من ألوف من خرافاتهم ، وأما الامراء المتفرنجون ، فلهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون ، وبها مشغولون ، فماذا تقول في نساء الملوك والأمراء وعدم سماعهم شيئا من أمر الدين

وقد يقول قارئ تلك الأثارة ان ابن جبير ذكر من فساد أخلاق أهل بغداد ماذكر ثم ماعتم ان ذكر ان الذين يتوبون منهم في كل مجلس وعظ كثيرون فقد ناقض نفسه . ونجيب عن ذلك بأن الذين كانوا يسمعون الوعظ لم يكونوا كلهم من أهل بغداد نفسها بل كان فيهم كثيرون من الضواحي والقرى القريبة

من فيه ، الى أن خاف الالحام، فابتدر القيام، ونزل عن المنبر دهشاً عجلا، وقد أطار القلوب وجلا ، وترك الناس على أحر من الجمر ، يشيعونه بالمدامع الحمر ، فمن معلن بالانتحاب ، ومن متعفر في التراب ، فياله من مشهد ما اهول مرآه ، وما أسعد من رآه ، نفعنا الله ببركته ، وجعلنا ممن فاز بنصيب من رحمته ، بمنه وفضله »
ثم ذكر انه حضر له مجلسا ثالثاً وأثنى عليه وفضله على كل من رأى في الحجاز والعراق وفضل وعاظ الشرق على وعاظ الغرب أهل بلاده (الاندلس)

**

العبرة في هذه الآثارة التاريخية من وجوه

أحدها — أن بغداد لما ضعفت مدنيتها، وتضاءلت العلوم والمعارف فيها ، أعقب ذلك أهلها فسادا في الاخلاق ، وشرها في الارتزاق ، وعجبا بما كان على عهد الآباء ، واحتقارا للغرباء ، وقد كانت في أيام حياتها العلمية تقدر كل أحد قدره حتى كان يجيئها الغريب فيكون رئيس العلماء فيها فيذعنون له و يعترفون بالامامة وهذه سيرة الغزالي حجة الاسلام حجة على ذلك . فليعتبر بذلك دعاة العصبية الجاهلية بمصر ليعلموا ان هذه العصبة من علامات الموت لا من آيات الحياة ولو كان عند أسلافنا شيء من هذه العصبة لما أصابوا من العلم والمدنية شيئاً مما أصابوا

ثانيها — أن الزمن الذي زار فيه بغداد ابن جبير ووصفها فيه بالانحطاط والتأخر عما كانت حتى تمثل فيها بقول أبي تمام * لا أنت أنت ولا الديار ديار * هو الزمن الذي كان فيه من بقايا العلماء فيها مثل رضي الدين القزويني وابن الجوزي فمن لنا الآن بمثلهما وقدمر بك التنويه بشيء من فضلهما

ثالثها — أن أكابر العلماء وأئمتهم كانوا لا يزلون يعقدون مجلس الوعظ للعامة وقد صار كبار علمائنا في أكثر البلاد يستنكفون عن الوعظ و يعدونه مزريا بهم حتى عم الفساد وعزّ تلافيه وقد بذل الاستاذ الامام رحمه الله تعالى جهده في إحياء هذه السنة الحسنة سنة الوعظ والتذكير بترغيب العلماء فيها بالقول وبما سعى من ترتيب المرتبات لها من الاوقاف ولكن لا تكاد تجد في العلماء من له قلب يبعثه الى العمل وانا لنعلم أنهم يشعرون من أنفسهم بالعجز عن الوعظ النافع ولو وجد الباعث

بعد ثبوت هلال الشهر لديه و يصل الى البلاد الأخرى على لسان البرق

(الفرقة الثالثة) تعول في صومها وافطارها على قاعدة منسوبة للامام جعفر الصادق «رضه» وهي في كتاب عجائب المخلوقات للقزويني ونصها «قال جعفر الصادق «رضه» اذا أشكل عليك أول شهر رمضان فعد الخامس من الشهر الذي صمته في العام الماضي فانه أول يوم من شهر رمضان الذي في العام المقبل وقد امتحنوا ذلك خمسين سنة فكان صحيحا » اه من عجائب المخلوقات

فارجو الاستاذ افادتي عن المسئلة هذه مبينا وجه الحق في الاتباع وأرجو ان لاتحيلونا على مامضى اذا سبق في هذا الموضوع جواب ليحق الله الحق ويخرجنا من ظلمة التقليد بساطع أنوار الحق التليد والسلام ؟　كتبه الفقير

٢٣ جمادى الآخرة سنة ١٣٢٥　　عبد القادر ملاقلندر البخاري

(ج) كتبنا في باب الاخبار النبوية الواردة في الصيام فصلا فيما يثبت به الصيام والفطر هذا نصه (ص ٨١٤ م٦) وعدد الاحاديث فيه تابع لما قبله

﴿ فصل فيما يثبت به الصوم والفطر ﴾

(٧) جاء اعرابي الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : اني رأيت الهلال رمضان فقال : « أتشهد أن لا اله الا الله » ؟ قال نعم قال « أتشهد أن محمدا رسول الله » ؟ قال نعم . قال « يا بلال أذن في الناس أن يصوموا غدا » رواه الشيخان واصحاب السنن عن عكرمة عن ابن عباس . وفي رواية لأبي داود فأمر بلالا فنادى في الناس أن يصوموا وان يقوموا . وفي حديث آخر عند أبي داود أن النبي عليه السلام اكتفى مرة بشهادة ابن عمر في الصيام . وهو حجة على ثبوت الصوم بشهادة رجل واحد

(٨) عن ربعي بن خراش عن رجل من اصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : اختلف الناس في آخر يوم من رمضان فقدم اعرابيان فشهدا عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالله لأهلا الهلال أمس عشية فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الناس أن يفطروا . رواه أحمد وأبو داود وزاد في رواية . وان يغدوا الى مصلاهم

بل كانت الرواحل تشد الى امثال هؤلاء الوعاظ من الا ن البعدة كما يعلم من التاريخ الى أن كثرة التائبين[*] والصالحين في بلد عظيم كبغداد لا ينافي كون العصاة فيها أكثر أوكون المعاصي فاشية فيها

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذلا يسع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء ، وانا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متأخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا . ولمن مضي على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

﴿ س ٤٤ عن هلال الصوم والفطر من سواكن (السودان) ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي

مستجدا بعده

حضرة الاستاذ الفاضل رب العلوم ومعدن الفهوم الحسيب النسيب السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار الغراء حفظه الله وتولاه

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته أما بعد فقد اشكلت علينا مسئلة منذ أعوام وكثر الهرج لاجلها فأحببت ان أقدمها لجنابكم سائلا حلها واجابتي عنها جوابا شافيا وافيا على صفحات المنار ليهتدي كل من استهدى به . وذلك عند حلول رمضان واثبات الصوم أوالفطر حتى افترق أهل البلدة لثلاث فرق واليك نبأهم بالتفصيل

(الفرقة الاولى) تحتج بظهور هلال رمضان أوالفطر عيانا في قطرها وثبوته بالتواتر كما هو محرر بالكتب الفقهية فاذا ثبت هلاله صامت وكذا افطرت واذا غم أكملت عدة شعبان ثلاثين يوما وهؤلاء هم فقهاء البلدة ومشايخهم

(الفرقة الثانية) تعتمد في صومها وافطارها على قنابل الحكومة المطلقة ابذانا بحلول رمضان أو الفطر محتجة بأن هذه القنابل لا تطلق الا باذن شيخ الاسلام

نافذ في جميع البلاد وقيل ان تقاربت البلاد كان حكمها واحد وان تباعدت عمل كل بروئيته واختلفوا في حد البعد فبعضهم ناطه باختلاف المطالع وهو الوجه العلمي وبعضهم ناطه بمسافة القصر وهو قياس فقهي وقد رجح النووي وغيره من الشافعية كل واحد من القولين وقطع بكل منهما جماعة من الفقهاء

ونقول اذا اختلفت الروءية في البلاد المتقاربة فان كان هناك حاكم شرعي ورجح شهادة و بلغها للناس وجب ان يعتمدوا عليها ولا يلتفتوا الى روءية الآخرين لينضبط الامر ولا يكونوا فوضى في اقامة ركن من أركان دينهم هذا صائم وهذا مفطر، وان اختلفت في البلاد المتباعدة فهناك النظر والاجتهاد وقد رأيت ان بعضهم اعتبر البعد باختلاف مطالع القمر و بعضهم اعتبره بمسافة القصر والاول يستلزم تحكيم علماء الفلك وقد ذكرنا ان غرض الشرع ان يجعل ما تعرف به مواقيت العبادة عاما يعرفه العوام والخواص حتى لا يتحكم الكبراء في المسائل الدينية كما فعلوا في الامم السالفة والثاني يمكن أن يتجه لوورد حديث يذكر فيه اختلاف الحكم ببعد البلاد فيقال حينئذ ان مسافة القصر هي البعد الشرعي الذي تختلف به الاحكام. وهناك وجه آخر في البعد والقرب ربما كان أجدر بالاعتبار وهو ان البلاد المتصلة التي بين أهلها امتزاج وتعامل كالبلاد المصرية كلها تعد بلاد امتفاربة ولا ينبغي ان يكون بعض أهلها مفطرا و بعضهم صائما بحجة اختلاف الروءية فاذا ثبتت الروءية في بعضها يصوم الجميع والا أكملوا عدة شعبان ثلاثين وصاموا متفقين ومايفعلونه الآن في الاقطار الاسلامية من الاثبات في مكان واعلام الآخرين به حسن في ذاته وغير حسن مايحتف به من البدع. وأما البلاد التي لا صلة بينها قوية سهلة ولا تعامل بينها الا بمهاجرة بعض أهلها من أحداها الى الاخرى فلا بأس باعتبار كل مايثبت عنده ون تيسر اعلام كل قطر الآخر بنبأ البرق الذي يوءمن تزويره، ولو كان للمسلمين امام أعظم ينفذ حكمه الشرعي في جميع بلادهم وتيسر له اعلامهم بما يثبت عنده من الروءية وصاموا بذلك لكان له وجه من الحسن واتجه قال ابن الماجشون » اهما في المجلد السادس وقد سقط من آخره شيء وأصله واتجه ماقاله ابن الماجشون من أنه لا يلزم أهل بلد بروءية غيرهم الا أن يثبت ذلك عند الامام الاعظم لأن البلاد في حقه كالبلد الواحد

(٩) قال صلى الله عليه وآله وسلم . « اذا رأيتموه فصوموا واذا رأيتموه فافطروا فان غم عليكم فاقدروا له » رواه الشيخان والنسائي وابن ماجه من حديث ابن عمر . وفي رواية للبخاري وغيره « الشهر تسع وعشرون ليلة فلا تصوموا حتى تروه فان غم عليكم فاكملوا العدة ثلاثين » وفي رواية لمسلم وغيره « الشهر هكذا وهكذا » وأشار بالعقد الى ٢٩ و ٣٠ وفي لفظ الشيخين « صوموا لرؤيته فان غبي عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين » وظاهر ان الكلام في رؤية الهلال وعدمها . ومعنى اقدروا له احسبوا وقدروا يقال قدره (من بابي ضرب ونصر) واقدره وقدر له وغبي هنا بمعني غم في الروايات الاخرى أي لم يظهر . والاحاديث نص في أن العبرة برؤية الهلال لا بحساب الحاسبين وتقاويم المنجمين وذلك ان هذا الدين عام للبدو والحضر فوجب أن تكون مواقيت عباداته معروفة عند عامة المكلفين ، غير مخصوصة بطائفة الحاسبين ، وجاء في بعض الروايات « وانسكوا له » فمواقيت الحج تعرف برؤية الهلال أيضا

(١٠) عن كريب ان أم الفضل بعثته الى معاوية بالشام (قال) فقدمت فقضيت حاجتها واستهل علي رمضان وأنا بالشام فرأيت الهلال ليلة الجمعة ثم قدمت المدينة في آخر الشهر فسألني عبدالله بن عباس ثم ذكر الهلال: متى رأيتم الهلال؟ فقلت رأيناه ليلة الجمعة فقال :أنت رأيته ؟فقلت نعم ورآه الناس وصاموا وصام معاوية فقال: ولكنا رأيناه ليلة السبت فلانزال نصوم حتى نكمل ثلاثين أو نراه: فقلت :ألا تكتفي برؤية معاوية وصيامه ؟قال: لا — هكذا أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم :رواه أحمد ومسلم وأصحاب السنن الاربعة . الاظهر ان المشار اليه بقوله « هكذا أمرنا رسول الله » هو قوله « لكنا رأيناه ليلة السبت » الخ فانه هو المطابق الموافق للمروي وقيل انه أشار الى ما يفهم من قوله من عدم اعتداد أهل بلد برؤية أهل بلد آخر وهو غير مروي في المرفوع ولا هو صرح به فنكتفي بروايته . فالراجح اذاً حمل قوله على المروي المعروف . وقد اختلف علماء السلف في المسألة فقيل يعتبر كل أهل بلد رؤيتهم بعدت البلاد أو قربت وقيل لا يلزم أهل بلد العمل برؤية أهل بلد آخر الا اذا ثبت عند الامام الاعظم فبلغه لان حكمه

ولي غير مولى العتاقة وقامت البينة عند القاضي على ذلك الاذن كان له أن يزوجها واذا لم تقم عنده بينة طلبه ليزوج هو وأما اذا كان المولى غائبا ولا ولي سواه فالقاضي أن يزوج سواء كان هناك اذن أم لا لأن الولاية له حينئذ

﴿ الجواب عن السؤال الآخر ﴾

قالوا ان النبي صلى الله عليه وسلم مرض مرض الموت في اواخر صفر أو أوائل ربيع الاول وقالوا ان المرض قد اشتد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث ليال وقالوا انه توفى حين اشتد الضحى من يوم الاثنين وقالوا ان أبا بكر رضي الله عنه هو الذي كان يصلي بالناس بأمره عليه الصلاة والسلام فى المدة التي لم يكن يستطيع الخروج فيها وقالوا انه خرج في صبيحة يوم الاثنين وأبو بكر يصلي الصبح بالناس فضحك سرورا برؤيتهم وكادوا يفتتنون في صلاتهم فرحا به اذ ظنوا انه عوفي وأراد أبو بكر ان يتأخر ليتم صلى الله عليه وسلم الصلاة بالناس فأشار اليه بأن يمضي في صلاته

وقال بعضهم ان أبا بكر صلى في الناس سبع عشرة صلاة ولم أرا حدا قال ان منها صلاة الجمعة . ورأيت في الاحياء ان ابتداء الاذن لأبي بكر رضي الله عنه بالصلاة بالناس كان في أول ربيع الأول فإذا كانت وفاته صلى الله عليه وسلم في الثاني عشر منه كما هو المشهور فالصلوات التي أمّ أبو بكر بها الناس كانت متفرقة ومنها الليالي التي اشتد بها المرض فلا عجب اذا كان صلى الله عليه وسلم هو الذي صلى بالناس آخر جمعة من أيام حياته الشريفة

لنفوذ حكمه فيها » وجملة القول أن العبرة بالرؤية او اكمال العدة فاذا ثبتت عند الحاكم وأعلم بها الناس عملوا باعلامه

سؤالان أو أسئلة من « جاوه »

عتق جميع العبيد والاذن بتزويج المعتوقات

أرسل اليّ بعض أهالي سليبس هذان السؤالان والتمس مني ارسالهما اليكم لكي تنشروهما في المنار مع الجواب وهما الاول فى الاعتاق والاذن بالتزويج بصيغة الجمع

(س ٤٥و٤٦) انه لما استولت حكومة هولندا على جزيرة سليبس وأخذت سلطان بوني أسيرا كان لديه أرقاء كثيرون وكذلك أهالى تلك الجهة لديهم كثير من الأرقاء فلما استولت هولندا على تلك النواحي هرب أولئك المماليك وتركوا مالكيهم فما قولكم رضي الله عنكم فيمن أعتق أرقاءه بصيغة الجمع قائلا: إني أعتقت جميع مماليكي وجعلتهم احرارا لوجه الله ذكورا وإناثا . واذا أذن المعتق بتزويج معتوقاته قائلا : إني أذنت لكل من يتولى عقود الانكحة من قضاة المسلمين أن يزوج كل معتوقة لي عند عدم وليها الشرعي على من تريد : فهل يكفي في كل الاعتاق والاذن بالتزويج صيغة الجمع أم لا أفيدونا ولكم الاجر والثواب

الثاني من صلى بالناس الجمعة في مرض النبي (ص)

(س ٤٧) لما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي توفي به فمن صلى بالناس الجمعة التي وقعت فى حال مرضه (ص) ومن الذي خطب بهم الخطبة أفيدونا مأجورين

الجواب عن السؤالين الاولين

يصح العتق بصيغة الجمع ويتناول كل فرد لانعلم في ذلك خلافا . وأما الاذن بالتزويج ففيه تفصيل فاذا أرادت المعتقة أن تتزوج في بلد ليس لها فيه

ليس في المقال دفاع حقيقي عن صاحب جريدة اللواء في موضوع العصبية الجنسية الا إنكار أن تكون مما يدعو اليه قال « لعلكم تريدون بذلك مايطعن به على الدخلاء وتحذير المصريين منهم في اللواء . ان كنتم تريدون ذلك — وهو الواقع — فما أبعد دعوته عن عصبية الجنسية !! لان مصطفى كامل باشا قد عرف معنى الدخلاء غير مرة وفهم ذلك عنه الكثيرون من قراء اللواء فهو يعني بالدخيل من يزج بنفسه في أهل أمة ويسعى في ضررهم وهو يطلق هذا اللفظ على فئة من نصارى سوريا رأينا من أعمالهم أنهم يحملون في صدورهم أقبح النيات نحونا سعيا وراء مصالحهم وأهوائهم » ثم ذكر انه ان كان قد أدمجنا في تلك الزمرة فما ذلك الالاعتقاده أننا نفعل فعل تلك الزمرة واننا لانخلص في فائدة الأمة المصرية ثم استدل على ذلك باجلاله لبعض السوريين كرفيق بك العظم

أقول ليست العصبية الجنسية في اللواء مأخوذة من كلمة الدخلاء التي جعلها هجيراه فقط بل نرى روحه فائضة بهذه العصبية التي جعلها مضادة للسوريين بوجه خاص فما غاضت آونة لعدم المحرك الا وفاضت أخرى . وقد طغت حتى تجاوزت السوريين المقيمين في مصر الى غيرهم كما ظهر ذلك عند ماعلل تألب العساكر السورية المسوقة الى اليمن بخسة المنبت . وقد ظهر أثرها في الأغرار المخدوعين بجمجمة هذه الجريدة حتى صار مثل محمد فريد أفندي وجدي لا يسمح لمحمد رشيد رضا أن يتكلم في شؤون الأمة المصرية بل ولا في شؤون ملتها ولا يجد أحدا ينشر له هذا الا اللواء صاحب الدعوة وناشرها . وان مثل هذه العصبية يكون مظهرها في اللسان أقوى منه في الكتابة وقد سمعنا من خاصة أصدقائنا الفضلاء من المصريين أنها قد قويت حتى صار بعض المتعلمين بل والمعلمين يعذلون من اخوانهم من يعترف بفضل سوري أو يخلص له في الصداقة ورأينا أهل الفضل والدين من المصريين يألمون لطروء هذه النزعة الجاهلية على المسلمين . ولعل المنتقد قد قرأ ما كتبه بعض اخوانه طلاب الحقوق في بعض المجلات الحدثة من كونهم يطلبون بيان الدين والدفاع عنه من المصريين !!!

بل وصل شر العصبية الجاهلية الى بعض علماء الازهر الذين يعيشون فيه مع طوائف

باب المناظرة والمراسلة

الانتقاد على المنار

﴿ العصبية الجنسية واللواء ﴾

أرسل الينا بعض طلبة مدرسة الحقوق مقالا من الاسكندرية عنوانه «المنار والسياسية والدين» ولكن موضوعه الدفاع عن صاحب جريدة اللواء، وإطراؤه بالمدح والثناء، ومؤاخذة المنار على إنكاره عليه ماادخله في دعوة الوطنية، من نزغات العصبية الجنسية الجاهليـة، وإقامته الحجج على ان ذلك مناف لما قرره الاسلام من أخوة الدين ومن الحقوق الأخرى لكل مقيم في دار الإسلام أيا كان جنسه. ذكره بذلك ما كتبناه في الجزء الماضي ردا على فريد أفندي وجدي

قال الكاتب «أما بعد فإن لي كلمة يدفعني الشعور بالواجب ان أقولها لكم وهي وان كانت لاتتفق الى الآن مع رأيكم الا ان لي ملء الثقة في انكم لا ترفضون كل مايخالفكم لما ناديتم بذلك كثيرا وشهدناه منكم غير مرة فانا أرسل اليكم تلك الكلمة معتقدا أني أخدم بها الحق كما أخدم بها المنار فرجائي ان تنشروها في مجلتكم ولكم بعد ذلك أن تعلقوا عليها ما شئتم أن تعلقوا»

نقول اننا لا نرفض كل مايخالفنا ولا ننشر كل مايوافقنا وانما نختار مانرى فيـه الفائدة من الامرين ومنـه الانتقاد علينا في المسائل الدينية والعلمية ممن يبحث في المسألة نفسها لافي اعتقاده بنية صاحبها وشؤونه الخاصة فلو كان الكاتب جعل مقالته في انتقاد رأينا في العصبية الجنسية لنشرناها ولكن معظمها في بيان اعتقاده في صاحب جريدة اللواء ومايرجوه من سعادة البلاد بدعوته وهو مانعتقد خلافه. فهو يذكر اعتقاده فيه ويقول «فماذا تنتقدون عليه في ذلك وماذا ترون فيه ممايخالف روح الدين» كأني بانتقاد العصبية الجنسية الجاهلية عليه انتقدت عليه كل شيء يقوله وقد غلا في ذلك حتى حكم بأنني أعد المبادي التي تنهض بها الامم — وهي مبادي صاحب جريدة اللواء في رأيه — مخالفة للاسلام واني أجعل الحياة الوطنية عين العصبية الجنسية الجاهلية وبذلك أكون منفرا عن الاسلام . وهذا غير صحيح فما فائدة التطويل بشرح رأي غير منطبق على الواقع

متجاورين في الأرض متساوين في اللغة والتابعة العثمانية متقاربين في العادات وأكثر أهلهما مع هذا متفقون في الدين

ان السوريين المقيمين بمصر وحدهم لا يستهان بعداوتهم فانهم أصحاب قوة مالية تقدر بنحو خمسين مليون جنيه وقوة أدبية لا تحتاج الى تعريف . وما من أحد منهم يعد من أصحاب الرأي والاشراف على أحوال العصر الا وهو يعتقد بأن خطة جريدة اللواء تضعه من المصريين موضع العدو من عدوه . ومن هؤلاء من هو مخالف لاصحاب المقطم في الرأي والسياسة ومنهم من يبغضهم ويطعن فيهم أي قول قال به أصحاب المقطم وليس في المصريين مسلمهم أو قبطهم من يقول بمثله فما بالك بسائر الشعوب التي يوجد منها ألوف تقيم في مصر ولهم جرائد تخالف رأي اللواء كما تخالفه المقطم وهي أشد خلافا فلماذا لا ينوط ذنبها في رأيه بكون أصحابها من جنس كذا أو من بلاد كذا ؟؟

ان كل أجنبي بمصر يرى جنسه أشرف من الجنس المصري وأجل من ان يخضع لقانونه وهو يعمل في هذه البلاد لأمته وبلاده وما أصابه من الثروة ينقلب به الى أهله . والسوري يرى نفسه شقيقاً للمصري ومساويا له في كل شيء وقلما يرجع سوري الى بلاده بما كسب من مال ولكن كثيرا منهم جاؤا الى مصر بأموال عظيمة لا سيما في هذه السنين الاخيرة . فلأي شيء يعد اللواء ذنب الواحد منهم عارا عليهم . وما هو الفرق بين السوري والمصري والافرنجي في ذلك؟ على ان جميع الاجناس صارت تشعر بأن اللواء يدعو الي عدوانها بل طفقوا يعتقدون أن المصريين يبغضون كل غريب فما أشأم اللواء

المنتصر للواء يرى ان خطته هي التي تنجح بها الامم وأنه لا نجاح بسواها ونحن نرى ضد ما يرى وما توسعنا في مسألة الجنسية الآن وقبل الآن الا لأنها منافية لروح الاسلام من جهة ولمصلحة المصريين ثم السوريين من جهة أخرى ولو شئنا لبينا تنفير هذه الخطة جميع الاوربيين من المصريين وكيف جعلتهم عونا للانكليز عليهم بعد أن كانوا عونا لهم على الانكليز، وبينا كيف شغلت هذه الخطة المصريين بالسياسة العقيمة عن الطريقة المستقيمة وغير ذلك مما ننكره على هذه الجريدة المتهورة

المسلمين من جميع الاقطار حتى قال أحد كبرائهم مرة عندما مدح أمامه « مسجد الست الشامية » في موقعه ونظافته : نعم ولكن من الاسف انهم حشوه بالشوام: وهو وان بناه الشوام ووقفوه ووقفوا عليه ليس فيه مستخدم شامي الا الخطيب الصالح الذي يقصد المسجد لأجله من الاماكن البعيدة ممن لم تفسد دينهم عصبية الجاهلية . أتدري من هو ذلك العالم ؟ اني لا اسميه وإنما أقول لك انه صديق صاحب جريدة اللواء من علماء الازهر الذي كان يزوره كما يزوره هو

بل ارتقى صاحب جريدة اللواء بهذه العصبية الى مستوى اسمى فصرح بأن أمير البلاد أشار في خطبته يوم خلع على الشربيني خلعة مشيخة الازهر الى وجوب خروج صاحب المنار من مصر لأنه هو الغريب الذي هو غير راض عن طريقة التعليم في الازهر

على أننا لو سلمنا أن اللواء لا يعني بالدخلاء الذين ينفر عنهم ويبغض فيهم غير فئة من نصارى السوريين كما يرى المنتقد الحسن الظن لما كنا الا قائلين بانه مخطىء خطأ ضاراً بالبلاد لأن أول من يخطر بالبال من هذه الفئة أصحاب المقطم وهم لم يذهبوا مذهبهم المعروف في السياسة لأجل فائدة سوريا ومصلحتها حتى يقال انه مذهب سوري ويذم منتحله بأنه او لأنه سوري أو دخيل ؟ كلا انه ما ذهب أحد منهم هذا المذهب لأنه سوري دخيل في البلاد المصرية يتعصب عليها وعلى أهلها ليحول مصالحها ومنافعها الى وطنه وانما قصاري سوء الظن فيهم أن يكونوا يلتمسون بهذا منفعتهم الخاصة فما معنى نبزهم بلقب الدخلاء وجعل ذلك علة لعداوتهم للمصريين ؟

أليس من المقرر في علم الأصول والمعروف عند أرباب الاذواق والعقول ان ترتيب الحكم على المشتق يؤذن بعلية ما منه الاشتقاق ؟ أليس الاسم المنسوب من قبيل المشتقات ولذلك يعمل عمل اسم المفعول ؟ فبهذا تبين أن ترتيب الطعن في قوم على كونهم سوريين دخلاء يؤذن بأن كونهم سوريين هو علة ذلك الطعن وما ترتب عليه وحينئذ يكون طعنا في جميع السوريين من حيث هم سوريون وهو على كونه خرقا وأفنا في الرأي ضار لأنه تاريث عداوات وضغائن بين أهل قطرين

الغلوّ والشذوذ ولذلك نال عبد الله أفندي نديم رحمه الله من اعجاب الجماهير وتصفيق قلوبهم وأيديهم مالم يصل الى مثله ولا الى عشره صاحب جريدة اللواء الى اليوم لانه كان يقول لهم فيما يكتب ويخطب ان قذائف مدافع الاسكندرية تصل الى قبرص من هذه الناحية وقذائف مدافع الاستانة تصل اليها من الناحية الأخرى فكيفما جالت المراكب الانكليزية فهي تحت رحمة مدافعنا : ومصطفى كامل يهزأ بالانكليز ويهددهم بما يقرب من هذا ومتى وصل الى مثله — وماذلك ببعيد— يصير اعجاب الجماهير به أشد منه اليوم لأن إعجابهم يكون دائما على قدر الغلو كما قلنا. ولكن اذا وقع بالبلاد منتهى مايتوقعه العقلاء من عواقب هذا الغلوّ -- وماوقع الى اليوم ليس بقليل — أو اذا تدارك هؤلاء العقلاء الخطب قبل وقوعه وهم أولو الشأن في البلاد كما يرجى منهم فيومئذ يعلم المغرورون أن ليس كل مخالف للواء بعدوّ للبلاد ولا بدخيل ولا بضارّ بل الضارّ هو اللواء وصاحبه المتفاني في حب الشهرة والعلو لافي حب الوطن (١٦: ٩ وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهدا كم أجمعين)

الانتقاد على محمد فريد أفندي وجدي في كتبه

٣

كنز العلوم واللغة

نكتفي في هذا الجزء بالانتقاد على مادة واحدة من مواد كتاب كنز العلوم واللغة لأن باب المناظرة لا يتسع فيه لأكثر من ذلك

أخطأ فريد أفندي وجدي فيما كتبه في لفظ (حديث) أنواعا من الخطأ تدل على أنه لاثقة بنقله وروايته كما انه لاثقة بفهمه ورأيه

(الخطأ الاول) تعريفه الحديث في الاصطلاح بقوله « والحديث في الاصطلاح أطلق على ماروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكلام » وهذا غير صحيح وهو يدل على أنه لم يتلق ولم يقرأ شيئا من كتب الحديث مطلقا أو قرأ شيئا قليلا لم يفهمه والصواب أن الحديث في اصطلاحهم ما أضيف الى النبي صلى الله

وصاحبها ولكننا ندع ذلك للأيام ، فهي التي تكشف للناس كيف كانت هذه الوطنية عبارة تبغيض المصريين الى جميع الشعوب وكثرة الفخر والدعوى والعظمة ولعل اليوم الذي تنكشف فيه الحقائق ليس ببعيد

الجرائد وتاريخ الاستاذ الامام

وصاحب جريدة اللواء

جاءتنا رسالة من الشيخ أحمد المنوفي امام الجامع الكبير بكلكته (الهند) في موضوع انتقادنا على بعض الجرائد فيما كتبت عن تاريخ الاستاذ الامام أنحى فيها على صاحب جريدة اللواء إنحاء شديدا يتعلق بسيرته وسياسته كما أطراه صاحب الرسالة السابقة في ذلك . فنعتذر عن نشرها بمثل ما اعتذرنا به عن نشر تلك لأنها لاتفيد القراء وانما تفيدنا نحن وقد قرأناها وانما نذكر جملة منها على سبيل النموذج لما فيها من اعتقاد كاتبها في الاستاذ الامام عليه رضوان الله لامجازاة اللواء على شتمه ايانا مرة بعد اخرى اذ لوكان غرضنا ذلك لنشرناها برمتها . قال الكاتب في عرض الكلام على صاحب جريدة اللواء :

« ثم ازداد غلوا فجعل مداد قلمه تامور المسلمين ومهجة المصريين لااستغراب ماصدر منه من هذه اللفظة الشنيعة التي منشأها الفطرسة وسوء الادب مع أئمة الدين وقادة المسلمين الا وهي قوله « تاريخ الشيخ عبده » إذ مثل هذه اللفظة يتحاشا من كتابتها وجعلها عنوانا على امام الائمة المرحوم الاستاذ الامام أقل الناس أدبا وأشدهم تكبرا وأجهلهم بحقيقة نفسه بل لاينبغي لأديب ان يجعلها عنوانا على أصغر تلميذ فضلا عن الاستاذ الامام فما بالك بصاحب (جريدة) اللواء الذي يعتقد انه خلص المسلمين وعلى الاخص المصريين من دركه أوأخرجهم من سلي جمل وانهم لولاه لم تقم لهم قائمة » الخ ما قال ومنه عدم التفرقة بين ما يكتبه صاحب هذه الجريدة وما يكتبه خلفاؤه لأنهم كما قال الكاتب «لايكتبون الاما يوافق مشربه »

وجملة القول اننا لانحب البحث في مذهب جريدة اللواء وسيرة صاحبها في سياسته ومشربه ولا نحاول إقناع المعجبين بها وبه بما نعتقدفيهما لأنهم يتبعون في ذلك الاعجاب الشعور والوجدان، دون الرأي والبرهان ، والوجدان يستفزه

أما المعروف المشهور في كتب الحديث فهو أن ما في الجامع الصحيح للبخاري هو بعض ما صح عنده وهو بالمكرر يزيد عما قال و بدونه ينقص قال الحافظ ابن حجر في مقدمة الفتح جميع أحاديثه بالمكرر سوى المعلقات والمتابعات سبعة آلاف وثلاثمئة وسبعة وتسعون حديثا والخالص من ذلك بلا تكرار ألفا حديث وستمئة وحديثان . ثم تكلم في احصاء المتون المعلقة المرفوعة بغير وصل . ولا يتفق زعم فريد أفندي وجدي مع عد المكرر ولا مع تركه . هذا اذا فرضنا انه لم يصح عند البخاري الا أحاديث الجامع والصواب انه قد صح عنده غيرها وقد صح عنه أنه قال « لم أخرج في هذا الكتاب الا صحيحا وما تركت من الصحيح أكثر حتى لا يطول »

(الرابع) قوله أول من الف في الحديث مالك في الموطأ (كذا) توفي سنة ١٧٩ وقيل ابن جريج »

والصواب أن أول من دون الحديث ابن شهاب الزهري بأمر عمر بن عبد العزيز كما قال الحافظ ابن حجر في الفتح ورواه أبو نعيم في الحلية عن مالك نفسه وفي باب ا كتاب العلم من الموطأ رواية محمد بن الحسن وعلقه البخاري « أخبرنا مالك أخبرنا يحيى بن سعيد أن عمر بن عبد العزيز كتب الى أبي بكر عمرو بن حزم أن أنظر ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم او سننه او حديث عمر أو نحو هذا فاكتبه لي فاني قد خفت دروس العلم وذهاب العلماء » . نعم انهم ذكروا أن مالكا وابن جريج من أول من صنف الحديث مرتبا على الابواب وهذا أخص من مطلق التأليف والتدوين فان الذين كتبوا الحديث على أقسام منهم من كتب ما اجتمع له كيفما اتفق ومنهم من رتبه على الابواب ومنهم أصحاب المسانيد الذين ذكروا ما أسنده كل صحابي على حدة بحسب رواياتهم ومنهم أصحاب المعاجم الذين رتبوه على حروف المعجم . وقد كان ممن الف الحديث مرتبا على الابواب في القرن الثاني مالك بالمدينة وابن جريج بمكة وسفيان الثوري بالكوفة والاوزاعي بالشام والربيع بن صبيح او سعيد بن أبي عروبة او حماد بن سلمة بالبصرة وهشيم بواسط ومعمر باليمن وجرير بن عبد بن حميد بالري وابن المبارك بخراسان . قال الحافظان ابن حجر والعراقي وكان هؤلاء في عصر واحد فلا يدري أيهم اسبق »

عليه وسلم قولا أو فعلا أو تقريرا أو صفة ويطلق كما في النخبة على كل من المرفوع والموقوف والمقطوع (الثاني) قوله انه لم يصح عند أبي حنيفة الاسبعة عشر حديثاً فقط فان من يعرف غير هذا العدد من الصحاح لا يعترف له أحد بالإمامة والاجتهاد المطلق . ثم ان الرواية عن أبي حنيفة قليلة وفرق بين ما يروى عنه وما يصح عنده

(الثالث) قوله « انه لم يصح عند الامام مالك الا ثلاث مئة حديث » وهذا خطأ كبير فقد قال الحافظ ابن حجر كتاب مالك صحيح عنده وعند من يقلده على ما اقتضاه نظره من الاحتجاج بالمرسل والمنقطع وغيرهما . وقد نقل عن الامام الشافعي ان الموطأ أصح كتاب بعد كتاب الله تعالى . ثم ان الشافعي قال ذلك قبل وجود صحيحي البخاري ومسلم اللذين قدمهما العلماء بعده على الموطأ ولكن ذلك لم يخرج الموطأ عن كونه صحيحاً . وقد نقل السيوطي في تنوير الحوالك عن القاضي أبي بكر بن العربي ان الموطأ هو الاصل الاول والبخاري هو الاصل الثاني وان مالكا روى مئة ألف حديث جمع منها في الموطأ عشرة آلاف ثم لم يزل يعرضها على الكتاب والسنة (أي العملية) حتى رجعت الى خمس مئة . وعن الكيا الهراسي كان تسعة آلاف فرجع الى سبع مئة . أقول والظاهر ان الخلاف في العدد خاص بالاحاديث المسندة وهي كما نقل عن الابهري ست مئة وعن ابن حزم خمس مئة ونيف . ومجموع الاحاديث والآثار فيه ألف وسبع مئة وعشرون قال الابهري المرسل منها ٢٢٢ والموقوف ٦١٣ ومن أقوال التابعين ٢٨٥ وكل ما فيه قد صح عند مالك وان قال بعض المحدثين بعده بضعف قليل من رواياته . وقد نقل عنه انه قال « عرضت كتابي هذا على سبعين فقيها من فقهاء المدينة فكلهم واطأني عليه فسميته الموطأ » فلينظر الناظر الى مبلغ علم فريد أفندي بالآثار وجرأته على كتابة ما ليس له به علم

(الثالث) قوله « ولم يصح عند البخاري الا ٦٢٠٠ حديثاً (كذا) من أكثر من ٦٠٠٠٠٠ سمعها من الناس »

أقول لا ندري ايخترع فريد أفندي وجدي هذه الاقوال اختراعا ام سأل بعض من يظن فيه العلم أن يكتب له ذلك ليفتخر بعلم غيره فكان افتخاره بالجهل .

السليم وان كان قليلا وترك المشكوك فيه مهما كان كثيرا، من قرأ قوله هذا يظن انه هو في مقدمة هؤلاء النبهاء الذين ذكرهم ولكنه اذا تتبع الاحاديث التي يحتج بها فيما يكتب يرى انه يشكك في أصح الروايات كأحاديث الشفاعة ويعتمد في الاكثر على الاحاديث المشكوك فيها أو المقطوع بضعفها أو وضعها وهو لا يعلم وسنبين ذلك في فصل مستقل ان شاء الله تعالى

آثار علمية أدبية

﴿ لباب الخيار، في سيرة المختار ﴾

ألف الشيخ مصطفى الغلاييني البيروتي مختصرا في السيرة النبوية سماه بهذا الاسم وطبعه طبعاً جميلا على ورق حسن ضبط فيه بالشكل ماراه مما يشتبه فيه غير العالم فكانت صفحاته ٨٢ صفحة وهو أسهل المختصرات وأقربها الى افادة التلاميذ المبتدئين والعوام

ذكر في أول هذا المختصر ان الاسلام قام أو نشر بالدعوة لا بالسيف وقسم حياة النبي صلى الله عليه وسلم الى ثلاثة أدوار ماقبل البعثة وما بعدها الى الهجرة وما بعد الهجرة وذكر المسائل والغزوات دون السرايا ونبه على مواضع العبرة في كثير من المواضع وختم المختصر بأحاديث من الحكم وجوامع الكلم بلغت ٢٢١ حديثاً رتبها على حروف المعجم . وثمن النسخة من هذه السيرة قرشان صحيحان ماعدا أجرة البريد وتطلب من مكتبة المنار بمصر

﴿ فلسفة الاسلام ومدنية القرآن ﴾

كتاب جديد يؤلفه أحمد أفندي بدوي النقاش أحد ضباط الجيش المصري في سكة الحديد السودان وقد طبع الجزء الاول منه في مطبعة الآداب والمؤيد . وقد يتعجب القارئ من نسبة كتاب في الفلسفة الى ضابط مصري لاسيما اذا

كذلك كتب المسند غير واحد في عصر واحد فاختلفوا في الأول منهم . فلو كان فريد افندي وجدي مطلعاً على أقوال المحدثين في ذلك لقال ان مالكا وابن جريج هما أول بل من أول من صنف الحديث مبوبا كما يقال أول—او من أول—من كتب المسند نعيم بن حماد وأسد ابن موسى وعبد الله بن موسى . وأنى لمثل فريد أفندي وجدي أن يعرف شيئا من هذه الفروق والدقائق أو مثل من وصفه بالتدقيق والتحقيق في كل مايكتب كبعض محرري المؤيد على أن القول بسبق ابن جريج لمالك أقوى من عكسه كما أطلق ذلك غير واحد ومنه ما في التذكرة للحافظ ابن حجر عن الامام أحمد أن ابن جريج وابن أبي عروبة أول من صنف الكتب

(الخامس) قال فريد أفندي وجدي «ثم توالت بعد ذلك المجموعات السبع الشهيرة بكتب السنة الصحيحة وهي مجموعة البخاري المتوفي سنة ٢٥٦هـ ومسلم المتوفي سنة ٢٦١ هـ وأبو داود (كذا) المتوفي سنة ٢٧٥هـ وابن ماجه المتوفي سنة ٢٨٢ هـ والنسائي المتوفي سنة ٣٣٣ والدارقطني المتوفي سنة ٣٨٥هـ»

أقول انه ذكر ان المجموعات سبع وعد ستا فقط فلا نعد هذا عليه وانما نعد عليه انه ترك من الكتب الستة كتاب الترمذي واستبدل هو به الدارقطني وهذا يدل على الجهل المطلق بهذا العلم ولو ترك ابن ماجه لقلنا انه تركه للخلاف فيه وإن جرى جميع المتأخرين على عده السادس من الستة ولكن أنى لمثله ولمن يقرظ له كتبه فيصفها بالتحقيق والتدقيق أن يعرف هذا

(السادس) زعمه ان ابن ماجه توفي سنة ٢٨٢ والصواب انه توفي سنة ٢٧٣ وقيل ٢٧٥

(السابع) زعمه ان النسائي توفي سنة ٣٣٣ والصواب انه توفي سنة ثلاث وثلاث مئة . فبأي شيء مما يكتب فريد أفندي يوثق

ان كل ما كتبه في هذه المادة لا يزيد الا قليلا عن الصفحة وقد رأيت ان معظم ماهو نقلي من ذلك فهو خطأ لأن منه الكلام في النسخ والوضع وله في ذلك عبارات لو تتبعناها وانتقدناها لفظا ومعنى لأطلنا في احصاء ما يتعذر إحصاؤه

ومن قرأ قوله في آخر هذه المادة «هذا واننا في عصر كثر فيه النبهاء وأخذ كثير منا في احتذاء مثال أئمتنا في مسألة الاحاديث من الاكتفاء بالصحيح

في مشروعات ومباحث مهمة كتعلية حبس أسوان ومشروعي وادي الريان وفرع رشيد ،

وأما الرسوم الشمسية فيه فهي ٤٦ رسما وهناك رسوم أخرى كثيرة منها الملوّن كخرائط الجغرافية ومنها غير الملون وهي في غاية الاتقان

ومن خدمة اللغة في هذا الكتاب أن مترجمه بالعربية قد فسر في هوامشه الألفاظ التي احتاج الى استعمالها فعني بالبحث عنها ووضعها في مواضعها ولم تكن مستعملة عند كتاب العصر كالمساك بوزن سحاب وهو مكان من النهر تتراصف اليه حطامة الاغصان ورفاض الحطب والعشب وغيرها فتحبس ماءه وتعوق سيره ويعرف بالسد . وكالمفجرة بوزن المتربة قال وهي أرض تطمئن وتنفجر فيها أودية وبالتخصيص لجوة مابين جبلين وهي الفجة والوادي والغور . وهو يفسر أيضاً كل مايرد في الكتاب من الاصطلاحات والدخيل

وأسلوب الترجمة عربي فصيح قلما تجد لأحد من كتاب هذا العصر ومترجميه مثله وإن لم يخل من بعض ماينتقد على نابغيهم وهاك هذا النموذج منه في الكلام على بحيرة ألبرت :

« أما بحيرة ألبرت فالحادثات فيها على خلاف ماتقدم ولكن لامردّ لوقوعها وفعلها أكيد . ذلك أن مثالج جبل روزوري والفواعل الجوية فيه تؤدي الى تحات جوانبه على الدوام وتفتتها وكل ماينساب منها من الرفاض (١) تجترفه السيول الى أخاديد (٢) ومضايق ذاهبة به الى نهر سملنكي وهو يرمي بها الى بحيرة ألبرت ومعها مقادير من الطين التي تجتلبها مياهه من أنحائه العليا . هذا وانحدار النهر عند الطرف الجنوبي لبحيرة ألبرت يقل فتخف بذلك جريته فتصبح مياهه وليس لها قوة دافعة تستاق تلك المواد فتستقر جميعها في بطاح البلاد المجاورة . وعليه فقد كونت رواسب الأجراف (٣) في الأطراف الجنوبية من بحيرة ألبرت سهلا

---

(١) رفاض الشيء (كغراب قشارته وما تحطم منه فتفرق (٢) جمع أخدود وهو الحفرة المستطيلة في الأرض (٣) أجراف جمع جرف (بالضم وجرف (بضمتين) وهي ما تجرفته السيول وأكلته من الأرض (المعرب)

كان عالما بحال التعليم في المدرسة الحربية المصرية وانه تعليم صناعي ليس فيه شيء يرقي الفكر حتى ان دراسة التاريخ قد ألغيت من هذه المدرسة منذ سنين ولا نرى جريدة من الجرائد المبالغة في انتقاد نظارة المعارف تنتقد ذلك على نظارة الحربية ،

نعم يتعجب القارىء من تأليف ضابط مصري كتابا في فلسفة الدين ولا يذهب بتعجبه الا تذكر تفاوت استعداد البشر فان في الضباط المصريين أفرادا من المغرمين بقراءة كتب العلم والدين والتاريخ والمجلات الدينية والعلمية · ومؤلف هذا الكتاب من المستعدين للفلسفة وياليت تربيته لم تصرفه عما خلق مستعدا له الى غيره · قرأنا مسائل من الكتاب فرأيناها نتائج فكر دقيق ، جاءت من كل فج سحيق ، بعضها جلي و بعضها خفي لم تقو العبارة على بيانه · ومن مباحث الكتاب طبيعة الفكر الانساني والارادة والعقل وحرية الانسان واستقلاله ووجود الله والفلسفة الالهية و إيصال القرآن الى السعادة وغير ذلك

الدليل · في موارد أعالي النيل

كتاب جديد كبير الحجم والفائدة صنفه بالانكليزية السر وليم جارستن مستشار نظارة الاشغال العمومية بمصر ونقله الى العربية ابراهيم مصور بك رئيس الترجمة في هذه النظارة وطبع بمطبعة المعارف طبعا في منتهى الحسن وهو يشتمل — كما كتب في طرته — « على مطالب التعديل والاصلاح · ويليه نبذة لجناب المستر ديبوي مفتش عموم ري السودان شرح فيها خبر رحلته الى بحيرة تسانا وأنهار السودان الشرقي · وفي درج الكتاب رسوم جمة وله ملحقات »

نقول أما الكتاب فهو قسمان وخاتمة وفي القسم الأول منهما ١٢ فصلا في الكلام على بحيرة فكتوريا و بحيرة ألبرت أدوردو بحيرة ألبرت وهي ينابيع النيل وأصوله وعلى نيل فيكتوريا والنيل الأعلى المعروف ببحر الجبل وعلى البحرين الأبيض والأزرق وهما فرعا النيل انعظيمين وغير ذلك · والقسم الثاني في « تصرفات الأنهار وممكنات المشاريع » وفيه فصلان · وأما الملحقات ففيها فوائد كثيرة

أ كتم الوجـد والآلام تظهره هيهات هيهات ذوطب يداويها

فانه لايذكر في شرحه الانحو صفحتين في أسماء الأفعال كأنه يشرح كتابا في النحو والصرف

قال المؤلف في فاتحة كتابه « وكل مافيه من المنشآت ابتكاري ، كما أن بعض مابه من الأبيات اختياري »

« يعرف المرء باختيار وجمع ودليلي على الأديب اختياره »

ونقول انه ليس فيه شيء من الابتكار، وهاك هذا النموذج ممـا فيه من المنظوم والمنثور وهو ما قاله في أول قسم الاستعطاف بعد أبيات لغيره

« مهمافي التجني علي أفرطت ، وأذقتني بصدك الهوان، فروحي لمودتك أوهبت، ياإنسان كل انسان ،

لله أشكو غرامي وما أعاني وألقى

قطعت حبل ودادي ولم أخن لك حقا

وبي تبـدلت غيري فالله خـير وأبقى

لكن ... عهدي بجميل خصالك ، وقوفي على سبب هجرانك

أن كان بالسلوان عني عواذلي لكم حدثوا والله قد كذبوا بما

عن الحب والعهد القديم وودكم وحق الهوى ماضل صاحبكم وما

لمهجتي الشجو أورثت ، ولعيني السهد وهبت ، والي الارق بعثت ، ولبي قدروعت

فزاد اشتياقي وقل اصطباري ولم أستطع في هواك الهجوع

فؤادي أسرت قيادي ملكت اما آن عفوك عن صادق

سميع مطيع مشوق ولوع

حذار العذول كتمت وجدي يا خير مأمول عدمت رشدي

فمن على برد الجواب وحقك اني به لقنوع

دامت لك علياك ولا أعدمني الله محياك والسلام » اه

ولا يحسبن القاريء اننا تعمدنا نشر أدنى ما في الكتاب بعد البحث عنه لهذا من أحسنه فان أساء بنا الظن أوردنا له أبياتا كتب بها الى صديق آخر وهي

بسيطًا من الأرض يتداخل شيئًا فشيئًا بمياه هذه البحيرة فيرفع منسوب قاعها ولا تزال هذه الرواسب تعمل هذا العمل على التوالي . ومثل ذلك يعمله بحر فيكتوريا في الطرف الشمالي للبحيرة فهو يلقي بإبليزه وأجرافه في البحيرة فتضيق»

فنشكر لواضع الكتاب خدمته لهذه البلاد ولمترجمه خدمته لها ولغتها بما لم يخدمها أهلها

﴿ هذا يلاشي تلك ﴾

لفيلسوف شعراء فرنسا أو شاعر فلاسفتها فيكتور هيجو أو هوجو (أو الاسم بالغين أو الكاف بدل الجيم على ما نرى عليه المعربين والمترجمين من الخلاف) مقال عنوانه (هذا يلاشي تلك) وصف فيه مباني الأقدمين وفخامتها كالاهرام وقصر الكرنك وعمود السواري والبادثيون والباشيون ذهب خياله فيه الى فلسفة اجتماعية دقيقة فجعل ذلك رمزا للسلطة الروحية والسياسية التي استعبد البشر بها الكهنة والملوك وبين ان اختراع المطبعة الذي سهل نشر العلم بين جميع الناس يلاشي تلك السلطة ويذهب العلم بالكنيسة . وانتقد على ذلك بعض الكتاب وحاول بيان أن المطبعة لم تهدم الكنيسة بل خدمتها ورد عليه المترجم ثانية . نشر ذلك في جريدة البصير ثم طبع على حدته

﴿ مطمح الفصحاء ﴾

كتاب ألفه الشيخ علي فؤاد المنوفي في شيء سماه الانشاء وجعله عشرة أقسام في رسائل الود والشوق والعتاب والاعتذار والقطيعة والاستعطاف والرجاء والشكر والتعازي والتهاني وأودعه أربع مقامات وجعل له شرحا أكبر منه وان شئت فقل انه صنف كتابا آخر جعله هامشاله وسماه شرحا وان كان أكثر ما فيه ليس بشرح ولا مناسبة بينه وبين المشروح في معنى الأصل . مثال ذلك شرحه للبيت الآتي

إني لأبصر من أفعالها عجبا   الوصل يغضبها والصد يرضيها

فانه لا يبين المراد من البيت في شرحه وانما يتكلم عن أقسام الفعل في الصرف فيذكر المجردة والمزيدة والملحقة والسالمة والمضاعفة والمهموزة وغير ذلك . كذلك شرحه للبيت الآخر

﴿ نخب من مبتكرات مكسيم غوركي ﴾

مكسيم غوركي من كتاب الأمة الروسية قد اشتهر بما كتب من المقالات والرسائل في الاصلاح السياسي والاجتماعي وله أسلوب رشيق وكثيراً مايرمز المعاني في قوالب الوقائع . وقد اختار سليم أفندى قبعين – وهو من أدباء السوريين العارفين باللغة الروسية – أربع مقالات لهذا الكاتب وترجمها بالعربية وطبعها فبلغت صفحاتها ثمانين صفحة ونيفا . عنوان المقالة الأولى (الملك الرافع اللواء) وعنوان الثانية (أحد ملوك الجمهورية) وعنوان الثالثة (فرنسا الجميلة) وعنوان الرابعة (اليهود) وثمن هذه النخب ٣ قروش صحيحة

غرائب الاسرار – جاسوس الالزاس

غرائب الاسرار قصة مؤلفة من أجزاء ترجم الجزء الاول منها واسمه (جاسوس الالزاس) حسن أفندي موسى (ضابط بالاستيداع) فأما وقائع الجزء فهي تكاد تكون في غرابتها من الخوارق أو الشعوذة وفيها من الرموز والاسرار مايشوق النفس الى الجزء الثاني لتقف على حل تلك الرموز وكشف هاتيك الاسرار . وأما الترجمة فهي أقرب الى العامية منها الى العربية الصحيحة . وصفحات الجزء الذي طبع ١١٢ وثمنه خمسة قروش

﴿ الفضيلة والرذيلة ﴾

قصة أدبية غرامية من تأليف جورج أونيه أحد كتاب الفرنسيس وترجمها بالعربية محمد أفندي كردعلي منشىء مجلة المقتبس وأحد محرري المؤيد . وموضوعها علم الادب (الكتابة والشعر) والادباء في فرنسا فهي مساجلات ومنافسات، بين نفر من الادباء والأديبات ، وقلما تجد شيئاً من ذلك في الكتب المترجمة بالعربية فالقصة تفيدك مالا تكاد تعرفه من كتاب آخر في اخلاق الأدباء وعاداتهم ومكانة الأدب عندهم وتأثيره فيهم . وقد طبعت القصة بمطبعة الشعب وتطلب من مكتبتها وثمنها ١٥ قرشا

أيامن فاق أهل العصر طرا ... بما أبداه من شرف الطباع
أسأت اليك فاستوحشت مني ... وأبدلت التواصل بانقطاع
فصرت أقارع الأهوال ضنكا ... وأنتف شعر رأسي من مجاعي
وأصرخ في (الشوارع والحواري) ... بأصوات كأصوات الضباع
وأزري دمع عيني فوق خدي ... ومن أسفي أعض على صباعي
ولما أن رأت عيناي موتي ... وان الروح مني في النزاع
أتيت اليك معترفا بذنبي ... ورجلي فوق كتفي بانخضاع
أؤمل فيك انك تعف عني ... لأنك بحر جود ذو اتساع
فألقني بفضلك ثدي عفو ... لاشفي القلب منه بالرضاع

هكذا جاءت هذه الابيات في الكتاب فلا نظن ان مطبعتنا حرفت فيها أو صحفت

ههنا يقول القاريء مابال المنار أطال في الكلام على هذا الكتاب وخالف عادته في مثله وانا أقول له ان السبب في ذلك التعريف بمكانة كتاب كتب مصنفه في أوله انه ورد اليه ٢٦ تقريظا له من أكابر العلماء وافاضل الشعراء وذكرمنها تقريظا الشيخ سليم البشري الذي هو شيخ المالكية اليوم وكان شيخ الأزهر بالامس يشهد فيه للكتاب بأنه مفيد نافع

وتقريظا للشيخ محمد بخيت الحنفي المشهور يقول فيه « وبعد فقد أطلعت على كتاب مطمح الفصحاء بل مرتع البلغاء فوجدت من بحور الادب درر منظومة في سلوك الذهب تزري بقلائد العقيان في نحور الحسان كيف لا وقد حوى من النثر أغلاه ومن الشعر أعلاه فجزا (كذا) الله مؤلفه أحسن الجزاء واكثر من أمثاله النبلاء وجمل به وجه هذا الزمن ونفع بمؤلفه الأمة والوطن آمين»

وقد كان حظه من كبير الجرائد كحظه من أكابر العلماء فان جريدة المؤيد قرظته تقريظا جعلته فيه منتهى البلاغة . . . افيلام المنار بعد كله أن أطال القول فيه

﴿ الامين والمأمون ﴾

هي الحلقة الحادية عشرة من سلسلة القصص الغرامية التاريخية التي يؤلفها جرجي أفندي زيدان وينشرها في الهلال «وتشتمل على ما قام بين الامين والمأمون من الخلاف بعد وفاة والدهما الرشيد وقيام الفرس لنصرة المأمون حتى فتحوا بغداد وقتلوا الامين وأعادوا الخلافة الى ابن اختهم (المأمون) و يتخلل ذلك وصف دخائل السياسة بين العرب والفرس وما يقتضي المقام ذكره من الآداب الاجتماعية والعادات والاخلاق » . ومما يشرحه فيها ان الفرس كانوا متعصبين بالعصبية الجنسية متعمدين إزالة الملك من العرب وجعله فيهم و إقامة خليفة من العلويين يكون آلة دينية في أيديهم وان الكثيرين منهم كانوا يظهرون الاسلام و يخفون المجوسية ليتمكنوا من مخادعة المسلمين عربهم وفرسهم . فذكرنا هذا بالعصبية الجنسية التي محاها الاسلام وأماتها فأحياها بعض المنافقين فكان من شرها ما كان ويريد إحياءها في هذا العصر بعض المفتونين بالشهرة فنسأل الله ان يقي الاسلام والمسلمين شرها لأن التفريق في هذا العصر ينتهي بهلاك جميع المسلمين لا بتغلب جنس منهم على جنس آخر كما كان من قبل

﴿ رحلة ابن جبير البلنسي الاندلسي ﴾

نشرنا في هذا الجزء آثارة تاريخية من هذه الرحلة وسننقل غيرها وهي رحلة جليلة ذات فوائد جمة طبعها ثانية العالم المستشرق كوريج في هذا العام طبعا متقنا على ورق جيد وناهيك باتقان الافرنج وعنايتهم بالضبط وما يضمونه للكتب من فهارس الاعلام والمواضع التي تسهل المراجعة والاستفادة وأهدى الينا نسخة منها مجلدة تجليدا حسنا فنشكر له نشره آثار سلفنا وخدمته هو وأمثاله لغتنا

الصراط — مجلة جديدة تطبع في الاسكندرية وقد كتب عليها «مجلة أخلاقية أدبية علمية تاريخية تصدر في الشهر مرتين بمعرفة جمعية محامد الأخلاق بالاسكندرية . قيمة الاشتراك سنويا عشرة قروش صاغ ولتلامذة المدارس خمسة قروش» وهي قيمة قليلة وان كانت صفحات الجزء من المجلة لا تزيد على عشرين صفحة فنتمنى ان يكون هذا الصراط موصلا الى الفوائد النافعة

﴿ المجرم البرىء ﴾

قصة فرنسية الاصل ترجمها محمد أفندي كرد علي لمجلة مسامرات الشعب وطبعت في أربعة أجزاء من أجزائها وهي على كونها قصة غرامية تشرح للقارىء مسألة شرعية قانونية من أهم المسائل وهي الاعتماد على القرائن القوية في إثبات الجنايات والحكم بمقتضاها والخلاف في ذلك معروف فمن لا يبيح الحكم بالقرائن يقول انها قد تكون قطعية في الظاهر وهي لا حقيقة لها في الواقع وهذه القصة تؤيد هذا القول فهي تمثل لك في أولها رجلا عدا على اخر في بيته فقتله وأخذ ما أخذ من ماله وكان المال قراطيس لا معدنا وقد رآه من داره وهو متلبس بقتل جاره كل من زوجه وبنته وخادمتها وكان ذلك ليلا والانوار في بيت القتيل متألقة ولما عاد الى داره وكان قد تأخر خلافا لعادته عاد شعثا مضطربا ولم يستطع الى النوم سبيلا ولما اتهم كان مما ظهر في التحقيق ان الاوراق المالية التي فقدت من القتيل وجدت في صندوقه وهو لم ينكر ذلك . والحق أنه لم يكن هو القاتل وان هذه القرائن والدلائل وغيرها مما لم نشر اليه كلها شبهات تشرح القصة حقيقتها بعد شرحها بالاسهاب

﴿ محمد علي ﴾

قصة تاريخية غرامية في محمد علي باشا من أول نشأته الى أن استقر له أمر الحكم في مصر ألفت بالألمانية وترجمت بالانكليزية ثم ترجمها عن الانكليزية بالعربية نسيب أفندي المشعلاني بطلب ادارة الهلال وعلى نفقتها طبعت ومن مكتبتها تطلب . وقد سلك مؤلف القصة في بيان نشأة محمد علي مسلكا فلسفيا بين فيه أنه قد أوتي منذ صغره الاستعداد الفطري للرياسة وجاءت الحوادث مربية لهذا الاستعداد حتى بلغ منتهاه . والقصة في جملتها مفرغة في قالب مقبول ونسقها معقول غالبا يقل فيها الغلو المنتقد كزعم الانتقال من قرب دمنهور الى قرب الاهرام في صحراء الجيزة في ليلة أو بعض ليلة

﴿ الجامعة الاسلامية وأوربا ﴾

رسالة لرفيق بك العظم المشهور بمباحثه التاريخية والاجتماعية سننشر بعض فصولها في الجزء الآتي من المنار ان شاء الله تعالى

والفنون والصنائع التي بها تصنع آلات القوة كالبنادق (ويسمونها المكاحل) والمدافع والبوارج الحربية كلها محرمة لايجوز للمسلين الاشتغال بها كما يرى ويعتقد ذلك أشباههم من أصحاب العمائم في أكثر بلاد المسلمين ، وبذلك أضاعوا الدنيا والدين ، وكانوا سبب هلاك المسلمين ؛

مرت الأيام والسنون فدخلت (مسألة مراكش) أي مسألة محاولة أوربا استعمارها والاستيلاء عليها في طور جديد فقد اعتدى بعض المغاربة على العملة الأوربيين في مرفأ « الدار البيضاء » وهي من حواضر مملكة مراكش ففتح بذلك لفرنسا باب استعمال القوة في هذا الثغر فدخلت منه وذلك ماكانت تبغي

أصبحت فرنسا مع قبائل المغرب في حرب تعددت وقائعها فالقبائل تهاجم الدار البيضاء فتلاقيها العساكر الفرنسية بمدافعها ومن ورائها البوارج تساعدها بمدافعها فتمزق شمل القبائل وتنسفهم في الهواء نسفا ولكن الفرنسيين قد دهشوا من شجاعة المغاربة واستبسالهم فسلطوا عليهم عسكرهم من مسلمي الجزائر لعلمهم بأنه لايفل الحديد الا الحديد وقد ترك المغاربة الهجوم الى حيث تنالهم مدافع البحر

مهما عظمت شجاعة المغاربة فإنها والجهل قائدها لاتكفي لحفظ استقلال البلاد ولا تدفع عنها ماتريد فرنسا منها فان الجهل لايغلب العلم والاختلال لايعلو النظام فاذا كان أهل المغرب الاقصى أسوداً فان العقلاء من البشر قد عهد منهم التصرف في الاسود وحبسها في بلاد ماهي مواطنها وما عهد أن تعيش فيها وجعلها مع ذلك في مواضع النزهة يأنس برؤيتها حتى النساء والولدان . نعم ينتظر أن تتعب فرنسا في تذليلهم كما تعبت في الجزائر ولكن العاقبة للمتقين كما قال الله تعالى والتقوى تفسر في كل مقام بحسبه فهي تفسر في باب الحرب والصدام باتقاء أسباب الانكسار والخذلان ولاشك أن فرنسا هي المتقية مايجب اتقاؤه في هذا المقام بالتدبير التام وإعداد ماتستطيع من قوة كما أمر الله تعالى

ومن التدبير الذي يتخذه العقلاء ولايدري به الجهلاء وهو من قبيل السبل يضرب جلمودا بجلمود ايقاع الشقاق بين الزعماء في المغرب وما وقف ذلك عند حد الخارجين على السلطان والمحاربين له بل قامت طائفة عظيمة من الامة فبايعت

باب الأخبار والآراء

﴿ المسألة المراكشية وحرب الدار البيضاء ﴾

كتبنا في السنة الأولى للمنار نصيحة فيه لسلطان مراكش أنذرناه فيها بأن طوفان أوربا لابد أن يفيض على بلاده فيغمرها ان لم يبادر هو الى إصلاح شأنها بما تقتضيه حال العصر من التربية والتعليم لاسيما تعليم الفنون العسكرية والمالية. ثم كنا نعيد النصائح والنذر مرة بعد أخرى وآخر عهدنا بها ما كتبناه في أيام انعقاد مؤتمر الجزيرة من العام الماضي (١٠ : ١٠١ وما تغني الآيات والنذر عن قوم لايؤمنون) بالاسباب والمسببات وسنن الله تعالى في الامم وانما يعتمدون في دفع الضر وحفظ المصالح على الخوارق وكرامات الاولياء مع مادرجوا عليه من التقاليد والعادات لايقبلون وراء ذلك إصلاحا ، ولا يبتغون بدونه فلاحا ، وقد سبق لنا بيان التجائهم الى قبر مولاي إدريس وجؤار أهل العلم الديني عنده بكلمة « يالطيف » ليدفعوا بذلك ماطلبته فرنسا من السلطان يومئذ فليرجع الى ذلك في المجلد الثامن من اراد

مرت الأيام والسنون وأهل هذه البلاد « يفتنون في كل عام مرة أو مرتين » أو مرات « ثم لايتوبون » من تفريطهم وغرورهم « ولاهم يذكرون » ماحل بأمثالهم من الأمم والشعوب الجاهلية بحال هذا العصر ورقي أممه وما يجب من اعداد القوة لمدافعتها اذا عدت بحسب الاستطاعة وعلى قدر ماهي عليه من الاستعداد وكل ذلك مما يرشد اليه الاسلام ويفرضه بنص القرآن ولكن أين أولئك الجاهلون من الاسلام والقرآن وهم يعتقدون أن قراءة تفسيره تميت السلطان، وحياته عندهم أولى من احياء القرآن ، ثم ماذا تفيدهم قراءته اذا كانوا يعتقدون ان الاهتداء به من الاجتهاد الممنوع بحكم شيوخ التقليد الجامدين ، وان الدين لايؤخذ الامن كتب الفقهاء الميتين ، كما يفهمها أصحاب الجاه من الشيوخ الحاضرين ، وهم يرون ان العلوم

(١١: ٦١ هو أنشأكم من الارض واستعمركم فيها) فكان الكتاب العزيز موئداً لحكم العقل في وجوب زوال استقلال المغاربة وكل دولة لا تحسن الاستعمار ولا تقيم النظام الا أن تتوب وتقيم الميزان بعد الاستعداد له بما تقتضيه حال الزمان . ولا يظهر صدق الآية الكريمة في أرث الارض الا بهذا التفسير ولنا فيه سلف صالح فهو منقول لا مخترع

إن حكم الفرقان والقرآن بأن دول العلم والنظام والاستعمار هي التي تسود على دول الجهل والخلل والافساد في الارض هو الذي يخفف من ألم حسرة العقلاء على زوال استقلال دول المسلمين ولا أقول دول الاسلام فان من يقضي القرآن بزوال دولته لا تكون دولته اسلامية ولكن قد تكون مسلمية و بهذا نبرىء الاسلام بحق من مناقضة أصول العمران العلمي ونجعل ذلك على أعناق المسلمين

﴿ غرور متعلمي اللغات الاوربية ﴾

ان أصحاب العقول الصغيرة من متعلمي اللغات الاوربية يتخيلون ان كل من تلقف لغة منها صار من العلماء الاعلام والحكماء المرشدين للأنام ولكن هؤلاء المتعلمين يعدون بالألوف ولا نكاد نجد واحداً منهم في الألف يفيد أمته بكتاب يفضل به غير العارفين بهذه اللغات واننا نرى أكثر ما يكتب كاتبوهم في الجرائد أوغيرها في منتهي السخف وضعف الفكر والسبب في هذا أن اللغة الاوربية وسيلة للعلم وليست هي عين العلم ولا عين العقل الذي لا علم بدونه ولا فهم

اذا وجد في متعلمي هذه اللغات أفراد كفتحي باشا زغلول وقاسم بك أمين لهم آثار في الترجمة والتصنيف تدل على أنهم استفادوا من اللغة الأوربية علما وبصيرة فانه يوجد فيهم ألوف لم يستفيدوا الا الغرور والتبجح والدعوى ومنهم من أضاع ثروته الموروثة وأهان نفسه وذوي قرابته بسوء سيرته وما كانت اللغة الاجنبية التي يعرفها الا عوناً له على اضاعة ماله وشرفه ثم هو يفاخر باللغة وعلومها ويحتقر علوم العربية من دينية وغيرها ويحط من قدر أهلها .

للاستاذ الامام آثار جليلة كتبها قبل ان يتعلم اللغة الفرنسية كمقالات الوقائع المصرية ومقالات العروة الوثقى وقد كان ما يكتبه بعد تعلم هذه اللغة أدلّ على

بالملك مولاي حفيظاً (أو عبد الحفيظ) أخا السلطان عبد العزيز بفتوى من العلماء فصار في البلاد سلطانان سيحارب كل منهما الآخر فيكفون فرنسا شر قوة البلاد

يظن كثير من الناس أن السلطان عبد العزيز سيلجأ الى فرنسا لتحفظ له سلطانه وتكفيه شر أخيه كما لجأ توفيق باشا الى انكلترا في إبان الثورة العرابية وبذلك تحتل فرنسا بلاد مراكش احتلالا رسميا يسمى موقتا وتعمل عملها فيها باسم السلطان كما تحكم تونس باسم الباي وهذه هي الطريقة التي استقر عليها رأي ساسة أوربا في استعمار بلاد المسلمين لان حكمهم باسم أمرائهم وملوكهم أقرب الى السلام وأبعد عن النزاع والخصام

انه ليحزننا أن نرى مملكة اسلامية في الشقاء الذي أحاط بمملكة مراكش ولا يسرنا أن تبقى على ماهي عليه أو على ما كانت عليه اذا كان ما انتابها الآن مبدأ للانتقال من حال الى حال

وانه ليحزننا أن يكون انتقالها بقوة الاجانب لا بتدبير رجالها وحكمتهم ولكننا لا نرى منفذا لخيط من خيوط أشعة الرجاء في أولئك الرجال الجهلاء فباطالما نصحنا لهم وأنذرناهم البطشة الكبرى (٥٤ : ٣٦ فتماروا بالنذر) بل كان مثلنا ومثل سائر الناصحين معهم (٢ : ١٧١ كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون)

ان أهل العقل والعلم من طلاب الاصلاح للمسلمين تتمنى قلوبهم لو يدوم لسلطنة مراكش استقلالها ويتحول طوفان أوربا عنها حتى يكون اصلاح حالها من نفسها ولو بعد حين ولكن عقولهم تحكم بأن هذا شيء لا مطمع فيه وتدرك ان من العدالة العامة في الاكوان ومن سنن المبدع في اجتماع الانسان أن يقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق (راجع سورة الانبياء ٢١ : ١٨) وأن الارض يرثها عباد الله الصالحون أي لعمارتها (راجع آية ١٠٥ من السورة المذكورة) ولا شك أن العلم بالنظام وبطرق العمران وتأمين السكان من الحق وهو مما يقوم به الاوربيون وان ما عليه المغاربة من ضد ذلك هو من الباطل . وان الاوربيين يعدون بالنسبة الى المغاربة من الصالحين لاستعمار الارض الذي امتن الله علينا به كما قال تعالى

على ان وراء العلم الذي تعد اللغات وسائل له أمراً آخر هو مناط الافادة بالعلم لمن يحصله وهو مكارم الأخلاق كالصدق والاخلاص والاستقلال والعزيمة والشجاعة والعفة وغير ذلك من الفضائل فاذا أغضينا عن الذين يتعلمون بعض لغات العلم ولا يستفيدون من العلم نفسه الا حثالة من قشوره ونظرنا في حال الذين يقال انهم أوتوا نصيباً من العلوم نجد الكثيرين منهم قد شغلتهم شهواتهم وأهواؤهم عن بث ما استفادوا في قومهم وعن الاستزادة منه وعن العمل به على الوجه النافع فالعلم لأمثال هؤلاء كالسيف في يد المجنون يخشى ضره ولا يرجى نفعه للأمة

﴿ حياة المعارف في مصر ﴾

دخلت المعارف بمصر في حياة جديدة على عهد سعد باشا زغلول فأسس مدرسة القضاء الشرعي التي وضع مشروعها الاستاذ الامام وستفتح أبوابها للطالبين الذين نجحوا في الامتحان في الشهر الآتي وهذه أعظم خدمة للاسلام في هذا العصر. وأعاد التعليم المجاني وجعل من المزايا لمن يتعلمون فن التعليم ما يرغبهم فيه ككونهم يتعلمون مجانا و يتغدون في المدرسة ومنهم من يأخذ مرتبا شهريا وهم أصحاب القسم الثاني من تلاميذ مدرسة المعلمين الخديوية وأرسل البعوث الى أوربا لتلقي العلوم العالية في انكلترا و بثها في البلاد بعد عودتهم فائزين ان شاء الله تعالى وهذه البعوث أكثرها من الذكور و بعضها من الاناث وقد انتقد ارسال بعض البنات الى أوربا من اتخذوا تقبيح أعمال الحكومة دلائل على حبهم للوطن وأهله لعلمهم أن السواد الاعظم لا يزال من الجهلة الذين يعدون تعليم البنات من المنكرات فهم يحتجون على قبح ارسال البنات الى أوربا بكونه مخالفاً لرأي الامة ولو أن الحكومة اتبعت رأي الامة من عهد محمد علي الى اليوم لما تعلم أحد من أبنائها ولا بناتها كلمة في غير تلك الكتاتيب القديمة والازهر

ان جميع عقلاء الامة العارفين بما ينفعها و يضرها متفقون على ان تعليم البنات ركن من أركان الحياة أو شرط لحصولها أو كمالها نعم انهم يختلفون في قدر ما ينبغي أن تتعلمه البنات، و رأي كثير من المعتدلين أن التعليم الابتدائي كاف لهن وانه لا حاجة أولا ضرورة الى تعليمهن لغة أجنبية . ولكن هذا الرأي خاص بالتعليم العام وهو لا يعارض وجوب تمييز من تتعلم لتكون معلمة في المدارس على سائر

كثرة الاطلاع والسعة في العلم ولكن هل يوجد في هؤلاء الألوف من المتعلمين من يستطيع أن يكتب مثل تلك المقالات التي كان العالم يهتز لها حتى ان انكلترا ذات الحرية الواسعة منعت العروة الوثقى من مصر والهند . ولا غرو فان العقول التي وسعت دائرة العلوم باللغات الأوربية حتى صارت هذه اللغات تتعلم لأجل ذلك يوجد مثلها في الأمة العربية وفي غيرها من الأمم . وقد كان السيد الكواكبي غير عارف باللغات الأوربية ولكن ما كتبه في الاستبداد لا يوجد في فلاسفة أوربا كثيرون يكتبون أحسن منه أو مثله بله الذين يعرفون لغات أوربا وليس لهم من علومها سهم يعتد به .

وما لي لا أضرب لهؤلاء المغرورين الأمثال الا بمن ماتوا فهذا رفيق بك العظم فليأتونا بكثير من مثله من متعلمي اللغات الأوربية . وهذا صاحب جريدة المؤيد لا يختلف عاقلان في تفضيل ما يكتبه وهو لا يعرف لغة أجنبية على ما يكتب صاحب جريدة اللواء العارف باللغة الفرنسية

فليخفض المغرورون برطانة اللغة الاجنبية من غرورهم فان الناس تتفاضل بالعقول لا باللغات فذو العقل الكبير قد يقتبس العلم من الوجود كما اقتبسه جميع الفلاسفة وان العاقل الشرقي من موارد العلم الغربي كتباً كثيرة ومجلات مترجمة يستفيد منها مالا يستطيع صاحب العقل الصغير ان يستفيده من ينابيعها وأصولها . نعم ان صاحب العقل الكبير اذا اطلع على تلك الأصول يكون أوسع علما منه قبل الاطلاع عليها وان الأمم الشرقية لا تستغني عن طائفة من الأذكياء ينفرون لاقتباس تلك العلوم من لغاتها ونقلها الى قومهم كما أنها لا تستغني عن طائفة يحيون لغتها وعلومها الدينية والأدبية والتاريخية ولا يجوز تفضيل أفراد إحدى الطائفتين على الأخرى لان كلا منهما يخدم الأمة بما لا بد لها منه فان جاز التفاضل كان تفضيل من يشتغل لإحياء الأمة بمقوماتها الاصلية من اللغة والدين والعلوم على من يجلب لها علوما من غيرها أظهر لان فقد العلوم الاجنبية عنها نقص وفقد مقوماتها الذاتية موت وفناء

فهل بقي بعد هذا البيان من عذر لبعض الأغرار المفتونين بما لقفوا من العلم الناقص بلغة أجنبية في تنقيص العلماء بدينهم ولغتهم وتاريخهم اذا كانوا لا يرطنون معهم بتلك اللغة

المتعلمات فان من لا يتجاوز علمها ما يلقى في المدارس الابتدائية لا تصلح أن تكون معلمة فيها . ثم اننا مادمنا عالة على الافرنج في علومنا ومدنيتنا ومادام أمر حكومتنا ومنها ادارة معارفنا في أيديهم أو تحت اشرافهم فلا بد لنا من معلمين ومعلمات من أهل العلم الاوربي الذين يتلقونه من معدنه عن أهله بلغته حتى لا تقوم علينا حجة القوم بأنه ليس فينا أكفاء يتولون التعليم لاسيما تعليم البنات . فارسال بعض البنات اللواتي يرغبن هن وأولياؤهن بأن يكن معلمات في المدارس الى أوربا لتلقي العلوم فيها هو الوسيلة الى اغناء نظارة المعارف عن المعلمات الاوربيات لا وسيلة سواها وينبغي أن يختزن من البيوت التي حسنت تربيتها بالدين والأدب

على أن الامة اذا سرت فيها الحياة المعنوية سريانا تاما فانه لا بد أن يوجد فيها من البنات من ينهض بهن استعدادهن الى تلقي العلوم العالية وليس من اعتدال المعتدلين أن يمنع هؤلاء من ذلك بعد العلم بصدق الرغبة وقوة الاستعداد فقد كان في الامة الاسلامية أيام حياتها الاولى كثيرات من المشتغلات بالعلوم الكمالية التي هي من فروض الكفايات التي لا يقوم بها الا بعض الرجال حتى رواية الحديث بالاسانيد والتصدي للتحديث

خطبة الشيخ محمد شاكر وتنديده بلورد كرومر

أرسل الينا الشيخ محمد شاكر شيخ علماء الاسكندرية خطبته التي قرأها في مجمع الاحتفال بتوزيع المكافآت على نجباء الطلبة فاذا هو قد اقتبس في فاتحتها معنى بعض آيات الجهاد واذلال الله الجبابرة للمجاهدين وإيراثهم أرضهم وديارهم حتى كأنها خطبة قائد جيش فتح أو يحاول فتح الممالك وقد بينا رأينا في الخطبة من خمس جهات — كونها من عالم رسمي وكونها من رجل يعد من بطانة الأميروالمقربين منه وكون التنديد بكلام لورد كرومر تأخر عن وقت الحاجة وكونه جاء بعد تصريح اللورد بأنه لم يرد فيما كتبه عن مبادي الجامعة الاسلامية الدين الاسلامي نفسه فهذه أربع والخامسة قيمة كلام الخطبة في نفسه وهل يصلح دفعا للشبهات التي تضمنها كلام اللورد على الفقه الاسلامي كما قال أو على الاسلام كما يريد الشيخ شاكر وأمثاله ؟ ولكن هذا الجزء لم يتسع لما كتبناه فاشرنا اليه بهذه الكلمات



